د . عصام علي أحمد

سلطنة المماليك البرجية

(784- 923 هـ (1382 - 1517م)



عصام بن علي بن أحمد

سلطنة المماليك البرجية
في مصر والشام وبلاد الحجاز

الكنز المفقود بين رواية شهود وروعة المشهود



نور العلم للتراث المملوكي


بسم الله الرحمن الرحیم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم وأخرج من شاء من عباده من ظلمات الجهل والضلال والهوى والطغيان إلى نور العلم والهداية والاستقامة والتقوى وأنار بضيائه الأبصار وبوحيه العقول والبصائر، وحفظ بشريعته الدين والنفوس وصان العقول والأعراض واحتاط للأموال ومصالح العباد .

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على خير من ولدت النساء, محمد وعلى آله وصحبه الكرام صفوة خلق من له الخلق والأمر, الذي يخلق ما يشاء ويختار، خلق ما يدب على الأرض فأختار منهم بني الإنسان .

اما بعد فإن العصر المملوكي هو أكثر العصور دراسة وتحليلا في العالم العربي شرقه وغربه ، ورغم السنوات الطوال التي تبعدنا عنه ورغم العهد العثماني الذي فصلنا عن العصر المملوكي بمئات السنين فإن عبق التاريخ المملوكي بكل ما يحويه من آثار لا زالت شاهدة على حقبة كانت فيها الحضارة الفكرية والعلمية والمعمارية عصرا مميزا، مما جعل كبار الفقهاء، والمفكرين والمؤرخين يبدعون في مؤلفاتهم عن هذه الفترة المميزة من تاريخ البلاد العربية التي شهدت إبداعا فكريا وعلميا ومعماريا وكذلك الفنانون المعماريون الذين بنوا أجمل الأسواق والحمامات والخانات والجوامع والمدارس التي لا زالت قائمة تشهد على إبداعهم إلى الآن .

فبالله أشرع وبه استعين في نشر تاريخ سلطنة المماليك البرجية في هذا الكتاب كما كتبه الاولون مع التأكيد على الاحتفاظ بالأسلوب الذي كتبت به دون تغيير حتى يبقى عبق التاريخ يفوح بين كلماته والتي وجدتُ خلالها الحنين إلى الأهل الذين سبقونا وعاشوا في زمن ليته يعود في عزه وشموخه وكرامته وحضارته التي نافست العالم أجمع , وأبقيت ما ورد في هذه المؤلفات باللهجة العامية أو بالطريقة اللفظية التي وردت، رغبة في إبقاء عبق تلك

الأيام يفوح من بين الكلمات والأسطر ليعيش القارئ في ذلك الزمن الذي مر على البلاد العربية والإسلامية وليستشعر دقائق تلك الفترة وكأنه كان واحدا من أهل ذلك الزمان .

فجئت بين يديك بكنز ومشكاة نور مملوءة بحيثيّات تلك الفترة ومجرياتها وتطوّراتها سلما وحربا، ويوميّات سلاطين المماليك البرجية وأخبارهم، وأخبار رجالات الدولة العسكريّين، والإداريين، والدينيّين، والعلماء، وعامّة الناس، وأخبار العجائب والغرائب والنوادر والطرائف، وللحياة العمرانية، والاقتصادية، والتجارية، والزراعية، وللمناخ، وأحوال الطبيعة، من الزلازل ، والسيول ، والنكبات، وحالات الكسوف والخسوف .

وأخيرا .... الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات , فلقد عشت في بحثي هذا بين اروقة العصر المملوكي اتنشق عبير الماضي بجزالته , ارتب احداثه بقوتها واستنبط معاني واحدد علامات , اربط بينها بعبارات علمية جزلة وجمل بيانية حسنة حتى توصلت الى ما يلي مقدمتى , وبالله استعين وبه أبدأ في المقصود .

(ديار مصر)

لعل وادي النيل أعظم أجزاء المعمورة اتصالا بالأحداث الجليلة في التاريخ العام، وأوفرها نصيبا في التيارات المتباينة، التي كانت تلتقي فيه فتنصهر وتمتزج.

قيل ذات يوم ان الذي يعبر هذا البلد العظيم الشأن ليلقى في طريقه الكتاب المقدس والفلسفة والعلوم والإغريق والرومان والمسيحية، والمذاهب التي خرجت عليها ، والرهبنة والإسلام والحروب الصليبية ، بل إنه ليكاد يلقي فيها كل ماكان خطير الشأن في تاريخ هذا العالم , يجد مدينة كالإسكندرية شيدها الإسكندر، ودافع عنها قيصر، ثم ودخلها نابليون .

وقالها ابن خلدون حين دخلها " رأيت حاضرة الدنيا، وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج

الذر من البشر، وإيوان الإسلام ، وكرسي الملك تلوح القصور والأواوين في جوه، وتزهر الخوانق والمدارس والكواكب فيها "

"وان الذي يتخيله الإنسان فإنما يراه دون الصورة التي تخيلها لاتساع الخيال عن كل محسوس إلا القاهرة فإنها أوسع من كل ما يتخيل "

و علينا أن نذكر دائما أن وادي النيل كان من أكثر الأقاليم التي فتحها العرب إقبالا على اعتناق الإسلام، وأن الدين الجديد أيقظ مصر، وكان حافزا لها على أن تنهض بعد أن ظلت نحو عشرة قرون خاضعة لحكم الروم ,ولا يفوتنا أن مصرإحدى الأمم القليلة التي تخلت نهائيا عن ماضيها الوطني، وعن لغتها القومية، ورمت بنفسها في أحضان الإسلام ، وفي الحق أننا نستطيع أن نتتبع تطور الثقافة في مصر ، فنجد سلسلة متصلة الحلقات من الآثار الأدبية والعلمية ، ولا غرو فقد أصبحت منذ دخول العرب إليها مركزا علميا في المملكة الإسلامية كما هي مركز سياسي .

فقد اندمج المسلمون اندماجا كليا في الأمة الإسلامية، وأصبحت الأغلبية العظمى في مصر تدين بالإسلام ، كما أصبحت العربية لغة المصريين من مسيحيين ومسلمين، وتزوج العرب من بنات المصريين الذين اعتنقوا الإسلام ، فهوى الحاجز الذي كان يفصل في البداية بين العرب وغير العرب.

وغدا لهم شأن عظيم جدا في المحافظة على التراث الثقافي الإسلامي، وفي إعلاء مكانة مصر بين الأمم الإسلامية.

ولكن يبقى العصر الذهبي للديار المصرية هو عصر سلاطين المماليك , فقد شملت دولة المماليك مصر والشام وبسطت نفوذها بدرجات متفاوتة على كثير من الأقطار المجاورة مثل شبه الجزيرة العربية وبرقة وبلاد النوبة وأطراف آسيا الصغرى.

وكان المماليك من سلاطين وأمراء وجنود على اختلاف مراتبهم وتفاوت أصولهم وتباين أعراقهم يتلقون تربية عسكرية صارمة وتربية علمية إسلامية دقيقة, وقد اشتهر بعض ملوكهم وأمرائهم وجنودهم بالتقوى والورع وحب العلم ومجالسة العلماء واحترامهم.

كانوا غرباء عن البلاد ولكنهم كانوا يشعرون بالمسؤولية الضخمة تجاه الوطن الذي تلقاهم ونشأهم وعلمهم وإزاء الدين الذي حررهم وأدبهم واعتنقته قلوبهم , فكانوا يدافعون عن الدين والبلاد بحمية كبيرة وحماسة لا نظير لها ويبذلون في سبيل ذلك أرواحهم وما وصل إلى أيديهم من مال بطريق التنظيمات الإدارية والاقتصادية.

(نشأة المماليك البرجية)

لقد أكثر السلطان قلاوون من شراء المماليك الجراكسة، وأنزلهم في برج القلعة بالقاهرة، ليبعدهم عن الاتصال بسكان البلاد، ومن هنا جاءت تسميتهم بالمماليك البرجية, وكان هدف السلطان من جلب المماليك الجدد هو أن يكون فرقة جديدة من المماليك يعتمد عليها ضد منافسيه من كبار مماليك الأتراك، ولتكون سندا له لدوام الملك له في ذريته من بعده في مصر وبلاد الشام , لذلك رأى أن تكون هذه الفرقة من جنس آخر غير الأجناس التي كانت تتألف منها مماليك مصر، فأعرض عن شراء الأتراك والتتار والتركمان، وأقبل على شراء المماليك الجراكسة، الذين كانوا ينتمون إلى بلاد الكرج والقوقاز ما بين البحر الاسود وبحر قزوين .

ومما شجع السلطان المنصور قلاوون على شراء عدد كبير منهم، تجاوز ثلاثة آلاف مملوك، هو كثرة الغلمان الجركس في أسواق الرقيق، بسبب تعرض بلادهم لغزوات المغول، وبالتالي لانخفاض أثمانهم.

اتصف المماليك الجراكسة بجمال الصورة، وقوة الجسد والشجاعة , وقد خدموا أسرة قلاوون وأخلصوا لها ودافعوا عنها.

ولما ازداد عدد المماليك الجراكسة وقويت شوكتهم صار لهم رأي مسموع في انتخاب السلاطين، لكنهم لم يتجرؤوا على طلب السلطان لأنفسهم , لقد بدأ الخلاف بين المماليك الأتراك والجراكسة في عهد السلطان الاشرف شعبان بن حسين ، وانتشرت الاضطرابات بعد مقتله وبعد سكون الفتنة نزل المماليك الجراكسة من القلعة ونفي قسم منهم إلى بلاد الشام, إلا أن الأمير برقوق، وهو أحد المماليك الجراكسة، استطاع بفضل ذكائه وطموحه أن يصل إلى مرتبة أتابك العسكر عام (٧٨٠هـ/١٣٧٨م) ، وكان يحكم مصر في ذلك الوقت السلطان علاء الدين علي أحد أحفاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكان عمره لا يتجاوز الثامنة.

لقد كان باستطاعة الأمير برقوق أن يزيح هذا حفيد الناصر عن عرشه ويحل محله، وخاصة بعد وفاة الأخير بعد ذلك بثلاث سنوات, إلا أن عائلة قلاوون كان لها منزلة خاصة في نفوس الشعب ذلك لأن العصر الذي حكمت فيه كان يمثل عصر ازدهار اقتصادي وأمني وعلمي.

ولاشك أن الفضل في ذلك يرجع إلى السلطان المنصور قلاوون في إرساء هيبة الحكم، وإحاطة اسم أسرته بهالة من المجد، لذلك احتفظت هذه الأسرة بمنصب السلطنة حتى أواخر القرن الثامن للهجرة .

لقد انتهز الأمير برقوق فرصة وجود السلطان الصغير (الصالح حاجي بن الاشرف) على الحكم فعمل على اكتساب محبة الشعب وثقته، سعى لخفض المكوس والضرائب، وسك نقودا جديدة بدلا من النقود الزائفة، كما سعى لتنصيب أنصاره من المماليك الجراكسة في الوظائف المرموقة , ثم سريعا ما جرى اجتماع حضره كبار الدولة فقام أحد أنصار الأمير برقوق وقال إن الوقت قد ضاق، ونحن محتاجون لسلطان كبير تجتمع فيه الكلمة، فأجمع

الحضور على خلع الصالح حاجي وتنصيب الأمير برقوق، الذي تلقب بالملك الظاهر عام (٧٨٤هـ ـ ١٣٨٢م) .

استمر حكم السلاطين الجراكسة حتى عام (٩٢٢ هـ ـ ١٥١٧م) , وتعاقب على عرش السلطة ثلاثة وعشرون سلطانا كانوا جميعا من الجراكسة عدا اثنين يرجعان إلى أصل رومي وهما الظاهر خشقدم والظاهر تمربغا.

لقد اعتنى سلاطين المماليك بصورة عامة بانتقاء مماليكهم، بحيث يكونون أصحاء الأجسام، سالمين من العلل والأمراض. كما اعتنوا بتعليمهم وتدريبهم، والحفاظ على صحتهم، وتدبير طعامهم وشرابهم , ولما كان هؤلاء المماليك ينتمون إلى بلاد عديدة، ويتكلمون لغات أو لهجات مختلفة، ولهم عادات وتقاليد متوارثة، لذلك كان يخصص لكل مجموعة بناء خاص أطلق عليه اسم الطباق , يشرف على إدارة كل طباق عدد من الطواشية لتربية وتدريب صغار المماليك.

كما كان بعض الفقهاء يترددون عليهم لتعليمهم القرآن الكريم، و الخط وأحكام الدين الإسلامي , وكانت تصرف لصغار المماليك رواتب شهرية (جامكية) ، وذلك عند مغادرتهم الطباق للالتحاق بخدمة الأمير أو السلطان، حتى بلوغهم سن الرشد وبعد إتقانهم فنون القتال، وخدمتهم بالجيش، وتقدمهم في السلك، تمنح لهم الإقطاعات والعبيد والجواري ليعملوا في خدمتهم، وكان السكن والإقطاع يتناسبان مع رتبة ونفوذ المملوك.

وكان تحصيل العلوم، الدينية والدنيوية، هو الوسيلة الوحيدة التي يتمكن بواسطتها أبناء البلاد من الحصول على وظائف مرموقة في الدولة، كالقضاء، والإفتاء، ورئاسة الحسبة والبيمارستانات، والتدريس وإلقاء خطب الجمع والأعياد في المساجد الكبرى والإشراف على أوقاف المسلمين، بالإضافة إلى ممارسة الطب، وبيع الأدوية والعقاقير، وغير ذلك من المهن المرتبطة بأمر الدين والدنيا.

لقد حرص المماليك في مصر على التوسع والإحسان والصدقة طوال شهر رمضان , فقد اعتاد السلطان برقوق أن يذبح كل يوم من أيام رمضان خمسا وعشرين بقرة يتصدق بلحومها، مع ما يُطبخ من الطعام ويوزع مع آلاف الأرغفة من الخبز والتي كانت توزع على أهل الزوايا والجوامع والخانقاوات والسجون , أما الفقراء فكانت مطابخ السلطان في شهر رمضان مفتوحة لهم في وقت الإفطار وكان بعض سلاطين المماليك يعتقون خلال شهر رمضان ثلاثين عبدا من الرقيق، بعدد أيام الشهر، كما كانوا يصرفون لطلاب العلم والعلماء رواتب إضافية خلال شهر رمضان.

(النظام الاداري)

وتم تقسيم مصر فى عصر المماليك البرجية إلى عدد من المناطق الإدارية، تألفت من ثلاث عواصم، وهى: مدينة الفسطاط ومدينة القاهرة والقلعة , وتم تقسيم الديار المصرية إلى وجهين قبلى وبحرى :

فأما الوجه القبلى فيمتد من جنوبى الفسطاط إلى نهايته فى الجنوب، وسمى صعيدا لأن أرضه كلما ولجت فى الجنوب أخذت فى الصعود والارتفاع، واشتمل على تسعة أعمال هى: الأعمال الجيزية، والأعمال الإطفيحية ، والأعمال البهنساوية، والأعمال الفيومية، وأعمال الأشمونين ، والأعمال المنفلوطية، والأعمال الأسيوطية، والأعمال الإخميمية، والأعمال القوصية .

والوجه البحرى يشمل كل ما هو أسفل القاهرة إلى البحر المتوسط حيث مصب النيل ، وسمى بحريا لأن منتهاه البحر المتوسط، واشتمل على ثلاث شعب :

الشعبة الأولى تشتمل على أربعة أعمال هى عمل الضواحى، وعمل القليوبية، وعمل الشرقية، وعمل الدقهلية والمرتاحية، وفيه الإسكندرية ودمياط .

وتشتمل الشعبة الثانية على عملين هما : عمل البحيرة ، وعمل المزاحمتين .

وتشتمل الشعبة الثالثة على جزيرتين، تشتمل الأولى منهما على عملين هما: عمل المنوفية، وعمل الغربية، وتشتمل الجزيرة الثانية على عمل واحد عاصمته مدينة إبيار المضافة إلى مدينة ولاية منوف .

ثم استحدثت ثلاث نيابات :

نيابة الإسكندرية : استحدثت فى عهد السلطان الأشرف "شعبان بن حسين" وكانت قبل ذلك ولاية من جملة الولايات.

نيابة الوجه القبلى : استحدثت فى عهد "الظاهر برقوق" نائبها يحكم جميع بلاد الوجه القبلى بأسره، ومقر نيابته مدينة أسيوط .

نيابة الوجه البحرى : استحدثت فى عهد "الظاهر برقوق" أيضا , ومقر نائبها مدينة دمنهور وقسمت هذه النيابات إلى ولايات، فكان على كل مدينة والى يدير شئونها.

واما النظام الإدارى فى العصر المملوكى فقد اتبعت دولة المماليك نظاما إداريا فيه الكثير من الدقة والتنظيم والإتقان ، استطاعت بواسطته إحكام السيطرة على أطراف البلاد، وتنظيم أحوالها الداخلية ، فنشرت ولاتها وموظفيها فى كل البلاد، وربطت شئونها بإقامة الدواوين ذات الاختصاصات المختلفة.

وشهد عصر المماليك نظاما إداريا بالغ الدقة ، ونهض فى ذلك النظام مجموعة كبيرة من الموظفين، وانقسموا إلى قسمين هما:

أرباب السيوف ، وأرباب القلم ، أرباب السيوف من طبقة المماليك وأرباب القلم من طائفة المعممين المصريين المشتغلين بالكتابة والعلم .

وهذا الجهاز الإدارى الذى شهدته دولة المماليك اعتمد على مجموعة من الدواوين الكبيرة لإدارة الدولة والدواوين هى مكان السجلات، وهى أشبه بالوزارات اليوم ، وقد ضمت الإدارة المملوكية دواوين كثيرة ، اختلفت باختلاف المهمات التى أوكلت إليها ،

وكانت هذه الدواوين غالبا فى قلعة الجبل، ولكل ديوان فروع فى النيابات تقوم بإجراء العمل الموكل للديوان فى النيابة، وتكون تلك الفروع متصلة بالفرع المركزى , وهناك دواوين تتعلق بالسلطان ودواوين تتعلق بالوزراء وكبار الأمراء ونواب النيابات وهكذا .

وكان لأوقاف السلاطين والأمراء والحريم دواوين خاصة، وكان لأبناء السلطان دواوين، وللأشراف ديوان ، وأهم دواوين دولة المماليك : ديوان الجيش , وديوان الإنشاء, وديوان الأوقاف , وديوان النظر, وديوان الخاص , وديوان البريد .

فالدواوين هى دور الحكومة بما تحويه من سجلات لحفظ ما يتعلق بحقوق الدولة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال .

ولكن كان ثمة عرف التزم به مختلف السلاطين والأمراء وهو أن يبقى المساس بالنظام الهيراركى الذى أرساه بيبرس محدودا بما لا يعرض كيان الدولة للانهيار، وهذا ما جعل الدولة المملوكية تحافظ على بقائها لفترة الطويلة بمقاييس أعمار الدول فى هذا العصر .

ولم يكن بيبرس قائدا عظيما فحسب، أو حاكما شديد العناية بتنظيم الجيش، وإنشاء البحرية، وإصلاح الثغور والحصون، وإنشاء البريد، وتعبيد الطرق، وتخفيف الضرائب، ولم يعن فقط بعمارة الحرم النبوي وقبة الصخرة تدعيما لنفوذ مصر على الأماكن المقدسة، وبشن الحروب على الصليبيين الذين أنهكتهم المنافسات، والجري وراءالمنافع المادية، والذين لم يبقوا بعد صلاح الدين إلا بفضل النزاع بين خلفائه من الأمراء الأيوبيين، ولم يكن فقط صاحب الفضل في القضاء على طائفة الحشاشيين ، لم تكن لبيبرس كل هذه المزايا فحسب، بل كان سياسيا عظيما. , وحسبه فخرا في هذا الميدان أنه نجح في تحقيق حلم أحمد بن طولون فجعل مصر عاصمة الخلافة ، وقد أضاف بيبرس وخلفاؤه من السلاطين المماليك إلى ألقابهم ويشير هذا اللقب إلى طبيعة العلاقة بين الخليفة ، قسم أمير المؤمنين

فإن وجود الخليفة العباسي في مصر جعل لوادي النيل مركزا ممتازا ولكن ما دام السلطان يريد هذه النتيجة فسنراها تتحقق .

ولا يسعنا أن ننسى أن مصر في عصر المماليك كانت واسطة عقد العالم الإسلامي كله.

(الشام)

وفي الشام كانت نيابة حلب تتمتع باهمية خاصة فى عصر المماليك نظرا لخطورة موقعها على الاطراف الشمالية لدولة المماليك، مما جعلها محورا لكثير من الأحداث والعلاقات المضطربة بين المماليك من ناحية والتركمان من ناحية اخري، لذلك اشتملت نيابة حلب على عدد كبير من النيابات الصغرى ليس له مثيل فى بقية نيابات الشام، ومن هذه النيابات الصغرى التابعة لنيابة حلب نيابة قلعة الروم، ونيابات الكختا وكركر وبهنسى وسميساط وعينتاب ودربساك والراوندان وبفراس والقصير والشغر وبكاس، بالاضافة الى عدد اخر من النيابات الصغري التى كانت تقع خارج حدود الشام ولكنها تتبع نيابة حلب بحكم ملكية دولة المماليك لها، ومعظم هذه النيابات الصغرى الاخرى كانت داخل بلاد الارمن، مثل ملطية وديركي ودرندة والابلستين واياس وطرسوس .

اعتمدت الدولة المملوكية النظام الاسلامى القديم الذى عرف بالعواصم والثغور ، واجرت عليها بعض التعديلات فالعواصم عرفت بانها الحصون المنيعة التى كانوا يعتصمون بها من العدو ، وكانت تحيط بالمنطقة الواقعة بين حلب وانطاكية ومركزها الادارى انطاكية او منبج اما الثغور فهى الحصون التى بنيت على تخوم الشام والجزيرة لصد غارات الروم ، لذا سميت بالثغور الشامية، وتمتد بمؤازاة جبال طوروس وتشمل مسيس والاورنين واذنه طرطوس والمصيص واياس وهى تؤمن الحماية لمرافئ بلاد الشام ؛ وثغور الجزيرة تشمل ملطية والحرث ومرعش والبيرة وجبر والرهانوين .

(العلماء)

وتجاوز احترام سلاطين المماليك للعلماء إلى تقريبهم وتقديمهم في شؤون كثيرة وإلى استشارتهم في الحين بعد الحين في شؤون الدولة والاستماع إلى شكاياتهم وإجابة طلباتهم، وعلى رأس هؤلاء العلماء القضاة على المذاهب الأربعة فهم مقدمون في الرأي والفتيا وكان هؤلاء القضاة والعلماء أهلا للتكريم والاحترام, فقد ضربوا أحسن الأمثال في الزهد والورع وطيب السيرة والثبات على الرأي إذا شعروا أنه موافق للشريعة كما كانوا قدوة لأبناء الشعب وملاذا لهم إذا عصف بهم أمر أو حل بهم حيف , فشاركوا إلى حد ما في الحكم والمشورة والتوجيه والفتوى القاطعة .

وكأن العلماء في عصر سلاطين المماليك شعروا بما يهدد التراث الإسلامي ، من تفرق وضياع وطمس وإحراق فهبوا لإحياء حركة علمية جليلة بالتعليم ولاسيما التأليف في شتى الميادين.

وكانت اللغة العربية لغة أهل العلم بفروعه وميادينه كلها في العالم الإسلامي أجمع.

وقد نشأ في تلك العهود من العلماء كواكب متألقة تجلو دياجير الجهل وتضيء سواد الفتن، وألفوا من الكتب واختصروا من المطولات وجمعوا من البحوث ما هو ثروة غنية وتالدة للتراث العربي بأنواعه الكثيرة الواسعة.

لقد زخر عصر المماليك بالعلماء ومن المناسب أن نذكر أسماء بعضهم ممن لا نزال نستند إلى كتبهم ونعتمدها أو ممن تطايرت شهرته في فن من الفنون أو أسلوب من الأساليب.

وممن نشأ وعاش في مصر أو زارها في إبانهما من هؤلاء : **ابن خلدون ٧٣٢هـ** صاحب المقدمة والتاريخ المشهورين , و**كمال الدين محمد بن موسى الدميري ١٣٤١/٧٤٢** من فقهاء الشافعية , كانت له حلقة خاصة في الأزهر من كتبه المشهورة "حياة الحيوان" وقد لخصه **السيوطي** في كتابه "ديوان الحيوان" , وعلي **بن عبد الله الغزولي** توفي عام ١٤١٢/٨١٥. له كتاب "مطالع البدور في منازل السرور" **ومجد الدين محمد بن**

يعقوب الفيروز آبادي ١٣٢٩/٧٢٩ من أئمة اللغة والأدب وهو صاحب "القاموس المحيط" **وأحمد بن علي القلقشندي** ١٣٥٥/٧٥٦ وهو مؤرخ وأديب مؤلف "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" **وشمس الدين أبو الخير محمد الشهير بابن الجزري** ١٣٥٠/٧٥١ شيخ الإقراء في زمانه أخذه **تيمور** إلى ما وراء النهر وهو صاحب كتاب "النشر في القراءات العشر" ، و "غايات النهايات في أسماء رجال القراءات" وابن حجة الحموي أبو بكر بن علي ١٣٦٦/٧٦٧ إمام الأدب في عصره له خزانة الأدب في شرح بديعية له **وتقي الدين المقريزي** ١٣٦٥/٧٦٦مؤرخ الديار المصرية أربت مؤلفاته على مئتي مجلد منها "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" ، و "السلوك في معرفة دول الملوك" **.والابشيهي محمد بن أحمد** ١٣٨٨/٧٩٠ صاحب "المستطرف في كل فن مستظرف" , **وتقي الدين بن القاضي شهبة أبو بكر بن أحمد** ١٣٧٧/٧٧٩ فقيه الشام في عصره، ومؤرخها وعالمها , وابنه اشتهر أيضا بابن قاضي شهبة ٧٩٨/ ١٣٩٥فقيه الشام في عصره **وشهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر** ١٣٧٢/٧٣٣ شيخ الاسلام له "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة" ، و "لسان الميزان" ، و "تقريب التهذيب" ، و "تهذيب التهذيب" ، من أشهر علماء عصره، وأجل ثقاتهم وأكثرهم حفظا ورواية **وأحمد بن محمد المعروف بابن عربشاه** ١٣٨٩/٧٩١ له "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" ، و "عجائب المقدور في أخبار تيمور" , **وبدر الدين العيني ١٣٦١/٧٦٢** من كبار المحدثين والمؤرخين , **ومحمد بن عبد الرحمن السخاوي ٨٣١/ 902** المؤرخ العلامة ألف نحو مئتي كتاب أشهرها "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع" وهو مرجع مهم لرجال ذلك العصر.

ولابد من أن يمن الزمان بكاتب وشاعر فكه فجاء أبو الحسن علي بن سولون الجركسي

٨١٠/868. ولد وتعلم بالقاهرة سلك في أكثر شعره الهزل والفكاهة , له كتب منها: "نزهة النفوس ومضحك العبوس" ، تكشف فكاهاته عن ابتسامات ناعمة , ولا ننس شيخ الإسلام في ذلك العصر والقاضي العف النزيه زين الدين أبا يحيي زكريا بن محمد بن محمد الأنصاري المصري ٨٢٦/922 بورك في عمره فعاش عمرا حافلا بالحفظ والعلم والتقى عاصر جملة من سلاطين الدولة الجركسية حتى شهد مصرع دولتهم على أيدي العثمانيين.

ولم يكن ما أوردناه من أسماء العلماء في ذلك العصر الحافل إلا قليلا من كثير وبعضا من عد، فلقد كان هنالك تسابق نحو مناهل العلم إذ هو تعبد لله وتقرب من جلاله ونجاة في الدارين وكتب الطبقات مشحونة بأسماء العلماء في كل ميدان وكل ميسر لما خلق له.

كان العلماء في دولة المماليك القلب الخافق والعقل المدرك وأهل المشورة والحلقة الفاصلة والواصلة بين الملوك والأمراء والشعب الطيب الدائب وكما ألف العلماء الكتب للناشئة والمتعلمين في مختلف ميادين المعرفة والعلم إذ ذاك، كذلك نهض أدباء شعبيون فكتبوا لجماهير الشعب قصصا وحكايات مطولة صوروا فيها أماني الشعب ونزعاته ومطامح أخيلته كما رسموا صورا من حياته اليومية رمزية أو واقعية , وقد أغفل هؤلاء المؤلفون أسماءهم وكل منهم قد أخذ أعمال سلفه وزاد عليها في الرواية والنقل والكتابة.

لقد كانت القاهرة حافلة بدور العلم والعلماء. كما كانت تضم عددا كبيرا من المكتبات العامة والخاصة وكانت أسواق الوراقين مكتظة بالكتب والكراريس المخطوطة وهذا ما عوض عن الخسارة الجسيمة التي أصيب بها التراث العلمي والأدبي بعد خراب ونهب بغداد وحلب ودمشق وغيرها من المدن.

لقد ذكر المقريزي في خططه أن سوق الكتبيين بدمشق قد احترقت عام ٦٨١هـ، ومن جملة ما احترق فيها مكتبة لتاجر يدعى شمس الدين إبراهيم الجزري، وكانت تحوي خمس عشرة ألف مجلد وهذا يدل على أن دمشق كانت تحفل كالقاهرة بعدد كبير من العلماء

ودور العلم، كما كان يقصدها أيضا الطلاب والعلماء من جميع الأقطار العربية والإسلامية.
كانت مجالس العلم والفقه والأدب تعقد في الجوامع، كما كانت المناظرات تعقد بالقاهرة أحيانا في قصر السلطان وبتشجيع منه وحضوره.

فقد كان عصر سلاطين المماليك عصرا سعى العلماء فيه لجمع وحفظ التراث العربي بعد أن غزا المغول بغداد وأحرقوا وأغرقوا ما وجدوه في خزائن الكتب، فظهرت الموسوعات في كل علم وفن، وقابل ذلك نهضة فكرية في مصر زمن المماليك، وبرز في هذا القرن أعلام .

ولقد كانت أغنى حقب تاريخ الحضارة الإسلامية حفولا بالأعلام العظماء الذين بنوا وأثروا آثارا جليلة في شتى ميادين المجتمع الإنساني في حركته الحضارية والمعرفية، برز ذلك في الحكم والإدارة، والعمران، والعلوم، والثقافة، والآداب، والفنون، والاقتصاد، وغير ذلك من أفانين النشاط المعرفي الإنساني.

ونبغ في هذين القرنين ـ الثامن والتاسع ـ علماء أغنوا المكتبة العربية الإسلامية التي بدأ تكوينها منذ إرهاصات حركة التدوين في بدايات القرن الثاني للهجرة، وتسارع مسار هذه الحركة صعدا ونماء ، أغناها هؤلاء العلماء بما أنتجته قرائحهم من معارف الإنسان من ناحية وبما وظفوه من التراث الفكري المكتوب الذي ورثوه من أسلافهم بالشرح، والاختيار، والاختصار، والجمع، والتحشية، والمضاهاة، والمحاكاة، والنقد وما إلى ذلك من ناحية أخرى، فزخرت المكتبة العربية بعشرات الآلاف من كتب تناولت كل شعب المعارف الإنسانية في حضارة المسلمين , مفسرون، وحفاظ، ومحدثون، وقراء، وفقهاء، ولغويون، ونحاة، ومؤرخون، وجغرافيون، ورياضيون، وعلماء في العلوم من هندسة ، وطب، وفلك، وما إلى ذلك من هذه الفنون.

وثمة ظاهرة في هذين القرنين وهي تنامي الاتجاهات المعرفية الموسوعية عند كثير ممن نبغ في تلك الحقبة من الزمان، رأينا كوكبة غفيرة منهم , أخذ هؤلاء وأولئك في الأخذ

واستيعاب العلوم والمعارف والثقافات التي أفرزتها الحضارة الإسلامية الموروثة، ثم تمثلوا ما أفرزه عصرهم وأطرهم الاجتماعية والحياتية من المعطيات الحضارية في مختلف فروع المعارف الإنسانية وشعبها من علوم وثقافات وألوان حياتية وعلاقات إنسانية، وراحوا بعد ذلك يبدعون ويؤلفون من تلك المواريث والشعب المعرفية إنتاجا معرفيا ملونا بخصوصيات مجتمعاتهم بأطره العلمية والثقافية من ناحية، وبخصوصيتهم هم باعتبارهم أناسي مبدعين من ناحية أخرى فأورثونا بذلك المجلدات الضخمة الحفيلة بأفانين المعارف الإنسانية التي أفرزتها الحضارة الإسلامية، منذ الشروع بحركة التدوين فيها حتى عصرهم.

ولذلك شهدت مصر حياة ثقافية حافلة بمختلف العلوم والفنون، وذلك لاهتمام المماليك بالمدارس والزوايا والربط ، فأصبحت القاهرة عامرة بها، زاخرة بمجالس العلم والأدب، غاصة بأسواق الكتب والوراقين. فأمها الطلابُ والشيوخ راغبين في التحصيل العلمي والعطاء المعرفي.

اوقفت على المدارس أوقافٌ مُغلة، ورتبت الرواتب الشهرية للفقهاء والعلماء، وللطلبة ولها نظام تدريس يقوم به شيوخ ومدرسون ومعيدون .

(الصوفية)

لقد حظي أصحاب العمائم في ظل الحكم المملوكي بقسط وافر من العطف فلقد اشترك سلاطين المماليك مع أهل الإحسان من المصريين في إنشاء الزوايا والخوانق والربط وكان لكل واحدة من هذه المنشآت مهمة تقوم بها، فالزاوية بالأصل مسجد صغير أو دار يجتمع فيه أصحاب إحدى الطرق، للصلاة والتدريس ولأداء شعائر الطريقة، , أما الخانقاه فهي كلمة فارسية تُجمع على خوانق أو خانقاهات. وهي تدل على البناء الذي كان يقطن فيه المتصوفون، تحت إشراف شيخهم الذي يخضعون لأوامره خضوعا أعمى.

وإلى جانب الخانقاه أو في داخله مسجد ومكتبة وحمام ومطبخ وخزانة للأشربة والأدوية , وأما الرباط فهو بناء يشبه القلعة، كان يقطنه الجنود المدافعون عن الثغور وقد انتشرت بين الجنود المرابطين أفكار المتصوفين، فصاروا يجمعون بين حياة المجاهدين والمتدينين.

عرف الشعب المصري التصوف زمن الحكم الفاطمي، ولكنه كان تصوفا مقصورا على فئة محدودة من أصحاب العلم والدين , أما في عصر المماليك فقد ازداد عدد طوائف المتصوفين، كما ازداد عدد المريدين , وكان لكل طائفة شيخها وشعارها وعلمها وزواياها وخانقاها , كما كان لها مقابر خاصة في أطراف القاهرة محاطة بالأسوار ومن أشهر هذه الطرق: الأحمدية، المنسوبة إلى الشيخ أحمد البدوي المدفون في طنطا، وكان شعارها اللون الأحمر , وهناك الطريقة الرفاعية، التي تنسب إلى أبي العباس أحمد الرفاعي، وشعار أصحابها العمائم السوداء.

إن مبدأ التصوف مبني على التقشف في الملبس والمأكل ومباهج الحياة واشتق اسم التصوف من الصوف الذي كانت تصنع منه ملابس المتصوفين , أما طعامهم فكان زهيدا وقليل التنوع، وكان كثير منهم يعانون الصيام أكثر أيام السنة.

ولكل طريقة شيخ يأتمر أفرادها بأمره، هو الذي يُلبس كل مريد جديد خرقة التصوف, لقد ناصر كثير من سلاطين المماليك حركة التصوف، وشاركوا الشعب في الاعتقاد بالصوفية والعطف على المتصوفين , فالسلطان برقوق أنشأ لهم بين القصرين مدرسة ضمت كثيرا منهم، وقرر لهم المرتبات , كما كانت زوجة الظاهر حشقدم قد غلب عليها التصوف، فاتبعت الطريقة الأحمدية فنسبت إليها وحينما توفيت غُطي نعشها بخرقة مرقعة ، هي رمز الفقر والتصوف، وسار أمام جنازتها حملة أعلام الطريقة.

استطاع سلاطين المماليك الجراكسة باستمالتهم لأصحاب الطرق الصوفية، الذين يمثلون الطبقة الفقيرة الزاهدة بالطيبات، والراغبة عن الدنيا، امتصاص النقمة التي تتولد

عادة من وجود التباين الطبقي في المجتمع، فانتشرت بذلك روح الكسل والتواكل، والقبول بالأمر الواقع والإيمان بالخوارق والمعجزات.

(الفنون)

ووجد المماليك في وادي النيل فنانين مهرة ولا سيما في النسيج والحفر في الخشب وصناعة الزجاج، وكان للمعماريين المصريين شهرة واسعة ، فقد وجدت أوراق بردية على مقربة من سوهاج ثبت من نصوصها أن فريقا من مهرة البنائين المصريين استخدموا في المسجد الجامع بدمشق، وفي المسجد الأقصى ببيت المقدس والمعروف أن المحاريب المجوفة التي تعين اتجاه القبلة في المساجد لم تكن فيها منذ البداية، بل كانت ظاهرة حادثة في عمارتها وقد تبين علماء الآثار الإسلامية أن أول محراب مجوف بني في الإسلام شيده بناءون من القبط كانوا يعملون في الحرم النبوي بالمدينة المنورة، ولا ريب في أن العمارة والفنون الزخرفية الإسلامية في مصر احتفظت بطابع مصري يميزها إلى حد ما عن الطرز الفنية في سائر العالم الإسلامي , فضلا عن أن كثيرا من الموضوعات الزخرفية التي استخدمها الفنانون المسلمون في مصر مشتقة من الموضوعات الزخرفية القبطية، والإغريقية الرومانية.

وكانت المنسوجات المصرية الإسلامية، والتحف المصنوعة من البلور الصخري ذات شهرة عالمية في العصور الوسطى، كما أن أقدم ما نعرفه من جلود الكتب الفنية الإسلامية تأثرت بزخارفها وأساليبها الصناعية، بل إن تأثيرها امتد إلى جنوبي أوروبا، ولا سيما إيطاليا .

وكان الإنتاج المعماري والفني في مصر المملوكية عظيما في مقداره ونوعه، بل إننا لا نجد له نظيرا في سائر الأقطار الإسلامية اللهم إلا في إيران، وحسبنا أن نقرأ وصفا ، أو أن نرى التحف المحفوظة في المتاحف والمجموعات الفنية الخاصة ، أو نقلب النظر في العمائر الإسلامية التي تزدحم بها مدينة القاهرة، والتي جعلت أعظم متحف للطرز المعمارية الإسلامية على مر العصور .

ولا غرو فقد كانت خيرات مصر واسعة إلى أبعد حد، وكان بين يدي حكام مصر ثروتها الطبيعية، فضلا عن الأرباح الوافرة التي كانوا يجنونها من مرور تجارة الشرق في مصر والشام .

وقد خلفت عهود المماليك من مساجد وزوايا وخوانق ومدارس وأمثالها من منشآت دينية بنوها وتعهدوها ما يفوق سائر العهود واشتد النشاط بمختلف وجوهه العلمي والاقتصادي والصناعي .

ووقع حكم المماليك بين القرن الثامن والعاشر للهجرة. وقد اطمأن الناس بعض الشيء بعد دحر الصليبيين والتتر وازدهار الصناعة والتجارة في مصر .

إن عصر المماليك هو العصر الذهبي في تاريخ العمارة الإسلامية في مصر , كان الإقبال عظيما على تشييد العمائر من جوامع ومدارس وضرائح وحمامات ووكالات وسُبُل كما ظهر التنوع والاتقان والأناقة في شتى العناصر المعمارية من واجهات ومنارات وقباب وزخارف جصية ورخامية .

ولم يكن أمراء المماليك ليهدأ لهم بال أو تطمئن بهم حال مالم يبنوا مسجدا أو مدرسة أو ضريحا ينهض دليلا على تقواهم فتنافسوا في بناء المساجد والخوانق والزوايا والمدارس والمارستانات.

وكانت المساجد تحتوي على واجهات جميلة ونقوش غائرة وأبواب جانبية وأفاريز مزخرفة , وكذلك تطورت المآذن التي أصبحت أكثر رونقا وجمالا كما غدت تبنى بحجارة جميلة الشكل وزخارف دقيقة، وازداد الاهتمام ببناء القباب الكبيرة بعد أن كان أكثرها صغيرا.

والمماليك هم سادة بناء القباب وبعض قبابهم مغطى بزخارف هندسية ونقوش عربية، ورسوم بديعة واهتموا كل الاهتمام بصناعة المنابر وزخرفتها ونقوشها.

كذلك اهتم المماليك الجراكسة بعمارة القصور والوكالات وازدهرت في عصر المماليك صناعة الشبكيات من الخشب المخروط وهي التي تعرف باسم مشربية ولعلها تحريف مشرفة بمعنى غرفة عالية أو لعلها مشربة بمعنى المكان الذي يشرب فيه لأن المشربيات كانت تتخذ في واجهات البيوت لتلطيف النور وإدخال النسيم العليل وتمكين أهل الدار من رؤية من بالخارج دون أن يكون العكس ممكنا. هذه المشربيات يصنع فيها خارجات صغيرة مستديرة أو مثمنة تركب خارج المشربية، وتوضع فيها القلل لتبريدها .

وازدهرت صناعة الرخام والجص في مصر في هذا العصر وكانت الزخارف المحفورة في الجص والرخام في العمائر المختلفة تشهد بإبداع الفنانين في الرسوم النباتية الدقيقة فضلا عن الرسوم الهندسية المختلفة , كذلك تطور فن الفسيفساء في الحضارة العربية الإسلامية.

بيد ان هذا الفن ازدهر في عصر المماليك من فسيفساء مصنوعة من المكعبات الصغيرة من الرخام وكان أكثر استعماله في المحاريب والوزارات بالمساجد ، كما تصنع منه الفسقيات والأحواض فضلا عن استعماله في زخرفة الأرض وما إلى ذلك.

وقد ازدهر فن الحفر على الخشب في مصر والشام وأقبل الصناع في هذا العصر على صناعة صناديق من الخشب لحفظ المصحف الشريف كانت تصفح بالنحاس وتزين بالكتابات والنقوش والفروع البناتية المكفتة بالفضة والذهب .

وبلغت صناعة التحف الزجاجية الإسلامية أوجها في الشام ومصر برعاية سلاطين المماليك , وكان فخر هذه الصناعة تزيين التحف بالزخارف المذهبة والمموهة بالميناء وأبدع ما وصل إليه صناع الزجاج المسلمون يتجلى في المشكاوات المموهة بالمنياء والمشكاوات هي أغطية مصابيح لإضاءة المساجد والقصور وبعض المشكاوات ذو ثروة زخرفية عجيبة تتجلى في الرسوم النباتية التي تغطي السطح كله أو جزءا كبيرا منه وقد تكون الزخرفة كتابات

معظمها آيات قرآنية كريمة أو عبارات تاريخية أو دعائية مكتوبة بخط النسخ المملوكي .

ومن المعروف أن المسلمين افتتنوا افتتانا كبيرا بحروف الأبجدية العربية وافتنوا افتنانا بارعا في كتابتها وتنسيقها وخلعوا عليها جمالا حسيا وروحيا معا وجعلوا من الخط فنا بديعا لتزيين محاريب المساجد والأسلحة والأواني والسجاد والمصاحف ودواوين الشعراء والقناديل ومشكاوات المساجد.

كذلك استعمل الزجاج على يد المسلمين ولاسيما في الشام ومصر فيما يسمونه القماري والشمسيات , وهي نوافذ صغيرة من الجص المفرغ تسد فتحاته بزجاج ملون وتزين هذه الفتحات زخارف إسلامية من فروع نباتية أو رسوم خطية أو كتابات والمقصود غالبا لهذه النوافذ تخفيف حدة الضوء.

غدا الإقبال على صناعة التحف المعدنية عظيما في عصر المماليك وبقي من هذا العصر أبواب وشماعد وكراسي وصناديق ومقلمات وآنية وغير ذلك مما استعمل فيه مختلف الأساليب الفنية في صناعة المعادن من حفر وتكفيت وتخريم ، وازدهرت صناعة التكفيت وهي التطعيم بالفضة والذهب وقامت في البداية على أيدي فنانين من الموصل نزحوا إلى حلب ودمشق والقاهرة ثم نبغ فيها صناع من المصريين أنفسهم ثم انتقلت هذه الصناعة وغيرها إلى أوربا , وكذلك كانت الأواني والأسرة والتحف المكفتة الثمينة ترافق جهاز العروس في زفافها ولاسيما إذا كانت من بنات الأمراء أو الوزراء أو أعيان الكتاب وأماثل التجار.

(التجارة)

وأصبحت مصر في عصر سلاطين المماليك المركز الرئيسي لتبادل التجارة بين آسيا وأفريقية وأوروبا منذ أن ضعفت بغداد ، ثم سقطت في يد المغول ؛ فصار ثغر الإسكندرية نصيب

مصر في تراث الإسلام إلى أن كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، فكان ذلك سببا في خراب مصر المالي ، وإيذانا بسقوط دولة المماليك.. . .

لقد كانت تجارة مصر مزدهرة ورائجة بين الشرق والغرب، وبين الهند وأوروبا، وهال الفرنج ولاسيما البرتغاليون ماكانت تجنيه مصر، وما كان عملاؤها البنادقة يجنونه من الضرائب والمكوس والأجور المفروضة على المتاجر بين الشرق والهند وأوربا لمرورها بأراضي مصر.

ومن المناسب أن نعود هنا، ونؤكد هذا الازدهار الذي كان سببا لتجمع الثروات في عهد المماليك. فلقد تحكم السلاطين في أثمان أصناف معينة واحتكروا التجارة بها مثل السكر والفلفل والأخشاب والحرير وجوز الطيب والقرنفل وبعض المصنوعات المعدنية, كانت حمولة الفلفل التي يبلغ ثمنها في القاهرة خمسين دينارا تباع أحيانا في الاسكندرية للتجار الأوربيين بنحو مئة وثلاثين دينارا وفقا لقوانين الحكومة.

كان طريق التجارة إذن مصدرا هاما لثروة البلاد. وقد فرضت الدولة رسوما نقدية , كل بضاعة شرقية تصل من الخليج العربي أو البحر الأحمر لنقلها إلى البصرة أو السويس ثم إلى ميناء الاسكندرونة أو الاسكندرية من أجل شحنها إلى البندقية.

وكان المماليك محتكرين أكثر تجارة الهند جميعها مع بلاد الشرق وكانت البندقية عميلتهم الكبرى في أوربا .

هذا وكان الطريق في الخليج العربي أقصر منه في البحر الأحمر، غير أن طريق القوافل من البصرة إلى حلب كان أخطر من الرحلة القصيرة في ربوع مصر.

ولم تكن الدولة وحدها المستفيدة من هذه التجارة. كان التاجر القاهري يستورد بضائع من الهند وجزر البهار أو يشتريها من التجار الهنود في مواني البحر الأحمر ويكسب هو أيضا مبالغ طائلة. وكان كثير من التجار المصريين في بحبوحة واسعة من العيش ويسار بليغ هانئ.

ولما استطاع البرتغاليون أن يكشفوا طريق رأس الرجاء الصالح وجنوب أفريقية عام ١٤٩٨م، تحول بعض المتاجر إليها فنقصت واردات مصر تبعا لذلك ثم أخذ البرتغاليون يعبثون بالسفن المصرية والشواطئ المصرية كما كانوا يكيدون بعض أمراء العرب وأمراء الهند ممن تربطهم بمصر روابط اقتصادية وخشي السلطان الغوري استفحال هذا الخطر الخارجي فصنع عمارات بحرية ساقها في البحر الأحمر بقيادة الأمير حسين الكردي لتأديب البرتغاليين وسحقهم في بحر العرب وشواطئ الهند , ولكن خطرين آخرين لاحا يهددان المماليك أولهما بروز الدولة الصفوية في فارس، بزعيمها الشاه إسماعيل وثانيهما طموح العثمانيين إلى توسعة مملكتهم.

وقد ابتلي الشاه إسماعيل بحروب نشبت بينه وبين ملك التتر أزبك خان وانتهت بقتل أزبك ثم حارب السلطان سليم العثماني الشاه إسماعيل وكسره شر كسرة.

ولما بات الغزو العثماني قاب قوسين أو أدنى كان المماليك أولي قوة عسكرية لا بأس بها.

قام الغوري بأعمال جليلة من شق الطرق وحفر الترع وتحصين السواحل كما وسع قلعة القاهرة وحسن طريق الحجاج إلى مكة وبنى مدرسة ومسجدا وبنى مئذنة للجامع الأزهر وأنشأ طواحين المياه في مصر العتيقة وأصلح قناة المياه التي تصل إلى القلعة وكان أديبا وشاعرا ترك ديوانا من الشعر، وكان يكرم الشعراء والموسيقيين، ولما تقدم جيش العثمانيين ودخل سورية جهز الغوري حملة قوية زودها بأنواع الأسلحة.

تلاقى الفريقان في مرج دابق قرب مدينة حلب في رجب عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م كان النصر أول الأمر حليف المصريين، ولكن ما عتم أن انسحبت ميسرة الجيش التي تزعمها خاير بك نائب حلب خيانة منه، وثبت السلطان وهو يرى فرار جنده، وهو في السادسة والسبعين من عمره فوقع إلى الأرض، ووطئته سنابك الخيل .

لقد حاول طومان باي آخر الملوك الجراكسة أن يحول دون دخول الغزاة إلى القاهرة ولكنه دحر وأسلمه عربان البحيرة إلى السلطان سليم فشنق على باب زويلة في المحرم ٩٢٣هـ/١٥١٧م وانتهت دولة الجراكسة .

(آفة دولة الجراكسة : الجلبان)

اخذ السلاطين المماليك منذ بداية دولتهم يكثرون من شراء المماليك الاجلاب الصغار السن ، ويشرفون على تربيتهم تربية عسكرية اسلامية ، ويجعلونهم ضمن ما يسمى بالمماليك السلطانية ، وبعد استقرار الدولة المملوكية اخذوا يكثرون من شراء المماليك الجلبان الكبار السن وضمهم الى المماليك السلطانية مما شكل لهم الكثير من المتاعب , والمماليك الاجلاب رقيق يقوم السلاطين بشرائهم وهم صغار السن ويربونهم تربية اسلامية ويخضعون لنظام عسكري صارم ودقيق يتعلمون من خلاله اساليب الفروسية ، فيكون ولاؤهم للسلطان فقط بعد عتقهم واما المماليك الجلبان يتكونون من اجناس مختلفة من الوافدين او المستأمنة ، وهم من الرقيق البالغين الذين دخلوا المماليك السلطانية ، وازداد عددهم بشكل كبير بعد تثبيت اركان الدولة المملوكية ، كما انهم لم ينالوا تدريبا محكما في الفروسية .

ترجع بدايات وجود المماليك الجلبان في مصر إلى العصر المملوكي الاول الى عهد السلطان العادل كتبغا عندما نزحت جماعة مغولية عرفت بالاويراتية إلى بلاد الشام، اثر تولي غازان خانية مغول بلاد فارس ، فاستقدم السلطان كبار امراء هذه الفرقة وقرب من تبقى منهم وجعلهم من اجناد الحلقة واقطعهم الاقطاعات وخصص لهم الرواتب , واسرف السلطان العادل كتبغا في اكرام افراد الاويراتية ، وقدم لهم الدعم المادي والمعنوي ، بل ساواهم بالمسلمين ، على الرغم من ديانتهم المغولية الوثنية المخالفة لديانة الدولة الرسمية، فضلا عن سوء اخلاقهم وتعاملهم مع الناس ، مما ادى إلى حنق العامة عليهم.

وفي الحقيقة ان السياسة التي اتبعها السلطان العادل كتبغا تجاه المماليك الجلبان الاويراتية ، لم يكن بدافع تقوية الدولة المملوكية او الاستفادة منهم بقدر ما هي خدمة لمصالحه الشخصية ، اذ هدف إلى تقوية سلطنته ودعم مركزه امام منافسيه من الامراء المماليك الاخرين ممن لهم عصبية قوية ، لاسيما وان المماليك من ابناء جنسه كانوا قليلين في الدولة المملوكية مقارنة باجناس المماليك الاخرى غير ان السياسة التي اتبعها العادل كتبغا تجاه الاويراتية انقلبت ضده بعد إن كانت لمصلحته ، إذ زادت من حقد الأمراء المماليك عليه وعلى مماليكه الذين استقدمهم وقربهم منه ، فضلا عن كره العامة للعنصر المغولي ، مما كان سببا في انتهاء سلطنته .ومن الطبيعي ، ان يسعى السلطان الجديد إلى كسب ود وتأييد الامراء الثائرين والمعارضين للسلطان السابق ، فقد قام السلطان لاجين بضرب الاويراتية فقتل وسجن ومنح قسما منهم للامراء الكبار لاستخدامهم كخدم في المنازل .الا ان الصراع بين فرق المماليك لم تنته ، وبقيت العناصر المملوكية ومن بينهم الجلبان الاويراتية تتحين الفرص للانقضاض على السلطان لاسترجاع مكانتهم التي اخذت بالتضاؤل بعد اعتماد الناصر على العناصر البرجية من العنصر التركي ، لذا فقد سعى هؤلاء للقضاء على البرجية الذين بدأ نفوذهم بالتزايد ، متحينين الفرصة المناسبة لاعادة السلطان المخلوع العادل كتبغا إلى دفة الحكم , فنصب الاويراتية كمينا لمباغتة قوات السلطان قبل اللقاء مع جيوش المغول ولكن المماليك البرجية القوا القبض عليهم وشتتوهم .

اما في عصر ابناء الناصر محمد بن قلاوون فتغيرت الاوضاع الداخلية ، اذ امتازت هذه الحقبة بتولي سلاطين ضعاف غير قادرين على ادارة الدولة بسبب صغر سنهم اولا ، وعدم امتلاكهم الخبرة الكافية في الامور السياسية ثانيا .

ان الظروف التي مرت بها دولة المماليك الاولى ادت دورا فعالا لتصبح الكلمة الاولى والاخيرة للامراء الكبار حتى اصبحت الرئاسة الحقيقية لاتابك الامير يلبغا

الخاصكي في دولة الاشرف شعبان ، وان يلبغا ارتقى في المناصب واصبح عدد كبير من مماليكه الجلبان نواب البلاد ومقدمي الالوف ، واستكثر من الجلبان الذين بلغ عددهم ثلاثة الاف مملوك فبالغ في الاحسان اليهم واكرامهم حتى صاروا يلبسون الطرز الذهبية العريضة ، التي اذا ما وقعت الشمس عليها تكاد من شدة اللمعان ان تخطف البصر بسبب استضعافهم للسلاطين بدأ عصر جديد كثرت فيه ثورات المماليك الجلبان مما جعل السلطان العوبة في ايدي الجلبان ، فكثيرا ما عصى هؤلاء اوامر السلاطين وخالفوهم ونفذوا ما كانوا يصبون اليه من اجل تحقيق مكاسب مادية او تثبيت مراكزهم في مفاصل الحكم على الرغم من عدم موافقة السلطان مستغلين ضعفهم أوغيابهم خارج مركز الدولة ، كما حدث في اعتدائهم على خيمة السلطان الاشرف شعبان الذي قُتل وهو في طريق عودته من الحج إلى القاهرة ، فنهبوا الاموال السلطانية الموجودة في موكبه ,وبعد مقتل السلطان الاشرف شعبان اعتلى عرش السلطنة ولده علي وما ان تولى مقاليد الحكم حتى امر الامير طشتمر مقدم العسكر ان يقاتل المماليك الجلبان الذين كانوا وراء مقتل السلطان ، والقضاء على تمردهم ، الا ان الجلبان تمكنوا من الحاق الهزيمة برجال الامير طشتمر الذي وقع شخصيا في أسرهم ، واستمر تمردهم وكثر اتباعه ، مما اضطر السلطان إلى مفاوضتهم ، ووافق على تنفيذ مطلبهم بسجن الامير طشتمر في القلعة وتنصيب مملوكين من الجلبان احدهما رأس نوبة النوبة ، والثاني اميرا للسلاح واستمرت هذه الاوضاع تتجه نحو الاسوء وكانت سببا في انهيار الدولة المملوكية الاولى وقيام دولة المماليك الثانية.

عندما قامت دولة المماليك (الجراكسة) على يد السلطان الظاهر برقوق ازداد المماليك الجلبان عما كانوا عليه في عصر الدولة المملوكية الاولى ، كما استقدم السلطان برقوق أعداد اكبيرة من الجلبان الجراكسة من ابناء جنسه ، ومن اشهر اعلام الجلبان الجراكسة الذين استقدمهم السلطان برقوق وكان لهم الدور الكبير في الحياة السياسية من خلال

توليهم منصب السلطنة (**ططر وبرسباي وجقمق**) كل ذلك من اجل تقوية عصبته في الدولة الجديدة التي صبغها بالطابع الجركسي ، سائرا على نفس السياسة التي انتهجها كتبغا من قبل ، لاسيما وانها قامت على انقاض دولة ذات اصول تركية من ناحية ، فضلا عن التفوق العددي للاتراك مقارنة بالاجناس الاخرى .

اما في بداية عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق فقد انقسم الجلبان الظاهرية إلى قسمين الاول إلى جانبه والثاني ضده حيث كان يسعى إلى سلطنة الاتابك ايتمش البجاسي فتجمع امراؤهم وكان على رأسهم بيبرس الدوادار ابن عم السلطان والامير يشبك الشعباني الخازندار والامير شيخ المحمودي وغيرهم ،واشتبك معهم السلطان الناصر فرج في القتال ونجح في الحاق الهزيمة بالاتابك ايتمش البجاسي ومؤيديه من المماليك الجلبان ، فاضطر الاتابك ايتمش ومن بقي معه إلى الفرار نحو بلاد الشام .كما تنكر الجلبان الظاهرية للسطان الناصر فرج مرة اخرى في السنة ذاتها ، ونسوا فضل ابيه عليهم ، فخططوا للقيام بثورة لخلعه من السلطنة اثناء توجهه من القاهرة إلى دمشق لقتال الامير شيخ المحمودي ، ويرجع سبب استياء الجلبان بشكل عام والجلبان الظاهرية بشكل خاص من السلطان الناصر فرج إلى تفضيله المماليك الاجلاب عليهم، فانسحب قسم منهم وانضموا إلى صفوف قوات الامير شيخ المحمودي ، وعلى الرغم مما قدمه الناصر فرج للمماليك الاجلاب ، الا انهم كالجلبان لم يرغبوا في انتصار السلطان خشية من تفرغه لطرف ما والقضاء عليه اذا ما حقق النصر على الطرف الاخر.لم تتوقف ثورات المماليك الجلبان بل استمرت بشكل متتال اذ انهم لم يرضوا عن أي سلطان يتولى الحكم ، فقد ثاروا في عهد السلطان المؤيد شيخ وامتنعوا عن قبض رواتبهم التي قلت عما كانت عليه في عهد السلطان برقوق، فاشترطوا ان تصرف على ما كانت عليه في تلك الحقبة، وسعى السلطان إلى التفاوض معهم ، الا ان المفاوضات معهم لم تجد نفعا ، لانهم وحدوا موقفهم

واتفقوا على عدم التراجع عما طلبوه ، فخشي السلطان والامراء بل وحتى العامة من حدوث فتنه كبيرة ، وعندما تفاقم الامر اضطر السلطان المؤيد الى ان يوافق على طلبهم وصرف رواتبهم .وعندما توفي السلطان شيخ وتولى السلطنة ولده المظفر احمد استمر الحال على ما هو عليه من سوء تصرفات الجلبان ، فكانت سببا مباشرا في خلعه بعد عدة اشهر من توليه الحكم ، ليعتلي عرش السلطنة بدلا عنه الظاهر سيف الدين ابي الفتح ططر ، الا انه لم يكن اكثر حظا من المظفر احمد اذ خلع بعد اربعة وتسعين يوما من توليه ، فأُجلس على كرسي العرش ولده الصالح محمد بن ططر لمدة اربعة واربعين يوما , فآل العرش إلى السلطان الاشرف برسباي ليقبض على امور الحكم بيد من حديد ، وبرغم ذلك بقي المماليك الجلبان في تغطرسهم مما ادى الى استياء العامة ، ولم يقتصر الامر على العامة فقط بل اخذوا بالاعتداء على موظفي الدولة وامرائها ونهب منازلهم ، وزادت شكاوى الامراء منهم ، وحثوا السلطان الاشرف برسباي على ردعهم .مرض السلطان برسباي فحضر إلى جانبه في فناء القلعة الامير خشقدم اليشبكي مقدم المماليك السلطانية ومعه الجلبان والقرانيص من مماليك السلطان ، فضلا عن الخليفة العباسي المعتضد بالله ابو الفتح داود والقضاة والامير الكبير جقمق العلائي ، وبدأ السلطان كلامه عن ولاية العهد لولد يوسف ، وأمضى الخليفة العهد وشهد بذلك القضاة وجعل الامير جقمق اتابكا له ، كما التفت السلطان إلى الامير خشقدم بكلمة اراد من خلالها اسماع المماليك الجلبان ، وهو يعتب عليهم بما كانوا يفعلونه ، الا انه عفى عنهم ، واوصاهم بطاعة ولده وعدم مناصبة العداء لاي من الامراء ، وان لا يختلفوا فيدخل الاجنبي بينهم فيهلكوا ، ثم امر بثلاثين دينارا لكل واحد منهم ، ففرحوا بذلك ودعوا له بالعافية والسلامة ، سيما وانها صرفت لهم جميعا في ذات الليلة .

وفي عهد السلطان الاشرف اينال اقتحم الجلبان دار الامير ناصر الدين محمد بن ابي الفرج الاستادار ، ونهبوا جميع ما فيها دون ادنى سبب ، فاضطر الاستادار إلى طلب الاعفاء من منصبه ، فاعفاه السلطان كما بدأ المماليك الجلبان في عهد الاشرف اينال باشعال الحرائق في اسواق القاهرة ، من اجل القيام باعمال السلب والنهب في الاسواق ودور العامة ، واستمرت هذه الاعمال عدة اشهر تضرر خلالها الناس كثيرا في بيوتهم واموالهم ، وفي اثناء مرض السلطان خشي الناس من تكرار ما كان يقوم به الجلبان في السنوات الماضية من اعمال تضر بمصالحهم فطلبوا من السلطان ان ينهاهم عنها ، ولكن مرض السلطان كان سببا في اهمال طلبهم , في الحقيقة لم يهمل السلطان طلبهم لولا مرضه ، سيما وانه كان مستاء من الجلبان ، لكن واقع الحال والمرض الذي الم به شغله في امور شخصية ذات اهمية من اجل ضمان انتقال منصب السلطنة إلى ولده احمد ، لذا فقد سعى مضطرا إلى استرضاء الجلبان وعدم اثارتهم ، ليكسب بذلك تأييدهم الكامل لولده من بعده .وكانت الجلبان وتصرفاتهم البغيضة مستمرة طيلة عهد السلطان الاشرف اينال ، اذ ثاروا اكثر من سبع مرات، هددت السلطان نفسه بالخلع ، واعتدوا على الناس كثيرا ونهبوا اموالهم ، مستغلين طيبة السلطان وحسن خلقه ، مما ادى إلى اضطراب البلاد سياسيا واقتصاديا وطرد الكثير من المماليك من اجناد الحلقة بسبب افلاس الخزينة ، فضلا عن سجن الخليفة في الاسكندرية ، وكان السلطان اينال غير قادر على ايقافهم اذ نشروا الفوضى ونهبوا البلاد ، وسلبوا القصور وهاجموا كبار الامراء ، ودب الخوف في قلب السلطان من مماليكه الخاصة لانعدام الثقة فيهم ، فانزوى السلطان في قصره ، كما هجرت الاسواق لقلة التجارة ، واصبح الجلبان من القوة ما مكنهم من التحكم في عزل الموظفين وتغييرهم دون علم السلطان ,وعلى الرغم من شكوى الناس منهم استمرت اعتداءاتهم على العامة .وكان المماليك اشد خطرا على كيان الدولة ، اذ اصبحت المناصب تباع وتشترى

بالرشوة , وكثرت طلباتهم من السلطان ذاته ، وقاموا ببعض التمردات بسبب عدم تلبيتها , كان لزيادة اعداد الجلبان الاثر السلبي الواضح على الحياة السياسية والاقتصادية في الدولة المملوكية بشكل عام وفي مصر بشكل خاص ،

(واخيرا)

ومع انتهاء دولة المماليك وسقوطها تبدو لنا الحضارة الإسلامية كالخضم المحيط قد صبت فيه بعد طول جريان أنهار وروافد كثيرة جلبت مع مياهها المخصبة حمولا طيبة وغثاء طافيا، وكانت الشمس تجنح فوق ذلك المحيط الخضم نحو الغروب وتتركه يستنير بسنا النجوم ومن ذلك البحر اللجي الواسع السحيق الأغوار والمعتلج الأمواج انبجست ينابيع شتى متدفقة في العلوم والصنائع والإصلاح جرت في أراض أُنُف متفاوتة في أوربا تحت سنا فجر جديد ثم في ضوء شمس مشرقة ولكنها آلت إلى ما آلت إليه من اتجاه مادي صرف وتخبط في السيطرة والعنصرية. (وتلك الأيام نداولها بين الناس).

ومع ذلك فتبقى المعرفة الرشيدة السديدة فحوى الحياة الإنسانية وجوهرها النافع ونسغها الناجع ونورها الساطع، وتبقى الحكمة الإلهية سيدة التوجيه في المجتمعات هادية سواء السبيل

" فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ".

عصام بن علي بن أحمد الجاسر

المملكة العربية السعودية

2024/10/20

الفصل الأول



سيف الدين برقوق

1) ترجمة الظاهر برقوق :

معنى برَقُوق = السهم القوي Berkok

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

الملك الظاهر سيف الدين، برقوق ابن الأمير آنص العثماني، اليلبغاوي، الجركسي القائم بدولة الجراكسة أخذ من بلاد الجركس ، ثم جلبه الخواجا **فخر الدين عثمان بن مسافر** إلى مصر، فاشتراه الأمير **يلبُغا العُمَري** الخاصكي وأعتقه، وجعله من جملة مماليكه الأجلاب، وكان اسمه **ألطنبغا** فسماه الأمير **يلبغا** - **برقوق** - **لنتوء في عينه**، فلما قتل الأمير **يلبغا** أخرج **برقوق** فيمن أخرج منهم، وسجن بالكرك مدة، ثم أفرج عنه وصار إلى دمشق، فخدم عند نائبها الأمير **مَنجكَ** حتى طلب الملك **الأشرف شعبان** اليلبغاوية، فقدم مع من قدم منهم، وصار في خدمة الأسياد، من جملة مماليكهم .

(المقريزي – السلوك 140/5)

عاد الامير إلى بيت السلطان , فلما كانت وقعة **الأشرف** كان **برقوق** ممن وافق على العصيان وثار معهم بعد سفر **الأشرف** إلى الحجاز .

وبعد موت الاشرف شعبان تأمر عشرة، ثم أمير طبلخاناه، ثم صار بعد أشهر أمير مائة ومقدم ألف .

دارت الايام ووقع بين الامير **قرطاي** والامير **أينبك** وحشة، وانتصر **أينبك** على **قرطاي** وقتله .

ثم وقعت أمور، وقتل أينبك أيضا ؛ فآل الأمر بعد فتن إلى الأميرين: **برقوق العثماني وبركة الجوباني** ، وملكا الديار المصرية، وصارا صاحبا حلها وعقدها .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 105)

وكان الأمير **برقوق** قد ركب في جماعة من أصحابه، وصعد إلى الإصطبل، وأنزل الأمير **يلبغا الناصري** منه، ونزعه من وظيفته، وسكن في موضعه من الأصطبل السلطاني، واستقر عوضه **أمير أخور**، واستقر بأخيه الأمير **بركة الجوباني** أمير مجلس، وأسكنه في بيت الأمير **قوصون**، تجاه باب السلسلة من الرميلة، واقتسما الحكم في الدولة بينهما ولما ملك الإصطبل، عمل **أمير آخور**، ثم **أميراً كبيراً** .

(المقريزي – السلوك 141/5)

كل ذلك في دولة السلطان المنصور علي بن الاشرف شعبان .

استمر الملك **المنصور** في **السلطنة** ولم يكن له من الأمر شيئ لتشكر أفعاله أو تذم.

ثم توفي في **صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة**؛ فلم يجسر **برقوق** أن يتسلطن ونصب في السلطنة أخاه **الملك الصالح حاجى بن الملك الأشرف شعبان** السلطنة ولما تسلطن، استمر **برقوق** أتابكه ومدبر مملكته، وإليه جميع أمور الدولة شامها ومصرها، وليس **للصالح** من السلطنة إلا مجرد الأسم فقط .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 107)

ثم حصل التنافس بينه وبين **بركه** ووقع بينهما حرب وكان الغلب **لبرقوق** فقبض على **بركه** وسجنه ثم ما زال يعمل في توليه للسلطنة استقلالا .

(الشوكاني – البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)

دام الأمر على ذلك، حتى كثرت الفتن، وهم جماعة من الأمراء بالوثوب على الأمر، واضطربت أحوال المملكة ؛ فعند ذلك أشار جماعة من الأمراء على **برقوق** بالسلطنة؛ فجبن عن ذلك، وكان لهم مدة طويلة يشيرون عليه بذلك .

وكانت الفتن ، وثورات المماليك، وتغير دولهم، إنما هي توطئة **لبرقوق**، وتمهيد له حتى ملك

البلاد، وقام بدولة الجراكسة، فإنه من يومه هذا استقر قراره بالإصطبل ورسخت قدمه في الدولة، وثبت أوتاده بها .

فقد صار أرباب الدولة كلهم جراكسة من أتباع الأمير الكبير **برقوق** ، وكان يسمى في تلك الأيام: **الأمير الكبير** **نظام الملك**.

ومازال يدبر الأمور، حتى ذهب من يعانده، وتثبت دولته، وما زالت الأقدار تساعده، والأيام تساعده، حتى استبد بالمملكة، وانفرد بتدبير السلطة، وصعد من الإصطبل، فسكن القصر ووافقه الجميع، على أن يكون سلطان البلاد .

(المقريزي – السلوك 35/5)

فلما تزايد الأمر ألجأته الضرورة لخلع **الصالح حاجى** ، وتسلطن في يوم الأربعاء **تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة .**

وهو السلطان الخامس والعشرون من ملوك الترك وأولادهم والثاني من الجراكسة؛ إن صح أن **بيبرس الجاشنكير** كان جاركسيا، وإلا فهو الأول منهم .

فلما خُلع الصالح خطب الخليفة **المتوكل على اللّه أبو عبد اللّه محمد** الخطبة على العادة، وبايع الأمير **الكبير الأتابك** على السلطنة، وقلده أمر العباد والبلاد، وأشار شيخ الإسلام **سراج الدين عمر البلقيني** أن يلقب السلطان **بالملك الظاهر**، وقال:

" **هذا وقت الظهر، والظهر مأخوذ من الظهيرة والظهور، وقد ظهر هذا الأمر بعد أن كان خافيا** " ، فتلقب **بالملك الظاهر** .

ونودي بالقاهرة ومصر " **الدعاء للسلطان الملك الظاهر**" وكتب إلى أعمال المملكة ، ودقت البشائر بقلعة الجبل ، وزينت القاهرة ومصر وعامة مدائن مصر والشام.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 221/11)

تم أمره في السلطنة وعظم، وأنشأ له حاشية ومماليكا ودولة وطالت أيامه، وصار عزيزا منيعا، عالي القدر رفيعا، فسبحان من يدبر الأمر كله، لا إله إلا هو.

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 110)

استمر الملك **الظاهر** في السلطنة، إلى أن خرج عليه الأمير **تمربغا الأفضلي الأشرفي**، المدعو **منطاش** نائب ملطية .

ومن يوم ذاك أخذ أمر برقوق في انحطاط، وأمر الناصري ومنطاش في تزايد، إلى أن ملكا الديار المصرية من غير قتال وزالت دولة الملك الظاهر كأن لم تكن

وما وقع له مع **الناصرى ومنطاش** عند خلعة من السلطنة كان خذلانا من **الله** تعالى ليقضى **الله** أمرا كان مفعولا .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 110)

2) حوليات برقوق:

(سنة أربع وثمانين وسبع مائة)

- **رمضان : خطب الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد الخطبة ، وبايع الأمير الكبير الأتابك على السلطنة، وقلده أمر العباد والبلاد.**
- **وفيه : خلع على الأمير أيتَمش البجاسي وعلى الأمير آلطنبغا الجوباني وعلى الأمير جركس الخليلي ، وخلع على الأمير سودُن الشيخوني الحاجب، واستقر نائب السلطان فكان يوما مشهودًا كثرت فيه التهاني والأفراح.**
- **وفيه : طلب السلطان أسماء من قبض بعد الملك الأشرف العشرة آلاف، فوجد منهم قد بقي خمسمائة مملوك، فيهم أربعمائة مملوك بأيديهم إقطاعات في الحلقة، ومائة مملوك لهم جوامك، فأمر الأربعمائة أصحاب الأخباز في الحلقة بلزوم دورهم**

وقرر عوضهم من مماليكه الذين اشتراهم ورباهم، وقال: " هؤلاء خونة قد خانوا أستاذهم ، وأعانوا على قتله بشيء يسير أخذوه من المال، بعد ما عاشوا في نعمته دهرا طويلا، فلا خير فيهم " .

- وفيه: قدم شيخنا عبد الرحمن بن خلدون من بلاد المغرب واتصل بالأمير ألطنبغا الجوباني، وتصدر للاشتغال بالجامع الأزهر، فأقبل الناس إليه، وراقهم كلامه، وأعجبوا به.
- وفيه: ورد البريد بأن الأمير يلبغا الناصري – نائب حلب – سار بعسكر حلب إلى إلبيرة، يريد تعدية الفرات، فجاءه الخبر بعصيان الأمير علاء الدين ألطنبغا السلطاني – نائب الأبلستين – وأنه لم يحلف للسلطان واستولى على قلعة درندة.

(سنة خمس وثمانين وسبعمائة)

- وفي صفر: قدمت رسل السلطان أحمد بن أويس – متملك بغداد – بهدية فيها فهد وصقر وأربع بقج قماش، وتضمن كتابه أنه ملك بغداد بعد أخيه.
- وفيه : ركب السلطان وفتح الخليج ولم يعهد بعد الملك الظاهر بيبرس ملك ركب حتى خلق المقياس، وفتح الخليج سوى السلطان برقوق.
- وفي رجب :طلع الأمير صلاح الدين محمد بن محمد بن تنكز – نائب الشام – بالسلطان، ونقل له عن الخليفة المتوكل على الله أنه اتفق مع الأمير قُرُط بن عمر التركماني والأمير إبراهيم بن الأمير قُطْلو أَقتمر العلاي أمير جاندار، وجماعة نحو الثماني مائة فارس، على أن السلطان إذ نزل من القلعة إلى الميدان للعب بالكرة، خرجوا جميعاً وقتلوا السلطان والأمراء، وأركبوا الخليفة، وصعدوا به إلى القلعة فحلف السلطان ابن تنكز على صحة ما نقله، فحلف له فأمر السلطان

بالثلاثة والخليفة ، فحضروا بين يديه، وأخذ يذكر لهم ما نقل عنهم، فأنكروا إلا قرط، فإنه لما اشتد عليه السلطان، وخاف تهديده، قال: " إن الخليفة طلبني، وقال لي هؤلاء ظلمة، وقد استولوا على هذا الأمر بغير رضائي، وأني لم أقلد برقوق أمر السلطنة إلا غصبا، وقد أخذ أموال الناس بالباطل وطلب مني أن أقوم معه لله، وأنصر الحق، وأزيل هذه الدولة الظالمة والتزم أنه يبطل المكوس جميعها، ولا يفعل إلا الحق فأجبته إلى ذلك، ووعدته المساعدة، وأن أجمع له ثماني مائة فارس من الأكراد والتركمان، وأقوم بأمره " فقال السلطان للخليفة: " ما قولك في هذا " فقال " ليس لمقاله صحة " فسأل إبراهيم بن قطلو أقتمر عن ذلك، فقال: " ما كنت حاضرا هذا الأمر والاتفاق، لكن الخليفة استدعاني إلى بيته بجزيرة الفيل، وأخبرني بهذا الكلام، وقال لي إن هذا مصلحة، ورغبني في موافقته والقيام لله تعالى، ونصرة الحق فأنكر الخليفة ما قاله إبراهيم، وأخذ إبراهيم يحاققه، ويذكر له أمارات، والخليفة يحلف أن هذا الكلام ليس له صحة، فاشتد حنق السلطان، واستل السيف ليضرب به عنق الخليفة، فقام الأمير سودن النائب وحال بينه وبينه، وما زال به حتى سكن بعض غضبه فأمر بقرط وإبراهيم أن يسمرا، واستدعى القضاة ليفتوه بقتل الخليفة، فلم يفتوه بقتله، وقاموا عنه فأخذ الخليفة وسجن في موضع بالقلعة، وهو مقيد وسمر قرط وإبراهيم، وشهرا في القاهرة ومصر ثم أوقفا تحت القلعة بعد العصر فنزل الأمير أيد كار الحاجب، وسار بهما ليوسطا خارج باب المحروق من القاهرة وابتدأ بقرط فوسطه وقبل أن يوسط إبراهيم جاءت عدة من المماليك بأن الأمراء قد شفعوا في إبراهيم، وسجن بخزانة شمايل .

- وفيه : طلب السلطان زكريا وعمر ابني إبراهيم عم المتوكل، فوقع اختياره على عمر

بن الخليفة المستعصم بالله ، فولاه الخلافة ، فتلقب بالواثق بالله .

- وفيه قدم عدة من رجال نائب سنجار، ومن تكريت وقيصرية الروم، يسألوا أن تكون مضافة إلى مملكة مصر، فكتبت تقاليد الثلاثة .
- وفيها : قدم البريد بخروج الأمير يلبغا الناصري من حلب بالعسكر للقاء الفرنج، وقد وردت شوانيهم في البحر لقصد إياس، ونزوله بالعمق لقربه من البحر فورد عليه كتاب نائب اللاذقية بوصول الفرنج إلى بيروت، وأنهم نزلوا إلى البر، وملكوا بعض أبراجها فأدركهم العسكر الشامي في طائفة من رجّالة الأكراد، وقاتلوهم، فأيد الله المسلمين، وعادت العساكر إلى الشام .
- وفيها كتبت أسماء الذين في سجن القضاة على الديون، وصولح غرماؤهم بمال أخرجه السلطان على يد الأمير جركس الخليلي، وأفرج عنهم .
- وفي شوال: أمر بتتبع المماليك الأشرفية ، فأخذوا، وعملوا في الحديد، ونفوا .
- وفيه : جمع السلطان القضاة، واشترى الأمير أيتمش البجاسي من ورثة الأمير جَرجي نائب حلب بحكم أن جرجي لما مات لم يكن أيتمش البجاسي ممن أَعتقه، بل كان في رقه، فأخذه بعد جرجي بجاس وأعتقه من غير أن يملكه بطريق صحيح، فلم يصادف عتقه محلا، وأثبتوا ذلك على القضاة .
- وفي ذي الحجة: أفرج عن الخليفة المتوكل، ونقل من سجنه بالبرج إلى دار بالقلعة، وطلع إليه عياله .
- وفيها أنشىء حوض للسبيل عند باب المعلا بمكة، باسم السلطان ووصل الماء إلى القدس من قناة العروب، بعدعمارتها بأمر السلطان .

(سنة ست وثمانين وسبعمائة)

- **وفيه**: درس شيخنا عبد الرحمن بن خلدون بالمدرسة القمحية بمصر، وحضر معه بها الأمير الجوباني، والأمير يونس الدوادار، وقضاة القضاة والأعيان.
- **وفيه**: توفي للسلطان ولد ذكر، فدفن بتربة يونس الدوادار خارج باب النصر.
- **وفيه**: استدعى شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون إلى قلعة الجبل، وعرض عليه السلطان ولاية قضاء المالكية، وخلع عليه، ولقب ولي الدين.
- **وفي رجب**: استبدل السلطان خان الزكاة من ورثة الناصر محمد بن قلاوون، بقطعة أرض، وأقام الأمير جركس الخليلي على عمارة موضعه مدرسة .
- **وفي شوال**: أسست المدرسة الظاهرية موضع خان الزكاة، بخط بين القصرين
- **وفيها** : مات صائم الدهر محمد بن صديق التبريزي الصوفي , أقام نيفًا وأربعين سنة، يصوم الدهر، ويفطر دائما على حمص بفلس، لا يخلطه إلا بالملح فقط ويقسّم أوقاته كلها للعبادة ، ما بين صلاة وذكر وتلاوة، ومطالعة كتب العلم وكان شديدًا في ذات الله.

(سنة سبع وثمانين وسبعمائة)

- **وفيها** : اشترى السلطان تُمُربُغا الأفضلي، المعروف بمنطاش ، وأعتقه.
- **وفيها** : قدم الخبر بأن أولاد الكنز هجموا على ثغر أسوان، وقتلوا معظم أهله، ونهبوا الناس، وأن الوالي فر منهم .

(سنة ثمان وثمانين وسبعمائة)

- **وفيها** : عقد السلطان على هاجر ابنة الأمير منكلى بغا الشمسي، وأمها أخت الملك الأشرف شعبان.

- **وفيها** : قبض على عدة من المماليك، وضربوا ضربًا مبرحًا بالمقارع، لكلام بلغ السلطان عنهم من الفتك به
- **وفيها** : قدم الخبر باستيلاء تيمورلنك على تبريز ، وقتل أهلها وتخريبها.
- **وفيها** : دخل إلى القاهرة نحو ستين رجلاً، تدلوا من السور ونهبوا سوق الجمالين بالقرب من جامع الحاكم، وقتلوا نفرين فركب الأمير حسام الدين الكوراني – والي القاهرة – وقبض على ثلاثة منهم في بعض الضواحي ومعهم بعض ما نهبوه، فعاقبهم حتى دلوه على بقيتهم وسُمر منهم ثمانية عشرة على جمال، وثلاثة سمرت أيديهم في الخشب، وألبسوا في أَرجلهم قباقيب خشَب، ثم سمرت أرجلهم فيها وأكرهوا حتى مشوا وهم مسمرون ، وشهروا جميعا بالقاهرة، ثم وسطوا إلا واحد منهم، وأبقي عليه ليدل على بقيتهم.
- **وفيها**: ماتت للسلطان ابنة، فأدفنت بالعمارة بين القصرين قبل أن تكمل .
- **وفيها**: كملت عمارة المدرسة الظاهرية بين القصرين.
- **وفيها**: نُقلت رمم أولاد السلطان الخمسة من مدافنهم إلى القبة بالمدرسة الظاهرية المستجدة، ونقلت رمة الأمير آنص والد السلطان، عشاء، والأمراء مشاة قدامه، حتى دفن بالقبة المذكورة.
- **وفي ذي الحجة**: أحضر من دمشق بأربعة من الفقهاء في الحديد، اتهموا أنهم سعوا في نقض المملكة، والدعاء لإمام قرشي، فسجنوا بخزانة شمايل.
- **وفيها** مات أحمد بن الناصر حسن ، ودفن بمدرسة أبيه، وكان أسن أولاده.
- **وفيها** توفي عماد الدين إسماعيل بن الزمُكحُل الناسخ، أحد الأفراد، كان يكتب

سورة " قل هُو اللّه أَحَدْ " بكمالها على حبة أرز، كتابة بينة لا يطمس فيها واوا، إلى غير ذلك من بدائعه.

- وفيها توفي أحد الأفراد في العبادة والزهد والورع، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان القرمي بالقدس كان لا يزال يتلو القرآن، فيقال إنه قرأ في اليوم والليلة ثماني ختمات، وقدم القاهرة.
- وفيها توفي الشديد في الله، الورع، شمس الدين محمد بن يوسف بدمشق، قدم القاهرة غير مرة وأقسم باللّه أنه إذا رأى منكرا يحُمُّ.

(سنه تسع وثمانين وسبعمائة)

- وفيها : رأى السلطان من قلعة الجبل خيمة قد ضربت على شاطىء النيل فبعث للكشف عنها، فوجد فيها كريم الدين بن مكانس، وشمس الدين أبو البركات، فأحضرا إليه، وقد كانا يتعاقران الخمر في خواصهما، فضربهما بالمقارع، وألزم ابن مكانس بمائة ألف درهم، وأبا البركات بخمسين ألفا.
- وفيها: ورد البريد بأن تمرلنك كبس قرا محمد وكسره، ففر منه ونزل تمرلنك على آمد، فاستدعى السلطان القضاة والفقهاء والأمراء وتحدث في أخذ الأوقاف ، فكثر النزاع، وآل الأمر إلى أنه يأخذ متحصل الأوقاف لسنة.
- وفيها: جلس السلطان بالميدان تحت القلعة للحكم بين الناس، بعد ما نودي: " من كانت له ظلامة فعليه بالإصطبل السلطاني يوم الأحد والأربعاء " فداخل أعيان الناس من ذلك خوف شديد واجترأ أسافل الناس على الأكابر.

(سنة تسعين وسبعمائة)

- في المحرم: قدم قاصد من الأمير منطاش،، يخبر أنه باق على الطاعة، فقدم البريد من حلب أنه خارج عن الطاعة
- وفيه : فرق نجم الدين محمد الطنبدي محتسب القاهرة عدة فقراء الفقهاء على الباعة بسائر الأسواق، ليعلموهم من القرآن ما لا بد منه في الصلاة، فاستمر ذلك، وقرر لكل معلم على كل حانوت فلسين في كل يوم.
- وفي ربيع الأول: منع قراء الأجواق عامة من التهنيك وأن يكون عوضه الصلاة على النبي.
- وفيه : عمل الشيخ المعتقد إسماعيل بن يوسف الإنبابي المولد على عادته في زاويته بناحية منبوبة من الجيزة تجاه بولاق، فكان فيه من الفساد ما لا يوصف، إلا أنه وجد من الغد في المزارع مائة وخمسون جرة فارغة من جرار الخمر التي شربت تلك الليلة ، سوى ما حكى عن الزنا واللياطة، فجاءت ريح كادت تقتلع الأرض بمن عليها، وامتنع الناس من ركوب النيل فتأخروا هناك.
- وفيه : ورد الخبر بدخول العسكر المصري إلى بلاد ملطية، لقتال منطاش.
- وفيه : ندب قاضي القضاة ناصر الدين محمد ابن بنت ميلق، جماعه فقرأوا بالجامع الأزهر صحيح البخاري، ودعوا الله تعالى في رفع الطاعون واجتمعوا أيضاً بالجامع الحاكمي، وفعلوا ذلك ثم اجتمعوا مرة ثالثة بالجامع الأزهر، ومعه كثير من الأطفال الأيتام، فكان جمعا موفوراً .
- وفيه : قدمت رسل الأمير قرا محمد التركماني بكتابه، يخبر أنه أخذ مدينة تبريز، وضرب بها السكة باسم السلطان، ودعا له على منابرها، وسير دنانير ودراهم ضربت بالسكة السلطانية وسأل أن يكون بها نائبا عن السلطة .

(سنة إحدى وتسعين وسبعمائة)

- وفيها: قدم البريد من سيس بأن خليل بن دلغادر، ونائب سيس، جمعا تركمان الطاعة وحاربوا سولى بن دلغادر ومنطاش .
- وفيها : تواترت الأخبار بدخول سائر أمراء الشام والمماليك اليلبغاوية والأشرفية، وسولى أمير التركمان، ونعير أمير العربان، في طاعة الناصري على محاربة السلطان
- وفيها: ورد الخبر من غزة بكسرة الأمراء في محاربة الناصري، واستيلائه على دمشق، وقتل جركس الخليلي، والقبض على الأمير أيتمش ، فاضطربت الناس بالقاهرة ومصر اضطرابا عظيما، وغلقت الأسواق، وانتهبت الأخباز، وشغب الزعر، وتجمع أهل الفساد وكان في البلد وباء، والناس في شغل بدفن موتاهم، فاشتد الخوف، وتزايد الإرجاف، وشنعت القالة.
- وفيها: نودي في القاهرة ومصر بإبطال سائر المكوس، فتفرق الكتاب وأرباب الشرط من مقاعدهم التي كانوا يجلسون بها لأخذ المكوس.
- وفيها : دعى في الخطبة بجوامع القاهرة ومصر، للخليفة قبل السلطان.
- وفيها: اجتمع القضاة بالمشهد النفيسي ، وقرأوا صحيح البخاري، ودعوا الله تعالى للسلطان، وسألوه إخماد الفتنة.
- وفيها : كثر الاهتمام بتحصين قلعة الجبل، ونقل الأحجار إليها ليرمى بها في المنجنيق، وأمر سكان القلعة بادخار القوت لشهرين .
- وفيها: سد الباب المحروق والباب الحديد وسد باب الدرفيل بجوار القلعة والباب المجاور للقلعة المعروف قديماً بباب سارية ويعرف اليوم بباب المدرج وسد عدة خوخ وأزقة، يتوصل منها إلى القلعة وحفر خنادق كثيرة وفي أثناء ذلك كثرت

الشناعة في القاهرة بوصول الناصري ومنطاش، ولبس جميع الأمراء آلة الحرب، وركبوا إلى القلعة، ووقفوا بالرميلة وأقبلت طليعة الناصري، وكثر الرمي عليهم من فوق القلعة بالسهام والنفط والحجارة في المقاليع، وهم يوالون الكر والفر، وأمر السلطان في إدبار، وأصحابه تتفرق عنه شيئاً بعد شيء، وتصير إلى الناصري , وفروا عنه، وصاروا مع عدوه عليه، و لم يتأخر عنده إلا من لا غنى فيه

- **وأحاط أصحاب الناصري بالقلعة، وأعلموا الناصري بفرار السلطان، فثبت مكانه وزالت دولة الملك الظاهر كأن لم تكن .**

(المقريزي – السلوك)

3) مجريات الملك الظاهر برقوق : (الطريق الى السلطنة)

تغلب على الأمر جماعة من الأمراء مفترقي الاهواء وخشي العقلاء انتقاض الأمر وسوء المغبة فبادر الأمير (برقوق) وتناول الحبل بيده وجعل طرفه في يد الامير بركة رديفه فأمسك معه برهة من الأيام ثم اضطرب وانتقض وصار إلى ما صار اليه من الهلاك **واستقل الأمير برقوق بحمل الدولة والعناية الربانية تكفله والسعادة توافيه .**

قد طمعوا في الاستبداد وظفروا بلذة الملك والسلطان ورتعوا في ظل الدولة والأمان ثم سمت أحوالهم إلى أن يستقل أميرهم بالدولة ويستبد بها دون الاصاغرين المنتصبين بالمملكة .

وربما أشار بذلك بعض أهل الفتيا يوم بيعة **أمير حاج** وقال لا بد أن يشرك معه في تفويض **الخليفة** الأمير القائم بالدولة لتشد الناس إلى عقدة محكمة فأمضى **الأمير** على ذلك وقام **الأمير بالدولة** فأنس الرعية بحسن سياسته وجميل سيرته .

وأشفق الأمراء من تدبر مثل هؤلاء عليهم وتفاوضوا في محو الأصاغر من الدست وقيامه

بأمرهم مستقلا فجمعهم لذلك في **تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين** وحضر الخاصة والعامة من الجند والقضاة والعلماء وأرباب الشورى والفتيا وأطبقوا على بيعته وعزل **السلطان أمير حاج** فبعث اليه أميرين من الأمراء فأدخلوه إلى بيته وتناولوا السيف من يده فأحضروها ثم ركب هذا **السلطان** من مجلسه بباب الاصطبل وقد لبس شعار السلطنة وخلعة الخلافة فدخل إلى القصور السلطانية وجلس بالقصر الأبلق على التخت وأتاه الناس بيعتهم أرسالا وانعقد أمره يومئذ ولقب الملك **الظاهر** وقرعت الطبول وانتشرت البشائر وخلع على أمراء .

ظفر الظاهر برقوق بالملك واستولى على الدولة وهو يستتبعهم في مقاماته ويوطئهم عقبه ويذلل لهم الصعاب فيقتحمونها ويجوز لهم الرتب فيستهمون عليها ثم اقتعد منبر الملك والسلطان واستولى على كرسيه وقسم مراتب الدولة ووظائفها بين هؤلاء الأصحاب

(ابن خلدون – العبر وديوان المبتدأ والخبر 514/5)

(برقوق بين الناصري ومنطاش)

استمر الملك **الظاهر** في **السلطنة**، إلى أن خرج عليه الأمير **تمربغا الأفضلي** ، المدعو **منطاش** نائب **ملطية**, ثم وافق **منطاش** الأتابك **يلبغا الناصري** نائب **حلب**، وقويت شوكتهما.

ثم انضم إلى **يلبغا الناصري** نائب **طرابلس** ثم نائب **حماة** ، ثم حضر قاصد من عند **بن قراجا بن ذي الغادر** فأخبر أن نائب **سيس** قد خامر وخرج عن الطاعة ووافق **يلبغا الناصري** على العصيان ورحل من **سيس** وأتى إلى **حلب** .

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي 475/2)

فلما تحقق **السلطان** أن النواب قد خامروا عليه أنفق على العسكر فخرجوا من القاهرة في عظمة زائدة، فلما خرجوا منها ووصلوا إلى دمشق جاءت الأخبار من هناك بأن العساكر لما وصلت إلى دمشق وجدوا **يلبغا الناصري** قد ملك **الشام** حتى قلعتها، فلما وصل العسكر إليه أوقعوا معه بظاهر **دمشق** واقعة عظيمة حتى جرى الدم بينهم وقتل من الفريقين ما لا يحصى عددهم، وآخر الأمر انكسر عسكر **السلطان** الذي أرسله وانتصر عليهم **يلبغا الناصري** .

(محمد راغب الطباخ – اعلام النبلاء 378/2)

وقبض على **أيتمش**، وقتل **جاركس الخليلي ويونس الدوادار** وعصى **ابن يلبغا وأيدكار** الحاجب على **برقوق**، ووافقا **الناصري**

ومن يوم ذاك أخذ أمر برقوق في انحطاط، وأمر الناصري ومنطاش في تزايد، إلى أن ملكا الديار المصرية من غير قتال

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 111)

وكان من خبرهم انه لما قدم **الناصري** بعساكره، ونزل خارج القاهرة – **عند قبة النصر** – لم ينهض **برقوق** لقتاله – **خذلانا من الله تعالى وزوال نعمة** – وجبن حتى عن حفظ قلعة الجبل، بل أرسل إلى **الناصري نمجاة الملك** مع الأمير **أبي بكر الحاجب** والأمير **بيدمر شاد القصر** وأمرهما أن يأخذا له من **الناصري** الأمان؛ فتوجها إلى **الناصري**، وسألاه في ذلك خلوة؛ فاعتذر إليهما **الناصري** من أنه لا يطيق يعطيه الأمان؛ لما يعلم ما أضمره منطاش وغيره **للظاهر**

ثم أشار على **الظاهر** أنه ينزل من القلعة ويختفي بمكان، إلى أن يصلح **الناصري** من أمره ما يكون فيه مصلحة له

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 112)

وقد نزلت الذلة بالدولة، وظهر من جزع **السلطان** وبكائه ما أبكى الناس شفقة له ورحمة .

(المقريزي – السلوك 227/5)

(اختفاء برقوق)

فلما بلغ برقوق ذلك صلى عشاء الآخرة هو والخليفة، وقام هو من مكانه وتستر حتى نزل من الإصطبل السلطاني وأختفى وزالت دولة الملك الظاهر برقوق .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 112)

الفصل الثاني



المنصور حاجي بن الأشرف

1) ترجمة المنصور حاجي :

لما كان يوم الأثنين **خامس جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة** ، وبعد أن ملك الأتابك **يلبغا الناصري و منطاش** ومن كان معهما من الأمراء بالديار المصرية من غير قتال ولا حصار، وبعد أن سئل **الناصري** بالسلطنة غير مرة؛ فلم يقبل وخشي العواقب .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 114)

استدعى **الناصري** الأمراء وشاورهم فيمن ينصب في السلطنة، حتى استقر الرأي على إقامة الملك **الصالح حاجي بن الأشرف شعبان** ، فإنه خلعه **برقوق** بغير موجب، فصعدوا من الإصطبل إلى الحوش بالقلعة واستدعوه، وأركبوه بشعار السلطنة من الحوش إلى الإيوان، وأجلسوه على تخت الملك به، ولقبوه **بالملك المنصور**، وقلده الخليفة أمور الناس على العادة، وقبل الأمراء الأرض بين يديه ودقت البشاير، وقام إلى القصر وسائر أرباب الدولة بين يديه ونودي في الحال **بالقاهرة** بالأمان والدعاء **للملك المنصور**، والأمير الكبير **يلبغا الناصري**، وتهديد من نهب، فاطمأن الناس.

ولا نعرف في الملوك التركية أحدا غير لقبه غيره، فكان لقبه أولا: الصالح؛ فغير في سلطنته هذه بالمنصور .

ثم دارت الايام وهرب **برقوق** من **الكرك** واستمر أمر **برقوق** ينمو وأمر **منطاش** يضمحل ، إلى أن خرج **منطاش** بالملك **المنصور** إلى **البلاد الشامية** لقتال **برقوق** ووقع المصاف بينهم بمنزلة **شقحب**، فانتصر **برقوق** – وإنهزم **منطاش** إلى دمشق – واستولى على **المنصور** والخليفة والقضاة وعلى العصائب السلطانية، وعاد بالجميع إلى الديار المصرية وطلع **برقوق** إلى القلعة، وعاد إلى ملكه .

فكانت مدة مملكة المنصور في سلطنته الثانية ثمانية أشهر ونحو ستة عشر يوما من يوم

أجلسه الناصري على تخت الملك إلى يوم طلع برقوق إلى قلعة الجبل وجلس على تخت **الملك** ولزم داره بقلعة الجبل مبجلا، إلى أن مات **في شوال سنة أربعة عشر وثمانمائة عن بضع وأربعين سنة** ودفن بتربة **جدته خوند بركة** .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 117)

2) حوليات المنصور حاجي:

- وفي يوم الأربعاء : نودي بأن من ظهر من المماليك الظاهرية فهو باق على إقطاعه، ومن اختفى بعد هذا النداء حل ماله ودمه للسلطان
- وفيه : نودي بالقاهرة ومصر وظواهرهما من أحضر السلطان برقوق وكان عامياً خلع عليه، وأعطى ألف دينار، ومن أخفاه بعد النداء شنق، وحل ماله للسلطان، فكثر كلام العامة في ذلك.
- وفيه : نودي على الملك الظاهر، وهدد من أخفاه، فكثر الدعاء من العامة له، وعظم الأسف على فقده وثقلت وطأة أصحاب الناصري على الناس، ونفروا منهم، فصار العامة يلهجون : " راح برقوق وغزلانه وجاء الناصري وثيرانه " .
- وفيه : كثر فساد التركمان، وأخذوا النساء من الطرقات، ومن بعض الحمامات، وسلبوا من انفردوا به ثيابه، من غير أن يتجاسر أحد على منعهم وكثر أيضاً ضرر الزعر وإخافتهم الناس .
- وفيه : أمر العسكر بنزع السلاح، وكانوا في هذه الأيام لا يزالوا بالسلاح عليهم وعلى خيولهم، فلا ترى أميراً ولا مملوكاً ولا جندياً إلا لابس آلة الحرب.
- وفيها : غُمز على الملك الظاهر برقوق فحبس بقاعة الفضة من القلعة ورتب لخدمة الظاهر مملوكان وغلامه المهتار نعمان، وقيد بقيد ثقيل.

- **وفيها** : رسم بسفر الملك الظاهر بروق إلى الكرك .
- **وفيها** : أخلع على الأمير يلبغا الناصري، واستقر أتابك العساكر .
- **وفيها** : نودي ألا يتأخر بديار مصر أحد من المماليك الظاهرية، إلا أن يكون في خدمة السلطان أو الأمراء، ومن تأخر شُنق.
- **وفيها** : نودي في القاهرة ومصر بالأمان، ومن ظُلم أو غُبن، أو قُهر من مدة عشرين سنة فعليه بباب الأمير الكبير أو حاجب الحجاب، حتى يأخذ حقه.
- **وفيها** : كُبست بيوت الأسرى، وأُخذ منها جرار الخمر، وكسرت تحت القلعة.
- **وفيه** : أخْلَع الملك المنصور على شخص، وعمله خياط السلطان، فطلبه الأمير الكبير وأخذ منه الخلعة وضربه ضرباً مبرحاً، فشق ذلك على المنصور وقال:

" إذا لم ينفذ مرسومي في خياط، فما هذه السلطنة؟ " وسكت على مضض.
- **وفي شعبان** : أُمر المؤذنون بالقاهرة ومصر أن يزيدوا في الآذان لكل صلاة بعد الفراغ منه " الصلاة والسلام عليك يا رسول الله " عدة مرار.

وسبب هذا أن رجلاً من الفقراء المعتقدين جمع في ليلة الجمعة بعد أذان العشاء الآخرة " الصلاة على النبي " صلى الله عليه وسلم؛ فأعجبه ذلك، وقال لأصحابه " أتحبون أن يعمل هذا في كل أذان؟ " قالوا " نعم " فبات وأصبح، وقد زعم أنه رأى رسول صلى الله عليه وسلم في منامه يأمره أن يقول للمحتسب بأمر المؤذنين أن يصلوا عليه عقيب كل أذان، فمضى إليه – وكان في غاية الجهل – فسره قول هذا الرأي .

- **وفيه** : أُشيع أن منطاش تنكر مع الأمير الكبير، وتأخر عن الخدمة، وأظهر أنه متضعف؛ ففطن الأمير الكبير بأنه يريد عمل مكيدة، ولم ينزل لعيادته.
- **وفيه**: قبض منطاش على الناصري وسكن مكانه .

- وفي رمضان : استدعى منطاش المماليك الظاهرية وأغلق عليهم باب السلسلة، وقبض على نحو مائتي منهم .
- وفيه : ظفر منطاش بذخيرة للظاهر، كانت بجوار الجامع الأزهر من القاهرة.
- وفيه : ورد البريد بخروج الأمير نُعير عن الطاعة، غضباً للأمير يلبغا الناصري، واتفق هو وسولي بن دلغادر التركماني، ونهبوا عدة من البلاد الحلبية، وأن الأمير بزلار نائب دمشق خرج عن الطاعة أيضاً.
- وفيه : نودي على الزعر، من حمل منهم سيفاً، أو سكيناً، أو شالق بحجر، وُسّط، وتتبعوا، فقطع الوالي أيدى ستةَ منهم.
- وفيه: نزع منطاش عنه آلة الحرب، وأمر العسكر والأمراء بنزعها فنزعوها
- وفيه : قدم البريد من غزة بأن الملك الظاهر برقوق خلص من السجن، واستولى على مدينة الكرك ، فاضطرب منطاش.
- وفيه : خُلع بحضرة الملك المنصور على الأمير منطاش، وفوض إليه تدبير الأمور، وصار أتابك العساكر
- وفيه : حمل جهاز خوند بنت الملك الأشرف وأخت الملك المنصور إلى القلعة، لتزف على الأمير الكبير منطاش .
- وفيه : وجدت ذخيرة بالقاهرة، في بيت إسماعيل أستادار جركس الخليلي، فيها ستمائة ألف درهم، ونحو الخمسين ألف درهم، فأخذها منطاش.
- وفيه : اجتمع الأمراء وأهل الدولة مع الأمير الكبير منطاش، واتفقوا على استبداد السلطان الملك المنصور، وأثبتوا رشده

- **وفيه** : أخليت خزانة الخاص بالقلعة، وسدت شبابيكها وبابها، وفتح من سقفها طاق، وعملت سجنا.
- **وفيه** : سد باب الفرج – أحد أبواب القاهرة – وخوخة أيدغمش، وغير ذلك.
- **وفيه** : استدعى قضاة القضاة الأربع ثم طلبوا إلى عند السلطان، فعقدوا عقده على خوند بنت أحمد بن السلطان حسن .
- **وفيه** : رحل منطاش في عدة من الأمراء، ثم رحل السلطان والخليفة والقضاة وبقية العسكر وانقضت هذه السنة والناس في مصر والشام بشر كبير.
- **ومات فيها** : الأمير جركس الخليلي، أمير أخور قُتل في محاربة الناصري خارج دمشق وكان مهاباً، عارفاً، خبيراً بالأمور، حسن السياسة، عاقلاً، خيراً وله بالقاهرة خان يعرف به وقفه على بر يعمل بمكة.
- وماتت خوند شقراء ابنة الملك الناصر حسن زوجة الأمير أروس .

(سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة)

- **وفيه** : وصل السلطان الملك المنصور إلى مدينة غزة بعساكر مصر،
- **وفيه** : كثرت الإشاعات بكسرة منطاش، واستيلاء الظاهر على المنصور والخليفة، وأنه متوجه إلى القاهرة فأذهب الله الدولة المنطاشية من مصر وركب الأمير سودن النائب، وعبر إلى القاهرة، والمنادي بين يديه ينادي بالأمان والاطمئنان، والدعاء للسلطان الملك الظاهر وبعث إلى خطباء الجوامع، فدعوا في خطة الجمعة وكتب بطا إلى السلطان يخبره بما اتفق لهم، وأنهم ملكوا ديار مصر، وأقاموا الخطبة باسمه، واستولوا على القلعة والإسطبل، وقبضوا على سائر الأمراء المنطاشية

- **وفيه : حُصنت القلعة والإسطبل، ومدرسة حسن، ومدرسة الأشرف تحصيناً زائداً، ورتب الرماة والمقاتلة والنفطية .**
- **وفي تاسعه: قدم البريد بكتاب السلطان إلى الأمراء والمماليك بالسلام عليهم، فتزايدت مسرات الناس بنصرة الملك الظاهر، وكثر فرحهم، حتى قل بيت لم يداخل أهله السرور بذلك فلما قدم البريد بنزول السلطان إلى الصالحية خرج الناس إلى لقائه ونودي بزينة القاهرة ومصر وظواهرهما، فاهتم الناس في الزينة، وتناظروا في التفاخر بها، رغبة منهم في الدولة الظاهرية، حتى لم نعهد زينة نظيرها.**

3) مجريات المنصور حاجي :

(القبض على برقوق)

ثم قبض على **برقوق** من بيت **أبي يزيد بن مراد**، وأخذ إلى القلعة في ظهر النهار؛ فحبس بالإصطبل السلطاني ثلاثة أيام ، ثم أخرج إلى **الكرك**؛ فحبس بها، إلى أن أخرج الى **الكرك**

.

(المقريزي – السلوك 447/5)

(الملك المنصور حاجي)

وبعد هروب **الظاهر برقوق** واختفائه، وبعد أن ملك **الأتابك يلبغا الناصري ومنطاش** ومن كان معهما من الأمراء بالديار المصرية من غير قتال ولا حصار، وقع اتفاق **الأمراء** على سلطنة **حاجي بن الاشرف شعبان** ثانيا، بعد أن سئل **الناصري بالسلطنة** غير مرة؛ فلم يقبل وخشي العواقب، وأجمع على **سلطنة حاجى** ؛ **فسلطنه وغير لقبه** .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 114)

(الناصري مدبر المملكة)

ثم صار **الأتابك** **يلبغا الناصري** مدبر **مماليك** **المنصور حاجي** ، وجميع أمور المملكة في يده , وصفى الوقت **للناصري**، واستبد بجميع أمور **المملكة**، وصار **منطاش** من جملة أمرائه؛ فعظم ذلك على **منطاش**؛ فأضمر السوء **للناصري**، مع قلة أصحابه وعدم شوكته، وساعده على ذلك تغير خواطر جماعة من العسكر على **الناصري**

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 114)

(بين منطاش والناصري)

أُشيع أن **منطاش** تنكر مع الأمير **الكبير**، وتأخر عن الخدمة، وأظهر أنه متضعف؛ ففطن الأمير الكبير بأنه يريد عمل مكيدة، ولم ينزل لعيادته.

كان ركوب **منطاش** على **الناصري** بجماعة قليلة جدا ، يستحى من ذكرها قلة؛ فلم يكترث بهم **الناصري**

ثم ألبس **الناصري** مماليكه السلاح، وتلاحقت المماليك **الأشرفية والظاهرية** **بمنطاش**، وصار في جمع كبير، بعد ما كانت عدة من معه أولاً نحو **السبعين فارساً** وأتاه من العامة عالم كبير، فترامى الفريقان واقتتلا.

ثم ارسل **الناصري** إلى قتاله جماعة من الأمراء؛ فانتصر عليهم **منطاش** , وتكرر ذلك غير مرة، إلى أن نزل **الناصري** بنفسه لقتاله، وانكسر من **منطاش**، وأمسك، وحبس بثغر **الأسكندرية**

وطلع **منطاش** إلى باب السلسلة من **قلعة الجبل**، وسكن مكان **الناصري**، واستبد بجميع أمور المملكة، **شامها ومصرها**، من غير منازع

وخُلع بحضرة الملك **المنصور** على الأمير **منطاش**، وفوض إليه تدبير الأمور، وصار **أتابك العساكر**

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 115)

(محاولة قتل برقوق)

أراد منطاش قتل برقوق **بالكرك**؛ فأرسل الشهاب البريدي يقتله؛ ولكن آل الأمر إلى خروج برقوق من حبس **الكرك**؛ واجتماع الناس عليه، وغالبهم من كان خرج عليه أولا – وهم خجداشيته اليلبغاوية – حنقا من منطاش لما مسك **الناصري**؛ لأن برقوق كان **يلبغاويا** والناصري كان أيضا يلبغاويا؛ فذهبت اليلبغاوية أولا من خجداش لهم إلى خجداش آخر، وهو الناصري عظم عليهم ما فعله منطاش بالناصري ، وأنضم غالبهم على برقوق لما خرج من حبس **الكرك** ولسان حالهم يقول في ذلك :

وما من حبه أحنو عليه .. ولكن بغض قوم آخرين

واستمر أمر برقوق ينمو وأمر منطاش يضمحل، إلى أن خرج منطاش بالملك المنصور إلى **البلاد الشامية** لقتال برقوق .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 116)

(الاستعداد لقتال برقوق)

استدعى منطاش الخليفة والقضاة والفقهاء ، فكتب ناصر الدين محمد بن الصالحي فتيا تتضمن السؤال عن رجل خلع الخليفة والسلطان، وقتل شريفاً في الشهر الحرام والبلد الحرام وهو محرم، واستحل أخذ أموال الناس وقتل الأنفس، واستعان بالكفار على قتال المسلمين "

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 11 /359)

حضر الخليفة المتوكل وقضاة **القضاة الأربع** وشيخ **الإسلام** البلقيني وولده جلال الدين **قاضي العسكر**، وقاضي **القضاة** بن أبي البقاء، وولي الدين بن خلدون ، وسراج الدين بن الملقن ، وعدة دون هؤلاء؛ بالقصر الأبلق من **القلعة** بحضرة الملك المنصور والأمير الكبير منطاش، وقدمت إليهم الفتوى، فكتبوا عليها بأجمعهم وانصرفوا.

(المقريزي – السلوك 262/5)

أخليت **خزانة الخاص بالقلعة**، وسدت شبابيكها وبابها، وفتح من سقفها طاق، وعملت سجنا وسد **باب الفرج** وخوخة **أيدغمش**، وغير ذلك.

ثم رحل الأمير **منطاش** في عدة من **الأمراء**، وتبعه **السلطان والخليفة والقضاة** وبقية العسكر، وأقيم نائب الغيبة بالقلعة الأمير تكا، و الأمير **دمرداش** , وأصبحت ديار مصر والشام من الفرات إلى أسوان في غاية الاضطراب وترقب الشر.

(المقريزي – السلوك 275/5)

لما وصل **السلطان** إلى غزة **بعساكر مصر** وكل به **وبالخليفة** من يحفظهما، وأقبل **منطاش** في عالم كبير من عوام دمشق وعساكرها .

وقع المصاف بين **برقوق ومنطاش** بمنزلة **شقحب**، فدارت في هذا اليوم منذ شروق الشمس إلى آخره حروب لم يعهد **بمصر والشام** في هذه الأعصر مثلها، وفني من الفريقين خلق كثير من الفرسان والعامة وانهزم **منطاش** إلى **دمشق** .

(المقريزي – السلوك 277/5)

ولم يشعر الملك **الظاهر برقوق** بنفسه إلا وهو مخيم على الملك **المنصور حاجي** فنزل وأمسكه ثم استولى **برقوق** على **المنصور والخليفة والقضاة** وعلى العصائب السلطانية وجلس على الكرسي وجعل كل من يحضر من الفئتين يجده جالسا فلا يسعه إلا النزول وتقبيل الأرض .

(محمد راغب الطباخ – اعلام البيلاء 379/2)

(عودة الظاهر برقوق إلى ملكه)

وفي أثناء إقامة **الظاهر** في **دمشق** ، جمع كل من معه من الأعيان وأشهد على **المنصور حاجي** أنه خلع نفسه، وحكم بتلك **القضاة** ثم بويع **الظاهر**، وأثبت **القضاة** بيعته , وسار

الملك **الظاهر** ومن معه يريد **ديار مصر** .

قدم البريد بكتاب **السلطان** إلى **الأمراء والمماليك** بالسلام عليهم، فتزايدت مسرات الناس بنصرة الملك **الظاهر**، وكثر فرحهم، حتى قل بيت لم يداخل أهله السرور.

نودي بزينة القاهرة ومصر وظواهرهما، فاهتم الناس في الزينة، وتناظروا في التفاخر بها، رغبة منهم في الدولة الظاهرية، حتى لم نعهد زينة نظيرها.

(المقريزي – السلوك 282/5)

الفصل الثالث



سيف الدين برقوق

1)   ترجمة : الظاهر سيف الدين برقوق (2)

لما قبض على **برقوق** وبعث إلى الكرك فسجن بها، ثار الأمير **منطاش** على **الناصري** وقبض عليه وسجنه **بالإسكندرية**، وخرج يريد محاربة **برقوق** وقد خرج من سجن **الكرك**، وسار إلى **دمشق** في عسكر، فحاربه **برقوق** على **شقجب** وملك ما معه من الخزائن، وأخذ **الخليفة والسلطان حاجي والقضاة** وسار إلى **مصر**، فقدمها يوم **الثلاثاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وتسعين** .

(المقريزي – المواعظ والاعتبار 3/ 421)

أمر الناس بتقوية الزينة، فبالغوا فيها، ونصبوا عدة قلاع تزيد على عشرين قلعة، وكثر اللعب، وتوالت الأفراح، وأنفق الناس مالاً كبيراً.

ثم تتبع الظاهر برقوق أعداءه، إلى أن قتلهم عن آخرهم .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 118)

ولما صفا الوقت **للظاهر**، أخذ في إنشاء مماليكه وحواشيه، فلا زال أمره يعظم ومماليكه تكثر، إلى أن صارت مماليكه نوابه بجميع البلاد الشامية وغيرها .

واستمر على عظمته وضخامته، إلى أن ركب عليه مملوكه وأحد خواصه **علي باي الخازندار** في سنة **ثمانمائة**، وظفر به **برقوق** وقتله .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 119)

ومالت شمس سلطنته إلى الزوال وانمحق بدر حياته، ولا بد من المحق بعد الكمال، وبرق برق وشاهد الانفصال، فعهد **بالسلطنة** إلى ولده **الناصر فرج بن برقوق** وطلب **الخليفة القضاة** والأمراء وأشهد على نفسه أنه ترك السلطنة لولده **فرج** وسنه عشرة أعوام، وعين الأتابك **إيتمش البجاسي** وزير التدبير للمملكة، وتوفى إلى رحمة **الله** تعالى فى ليلة **الجمعة** وقت التسبيح منتصف **شوال** .

(النهرواني – الاعلام بأعلام بيت الله الحرام 215)

توفي سنة إحدى وثمانمائة، فكانت مدته أتابكا وسلطانا إحدى وعشرين سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوما، خلع فيها ثمانية أشهر وتسعة أيام .

(المقريزي – المواعظ والاعتبار 3/ 421)

مات بعد أن جاوز الستين سنة من العمر .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 119)

وتزوج السلطان برقوق من ابنة الامير طشتمر وخوند فاطمة بنت منجك وخوند هاجر بنت منكلي بغا (ابنة فاطمة بنت الاشرف شعبان) وخوند شيرين الرومية وخوند ارطو وبنت علي بن أسندمر وابنة أحمد الطولوني وخوند تندي بنت حسين وخوند قنق باي التركية وخوند حاج ملك وتزوجها من بعده تغري بردي والد المؤرخ المشهور .

وترك من الاولاد فرج وعبد العزيز وابراهيم ومن البنات خوند سارة وخوند بيرم وخوند زينب .

وله اختين خوند قانقز وخوند عائشة ام الامير بيبرس .

قالوا عن الظاهر برقوق :

كان– رحمه **الله**– سيوسا عاقلا ثبتا، وعنده شهامة عظيمة ورأى جيد ومكر شديد وحدس صائب، وكان يتروى فى الشيء المدة الطويلة حتى يفعله، ويتأنى فى أموره، مع طمع كان فيه وشره فى جمع المال .

(ابن تغري بردي – كتاب النجوم الزاهرة 107/12)

وكان جهوري الصوت كبير اللحية واسع العينين عارفا بالفروسية خصوصا اللعب بالرمح يحب الفقراء ويتواضع لهم ويتصدق كثيرا ولا سيما إذا مرض وقد ترجمه **الفاسي** في مكة قال " وله سيرة طويلة جمعها بعض أهل العصر في مجلد " قلت قد جمعها **ابن دقماق** ثم **العيني**،

وذكره **المقريزي** في عقوده .

(السخاوي – الضوء اللامع 12/3)

وكان يقدم جنس المماليك الجراكسة على غيره، ثم ندم على ذلك فى أواخر عمره، بعد فتنة **على باى** , وكان يحب اقتناء الخيول والجمال، وكان يتصدى للأحكام بنفسه ويباشر أحكام المملكة برأيه وتدبيره، فيصيب فى غالب أموره، على أنه كان كثير المشورة لأرباب التجارب، يأخذ رأيهم فيما يفعله، ثم يقيس رأيهم على حدسه، فيظهر له ما يفعله.

وكان يحب أهل الخير والصلاح، وله اعتقاد جيد فى الفقراء والصلحاء، وكان يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخل عليه أحد منهم، ولم يكن يعهد هذا من ملك كان قبله من ملوك مصر، على أنه صار يعض من الفقهاء فى سلطنته الثانية، من أجل أنهم أفتوا فى قتاله وقتله، لاسيما القاضى **ابن بنت ميلق**، فإنه كان كثير الاعتقاد فيه، ومع شدة حنقه عليهم كان لا يترك إكرامهم , وكان كثير الصدقات والمعروف .

(ابن تغري بردي – كتاب النجوم الزاهرة 108/12)

كان برقوق من أجل ملوك مصر، هابته الملوك وهادنوه .

(سلم الوصول إلى طبقات الفحول – حاجي خليفة 372/1)

وكان حازما شجاعا فيه دهاء ومضاء أبطل بعض المكوس وحمدت سيرته .

(الاعلام – الزركلي–48/2)

وكان شجاعا ذكيا خبيرا بالأمور حازما مهابا فإن تيمورلنك لم يقدر على التقدم على مصر في سلطنته لما بلغه عنه من الحزم والعزم والشدة والقوة ولما بلغه موت **برقوق** أعطى من بشره مبلغا من المال كثيرا وحصل معه الطمع في أخذ مصر فدفع **الله** عنها .

(الشوكاني – البدر الطالع 164/1)

ومن آثاره المدرسة الفائقة بين القصرين لم يتقدم بناء مثلها في القاهرة وسلك في ترتيب من

قرره فيها مسلك شيخون في مدرسته فرتب فيها أربعة من المذاهب وشيخ تفسير وشيخ إقراء وشيخ حديث وشيخ ميعاد إلى غير ذلك .

(ابن حجر العسقلاني – إنباء الغمر بأبناء العمر 53/4)

وكانت مدة استقلاله بأمور المملكة من غير **مشارك تسع عشرة سنة وأشهرا، ومدة سلطنته في المرتين ست عشرة سنة ونحو نصف سنة**، وكان شهما شجاعا ذكيا خبيرا بالامور إلا أنه كان طماعا جدا لا يقدم على جمع المال شيئا ولقد أفسد أمور المملكة بأخذ البدل على الولايات حتى وظيفة القضاء والامور الدينية .

(السخاوي – الضوء اللامع 12/3)

وترك ثلاثة أولاد ذكور: **فرج** وتسلطن من بعده، **وعبد العزيز** وتسلطن أيضاً, **وإبراهيم** ومات – هو **وعبد العزيز** – في حياة أخيهما فرج وسلطته الثانية، بثغر **الإسكندرية**، واتهم فرج بأنه سمهما وخلف **برقوق** ثلاث بنات تزوجن من بعده.

وكان ملكاً حازماً، شهماً، صارماً، شجاعاً، مقدما، فطناً، له خبرة بالأمور ومهابة عظيمة، ورأي جيد ومكر شديد، وطمع زائد وكان يحب الاستكثار من المماليك، ويقدم الجراكسة على الأتراك والروم، ويشره في جمع المال، بحيث لم يشبع منه، ويرغب في اقتناء الخيول والجمال وكان كثير التؤدة، لا يكاد يعجل في شيء من أموره، بل يتروى في الشيء المدد الطويلة، ويتصدى للأحكام بنفسه، ويباشر أحوال المملكة كلها، ويجل أهل الخير ومن ينسب إلى الصلاح وكان يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخل أحد منهم عليه، ولم يكن يعهد ذلك من ملوك مصر قبله وتنكر للفقهاء في سلطنته الثانية من أجل أنهم أفتوا بقتله، فلم يترك إكرامهم قط مع شدة حنقه عليهم .

(المقريزي – السلوك 343/5)

وخطب له على منابر توريز عندما أخذها **قرا محمد** وضرب الدنانير والدراهم فيها باسمه،

وبعثها إلى حضرته بقلعة الجبل وخطب له على **منابر الموصل**، وعلى **منابر ماردين**، **ومنابر سنجار** وأخذت عساكره **دوركى وأرزنكان** من أرض **الروم** ، رحمه الله تعالى.

(المقريزي – السلوك 448/5)

2) حوليات الظاهر برقوق (2) :

(سنة اثنين وتسعين وسبعمائة)

- **وفي صفر : جلس السلطان بالميدان تحت القلعة للنظر في المظالم والحكم بين الناس على عادته، فهرع الناس إليه، وأكثروا من الشكايات، فكثر خوف الأكابر وفزعهم، وترقب كل منهم أن يشتكي إليه.**
- **وفيها : خلع على يلبغا الناصري، واستقر مقدم العساكر المتوجهة لقتال منطاش**
- **وفيها : قدم البريد بأن منطاش ونعيرا جمعا جمعاً كبيراً من العربان والتركمان، وساروا لمحاربة النواب، فخرج الأمير يلبغا الناصري والأمير ألطنبغا الجوباني بالعساكر من دمشق إلى سليمة.**
- **وفيها : قدم البريد أن منطاش انكسر، فأقام الأشرفية بدله ألطبغا الأشرفي**
- **وفيها :: نودي على المماليك والأجناد البطالين بالحضور لأخذ النفقة، والسفر لقتال نعير، ومنطاش.**
- **ومات في هذه السنة أمير حاج ابن السلطان ، ودفن بالمدرسة الظاهرية .**

(سنة ثالث وتسعين وسبعمائة)

- **وفي المحرم : قدم البريد من دمشق بأن الأمير يلبغا الناصري تنافس هو والأمير الكبير أيتمش، فأظهر الخروج عن الطاعة، ولبس السلاح، وألبس حاشيته ونادى بدمشق من كان من جهة منطاش فليحضر، فصار إليه نحو الألف ومائتي**

فارس من المنطاشية، فقبض عليهم كلهم وسجنهم، وكتب إلى السلطان يُعَرِّفه بذلك، فأجابه بالشكر والثناء.

- وفيها : نودي لا يركب متعمم فرساً إلا أرباب الوظائف الكبار، ومن وجد عنده فرس أخذت منه.
- وفيها : هدمت سلالم باب مدرسة السلطان حسن، والسلالم التي تصعد إلى السطح، والمناراتان ، وفتح بابها من شباك بالرميلة تجاه باب السلسلة، وصار يتطرق إليها منه، ويقف المؤذنون عنده ويؤذنون في أوقات الصلاة .
- وفيها : قدم البريد بأن العساكر وصلت إلى مدينة عينتاب، ففر منطاش إلى جهة مرعش، وحضر عدة من جماعته إلى الطاعة.
- وفيها : اجتمع القضاة والأمير بدخاص الحاجب بشباك المدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة، وأحضر الأمير ألطبغا دوادار جَنْتمر، وأوقف تحت الشباك في الطريق، وادعى عليه مما اقتضى إراقة دمه، وشُهد عليه به، فضرب عنقه، وشهد أيضاً على الأمير ألطبغا الحلبي، فضرب عنقه وحملت رؤسهما على رمحين ونودي عليها في القاهرة.
- وفيها : قدم البريد من صفد بأن منطاش فر من دمشق، وتبعته العساكر، فسر السلطان والأمراء بذلك.
- وفي رمضان : قدم بريد السلطان بنزوله قطيا، وأن الأخبار صحت بفرار منطاش من دمشق في خمسين فارساً.
- وفيه : دخل السلطان إلى دمشق وقد زينت له، وخرج الأمير يلبغا الناصري إلى لقائه بمنزلة اللجون، فكان يوماً مشهوداً.

- **وفيه :** نودي بدمشق بالأمان وصلى صلاة الجمعة في جامع بني أمية وعندها انقضت الصلاة نادى الجاويش في الناس بالأمان، والماضي لا يعاد، ونحن من اليوم تعارفنا، فضج الناس بالدعاء للسلطان، وقد كانوا مترقبين بلاء كبيراً ينزل بهم منه، لسوء ما فعلوا معه في السنة الماضية، وكثرة مبالغتهم في سبه، وإعلانهم بفاحش القول له، وهم يقاتلونه.
- **وفيه :** نودي في القاهرة بمنع النساء من الخروج يوم العيد إلى الترب، ومن خرجت وسطت هي والمكاري والحمارة وألا يركب أحد في مركب للتفرج على النيل، وهدد من فعل ذلك بإحراق المركب، فلم يتجاسر أحد يخرج في العيد إلى القرافة، ولا إلى ترب القاهرة.
- **وفيه :** قدم البريد بنزول أبي يزيد بن عثمان ملك الروم إلى قيصرية وأخذها.
- **وفيه :** نودي بالقاهرة ألا تلبس امرأة قميصاً واسعاً، وكان النساء بالغن في سعة القمصان وفحش هذا حتى تشبه عوام النساء فيه بنساء الملوك والأعيان.
- **وفيه :** قدم البريد بأن الخبر ورد بقبض سالم الذكرى على منطاش، فنودي في القاهرة بالأمان، وقد حصل غريم السلطان، فدقت البشائر ثلاثة أيام فنودي بتبييض حوانيت قصبة القاهرة، فشرع الناس في ذلك.
- **وفيه :** مات الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الكبير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار ولد بالقاهرة، ثم أعطاه الملك الناصر محمد بن قلاون إمرة طبلخاناه في حياة أبيه، وما زالت بيده إلى الأيام الناصرية حسن، فأعطاه إمرة مائة وولي نيابة غزة ، ثم استعفي من الإمرة، وتركها، ولبس عباءة، وركب حماراً، ومشى بالأسواق، وتقنع بما يتحصل من أوقاف أبيه، وأقبل على عبادة الله، حتى مات .

(سنة أربع وتسعين وسبعمائة)

- وفيها: تزوج السلطان بنت المعلم شهاب الدين أحمد الطولوني المهندس.
- وفيها: استقر الأمير كُمُشبغا الحموي أتابك العساكر بعد موت الأمير الكبير أينال اليوسفي واستقر الأمير أيتمش البجاسي رئيس نوبة النوب.
- وفيها: عزل شيخ الشيوخ المعروف بشيخ الإسلام أصلم بن نظام الدين الأصفهاني، وسلم لشاد الدواوين على حمل مائتي ألف درهم وذلك أن السلطان لما اختل أمره بحركة الأمير يلبغا الناصري ، همَّ الملك الظاهر بالهرب، وأعطى شيخ الشيوخ هذا خمسة آلاف دينار، وواعده أن ينزل إليه ويختفي عنده، فلم يِف له بذلك، وغيب عنه فاختفي السلطان عند أبي يزيد فلما عاد إلى الملك طلب منه الخمسة آلاف دينار على لسان الدوادار، فقال " تصدقت بها على الفقراء " فلما ألح الدوادار في مطالبته قال: " أعلم السلطان أني أجمع الفقراء من الزوايا والربط وألزمهم بإعادة ما تصدقت به عليهم، وأقول لهم إن لسلطان قد عاد في صدقته فإنه لم يدفع هذا المال إلي إلا لأتصدق به، لا أنه وديعة عندي " فلما أعاد الدوادار على السلطان هذا القول أسرها في نفسه، وصبر كعادته حتى وقف إليه من ادعى أن تاجراً ترك عند شيخ الشيوخ عدة أحمال، فيها ثياب ليسافر بها من غير مكر فأمر بطلبه من خانكاه سرياقوس فلما وقف مع غريمه اعتذر، فقال بعض من حضر أنه مكتوب في يده سحر يسحر به السلطان، فعزله من المشيخة.
- وفيها : نودي بخروج القطعان الذين قطعت أيديهم في السرقات، والبرصان، والجذماء، من القاهرة وظواهرها، وهدد من أقام منهم بالتوسيط ثم عفي عن القطعان من النفي.

(سنة خمس وتسعين وسبعمائة)

- وفي رمضان : قدم البريد من حلب بالقبض على منطاش فدقت البشائر، ونودي بالزينة فزينت القاهرة ومصر، ونودي من الغد بأن منطاش قد قبض عليه.
- وفيه : توجه الأمير سيف الدين طولو من علي باشا على البريد لإحضار منطاش، فسار إلى حلب، وعصره ليقر فلم يعترف بشيء، ثم ذبح، وحملت رأسه على رمح وطيف بها حلب، وسائر مدن الشام، حتى قدمت قلعة الجبل ، علقت على باب القلعة، ثم طيف بها – على رمح – القاهرة ومصر، وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام ثم حطت وسلمت إلى زوجته أم ولده فدفنت .
- وفيها : قدم رسول الملك الظاهر مَجْد الدين عيسى – صاحب ماردين – بأن تَيْمور لنك أخذ تبريز، وبعث إليه يستدعيه إلى عنده بها، فاعتذر بمشاورة سلطان مصر، فلم يقبل منه وقال: " ليس لصاحب مصر عليك حكم، ولأسلافك دهر بهذا الأقليم ".
- وفيها : قدم رسول صاحب بسطام بأن تيمور قتل شاه منصور متملك شيراز، بعث برأسه إلى بغداد، وبعث بالخلعة والصكة إلى السلطان أحمد بن أويس
- وفيها : أمر في القاهرة ومصر بتجهيز الناس للسفر لقتال تيمور لنك، فإنه قصد أخذ البلاد، وقتل العباد، وهتك الحريم، وقتل الأطفال، وأحرق الديار، فاشتد بكاء الناس، وعظم خوفهم، وكان من الأيام الشنعة.

(سنة ست وتسعين وسبعمائة)

- وفيها: عقد السلطان على الخاتون تندي، بنت حسين بن أويس .
- وفيها: قبض ما وقع الاتفاق عليه من مال الأيتام، وذلك أن السلطان احتاج إلى المال بسبب السفر، فسأل قاضي القضاة صدر الدين المناوي أن يقرضه من

مال الأيتام، فامتنع كما امتَنع من قرض منطاش فلما سمع ذلك بن أبي البقاء وجد سبيلاً إلى ولايته، ووعد على عوده إلى القضاء بمال يقوم به هو، وأن يقرض السلطان خمسمائة ألف وستين ألف درهم من مال الأيتام، فأجيب

- وفيها: رحل السلطان من الريدانية، وكانت عدة الجمال التي فرقت في المماليك أربعة عشر ألف جمل، وعدة الخيل المفرقة في المماليك السلطانية ألفين وخمسمائة فرس، سوى ما عندهم من الخيل، وهي أضعاف ذلك، وهذه الخيول والجمال في المماليك خاصة.
- وفيها: قدم إلى مدينة دمشق رسل طقتمش خان، صاحب كرسي أزبك خان ببلاد القبجاق، بأنه يكون عوناً مع السلطان على تيمور لنك.
- وفيها: قدم الخبر بأن تيمور لنك رجع إلى بلاده، فدقت البشائر ثلاثة أيام.
- وفيها: قدم الخبر على السلطان من القان أحمد بن أويس، أنه لما وصل إلى ظاهر بغداد، خرج إليه نائب تيمور بها، وقاتله فانكسر، ودخل بغداد، وأطلق المياه على عسكر ابن أويس ليغرقه، فأعانه الله وتخلص منها بعد يومين، وعبر بغداد، وقد هرب التيمورية منها، فاستولى عليها، واستخدم جماعة من التركمان والعربان، فلما بلغ ذلك تيمور جهز أمراءه بالأموال إلى سمرقند .
- وفيها: قدمت رسل ابن عثمان على السلطان بأنه جهز لنصرة السلطان مائتي ألف، وأنه ينتظر ما يرد عليه ليعتمده .
- ومات في هذه السنة إبراهيم ابن السلطان ، ودفن بالمدرسة الظاهرية .

(سنة سبع وتسعين وسبعمائة)

- وفي المحرم : قدم السلطان وصعد إلى القلعة، فكان يوماً مشهوداً وكان الشيطان قد أجرى على ألسنة العامة كلمة سوء، وهي: لو جاء السلطان لوقع الرخاء وصاروا يتَناجون بذلك في كل موضع، فأخلف الله ظنهم، وتزايدت الأسعار من يوم دخوله، تصديقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: " من تعلق بشيء وكل إليه " واتفق مع تزايد الأسعار كثرة ظلم الدولة، ووقوع الوباء، ووقوف أحوال الناس من قلة المكاسب.
- وفيها: أعاد السلطان على الأيتام المال الذي اقترضه من المودع .
- وفيها: أعيد صدر الدين محمود المناوي في قضاء القضاة بديار مصر، وعزل البدر محمد بن أبي البقاء لفراغ الغرض منه .
- وفيها: مات الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان ، وكان قد أعيا الأطباء داؤه الذي برجليه وبه مات وهو أكبر أولاد السلطان، ودفن في التربة الظاهرية.

(سنة ثمان وتسعين وسبعمائة)

- وفي المحرم : نزل الطواشي صندل، والطواشي شاهين الحسني، وابن الطبلاوي إلى خربة خلف مدرسة الأمير محمود، وأخرجوا من الأرض – بعد حفر كثير – عدة أزيار فيها ألف ألف درهم فضة، حملت إلى السلطان.
- وفيه : ظفر أيضاً بمبلغ ثمانية وثلاثين ألف ومائتين وثلاثين ديناراً في مخزن حمار بثغر الإسكندرية، حملت إلى السلطان.
- وفي ربيع الآخر: ابتدأ السلطان بعمل الخبز الذي يفرق في الفقراء، وهو عشرون إردباً من القمح تعمل خبزاً، وتولى ابن الطبلاوي ذلك، فعمت فقراء القاهرة ومصر وأهل السجون وسكان القرافة، فكفى الله الناس بهذا الخبز هماً عظيماً، بحيث لم

يعرف أن أحداً مات في هذا الغلاء بالجوع، واغتنى جماعة منه، فإنهم صاروا يأخذون الخبز من عدة مواضع ويبيعونه .

- وفيه: جلس السلطان لتفرقة الصدقة أيضاً، فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر، بحيث مات منهم في الازدحام بباب الإصطبل سبعة وأربعون نفساً، تولى تكفينهم ودفنهم الأميران فارس حاجب الحجاب، والوزير مبارك شاه.
- وفي جمادى الأولى : توجه السلطان إلى بر الجيزة وعمل في كل يوم طعاماً للفقراء يفرق فيهم اللحم والمرق والخبز، فبلغ عدد الفقراء الذين يأخذون ذلك خمسة آلاف نفس ومن فاته الأخذ من الطعام أخذ مع الرغيف درهماً، فإن فاته الخبز وأخذ من الطعام، أخذ عوض الخبز نصف درهم، ومن فاته الطعام والخبز أخذ درهماً ونصف.
- وفيه: حضِر شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني بالجامع الأزهر من القاهرة بعد العصر للدعاء برفع الغلاء، ومعه خلائق، فكان وقتاً عظيماً .
- وفيه : اكثر السلطان من تفرقة دنانير الذهب والدارهم الفضة، والخبز والطعام، حتى عم الفقراء والمساكين وغيرهم، وصار لبعضهم من ذلك غنى.
- وفيه: انحلت الأسعار لكثرة ما جُلب فسخط جلابة الغلال، وانحدروا بها إلى جهة الإسكندرية طلباً للسعر الغالي، فتكالب الناس على شراء الخبز والدقيق وتخاطفوه من رؤوس الحمالين، فكان يوماً مهولاً، ووقف الناس من الغد إلى السلطان وضجوا من عدم ما يأكلونه .
- وفيه : رُسم أن يباع الرغيف بربع درهم، والناس في غاية الإنهماك على طلبه، وخطفه من الأفران، وقتال بعضهم لبعض بسببه ، فكانت أيام شنعة.

- وفيها : مات تقي الدين عبد الرحمن بن أحمد بن علي، المعروف بابن الواسطي، وبابن البغدادى، وكان عارفاً بالقراءات، وعلم الميقات، ويقرأ بالمصحف في الجامع الأزهر، ويقوم في رمضان بعد التراويح إلى طلوع الفجر .
- وفيها : ماتت خوند عائشة القردمية بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، بعد ما كبر سنها، وتلف مالها، بتبذيرها وإسرافها، حتى افتقرت.

(سنة تسع وتسعين وسبعمائة)

- وفي ربيع الآخر: عدى السلطان إلى بر الجيزة ، فصاح العوام، وشكوا من ابن البرجي المحتسب، وسألوا عزله وفي ثالثه: وقف أوباش العامة تحت القلعة، ورصدوا ابن البرجي حتى نزل، ورجموه بالحجارة حتى كاد يهلك، لولا امتنع ببيت بعض الأمراء وكان ذلك بإغراء المخانسي وتفرقته مبلغ مائتي درهم في عدة من أوباش العامة ليرجموا ابن البرجي، ويسألوا عزله وعود المخانسي، فتم له ذلك واشتد صراخ العامة بعد رجم البرجي، وهو يسألون عزله وولاية المخانسي فاستدعى وخلع عليه من يومه.
- وفي رمضان: أقيمت الخطبة بالجامع الأقمر ، ولم يعهد فيه قط خطبة، لكن لما جدد الأمير يلبغا السالمي عمارته بنى على بابه مناراً يؤذن عليه، ولم يكن به منارة قبل ذلك، وجدد بوسطه بركة ماء، وبصدره منبراً، فاستمر ذلك.
- وفي ذي الحجة: توعك بدن السلطان إلى تاسعه، فنودي بالزينة، فزينت القاهرة ومصر، ودقت البشائر لعافية السلطان.
- وفيها : مات شعبان بن الملك الظاهر برقوق، وهو طفل .
- وفيها : مات الشيخ المسند المعمر زين الدين أبو الفرج المعروف بابن الشيخة الشافعي وأخذ الفقه على مذهب الشافعي عن التقي السبكي وحدث

بصحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، وموطأ مالك، وغير ذلك مما يطول شرحه، وتصدى للأسماع عدة سنين، حتى مات وكان شيخاً مباركاً.

(سنة ثمانمائة)

- وفي المحرم : عاد السلطان من سرياقوس ولم يخرج إليها بعد ذلك، ولا أحد من السلاطين، وجهلت عوائدها، وخربت القصور، وكانت من أجمل عوائد ملوك مصر.
- وفي صفر: استقر الأمير أيتمش البجاسي أتابك العساكر .
- وفيها : عمل السلطان المولد النبوي على عادته في كل سنة، وحضر شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني ، وقضاة القضاة، وعدة من شيوخ العلم في الحوش من القلعة تحت خيمة ضربت هناك فلما فرغ القراء من قراءة القرآن، قام الوعاظ واحداً بعد واحد فدفع لكل منهم صرة فيها أربعمائة درهم فضة، ومن كل أمير شقة حرير، وعدتهم عشرون واعظاً ثم مدت الأسمطة الجليلة فلما أكلت، مدت أسمطة الحلوى، فانتهبت كلها فلما فرغ الوعاظ مضى القضاة، وأقيم السماع من بعد ثلث الليل إلى قريب الفجر.
- وفيها : قدم الخبر بمسير تيمورلنك إلى بلاد الهند، وأنه ملك مدينة دلهي.
- وفيها: استقر الأمير الكبير أيتمش الأتابك في نظر المارستان المنصوري، عوضاً عن ابن الطبلاوي.
- وفيها مات الشيخ المعتقد أبو عبد الله محمد المعروف بالكركي وكان عند السلطان بمنزلة مكينة جداً، يجلسه إلى جانبه، وتحته قاضي القضاة الشافعي ولم يغير لبس العباءة، ولا أخذ شيئاً من المال والناس فيه بين مفرط في مدحه، ومفرط في الغضب

منه وتولى الأمير يلبغا السالمي تجهيزه إلى قبره، وبعث السلطان مائتي دينار لذلك، ولقراءة القرآن على قبره مدة أسبوع .

(سنة إحدى وثمانمائة)

- أهل هذا القرن التاسع وخليفة الوقت أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن المعتضد، وسلطان الديار المصرية، والبلاد الشامية، والحرمين – مكة والمدينة – الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق ونائبه بدمشق الأمير تنم الحسني، ونائبه بحلب الأمير أرغون شاه الخازندار، والأمير الكبير أتابك العساكر بديار مصر الأمير أيتَمش البجاسي .
- وفي المحرم : رسم السلطان للفقراء بمال كبير يفرق فيهم، فاجتمع تحت القلعة منهم عالم كبير وازدحموا لأخذ الذهب، فمات في الزحام منهم سبعة وخمسون شخصاً، ما بين رجل وامرأة، وصغير وكبير.
- وفي هذا الشهر: ورد البريد بأن السكة ضربت في ماردين باسم السلطان، وخطب له بها على المنبر، وحملت الدنانير والدراهم باسم السلطان إليه .
- وفيها : نودي: " من له ظلامة، من له شكوى، فعليه بالباب الشريف "وجلس السلطان على العادة في يومي الثلاثاء والسبت للنظر في المظالم .
- وفيها: حضر ابن خلدون وخلع عليه، واستقر في قضاء القضاة المالكية وهذه ولايته الثانية بعد ما أقام معزولاً نحو خمس عشرة سنة.
- وفيها: ورد الخبر بأخذ تيمور لنك بلاد الهند، وأن سباياها أبيعت بخراسان بأبخس الأثمان .

- **وفي شوال : صلى السلطان صلاة عيد الفطر بالميدان على العادة، وصلى به قاضي القضاة صدر الدين محمد المناوي، وخطب، وخلع على الأمراء وسائر أرباب الدولة على العادة، فكان يوماً مشهوداً وأقبل الناس في يوم العيد وما بعده على أنواع من اللهو في القرافة والترب خارج القاهرة، وبخرطوم الجزيرة الذي انحسر عنها ماء النيل ببولاق، فمر لهم فيه مسرات، وتفننوا في أنواع اللذات، وكأنما كانوا يودعون الأمن والراحات.**
- **وفي يوم الثلاثاء خامسه: ابتدأ مرض السلطان الذي به مات .**

(المقريزي – السلوك)

3) مجريات الملك الظاهر برقوق :
(بين الظاهر والمنصور)

ولما دخل برقوق إلى **الديار المصرية** فرشت الشقق الحرير تحت حوافر فرسه؛ فقدم الملك المنصور حاجي بن الأشرف حتى مشى بفرسه عليها، ومشى بجانبه، فصار كأن الموكب للمنصور، فوقع هذا من الناس موقعاً عظيماً، ورفعوا أصواتهم بالدعاء والابتهال له لتواضعه مع المنصور في حال غلبته وقهره له، وأنه معه أسير، وعد هذا من فضائله .

وعندما وصل إلى باب القلعة نزل عن فرسه، ومشى راجلاً تجاه فرس المنصور – وهو راكب – حتى نزل، فأخذ يعضده وأنزله، فحسن هذا منه إلى الغاية وأخذ في المبالغة في تعظيمه ومعاملته مما يعامل به الأمراء سلطانهم، إلى أن أدخله داره **بالقلعة** ثم تفرغ لشأنه .

واستَدعى الخليفة **وشيخ الإسلام وقضاة القضاة** وأهل الدولة، وجدد عقد السلطنة وصعد **القلعة**، وتسلم قصوره، وقد عاد إليها حرمه وجواريه، فحقت البشائر واستمرت التهاني والأفراح بالقلعة ودور الأمواء وأهل الدولة، ونودي بالأمان والدعاء **للسلطان**، فسر الناس

في هذا اليوم مسرة كبيرة جداً.

(ابن تغري بردي – مورد للطافة 117)

(برقوق والظفر بمنطاش)

لما استقر الملك **الظاهر برقوق** خلع على أمرائه ونوابه في البلاد ثم رسم بالإفراج عن **المقر السيفي يلبغا الناصري** الذي كان قد خامر على **السلطان** وجرى منه ما جرى وكان سببا لزوال ملك **الظاهر برقوق** ،

(ابن ياس – بدائع الزهور)

فقابل الأتابك **يلبغا الناصري** خجداشه بالجميل، وأخرجه من سجن **الأسكندرية** هو وجماعة كثيرة من الأمراء **اليلبغاوية خجداشيته** ممن كان **منطاش** حبسهم – وهم الذين كانوا خرجوا عليه مع **الناصري** وخلعوه من الملك – فلم يؤاخذ أحدا منهم أولا .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 118)

وأخلع على **الناصري** وقال له : هذا غريمك **منطاش** بالبلاد **الشامية** ثم جهزه الظاهر **برقوق**، وجعله مقدم العساكر لقتاله

وتسحب **منطاش** إلى جهة **نعير**، ثم بلغ **برقوق** أن **الناصري** تهاون في أمر **منطاش**؛ فأسرها له، وتجرد إلى **البلاد الشامية**، وقبض عليه، وقتله بقلعة **حلب** , ثم تتبع **الظاهر برقوق** أعداءه، إلى أن قتلهم عن آخرهم .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 118)

كان الذين قتلهم الملك **الظاهر برقوق** من الأمراء في حلب ثلاثة وعشرين أميرا، وكان سبب ذلك أن الأمير **سالم الدوكاري** أمير التركمان أرسل يعرف السلطان بأن **يلبغا الناصري** أرسل إليه كتابا وهو يقول فيه: خذ **منطاش** واهرب به إلى بلاد الروم، فإنه مادام **منطاش** موجودا فنحن موجودون .

(ابن ياس – بدائع الزهور)

وليلة عوده من **حلب** قتل **يلبغا الناصري** وجماعة من الأمراء بقلعة **حلب المحروسة** .

قال **ابن خلدون** : كان **منطاش** قد فر مع **سالم الدوكاري** إلى **سنجار** وأقام معه أياما ثم فارقه ولحق **بنعير** ونسي **السلطان** لما ظفر **بمنطاش** ما قاساه من التعب ومن القهر ومن المال الذي صرفه على التجاريد، فكان كما قيل:

إذا ظفرت من الدنيا بقربكم .. فكل ذنب جناه الدهر مغفور

وانقضى أمر **منطاش** .

(الطباخ – اعلام النبلاء 348/2)

(السلطان والفقراء)

وكان يذبح دائما فى طول أيام إمارته وسلطنته فى كل يوم من أيام شهر رمضان خمسا وعشرين بقرة، يتصدق بها بعد ما أن تطبخ، ومعها آلاف من أرغفة الخبز النقى، تفرق على أهل الجوامع والمساجد والربط وأهل السجون، لكل إنسان رطل لحم مطبوخ، وثلاثة أرغفة ، غير ما كان يفرق فى الزوايا من اللحم أيضا، فإنه كان يعطى لكل زاوية خمسين رطلا من اللحم الضأن، وعدة أرغفة فى كل يوم، وفيهم من يعطى أكثر من ذلك بحسب حالهم .

وكان يفرق فى كل سنة فى أهل العلم والصلاح مائتى ألف درهم، الواحد إلى مائة دينار، وكان يفرق فى فقراء القرافتين لكل فقير من دينار إلى أكثر وأقل، ويفرق فى كل سنة ثمانية آلاف إردب قمحا على أهل الخير وأرباب الصلاح.

ويبعث فى كل سنة إلى بلاد **الحجاز** ثلاثة آلاف إردب قمحا، تفرق فى الحرمين وفرق فى مدة الغلاء كل يوم أربعين إردبا؛ عنها ثمانية آلاف رغيف، فلم يمت فيه أحد من الجوع.

(ابن تغري بردي – كتاب النجوم الزاهرة 109/12)

وكان غير هذا كله يبعث فى كل قليل بجملة من الذهب تفرق فى الفقهاء والفقراء، حتى إنه

تصدق مرة بخمسين ألف دينار مصرية على يد **خازنداره العبد الصالح الطواشى** صندل المنجكى الرومى , وأبطل عدة مكوس

(ابن تغري بردي – كتاب النجوم الزاهرة 110/12)

كثير الصدقات وقف ناحية بهبيت من الجيزة على سحابة تسير مع الركب إلى **مكة** في كل عام، ومعها جمال تحمل المشاة من الحاج، ويصرف لهم ما يحتاجون إليه من الماء والزاد ذهاباً وإياباً ووقف أرضاً على قبور أخوة **يوسف** – عليه السلام – بالقرافة وكان يذبح دائماً طول أيام إمارته وسلطنته في كل يوم من أيام **شهر رمضان خمسة وعشرين بقرة**، يتصدق بها بعد ما تطبخ، ومعها آلاف من أرغفة الخبز النقي، على أهل الجوامع والمشاهد والخوانك والربط وأهل السجون، لكل إنسان رطل لحم مطبوخ وثلاثة أرغفة من نقي البر، سوى ما كان يفرق في الزوايا من لحم الضأن، فيعطى في كل يوم لكل زاوية **خمسون** رطلاً وعدة أرغفة خبز، وفيهم من يعطى أكثر من ذلك بحسب حالهم، ويفرق كل سنة على نحو عشرين زاوية لكل زاوية ألف درهم فضة، ويفرق كل سنة في أهل العلم والصلاح **مائتين ألف درهم** الواحد، إلى **مائة دينار ذهباً** ومنهم من له أقل من ذلك بحسب حاله، ويفرق في فقراء القرافتين لكل فقير من دينارين إلى أكثر وأقل، ويفرق في الخوانك وغيرها كل سنة مالاً كثيراً وكان يفرق في كل سنة **ثمانية آلاف** أردب قمحاً على أهل الخير وأرباب الستر ويبعث في كل سنة إلى **الحجاز** ثلاثة آلاف أردب قمحاً تفرق بالحرمين وفرق في مدة الغلاء كل يوم أربعين أردباً، منها ثمانية آلاف رغيف، فلم يمت فيه أحد بالجوع، فيما علمنا وكان يبعث كل قليل بجملة من الذهب تفرق في الفقراء والفقهاء، حتى أنه تصدق مرة بخمسين ألف دينار ذهباً على يد **الطواشي** صندل المنجكي.

(المقريزي – السلوك 5/ 446)

(منشآت الظاهر برقوق)

وأنشأ **بالقاهرة مدرسة** لم يعمر مثلها **بالقاهرة**، ورتب بها صوفية بعد العصر كل يوم، وأجرى على الجميع في كل يوم الخبز النقي ولحم الضأن المطبوخ وفي كل شهر الحلوى والزيت والصابون والدراهم، ووقف على ذلك الأوقاف الجليلة من الأراضي والدور ونحوهما.

ورم القناة التي تحمل ماء النيل إلى قلعة الجبل، حتى صلحت بعد ما أعيت من تقدمه من الملوك وجمد عمارة الميدان تحت **قلعة الجبل** بعد ما خرب، وسقاه وزرع به القُرْط وغرس فيه النخل، وعمر صهريجاً، ومكتباً يقرأ فيه الأَيتام **القرآن** الكريم بقلعة الجبل، وجعل عليه وقفاً داراً، وعمر بها أيضاً طاحوناً وعمر أيضاً سبيلاً تجاه باب الضيافة تحت قلعة الجبل.

(المقريزي – السلوك 5/ 447)

(برقوق وتيمورلنك)

(التعريف بتيمور)

كان ظهور **تمرلنك بالديار الهندية وخراسان والعراق**، وكان ظهوره من أشد المحن والبلايا على هذه الأمة، أفسد في الأرض وأهلك الحرث والنسل، وهو وإن كان يدعي الإسلام إلا أن قتاله مثل قتال الكفار لأنه فعل أفعالا مع المسلمين أكثر مما تفعله الكفار من القتل والأسر والتخريب، وكان رافضيا شديد الرفض .

وكان مبدأ أمره وأمر أبيه أنهما كانا فقيرين وكان أبوه أسكافيا من مدائن ما وراء النهر، ونشأ ولده **تيمور** جلدا قويا ذا جسم غليظ، فكان لشدة فقره يسرق كثيرا، فسرق في بعض الليالي شاة واحتملها فشعر به الراعي فرماه بسهمين أصاب بأحدهما فخذه وبالآخر كتفه فأعابهما فكان أعرج اليمناوين، ولذلك كان يقال له نصف إنسان، ومع هذا لم يترك السرقة، وما زال كذلك حتى اشتهر أمره وإفساده، فظفر به **السلطان حسين** ملك **هراة** فأمر بضربه ثم بصلبه، ثم تشفع فيه الأمير غياث الدين ابن **السلطان حسين** المذكور، فقال

له أبو حسين: **هذا أصل مادة الفساد، لئن بقي ليهلكن العباد والبلاد**، فقال له ابنه غياث الدين:

وما عسى أن يصدر من نصف آدمي وقد أصيب بالدواهي، فما زال يراجع أباه حتى قبل شفاعته ووهبه له وعفا عنه , ثم إن غياث الدين اصطحبه معه وقربه وأدناه وجعله من خواصه وزوجه أخته ورقاه حتى صار من وزرائه، فلما صار الملك لغياث الدين بعد موت أبيه حسين ازدادت منزلة تيمور وصار مقدما على كثير من الجند فطغى وبغى على مولاه غياث الدين ومبدأ ذلك أن زوجة تيمور وهي أخت السلطان غياث الدين وقع بينها وبين تيمور شيء أغضبه فقتلها ولم يراع حرمة مولاه، ثم لم يسعه الأمر إلا بالخروج على السلطان غياث الدين وخلع الطاعة واقتعد غارب التمرد والطغيان، فتملك بما كان تحت يده من الجند كثيرا من الممالك حتى استصفى **ممالك ما وراء النهر** وذلت لأوامره ملوك الدهر، وشرع في استخلاص بقية البلاد واسترقاق العباد، فكان يجري في جسد العالم مجرى الشيطان من بني آدم ويدب في البلاد دبيب السم في الأجساد، ثم أرسل إلى مخدومه سلطان هراة الملك غياث الدين يطلب منه الدخول في طاعته ليجازيه على إحسانه بإساءته فأرسل غياث الدين يقول له:

أما كنت خادما لي وأحسنت إليك وأسبلت ذيل نعمتي عليك، وذلك بعد أن نجيتك من الضرب والصلب، فإن لم تكن إنسانا يعرف الإحسان فكن كالكلب .

فلم يصغ لذلك بل عبر **جيحون** بمن معه من الجند وتوجه إلى محاصرة مولاه غياث الدين **بهراة**، ولم يكن لغياث الدين قوة إلى قتاله والوقوف بين يديه فحصن نفسه في القلعة فحاصره وضيق عليه ثم أمنه وقبض عليه وحبسه ومنع عنه الطعام والشراب حتى مات جوعا وعطشا، ثم عاد إلى خراسان فانتقم أولا من أهل **سجستان** فوضع السيف فيهم

فأفناهم عن آخرهم، ثم خرب المدينة ورحل عنها، ولم يزل هذا دأبه حتى تخلص له جميع ممالك العجم ودانت له ملوكهم والأمم .

(ابن عرب شاه – عجائب المقدور في نوائب تيمور)

إن الناس ما صدقوا أن فتنة منطاش قد خمدت حتى استأنفت لهم فتنة أخرى .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

وجاءت الأخبار بأن **تمرلنك** عاث في مخلفه واستصفى ذخائره واستوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لأغنيائهم وفقرائهم حتى مستهم الحاجة وأقفرت جوانب **بغداد** من العيث .

(ابن خلدون – ديوان المبتدأ والخبر)

ثم قدم **أحمد بن أويس** صاحب بغداد على **السلطان** مستصرخا به على طلب ملكه والانتقام من عدوه، فأجاب **السلطان** صريخه ونادى في عسكره بالتجهيز إلى **الشام** .

خرجت التجريدة من **القاهرة** في تجمل زائد واستمرت الأطلاب تنسحب من باكر النهار إلى قريب الظهر وكان يوما مشهودا .

(الطباخ – اعلام النبلاء 374/2)

فلما خرجت التجريدة اشتد الأمر على الناس وكان **السلطان** قد رسم بأخذ زكاة الأموال من التجار وجبيت الأموال من الناس غصبا بالعصا ، ثم فرج **الله** عنهم وجاءت الأخبار بأن **تمرلنك** رجع إلى بلاده ، فسكن الاضطراب ورسم **السلطان** بإعادة ما أخذوه من الناس فتزايدت أدعيتهم له بالنصر .

(بعض من كتاب تيمورلنك إلى الملك الظاهر برقوق)

في ثالث عشر صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة حضرت رسل **تمرلنك** وهم أربعة ومعهم كتاب نسخته بعد البسملة الشريفة:

" قل **اللهم فاطر** السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما

كانوا فيه يختلفون، اعلموا أننا جند الله في أرضه مخلوقون من سخطه، مسلطون على من يحل عليه غضبه، لا نرق لشاك ولا نرحم عبرة باك، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا، فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا، قد خربنا البلاد ويتمنا الأولاد وأظهرنا في الأرض الفساد، خيولنا سوابق وسيوفنا صواعق وسهامنا خوارق، وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال، وجارنا لا يضام، من سالمنا سلم ومن رام حربنا ندم، فإن أنتم قبلتم شرطنا وأطعتم أمرنا فلكم مالنا وعليكم ما علينا، وإن أنتم خالفتم وعلى بغيكم تماديتم فلا تلوموا إلا أنفسكم، وذلك بما كسبت أيديكم، فالحصون لا تمنع، والعساكر لا ترد ولا تدفع، لأنكم أكلتم الحرام وضيعتم الجمع، فأبشروا بالمذلة والهوان فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون "

(جزء من جواب هذا الكتاب من الملك الظاهر برقوق)

فلما سمع السلطان هذا الكتاب اغتاظ غيظا عظيما وأمر بتوسيط الرسل بقتلهم فوسطوا وعلقوا وأمر بكتب جواب، فكتب ذلك **بإنشاء ابن فضل الله العمري** رحمه الله تعالى، ونسخته : بسم الله الرحمن الرحيم" **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير"** حصل الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة الإيلخانية والسدة العظيمة الكبيرة السلطانية، قولكم إنكم مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه، وإنكم لا ترقون لشاك ولا ترحمون عبرة باك، وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم فذلك من أكبر عيوبكم، وهذه صفات الشياطين لا صفات السلاطين " **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون"** ففي كل كتاب لعنتم وعلى لسان كل رسول بالسوء ذكرتم وبكل قبيح وصفتم، وعندنا العلم بكم من حين خلقتم وأنتم الكفرة كما زعمتم، ألا لعنة الله على الكافرين، نحن المؤمنون حقا، لا

يدخلنا عيب ولا يخامرنا ريب، القرآن على نبينا نزل والرب بنا رحيم لم يزل، إنما النار لكم خلقت ولجلودكم أضرمت ، ومن أعجب العجاب تهديد الرتوت باللتوت، والسباع بالضباع، والكماة بالكراع، ونحن خيولنا برقية وسهامنا يمنية، وسيوفنا شديدة المضارب، وذكرنا في المشارق والمغارب، إن قتلناكم فنعم البضاعة، وإن قتلنا فبيننا وبين الجنة ساعة " **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**" وقولكم قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال، فالقصاب لا يبالي بكثرة الغنم وكثير الحطب، يكفيه قليل من الضرم "**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**" , الفرار الفرار من الرزايا لا من المنايا، ونحن من الطمأنينة على عادة الأمنية، إن قتلنا فشهداء وإن عشنا كنا سعداء"**فإن حزب الله هم الغالبون**" أبعد أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين تطلبون منا طاعة، لا سمعا لكم ولا طاعة , وما لكم عندنا إلا السيف بقوة الله تعالى .

قال **الدحلاني**: فلما وصل الكتاب إلى **تيمور** غضب غضبا شديدا، وكأن **الله** ألقى الرعب في قلب **تيمور** من **السلطان برقوق** فرجع إلى بلاده .

(الطباخ – اعلام النبلاء 398/2)

(موت الظاهر ابو سعيد سيف الدين برقوق)

مات رحمه الله تعالى في **ليلة الجمعة نصف شوال سنة إحدى وثمانمائة** , فغُسل وكفُن، وصَلي عليه بالقلعة قاضي القضاة **صدر الدين محمد المناوي**، وحُمل نعشه على الأعناق من **قلعة الجبل** إلى التربة قبل **صلاة الجمعة**، وسائر **الأمراء والعساكر والأعيان والرعايا** مشاة، يضجون ويصرخون، حتى وري تحت التراب تحت أقدام الفقراء حيث أوصى ولم يعهد قبله أحد من الملوك، دفن نهاراً بديار مصر.

(المقريزي – السلوك 449/5)

الفصل الرابع



فرج بن برقوق

1) ترجمة الملك الناصر فرج :

الملك الناصر زين الدين أبو السعادات، فرج ابن الملك الظاهر برقوق ابن الأمير آنص، الجركسي الأصل والسادس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية، والثاني من الجراكسة .

فلما انقضى أمر دفن الملك الظاهر عاد الأمراء، ونودي **بالقاهرة ومصر** بالترحم على برقوق ، والدعاء **للملك الناصر**، وتطمين الناس وأمنهم وخطب يومئذ على منابر **القاهرة ومصر للناصر فرج** ، وكثر الأسف على فقد **الظاهر**، وضربت خيمة ، وقرأ القراء القرآن على قبره، وكان الناس يظنون قيام فتنة عظيمة لموته فلم يتحرك ساكن في هذا اليوم.

وأنشد الأديب المقرئ **شهاب الدين الأوحدي** في ذلك:

وقالوا ستأتي شدة بعد موته .. فأكذبهم ربي وما جاء سوى فرج

(المقريزي – السلوك 449/5)

فتسلطن صبيحة يوم موت والده في **يوم الجمعة النصف من شوال سنة إحدى وثمانمائة بعهد من أبيه .**

وكان عمره يوم تسلطن دون العشر سنين , وأمه أم ولد رومية تسمى : شيرين

وصار الأتابك **أيتمش** مدبر مملكته، ويشاركه **تغري بردي** أمير سلاح .

ثم وقعت أمور، وتفرقت المماليك الظاهرية فرقتين:

فرقة مع **أيتمش** وهم كبار الأمراء وفرقة مع **يشبك** الخازندار وهم أصاغر الأمراء .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 122)

وصار الأمير **أيتمش** مدبر مملكته والأمير **يشبك خازنداره** فوقعت بينهما منافرات أدت إلى مشاجرة ثم إلى قتال فانكسر **أيتمش** فهرب إلى نائب **الشام** وجيش جيوشا على **الناصر ويشبك** فخرج **الناصر** لقتالهم فهزمهم واضطربت أحوال **مصر** لاختلاف الكلمة

ثم وصل **تيمورلنك** إلى بلاد الشام وأخذها من **سردون** الظاهري فخرج إليه **الناصر فرج** فوجده قد توجه إلى بلاد **الروم** فأعطى الشام **لتغري بردي** وعاد **إلى مصر سنة ثلاث وثمانمائة** .

(العصامي – سمط النجوم العوالي 42/4)

وطرق بلاد الشام في ايامه **تيمورلنك** فخربها كلها وحرقها، وعمها بالقتل والنهب والأسر حتى فقد منها جميع أنواع الحيوانات، وتمزق أهلها في جميع أقطار الأرض، ثم دهمها بعد رحيله عنها جراد لم يترك بها خضراء، فاشتد بها الغلاء على من تراجع إليها من أهلها، وشنع موتهم، واستمرت بها مع ذلك الفتن، وقصر مد النيل بمصر حتى شرقت الأراضي إلا قليلا، وعظم الغلاء والفناء، فباع أهل الصعيد أولادهم من الجوع، وصاروا أرقاء مملوكين، وشمل الخراب الشنيع عامة أرض مصر وبلاد الشام من حيث يصب النيل من الجنادل إلى حيث مجرى الفرات.

(المقريزي – كتاب المواعظ والاعتبار 421/1)

وامتنع نائب **الشام** عن الطاعة وانضم إليه نواب **حلب وحماة وصفد وطرابلس وغزة**، فخرج **الناصر** بالجيوش لقتالهم , فتلقوه في **الرملة بفلسطين** فهزمهم ودخل **دمشق**، فأعلن الأمان وهدأت الأمور، فعاد إلى **مصر** وما لبث أن تتابعت عليه الاخبار بزحف **تيمورلنك** على **حلب وحماة ودمشق** , فقام بجيش كبير ورابط في **دمشق** وناوش طلائع **تيمورلنك**، ثم أظهر أنه مضطر للعودة إلى **مصر**، فألقى الحبل على الغارب وترك **دمشق** كغيرها فريسة **لتيمورلنك** وعساكره نهبا وحرقا وتعذيبا ومحوا وفى النهاية اكتفى بأن تبادل الهدايا وبعض الأسرى مع **تيمورلنك**.

ولما كانت سنة 808 هـ اضطربت أحوال **الناصر** وضاق صدره بمخالفة الأمراء له، فخرج متنكرا، واختفى فاجتمع الأمراء وأخرجوا أخا له صغيرا أيضا فبايعوه .

(الزركلي – الاعلام 140/5)

وكانت مدته في السلطنة من يوم تسلطن بعد موت أبيه إلى أن خلع بأخيه **عبد العزيز** ست سنين وخمسة أشهر وعشرة أيام .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 132)

2) حوليات ابن برقوق :

- وفي شوال : **نودي بالقاهرة ومصر بخروج طائفة العجم من مصر .**
- **وفيه : ورد الخبر بأن بايزيد بن عثمان ملك الروم تحرك للمشي على بلاد الشام، وأن تمرلنك القائم ببلاد العجم أخذ ممالك الهند .**
- **وفيه : ورد الخبر بأن الأمير تنم نائب الشام أخذ قلعة دمشق .**
- **وفيه : أخذ نائب حمص القلعة، وأخذ أيضاً نائب حماة قلعتها.**
- **وفيه : استدعى شيخ الإسلام والقضاة وأعيان الفقهاء إلى حضرة الأمير الكبير أيتمش وقد حضر الأمراء والخاصكية، بسبب الأموال التي خلفها الملك الظاهر: هل تقسم بين ورثته أو تكون لبيت مال المسلمين؟ فوقع كلام محير آخره أن يفرق في ورثته منه السدس، وما بقي فلبيت المال.**
- **وفيه : خلع على الأمير يلبغا السالمي، واستقر أستاداراً .**
- **وفيه: ورد الخبر بأن ابن عثمان ملك الروم أخذ الأبلستين، وعزم أن يمشي على البلاد الشامية .**
- **ومات الملك المنصور محمد بن المظفر حاجي بن الناصر محمد وهو مسجون بقلعة الجبل .**

(سنة اثنتين وثمانمائة)

- وفيها : وورد الخبر بنزول ابن عثمان على ملطية ومحاصرتها .
- وفيها : تزايد الاختلاف بين الأمراء والخاصكية، وكثر نفور الخاصكية من الأمير أيتمش، وظنوا به وبالأمراء أنهم قد مالوا إلى نائب الشام .
- وفيها : استدعي الملك الناصر فرج بالأمير الكبير أيتمش إلى القصر، وقال له: يا عم، أنا قد أدركت، وأريد أن أترشد .
- وفيها : افترق العسكر فريقان، فرقة مع أيتمش وفرقة مع يشبك وانقطع يشبك بداره، وأظهر أنه مريض، فتخيل أيتمش ومن معه من الأمراء وظنوا أنها من يشبك حيلة، حتى إذا دخلوا لعيادته قبض عليهم، فلزم كل منهم داره، واستعد وأخلد أيتمش إلى العجز، وأعرض عن إعمال الرأي والتدبير وكان قد تبين منذ مات الظاهر عجزه وعدم أهليته للقيام بالأمر.
- وفيها : أشيع ركوب العساكر للقتال، وماج الناس، وكثرت حركاتهم، فلم يدخل الليل حتى لبس أيتمش ممن معه آلة الحرب وملك أيتمش الصوة تجاه باب القلعة، وأصعد عدة من المقاتلة إلى عمارة الأشرف تجاه الطبلخاناه، ليرموا على من فيها ومن يقف على باب القلعة وتجمع من المفسدين خلائق، ونهبوا مدرسة أيتمش، وحفروا قبر ولده الذي بها، وأحرقوا الربع المجاور لها من خارج باب الوزير، فلم يعمر بعد ذلك ونهبوا جامع أقسنقر، واستهانوا بحرمة المصاحف ونهبوا مدرسة السلطان حسن، وأتلفوا عدة من مساكن المنهزمين، وكسروا حبس الديلم وحبس الرحبة، وأخرجوا المسجونين.
- وفيها : نودي أن من أحضر أميراً من أصحاب أيتمش أخذ ألف دينار.

- **وفيها** : قدم الأمير أيتمش ممن معه إلى دمشق، فخرج الأمير تنم إلى لقائه، وبالغ في إكرامه وعظم شأن تنم بقدوم أيتمش عليه، وأطاعه من خالف عليه.
- **وفي جمادى الأول** : اجتمع الأمراء والمماليك بمجلس السلطان، فحثهم على السفر ، وانفضوا على غير شيء، ونفوسهم متغيرة من بعضهم علي بعض.
- **وفيه** : رحل الجاليش من الريدانية، وفيه من الأمراء نوروز الحافظي مقدم العساكر ، وشيخ المحمودي .ثم رحل السلطان ببقية العسكر .
- **وفي رجب** : نزل الأمراء بالصالحية فلم يروا أحداً، فعادوا .
- **وفيه** : قدم الأمير أيتمش إلى دمشق فقبض عليه، وعلى تغري بردى، وحبسوا بدار السعادة
- **شعبان** : قدم الأمير سيف الدين جكم إلى دمشق، وقيد أيتمش ومن معه ونقلهم من دار السعادة إلى قلعة دمشق، ونادى في الناس بالأمان، ومنع المماليك السلطانية من التعرض للناس، وألا ينزلوا داخل المدينة.
- **وفيه** : دخل السلطان الملك الناصر بأمرائه وعساكره إلى قلعة دمشق ، فكان يوما مشهوداً وسر الناس به سروراً كبيراً .
- **وفيه** : ذبح بقلعة دمشق أربعة عشر أميراً منهم: الأمير أيتمش .
- **وفيه** : ارتجت القاهرة وظواهرها، وقيل قد ركب الأمراء والمماليك فغلقت أبواب الجوامع، واختصر الخطباء الخطبة، ونزلوا عن المنابر، وأوجزوا في الصلاة، وفي بعض الجوامع لم يخطب، وفي بعضها لم تصل الجمعة.
- **وفيها** : نزل تيمورلنك على مدينة سيواس، ففر منها الأمير سليمان بن أبي يزيد بن عثمان إلى أبيه، فاستمر تيمور يحاصرها.

- وفيها: ملك الأمير تيمورلنك مدينة دله من الهند، وقد مات ملكها فيروز شاه بن نصره شاه وكان من عظماء ملوك الإسلام .
- وفيها : ماتت خوند التنكزية، بنت الملك الناصر محمد امرأة الأمير تنكز بغا.
- وماتت خوند شيرين أم الملك الناصر فرج ودفنت بالمدرسة الظاهرية .

(سنة ثلاث وثمانمائة)

- وفيها : استدعى الخليفة، وقضاة القضاء، والأمراء، وأعيان الدولة، وأعلموا أن تمرلنك وصل إلى سيواس وأخذها، ووصلت مقدمته إلى مرعش وعين تاب .
- وفيها : خرج الأمير يلبغا السالمي إلى شبرا الخيام وكسر بها من جرار الخمر أربعة وأربعين ألف جرة، وأراق ما فيها، وخرب بها كنيسة للنصارى وعاد في أخره ومعه عدة أحمال من جرار الخمر، فكسرها عند باب زويلة وتحت القلعة.ومن حينئذ تلاشى حال أهل شبرا ومنية الشيرج، فإن معظم أموالهم كان من عصير الخمر وبيعه.
- وفيها : قدم الخبر من حلب بنزول تمر على بهسنا فأخذ الناس في الرحيل من دمشق، فمنعهم النائب من ذلك .
- وفيها : أخذ تمرلنك مدينة حلب، ثم رحل عنها، وهي خاوية على عروشها، خالية من ساكنها وأنيسها، قد تعطلت من الأذان، وإقامة الصلوات وأصبحت مظلمة بالحريق، موحشة، قفراء مغبرة، لا يأويها إلا الرخم .
- وفيها : تكاثر جمع الناس بدمشق، بمن فر إليها من مملكة حلب وحماه وغيرها، واضطربت أحوال الناس بها، وعزموا على مفارقتها، وخرجوا منها شيئاً بعد شيء، يريدون القاهرة.

- **وفيها** : ركب شيخ الإسلام البلقيني وقضاة القضاة، والأمير أقباي حاجب الحجاب، والأمير مبارك شاه الحاجب ونودي بين أيديهم بالقاهرة من ورقة تتضمن أمر الناس بالجهاد في سبيل الله لعدوكم الأكبر تمرلنك،
- **ربيع الآخر** : نودي على أجناد الحلقة بالحضور للعرض في بيت الأمير تمراز، وهدد من تأخر عن الحضور وخرج البريد إلى أعمال ديار مصر بالوجهين القبلي والبحري بجمع أقوياء أجناد الحلقة من الريف، وبتجهيز العربان للخروج إلى حلب تمرلنك.
- **وفيه**: سار الجاليش، وفيه من الأمراء والأكابر ثم رحل السلطان ببقية العساكر.
- **وفيه**: قدم الخبر إلى دمشق بوصول تمرلنك قريباً من حمص، فأنزعج الناس، وأخذوا في الاستعداد وحمل الناس أموالهم إلى القلعة، وجفل جماعة من الناس بقدوم الأمير دمرداش نائب حلب إلى دمشق ، فاراً من تمرلنك وخرج لملاقاة السلطان فقدم من الغد الناس – وقد جفلوا – من بعلبك وأعمالها، بنسائهم ومواشيهم، لنزول تمر عليهم، فخرج كثير من أهل دمشق .
- **وفي عشرينه** : دخل السلطان مدينة غزة ، وقد انضم إليه كثيرة ممن فر من البلاد الشامية.
- **وفي جمادى الاولى** : اقتتل بعض العسكر مع التمرية.
- **وفيه** : نزل تمرلنك إلى قطا فملأت جيوشه الأرض، وركب طائفة منهم إلى العسكر وقاتلوهم، فخرج السلطان من دمشق إلى يلبغا، فكانت وقعة انكسرت ميسرة العسكر، وانهزم أولاد الغزاوي إلى ناحية حوران، وجرح جماعة، وحمل تمر حملة منكرة، ليأخذ بها دمشق، فدفعته عساكر السلطان.
- **وفيه** : قدم من أخبر باختلاف الأمراء على السلطان، وعوده إلى مصر .

- جمادى الآخرة: أعلم بوصول السلطان إلى غزة، فارتجت البلد، وكادت عقول الناس أن تختل وشرع كل أحد يبيع ما عنده، ويستعد للهروب من مصر.
- وفيه : قدم السلطان إلى قلعة الجبل، ومعه الخليفة وأمراء الدولة ونحو الألف من المماليك السلطانية .
- وأما دمشق فإن الناس بها أصبحوا يوم الجمعة بعد هزيمة السلطان، ورأيهم محاربة تمرلنك، فركبوا أسوار المدينة ونادوا بالجهاد، وزحف عليهم أصحاب تمر، فقاتلوهم من فوق السور واستمر هذا البلاء مدة تسعة عشر يوماً ، فهلك فيها بالعقوبة ومن الجوع خلق لا يدخل عددهم تحت حصر.
- وفيه : خلع على نوروز ويشبك ، واستقرا مشيري الدولة، مدبري أمورها .
- وفيه: برز الأمراء الذين كانوا بالقاهرة في غيبة السلطان بدمشق، للمسير لحرب تمرلنك، وقدم الأمير شيخ المحمودي نائب طرابلس هارباً من تمرلنك .

(سنة أربع وثمانمائة)

- وفيها: أولم الأمير الكبير نوروز لعرسه على سارة ابنة الملك الظاهر .
- وفيها: كثر تنافر الأمراء واختلافهم، وانقطع نوروز، وجكم عن الخدمة ودخل شهر رمضان وانقضي، فلم يحضروا للهناء بالعيد، ولا صلوا صلاة العيد مع السلطان.
- شوال: ركبوا للحرب ووقعت الحرب من بكرة النهار إلى العصر ورأس الأمراء نوروز وجكم، وخصمهم سودن طاز فلما كان آخر النهار بعث السلطان بالخليفة المتوكل على الله وقضاة القضاة الأربع إلى الأمير الكبير نوروز في طلب الصلح، فلم يجد بداً من ذلك، وترك القتال وخلع عنه آلة الحرب، فكف الأمير جكم عن الحرب فلما

كان الغد: ركب الخليفة وشيخ الإسلام البلقيني، وحلفوا الأمراء بالسمع والطاعة للسلطان، وإخماد الفتنة .

- وفيه: كتب تقليد الأمير شيخ المحمودي باستقراره في كفالة السلطنة بالشام
- وفيه: استقر ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون في قضاء المالكية .
- وفيها: ماتت الست خوند شقراء بنت حسين بن محمد بن قلاوون، أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين، ودفنت من الغد بمدرسة أم السلطان .

(سنة خمس وثمانمائة)

- وفيها: كانت وقعة الطاغية تيمور مع أبي يزيد بن عثمان ملك الروم .
- وفيها: بلغ السلطان أن سودن طاز قد نزل يحاصر القلعة فندب الأمراء والمماليك لقتال سودن طاز، فقاتلوه في الأزقة طعناً بالرماح ساعة، فلم يثبت وانهزم، وقد جرح من الفريقين كثير، فحال الليل بين عساكر السلطان وبينه وتفرق من كان معه في الدور، وبات السلطان ومن معه على تخوف.
- وفيها: عقد للأمير سودن الحمزاوي على خوند زينب ابنة الملك الظاهر برقوق وأخت الملك الناصر، وعمرها نحو الثماني سنين.

(سنة ست وثمانمائة)

- وفيها: قدم رسل الطاغية تيمورلنك ، فتلقاهم الحجاب ونحوهم من الأمراء،
- وفيها توقف النيل عن الزيادة، فاشتد جزع الناس، وتوقعوا حلول البلاء، فسار شيخ الإسلام قاضي القضاة البلقيني من داره ماشياً قبيل الظهر إلى الجامع الأزهر في جمع موفور، ولم يزل يدعو ويتضرع، وقد غص الجامع بالناس، إلى بعد العصر ثم خرج القضاة وشيوخ الخوانك إلى الجامع، ففعلوا ذلك إلى آخر النهار ثم توجه

شيخ الإسلام إلى رباط الآثار النبوية، وحمل الآثار النبوية على رأسه، واستسقى، وأكثر من التضرع والدعاء ملياً، وانصرف.

(سنة سبع وثمانمائة)

- جمادى الأولى : أهل والفتنة قائمة بين أمراء الدولة، وذلك أن الأمير يشبك هو زعيم الدولة، بيده جميع أمورها من الولاية والعزل، والنقض والإبرام
- شهر رمضان : قدم الأمير يلبغا السالمي من ثغر الإسكندرية، وقد أفرج عنه واستدعي فأكرم، ونزل إلى داره، ثم طلب إلى قلعة الجبل وخلع عليه، واستقر مشير الدولة وخلع معه على الأمير جمال الدين الأستادار خلعة استمرار
- وفيها : خرج الأمير جكم من حلب يريد دمشق وعزم على أن يتسلطن ويتلقب بالملك العادل
- وفيها :خرج الأمير شيخ نائب الشام ومعه الأمير يشبك وبقية الأمراء إلى لقاء الأمير جكم ، واختلفت الآراء، فكان جكم أمة وحده، يرى أنه السلطان، ويريد إظهار ذلك، والأمراء تسوسه برفق، حتى لا يتظاهر بالسلطنة ورأيه التوجه إلى بلاد الشمال، ورأي بقية الأمراء المسير إلى مصر، فكانوا ينادون يوماً بالمسير إلى مصر، وينادون يوما بالمسير إلى حماة وحلب، وينادون يوماً من أراد النهب والكسب فعليه بالتوجه إلى صفد ثم قوي عزمهم جميعاً على قصد مصر، وخرج الأمير شيخ والأمير يشبك وقرا يوسف من دمشق، في عشرينه وقد عمل الأمير شيخ في نيابة الغيبة سودن الظريف، ووقف جميع أملاكه على ذريته وعلى جهات بر، منها مائتا قميص تحمل في كل سنة إلى مكة والمدينة، مربوط على كل قميص عشرة دراهم فضة، تفرق في الفقراء، ومنها مبلغ لمن يطوف عنه كل يوم أسبوعاً ومنها عشرة أيتام في

كل من الحرمين، ومؤدب يقرئهم القرآن، ومنها قراء بجامع دمشق وندبوا الأمير يشبك وقرا يوسف إلى صفد، فسارا من الخربة في عسكر.ثم سار شاليش الأمراء من غزة إلى جهة القاهرة.

- **وفيها**: قبض بالقاهرة على الأمير يلبغا السالمي وعوق بباب السلسلة، وأخذ جميع موجوده بسعاية الأمير جمال الدين الأستادار
- **وفيها** التقت مقدمة السلطان ومقدمة الأمراء واقتتلوا، فرحل السلطان من بلبيس ونزل السعيدية فأتاه كتاب الأمراء الثلاثة شيخ، وجكم، ويشبك، بأن سبب حركتهم ما جرى بين الأمير يشبك والأمير إينال بيه بن قجماس من حظ الأنفس، حتى توجه يشبك بمن معه إلى الشام، فكان بها من خراب البلاد، وهلاك الرعية ما كان فلما كانت ليلة الخميس ثالث عشره: اقتتل الفريقان قتالاً شديداً وقدم المنهزمون إلى القاهرة في يوم الخميس ثالث عشره ولم يحضر السلطان، ولا الأمراء الكبار فكثر الإرجاف، وأقيم العزاء في بعض الدور وماج الناس، وكثر النهب، حتى وصل السلطان قريب العصر، ومعه الأمراء،
- **وفيها**: زحفت عساكر الشاميين من الريدانية، وكثر اضطراب الناس بالقاهرة، وغلقت أبوابها ودروبها، وتعطلت الأسواق .

(سنة ثمان وثمانمائة)

- **وفيها**: تخبطت الأحوال بين السلطان وبين المماليك، فوقف طائفة من المماليك الجراكسة، وسألوا أن يقبض على الأمير تغري بردى، والأمير دمرداش، والأمير أرغون، من أجل أنهم من جنس الروم.

- **وفي ربيع الأول: نـزل السـلطان إلى باب السلسـلة، واجتمـع معـه بعـض الأمـراء ليصلح الأمر، فلم يفد شيئاً، وكثرت الشناعة عليه فلما كان عند الظهيرة، فقد السلطان من القلعة، فلم يعرف له خبر.**

3) مجريات الناصر فرج : (الناصر وايتمش البجاسي)

كان الملك **الظاهر** قبل وفاته قد جعل الامير **ايتمش البجاسي** وصيا على ابنائه .

ثم ان **الملك الناصر** استدعي بالأمير الكبير **أيتمش** إلى القصر، وقال له: " **يا عم ، أنا قد أدركت، وأريد أن أترشد** " وكان هذا قد بيته معه الأمير **يشبك**، والأمير **سودون طاز**، فيمن معهما من الخاصكية، ليستبد **السلطان**، ويحصل لهم الغرض في **أيتمش** والأمراء، ويمتنع **أيتمش** من تصرف السلطان، فينفتح لهم باب إلى القتال , فأجاب **أيتمش** السلطان بالسمع والطاعة، واتفق مع الأمراء والخاصكية على ترشيد السلطان، وأن يمتثل سائر ما يرسم به .

استدعي في الحال **الخليفة**، وشيخ الإسلام **البلقيني**، **وقضاة القضاة وقضاة العساكر، ومفتو دار العدل، وكاتب السر، وناظر الجيش**، فحكم القضاة برشد السلطان ونزل **أيتمش** إلى داره التي كان يسكنها في الأيام **الظاهرية** ونقل سائر ما كان له بالإصطبل السلطاني وللحال دقت البشائر، ونودي في القاهرة ومصر بالزينة والدعاء **للسلطان**.

ثم وقعت أمور، وتفرقت المماليك الظاهرية فرقتين: فرقة مع **أيتمش** – وهم كبار الأمراء – وفرقة مع **يشبك** الخازندار – وهم أصاغر الأمراء وآل الأمر بينهما إلى القتال؛ فانكسر الأتابك **أيتمش** بمن معه وتوجهوا جميعا إلى **تنم الحسنى** الظاهري نائب الشام؛ فغضب **تنم** لغضبهم، وسار بجميع العساكر الشامية وبمن قدم عليه مع **أيتمش** وغيره من أمراء مصر

يريد مصر

وخرج **الملك الناصر** بعساكر مصر، وتواقع مع الأمير **تنم وأيتمش** بمن معهم؛ فكسر الجميع، وقتل غالبهم .

واستولى **يشبك** وأقرانه من أصاغر الأمراء على مملكة مصر؛ فاضطربت أحوال مصر؛ لسوء تدبيرهم واختلاف كلمتهم .

(ابن تغري بردي– مورد اللطافة 122)

(الناصر فرج وابن عثمان)

في أواخر هذه السنة جاءت الأخبار من حلب بأن **ابن عثمان** ملك الروم قد تحرك على بلاد السلطان وقد وصل أوائل جاليشه إلى بلاد **الأبلستين** وهو قاصد **حلب**، فلما بلغ **السلطان** والأمراء هذا الخبر أمر **الأتابكي أيتمش** بعقد مجلس بالقصر الكبير، فحضر أمير **المؤمنين المتوكل والقضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني** وسائر الأمراء وضربوا مشورة في أمر **ابن عثمان**، فوقع الاتفاق على محاربته والخروج إليه وأن يؤخذ من أجرة الأملاك شهر واحد يتقوى بها العسكر على دفع العدو ثم بعد مدة جاءت الأخبار بأن **ابن عثمان** وصل إلى ملطية وملكها ، فأقام بملطية أياما ثم رجع إلى بلاده فبطل أمر التجريد وسكن الحال .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

(الناصر وتيمور لنك)

استدعى **الخليفة**، **وقضاة القضاء، والأمراء، وأعيان الدولة**، وأعلموا أن **تمرلنك** وصل إلى سيواس وأخذها، ووصلت مقدمته إلى مرعش وعين تاب والقصد أخذ مال من التجار إعانة على النفقة في العساكر فقال القضاة: **أنتم أصحاب اليد، وليس لكم معارض، وإن كان القصد الفتوى فلا يجوز أخذ مال أحد، ويخاف من الدعاء على العساكر**

إن أخذ مال التجار، فقيل لهم : نأخذ نصف الأوقاف نقطعها للأجناد البطالين، فقيل **وما قدر ذلك ومتى اعتمد في الحرب على البطالين من الأجناد؟ خيف أن يأخذوا المال؟ ويميلون عند اللقاء مع من غلب .**

وطال الكلام حتى استقر الرأي على إرسال الأمير **أسنبغا** الحاجب لكشف الأخبار، وتجهيز عساكر الشام إلى جهة **تمرلنك**.

وهذه السنة: هي أول سنين الحوادث والمحن التي خرجت فيها ديار مصر، وفني معظم أهلها، واتضعت بها الأحوال، واختلت الأمور خللاً أذن بدمار إقليم مصر.

أهل والفتنة قائمة بين أمراء الدولة.

(ابن تغري بردي– النجوم الزاهرة 301/12)

ولما كان **يوم الخميس تاسع ربيع الأول** نازل **الملعون** حلب وكان نائبها المقر السيفي **دمرداش** الخاصكي وقد حضرت إليه عساكر **المملكة الشامية**، عسكر دمشق مع نائبها سيدي **سودون** وعسكر طرابلس مع نائبها المقر السيفي **شيخ الخاصكي** وعسكر **حماة** مع نائبها **دقماق** وعسكر **صفد وغزة** .

(ابن عرب شاه – عجائب المقدور 171)

ثم إن النواب تشاوروا كيف يكافحون **تيمور لنك**، فقال البعض: **الرأي أن نحصن البلد ونكون على الأسوار، فإذا جاء العدو نحاربه من الأسوار**، فقال له بعض الأمراء: **هذا أمارة العجز، والرأي أن نخلق حواليها ونمنع العدو من الوصول إليها ويكون ذلك أفسح للمجال**، ثم ذكر كل من الأمراء ما عن له في ذلك، ثم قال المقر السيفي **شيخ** الذي صار ملكا بعد ذلك وكان ذا رأي سديد وهو إذ ذاك نائب **طرابلس**: **إن العدو عظيم أمره كثير عدده، لكنه وإن كان كذلك فهو أعمى لأنه غريب عن البلاد، والرأي عندي أن نحصن المدينة ونكون خارجها في جانب واحد ثم نحفر حولنا**

خنادق ونطير إلى الآفاق أجنحة البطايق إلى الأعراب والأكراد والتراكمة وعشرات البلاد فيتسلطون على العدو من الجوانب ويصير بين قاتل وناهب، فإن أقام وأبى له ذلك ففي شر مقام، وإن تقدم إلينا صافحناه، وإن رجع رجع بخيبة وهو المرام ووافقه على هذا الرأي **شاه منصور**

فقال دمرداش وهو إذ ذاك نائب المدينة: الأولى أن نناجزه والمناضلة خير من المطاولة، وإذا لم نناجزه آنس منا الوهن وخور العزيمة، وأخذ يحرضهم على ذلك، ومما قاله: إنا إذا كسرناهم فزنا بالمرام وكفينا عسكر المصريين المؤنة، وإذا كانت الكرة علينا نكون قد بذلنا المجهود وأقمنا عذرا لدى **السلطان** .

ولا زال **دمرداش** يحسن لهم هذا الرأي الفاسد حتى أجمعوا عليه واتفقوا على الخروج إلى **تيمور لنك** لأنه كان صاحب البلد وكان في الباطن موافقا **لتيمور** .

ثم إنهم حصنوا المدينة وأوصدوا أبوابها ووكلوا بكل حارة ومحلة أصحابها وفتحوا البابين المقابلين للجهة التي نزل فيها **تيمور لنك** وهما باب النصر وباب القناة .

ويوم وصوله وهو يوم الخميس تاسع ربيع الأول برز من عسكر **تيمور لنك** ألفا رجل فبرز إليهم من العساكر الشامية ثلثمائة فهزمهم هؤلاء .

ويوم الجمعة برز من عسكره نحو من خمسة آلاف فتقدم إليهم طائفة أخرى واشتبك بينهم القتال واشتد وأبلت العساكر الشامية بلاء حسنا، وبقي الحرب إلى المساء، فتراجع الفريقان وقد قتل من عسكر تيمور لنك ولم يقتل من العسكر الشامية سوى رجلين .

ويوم السب حادي عشر ربيع الأول برزت العساكر الشامية وتقدمت عساكر ذاك وكان قد عبأها تحت جنح الليل، فقابل مقدمتهم وشغلهم بأوائلهم وأحاط الباقون بهم فأتوهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمايلهم، فمشى عليهم مشي الموسى على الشعر

وسعى سعي الدبا على الزرع الأخضر، وكان هذا الجولان على قرية حيلان، ثم فرت ميمنة العساكر الشامية وكان رأسها **دمرداش** فلم يلبث الباقون ساعة من نهار حتى ولوا الأدبار وعسكر **تيمور لنك** وراء ظهورهم، فقصدوا المدينة من الأبواب المفتوحة وازدحموا عندها والسيوف تشقهم والرماح تدقهم، فاستدت الأبواب بالقتلى ولم يتمكن الكثيرون من الدخول، فتشتتوا في البلاد، وكسر المماليك باب **أنطاكية** وخرجوا منه قاصدين بلاد **الشام**، وصعد النواب إلى **القلعة** وتحصنوا فيها .

(الطباخ – اعلام النبلاء 401)

فكان بينهم في ذلك اليوم ساعة تشيب منها النواصي وقد دهمتهم عساكر **تمرلنك** كأمواج البحار المتلاطمة ومالت عليهم كتائب الجنود المتزاحمة، فلم تثبت معهم عساكر حلب وولوا على أعقابهم مدبرين وأقبلوا نحو المدينة منهزمين، وقد داست حوافر الخيل أجساد العامة وحل بهم من البؤس كل داهية طامة وكان قد احتمى بالمزارات والمساجد الجم الغفير من النساء والأطفال فدخلوا إليهم وأسروهم وقرنوهم بالحبال وأسرفوا في قتل النساء والرجال، وصارت الأبكار تفتض في المساجد ولم يراعوا حرمة المساجد، فلم يرثوا لبكاء الرضع ولم يخشوا دعاء الركع، وقد صارت المساجد كالمجزرة من القتلى فلا حول ولا قوة إلا **بالله** .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

وقد أسرفوا في القتل ونهب الأموال، وصارت الأرجل لا تطأ إلا على جثة إنسان لكثرة القتلى، حتى قيل إنه بنى من رؤوس القتلى عشرة مآذن دور كل مأذنة عشرون ذراعا وصعودها في الهواء مثل ذلك، وجعلوا الوجوه فيها بارزة تسفو عليها الرياح، وتركوا أجساد القتلى في الفلاة تنهشها الكلاب والوحوش، فكان عدة من قتل في هذه الوقعة من أهل حلب من صغار وكبار ونساء ورجال نحوا من عشرين ألف إنسان، هذا خارج عما هلك

من الناس تحت أرجل الخيول عند اقتحام أبواب المدينة وقت الهزيمة، وهلك من الجوع والعطش أكثر من ذلك.

فحينئذ حل بأهل دمشق من البلاء ما لا يوصف، وجرى عليهم من أنواع العذاب وهتك الأعراض شيء تقشعر منه الجلود، واستمر هذا البلاء تسعة عشر يوما فهلك في هذه المدة بدمشق بالعقوبة والجوع خلق لا يعلم عددهم، ثم أمر أمراءه فدخلوا دمشق ومعهم سيوف مسلولة مشهورة وهم مشاة، فنهبوا ما قدروا عليه من آلات الدور وغيرها، وسبوا نساء دمشق بأجمعهن، وساقوا الأولاد والرجال وتركوا من الصغار من عمره خمس سنين فما دونها، وساقوا الجميع مربوطين في الحبال، ثم طرحوا النار في المنازل والدور والمساجد، وكان يوما عاصف الريح فعم الحريق جميع البلد حتى كاد لهيب النار أن يرتفع إلى الحساب، وعملت النار في البلد ثلاثة أيام بلياليها، ثم رحل تيمور عنها بعد أن أقام ثمانين يوما وقد احترقت كلها وسقطت سقوف جامع بني أمية من الحريق وزالت أبوابه وتقطر رخامه ولم يبق غير جدره قائمة، وذهبت مساجد دمشق ودورها وقياسرها وحماماتها وصارت أطلالا بالية ورسوما خالية ولم يبق بها إلا أطفال. قال ابن تغري بردي: ولقد ترك المصريون دمشق أكلة لتيمور، وكانت يوم ذاك أحسن مدن الدنيا وأعمرها.

(محمد كرد علي – خطط الشام 172)

"نزل كل أمير وطالبهم بالأموال، فكان الرجل يقف على باب داره في أزرى هيئة، ويُلزم بما لا يقدر عليه من المال، فإذا توقّف في إحضاره، عُذّب بأنواع العذاب من الضراب وعصر الأعضاء والشيّ على النار وتعليقه منكوسا, ومع هذا كله أخذ نساؤه وبناته وأولاده الذكور، وتُقسّم جميعهم على أصحاب ذلك الأمير، فيُشاهد الرجل المعذّب امرأته وهي تُوطأ، وابنته وهي تُفتضّ بكارتها، وولده وهو يُلاط به، فيصير وهو يصرخ بما به من ألم العذاب وابنته وولده يصرخون.

(ابن اياس – بدائع الزهور)

وعلى ما منيت به دمشق من قتل سكانها وسبي نسائها وأولادها، وإحراق مصانعها وبيوتها، واستخراج أموالها وطرائفها، أصابتها من تيمور مصيبة لا تقل عن تلك في إرجاعها القهقري وإضعافها إضعافا لا يجبر كسره في قرون .

(محمد كرد علي – خطط الشام 173)

وبينا كان رجال يحاصرون قلعة دمشق أخذ هو يتطلب الأفاضل وأصحاب الحرف والصنائع، واستمر نهب عسكر تيمور لدمشق ثلاثة أيام، وارتحل وجماعته وقد أخذ من نفائس الأموال فوق طاقتهم، فجعلوا يطرحون ذلك في الدروب والمنازل، وذلك لكثرة الحمل وقلة الحوامل، وأصبحت القفار والبراري، والجبال والصحاري، من الأمتعة والأقمشة، كأنها سوق الدهشة، وكأن الأرض فتحت خزائنها، وأظهرت من المعادن والفلزات كامنها، وأخذ تيمور كل ماهر في فن من الفنون بارع من النساجين والخياطين والحجارين والنجارين والاقباعية والبياطرة والخيمية والنقاشين والقواسين والبازدارية وبالجملة أهل أي فن كان، وأخذ جملة من العلماء والأعيان والنبلاء، وكذلك كل أمير من أمرائه .

(ابن عرب شاه – عجائب المقدور)

وقتل من أهل الشام ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى، وقطع أشجارها حتى لم يبق بدمشق حيوان، ونقل إليها من مصر، حتى الكلاب، وخربت أراضي فلسطين بحيث أقامت القدس مدة إذا أقيمت صلاة الظهر بالمسجد الأقصى لا يصلى خلف الإمام سوى رجلين.

(المقريزي – السلوك 326/6)

وكانت نواب الشام مأسورين من تيمور فانفلتوا منه أولا بأول , وعاد **الناصر** إلى مصر وصحبته العساكر على أقبح وجه .

(فرار الناصر فرج)

ثم وقع فتن كثيرة بين الأمراء الظاهرية، وتداول ذلك بينهم سنين عديدة، وأفنى بعضهم بعضا قتلا وحبسا .

وخرجت غالب بلاد مصر في تلك الأيام، واستمر ذلك وزاد، إلى أن ضجر الملك **الناصر فرج** منهم وترك ملكه، وتسحب من القلعة من غير أن يكرهه أحد على ذلك, واختفى **الناصر**؛ فلم يعرف له مكان وبلغ الأمراء ذلك؛ فأجمع رأيهم على سلطنة أخيه **عبد العزيز**؛ فطلب من الدور السلطانية، وتسلطن، ولقب **بالملك المنصور** على كره منه .

(ابن تغري بردي– مورد اللطافة 123)

وكان كل ذلك سببه أن **الناصر** باح بما أسره، لأنه كان لا يستطع كتمان سر وأخذ يذم الجراكسة – وهم قوم أبيه، وشوكة دولته، وجل عسكره – ويمدح الروم، ويتعصب لهم، وينتمي إليهم، فإن أمه **شيرين** كانت رومية فشق ذلك على القوم، وأخذوا حذرهم، وصاروا إلى الأمير الكبير **بيبرس** ابن أخت **الظاهر** واستمالوه، فخاف **السلطان** وهم أن يفر، فبادره الأمير **بيبرس** وعنفه ، فاجتمع الأضداد، واقترن العدى والأنداد ثم عادوا إلى ما هم عليه من الخلاف بعد قليل، وأعانهم **السلطان** على نفسه، بإخراج **يشبك بن أزدمر**، **وأزبك**، فأبدوا عند ذلك صفحات وجوههم، وأعلنوا بخلافه، وصاروا إلى **أينال باي بن قجماس** ، وسعوا فيما هم فيه ثم دسوا إليه **سعد الدين بن غراب** كاتب السر، فخيله منهم، حتى امتلأ قلبه خوفاً فلما علم **ابن غراب** بما هو فيه من الخوف، حسن له أن يفر، فمال إليه وقام وقت الظهر من بين حرمه وأولاده، وخرج من ظهر القلعة من باب السر الذي يلي القرافة، ومعه الأمير **بيغوت** ، وسارا مع **بكتمر** مملوك **ابن غراب**، **ويوسف بن قطلوبك** ، حتى دخل الليل، فساروا إلى بيت **ابن غراب** ، فلم يجدوه في داره، فأووه في بيت بعض معارف **بكتمر**

ثم بعثوا إلى **ابن غراب** فحول السلطان إليه وأنزله عنده بداره، من غير أن يعلم بذلك أحد.

(المقريزي – السلوك 142/6)

الفصل الخامس



عبد العزيز بن برقوق

1) ترجمة المنصور عز الدين :

الملك المنصور عز الدين، عبد العزيز ابن الملك الظاهر برقوق بن آنص , تسلطن بعد أن تسحب أخيه الملك الناصر فرج في وقت عشاء الآخرة من ليلة الأثنين سادس عشرين شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة؛ لكونه كان ولي العهد من بعد أخيه فرج بوصية والده .

ولقب بالملك **المنصور أبي العز عبد العزيز ،** وهو لم يبلغ الحلم وأمه أم ولد، تركية تسمى: **قنق باى** .

ولما تم أمره في الملك تلاشت أحوال المملكة؛ لإختلاف كلمة الأمراء، فإنه كان يوم ذاك **بيبرس** هو الأتابك، وكان لين الجانب لا يلتفت إلى كلامه؛ فصار كل أحد له حكم، حتى أصاغر المماليك، فلم يرض بذلك أحد .

والتفت كل أحد إلى عود الملك **الناصر فرج** ، لاسيما الأمير **يشبك الدوادار**؛ فإنه كان في الدولة الناصرية له كلمة نافذة وعز .

فلما تسلطن المنصور اضطربت الأمور، وتحكم غيره في المملكة؛ فلما رأى **سعد الدين إبراهيم بن غراب** ذلك وكان **الملك الناصر** مختفيا عنده أعلمه به؛ ففرح يشبك وأخذ في التدبير لخروج الناصر وعوده إلى الملك، إلى أن تم له ذلك .

عاد الناصر إلى ملكه، وأما **الملك المنصور** ؛ فإنه استمر عند أمه بقلعة الجبل، إلى أن أخرجه **الناصر** إلى الأسكندرية وخرج صحبته أخوه إبراهيم .

فكانت مدة الملك **المنصور** في الملك شهرين وعشرة أيام؛ ولم تطل مدة **المنصور** بالأسكندرية، ومات في ليلة الأثنين سابع شهر ربيع الآخر من سنة تسع وثمانمائة، ثم مات عقبه أخوه **إبراهيم** من ليلته؛ فاتهم الملك **الناصر** في موتهما.

2) حوليات المنصور عبد العزيز :

- فلما فقد الملك الناصر ، بادر الأمراء بالركوب إلى القلعة، وهم طائفتان: الطائفة التي خالفت علي الناصر في السنة الماضية وحاربته، ثم مضت إلى الشام، فشنت الغارات وأقبلت بالعساكر وبيتته بالسعيدية
- ربيع الأول : أحضروا الخليفة والقضاة الأربع، واستدعوا الأمير عبد العزيز بن الظاهر، وقد ألبسه بن غراب الخلعة الخليفتية، وعممه فعهد إليه الخليفة أبو عبد الله محمد المتوكل على الله بالسلطنة، ولقبوه الملك المنصور عز الدين، وكنوه بأبي العز، وقد ناهز الاحتلام وقام بن غراب بأعباء المملكة، يدبر الأمراء كيف شاء والمنصور تحت كفالة أمه ليس له من السلطنة سوى مجرد الاسم.
- وفي حادي عشره: توجه الطواشي الأمير شاهين الحسني – لالا السلطان – في عشرة سروج لإحضار الأمير شيخ المحمودي نائب الشام، والأمير جكم، وقد ورد كتاب للأمير شيخ قبل ذلك بعشرين يوماً، وكتاب الأمير جكم بعد كتاب الأمير شيخ بعشرة أيام، يخبرا بأنهما حاربا الأمير نوروز وهزماه، وأنه لحق بطرابلس، ودخلا إلى دمشق .
- وفي سابع عشرة: خرج الأمير جكم من دمشق في جماعته، يريد محاربة الأمير نوروز
- وفي ربيع الاخر : ظهر بين أهل الدولة حركة، فكثرت القالة، وبات المماليك تسعى بعضها إلى بعض، فظهر الملك الناصر في بيت الأمير سودن الحمزاوي، وتلاحق به كثير من الأمراء والمماليك، ولم يطلع الفجر حتى ركب السلطان بآلة الحرب وإلى جانبه ابن غراب وعليه آلة الحرب وسار بمن اجتمع إليه يريد القلعة، فقاتله سودن

المحمدي أمير أخور، وأينال بيه بن قجماس، وبيبرس الكبيري، ويشبك بن أزدمر، وسودن المارديني، قتالاً ليس بذاك ثم انهزموا، وصعد السلطان إلى القلعة، فكانت مدة عبد العزيز سبعين يوماً.

الفصل السادس



فرج بن برقوق (2)

1) ترجمة الناصر فرج (2):

ومن العجيب أنه لما ولد كان قد أقبل الأمير **يلبغا الناصري** بعساكر الشام لينزع أباه الملك **الظاهر** من الملك، وهو في غاية الاضطراب من ذلك، فعندما بشر به، قيل له: ما نسميه فقال: **بلغاق** يعني فتنة، وهي كلمة تركية، فقبض على أبيه وسجن بالكرك وهو لم يسم .

فلما عاد **برقوق** إلى الملك عرض عليه، فسماه فرج، فما كان في الحقيقة إلا فتنة أقامه **الله** سبحانه نقمة على الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا .

(المقريزي – السلوك 327/6)

لم تزل أيام **الناصر** كلها كثيرة الفتن والشرور والغلاء والوباء .

(المقريزي – كتاب المواعظ والاعتبار 421)

وكان الناصر هذا أشأم ملوك الإسلام، فإنه خرب بسوء تدبيره جميع أراضي مصر وبلاد الشام، من حيث يصب النيل إلى مجرى الفرات.

(المقريزي – السلوك 325/6)

هذا مع تواتر الفتن واستمرارها بالشام ومصر، وتكرار سفره إلى البلاد الشامية، ما من سفرة إليها إلا وينفق فيها خارجاً عما عنده من الخيول والسلاح وغير ذلك، زيادة على ألف ألف دينار، يجبيها من دماء أهل مصر، ومهجهم ثم يقدم إلى الشام، فيخرب الديار ويستأصل الأموال، ويدمر القرى ثم يعود وقد تأكدت أسباب الفتنة، وعادت أعظم ما كانت.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 152/13)

وقتل في الفتن بمصر مدة أيامه خلائق لا تدخل تحت حصر، مع تجاهره بالفسوق من شرب الخمر، وإتيان الفواحش، والتجرؤ العظيم على الله – جلت قدرته – والتلفظ من الاستخفاف **بالله** تعالى ورسله ما لا تكاد الألسنة تنطق بحكايته لقبيح شناعته.

(المقريزي – السلوك 327/6)

وكان الملك الناصر كريما، شجاعا مقداما، مسرفا على نفسه، منهمك في اللذات، وفيه خفة وجبروت وإقدام .

(ابن تغري بردي – مورد الطافة 132)

وخاب ظنه كما يخيب ظن كل مغرور وخانه الزمان الجاير، ودارت عليه الدوائر، وانقلب إليه بصره وهو حسير، وظفر به عدوه ، وقيد وهو أسير ، وقتل وما للناصر من نصير، وما جاء الفرج فرجا ، فصار عبرة للناظرين، فى **ليلة السبت منتصف شهر صفر سنة ٨١٠ هـ** .

ثم القوه على مزبلة وهو عريان عن اللباس، يمر به الناس وينظرون إلى ذلك البدن الممتهن والجسد العارى الممتحن، وذلك من أعظم العبر وأكبر المحن .

إلى أن حنن الله عليه بعض الأنام بعد عدة أيام فحمله وغسله وأدرجه فى كفن وولاه فى التراب فى مقبرة **باب الفراديس** .

ولعل ـ سامحه الله وأسكنه الفراديس والرجاء من الله الكريم ـ أن يكون قد غفر له، فإن السيف محاء للذنوب، والله علام الغيوب .

(النهرواني – الاعلام باعلام بيت الله الحرام 222/1)

وكانت مدته في السلطنة أولا وآخرا من يوم تسلطن بعد موت أبيه إلى أن خلع بأخيه **عبد العزيز** ست سنين وخمسة أشهر وعشرة أيام .

ومدة سلطنته الثانية إلى يوم خلع **بالخليفة العباس** ست سنين وعشرة أشهر سواء؛ فجميع أيامه في الملك ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما

وعاش بعد ذلك أياما في الحصار، وقتل – رحمه الله تعالى.

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 132)

وتزوج الناصر فرج من زوجة واحدة وهى خوند فاطمة بنت تغري بردي , وترك من الاولاد فرج وخليل ومحمد ومن البنات خوند اسيا وخوند شقراء زوجها ابوها من الامير جرباش وخوند ستيتة زوجة الصارمي ابراهيم بن المؤيد شيخ .

ومن سراريه خوند شكرباي التي تزوجها من بعده خشقدم وهو امير وصارت الخوند الكبرى بعد سلطنته وهي ايضا ام الشهابي احمد حفيد العيني .

2) حوليات الناصر فرج (2):

- وفي ربيع الاخر: خلع على الأمير يشبك الشعباني، واستقر أتابك العساكر، وعلى الأمير سودن الحمزاوي، دواداراً، وعلى جركس المصارع أمير أخور .
- وفيه : قدم الخبر إلى دمشق بعود السلطان الملك الناصر إلى السلطة، واستقراره بشيخ في نيابة الشام، وجكم في نيابة حلب
- شهر ذي القعدة: اقتتل الأمير جكم، والأمير شيخ المحمودي نائب الشام
- وفيها : مات عبد الرحمن بن خلدون، المالكي، في شهر رمضان فجأة .
- وفيها : مات تيمورلنك بسمرقند، ، وملك عامة بلاد العراق، وخراسان وسمرقند، والهند، وديار بكر، وبلاد الروم، وحلب، ودمشق، وخرب مدن العالم، وحرقها، وهدم بغداد، وأزال نعم الناس، وكان قاطع طريق

(سنة تسع وثمانمائة)

- استهلت والخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباس بن محمد المتوكل على الله والسلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق، ودمشق بيد الأمير نوروز، من قبل الأمير جكم، وحلب وحماة وطرابلس بيد الأمير جكم، وهو خارج عن طاعة السلطان ونائبه بديار مصر الأمير تمراز، وبدمشق الأمير شيخ، والفلوس كل رطل

بستة دراهم، والفضة لا تظهر بين الناس، وإذا ظهرت تباع كل درهم كاملي بخمسة دراهم من الفلوس وبهذا فسدت أحوال أرباب الجوامك من الفقهاء وأمثالهم، الذين رزقهم على الأوقاف، والمرتبات السلطانية، فصاروا يأخذون معاليمهم عن كل درهم فضة أوقيتين فلوسا، وتسمي درهماً، وارتفعت أسعار جميع المبيعات حتى بلغت أضعاف قيمتها المعتادة بالفضة، فصار من معلومه مثلاً مائة درهم في الشهر - وكان قبل هذه الحوادث والمحن يأخذها فضة، فإنه الآن يأخذ عن المائة سبعة عشر رطلاً، وثلثي رطل من الفلوس، يقال لها مائة درهم، ولا تبلغ ديناراً واحداً، فيشتري بهذه المائة ما كان قبل هذا يشتريه بأقل من عشرين بكثير، فإن كل سلعة كانت تباع بدينار لا تباع الآن إلا بدينار وبأكثر من دينار وأما الأجراء وأصحاب الصنائع فإن أجرهم تزايدت، فكل من كانت أجرته درهماً لا يأخذ الآن إلا خمسة فما فوقها وكذلك التجار ضاعفوا ربحهم في بضائعهم ، إلا أنه صار بهذا الاعتبار لا يرجى الرخاء بمصر.

- وفي المحرم : خرج الأمير يشبك وغيره من الأمراء إلى ملاقاة الأمير شيخ.
- وفيه: حمل السلطان أخاه الملك المنصور عبد العزيز، وأخاه إبراهيم إلى إسكندرية، وخرج مع أخويه أمهاتهما وخدمهما، وأجرى لهما في كل يوم خمسة آلاف درهم، ولكل من الأمير ألف درهم في اليوم.
- ربيع الآخر : مات الملك المنصور عبد العزيز بن الظاهر برقوق بالإسكندرية بعد مرضه مدة إحدى وعشرين ليلة ومات بعقب موته من ليلته أخوه إبراهيم، ودفنا من الغد، ولهج الناس بأنهما ماتا مسمومين.

- وفيه: قدمت رمة الملك المنصور عبد العزيز وأخيه إبراهيم من الإسكندرية على ظهر النيل إلى ساحل القاهرة، وحملا إلى تحت القلعة، وأمهاتهما وجواريهن مسلبات، فصلى عليهما، ودفنا عند أبيهما تحت الجبل بتربته
- شهر جمادى الآخرة : تسلطن الأمير جكم بحلب ، وتلقب بالسلطان الملك العادل أبي الفتوح عبد الله جكم، وخطب باسمه من حلب إلى الفرات إلى غزة، ما عدا صفد، فإن الأمير شيخ المحمودي نائب الشام كان قد أخذها من الحمزاوي وأقام بقلعتها ففر منه الحمزاوي، وقام الأمير شيخ على طاعة السلطان ولم يجب جكم إلى التوجه إليه.
- وفيه: لبس الأمير نوروز خلعة العادل جكم، ودقت البشائر بدمشق وزينت.
- وفي هذا الشهر: ابتدأ الطاعون بالقاهرة ومصر وتزايد حتى فشا في الناس وكثر الموت ، وغالب من يموت الشباب والنساء.
- شهر ذي الحجة، دقت البشائر بموت جكم
- وفيه: ركب الأمير شيخ نائب الشام من صفد يريد الأمراء بغزة،
- وفيه عاد الأمير نوروز إلى طاعة السلطان ، بعد قتل جكم، وافتتح كتبه بالملكي الناصري، وأعيدت الخطبة للناصر بدمشق وسمع بعض أهل طريق الله صوتاً في الهواء بدمشق، حفظ منه:

يمر السحاب بأرض الشام .. كمر الحمام بأرض الحرم

تروم النزول فلا تستطيع .. لفعل الخطايا وذنب الأمم

(سنة عشر وثمانمائة)

- **وفيها** : قبض على الأمير شيخ وعلى الأمير يشبك ، واعتقلهما بقلعة دمشق .
- **شهر ربيع الأول** : فر الأميران يشبك وشيخ، وذلك أن السلطان لما قبض عليهما وكل بهما الأمير منطوق لثقته به، وعمله نائب القلعة، فاستمالاه، حتى وافقهما، ثم تحيل على من عنده من المماليك، بأن أوهمهم بأن السلطان أمره بقتل الأميرين، فصدقوه، فأخرجهما على أن يقتلهما، وفر بهما.
- **وفيه** : وقدم الخبر باجتماع يشبك وشيخ على حمص، في دون الألف فارس
- **وفيه**: طرق الأمير شيخ – ومعه يشبك وجركس المصارِع – دمشق، ففر من كان بها من الأمراء وملك شيخ دمشق،
- **وفيه** : استدعى السلطان القضاة إلى بين يديه، وأثبت عندهم إراقة دم سودن الحمزاوي لقتله إنساناً ظلماً، فحكموا بقتله، فقتل
- **وفيه**: شق أساس مدرسة الأمير جمال الدين الأستادار برحبة باب العيد.
- **شهر ذي القعدة** : كتب تقليد الأمير شيخ المحمودي باستمراره في كفالة الشام

(سنة إحدى عشرة وثمانمائة)

- **ربيع الآخر**: فتحت مدرسة الأمير جمال الدين الأستادار التي أنشأها برحبة باب العيد ، وحضر بها مدرسو الفقه على المذاهب الأربعة، ومدرس الحديث، فكان يوماً مشهوداً
- **وفيه**: خرج الأمير شيخ من منزله بدار السعادة ماشياً إلى جامع بني أمية، بثياب بدلته، وهو حاف متواضع لربه تعالى، حتى دخل الجامع، وتصدق بأقراص محشوة بالسكر وغير محشوة، فعم القراء والفقراء وطلب أرباب السجون المعسرين، فأدى غرماؤهم ما عليهم من الديون.

- وفيه: قدم القاضي نجم الدين بن حجي القاهرة بالمحضر وكتاب الأمير شيخ، يستعطف خاطر السلطان، ويعتذر عن تأخيره إرسال من طلبه من الأمراء، فلم يقبل السلطان عذره، واشتد غضبه، وأظهر الاهتمام بالخروج إلى الشام،

(سنة اثنتي عشرة وثمانمائة)

- أهلت وخليفة الوقت المستعين بالله أبو الفضل العباس بن محمد المتوكل على الله أبي عبد الله محمد والسلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن الظاهر أبي سعيد برقوق بن أنص العثماني اليلبغاوي وهو مستقل بتدبير الأمور، ومعتمد على وزيره الأمير الوزير المشير ناظر الخواص، وكاشف الكشاف جمال الدين يوسف بن أحمد الأستادار البجاسي البيري .
- شهر صفر: نزل السلطان باللجون، فشاع بين العسكر تنكر قلوب المماليك الظاهرية على السلطان، وتحدثوا بإثارة فتنة لتقديمه مماليكه الجلب عليهم، واختصاصه بهم، وكثرة عطائه.
- وفيه: ركب الخليفة المستعين بالله، وقضاة مصر الأربع، وقضاة دمشق، ونودي في الناس بدمشق أن يقاتلوا الأمير شيخ الكذا، فإنه كذا، إلى غير ذلك في كلام طويل، يقرأ من ورقه.
- وفيه: سارت أطلاب السلطان والأمراء من دمشق إلى الكسوة، وتبعهم السلطان بعساكره، وعليهم آلة الحرب راحلاً إلى جهة الأمير شيخ
- وفيه: قدم الخبر على السلطان بأن التراكمين كسروا الأمير نوروز كسرة قبيحة، فدقت البشائر بصرخد

- وفيه: اشتد الطلب بدمشق على من اختفى من الشيخية ولم يزل السلطان على قلعة صرخد يرميها بالمدافع والسهام، ويقاتل من بها ثلاثة أيام بلياليها، حتى أحرق جسر القلعة، فامتنع الأمير شيخ ومن معه بداخلها.
- شهر ربيع الآخر: قدم السلطان دمشق قبيل الغروب، وقد جد في المسير، فنزل بدار السعادة، وأما الأمير شيخ فإنه نزل من قلعة صرخد بعد رحيل السلطان، ولبس تشريف نيابة طرابلس، وقبل الأرض على العادة، وعاد إلى القلعة، وجهز ابنه إلى الأمير تغري بردى، فرحل به من صرخد، ورحل معه سائر من تأخر من الأمراء السلطانية.
- وفيه : أحضر الأمير جمال الدين الأستادار محمولاً إلى بين يدي السلطان، لعجزه عن المشي من العقوبة
- وفيه وجد لجمال الدين بمدرسته بيت فيه سبعمائة قفة فلوس، فكان مبلغ ما وجد له تسعمائة ألف دينار وأربعة وستين ألف دينار.
- وفيه : نقل جمال الدين الأستادار ليلاً إلى بيت الأمير حسام الدين حسين الأحول، فعاقبه أشد العقوبة لإحن كانت في نفسه منه، ثم خنقه من الغد، وقطع رأسه، وحمله إلى السلطان حتى رآه، ثم أعاد الرأس، فدفن مع جثته مات بعدما حكم إقليمي مصر والشام، ولم يفته من السلطة إلا الاسم .
- وفيه قدم على الأمير شيخ كتاب قرا يوسف، بأنه قد ملك عراق العجم وديار بكر وماردين، وأنه سلطن ابنه محمد شاه، ونزل في الموصل، وقصده الحضور إلى الشام نجدة له لاستمراره على ما بينه وبينه من العهود والمودة فجمع الأمير شيخ الأمراء واستشارهم، فما منهم إلا من أشار بحضور قرا يوسف إلا الأمير تمراز

الناصري نائب السلطة، فإنه أنكر ذلك وخوفهم عاقبة قدومه، وأشار بتأخير جوابه حتى يعلم السلطان بذلك، ويراجع في أمر الأمير شيخ ومن معه، ثم يعمل بمقتضى جوابه عن ذلك، فوافقوه على هذا، وكتبوا إلى السلطان يخوفوه من قدوم قرا يوسف إلى بلاد الشام أن يتطرق منها إلى مصر، وسألوه حسن النظر للأمراء، بما فيه مصلحة العباد والبلاد.

- شهر ذي الحجة: قدم كتاب الأمير شيخ من الوطاق إلى دمشق، بأن الشيخ أبا بكر بن تبع وصل إليه رسولاً من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن منام رآه شخص، فيه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول له: " قل لشيخ أن لم يرجع عما هو فيه وإلا هلك ومن معه " فقال: " يا رسول الله أخاف ألا يصدقني " فقال: " قل لابن تبع يذهب إليه " فقال: " ما يصدقه " فذكر له علامة من تحويط نفسه عند النوم بذكر ذكره فتوجه هو وابن تبع إليه فقص عليه المنام، فصدق العلامة، وكتب إلى دمشق برفع المظالم، وأنه قد رجع وأناب إلى الله تعالى، وسأل الدعاء له بالتوفيق والسداد فقرئ الكتاب في الجامع الأموي بحضرة القضاة والأعيان والعامة

(سنة ثلاث عشرة وثمانمائة)

- وفيها : ورد الخبر على السلطان بوصول الأميرين شيخ ونوروز في نحو مائتين وخمسين فارساً إلى أرض البلقاء .
- وفيها : دخل الأميران شيخ ونوروز بمن معهما إلى غزة،
- وفيه : سقط الطائر من قطيا إلى قلعة الجبل بخبر وصول الأميرين شيخ ونوروز إلى قطيا، وأن من معهما نهبها، وأنه تنحى إلى جهة الطينة، وأنهم ساروا من قطيا يريدون القاهرة

• وفيها : كسرت خوخة أيدغمش وعبر طائفة من الشاميين إلى القاهرة، ومعهم طوائف من العامة، ففتحوا باب زويلة وكان والي القاهرة قد أغلقه، وجميع أبواب القاهرة، على ما جرت به العادة من ذلك في أوقات الفتنة.

• وفيها: خرج الأمير بكتمر جلق نائب الشام من دمشق، ونزل قبة يلبغا، فقدم عليه الخبر بأن الأميرين تغري بردى وتمراز الناصري دخلا بين السلطان وبين الأميرين شيخ ونوروز في الصلح، وصعدا إليهما بقلعة الكرك ونزلا ومعهما الأمير سودن تلي المحمدي، ويشبك العثماني، وقرروا مع السلطان نزول الأمير شيخ والأمير نوروز إلى خدمته غداً، وأنهما نزلا إليه من الكرك، وشرط السلطان على الأميرين شيخ ونوروز ألا يخرجا إمرة ولا إقطاعاً ولا غير ذلك إلا بمرسوم سلطاني، وألا ينفرد أحد منهما بأمر يتعلق بالسلطة، وأن يسلما قلعة الكرك ومدينتها للسلطان، ويسلم الأمير شيخ قلعة صرخد وقلعة صهيون للسلطان، وحلف الجميع للسلطان على الوفاء له بما ذكر، والإقامة على طاعته.

(سنة أربع عشرة وثمانمائة)

• وفيها : أمر السلطان أن يمحي اسم جمال الدين الاستادار ورنكه من المدرسة، فمحي، وكتب بدله اسم السلطان، فصارت تدعى بالمدرسة الناصرية، بعدما كان يقال لها الجمالية.

• شهر جمادى الأولى : أمر السلطان بهدم مدرسة السلطان الأشرف شعبان بن حسين ، التي تجاه الطبلخاناه، فوقع الهدم فيها، وكانت من أعظم بناء رأيناه، وعمر بأحجارها في مواضع بالقلعة، وأمر بهدم الدور التي كانت ملاصقة لسور القلعة، ما

بين الصوة وتحت الطبلخاناه إلى قريب باب القرافة، فهدمت، وصارت خرابا موحشة، وتشتت سكانها وتمزقوا، وألسنتهم تضج بالدعاء.

- **وفيه** : تواترت الأخبار بأن الأميرين شيخ ونوروز قد اتفقا على الخروج عن طاعة السلطان، وعزما على أخذ حماة،
- **وفي شعبان** : قتل السلطان بالقلعة زيادة على مائة من أكابر الجراكسة .
- **وفيه** : مر السلطان بشارع القاهرة في دون المائة فارس، وعليه ثياب جلوسه، وهو ثمل، لا يكاد يثبت على فرسه حتى صعد القلعة نصف النهار، ولم يعرف قط بمصر ملك شق القاهرة بثياب جلوسه قبل هذا.
- **شهر رمضان**: نودي بالقاهرة لجميع المماليك بالأمان، وأنهم عتقاء شهر رمضان، فظهر منهم جماعة، فأمنوا وتتابع بقيتهم حتى ظهر قريب من ثلاثين مملوكاً في عدة أيام، فوعدوا بخير ورسم لهم بيوم يجتمعون فيه لأخذ خيولهم فاغتروا وحضروا، فقبض عليهم كلهم وحبسوا، وتتبع المماليك السلطانية، وجلس السلطان لتفريق القرقلات برسم الرسم عليهم، فقبض على جماعة كثيرة منهم، وسجنهم، فما انقضى شهر رمضان حتى زادت عدة المسجونين من المماليك السلطانية على أربعمائة رجل.
- **وفي هذا الشهر**: تأكد عند السلطان خروج الأميرين شيخ ونوروز عن طاعته، وأنهما عزما على أخذ دمشق .
- **شهر شوال** : ذبح السلطان من مماليك أبيه الذين في الاعتقال مائة رجل وسحبوا، ثم ألقوا من سور القلعة إلى الأرض، ورموا في جب مما يلي القرافة
- **وفيه**: ركب السلطان من قلعة الجبل، فيمن بقي عنده من العسكر، وقد لبسوا كلهم السلاح ومعهم ثلاثة آلاف فرس، و عدد كثير من العجل التي تجرها

الأبقار، وعليها آلات الحصار، من مكاحل النفط الكبار، ومدافع النفط المهولة، ونحو ذلك وخرجت خزانة السلاح على ما ينيف على ألف جمل، تحمل القرقلات والخوذ ونحوها في الحوائج خاناه الخشب، التي غشيت باللباد الأحمر، وبجلود البقر، وتحمل الرماح، وتحمل الصناديق المملوءة بالنشاب، وغير ذلك من السيوف ونحوها وخرجت خزانة المال في الصناديق المغشاة بالحرير الملون، وفيها ما ينيف على أربعمائة ألف دينار، وخرج المطبخ، وقد ساق الرعيان برسمه ثمانية وعشرين ألف رأس من الغنم وكثيراً من الأبقار والجواميس، تحلب ألبانها وتقدم الحريم في سبع محفات قد غشيت بالحرير، وبعضها مطرز بالذهب، فبلغت عدة الجمال إلى ثلاثة وعشرين ألف جمل، فكان شيئاً مستكثراً إلى الغاية ونزل السلطان في مخيمه تجاه مسجد تبر خارج القاهرة، وخرج الخليفة المستعين بالله، وقضاة القضاة الأربع وأرباب الدولة، وكلهم قد بالغ في تحسين جماله وخيوله وخيمه وآلات سفره، وزاد فيها على عادته، فنزلوا منازلهم .

- **وفيها** : قتل من المماليك الظاهرية ستمائة وثلاثون رجلاً وعدة من الأمراء،

(سنة خمس عشرة وثمانمائة)

- **وفي المحرم** : سار السلطان بعسكره يريد محاربة الأميرين شيخ ونوروز، ومن انضم إليهما من الأمراء المصريين، ومن معهم
- **وفيه** : كتب قاضي القضاة شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني، ومعه بقية قضاة مصر ودمشق، وجماعة من أرباب الدولة، ونودي بين أيديهم بأسواق دمشق عن لسان السلطان، أنه قد أبطل المكوس وأزال المظالم، فادعوا له فقوي ميل الشاميين إليه، وتعصبوا له، وصار أكثرهم من حزبه وفريقه.
- **وفيه** : خلع الخليفة المستعين بالله الملك الناصر من الملك ثم قتل .

3) مجريات فرج بن برقوق (2):

(عودة الناصر فرج)

فلما كانت **ليلة الجمعة رابع جمادى الآخرة** ظهر الملك **الناصر فرج** من بيت **سودون الحمزاوي**، وتلاحق به كثير من الأمراء والمماليك السلطانية ولم يطلع الفجر حتى ركب الملك **الناصر** بآلة الحرب، وسار بمن معه يريد الطلوع إلى قلعة الجبل؛ منعه جماعة من الأمراء من الطلوع وهم: **سودون المحمدي**، الأمير آخور، و **أينال باي بن قجماس**، **وبيبرس** الأتابك، **وسودون المارديني**، **ويشبك بن أزدمر** في آخرين , وقاتلوه ساعة، ثم إنهزموا وملك **الناصر قلعة الجبل**، وخلع أخاه **المنصور** ، وسكن روعه وأحسن إليه، وعاد إلى ملكه، وأمسك الأمراء المذكورين، وحبسهم، وقتلهم .

(ابن تغري بردي– مورد اللطافة 125)

(الناصر فرج والامراء)

ولما جلس الملك **الناصر** على تخت الملك ثانيا استفحل أمره، واستبد بأمور المملكة، وأمسك جماعة كثيرة من الأمراء وحبسهم، ثم قتلهم ثم اشتغل بمن خرج عليه من مماليك أبيه النواب بالبلاد الشامية مثل: **نوروز الحافظي وشيخ المحمودي وجكم العوضي** وغيرهم .

واما امر القتل فهو معذور من وجه وغير معذور من وجه، أما الوجه الأول: فإنه سامحهم في أوائل الأمر كثيرا، وعفى عن أكثرهم المرة والمرتين حتى أن عدوه **الملك المؤيد شيخ** قال بعد موته: **إن كان الله – سبحانه وتعالى – يعفو عن الملك الناصر؛ فيعفو عنه بقتله للأمير تمراز النائب .**

وحكى لي الأمير **جقمق الظاهري** الحاجب قال: **ما صبر أحد على عدوه وعفى عنه مثل الناصر، فإنه لم يقتل واحدا ممن قتل حتى عصى عليه المرة والمرتين والثالثة ولم**

نر هذا وقع لملك بعده كائن من كان - صالحهم وطالحهم - بل كان من خرج عليه واحد مرة لم يبلعه ريقه .

وأما الوجه الثاني، فإن الإقدام على قتل النفس أمر كبير ينبغي للملك وغيره التحرز منه والتحري فيه، والتجاوز عن القتل إلى غيره من: الحبس، والنفي، والإرداع وغير ذلك.

ووقع له معهم أمور، وتجرد نحو ثماني تجاريد إلى البلاد الشامية بسببهم وطال الأمر، وتجاوزت الفتن الحد، وخربت في تلك الأيام غالب قرى الديار المصرية والبلاد الشامية وصار حكم **الملك الناصر** لا يتجاوز قطيا - في غالب الأحيان - لاسيما لما تسلطن **جكم العوضي** بحلب تلاشى أمره وضعفت حرمته، إلى أن قتل **جكم** بآمد تراجع أمره قليلا .

(ابن تغري بردي - مورد اللطافة 129)

ومد الملك الناصر يده في القتل في مماليك أبيه، وأسرف في القتل، وأمعن حتى أنه قارب من قتله الألف .

ثم خرج **الناصر** بعد ذلك مجردا إلى البلاد الشامية لقتل **نوروز وشيخ** وقد نفرت منه القلوب، وتغيرت الخواطر عليه؛ بسبب إسرافه في القتل .

عند ذلك أخذ أمر **الناصر** في انحطاط، وعظم أمر الأمراء، وتكاثر عددهم حتى جاوز عدة من كان مع **نوروز وشيخ** زيادة على **عشرين مقدم ألف** كل واحد منهم يقول في نفسه: أنه أعظم من **شيخ ونوروز**، وأن الأمر لا يصير إلا إليه، مثل: **بكتمر جلق** نائب الشام، **وقرقماس، وسودون المحمدي، وشاهين الأفرم** أمير سلاح، **وطوغان الحسني** الدوادار الكبير في آخرين .

وخرج الملك **الناصر** لقتالهم؛ فجبن الجميع عن مصافقته وقتاله، وصاروا ينتقلون من بلد إلى أخرى، وهو في إثرهم سوقا، وعساكره متقطعة خلفه، إلى أن وافاهم وقت العصر من يوم الأثنين ثالث عشر محرم سنة خمسة عشر وثمانمائة باللجون، وهو سكران لا يعي من شدة السكر .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 129)

(أحتدام المعركة)

وكان الأمراء قد نزلوا وأراحوا خيولهم ورجالهم، وفي ظنهم أن **الناصر** يتمهل ليلته عن قتالهم ويلقاهم من الغد، فإذا جنهم الليل ساروا من وادي **عارة** إلى جهة **الرملة**، ولا يقاتلوه أبدا؛ لرعب كان قد سكن في قلوبهم منه، وأيضا لشدة بأسه وفرط شجاعته، مع معرفتهم بكثرة جمعهم وباختلاف عسكر **الناصر** عليه ومع هذا جبن الجميع عن لقائه وقتاله؛ فحالما وصل **الناصر** إلى **اللجون** ركب وصف عساكره، وقد كلت خيوله ورجاله من السوق أياما كثيرة؛ فكلمه الأتابك **دمرداش المحمدي** في الراحة في تلك الليلة وفي القتال من الغد، وألح عليه، وساعده في ذلك **فتح الله** كاتب السر؛ فلم يلتفت إلى كلامهما وقال: **أنا لي سنين أنتظر هذا اليوم متى ما ثبت الليلة هربوا الجميع في الليل**، ومشى عليهم؛ فحالما صافقهم عصى عليه من أمرائه الأمير **قجق** بجميع مماليكه وطلبه وتداول ذلك من جماعة كثيرة، وهو مع ذلك مصر على اللقاء .

لم يطعهم وأطاع غروره وجهله واغتر بشجاعته وحوله، وظن أنه لا يقابله أحد لغرته وطوله، ولا يقاتله أحد لهيبته ودوله فدله خياله الفاسد بغرور.

فلما رأى الأمراء أمرهم في زيادة، وعسكرهم في نمو، قوي بذلك قلبهم، وتصادم الفريقان؛ فلم يثبت عسكر **الناصر** وانكسر .

واستولى الأمراء بعد الوقعة على **الخليفة والقضاة والعصائب السلطانية**، وساروا يريدون **دمشق**؛ فتهيأ **الناصر** لقتالهم ثانيا .

ثم وقع **للناصر** مع الأمراء أمور وحروب طالت أياما كثيرة؛ فسلطنوا الأمراء الخليفة **العباس**، وخلعوا **الناصر** من الملك .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 129)

(مقتل الناصر فرج)

كاد **الناصر فرج** أن يعود، فخلا به شياطينه – **أقبغا النظامي** ، **وألطنبغا شقل**، وأضرابهما من الفجار المفسدين – وقبحوا هذا الرأي، وشجعوه على المسير إلى أعدائه، وأنه عندما يلقاهم يأخذهم عن آخرهم أخذاً باليد، فإنهم كلهم في قبضته، وكان **الناصر** يميل مع من يستميله، ويؤثر فيه قول كل قائل.

وركب **السلطان** من ساعته وهو ثمل، وانهزم **السلطان** وقد جرح في عدة مواضع، ونجا بنفسه، وهو يريد دمشق، وفاته الرأي أخيراً كما فاته أولاً، ليقضي **الله** أمراً كان مفعولاً.

وأحاطوا أيضاً بجميع ما كان مع **الناصر** من مال وخيول وجمال وغير ذلك .

فركب القوم وأحاطوا به يريدون قتاله فأرسل يسأل في الكف عنه، فضايقوا القلعة خشية أن يفر منها، فأضطره الحال إلى أن نزل ليلة الاثنين حادي عشره، ومعه أولاده يحملهم ويحملون معه، وهو ماش من باب القلعة إلى الإصطبل، حيث منزل **الأمير شيخ**، فقام إلى لقائه وقبل له الأرض، وأجلسه بصدر المجلس، وسكن روعه، وتركه وانصرف عنه، فأقام بمكانه إلى يوم الثلاثاء ثاني عشره،

(المقريزي – السلوك 324/6)

فجمع فقهاء مصر والشام بدار السعادة بين يدي أمير المؤمنين، وقد تحول إليها وسكنها، فأفتوا بإراقة دم الناصر شرعاً فأخذ في **ليلة الأربعاء** من الإصطبل، وأنزل بموضع

من **قلعة دمشق** وحده، وقد ضيق عليه، وأفرد من خدمه إلى ليلة السبت سادس عشره دخل عليه ثلاثة، أحدهم **ابن مبارك** أخو الخليفة، وآخر من ثقات الأمير **شيخ**، وآخر من ثقات الأمير **نوروز**، ومعهم رجلان من المشاعلية، فعندما رآهم ثار إليهم، ودافع عن نفسه فساوره الرجلان حتى صرعاه، بعدما أثخنا جراحه وتقدم إليه بعض صبيان الفداوية بخنجر فخنقه، وقد أصابته الجراحة في خمسة مواضع فلما ظن أنه قد أتى على نفسه وقام عنه، تحرك فعاد وخنقه مرة ثانية، حتى قوى عنده أنه هلك تركه، فإذا به يتحرك، فعاوده مرة ثالثة، وفرى أوداجه بخنجر .

وسحب بعدما سلب جميع ما عليه من الثياب وألقى على مزبلة مرتفعة عن الأرض تحت السماء، وهو عاري البدن، يستر عورته وبعض فخذيه سراويله، وعيناه مفتوحتان، والناس تمر به، ما بين أمير ومملوك، قد صرف **الله** قلوبهم عنه وغوغاء العامة وأراذل الغلمان تعبث بلحيته ويديه ورجليه طول نهار السبت، نكالاً من **الله** له، فإنه كان مستخفاً بعظمة **الله** سبحانه، فأراه **الله** قدرته .

(المقريزي – السلوك 325/6)

دارت عليه الدوائر **فما كان للناصر من قوة ولا ناصر** وألقي بعد هذه القتلة على سباطة مزبلة وهو عريان عن اللباس تمر به الناس تنظر إلى ذلك البدن الممتهن والجسد العاري الممتحن إلى أن عطف **الله** بعض الأنام بعد عدة أيام فحمله وغسله وكفنه وواراه في مقبرة باب الفراديس **بمرج الدحداح** .

(العصامي – سمط النجوم العوالي 43/4)

هذا لقلة إنصاف أعدائه وعدم مروءتهم؛ وهو أن الرجل إذا كان في نفسه من عدوه ثم ظفر به؛ فأعظم ما يجازيه بالقتل، ثم يكرمه بالغسل والكفن والدفن؛ فلم يفعلوا هؤلاء مع الناصر ذلك، بل لو أمكنهم إحراقه لحرقوه، ولعل هذا ينفعه عند **الله** تعالى.

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 132)

وقد كان الأمير شيخ لا يريد قتله، وعزم على أن يحمله مع الأمير طوغان الدوادار إلى الإسكندرية ويسجنه بها .

(المقريزي – السلوك 325/6)

وكان قصد شيخ إبقاءه يخوف به نوروزًا إن حصل مخالفة وأيضًا وقف على يمينه وخاف سوء عاقبة الأيمان والعهود وأيضًا لما سبق لوالده عليه من الحقوق السالفة وقال: **هو – يعني الملك الناصر – قد ظفر بنا وأبقانا غير مرة ونحن مماليكه فكيف نحن نظفر به مرة واحدةً نقتله فيها ويشاع ذلك عند ملوك الأقطار فيقبح ذلك علينا إلى الغاية!**

قلت: ولذلك ملكه الله على المسلمين وحكمة فيمن خالفه في ذلك حتى أفناهم على السيف في أسرع وقت وأقل مدة " **وما ربك بظلام للعبيد** " .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 199/13)

فقام الأمير نوروز والأمير بكتمر جلق في قتله قياماً بذلاً فيه جهدها، فإن الأمير يشبك بن أزدمر ممن امتنع من الموافقة على قتله، وشنع في ذلك، واحتج بالأيمان التي حلفت له، فتقوى نوروز وبكتمر بالخليفة، فإنه اجتهد هو وكاتب السر فتح الله في ذلك، وحمي الفقهاء والقضاة على الكتابة بإراقة دمه وتجرد قاضي القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفي لذلك، وكافح من خالف في قتله، وأشهد على نفسه أنه حكم بقتله شرعاً، فأمضى قتله، وقتل واستفتوا العلماء فأفتوا بوجوب قتله لما كان يرتكبه من المحرمات والمظالم والفتك العظيم .

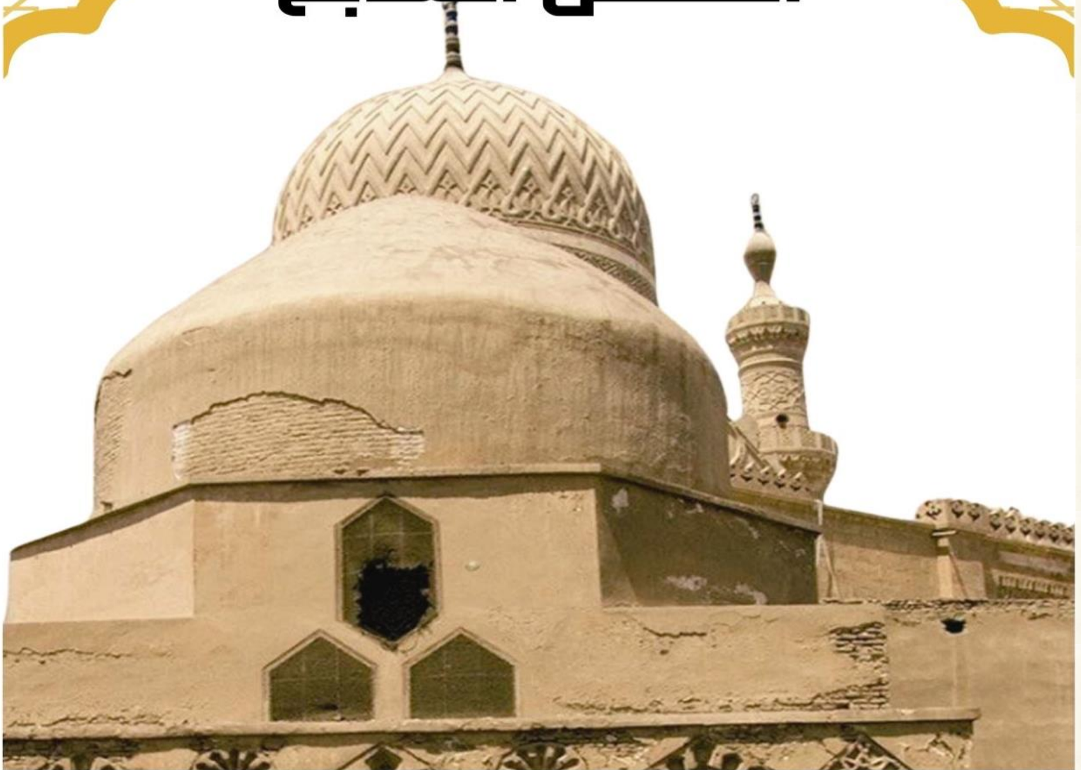
(المقريزي – السلوك 325/6)

ولقد كان الناصر هذا أعظم الناس خذلانا لدين الإسلام وأشأمهم طلعة على المسلمين والعجب أنه ولد لما أقبل يلبغا الناصري ومنطاش فبشر أبوه فسماه بلغاق – يعني فتنة، فما

خلص أبوه من الكرك سماه فرجا فكان اسمه الأول هو الحقيقي.

(ابن حجر – إنباء الغمر بأبناء العمر 511/2)

الفصل السابع



الخليفة العباسي

1) ترجمة : الخليفة العباسي المستعين :

أبو الفضل العباس، الخليفة ثم السلطان، أمير المؤمنين، وسلطان الديار المصرية ابن الخليفة المتوكل على الله أبي عبد الله محمد ابن الخليفة المعتضد أبي بكر ابن المستكفي سليمان ابن الحاكم بأمر الله أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن علي القبي ابن الخليفة الراشد منصور ابن المسترشد الفضل ابن المستظهر أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن المعتضد أحمد ابن الأمير طلحة الموفق ابن الخليفة المتوكل جعفر ابن المعتصم محمد ابن الرشيد هارون ابن المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، الهاشمي العباسي المصري .

بويع **المستعين** بالخلافة بعد موت أبيه – بعهد منه إليه – في يوم الأثنين مستهل شعبان سنة ثمان وثمانمائة، وكان ذلك بعد موت أبيه بأربعة أيام .

واستمر في الخلافة سنينا، إلى أن تجرد صحبة **الملك الناصر** فرج إلى البلاد الشامية

فلما انكسر الملك **الناصر فرج** من الأميرين **شيخ ونوروز** بمن معهم ودخل إلى دمشق، استولى الأمراء على الخليفة هذا والقضاة والعصائب السلطانية وعادوا إلى دمشق لقتال **الناصر** , فلما طال أمر **الناصر** عليهم لم يجدوا بدا من سلطنة الخليفة؛ لأنه لم يكن حين ذاك عند الأمراء أحد من أولاد السلاطين ، وأيضا لم يكن في الأمراء من هو أهل لذلك؛ لأن كل واحد منهم كان يقول في نفسه هو أحق بالأمر من غيره، ولا يذعن لسواه .

فلما كان ذلك اتفق رأي الجميع على سلطنة الخليفة **المستعين** ؛ فامتنع من ذلك غاية التمنع؛ فلا زالوا به حتى أذعن وولي السلطنة على كره منه، بعد شروط عديدة وتسلطن، وتم أمره، وأطاعته الأمراء منذ كان بدمشق .

وقع الأتفاق على أن **نوروز الحافظي** يستقر في نيابة الشام جميعه – من غزة إلى الفرات –

ويستقر **شيخ المحمودي** أتابكا بمصر ومدبر مملكة **المستعين** .

وعاد **المستعين** وصحبته **شيخ** وغيره إلى الديار المصرية، وسكن الخليفة بقلعة الجبل - **على عادة السلاطين** - وسكن **شيخ** بباب السلسلة؛ فلم يدع **شيخ للمستعين** شيئا من الأمر والنهي، بل صار في السلطنة حسا وشيخ معناه وليته دام له ذلك .

ثم إن **شيخا** بدا له أن يتسلطن؛ فجمع القضاة، وخلع **المستعين** ، وتسلطن من غير أن يوافق **المستعين** على خلع نفسه؛ فأكره حتى خلع غصبا .

واستمر بالقلعة محتفظا به على الخلافة؛ فكانت مدة سلطنته من يوم تسلطن - خارج دمشق - إلى يوم خلع **سبعة أشهر وخمسة أيام**؛ فدام بقلعة الجبل **خليفة**، إلى أن خلعه **شيخ** بأخيه **المعتضد داود** من الخلافة في **يوم الخميس سادس عشر ذي الحجة سنة ستة عشر وثمانمائة** .

واستمر **المستعين** محتفظا به بقلعة الجبل مدة يسيره، وحمل إلى الأسكندرية؛ فسجن بها سنينا كثيرة، إلى أن أخرجه الملك **الأشرف برسباى** من السجن، ورسم له أن يسكن ببعض دور الأسكندرية؛ فوقع له ذلك ودام بها ، إلى أن توفى بالطاعون في **يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة** .

(ابن تغري بردي - مورد اللطافة 133)

2) حوليات الخليفة :

- **وفي المحرم: استقر الأمير نوروز في نيابة الشام، وخلع عليه بحضرة أمير المؤمنين بدار السعادة، وقد جلس بها وجلس الأمير شيخ وكان منذ قتل الناصر قد اتفق الحال على الأميرين شيخ ونوروز يقومان بالأمر مع أمير المؤمنين، ويسيران إلى مصر.**
- **وفيه : قدم كتاب الخليفة، وكتابي الأميرين شيخ ونوروز إلى الأمراء بديار مصر،**

تتضمن أخذ الناصر فرج.

- وفيه : نودي بالقاهرة بالأمان، فإن فرج بن برقوق قد مسك، ودخل في قبضة الأمير شيخ ونوروز، وأرسلت الكتب إلى الجوامع، فقرئت بالجامع الأزهر، وبجامع الحاكم من القاهرة، وبجامع أحمد بن طولون، وجامع عمرو من مدينة مصر، ، فكان يوماً مشهوداً وامتنع الأمير أسنبغا الزردكاش بقلعة الجبل، وكذب ذلك، وأراد أن يركب للحرب فساس الأمير يلبغا الناصري الحال، حتى كف أسنبغا عن الفتنة.
- وفيه : بث أمير المؤمنين كتبه في البلاد الشامية وغيرها إلى التركمان والعربان والعشير، وجعل افتتاحها بعد البسملة: من عبد الله ووليه الإمام المستعين بالله أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين، وابن عم سيد المرسلين، المفترض طاعته على الخلق أجمعين أعز الله ببقائه الدين، إلى فلان.
- ربيع الأول : ورد كتاب أمير المؤمنين إلى الأمراء بديار مصر، يتضمن قتل فرج بن برقوق، وأن الأمير أسنبغا يسلم قلعة الجبل إلى الأمير يلبغا الناصري .
- ربيع الآخر : قدم أمير المؤمنين والأمير شيخ والعسكر إلى القاهرة، فشقوا القصبة من باب النصر إلى باب زويلة، ومضوا إلى القلعة وقد زينت الشوارع، فنزل الخليفة بالقصر من قلعة الجبل، ونزل الأمير شيخ باب السلسلة وظهر اتضاع جانب الخليفة .
- وفيه: حضر الأمير شيخ بالقصر بين يدي أمير المؤمنين، ومعه الأمراء وأهل الدولة وخلع على الأمير شيخ تشريف جليل لم يعهد مثله في عظم القدر، واستقر به أميراً كبيراً، وفوض إليه الحكم بالديار المصرية في جميع الأمور، وأن يولي ويعزل من غير

مراجعة ولا مشورة، وأشهد عليه بذلك، فتلقب بنظام الملك، وكتب بذلك في مكاتباته، وكوتب به .

- وفيه: خلع الأمير شيخ على دواداره جقمق، واستقر به دوادار الخليفة، وأسكنه بقلعة الجبل، حتى لا يتمكن الخليفة من العلامة على شيء ما لم يكن على يد جقمق، ولا يقدر أحد على الاجتماع به إلا وهو معه فاستوحش الخليفة من ذلك لانفراده بعياله في تلك القصور الواسعة، وضاق صدره، وكثر فكره.
- شهر جمادى الأولى : قرئ تقليد أمير المؤمنين للأمير الكبير نظام الملك شيخ، بأنه فوض إليه ما وراء سرير خلافته.
- وفيه: جلس الأمير الكبير نظام الملك شيخ ،وبين يديه قضاة القضاة، والأمراء، والوزير، وكاتب السر، وناظر الجيش، وناظر الخاص، وسائر أرباب الدولة، وقرأ كاتب السر عليه القصص كما جرت عادته بالقراءة بين يدي السلطان .
- شهر جمادى الآخرة: مات الأمير بكتمر جلق من مرض تمادى به نحو شهرين أصله أن عقربا لسعته ، فاشتد ألمه منها، وأخذه الحمى فنزل الأمير الكبير نظام الملك راكباً، وجميع الأمراء مشاة، حتى صلى عليه تحت القلعة، وعاد من غير أن يشهد دفنه وخلا له الجو بموت بكتمر هذا، وصرح بما كان يكتمه من الاستبداد بالأمر، وعزم على ذلك، ثم أخره.
- وفيه: خرج الأمير نوروز من دمشق لملاقاة أهله، خوند سارة ابنة الملك الظاهر، وقد سارت إليه من القاهرة، فلقيها بالرملة، وهي مريضة، فتوجه بها إلى القدس، فماتت هناك، فدفنها .

- **وفيه : دعي لأمير المؤمنين المستعين بالله على منبر المسجد الحرام، وفي كل جمعة على منبري مكة والمدينة، ولم يدع بها لأحد من الخلفاء الذين قاموا بديار مصر من بني العباس، سوى المستعين هذا وآخر من دعى له على منابر الحجاز من بني العباس الخليفة المستعصم بالله .**

(المقريزي – السلوك)

3) مجريات الخليفة المستعين :
(الطريق الى السلطنة)

ثم كانت الكسرة **للناصر فرج** ومن معه , فما غربت الشمس حتى صار القوم من الخوف إلى الأمن، ومن الذل إلى العز، فتقدم **شهاب الدين أحمد بن الأذرعي** – إمام الأمير **شيخ** – وصلى بهم المغرب، فقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة بصوته الشجي " **واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض، تخافون أن يتخطفكم الناس، فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون** " فوقعت قراءة هذه الآية أحسن موقع بمناسبة الحال.

وأصبحوا ليس فيهم واحد ينقاد لآخر، فينادي الأمير **شيخ** بأنه الأمير الكبير، ويرسم بما شاء وينادي الأمير **نوروز** بأنه الأمير الكبير، ويرسم بما شاء، وينادي **بكتمر جلق** بأنه الأمير الكبير، ويرسم بما شاء وأخذ الأمير **سودن تلي المحمدي** بيده الإصطبل السلطاني، وحواه لنفسه، فبعث الأميران **شيخ ونوروز** إلى كاتب السر فأحضراه إليهما في خلوة، وبالغا في إكرامه، وأراداه أن يكتب بما جرى إلى الديار المصرية، ويعلم الأمراء به، فقال لهما من **السلطان** الذي يكتب عنه، فأطرق كل منهما رأسه ساعة، ثم قال ابن أستاذنا ما هو هنا حتى نسلطنه، يريدان الأمير **فرج بن السلطان الملك الناصر فرج** فلما رأى انقطاعهما

قال: **الرأي أن يتقدم كل منكما إلى موقعه بأن يكتب عنه إلى أمراء مصر كتاباً بصورة الحال، ويأمر بحفظ القلعة والمدينة حتى يقدم عليهم، ويعدهم بالخير ثم يكتب الخليفة أمير المؤمنين عنه كتاباً إلى الأمراء بصورة الحال، ويأمرهم بامتثال ما تضمنه كتابيكما ,** فوقع هذا الرأي الموقع الجيد، وكتب كل منهما كتاباً، وكتب الخليفة كذلك وندب **قجقار القردمي** بحمل الكتب وجهز إلى القاهرة، فمضى إليها من يومه.

(المقريزي – السلوك 316/6)

اتفق الأمراء على إقامة **الخليفة** في **السلطنة** عوضًا عن الملك **الناصر فرج** لتجتمع الكلمة في رجل واحد ويجموا بذلك سبيلًا لقتال **الملك الناصر** وانفلال الناس عنه.

وأرسلوا إليه **فتح الله كاتب السر** فكلمه في ذلك وهو على ظاهر **دمشق** والملك **الناصر** داخلها فأبى **الخليفة** أن يقبل ذلك وصمم على عدم القبول.

فألح عليه **فتح الله** في ذلك وتلطف به فلم يزدد إلا تمنعًا كل ذلك خوفًا من **الملك الناصر** , فلما رأى **فتح الله** شدة تمنعه وعدم موافقته رجع إلى **الأمراء** وأعلمهم بذلك وقال لهم: **ألا يمكن قبوله أبدًا مما رأيت من تمنعه فاعملوا عليه حيلة حتى يقبل** , فدبروا عليه حيلة من أنهم أرسلوا خلف أخيه لأمه **الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك شاه الطازي** وأعطوه ورقة تتضمن القدح في الملك **الناصر** وفي تعداد أفعاله ومساوئه وندبوا **ناصر الدين** بعد أن أوعدوه بإمرة **طبلخاناه ودوادارية السلطان** حتى ركب فرسًا من غير علم **الخليفة** ونودي أمامه: **إن الخليفة قد خلع السلطان الملك الناصر من السلطنة ولا يحل لأحد متابعته ولا القيام بنصرته** وقرئت الورقة على الناس.

وبلغ الخليفة **المستعين بالله** ذلك فقامت قيامته وعظم عليه ذلك إلى الغاية وتحقق عند ذلك أن الملك **الناصر** إذا ظفر به لا يبقيه.

دخل عليه **فتح الله** بعد ذلك ثانيًا وكلمه في السلطنة فقبل على شروط عديدة شرطها على الأمراء فقبلوا جميع الشروط.

وفرح الأمراء بذلك وبايعوه بأجمعهم وقبلوا يده وحلفوا له على الطاعة والوفاء بالأيمان المغلظة التي لا يمكن التورية فيها.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 13/ 190)

ولولا الخليفة ما انتظم لهم أمر لعظم ميل التركمان والعامة **للملك الناصر**.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 13/ 193)

ولما قتل **الناصر** قد اتفق الحال على الأميرين **شيخ ونوروز** يقومان بالأمر مع **أمير المؤمنين**، ويسيران إلى **مصر**، فينزل الأمير **شيخ** بباب السلسلة من **قلعة الجبل**، وينزل الأمير **نوروز** في بيت الأمير **قوصون** بالرميلة تجاه **باب السلسلة**، وكتب إلى **القاهرة** بتجديد عمارته، وأن يضرب عليه رنك الأمير **نوروز** .

فكان الناس يتوقعون عود الفتنة بين الأميرين **شيخ ونوروز**، إلى أن اختار **نوروز** من تلقاء نفسه أن يكون بالشام، وخلع عليه .

وعندئذ انفرد الأمير **شيخ** بتدبير المملكة، وأخذ جانب الخليفة في الأتساع، وفوض إلى الأمير **نوروز** كفالة الشام كله – دمشق وحلب وحماة – وجعل له تعيين الإمريات والإقطاعات لمن يريده ويختاره، وأن يولي النواب بالقلاع وغيرها، ويولي الكشاف والولاة بالأعمال، ويولي المباشرين أيضاً، ويطالع **الخليفة** بمن يستقر به في شيء من ذلك، ليجهز إليه التشريف.

بث **أمير المؤمنين** كتبه في **البلاد الشامية** وغيرها إلى التركمان والعربان والعشير، وجعل افتتاحها بعد البسملة: **من عبد الله ووليه الإمام المستعين بالله أمير المؤمنين، وخليفة رب**

العاملين، وابن عم سيد المرسلين، المفترض طاعته على الخلق أجمعين أعز الله ببقائه الدين، إلى فلان...،.

دعي لأمير المؤمنين **المستعين بالله** على منبر **المسجد الحرام**، بعدما دعي له على ظهر **بئر زمزم**، واستمر ذلك في كل ليلة على زمزم، وفي كل جمعة على منبري **مكة والمدينة**، ولم يدع بها لأحد من الخلفاء الذين قاموا بديار **مصر** من **بني العباس**، سوى **المستعين** هذا وآخر من دعى له على منابر الحجاز من **بني العباس** الخليفة **المستعصم بالله**.

ثم سرعان ما تعاظمت ادوار الامير شيخ , وأقبل الناس إلى باب الأمير للسعي في الوظائف، وترك **الخليفة** وحده، ليس له سوى من يخدمه من حاشيته قبل مصير ما صار إليه.

(المقريزي – السلوك 6/ 330)

(تفويض الخليفة للامير شيخ)

حضر الأمير **شيخ** بالقصر بين يدي **أمير المؤمنين**، ومعه الأمراء وأهل الدولة وخلع على الأمير **شيخ** تشريف جليل، بطراز لم يعهد مثله في عظم القدر، واستقر به **أميراً كبيراً**، وفوض إليه الحكم بالديار المصرية في جميع الأمور، وأن يولي ويعزل من غير مراجعة ولا مشورة، وأشهد عليه بذلك، فتلقب **بنظام الملك**، وكتب بذلك في مكاتباته، وكوتب به.

قرئ تقليد أمير المؤمنين للأمير الكبير نظام الملك شيخ، بأنه فوض إليه ما وراء سرير خلافته. وجميع أهل الدولة في خدمته، وأصبح عزيز مصر.

ثم ان الأمير **شيخ** خلع على **دواداره** الأمير **جقمق**، واستقر به **دوادار الخليفة**، وأسكنه بقلعة الجبل، حتى لا يتمكن الخليفة من العلامة على شيء ما لم يكن على يد **جقمق**، ولا يقدر أحد على الاجتماع به إلا وهو معه فاستوحش **الخليفة** من ذلك لانفراده بعياله في

تلك القصور الواسعة، وضاق صدره، وكثر فكره.

(المقريزي – السلوك 6/ 331)

(خلع الخليفة المستعين بالله من السلطنة)

وفي مستهل شعبان بويع الأمير **شيخ** بالسلطنة باتفاق من أهل الحل والعقد الذي حضروا من الأمراء والقضاة والمباشرين ثم صعد إلى القصر فجلس على تخت الملك، وقبل الأمراء الأرض فصافحه القضاة وأصحاب الوظائف، وقررهم على وظائفهم، وأرسل إلى **الخليفة** ليشهد عليه بتفويض السلطنة له على عادة من تقدمه فأجاب بشرط أن ينزل من القلعة إلى بيته، فلم يوافقه السلطان على ذلك بل استنظره أياما.

(ابن حجر – إنباء الغمر بأبناء العمر 511/2)

وكانت مدة إقامة الخليفة حاكماً – منذ جلسته خارج دمشق إلى هذا اليوم – سبعة أشهر وخمسة أيام.

(المقريزي – المواعظ والاعتبار 425/3)

الفصل الثامن



المؤيد شيخ المحمودي

1) ترجمة المؤيد أبو النصر شيخ:

المؤيد أبو النصر شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري , الثامن والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية، والرابع من الجراكسة.

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 138)

كان قدومه القاهرة في السنة التي قدم فيها أنص والد برقوق، فعرض على برقوق قبل أن يتسلطن فرام من صاحبه بيعه فاشتط في الثمن وكان ابن اثنتي عشرة سنة ولكن كان جميل الصورة، فاتفق موت الذي جلبه فاشتراه محمود تاجر المماليك بثمن يسير وقدمه لبرقوق فأعجبه، واستمر ينسب لمحمود وتربى في المماليك الكتابية ثم جعل خاصكيا ثم جعل من السقاة، ونشأ ذكيا فتعلم الفروسية من اللعب بالرمح ورمي النشاب والضرب بالسيف وغير ذلك، ومهر في جميع ذلك مع جمال الصورة وكمال القامة وحسن العشرة، وكان ممن سجن من ممالك الظاهر في فتنة منطاش بخزانة شمائل، فنذر إن نجاه الله منها أن يجعلها مسجدا، ففعل ذلك في سلطنته .

(ابن حجر – إنباء الغمر بأبناء العمر 256/2)

سرق من بلاده وهو صغير، فصار إلى تاجر يقال له **محمود شاه اليزيدي**، اشتراه بثلاثة آلاف درهم فضة، وقدم به إلى القاهرة على ظهر بحر الملح وعمره قريباً من **اثنتي عشرة سنة**، فأخذه السلطان **الملك الظاهر** بعد موت **محمود** هذا من تركته، ودفع إلى ورثته ثلاثة آلاف درهم، ورقاه في خدمته، فعرف **بشيخ المحمودي** .

(المقريزي – السلوك 6/ 338)

قال العيني: هو من طائفة من الجراكسة يقال لهم: كرموك، ويقال إنه من ذرية إينال بن أركماس بن شرباش ابن طنجا ابن جرباش بن كرموك، وكان كرموك كبير طائفته

وكذلك نسله، ولما مات كان في الخزانة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار من الذهب على ما قيل، فلم تمض السنة وفيها دينار واحد.

(ابن حجر – إنباء الغمر بأبناء العمر 257/2)

وكانت صفته : طوالا، بطينا، واسع العينين أشهلهما، أكث اللحية، بادي الشيب، جهوري الصوت، حاد المزاج، وفيه سفه وبذاءات لسان.

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 138)

ثم أنعم **الظاهر برقوق** عليه بإمرة عشرة ثم بإمرة طبلخاناه، وجعله رأس نوبة، ثم سار من جملة أمراء الألوف وولي نيابة طرابلس، ثم نيابة الشام .

(المقريزي – السلوك 6/ 338)

وتأمر على الحاج سنة مات الظاهر سنة إحدى وثمانون، ثم لم يزل في ارتقاء إلى أن ولي نيابة الشام، وجرت له من الخطوب والحروب .

(ابن حجر – إنباء الغمر بأبناء العمر 257/2)

وأسره **تيمورلنك** فيمن أسر من نواب البلاد الشامية، ثم هرب منه ووقع له أمور مع **الملك الناصر** ومحن، ومسك، وحبس ولازال في خلاف وعصيان، إلى أن كان من أمر **الناصر** ما كان، وتسلطن **المستعين**، وصار **شيخ** أتابكه .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 138)

وقدم إلى الديار المصرية بالخليفة **المستعين بالله** وفوض الخليفة إليه جميع الأمور، ولقبه **نظام الدولة**، فتصرف في الولايات والعزل والأخذ والعطاء وغير ذلك، بحيث لم يكن **للخليفة** معه أمر ولا نهي ولا نفوذ كلمة، وإنما هو مقيم في دار وحشة بقصور **قلعة الجبل**، وتحضر إليه المراسيم، فيكتب عليها بحسب ما يختاره **الأمير شيخ**، إلى أن كان يوم الاثنين **مستهل شعبان** هذا، واجتمع **قضاة القضاة الأربع**، وجميع الأمراء وكافة أرباب الدولة، بمجلس

الخدمة مع الحراقة، وعمل الموكب على العادة، قام فتح الدين فتح الله كاتب السر على قدميه، وقال لمن حضر أن الأحوال ضائعة، ولم يعهد أهل نواحي مصر عندهم اسم الخليفة، ولا تستقيم الأمور إلا بأن يقوم سلطان على العادة ودعاهم إلى الأمير شيخ، فقال الأمير شيخ: **هذا أمر لا يتم إلا برضى أهل الحل والعقد**، فقال من حضر من الأمراء بلسان واحد: **نحن راضون بالأمير الكبير** فمد قاضي القضاة شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني يده، وبايعه، فلم يختلف عليه أحد، وقام من فوره إلى مخدع بجانبه، ولبس الخلع السود الخليفتية، وتقلد بالسيف ، وخرج شيخ مركب فرس النوبة، والأمراء وغيرهم مشاة، إلى أن عبر القصر الكبير من قلعة الجبل، **فجلس على تخت الملك وسرير السلطنة**، وقبل الأمراء الأرض بين يديه، وقبلوا يده.

فلما استقر له الأمر بعث وهو بالقصر القضاة إلى الخليفة ليسلموا عليه، ويشهدوا عليه بأنه فوض إليه السلطنة، **كما جرت به عادة ملوك الترك بمصر**، فدخلوا إليه وراودوه على ذلك، فتوقف في الإشهاد عليه بتفويض السلطنة توقفاً كبيراً ثم اشترط أن يؤذن له في النزول من القلعة إلى داره، وأن يخلص له السلطان بأنه يناصحه سراً وجهراً، ويكون سلماً لمن سالمه، حرباً لمن حاربه، فعاد القضاة إلى السلطان، وردوا الخبر عليه، وحسنوا عبارة الرد، فأجاب ليمهل علينا أياماً، فإن الآن لا يمكن نزوله إلى بيته فنزلوا إلى دورهم.

(المقريزي – السلوك 6/ 338)

ولقب **بالملك** المؤيد بعد أن شاوروه في ذلك فاختار هو هذا اللقب، وكنت حاضرا في وظيفة إفتاء دار العدل فاتفق أنهم اختلفوا في تكنيته فقلت **الذي يوافق التأييد هو النصر** فاتفقوا على تكنيته أبا النصر وافترق المجلس على ذلك،

(ابن حجر – إنباء الغمر بأبناء العمر 2/516)

ودام به في أرغد عيش مع ما كان يعتريه من ألم المفاصل، حتى أنه لما قوي عليه ذلك أقعد؛ فصار يحمل على الأكتاف، ويتنقل إلى الأماكن في محفة، ولا يبرح بالقلعة في الشهر إلا أياما يسيرة، بل غالب أيامه بساحل بولاق والمفترجات، ويعمل هناك المواكب والخدم، حتى جاوز الحد في ذلك.

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 137)

ثم مات ضحى يوم الاثنين ثامن السنة، ، ثم اجتمع الأمراء والقضاة والخليفة وسلطنوا ابنه **أحمد** ولقب **المظفر** وذلك قبل تجهيز والده، وكان القائم بذلك **الأمير ططر** وهو يومئذ أمير مجلس، ثم جهز **الملك المؤيد** وتقدم للصلاة عليه الخليفة، ثم حمل من القلعة إلى مدرسته التي أنشأها داخل باب زويلة، ودفن بها في القبة التي دفن فيها ولده إبراهيم، وتأسف الناس عليه جدا وأكثروا الترحم عليه، وأمطرت السماء ساعة المسير بجنازته مطرا غزيرا جدا حتى مشى الناس في الوحل إلى المدرسة، واخبرني بعض أصحابنا أنه شاهد البرد ينزل من السماء كبارا، وكانت مدة سلطنة المؤيد ثماني سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام، وكان ابتدأ استقراره في نيابة الشام في سنة خمس وثمانمائة، فاستوفى في الملك عشرين سنة أميرا صرفا وفي معنى السلطان وسلطانا، وكان شهما شجاعا عالي الهمة كثير الرجوع إلى الحق محبا في الشرع وأهله صحيح العقيدة كثير التعظيم لأهل العلم والإكرام لهم والمحبة في أصحابه والصفح عن جرائمهم، ومحاسنه جمة.

(ابن حجر – إنباء الغمر بأبناء العمر 237/3)

فارتج الناس لموته ساعة ثم سكنوا، وطلع الأمراء القلعة وطلبوا الخليفة **المعتضد بالله داود** والقضاة والأعيان لإقامة الأمير **أحمد بن السلطان** فى السلطنة، فخلع عليه وتسلطن , ثم أخذوا فى تجهيز السلطان **الملك المؤيد** وتغسيله وتكفينه.

(ابن تغري بردي– المنهل الصافي 309/6)

وكانت مدة كونه في السلطنة ثماني سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام، وأقام في الملك عشرين سنة ما بين نائب ومتغلب وأتابك وسلطان .

(ابن حجر – إنباء الغمر بأبناء العمر 257/2)

وقد أرماه **المقريزي** بأمور كان الأليق الإضراب عنها؛ لما كان عنده مما يقاوم ذلك من المحاسن. ولو لم يكن فيه إلا محبة العلماء وإجلال الشرع لكفاه ذلك.

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 138)

قال المقريزي : وكان شجاعاً، مقداماً، يحب أهل العلم، ويجالسهم، ويجل الشرع النبوي، ويذعن له، ولا ينكر على من طلبه منه إذا تحاكم إليه أن يمضي من بين يديه إلى قضاة الشرع، بل يعجبه ذلك وينكر على أمرائه معارضة القضاة في أحكامهم وكان غير مائل إلى شيء من البدع وله قيام في الليل إلى التهجد أحياناً إلا أنه كان بخيلاً، مسيكاً يشح حتى بالأكل، لجوجاً، غضوباً، نكداً، حسوداً، معياناً، يتظاهر بأنواع المنكرات، فحاشاً، سباباً بذيا شديد المهابة، حافظاً لأصحابه، غير مفرط فيهم، ولا مضيعاً لهم، وهو أكثر أسباب خراب مصر والشام، لكثرة ما كان يثيره من الشرور والفتن أيام نيابته بطرابلس ودمشق ثم ما أفسده في أيام ملكه من كثرة المظالم ونهب البلاد، وتسليط أتباعه على الناس، يسومونهم الذلة، ويأخذون ما قدروا عليه، بغير وازع من عقل، ولا ناه من دين.

(المقريزي – السلوك 7/ 27)

انتهى كلام المقريزى برمته بعد تخبيط كثير.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 110/14)

قال ابن تغري بردي : وكان يمكننى الرد عليه – **المقريزي** - فى جميع ما قاله بحق غير أننى لست مندوبا إلى ذلك، فلهذا أضربت عن تسويد الورق وتضييع الزمان، والذي

أعرفه أنا من حاله أنه كان سلطانا جليلا مهابا شجاعا مقداما عاقلا نقادا , عالى الهمة، كثير الحركات والأسفار، جيد التدبير، حسن السياسة، يباشر الأحكام بنفسه، مع معرفة تامة وحذق وفطنة وجودة حدس فى أموره، عظيم السطوة على مماليكه وأمرائه، هينا مع جلسائه وندمائه، طروبا يميل إلى سماع الشعر والأصوات الطيبة، على أنه كان يحسن أيضا أداء الموسيقى ويقوله فى مجالس أنسه، وكان يميل إلى الدقة الأدبية ويفهمها بسرعة.

وكان يشارك الفقهاء فى أبحاثهم ويتصور أقوالهم ويطرح عليهم المسائل المشكلة، هذا مع ميله لأرباب الكمالات من كل علم وفن، وتعجبه المداعبة اللطيفة.

محتفظ على ناموس الملك والسير على ترتيب من تقدمه من الملوك فى سائر أموره وحركاته.

وقد تسلطن وأحوال المملكة غير مستقيمة مما جدده الملك **الناصر فرج** من الوظائف والاستكثار من الخاصكية، حتى إن خاصكيته زادت عدتهم على ألف نفر. فلا زال المؤيد بهم حتى جعلهم ثمانين خاصكيا كما كانت أيام أستاذه الملك الظاهر برقوق، وكانت الدوادارية نحو ثمانين دوادارا، فلا زال حتى جعلهم ستة، وكذلك الخازندارية والبجمقدارية والحجاب، وكان يتأمر الشخص فى أيامه ويقيم سنين ولم يسمح له بلبس تخفيفة على رأسه، كل ذلك مراعاة لأفعال السلف، وكان عارفا بأنواع الملاعيب، رأسا فى لعب الرمح ، قويا فى ضرب السيف والرمى بالنشاب، ماهرا فى فنون كثيرة جد وهزل، لا يعجبة إلا الكامل فى فنه.

وكان يحسن تربية مماليكه إلى الغاية، ولا يرقيهم إلا بعد مدة طويلة، ولذلك لم يخمل منهم أحد بعد موته– فيما أعلم.

وكان يميل إلى جنس الترك ويقدمهم، حتى إن غالب أمرائه كانوا أتراكا، وكان يكثر من استخدام السيفية ويقول: هؤلاء قاسوا خطوب الدهر، وتأدبوا؛ ومارسوا الأمور والوقائع، وكان عارفا بتعبئة العساكر فى القتال ثباتا فى الحروب .

وأما فعله من وجوه البر فكثير، وله مآثر مشهورة به، وعمائر كثيرة، أعظمها: الجامع المؤيدى الذي لم يبن فى الإسلام أكثر زخرفة منه بعد الجامع الأموى بدمشق، ثم تجديده لجامع المقياس، ثم لمدرسة الخروبية بالجيزة، وأشياء غير ذلك كثيرة.

وأما ما خلفه من الأموال والخيول والجمال والسلاح فكثير جدا لم أقف على تحرير قدره.

وخلف من الأولاد ستة- فيما أعلم- ذكرين أحدهما الملك **المظفر أحمد**، وأربع بنات، الجميع دون البلوغ .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 110/14)

وكان شهما شجاعا عالي الهمة كثير الرجوع إلى الحق محبا في العدل متواضعا، يعظم العلماء ويكرمهم، ويحسن إلى أصحابه ويصفح عن جرائمهم، يحب الهزل والمجون لكن مستترا، ومحاسنه جمة – والله يتجاوز عنه بمنه وكرمه!

(ابن حجر – إنباء الغمر بأبناء العمر 257/2)

عارفا بأنواع الفروسية ومكر الحروب، كريما على من استحق الكرم، بخيلا على كل عار وجاهل.

وكانت أسواق ذوي الفنون نافقة في أيامه؛ لجودة فهمه وذوقه بالنسبة إلى أبناء جنسه.

وكان معظما للشريعة، محبا للعلماء والفضلاء، يميل إلى اللهو والطرب، مسرفا على نفسه، غير أنه مات بعد توبة صادقة في مرض موته.

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 138)

وتزوج السلطان من خوند خديجة وخوند زينب بنت الظاهر برقوق وخوند سعادات بنت صرغتمش امير الشام ومن ابنة تنم الحسني .

وترك من الابناء احمد وتسلطن بعده وابراهيم وخوند اسية تركها وهي بنت اربع سنوات وتزوجت من الامير يشبك الفقيه .

حوليات الملك المؤيد :

- ذي القعدة : جمع الأمير نوروز قضاة دمشق وفقهائها بدار السعادة، ليسألهم ما حكم الله في سلطنة الملك المؤيد شيخ، وسجنه للخليفة ، فأقام الفقهاء ساعة، ثم مضوا من غير شيء سئلوا عنه

(سنة ست عشرة وثمانمائة)

- أهلت هذه السنة، وسلطان مصر والحرمين الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي، والخليفة المستعين بالله، ممنوع من التصرف، موكل به، وأتابك العسكر الأمير يلبغا الناصري والشام كله بيد الأمير نوروز الحافظي، وهو يدعو على المنابر بها لأمير المؤمنين المستعين بالله، ويضرب السكة باسمه .
- وفي المحرم : تزايد الطاعون في الناس بالقاهرة ومصر ويموت في كل يوم ممن يرد الديوان ما بين العشرين إلى الثلاثين، والوقت ربيع وقد صار حاراً يابساً، ورياحه كلها جنوبية، وحره خارج عن المعتاد، فكثر الوباء .
- وفيه: أعرس الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان بابنة الملك الناصر التي كانت تحت الأمير بكتمر جلق،.
- وفيه: استدعى السلطان الأمراء للفطر عنده، ومد لهم سماطاً يليق بهم، فأكلوا معه، وتباسطوا فلما رفع السماط، قبض على الأمير دمرداش المحمدي وعلى ابن أخيه الأمير قرقماس، وبعثهما من ليلته إلى الإسكندرية، فاعتقلا بها.
- وفيه: قدم الأمراء ومعهم الأمير تغري بردى ابن أخي دمرداش، مقيداً فسجن بقلعة الجبل، ثم قتل في آخر شوال، وأراح الله بالقبض على هؤلاء الثلاثة فتناً كثيرة، وأراح

منهم العباد والبلاد، فإنهم كانوا قد أكثروا في الأرض الفساد، من إقامة الفتن وإثارة الشرور.

- وفيها: توفي الأمير عمر بن السلطان ، وقد تجاوز عشر سنين، فدفن بالقبة التي أنشأها الملك الناصر فرج بن برقوق تجاه قبة أبيه التي على قبره.

(سنة سبع عشرة وثمانمائة)

- وفي المحرم : استقل السلطان بالمسير من الريدانية يريد محاربة الأمير نوروز، ومعه الخليفة ، وقضاة القضاة الأربع، وأرباب الدولة .
- وفي صفر : بعث السلطان قاضي القضاة مجد الدين سالم الحنبلي إلى الأمير نوروز في طلب الصلح، فامتنع من ذلك، ووقعت الحرب، فانهزم نوروز، وامتنع بالقلعة ونزل السلطان بالميدان، وحاصر القلعة، ورمى عليها بالمكاحل، والمدافع والمنجنيق، حتى بعث نوروز بالأمير قمش الأمان، فأجيب، ونزل من القلعة، فقبض عليه وقتل من ليلته، وحملت رأسه على يد الأمير جرباش إلى القاهرة .
- جمادى الأولى: قدم رأس نوروز، فعلق على باب القلعة، وارتجت البلد، ونودي بتقوية الزينة
- وفيه : جلس السلطان شيخ بالإصطبل من القلعة للحكم بين الناس، كما جلس الملك الظاهر برقوق، ثم ابنه الملك الناصر فرج، وجعل ذلك في كل يوم ثلاثاء وجمعة وسبت، ورد كثيراً من المحاكمات إلى القضاة

(سنة ثمان عشرة وثمانمائة)

- وفيها : كثر الموتان في الناس بالقاهرة ومصر، وزادت عدة من يرد اسمه الديوان على ثمانين في كل يوم

- وفيها : أنكر السلطان على القضاة الأربع كثرة نوابهم في الحكم بالقاهرة ومصر، وكانوا قد تجاوزوا مائتي قاض، فعزلوا نوابهم .
- وفيها : أذن قاضي القضاة البلقيني لأربعة عشر من نوابه في الحكم، وشرط عليهم شروطاً منها أن من أخذ مالاً رشوة فهو معزول.
- وفيها : رسم بنقل السكان من قيسارية سنقر الأشقر المقابلة لقيسارية فاضل فإن السلطان عزم على هدمها لتبنى جامعاً فكثر بكاء النساء والأطفال من السكان، ونقلوا أمتعتهم.
- وفيها : قدم الخبر بخروج الأمير قنباي المحمدي عن الطاعة، وأنه ثارت الفتنة بدمشق، ثم قدم الخبر بخروج الأمير طرباي نائب غزة أيضاً عن الطاعة، وأنه سار إلى الأمير قنباي وأصبحوا وقد أجهر نائب قلعة حلب النداء بالنفير العام، فأتاه جل أهل حلب، ونزل بمن عنده من العسكر، فلم يثبتوا، وفر قانباي ، وتخطف العامة بعض أثقالهم وكان السلطان قد بلغه – وهو برأس وادي عارا يريد دمشق – فرار قانباي، فعدى حتى دخل دمشق.

(سنة تسع عشرة وثمانمائة)

- شهر صفر : وقع الاهتمام في عمارة الجامع المؤيدي بجوار باب زويلة، وأقيم بها مائة فاعل، وبضع وثلاثون بناء، ووفيت لهم أجرهم من غير أن يكلفوا فيه أكثر من طائفتهم، ولا سخر أحد من الناس بالقهر.
- وفي عاشره: أحصي من ورد اسمه الديوان ممن مات بالقاهرة في مدة شهر أوله عاشر المحرم، فكان ثلاثة آلاف إنسان.

- وفيه: كانت عدة من صلي عليه من الأموات – بمصلى باب النصر – من أول النهار إلى آذان الظهر اثنين وتسعين ميتاً، وشنع ما يحكى من تواتر نزول الموت في الأماكن ، وكثر الوباء أيضاً بالوجه البحري من أراضي مصر.
- وفي هذا الشهر: تصدى الأمير بدر الدين الأستادار لمواراة من يموت من المساكين، بعد تغسيلهم وتكفينهم، فحسن الثناء عليه
- وفيه : شنع حال البلد من كثرة ما بها من الأحزان، فلا تجد إلا باكياً على ميت، أو مشغولاً بمريض، ومع ذلك والأخبار متواترة بأنه صلى في هذا اليوم بمصليات الجنائز على ما ينيف على ألف ميت، وأن الكتاب يخفون كثيراً ممن يرد اسمه إليهم.
- وفيه: نقل الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين إلى بيت الأمير فخر الدين الأستادار، وقد أهينت حاشيته وأتباعه، وعوقبوا عقوبات كثيرة متعددة ، فاصبحوا مرحومين بعدما كانوا محسودين، نكالاً من الله بما قدمت أيديهم، فإنهم كانوا قوم سوء فاسقين، لم يعفوا عن قبيح، ولا كفوا يداً عن ظلم.
- جمادى الاولى: ندب السلطان طائفة من القراء إلى الاجتماع على تلاوة كتاب الله العزيز بالمقياس وأجرى عليهم من الأطعمة ما يليق بهم، وفرق فيهم مالاً .
- وفي شهر جمادى الآخرة: أشار السلطان لمن حضر مجلسه من الفقهاء بأن من الأدب أنه إذا دعا الخطباء في يوم الجمعة للسلطان، أن ينزلوا عن موقفهم الذي كانوا فيه درجة، ثم يدعوا للسلطان، حتى لا يكون ذكر السلطان في الموضع الذي فيه يذكر الله تعالى ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وأمر الخطباء بذلك، وكان ممن حضر يومئذ بين يديه الشيخ زين الدين أبو هريرة بن النقاش خطيب الجامع الطولوني،

والشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن حجر خطيب الجامع الأزهر، فامتثلا ذلك.

- **وفيه:** فرق السلطان على يد الطواشي فيروز جملة فضة مؤيدية على الفقهاء والفقراء والأيتام، فتوسع الناس بذلك.
- **وفيه:** كثر طلب مباشري الدولة للرخام – من العمد والألواح – برسم الجامع المؤيدي، فأخذ ذلك من عدة بيوت في القاهرة ومصر.
- **شهر رمضان المعظم** : رتب السلطان عدة أبقار تذبح في مواضع متعددة، ويفرق لحمها كما كانت عادة الملك الظاهر برقوق في شهر رمضان.
- **وفيه:** قرئ كتاب صحيح البخاري بالقصر من قلعة الجبل ، وحضر قراءته القضاة الأربع، ، وزاد عدد الفقهاء الحاضرين على ستين فقيهاً، صرف لكل منهم ألف درهم
- **وفيها** : قلع باب مدرسة السلطان حسن، ونقل إلى الجامع المؤيدي ، ونقل معه التنور الذي كان معلقاً هناك، وقد اشتراهما السلطان بخمسمائة دينار.
- **وفيها** : ماتت خوند ستيتة بنت الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق، فاشتد حزن زوجها الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان عليها.
- وماتت خوند عائشة ابنة الأمير أنص، أخت الملك الظاهر برقوق، وأم الأمير الكبير بيبرس ، وقد بلغت الكبر.

(سنة عشرين وثمانمائة)

- **وفي المحرم** : عرضت كسوة الكعبة على السلطان، وكان قد فوض ذلك إلى زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الخزانة السلطانية، وزاد في تحسين الكسوة وبهجتها

.

- **وفيه** : هدم الأمير فخر الدين عبد الغني بن أبي الفرج الدور التي بالأحكار فيما بين طهر المقس إلى قنطرة الموسكي ليعمل مكانها بستاناً، فأتى الهدم على ما لا يدخل تحت حصر من الدور والرباع والمساجد والأسواق، وغير ذلك مما يكون قدر مدينة من مدن الشام.
- **شهر ربيع الأول** : هدمت الدور التي فوق البرج المجاور لباب الفتوح من القاهرة، رسم أن يعمل سجناً لأرباب الجرائم، عوضاً عن خزانة شمايل.
- **وفيه** : مات الأمير فرج بن السلطان الملك الناصر فرج بثغر الإسكندرية، وقد ناهز الاحتلام فكان في هذا عبرة لمن يعتبر، فإن أباه الناصر فرج أخرج أخويه – عبد العزيز وإبراهيم – إلى الإسكندرية لما توجه إلى الشام، فماتا بها، واتهم أنه سمهما، ففعل الله كذلك بأولاده، وأخرجهم المؤيد شيخ عند مسيره إلى الشام، وسجنهم بالإسكندرية .
- **شهر جمادى الأولى** : أقيمت الجمعة بالجامع المؤيدي، ولم يكمل منه سوى الإيوان القبلي، وخطب به عز الدين عبد السلام القدسي – أحد نواب الشافعية بالقاهرة – نيابة عن ناصر الدين محمد بن البارزي الحموي كاتب السر.
- **وفيها** : عمل السلطان المولد النبوي ، وحضره القضاة والأمراء والخاصكية والقراء، فكانت من الليالي المشهودة ، وأنعم على السادة القراء بالخلع والمال.
- **وفيها**: أمسك بالقاهرة نصراني وقد خلا بامرأة مسلمة، فاعترفا بالزنا، فرجما خارج باب الشعرية عند قنطرة الحاجب، وأحرق العامة النصراني ودفنت المرأة
- **وفيها**: جمع الناس بالجامع الأزهر وبالجامع المؤيدي ، وقرأ عليهم القاضي الحافظ

بن حجر بالجامع الأزهر كتاب السلطان بأنه وصل إلى الأبلستين وملك كختا وسيس والمصيصة وأذنة وغير ذلك .

- شهر رمضان المعظم: بلغ الأمير فخر الدين أن السجن الذي استجد عند باب الفتوح بالقاهرة – عوضاً عن خزانة شمايل – تقاسى فيه أرباب الجرائم شدة من ضيقه، ويقاسون غماً وكرباً شديداً، فعين قصر الحجازية، بخط رحبة باب العيد، ليكون سجناً .

- وفيها : وصلت رمة الأمير فرج بن الناصر من الإسكندرية، فصلى عليها بمصلى المؤمني تحت قلعة الجبل، ودفن بتربه جده الملك الظاهر برقوق .

(سنة إحدى وعشرين وثماني مائة)

- وفي المحرم : نقل سوق الرقيق من موضعه بخط المطاح فيما بين الوزيرية وخط الملحيين إلى فندق تجاه المشهد الحسيني، ثم أعيد إلى موضعه بعد قليل.

- وفيه : كتب محضر بهدم المأذنة المؤيدية ، وغلق باب زويلة ثلاثين يوماً.

- وفيه : ولد للسلطان ولد ذكر، سماه موسى، من أمة يقال لها طولو باي، فدقت البشائر وزينت القاهرة ومصر.

- وفي صفر : ركب السلطان – ومعه ولده – الأمير إبراهيم، والأمراء، ونزل إلى المارستان المنصوري ، وهو بثياب جلوسه، فزار المرضى، وعاد إلى القلعة

- وفيه فتح باب زويلة، ولم يعهد قط أنه أقام هذه المدة مغلوقاً.

- وفي هذا الشهر: شرع السلطان في بناء مارستان للمرضى، موضع مدرسة الملك الأشرف شعبان بن حسين تجاه الطلبخاناه من القلعة.

- وفيه: ولد للسلطان ولد ذكر، من خوند ابنة الأمير تنم الحسني، نائب الشام سماه محمداً، وكناه بأبي المعالي، ونودي بزينة القاهرة ومصر، فزينتا.
- شهر رمضان: أفرج عن الشريف عجلان بن نعير الحسيني أمير المدينة، وللإفراج عنه خبر فيه معتبر: وهو أن عز الدين عبد العزيز بن علي – أحد جلساء السلطان – رأى في منامه كأنه في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد انفتح قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج منه صلى الله عليه وسلم، وجلس وعليه أكفانه، وأشار بيده المقدسة إلى عز الدين فقام إليه حتى دنا منه، فقال له: " قل للمؤيد يفرج عن عجلان " فانتبه وصعد على عادته إلى مجلس السلطان، وحلف له بالأيمان الحرجة أنه ما رأى عجلان قط ولا بينه وبينه معرفة، وقص عليه رؤياه، فسكت حتى انفض المجلس، وخرج إلى مرمى نشاب استجدها بالقلعة، فأحضر الشريف عجلان، وخلى عنه، وقد حدثني عز الدين بالرؤيا، وأقسم لي بالله أنه ما كان قبل رؤياه يعرف عجلان، ولا رآه قط، وهو غير متهم فيما تحدث به .
- وفيها : مات الأمير موسى ابن السلطان، وهو في الشهر الخامس، فدفن بالجامع المؤيدي.

(سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة)

- وفيها : كسفت الشمس قبيل الزوال، فاجتمع الناس، وصلى في الجامع الأزهر الشيخ الحافظ بن حجر – خطيب الجامع – صلاة الكسوف عقيب صلاة الظهر ، ركع في كل ركعة ركوعين، أطال فيهما القراءة، فقرأت في قيام الركعتين نحواً من ستة أحزاب وكان الركوع نحوا من القيام والسجود نحو الركوع، فقارب في أركان الصلاة ما بينها، وذكرني بصلاته أهل السلف، ثم صعد بعد صلاته المنبر فخطب

خطبتين، وعظ فيهما وأنذر، وذكر وعم اجتماع الناس جوامع مصر والقاهرة، وظواهرها وعد هذا من حميد أفعال محتسب القاهرة صدر الدين أحمد بن جمال الدين ، فإنه بث أعوانه قبل أذان الظهر، فنادوا في الأسواق تهيئوا رحمكم الله لصلاة الكسوف فبادر الناس للتطهر، وأقبلوا يسعون إلى الجوامع طوائف طوائف، ما بين رجال ونساء وهم في خشوع وذكر واستغفار، فدفع الله بذلك عن الناس بلاءاً كثيراً.

- وفيها : نزل السلطان إلى جامعه بجوار باب زويلة، واستدعى شيخ الإسلام قاضي القضاة جلال الدين البلقيني، فارتجت القاهرة، وخرج الناس من الرجال والنساء على اختلاف طبقاتهم لرؤيته، فرحاً به، حتى غصت الشوارع، فعندما رآه السلطان، قام له وأجله، وبالغ في إكرامه وأفاض عليه التشريف، وشافهه بولاية القضاة، وتوجه جلال الدين البلقيني من الجامع إلى المدرسة الصالحية، فمر من تحت الربع، وعبر من باب زويلة، وسلك تحت شبابيك الجامع، وقد قام السلطان في الشباك ليراه، فأبصر من كثرة الخلق، وشدة فرحهم، وعظيم ما بذلوه، وسمحوا به من الزعفران للخلوق، والشموع للوقود، مع مجامر العود والعنبر، ورش ماء الورد، وضجيجهم بالدعاء للسلطان، ما أذهله، وقوي رغبته فيه، وسار كذلك حتى أن بغلته لا تكاد أن تجد موضعاً لحوافرها، حتى نزل بالمدرسة الصالحية، ومعه أهل الدولة عن آخرهم، ثم توجه إلى داره، فكان يوماً مشهوداً، واجتماعاً لم يعهد لقاض، مثله.
- وفيها : تتبع صدر الدين محتسب القاهرة أماكن الفساد بنفسه، ومعه والي القاهرة، فأراق آلافاً من جرار الخمر وكسرها، ومنع النساء من النياحة على الأموات، ومنع من التظاهر بالحشيش ، وكف البغايا عن الوقوف لطلب الفاحشة في الأسواق، ومواضع الريب .

- **شهر ربيع الآخر** : نودي في الناس من قبل المحتسب أن يصوموا ثلاثة أيام ، ليخرجوا مع السلطان، فيدعوا الله بالصحراء في رفع الوباء، ثم أعيد النداء أن يصوموا من الغد فتناقص عدد الأموات فيه، وأصبح كثير من الناس صياماً .ثم نودي في الناس بالمضي إلى الصحراء من الغد، وأن يخرج العلماء والفقهاء، ومشايخ الخوانك، وصوفيتها وعامة الناس، ونزل الوزير الصاحب بدر الدين بن نصر الله، والأمير التاج الأستادار بالصحبة إلى تربة الملك الظاهر برقوق، ونصبوا المطابخ بالحوش القبلي منها، وأحضروا الأغنام والأبقار، وباتوا هناك في تهيئة الأطعمة والأخباز، ثم ركب السلطان بعدما صلى صلاة الصبح، ونزل من قلعة الجبل، وهو لابس الصوف، وعلى كتفيه مئزر صوف مسدل كهيئة الصوفية، وعليه عمامة صغيرة جداً، لها عذبة مرخاة من بين لحيته وكتفه الأيسر، وهو بتخشع وانكسار وفرسه بقماش ساذج، ليس فيه ذهب ولا حرير، وقد أقبل الناس أفواجاً وسار شيخ الإسلام قاضي القضاة جلال الدين البلقيني من منزله، ماشياً في عالم كبير، وسار معظم الأعيان من منازلهم، ما بين ماش وراكب، حتى وافوا السلطان بالصحراء قريباً من قبة النصر، ومعهم الأعلام والمصاحف، ولهم بذكر الله تعالى أصوات مرتفعة، فنزل السلطان عن فرسه، وقام على قدميه، وعن يمينه وشماله القضاة والخليفة، وأهل العلم، ومن بين يديه وخلفه طوائف لا يحصيها إلا خالقها سبحانه، فبسط يديه، ودعا الله وهو يبكي، وينتحب، والجم الغفير يراه ويشهده زماناً طويلاً، ثم ركب يريد الحوش من التربة الظاهرية، والناس في قدمه وبين يديه، حتى نزل وأكل ما تهيأ، وذبح بيده قرباناً، قربة إلى الله، مائة وخمسين كبشاً سميناً، من أثمان خمسة دنانير الواحد، ثم ذبح عشر بقرات سمان، وجاموستين، وجملين، وهو يبكي، ودموعه تنحدر – بحضرة الملأ – على لحيته،

ثم ترك القرابين على مضاجعها كما هي، وركب إلى القلعة، فتولى الوزير والتاج تفرقتها، صحاحاً، على الجوامع المشهورة، والخوانك، وقبة الإمام الشافعي، وتربة الليث بن سعد ومشهد السيدة نفيسة، وعدة من الزوايا، حملت إليها صحاحاً، وقطع منها عدة بالحوش، فرقت لحماً على الفقراء، وفرق من الخبز النقي يومئذ عدة ثمانية وعشرين ألف رغيف، تناولها الفقراء من يد الوزير، وبعث منها إلى كل سجن خمسمائة رغيف، وعدة قدور كبار مملوءة بالطعام الكثير اللحم، هذا، وشيخ الإسلام في طائفة عظيمة من الناس يقرءون القرآن، ويدعون الله حيث وقف السلطان، وشيخ الحديث النبوي – شهاب الدين أحمد بن حجر – في صوفية خانكاة بيبرس، وغيرهم كذلك، وأهل كل جامع ومشهد وخانكاه كذلك، حتى اشتد حر النهار، انصرفوا، وركب الوزير بعدهم قبيل نصف النهار إلى منزله، فكان يوماً مشهوداً، لم ندرك مثله،.

- **وفيه** : قدم الخبر بتوجه ابن السلطان من مدينة قيسارية إلى جهة قونية بعدما مهد أمور قيسارية، ورتب أحوالها، ونقش اسم السلطان على بابها وأن الأمير تنبك ميق نائب الشام وأخذ أذنة وطرسوس.
- **وفيه** : درس الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر بالجامع المؤيدي.
- **جمادى الآخرة** : أهل والسلطان ملازم الفراش، وقد تزايد ألمه، والأسعار مرتفعة، والخبز يعز وجوده لكثرة اختزان الغلال طلباً للزيادة في أسعارها.
- **شهر ذي الحجة** : منع صدر الدين بن العجمي محتسب القاهرة النساء من عبور الجامع الحاكمي والمرور فيه وألزم الناس كافة ألا يمروا فيه بنعالهم، فامتثل ذلك، واستمره وتطهر المسجد – ولله الحمد – من قبائح كانت به بين النساء والرجال، ومن لعب الصبيان فيه، بحيث كان لا يشبه المساجد، فصانه الله بهذا ورفعه.

- وفيها: مرض المقام الصارمي إبراهيم ابن السلطان، فركب من القلعة في محفة، لعجزه عن ركوب الفرس، ونزل إلى بيت زين الدين عبد الباسط المطل على البحر، وأقام به
- وفيها: نودي أن لا يتحدث في الأمور الشرعية إلا القضاة، ولا يشكو أحد غريمه على دين لأحد من الحجاب .
- وفيها: حمل المقام الصارمي إبراهيم ابن السلطان على الأكتاف من الحجازية إلى القلعة، لعجزه عن ركوب المحفة، فمات ليلة ودفن من الغد بالجامع المؤيدي وشهد السلطان دفنه، مع عدم نهضته للقيام، وإنما يحمل على الأكتاف حتى يركب، ثم يحمل حتى ينزل، وأقام السلطان بالجامع إلى أن صلى الجمعة، فصلى به ابن البارزي، وخطب خطبة بليغة وأقام القراء يقرأون القرآن على قبره سبع ليال.
- وفيها: توقف النيل عن الزيادة، وتمادى على ذلك أياماً فارتفع سعر الغلال، وأمسك أربابها أيديهم عن بيعها، وكثر قلق الناس، ثم نودي فيهم أن يتركوا العمل بمعاصي الله، وأن يلتزموا الخير ثم نودي في أن يصوموا ثلاثة أيام، ويخرجوا إلى الصحراء، فأصبح كثير من الناس صائماً، وصام السلطان أيضاً ثم نودي من غده أن يخرجوا غداً إلى الجبل وهم صائمون، فبكر شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني، وسار من منزله راكباً بثياب جلوسه في طائفة، حتى جلس قريباً من قبة النصر، وقد نصب هناك منبر ، فقرأ سورة الأنعام، وأقبل الناس أفواجاً من كل جهة، حتى كثر الجمع، ومضى من شروق الشمس نحو ساعتين أقبل السلطان بمفرده على فرس، وقد تزيا بزي أهل التصوف فأنزل عن الفرس، وجلس على الأرض من غير بساط ولا

سجادة، مما يلي يسار المنبر، فصلى قاضي القضاة جلال الدين ركعتين كهيئة صلاة العيد، والناس من ورائه يصلون بصلاته ثم رقي المنبر، فخطب خطبتين، حث الناس فيهما على التوبة والاستغفار، وأعمال البر، وفعل الخير، وحذرهم، ونهاهم وتحول فوق المنبر فاستقبل القبلة، ودعا فأطال الدعاء، والسلطان في ذلك يبكي وينتحب، وقد باشر في سجوده التراب بجهته فلما انقضت الخطبة انفض الناس، وركب السلطان فرسه، وسار والعامة محيطة به من أربع جهاته، يدعون له، حتى صعد القلعة، فكان يوماً مشهوداً، وجمعًا موفورًا.

- وفي مشاهدة جبار الأرض على ما وصفت، ما تخشع منه القلوب، ويرجى رحمة جبار السماء، سبحانه ومن أحسن ما نقل عنه في هذا اليوم أن بعض العامة دعا له، حالة الاستسقاء أن ينصره الله، فقال: اسألوا فإنما أنا واحد منكم، فلله دره، لو كان قد أيد بوزر أصدق وبطانة خير، لما قصر عن الأفعال الجميلة بل إنما اقترن به فاجر جريء، أو خب شقي.
- وفيها: عقد للأمير الكبير ألطنبغا القرمشي على خوند ستيتة – ابنة السلطان ، بالجامع المؤيدي، بحضرة القضاة والأمراء والأعيان.
- وفيها: خرج محمل الحاج إلى الريدانية، والحجاج على تخوف من النهب.
- وفيها: طلب القضاة والأمراء، وجلس السلطان، فعهد إلى ولده الأمير أحمد بالسلطنة من بعد ، وله من العمر سبعة عشر شهراً وخمسة أيام، وجعل الأمير الكبير ألطنبغا القرمشي القائم بأمره، وأن يقوم بتدبير الدولة حتى يحضر القرمشي من حلب الأمراء الثلاثة وهم: قجقار القردمي، وتنبك ميق، وططر وحلف الأمراء على ذلك، ثم حلف المماليك من الغد.

المحرم : الناس في القاهرة على تخوف وقوع الفتنة بموت السلطان وقد كثر عبث المفسدين وقطاع الطريق ببلاد الصعيد وفحش قتل الأنفس، وأخذ الأموال هناك ومع ذلك فالأسواق كاسدة، والبضائع بأيدي التجار بايرة، والأحوال واقفة، والشكاية قد عمت، فلا تجد إلا شاكياً وقوف حاله، وقلة مكسبه وجور الولاة والحكام وأتباعهم متزايد، فنسأل الله حسن العاقبة.

والإرجاف يقوى، فإن السلطان أفرط به الإسهال مع تنوع الأسقام، وتزايد الآلام، بحيث قال لي طبيبه: لم يبق مرض من الأمراض حتى حصل له وقد افترق الأمراء فرقا، فطلب الأمراء الذين في القلعة – وكبيرهم ططر – الأمير التاج الشويكي، وخلعوا عليه في بعض دور القلعة، وجعلوه والي القاهرة، وشقها في تجمل زائد، أرهب به من كان يخاف منه أن يمد يده إلى النهب من مفسدي العامة وما برح الإرجاف بالسلطان في كل يوم، حتى مات قبيل الظهر من يوم الاثنين تاسعه، فارتج الناس ساعة، ثم سكنوا فطلب القضاة والخليفة لإقامة ابن السلطان، فأقيم في السلطنة وأخذ في جهاز المؤيد، وصلى عليه خارج باب القلة، وحمل إلى الجامع المؤيدي، فدفن بالقبة قبيل العصر، ولم يشهد دفنه كثير أحد من الأمراء والمماليك، لتأخرهم بالقلعة .

2) مجريات الملك المؤيد :
(نوروز الحافظي)

حال بلغ الأمير نوروز الحافظي أمر **سلطنته** خرج عن **طاعته**، واستمر يدعو **للمستعين** بغالب **البلاد الشامية** .

ووقع بسبب ذلك بين **الملك المؤيد** وبين نوروز أمور وحروب، إلى أن أخذه المؤيد، **وقتله**

بقلعة دمشق في سنة سبع عشرة وثمانمائة .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 137)

(قانى باى المحمدي)

فلم يمض إلا **سنة واحدة وأشهر** وعصى الأمير **قانى باى المحمدي نائب الشام** عليه ووافقه **نائب حلب أينال الصصلاني**، **ونائب طرابلس سودون من عبد الرحمن**، **وتنبك البجاسي نائب حماة** وغيرهم .

فتجرد لهم **المؤيد** ثانيا، وواقعهم، وأمسك **قانى باى وأينال الصصلاني** وغيرهما من الأمراء، وحز رؤوسهم، وأرسلها إلى الديار المصرية وهرب من بقى من النواب إلى بلاد الشرق إلى عند **قرا يوسف** .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 137)

(المؤيد شيخ وولده ابراهيم وفتح بلاد قرمان)

ولما كان **سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة** جرد **السلطان الملك المؤيد** ولده **الصارمي ابراهيم** لفتح **البلاد القرمانية** .

فدخل البلاد **القرمانية** فنزل أولا على **قيسارية** ففتحها، ثم إلى بلاد **نكدة** وولى بها نوابا عن **السلطان**، وأقام بتلك البلاد **ثلاثة أشهر**، ثم عاد إلى حلب ونزل **بالقلعة**، فورد عليه المرسوم الشريف من والده بالرجوع إلى **الديار المصرية**، فخرج من حلب وبخدمته العساكر المصرية ونواب البلاد **الشامية** بتجمل زائد وأبهة عظيمة، واستقل بالمسير إلى إن وصل إلى **الديار المصرية**، فقبل وصوله إلى القاهرة خرج والده الملك **المؤيد شيخ** إلى ملاقاته ، فتوجه **السلطان** إلى بركة الحجاج واصطاد، ثم مضى إلى مدينة بلبيس، فقدم عليه الخبر بنزول المقام الصارمي بالصالحية، فتقدم الأمراء وأرباب الدولة فوافوه بالخطارة، فسلم على الجميع راكبا إلى أن عاين **القاضي ناصر الدين بن البارزي**، كاتب السر ، نزل له عن

فرسه وتعانقا، لما يعلم من تمكنه عند أبيه، ثم عاد الجميع في خدمته إلى منزلة العكرشة **والسلطان** على فرسه، فنزل الأمراء القادمون صحبة **الصارمي**، ثم نزل المقام **الصارمي** أيضا عن فرسه، وقبل الأرض ثم قام ومشى حتى قبل الركاب الشريف، فبكى **السلطان** لفرحته به، وبكى الناس لبكائه، فكانت ساعة عظيمة، ثم سارا بموكبيهما إلى خانقاه سرياقوس، وباتا بها ، وركب **السلطان** من الليل ورمى الطير بالبركة واصطاد، فقدم الخبر في الوقت بقدوم الأمير **تنبك ميق العلائي** نائب الشام، فوافى ضحى، وركب أيضا في الموكب، فدخل **السلطان** إلى القاهرة من باب النصر، وقد زينت **للمقام الصارمي** وهو بتشريف عظيم، وخلفه الأسرى الذين أخذوا من قلعة نكدة في الأغلال، وهم نحو المائتين نفر، فكان يوما مشهودا .

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 82)

ونزل المقام **الصارمي** إلى داره، واستمر حاله أولا أشهرا، ثم توعك ولزم الفراش ، فنزل له والده وزاره **بالحجازية**، فأقام **الصارمي إبراهيم** بالحجازية إلى **ثالث عشر جمادى الآخرة**، فعادوا به إلى **القاهرة** وهو محمول على الأكتاف لعجزه عن الركوب في المحفة، **فمات ليلة الجمعة خامس عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة.**

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 82)

وذكره القاضي علاء الدين في ذيل تاريخ حلب فقال:

كان شابا حسنا شجاعا، عنده حشمة مع الكرم والعقل والسكون والميل إلى الخير والعدل والعفة عن أمور الناس، ودفن بالجامع المؤيدي، وحضر أبوه الصلاة عليه يوم الجمعة وأقام إلى صلاة الجمعة، وخطب به **ابن البارزي** خطبة حسنة سبك فيها قوله **صلى الله عليه وسلم " تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وإنا بك يا إبراهيم**

والمحزونون " فأبكى السلطان ومن حضر، ولم يتفق أن السلطان بعد ذلك دخل المؤيدية .

(ابن حجر – إنباء الغمر بأبناء العمر 219)

وكان ملكا شابا حسنا، شجاعا مقداما، كريما ساكنا، وعنده أدب وحشمة ملوكية، خليقا للسلطنة، وكان يميل إلى الخير والعدل والعفة عن أموال الرعية، إلا أنه كان مسرفا على نفسه، سامحه الله ومات وسنة نيف على عشرين سنة، وأمه أم ولد، ماتت قبل سلطنة والده، رحمه الله تعالى، وعفا عنه.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 82)

وانفرد الحافظ بن حجر برواية عن موت الصارمي ابراهيم ابن المؤيد , قال :

وفي هذه المدة أغرى **السلطان** بولده **إبراهيم** وأنه كان يتمنى موته ويعد الأمراء بمواعيد إذا وقع ذلك، وبلغ كاتب السر عنه أنه يتوعده بالقتل وتأكد بغضه عنده فحقد عليه ودس على **السلطان** من أعلمه أنه يتمنى موته لكونه يعشق بعض حظاياه ولا يتمكن منها بسببه إلا خفية، ورتب له على ذلك إمارات وعلامات إلى أن أبغض السلطان ولده وأحب الراحة عنه، ورتبوا له أنه صمم على قتله بالسم أو بغيره إن لم يمت عاجلا من المرض لما في نفسه من محبة الاستبداد، فأذن لبعض خواصه أن يعطيه ما يكون سببا لقتله من غير إسراع، فدسوا عليه من سقاه من الماء الذي يطفأ فيه الحديد، فلما شربه أحس بالمغص في جوفه فعالجه الأطباء مدة وندم السلطان على ما فرط فيه، فتقدم الأطباء بالمبالغة في علاجه فلازموه نصف شهر إلى أن أبل قليلا من مرضه فركب في نصف الشهر إلى بيت **عبد الباسط** بشاطئ النيل. ثم ركب إلى **الخروبية بالجيزة** فأقام بها وكاد أن يتعافى، فدسوا من سقاه ثانيا بغير علم أبيه، فانتكس واستمر إلى آخر الشهر فتحول إلى الحجازية، ثم حمل **في ثالث عشر جمادى الآخرة** إلى القلعة فمات **ليلة الجمعة خامس عشره**، فاشتد جزع السلطان عليه إلا أنه تجلد، وأسف الناس كافة على فقده وأكثروا الترحم عليه،

وشاع بينهم أن أباه سمه إلا أنهم لا يستطيعون التصريح بذلك، ولم يعش أبوه بعده سوى ستة أشهر تزيد أياما، كدأب من قتل أباه أو ابنه على الملك قبله عادة مستقرة وطريقة مستقرأة - **فإنا لله وإنا راجعون**، وصار الذين حسنوا له ذلك يبالغون في ذكر معايبه وينسبونه إلى الإسراف والتبذير والمجاهرة بالفسق من اللواط والزنا والخمر والتعرض لحرم أبيه وغير ذلك مما كان بريا من أكثره بل يختلقون أكثر ذلك ليتسلى أبوه عن مصابه به , ولقد حكى لي من شاهده في السفرة التي تجرد فيها إلى البلاد القرمانية منه ما يقضي منه العجب من ذلك .

(ابن حجر - إنباء الغمر بأبناء العمر 218)

الفصل التاسع



أحمد بن المؤيد شيخ

1) ترجمة السلطان أحمد بن المؤيد :

السلطان الملك المظفر أبو السعادات أحمد بن المؤيد شيخ أقيم في **السلطنة** يوم مات أبوه، **تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثماني مائة، وعمره سنة واحدة، وثمانية أشهر، وسبعة أيام .**

(المقريزي – السلوك 27/7)

وهو السلطان التاسع والعشرون من ملوك الترك وأولادهم والخامس من الجراكسة وأمه خوند **سعادات بنت الأمير صرغتمش الناصري** أحد أمراء دمشق .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 167/14)

فأخرج إليهم فبايعوه بالسلطنة بعهد من أبيه إليه بالملك قبل تاريخه وألبسوه خلعة السلطنة وركب فرس النوبة بأبهة السلطنة وشعار الملك من باب الستارة بقلعة الجبل ومشت الأمراء بين يديه وهو يبكي من صغر سنه مما أذهله من عظم الغوغاء وقوة الحركة.

صار من حوله من الأمراء وغيرهم يشغله بالكلام ويتلطف به ويسكن روعه ويناوله من التحف ما يشغله به عن البكاء حتى وصل إلى القصر السلطاني من القلعة فأنزل من على فرسه وحمل حتى أجلس على سرير الملك وهو يبكي.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 167/14)

ساروا به إلى القصر، حيث **الأمراء والقضاة والخليفة**، فقبلوا له الأرض، ولقبوه **بالملك المظفر أبي السعادات** وأمر في الحال، فنودي في القلعة والقاهرة أن يترحم الناس على **الملك المؤيد**، ويدعوا للملك **المظفر** ولده .

ثم أخذ في جهاز **المؤيد** ودفنه وعملت الخدمة بالقصر، وعرض على الأمير **تنبك ميق** أن يتحدث في أمور الدولة، رفيقاً **للأمير ططر**، فامتنع من ذلك أشد امتناع، فقام **الأمير ططر** بأعباء الدولة، وخلع عليه **لالا للسلطان** ، **والمظفر** قد أجلس وهم حوله فلما

انقضت الخدمة أعيد إلى أمه واستقر سكني **الأمير ططر** بالأشرفية من القلعة، ووقف الأمراء ومباشرو الدولة بين يديه.

(المقريزي – السلوك 27/7)

بالثغر ثم نقلا بعد مدة إلى القاهرة فدفنا عند أبيهما بالقبة من الجامع المؤيدي وكان بعينه حول فاحش حصل عند سلطنته من دق الكوسات حين غفلة فلاقوه إلا بالله. وقد ذكره شيخنا في أنبائه باختصار جدا والمقريزي في عقوده.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 1/314)

وصار المتحكم في المملكة الامير **ططر** .

ثم قدم الخبر من الشام بأن الامير **جقمق الارغون** نائب الشام امتنع من الدخول في طاعة **الأمير ططر** وأنه أخذ قلعة دمَشق واسْتَوْلى عليها وعلى ما فيها من الأموال والسلاح وغير ذلك وكان بها نحو المائة ألف دينار فاضطرب أهلُ الدولة إلا الأمير **ططر** فإنه لم يتحرك لذلك.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 176/14)

ثم دارت امور وخرج الامير الكبير بالملك **المظفر** الى الشام محاربة الامراء الخارجين عن الطاعة وانتصر عليهم .

ثم قبض الامير الكبير على كثير من الأمراء منهم سبعة من أمراء الألوف بمصر، وعزم على خلع المظفر من السلطنة، وخلعه في تاسع عشرينه فكانت مدته سبعه أشهر وعشرين يوماً.

(المقريزي – السلوك 7/ 36)

وعاد المظفر صحبة الملك **الظاهر ططر** إلى الديار المصرية وأقام بقلعة الجبل مدة ثم أخرج هو وأخوه إبراهيم ابن **الملك المؤيد** إلى سجن **الإسكندرية** فسجنا بها إلى أن مات الملك

المظفر أحمد هذا في الثغر بالطاعون في **ليلة الخميس آخر جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة** في سلطنة الملك **الأشرف برسباي** ومات أخوه **إبراهيم** بعده بمدة يسيرة بالطاعون أيضًا ودفنا بالإسكندرية ثم نقلا إلى **القاهرة** ودفنا بالقبة من **الجامع المؤيدي** داخل **باب زويلة**.

ولم يكن **للملك المظفر** أمر في السلطنة لتشكر أفعاله أو تذم لعدم تحكمه في الدولة وأيضًا لصغر سنه فإنه مات بعد خلعه بسنين وهو لم يبلغ الحلم.

وأما أخوه **إبراهيم** فإنه كان أصغر منه وكانت أمه أم ولد جركسية تسمى **قطلباي** تزوجها الأمير **إينال الجكمي** بعد موت **الملك المؤيد** وماتت عنده.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 177/14)

2) حوليات المظفر أحمد :

- **في المحرم : نودي بكف الناس عن المنكرات كلها، فكثر الدعاء لنظام الملك، وتمشت أحوال الناس، وكثر البيع والشراء، فراجت البضائع وربحت التجار لتوسع أهل الدولة، مما صار إليهم من الأموال.**
- **وفيه: خلع على قضاة القضاة الأربع، وبقية أرباب الدولة باستمرارهم على عوائدهم في وظائفهم**
- **وفيه: جلس الأمير الكبير ططر بالمقعد السلطاني من الاصطبل بعد صلاة العصر، للحكم بين الناس وأخرج المسجونين وعرضهم، فعزل من عليه دين منهم ليصالح غرماءهم عن ديونهم.**
- **شهر صفر: والإرجاف متزايد بأن أهل الشام قد امتنعوا من طاعة ططر.**

- وفيه: قدم الخبر بأن الأمير جقمق نائب الشام أخذ قلعة دمشق واستولى على ما فيها من الأموال وغيرها ، فاضطرب أهل الدولة.
- وفيه: جمع الأمير الكبير قضاة القضاة وأمراء الدولة ومباشريها، وكثيراً من المماليك السلطانية، وأعلمهم بأن نواب الشام والأمير ألطنبغا القرمشي ومن معه من الأمراء المجردين لم يرضوا بما عمل بعد موت المؤيد، ولا بد للناس من حاكم يتولى تدبير أمورهم، ولا بد أن يعينوا رجلاً ترضونه ليقوم بأعباء المملكة ويستبد بالسلطنة فقال الجميع قد رضينا بك وكان الخليفة حاضراً فيهم، فأشهد عليه أنه فوض جميع أمور الرعية إلى الأمير الكبير ططر، وجعل إليه ولاية من يرى ولايته، وعزل من يريد عزله من سائر الناس، وأن يعطي من شاء ما شاء ويمنع من يختار من العطاء، ما عدا اللقب السلطاني، والدعاء له على المنابر، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، فإن هذه الثلاثة أشياء باقية على ما هي عليه للملك المظفر وأثبت قاضي القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهني هذا الإشهاد، وحكم بصحته ونفذ حكمه قضاة القضاة الثلاثة ثم حلف الأمراء للأمير الكبير يمينهم المعهودة
- وفي هذا الشهر والذي قبله: نودي أن لا يسافر أحد من الناس كافة إلى البلاد الشامية، وهدد من وجد مسافراً إليها بأشد العقوبة وكان القصد بذلك تعمية الأخبار عن المخالفين.
- شهر ربيع الآخر: أهل والعسكر في أهبة السفر.
- وفيه: ركب الأمير الكبير نظام الملك ططر من القلعة، ومعه الأمراء والمماليك السلطانية ودخل إلى القاهرة من باب النصر، وخرج من باب زويلة إلى القلعه، فكان

في موكب سلطاني لم يفقد فيه إلا الجاويشية والعصابة وهذا أول موكب ركبه، فإنه منذ مات المؤيد شيخ لم يركب سوى يومه هذا.

- وفيه: أخرج بولدي الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق من القلعة، ونفيا إلى الإسكندرية.

- وفي ثامن عشرة: قدم الخبر بأن عساكر دمشق برزت منها، وأنها نزلت باللجون، فركب الأمير ططر في يوم الثلاثاء تاسع عشره من قلعة الجبل ومعه السلطان الملك المظفر والأمراء، يريد السفر إلى الشام ونزل بهم في المخيم ظاهر القاهرة، وخرج الناس أفواجاً، في إثره، وأصبح يوم الأربعاء الأمير تنبك ميق راحلاً، ومعه عدة من الأمراء وغيرهم ثم استقل الأمير ططر بالمسير ومعه السلطان والخليفة وبقية العسكر في يوم الجمعة ثاني عشرينه وقد جعل نائب الغيبة الأمير قانبيه الحمزاوي – وهو يومئذ غائب ببلاد الصعيد – وأن ينوب عنه حتى يحضر الأمير جقمق أخو جركس المصارع .

- شهر جمادى الأولى دخل الأمير ططر بالسلطان إلى غزة، فقدم إليه طائعاً كثير ممن خرج من عسكر دمشق، فسر بهم، وأنعم عليهم، وفر ممن كان معهم الأمير مقبل الدوادار في طائفة يريد دمشق وقدم الخبر بذلك إلى القاهرة في تاسعه، فدقت البشائر بالقلعة، وخلع على القادم.

- وفيه: قدم الخبر بنزول الأمير ططر ومن معه على بيسان فورد عليه الخبر من دمشق انه شق على الأمير جقمق نائب الشام، وعلى الأمير ألطنبغا القرمشي،دخول الامراء في الطاعة واختلفا، فاقتضي رأي القرمشي أن يدخل في الطاعة، وامتنع جقمق من ذلك، وصاروا حزبين.

- **وفيه:** بلغ القرمشي عن جقمق بأنه يريد أن يقبض عليه، فبادر إلى محاربته، وركب في جماعته بآلة الحرب، ووقف بهم تجاه القلعة، وقد رفع الصنجق السلطاني، فأتاه جماعة عديدة راغبين في الطاعة وكانت بينه وبين جقمق وقعة طول النهار فانكسر جقمق ومضى هو والأمير طوغان أمير أخور والأمير مقبل الدوادار في نحو الخمسين فارساً إلى جهة صرخد وأن القرمشي استولى على مدينة دمشق وتقدم إلى القضاة والأعيان أن يتوجهوا إلى ملاقاة السلطان فقدموا إلى العسكر، فدقت البشائر بقلعة الجبل، وخلع على الذي قدم بذلك.
- **شهر رجب:** دخل الأمير ططر ممن معه إلى حلب، فقدم عليه بها الأمير مقبل الحسامي الدوادار طائعاً، وقد فارق جقمق بصرخد، فخلع عليه، وعفي عنه وخلع على الأمير تغري بردي من قصروه أمير أخور، واستقر في نيابة حلب، عوضا عن أينال الجكمي وخلع على أينال، واستقر أمير سلاح.
- **شهر شعبان :** قدم الخبر بأن الأمير برسباي الدقماقي نائب طرابلس – كان – بعثه الأمير ططر من حلب إلى صرخد، وأنه ما زال بالأمير جقمق حتى أذعن، وسار معه إلى دمشق فلما قدموا دمشق قبض الأمير تنبك ميق النائب على جقمق وطوغان وسجنهما فقتل جقمق ونفى طوغان إلى القدس بطالا
- **في ثامن عشرينه** قبض الامير الكبير على كثير من الأمراء منهم سبعة من أمراء الألوف بمصر، وعزم على خلع المظفر من السلطنة، وخلعه في تاسع عشرينه فكانت مدته سبعه أشهر وعشرين يوماً.

(المظفر بين ططر وامراء الشام)

استقر **الأمير ططر أمير مجلس** مدبر مملكة المظفر أحمد ؛ لغياب **الأتابك ألطنبغا القرمشي**

في تجريدة **البلاد الشامية**؛ لأن **الملك المؤيد** كان قد جعل الأمير **ألطنبغا القرمشي** مدبر مملكة ولده ، فمات **المؤيد والقرمشي** غائبا؛ فوثب **ططر** على الأمر، وانفق الأموال واستبد بأمور المملكة من غير منازع في ذلك، وأرضى من كان عنده من المماليك المؤيدية بالأموال والإقطاعات والوظائف وغيرها .

وبلغ **الأمير جقمق الأرغون نائب الشام** أمره؛ فخالف عليه، وكذلك **يشبك المؤيدي نائب حلب** .

ووقع **بالبلاد الشامية** عدة حروب وفتن حتى تفانوا قتلا؛ فركب **يشبك** على **القرمشي** ومن معه بظاهر **حلب**؛ فقاتله **القرمشي** وهزمه، وقتل **يشبك** في المعركة

ثم قدم **القرمشي** إلى دمشق؛ فواقعه **جقمق** أيضا، وانكسر، وانهزم إلى **صرخد**، وملك **القرمشي دمشق** .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 140)

فلما علم بذلك جمع الأميرُ الكبيرُ **ططر** القضاة عنده بطبقة الأشرفية من القلعة وسائر أمراء الدوْلة ومباشريها وكثيرًا مِنَ المِماليك السلطانية وأعلمهم بأن نوَاب الشام والأمير الكبير **الطنبغا القرمشي** ومن معه من الأمراء المجردِين لم يرضوا بما عمله **الأميرُ طَطر** بعد مَوْت السلطان **الملك المؤّيد** ثم قال: **ولا بد للناس من حاكِم يَتَولى أمر تدبير أمورهم وأن يعينوا رجلًا يرضونه ليقوم بأعباء المملكة ويستبد بالأمور** فقال جميع من حضر بلسان واحد: **قد رضينا بك** وكان الخليفة حاضرًا فيهم فأشهد الأمير **ططر** عليه أنه فوض جميع أمور الرعية إلى الأمير الكبير **ططر** وجعل إليه عزل من يريد عزله وولاية من يريد ولايته من سائر الناس وأن يعطي من يختار ويمنع من شاء من العطايا ما عدا اللقب السلطاني والدعاء على المنابر وضرب الاسم على الدينار والدرهم فإن هذه الثلاثة باقية على ما هي باسم

السلطان الملك **المظفر أحمد**.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 176/14)

كل ذلك **وططر** قد تجهز إلى السفر من مصر إلى **البلاد الشامية** وخرج **بالملك المظفر** معه إلى دمشق .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 140)

وبينما الأمير **ططر** في ذلك ورد عليه الخبر بأن **الأمير يشبك اليوسفي** نائب حلب قد قتل في وقعة كانت بينه وبين الأمير **الكبير ألطنبغا القرمشي** .

وكان **يشبك** من شرار خلق **الله** تعالى لما هو عليه من الفجور والجرأة على الفسوق والتهون في سفك الدماء وأخذ الأموال.

وبينما هم في ذلك بلغهم أن الأمير **ططر** عزم على الخروج من الديار المصرية ومعه السلطان الملك **المظفر أحمد** إلى البلاد الشامية فتهيئوا لقتاله.

ثم خرجت مدورة **السلطان** إلى الريدانية خارج **القاهرة** فقدم الخبر على **الأمير ططر** بأن عساكر **دمشق** برزت منها إلى اللجون فركب الأمير **ططر** من قلعة الجبل ومعه السلطان **الملك المظفر أحمد** والأمراء وسائر أرباب الدولة ونزل من قلعة الجبل إلى الريدانية بمخيمه وسافرت **أم السلطان الملك المظفر أحمد خوند سعادات** في محفة صحبة ولدها.

ثم سار الأمير **ططر** من غزة بالسلطان والعساكر يريد دمشق فورد عليه الخبر بأن **الآمير الدوادار** لما وصل إلى دمشق وأخبر الأمراء بدخول الأمير **جلبان** والأمير **إينال النورزوي** في طاعة الأمير **ططر** شق ذلك على الأمير **جقمق الأرغون** نائب الشام وعلى الأمير الكبير **ألطنبغا القرمشي** ومن معه من الأمراء المصريين واضطرب أمرهم وتكلموا في المصلحة فلم ينتظر لهم أمر واختلفا – أعني **القرمشي وجقمق** نائب الشام – فاقتضى رأي **ألطنبغا**

القرمشي ومن معه الدخول في طاعة **الأمير ططر** والتسليم له فيما يفعل وامتنع **جقمق نائب الشام** من ذلك .

افترقا من يومئذ وصارا في تباين إلى أن بلغ الأمير **ألطنبغا القرمشي** عن **جقمق** أنه يريد الركوب عليه وعلى من معه من الأمراء فطلب أصحابه وشاورهم فيما يفعل فاقتضى رأيهم محاربته.

فبادر **القرمشي** إلى محاربة **جقمق** وركب بمماليكه وأصحابه بآلة الحرب وعليهم السلاح ووقف بهم تجاه قلعة **دمشق** وقد رفع الصنجق السلطاني وأعلن بطاعة السلطان فأتاه جماعه كبيرة من أمراء دمشق وغيرها راغبين في الطاعة.

وبلغ **جقمق** ذلك فتهيأ لقتاله ولبس السلاح ونزل بمماليكه وأصحابه وصدم بهم الأمير **ألطنبغا القرمشي** ومن معه وقاتلهم فكان بينه وبينهم وقعة هائلة طول النهار إلى أن انكسر الأمير **جقمق** وتوجه هو والأمير **طوغان** والأمير **مقبل الحسامي** الدوادار في نحو الخمسين فارسًا إلى جهة **صرخد** وأن الأمير **ألطنبغا القرمشي** استولى على مدينة دمشق وتقدم إلى القضاة والأعيان أن يتوجهوا إلى ملاقاة **السلطان** والأمير **ططر**.

فسر الأمير **ططر** بذلك غاية السرور وعلم أن الأمر قد هان وتحقق كل أحد ثبات أمره .

ثم ركب الأمير **ططر** ومعه السلطان والعساكر إلى نحو دمشق حتى دخلها من غير ممانع بعد أن تلقاه الأمير الكبير **ألطنبغا القرمشي** ومعه الأمير **ألطنبغا المرقبي** حاجب الحجاب بالديار المصرية والأمير **جرباش الكريمي** أحد مقدمي الألوف بديار مصر والأمير **سودون اللكاشي** أحد مقدمي الألوف أيضًا والأمير **آق بلاط الدمرداش** أحد مقدمي الألوف أيضًا.

فخرج **القرمشي** إلى لقائه وقبل الأرض بين يديه، وعاد في خدمة **المظفر** إلى دمشق ؛

فقبض عليه ططر وعلى جماعة كثيرة من أصحابه الأمراء.

وأرسل الأمير **ططر** المبشر إلى الديار المصرية بقدوم السلطان إلى دمشق وبالقبض على الأمير **القرمشي** .

ثم تزوج الأمير الكبير **ططر** بأم السلطان الملك **المظفر أحمد** وهي خوند **سعادات بنت الأمير صرغتمش** وبنى بها فصار عم السلطان زوج أمه ونظام ملكه مع ما تمهد له من الأمر من مسك الأمير **ألطنبغا القرمشي** ورفقته ومن ورود الخبر عليه بمجيء خجداشيته الأمراء الذين كانوا فروا من الملك المؤيد في وقعة الأمير **قاني باي المحمدي** نائب الشام المقدم ذكرهم.

واما الامراء الذين في قلعة صرخد وما زال **برسباي** بالأمير **جقمق** ومن عنده حتى أذعنوا لطاعة الأمير ططر ونزلوا من قلعة صرخد وتوجهوا صحبة الأمير **برسباي الدقماقي** إلى دمشق وهم: الأمير **جقمق** نائب الشام والأمير **طوغان** أمير آخور الملك **المؤيد** وغيرهم.

فلما قدموا إلى دمشق قبض عليهم الأمير **تنبك ميق** نائب الشام ولم يلتفت إلى كلام الأمير **برسباي الدقماقي** وحبس الأمير **جقمق** والأمير **طوغان** **أمير آخور** بقلعة دمشق وقال: " **إذا جاء الأمير الكبير ططر إن شاء يطلقهما وإن شاء يقتلهما** فاحتد الأمير **برسباي** لذلك قليلًا ثم سكن ما به لما علم المصلحة في قبضهما.

ومنهم من قال المصلحة أن الأمير الكبير **ططر** يعود إلى مصر ثم يفعل ما بدا له بعد أن يصير بقلعة الجبل فمال **ططر** إلى القول الثاني من أنه يعود إلى مصر ثم يقبض عليهم ثم يتسلطن.

فلم يرض الأمير **قصروه من تمراز** بذلك وقام في القبض عليهم وبالغ في ذلك وهون أمر المؤيدية **شيخ** على الأمير **ططر** إلى الغاية حتى قال له: **لا تتكلم أنث في أمرهم وأنا**

والأمير بيبغا المظفري نكفيك أمر هؤلاء الأجلاب كل ذلك لما كان فى نفس قصروه من أستاذهم **الملك المؤيد** .

وبعد مسك هؤلاء الأمراء خلا الجو للأمير **ططر** وصفا الوقت له بقتل هؤلاء الملوك ثم التفت إلى المؤيدية؛ فقبض في يوم واحد على جماعة كثيرة منهم وحبسهم، وفرق اقطاعاتهم ووظائفهم على خجداشيته وحواشيه؛ فعند ذلك بدا له أن يتسلطن؛ فخلع **الملك المظفر** هذا، وتسلطن في يوم الجمعة تاسع عشرين شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة .

فكانت مدة سلطنة الملك المظفر من يوم جلوسه على تخت الملك وهو يوم موت أبيه الملك المؤيد شيخ إلى أن خلع في هذا اليوم سبعة أشهر وعشرين يومًا.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 177/14)

الفصل العاشر



سيف الدين ططر

1) ترجمة الظاهر ططر :

معنى ططر = اسم قبيلة تركية **Tatar** .

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

ططر بن عبد الله الظاهري , جركسي الجنس، رباه بعض التجار، وعلمه شيئاً من القرآن وفقه الحنفية وقدم به **القاهرة** وهو صبي، فدل عليه الأمير **قانبيه العلاي** لقرابته به، فسأل **السلطان الملك الظاهر** فيه حتى أخذه من تاجره ومات **السلطان** قبل أن يصرف ثمنه فوزن الأمير الكبير **أيتمش** ثمنه **اثني عشر ألف درهم** ونزله في جملة مماليك الطباق، فنشأ بينهم،

(المقريزي – السلوك 44/7)

ولما أراد الملك الظاهر عتق ططر ، عرضه فى جملة من عرض من مماليك الطباق الكتابية، وكان ططر قصير القامة، فاعتقد الظاهر أنه صغير، فرده إلى الطبقة فيمن رد من صغار المماليك، وكان الأمير جرباش الشيخى الظاهرى رأس نوبة واقفا، فمسك ططر من كتفه وقال: يا مولانا السلطان، هذا فقيه طالب علم، قرناص يستاهل الخير، فأمر له الملك الظاهر بالخيل وكتب عتاقته أمام السلطان ، فكان ططر فى أيام إمرته، وبعد سلطنته، كلما رأى الناصر محمد ابن جرباش يترحم على والده ويقول : لم يعتقنى الملك الظاهر برقوق إلا بسفارة الأمير جرباش الشيخى– رحمه الله– وأحسن إلى ولده المذكور.

(ابن حجر – كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر 200/2)

فقام به الأتابك أيتمش من عنده، وأخرج له الخيل والناس في سلطنة الناصر الثانية، ثم تنقلت به الأحوال بعده، وانضم إلى نوروز.

(ابن حجر – كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر 256/2)

وتقلب معه في بحار تلك الفتن، وفر إليه بالشام .

(المقريزي – السلوك 44/7)

فلما رجع الناصر إلى مصر استمر ططر مع جكم، ثم لما قتل جكم استقر أميرا بحلب ، فاستمر فيها مدة طويلة وهو في أثناء ذلك ينتمي لنوروز إلى أن وقع بين شيخ ونوروز وانكسر نوروز استمر مع المؤيد، فلما اقتسما البلاد بعد قتل الناصر قدم مصر مع المؤيد، واستمر في خدمته إلى أن تسلطن وحاصره مع النوروزية وهو يظهر خدمة المؤيد ويداريه ويبالغ في ذلك إلى أن أمره طبلخاناة ثم أمره تقدمة، ثم لما توجه لقتال قانباي استنابه بالإصطبل .

ثم لما مات المؤيد استقر نظام الملك وخرج بالعساكر إلى الشام .

(ابن حجر – كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر 257/2)

ولما مسك هؤلاء المؤيدية صفا له الوقت وتسلطن ، ولقب بالملك الظاهر ططر ، على لقب أستاذه الظاهر برقوق.

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 146)

فإنه لما قبض على من كان بغيضا له من الأمراء، وخلا له الجو، طلب الخليفة والقضاة المصريين والشاميين فحضروا له بقلعة دمشق، وخلع المظفر، واحتج بصغره وضياع الأمور. ثم بويع بالسلطنة ولقب بالظاهر، وكني بأبي الفتح، وتم أمره، وخطب له من يومه على منابر دمشق ، وخرجت القصاد بسلطنته إلى جهة مصر وحلب وغيرهما من البلاد، وعادت إليه الأخبار من نواب البلاد وإطاعته، وأقام بدمشق سلطانا أياما، وعزم على الرحيل إلى مصر.

(عبد الباسط – نيل الأمل في ذيل الدول 95/4)

فصار سلطاناً ، فلم يتهن .

(المقريزي – السلوك 44/7)

وكانت سلطنته بقلعة دمشق، ثم سار منها بعد أيام يريد القاهرة؛ فمرض في أثناء الطريق، وصار يتعلل، إلى أن وصل إلى الديار المصرية ودخلها راكبا .

(عبد الباسط – نيل الأمل في ذيل الدول 100/4)

وفي شوال ، كان دخول الظاهر ططر إلى القاهرة في يوم مشهود، وقد تزايد سرور الناس لما يعلمون من خيره وعدله وحسن سيرته.

(عبد الباسط – نيل الأمل في ذيل الدول 95/4)

وكان أولا كالمحجور عليه مع ألي بيه الدوادار، **وتغري بردي** من قصروه أمير أخور ثم تعلل منذ خرج من حلب، فلم يقم بقلعة الجبل سوى ثمانية عشر يوماً وألجأه تعلله إلى لزوم الفراش .

(المقريزي – السلوك 44/7)

فطلب السلطان الخليفة والقضاة والأمراء وأهل الدولة فذكر لهم ما هو فيه من المرض، وطلب أن يعهد بالسلطنة لولده محمد، فعهد إليه وجعل جانبك الصوفي، وبرسباي الدقماقي هما القايمان بتدبير دولته، وجعل كفالة ولده إلى برسباي، وحلف الأمراء على ذلك .

(عبد الباسط – نيل الأمل في ذيل الدول 99/4)

وكان برسباي هذا من كبار معارف ططر حتى كان يقول له: «أخي».

(عبد الباسط – نيل الأمل في ذيل الدول 95/4)

ثم مات الظاهر ططر وكانت مدته من أقصر المدد، وهي أربعة وتسعين يوما.

ودفن بعد موته بقبر كان أعده لنفسه قبل سفره إلى الشام بجوار الإمام الليث بن سعد رضي الله عنه، وأنزل نعشه وليس معه إلا نحوا من عشرين نفرا خاصة، واضطربت الناس عقيب موته شيئا، ثم سكن الحال.

(عبد الباسط – نيل الأمل في ذيل الدول 100/4)

ولم تطل أيامه حتى تشكر أفعاله أو تذم .

(المقريزي – السلوك 44/7)

وكان يحب العلماء ويعظمهم مع حسن الخلق والمكارم الزائدة والعطاء الواسع.

(ابن حجر – كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر 257/2)

وكانت سعادات ابنة سودون الجركسي زوجة المؤيد وأم المظفر في عصمة ططر، تزوج بها قبل نيابته بدمشق .

(عبد الباسط – نيل الأمل في ذيل الدول 95/4)

وكان إنسانا حسنا، متدينا، لينا، هينا، كريم النفس، محبا في الخير وفعله، له معرفة بالفقه، وقرأ فيه شيئا. وكان كثير التعصب لمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، وأذهب جميع ما تركه المؤيد من الأموال الجزيلة في مدة قليلة حتى لم يبق في الخزانة بعد موته سوى ستين ألف دينار .

(عبد الباسط – نيل الأمل في ذيل الدول 100/4)

فكانت مدة ملكه بالشام ومصر أربعة وتسعين يوما لاغير، حمل فيها نفسه ما حسابه على الله تعالى ، ومهد لغيره .

(عبد الباسط – نيل الأمل في ذيل الدول 100/4)

وكان يحب مجالسة العلماء والفقهاء وأرباب الفضائل من كل فن، وله اطلاع جيد ونظر فى فروع مذهبه، ويسأل فى مجالسه الأسئلة المفحمة المشكلة، مع الإنصاف والتواضع ولين الجانب مع جلسائه وأعوانه وخدمه، وكان يحب إنشاد الشعر بين يديه لا سيما الشعر الذي باللغة التركية؛ فإنه كان حافظا له ولنظامه، ويميل إلى الصوت الحسن، ولسماع الوتر، مع عفته عن سائر المنكرات– قديما وحديثا– من المشارب.

وهو ثانى سلطان ملك الديار المصرية ممن له ذوق فى العلوم والفنون والآداب ومعاشرة الفضلاء والأدباء والظرفاء من المماليك الذين مسهم الرق: الأول الملك المؤيد شيخ، والثانى ططر هذا، غير أن الملك المؤيد طالت مدته فعلم حاله الناس أجمعون والملك الظاهر هذا قصرت مدته فخفى أمره على آخرين .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 210/14)

وتزوج السلطان من خوند فرج ابنة سودون الفقيه، وأمّ ولده الصالح محمد وتزوج من خوند سعادات زوجة المؤيد شيخ وطلقها .

وترك من الابناء محمد وتسلطن بعده وخوند فاطمة وتزوجها السلطان الاشرف برسباي وخوند ست الملوك .

حوليات الملك الظاهر ططر :

(سنة أربع وعشرين وثمانمائة)

- شعبان: برز السلطان من دمشق عائداً إلى مصر، بعد ما أثر بدمشق آثاراً جميلة ثم مر في طريقة بمدينة القدس، فرفع إليه أن من عادة نائبها أن يجبى كل سنة من فلاحي الضياع نحو أربعة آلاف دينار، وبسبب ذلك خربت معاملة القدس، فنادى بإبطال هذه المغارم، ونقشه على حجر بالمسجد، فتباشر الناس بأيامه، ورجوا أن يزيل الله عنهم به ما هم فيه من الجور.
- وفي رمضان : نزل السلطان بالصالحية، فخرج الناس إلى لقائه، وقد تزايد السرور به، فصعد قلعة الجبل ، وأنزل المظفر مع أمه في بعض دور القلعة.
- وفيه: ابتدأ السلطان بعرض مماليك الطباق، وأنزل منهم عدة، فسكنوا في الصليبة وغيرها.

- وفيه : انتكس السلطان، ولزم الفراش ومرضه متزايد، والإرجاف به كبيره .
- وفي شوال : استدعى الخليفة والقضاة إلى القلعة، وقد اجتمع الأمراء والمباشرون والمماليك، وعهد السلطان لابنه الأمير محمد، وأن يكون القائم بدولته الأمير جانبك الصوفي، والأمير برسباي الدقماقي لالا، فحلف الأمراء على ذلك، كما حلفوا لابن الملك المؤيد.
- وفيه : أخذ الناس في توزيع أمتعتهم من الدور والحوانيت خوفاً من الفتنة، فلما كانت ضحوة نهار الأحد رابعه، توفي السلطان، فاضطرب الناس ساعة، ثم غسل وأخرج من باب السلسة، وليس معه إلا نحو العشرين رجلا، حتى دفن بجوار الليث بن سعد من القرافة

(ططر وما تركه المؤيد شيخ من الاموال الجزيلة)

كان ططر ملكا عظيما جليلا كريما، عالى الهمة، جيد الحدس، حسن التدبير، سيوسا، توثب على الأمور مع من كان أكبر منه قدرا وسنا، ومع عظم شوكة المماليك المؤيدية شيخ ، وقوة بأسهم، مع فقر كان به وإملاق .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 210/14)

قال لي قبل أن يتسلطن قي ليلة المولد النبوي في آخر الدولة المؤيدية في الليلة التي مات في صبيحتها المؤيد قد ضاقت يده لكثرة ما كان يصرف وقلة متحصلة حتى أن شخصا قدم له مأكولا فأراد أن يكافيه عليه فلم يجد قي حاصله خمسة دنانير إلى أن أرسل يقترضها من بعض خواصه فكلهم يحلف أنه لا يقدر عليها إلى أن وجدها عند أحدهم قلم يكن بين ذلك وبين أن استولى على المملكة بأسرها وعلى جميع ما في الخزائن السلطانية التي جمعها

المؤيد سوى سبعة أيام؛ وأمرني أن أكتب هذه الواقعة في التاريخ فإنها أعجوبة .

(ابن حجر – كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر 258/2)

وكان يميل إلى تدين، وفيه لين، وإعصاء، وكرم، مع طيش، وخفة وأتلف في مدته – مع قلتها – أموالا عظيمة، وحمل الدولة كلفا كثيرة، أتعب بها من بعده .

(المقريزي – السلوك 44/7)

وأذهب جميع ما تركه المؤيد من الأموال الجزيلة في مدة قليلة حتى لم يبق في الخزانة بعد موته سوى ستين ألف دينار .

(عبد الباسط – نيل الأمل في ذيل الدول 100/4)

وكان عنده بعض طيش وخفة.

(ابن حجر – كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر 257/2)

وكان مقداما جريئا على الأمور بعد ما يحسب عواقبها، شهما يحب التجمل؛ كانت مماليكه أيام إمرته مع فاقته أجل من جميع مماليك رفقته من الأمراء، فيهم الناصرية والجكمية والنوروزية وغيرهم.

(فمن يكن فيه طيش وخفة لا يطيق هذا الصبر ولو تلفت روحه.)

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 208/14)

فلا زال يحسن سياسته، ويدبر أموره، ويخادع أعداءه إلى أن استفحل أمره، وثبت قدمه، وأقلب دولة بدولة غيرها فى أيسر مدة وأهون طريقة.

كان تارة يملق هذا، وتارة يغدق على هذا، وتارة يقرب هذا ويظهره على أسراره الخفية، كل ذلك وهو فى إصلاح شأنه فى الباطن مع من لا يقر به فى الظاهر، فكان حاله مع من يخافه كالطبيب الحاذق الذي يلاطف عدة مرضى قد اختلف داؤهم، فينظر كل واحد ممن يخشى شره، فإن كان شهما رقاه إلى المراتب العلية وأوعده بأضعاف ذلك، وإن كان

طماعا أبذل إليه الأموال وأشبعه، حتى إنه دفع لبعض المماليك المؤيدية الأجناد فى دفعات متفرقة فى مدة يسيرة نحو عشرة آلاف دينار، وإن كان شهما رغبته الأمر والنهى ولاه أعظم الوظائف، كما فعل بالأمير على باى المؤيدى والأمير تغرى بردى المؤيدى المعروف بأخى قصروه؛ ولى كلا منهما أجل وظيفة بديار مصر، فأقر **على باى** فى **الدوادارية الكبرى** دفعة واحدة من إمرة عشرة، وأقر **تغرى بردى** فى **الأمير آخورية الكبرى** دفعة واحدة، ومع هذا لم يتجن عليهما أبدا بل صار معهما فيما أراداه، يعطى من أحب ويمنع من أبغض .

كل ذلك لكثرة دهائه وعظيم احتماله، ولم يكن فعله هذا مع على باى وتغرى بردى فقط، بل مع غالب أشرار المؤيدية.

هذا وهو يقرب **خشداشيته الظاهرية برقوق** واحدا بعد واحد، يقصد بذلك تقوية أمره فى الباطن، فأطلق مثل جانبك الصوفى، ومثل بيبغا المظفرى، ومثل قجق العيساوى. كل ذلك وهو مستمر فى بذل الأموال والإقطاعات ، حتى إنه كلمه بعض أصحابه سرا بعد عوده من دمشق فيما أتلفه من الأموال، فقال:

«يا فلان أتظن أن الذي فرقته راح من حاصلى؟ جميعه فى قبضتى أسترجعه فى أيسر مدة، إلا ما أعطيته للفقهاء والصلحاء» .

ولما حصل له ما أراه وصفا له الوقت ووثب على ملك **مصر** أقام له شوكة وحاشية من **خشداشيته ومماليكه** فى هذه الأيام القليلة، لم ينهض بمثلها من جاء قبله ولا بعده أن ينشئ مثلها فى طول مملكته فهذا مما يدل على قوة جنانه وإقدامه وشجاعته، فإنه أنشأ هذا كله فى مدة سلطنته، وهى ثلاثة أشهر وأربعة أيام.

ومع قصر مدته انتفع بسلطنته سائر أصحابه وحواشيه ومماليكه، فإن أول ما طالت يده رقاهم وأنعم عليهم بالأموال والإقطاعات والوظائف والرواتب؛ قيل إنه أعطى **الشيخ شمس**

الدين محمد الحنفى فى دفعة واحدة عشرة آلاف دينار، وأوقف على زاويته إقطاعا هائلا، وتنوعت عطاياه لأصحابه على أنواع كثيرة، وأحبه غالب الناس لبشاشته وكرمه.

وأظنه لو طالت مدته أظهر فى أيامه محاسن، ودام ملكه سنين كثيرة لكثرة عطائه.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 210/14)

الفصل الحادي عشر



محمد بن ططر

1) ترجمة الصالح محمد بن الظاهر ططر:

محمد بن ططر الصالح بن الظاهر أبي الفتح، وأمه ابنة سودون الفقيه.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 274/7)

أقيم في السلطنة بعهد أبيه إليه، وعمره نحو العشر سنين، عقيب موت أبيه في يوم الأحد رابع ذي الحجة، سنة أربع وعشرين وثمانمائة و اجتمع الأمراء بالقلعة ، وأجلسوا السلطان، ولقبوه بالملك الصالح .

(المقريزي – السلوك 44/7)

ولما استقر في **السلطنة** صار **الأتابك** **جانبك الصوفي** مدبر مملكته؛ فلم يتم له ذلك، ووقع بينه وبين **الأميرين** **برسباى الدقماقى** **الدوادار الكبير** **وطرباى الظاهري** **حاجب الحجاب** أمور ، وثارت الفتنة بينهم في يوم عيد النحر، وخذل **جانبك الصوفي** جماعة من الأمراء؛ موافقة **لبرسباى وطرباى** .

وآل الأمر إلى القبض على **جانبك الصوفي** ، وحبسه بسجن **الأسكندرية** .

صار المتكلم في المملكة **برسباى الدقماقي** ويشاركه في ذلك خجداشه **طرباى**؛ فلم يطل ذلك، ووقع بينهما أيضا وحشة وكثر الكلام في أمرهما، إلى أن استفحل أمر **برسباى**، وقبض على **طرباى** وحبسه بسجن **الأسكندرية** أيضا .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 149)

ثم فوض الخليفة **المعتضد بالله** للأمير **برسباى الدقماقى** نظام الملك أمور الدولة بأسرها، ليقوم بتدبير ذلك عن السلطان **الصالح محمد** إلى أن يبلغ رشده، وحكم بصحة ذلك قاضى القضاة زين الدين **عبد الرحمن التفهنى الحنفى** .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 14/ 221)

ثم أجتمع الامراء على **برسباي** قالوا : **أنت أغتنا، وأنت لائق للسلطنة،** فلم يسع تنبك إلا أن قام من وقته وقبل الأرض، وبايعه بالسلطنة ثم وافقه على ذلك جماعة الأمراء وغيرهم .

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي 262/3)

واستبد بأمور المملكة برسباى من غير مشارك، إلى أن قبض على الصالح وخلعه من الملك وتسلطن عوضه .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 149)

فكانت مدة سلطنته أربعة أشهر وثلاثة أيام.

ودام الملك **الصالح محمد** بقلعة الجبل سنين حتى بلغ الحلم، وزوجه الملك الاشرف **برسباى** بابنة الأتابك **يشبك الساقى الأعرج،** ودامت معه حتى مات عنها وهو فى حدود العشرين سنة من العمر تخمينا .

وكان أهوج وعنده بعض بله وسذاجة، مع خفة وسرعة حركة، وسلامة باطن، وعدم تجمل فى ملبسه، ولم يكن عنده شيء من الكبر والترفع ولم يتأسف على الملك أبدا، وكان غالب حواشى الملك **الأشرف برسباى** يسمونه فى وجهه **سيدى محمد** ويصيحون له بذلك، ومما ينسب إليه من السذاجة أنه ركب مرة فرسا ثم طلبه ثانيا فقال: هاتوا فرسى الأبيض، فنهره بعض حواشيه وقال له : **لم لا تقول فرسى البوز، ثم أتى بعد ذلك بمشروب من السكر فقال: ما أشرب إلا فى سلطانيتى البوز، فنهره ذلك الرجل بعينه وقال له: لم لا تقول سلطانيتى البيضاء، فقال: والله تحيرت بينكم، تارة تقولون لا تقل أبيض وقل بوز، وتارة تقولون بالعكس، كيف يكون عملى معكم؟ .**

وله أشياء من ذلك كثيرة، على أنه كان يحفظ القرآن، ويعرف بلسان الچاركسى، ولبلوهيته حلاوة وطلاوة مع خفة روح .

(ابن تغري بردي– النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة – 234/14)

قال **العيني**: وصلى عليه بمصلى المؤمني في مشهد في السلطان وأعيان المملكة، ودفن عند أبيه بالقرب من مشهد الليث.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 274/7)

2) حوليات الصالح محمد :

- **ذي الحجة : يوم النحر، وقد أخرج الأمير برسباي بالسلطان من قصره إلى الجامع بالقلعة، ومعه الأمير قصروه، فصلى بهم قاضي القضاة صلاة العيد، وخطب على العادة ثم مضى الأميران بالسلطان إلى باب الستارة، فذبح السلطان هناك طائفة من غنم الأضحية، وذبح الأمير برسباي ما هنالك من البقر وبقية الغنم وبينما هم في ذلك إذ رمى المماليك بالنشاب من أعلا القلعة على الأمير جانبك، وهو بالحراقة من باب السلسلة، فاضطرب الناس وللحال أغلق باب القلعة، ودقت الكوسات حربيا، فخرج الأمير طرباي من داره في عسكر كبير، وقد لبسوا جميعهم لامة الحرب.**

فنودي بالنفقة في المماليك مائة دينار لكل واحد، فكأنها جمرة طفيت وللحال سكنت الفتنة، كأن لم تكن، فلم تنتطح فيها عنزان ونودي في القاهرة بالأمان، فقد قبض على أعداء السلطان، ففتحت أبواب القاهرة، بعد ما أغلقت واطمأن الناس بعد ما كان في ظنهم أن الفتنة تطول وكل ذلك في ضحى النهار، فسبحان من بيده الأمر كله.

- **وفيه : اجتمع الأمراء بالخدمة في القصر وقد أخرج السلطان من عند أمه وأجلس ثم خلع على الأمير برسباي الدقماقي الدوادار، واستقر نظام الملك، كما كان الظاهر ططر قبل أن يتسلطن وكان الأمير برسباي منذ اشتد مرض الظاهر مقيماً بالقلعة، لم ينزل منها طول هذه المدة.**

- **وفيه : فوض الخليفة إلى الأمير الكبير برسباي أمور المملكة بأسرها، ليقوم بها إلى**

أن يبلغ السلطان رشده وحكم بصحة ذلك قاضي القضاة الحنفي.

- وفيه : خلع على الأمير سودن من عبد الرحمن، واستقر دوادارا كبيراً، عوضاً عن الأمير الكبير نظام الملك برسباي وتقرر الحال على أن يكون تدبير الدولة وسائر أمور المملكة بيد الأمير برسباي والأمير طرباي شركة وأن يسكن طرباي بداره تحت القلعة تجاه باب السلسلة، ويحضر الخدمة عند الأمير برسباي بالأشرفية وخلع على الأمير جقمق نائب القلعة، واستقر حاجب الحجاب .
- وفيه : خرج جميع الأمراء وسائر أهل الدولة من الخدمة السلطانية بالقصر مشاة في خدمة نظام الملك برسباي،حتى دخل الأشرفية التي هي سكنه وعملت الخدمة بين يديه وصرف أمور الدولة على حسب أختياره ومقتضى رأيه .
- وفيه : خلع على صدر الدين أحمد العجمي ، وأعيد إلى حسبة القاهرة .
- وفيه : نودي بمنع النساء من الخروج إلى الترب، وتشدد الأمير جقمق الحاجب في ذلك وكان قد كثر في هذا الشهر مرض الناس ومات عدة منهم، فصارت النساء يترددن إلى الترب في أيام الجمع، ويقمن بها المآتم والعزاء.
- وفيها : توفي قاضي القضاة جلال الدين عمر البلقيني ، عن ثلاث وستين سنة وصلى عليه بالجامع الحاكمي ودفن على قبر أبيه وأخيه، بمدرستهم من حارة بهاء الدين، فكان جمعاً موفوراً، ومشهداً جليلاً حافلاً مذكوراً وانتاب الناس قبره مدة و لم يخلف بعد مثله في كثرة علمه بالفقه وأصوله، وبالحديث والتفسير والعربية، مع العفة والنزاهة عما يرمي به قضاة السوء، وجمال الصورة، وفصاحة العبارة وبالجملة فلقد كان ممن يتجمل به الوقت.

(سنة خمس وعشرين وثمانمائة)

- **وفي المحرم : تنكر الحال بين الأمير طرباي والأمير نظام الملك برسباي**
- **وفي صفر: قبض الأمير برسباي على الأمير سودن الحموي، ، وعلى الأمير قانصوه ، وكانا من أصحاب الأمير طرباي، فكثرت القالة، وبات طرباي وجماعته يحذرونه الطلوع إلى القلعة، وهو لا يصغي لقولهم، وفي ظنه أن الأمير برسباي لا يفاجئه بسوء، لأنه في ابتداء الأمر كان طرباي متميزاً عليه منذ مات الظاهر برقوق ، ثم خدع جانبك حتى نزل من الاصطبل ثم قبض عليه، فكان يرى أنه هو الذي أقام الأمير برسباي فيما هو فيه،**
- **وأصبح يوم الخميس : فركب طرباي إلى الخدمة بالقلعة إلا أن استقر جلوسه، أشار الأمير برسباي بالقبض عليه، فجذب سيفه ليدفع عن نفسه، وقام، فبدره الجماعة وعاقوه عن النهوض وبادره الأمير برسباي بالسيف، وضربه ضربة جاءت في يده وأخذ إلى السجن، وقد تضمخ بدمه فوقعت هجة بالقصر، ثم سكنت من ساعتها و لم يتحرك أحد لنصرة طرباي**
- **وفيه: قدم الأمير تنبك ميق نائب الشام، بعد ما تلقاه عامة أهل الدولة، فخلع عليه واستقر على عادته في نيابة الشام وتحدث معه في سلطنة الأمير برسباي، فوافق على ذلك.**
- **في يوم الأربعاء ثامنه : خلع الملك الصالح .**

(الصالح محمد وطموح نظام الملك برسباي)

فوض **الخليفة المعتضد بالله للأمير برسباى نظام الملك** أمور الدولة بأسرها، ليقوم بتدبير ذلك عن **السلطان الصالح محمد** إلى أن يبلغ رشده، وحكم بصحة ذلك قاضى القضاة

زين الدين التفهني الحنفى؛ ومع هذا كله تقرر الحال على أن يكون تدبير الدولة وسائر أمور المملكة بين الأمير برسباى وبين الأمير طرباى، وأن يسكن الأمير برسباى بطبقة الأشرفية على عادته، ويسكن الأمير طرباى الأتابك بداره تجاه باب السلسلة، وهو بيت قوصون ، وانفض الموكب، وخرج جميع الأمراء وسائر أرباب الدولة مشاة فى خدمة الأمير برسباى نظام الملك ، وصرف أمور الدولة على حسب اختياره ومقتضى رأيه .

ثم ابتدأت الوحشة بين الأمير برسباى نظام الملك وبين الأمير الكبير طرباى أتابك العساكر، وتنكر الحال بينهما فى الباطن، وسببه أن الأمير طرباى شق عليه استبداد الأمير برسباى الدقماقى بأمور المملكة وحدة، وتردد الناس إلى بابه، وخاف إن دام ذلك ربما يصير من أمر برسباى ما أشاعه الناس .

وكان طرباى يقول فى نفسه: **إنه هو الذي مهد الديار المصرية، ودبر على قبض جانى بك الصوفى حتى كان من أمره ما كان، ولولاه لم يقدر** برسباى **على** جانى بك الصوفى **ولا غيره**، وكان الاتفاق بينهما أن يكون أمر المملكة بينهما نصفين بالسوية لا يختص أحدهما عن الآخر بأمر من الأمور، وكان الأمير طرباى فى الأصل من يوم مات الملك **الظاهر** برقوق متميزا على برسباى، ويرى أنه هو الأكبر والأعظم فى النفوس، وأنه هو الذي أقام برسباى فى هذه المنزلة من كونه استمال المماليك السلطانية إليه، ونفرهم عن الأمير الكبير جانى بك الصوفى حتى تم له ذلك، وأنه هو الذي خدع جانى بك الصوفى حتى أنزله من باب السلسلة، وقام مع **الأمير** برسباى إلى أن رضيه الناس بأن يكون مدبر المملكة، كل ذلك ليكون برسباى تحت أوامره، ولا يفعل شيئا إلا بمشاورته .

فلما رأى طرباى أن الأمر بخلاف ما أمله ندم على ما كان من أمره فى حق جانى بك الصوفى حيث لا ينفعه الندم، وتكلم مع حواشيه فيما يفعله مع **الأمير** برسباى، وكان له

شوكة كبيرة من خشداشيته المماليك الظاهرية **برقوق** وغيرهم، فأشاروا عليه أن ينقطع عن طلوع الخدمة أياما لينظروا فيما يفعلونه، وكان **طرباى** مطاعا فى خشداشيته ولهم فيه محبة زائدة، وتعصب عظيم له على **برسباى**، فاغتر **طرباى** بكلامهم، وعدى بمماليكه إلى بر الجيزة حيث هو مربط خيوله على الربيع كالمتنزه، وأقام به بقية **صفر**.

وأما الأمير **برسباى** لما علم أن الأمير **طرباى** توغر خاطره منه، وعلم أنه لا يتم له أمر مع وجوده، أخذ يدبر عليه فيما يفعله معه حتى يمكنه القبض عليه، ثم يفعل ما بدا له، هذا وقد انضم عليه جماعة كبيرة من أمراء الألوف، ولكنهم حيثما ما أمكنهم الكلام مع **برسباى** أو **طرباى** قالوا له: **أنت خشداشنا وأغاتنا**؛ لأن كليهما من مماليك **برقوق**، بهذا المقتضى صار الأمير **برسباى** لا يعرف من هو معه من خشداشيته الظاهرية، ولا من هو عليه .

فلما علم **برسباى** أن هؤلاء الأمراء معه حقيقة قوى قلبه بهم، وألقى مقاليد أمر **طرباى** فى رقبة الأمير **يشبك الساقى الأعرج** أن ينزل إليه، ويعمل جهده فى طلوعه إلى الخدمة السلطانية، ثم سلط أيضا جماعة أخرى على الأمير **طرباى** يحسنون له الحضور من الربيع، هذا مع ما يقوى جأشه الأمير **تغرى بردى المحمودى** فى الإقدام على **طرباى** ويهون عليه أمره، والأمير **برسباى** يجبن عن ذلك حتى استهل شهر ربيع الأول.

فلما كان يوم الثلاثاء ثانية قدم الأمير الكبير **طرباى** من الربيع، ونزل بداره تجاه باب السلسلة، وتردد إليه الأمير **يشبك الساقى الأعرج**، وحسن له الطلوع بأن قال له: **إن كل خشداشيته معه، وأنهم لا يؤثرون عليه أحدا، وأنه بطلوعه يستفحل أمره، وبعدم طلوعه ربما يجبن ويضمحل أمره؛ فإن الناس مع القائم، وإذا حضرت أنت تلاشى أمر برسباى**، وهون عليه أمر **برسباى**، ولا زال به حتى انخدع له وأذعن بالطلوع.

ثم أمسك الأمير برسباى الأمير سودون الحموى ، والأمير قانصوه النوروزى ، وكانا من جملة أصحاب طرباى، فعظم ذلك على طرباى، وقامت قيامة أصحابه وحذروه عن الطلوع فى غده- فإنه كان قرر مع الأمير يشبك الأعرج الطلوع إلى الخدمه فى يوم الخميس رابعه- فلما وقع مسك هؤلاء نهاه أصحابه عن الطلوع، فأبى إلا الطلوع ليتكلم مع الأمير برسباى بسبب مسكه لهؤلاء ويطلقهما منه، فألحوا عليه فى عدم الطلوع، وأكثروا من ذلك، وهو لا يصغى إلى قولهم، وفى ظنه أن الأمير برسباى لا ينهض بأمر يفعله فى حقه، وأيضا لا يقابله بسوء لماله عليه من الإيادي قديما وحديثا.

فلما أصبح نهار الخميس رابع شهر ربيع الأول ركب الأمير الكبير طرباى من داره ومعه جماعة كبيرة من حواشيه، وطلع إلى القلعة، وكان لقلة سعده غالب من هو معه من خشداشيته رءوس نوب، ليس فى أوساطهم سيوف، فما هو إلا أن دخل فى الخدمة، واستقر به الجلوس فى منزلته وقرىء الجيش على السلطان، وانتهت العلامة ، وأحضر السماط وقام الجميع على أقدامهم .

فأبتدأ **الأمير الكبير** برسباى الدقماقى نظام الملك بأن قال:

الحال ضائع، والكلمة متفرقة، وأحوال الناس متوقفة لعدم اجتماع الناس على كبير يرجع إليه فيما يرسم به، ولابد للناس من كبير يرجع إليه فى أمور الرعية، فأجابه فى الحال- قبل أن يتكلم طرباى- الأمير قصروه رأس نوبة النوب، وقال:

أنت كبيرنا ومع وجودك من يكون خلافك؟ افعل ما شئت، فقال الأمير برسباى عند ذلك: اقبضوا على هذا وعنى الأمير الكبير طرباى، فلما سمع طرباى ذلك جذب سيفه ليدفع عن نفسه، وأراد القيام فسبقه **الأمير** برسباى **نظام الملك**، وضربه بالسيف ضربة جاءت فى يده كادت تبينها- وهى على ظاهر كفه حيث كان قابضا بها على سيفه- ثم

بادره الأمير **قصروه** وأعاقه عن تمام القيام، وتقدم إليه الأمير **تغرى بردى المحمودى** وقبض عليه من خلفه كالمعانق له، وحمل من وقته إلى أعلى القصر، وقيد فى الحال، وقد تضمخ بدمه، ووقعت الهجة بالقصر، وتسللت السيوف من حواشى **طرباى** بعد أن فات الأمر وقد خطف الأمير **برسباى** الترس الفولاذ من يد السلطان الملك **الصالح محمد** وتترس به، وأعطى ظهره إلى الشباك وسيفه مسلول بيده فلم يجسر أحد على التقدم إليه لكثرة حاشيته، ولقوة شوكته، ثم سكتت الهجة فى الحال، ورد كل واحد من أصحاب **طرباى** سيفه إلى غمده عندما رأوا أن الأمر فاتهم، وقالوا: **نحن من أصحاب برسباى**، فعرف **برسباى** الجميع ولم يؤاخذ أحدا منهم بعد ذلك .

وخلا الجو للأمير **برسباى** بمسك الأمير **طرباى** .

وكان فى أمر الأمير **طرباى** هذا عبرة لمن اعتبر، وهو أن **طرباى** لا زال **بجانى بك الصوفى** حتى خدعه وغدر به عند ما أنزله من الحراقة بباب السلسلة وتحيل عليه حتى قبضه وحمله مقيدا إلى سجن الإسكندرية وسجن بها، وقد ظن أن الأمر صفا له وأنه لا يعدل عنه إلى غيره لاستخفافه بالأمير **برسباى** فأتاه **الله** من حيث لم يحتسب، وعمل عليه الأمير **برسباى** حتى خدعه وأطلعه إلى القلعة، وصار فى يده بعد ما امتنع ببر الجيزة أياما، والناس تترقب حركته ليكونوا فى خدمته، وفى قتال عدوه، إلى أن عدى من بر الجيزة ومشى لحتفه بقدميه، وإن كان **طرباى** لم يهلك- فى هذه- الموتة المكتوبة فقد مات معنى، وحمل إلى الإسكندرية، فأدخل به عند أخصامه الأمير الكبير جانى بك الصوفى وغيره , لتجزى كل نفس بما كسبت.

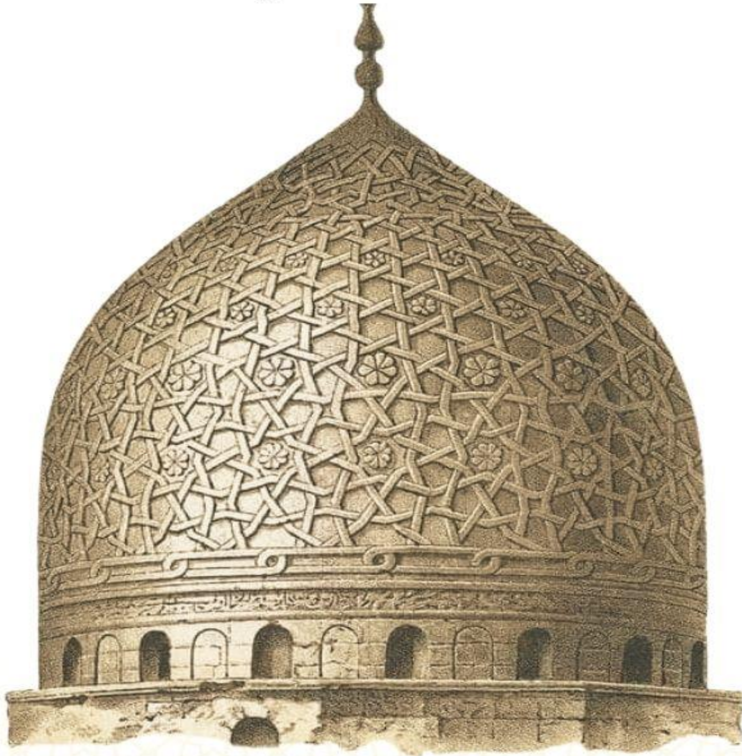
ولما تم أمر الأمير **برسباى** فيما أراد من القبض على الأمير **طرباى** والاستبداد بالأمر أخرج الأمير **سودون الحموى** منفيا إلى ثغر دمياط، ثم أخذ فى إبرام أمره ليترقى إلى أعلى المراتب،

فلم يلق فى طريقه من يمنعه من ذلك، وساعده فى ذلك موت الأمير **حسن بن سودون الفقيه** خال الملك **الصالح محمد** هذا فى يوم الجمعة ثالث عشر صفر؛ فإنه كان أحد مقدمى الألوف وخال السلطان **الملك الصالح**، وسكناه بقلعة الجبل، وكان جميع حواشى الملك **الظاهر ططر** يميلون إليه فكفى الأمير **برسباى** همه أيضا بموته، فلما رأى **برسباى** أنه ما ثم عنده مانع يمنعه من بلوغ غرضه بالديار المصرية، خشى عاقبة الأمير **تنبك ميق** نائب الشام، وقال لا بد من حضوره ومشورته فيما نريد نفعله، فندب لإحضاره فحضر .

(ابن تغري بردي– النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة – 14/ 231)

فخيره بين أن يكون **الأمير الكبير بديار مصر** مكان **طرباي** وبين أن يستمر على **نيابة الشام**، فرغب في السلامة، وأتى إلى بين يديه، فأمن **برسباي** عند ذلك، وتسلطن، وأودع **الصالح محمد بن ططر** وأمه في دار بالقلعة .

الفصل الثاني عشر



الأشرف برسباي

1) ترجمة الاشرف برسباي :

معنى برسباي = الأمير الفهد Parsbay

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

هو السلطان الثانى والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، والثامن من الجراكسة وأولادهم، وأصل الملك **الأشرف** چاركسى الجنس، وجلب من البلاد فاشتراه الأمير **دقماق المحمدى الظاهرى** نائب ملطية، وأقام عنده مدة.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 243/14)

كان أبوه من أوضع أهل بلاده قدرًا، وأشدهم فقرًا، فأسلم إبنه هذا لحداد، فكان ينفخ عنده بالكير ثم مات، فتزوجت إمرأته برجل، فباع **برسباى** وهو صغير من رجل **يهودى** إسمه **صادق** فخدمه مدة، وتلقن أخلاقه، وتطبع بطباعه، حتى جلبه إلى **ديار مصر**، فإبتاعه الأمير **دقماق** .

(المقريزي – السلوك 39/7)

فرق الملك **الظاهر برقوق** المماليك على الأطباق، فوقع **برسباى** بطبقة الزمامية إنيا للأمير **چاركس القاسمى المصارع** ، فدام **برسباى** بالطبقة مدة يسيرة وأعتقه السلطان، وأخرج له خيلا فى عدة كبيرة من المماليك السلطانية.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 243/14)

واستمر الملك **الأشرف** من جملة المماليك السلطانية إلى أن صار خاصكيا ثم صار ساقيا فى سلطنة الملك **المنصور عبد العزيز ابن الملك الظاهر برقوق**.

ثم خرج مع الأمير **إينال باى بن قجماس** من الديار المصرية– مباينا للملك **الناصر فرج**– إلى البلاد الشامية، ثم انضم مع الأميرين **شيخ ونوروز** وتقلب معهما فى أيام تلك الفتن .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 245/14)

ثم انتقل هو وأخوه **ططر** إلى الأمير **شيخ المحمودي** وما زالا معه حتى قتل الملك **الناصر فرج بن برقوق**، وقدم الأمير **شيخ** إلى مصر، وتسلطن، أنعم على **برسباي** بإمرة، وعمله كاشف الجسور ثم ولاه نيابة **طرابلس**، فواقع **التركمان** فكسروه فتنكر عليه الملك **المؤيد شيخ** وسجنه **بالمرقب** مدة، ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرة في **دمشق**، فمات **المؤيد**، وهو من جملة أمراء **دمشق**.

(المقريزي – السلوك 40/7)

كل ذلك بسعى الأمير ططر فى أمره .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 246/14)

فلما مات **المؤيد شيخ**، قبض عليه الأمير **جقمق** نائب **الشام**، وسجنه ثم أفرج عنه **الأمير ططر** لما توجه **بإبن المؤيد** إلى الشام ثم أنعم عليه بإمرة ألف، وعمله **دوادار السلطان**، لما تسلطن، وقدم به إلى **القاهرة**.

(المقريزي – السلوك 369/7)

فلم تطل أيامه فى الدوادارية، ومات **ططر** بعد أن جعله لالا لولده الملك **الصالح محمد**، وجعل **جانى بك الصوفى** الأتابك مدبر مملكة ولده **الصالح** ووقع من واقعته مع **جانى بك الصوفى**، ثم مع **طرباى** .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 246/14)

فدانت له البلاد وأهلها، ومازال قائماً بتدبير أمر الدولة ثم أحب أن يطلق عليه اسم **السلطان**، لما خلا له الجو، فأخذ **طرباي** وسجنه ، فاستدعى **الخليفة والقضاة**، وقد جمع الأمراء وأرباب الدولة، فبايعه **الخليفة في يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة** .

ونعت بالملك **الأشرف أبي العز**، ثم غير كنيته **بأبي النصر** ونودي بذلك في القاهرة، وكتب بذلك إلى الأقطار، وتم أمره، وساس الملك أحسن سياسة بالنسبة إلى غيره، ونالته السعادة، وفتحت في أيامه عدة فتوحات،

(ابن تغري بردي – كتاب المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 262/3)

وخدمته السعود حتى مات وكانت أيامه هدوء وسكون .

(المقريزي – السلوك 369/7)

واتفق في أيام سلطنته من السعد في حركاته ما لا يوصف بحيث أنه لم يقم أحد إلا وقتل من غير أن يجهز له عسكرا أو يباشر له حربا .

(ابن حجر – إنباء الغمر بأبناء العمر 80/9)

وكان أول ما بدأ به **السلطان** أن منع الناس كافة من تقبيل الأرض له، فامتنعوا وجرت العادة عند **ملوك مصر**، منذ قدم **أمير المؤمنين الإمام** **المعز لدين الله أبو تميم معد الفاطمي** إلى **مصر**، أن كل من تمثل بين يدي الخليفة ثم بين يدي السلطان أن يخر وهو قائم حتى يقبل الأرض فلم يعف من ذلك أمير، ولو بلغ الغاية، ولا مملوك، ولا وزير ولا صاحب قلم، ولا رسول ملك من ملوك الأقطار، إذا قدم برسالة، ولا أحد من سائر الناس على اختلافهم، إلا قضاة الشرع، وجميع أهل العلم وأهل الصلاح وأشراف الحجاز ، فإن هؤلاء أدركناهم ولا يقبل أحد منهم الأرض، إجلالاً لهم عن ذلك فأبطل **السلطان** **برسباي** ذلك كله، وجعل بدله إما تقبيل يده لمن عظم قدره، أو يقف فقط فكان هذا حسناً لو دام، لكنه بطل عن قليل، وعاد الأمر كما تقدم ذكره.

(المقريزي – السلوك 56/7)

فمشى ذلك أياما ثم بطل، وعاد تقبيل الأرض لكن بطريق أحسن من الأولى؛ فإن الأولى كان الشخص يخر إلى الأرض حتى يقبلها كالساجد، والآن صار الرجل ينحنى كالراكع

ويضع أطراف أصابع يده على الأرض كالمقبل لها ثم يقوم ولا يقبل الأرض بفمه أبدا بل ولا يصل بوجهه إلى قريب الأرض، فهذا على كل حال أحسن مما كان أولا بلا مدافعة، فعد ذلك من حسنات الملك الأشرف برسباى.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 247/14)

واستمر **الملك الأشرف** في السلطنة سنين كثيرة، وطالت أيامه وحسنت وغزا عدة غزوات، جهز فيها العساكر **المصرية والشامية**، إلى أن افتتح مدينة قبرص ، وأسر ملكها في **سنة تسع وعشرين وثمانمائة** ، وهو لم يتحرك من **قلعة الجبل** .

ثم سافر إلى جهة **ديار بكر** بالعساكر في **سنة ست وثلاثين**، وحصر **آمد**، ثم عاد إلى **الديار المصرية**، ودام بها، إلى أن توفي بعد مرض طويل في يوم **السبت الثالث عشر من ذي الحجة من سنة إحدى وأربعين وثمانمائة**، ودفن من يومه قبل الغروب بتربته التي أنشأها بالصحراء خارج القاهرة , بعد أن عهد بالسلطنة من بعده لولده **الملك العزيز يوسف** .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 154)

وقد غسل **السلطان الملك الأشرف برسباى** وكفن، وأخرج بالجنازة من الدور إلى باب **القلة** فوضعت هنالك وتقدم **قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر الشافعى** فصلى بالناس عليها قبيل الغروب ، وشيع الأمراء والمماليك وغيرهم الجنازة حتى دفنت بالتربة التى أنشأها رحمه **الله** خارج باب المحروق بالصحراء، تحت القبة وقد إجتمع من الناس ما لا يحصيهم إلا خالقهم، سبحانه والناس **بالقاهرة** في بيعهم وشرائهم بالأسواق في أمن ودعة وسكون ونودى في **القاهرة** بالأمان والإطمئنان والبيع والشراء .

(المقريزي – السلوك 361/7)

فكانت مدة سلطنته ستة عشر سنة، وثمان شهور وخمسة أيام.

ثم نزل المنادي فنادى بسلطنة **العزيز** والترحّم على أبيه، وأن النفقة في الجند في يوم الإثنين لكل نفر مائة دينار، فاطمأنّ الناس. ولم يكن شيء كان يرجف به .

(عبد الباسط الملطي – نيل الأمل 40/5)

ومات **السلطان الملك الأشرف برسباى الدقماقى الظاهرى ثالث عاشر ذى الحجة، وقد أناف على الستين .**

وتزوج السلطان من خوند فاطمة بنت قجار (ام الناصري محمد) وخوند جلبان بنت يششبك (أم ولده يوسف) وخوند فاطمة بنت ططر ومن زاده خوندشاه ابنة عثمان ملك الروم ومن ابنة يشبك الأعرج .

وترك من الابناء العزيز يوسف وتسلطن بعده والناصري محمد وأحمد من سريته ملك باي .

(قالوا عن الملك الأشرف برسباي)

وكان – رحمه الله – ملكا جليلا، مهابا، عارفا، سيوسا، حازما، شهما، فطنا، له خبرة بالأمور، ومعرفة، وتدبير، محبا لجمع المال.

وكان يحب الاستكثار من المماليك حتى بلغت عدة من اشتراه من المماليك زيادة على ألفي نفر.

وكان يقدم الجراكسة على غيرهم من الأجناس، ويشره في جمع الخيول والجمال، وما أشبه ذلك.

وكان يتصدى للأحكام، ويباشر أحوال المملكة، غالبها بنفسه، وكان متواضعا، حسن الخلق، غير سباب، لين الجانب، طوالا، دقيقا، ذا شيبة نيرة، وهيبة حسنة، متجملا في حركاته، حريصا على ناموس الملك.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 274/3)

وكان يميل إلى فعل الخير، ويكثر من الصوم، ولا يتعاطى شيئا من المسكرات. وكانت أيامه في غاية الحسن من الأمين، والخير، ورخاء الأسعار، وعدم الفتن مع طول مكثه في السنة.

وعمر في دولته عدة بلاد وقرى من أعمال مصر والشام وغيرهما مما خرب في الدولة الناصرية **فرج**، والدولة المؤيدية **شيخ**؛ لكثرة تجاريدهما، والفتن التي كانت في أيامهما.

وكان **الأشرف** – رحمه **الله** – مغرما بإنشاء العمائر، من ذلك: مدرسته الأشرفية التي أنشأها بخط العنبريين بين القصرين بالقاهرة على الشارع الأعظم، وعمر أوقافها، وجعل فيها عدة صوفية حنفية، وولى مشيختها للعلامة الشيخ **كمال الدين بن الهمام الحنفي**، ثم بدا له بعد عمل صوفية ومدرس من كل مذهب.

وتربته التي أنشأها بالصحراء، بجوار تربة الناصر فرج، وجعل فيها عدة من القراء على ساعات الليل والنهار، تقام فيها الجمعة. ثم أنشأ في آخر دولته جامعه الذي بمنشأة خانقاة سرياقوس بالقليوبية ووقف عليه عدة أوقاف، فجميع ما يصرف على هذه الثلاث مدارس من الجوامك في الشهر مائة وعشرون ألف درهم، وله آثار جميلة، وفتوحات كثيرة.

وفي الجملة هو أعظم ملوك الجراكسة بعد الملك الظاهر برقوق، رحمهما الله تعالى.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 276/3)

وكان الأشرف ملكا جليلا، شهما، عاقلا، سيوسا، حازما، عارفا بالطرائق، محبّا في أهل العلم، بل عارفا مقام كل ذي مقام.

(عبد الباسط الملطي – نيل الأمل 40/5)

هذا كان من أوائل سعد ناله فإننا لم نعلم أحدا من الملوك التركية تسلطن ولم ينفق إلا برسباى , وقيل إن الأشرف برسباي أشهد على نفسه بعتق جميع من في ملكه عند موته .

وكانت سلطنته أبعد ما في الأذهان فسبحان المعطي المنّان.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي)

قال المقريزي :

إلا أنه كان له في الشح والبخل والطمع، مع الجبن والجور وسوء الظن ومقت الرعية وكثرة التلون وسرعة التقلب في الأمور وقلة الثبات، أخبار لم نسمع بمثلها، وشمل بلاد **مصر والشام** في أيامه الخراب، وقلة الأموال بها وإفتقر الناس وساءت سير الحكام والولاة، مع بلوغه آماله ونيله أغراضه، وقتله أعدائه وقتلهم بيد **غيره لتعلموا أن** الله **على كل شيء قدير**.

(المقريزي – السلوك 369/7)

فرد عليه ابن تغري بردي :

وقد رأيت أن السكات عن ذكر ما قاله (المقريزى) فى حقه أليق والإضراب عنه أجمل لما وصفه به من الألفاظ الشنيعة القبيحة التى يستحى من ذكرها فى حق كائن من كان .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 247/14)

2) حوليات الملك الاشرف :

- وفي يوم الخميس تاسعه : **خلع على الأمير بيبعا المظفري أمير سلاح، واستقر الأمير الكبير الأتابك، عوضاً عن طرباي .**
- وفيه : **عمل المارستان المؤيدي الذي بالصوة تحت القلعة جامعاً، تقام به الجمعة والجماعة، ورتب له إمام وخطيب ومؤذنون وبواب وقومة وجعل جهة مصرف ذلك من وقف الجامع المؤيدي وأن المؤيد قد جعل هذا الموضع مارستان، ونزل به المرضى فلما مات لم يوجد في كتاب الوقف المؤيدي له جهة تصرف، فأخرجت المرضى منه، وأغلق، وصار منزلا للرسل الواردين من ملوك الشرق، فبقي حانة خمار برسم شرب المسكرات ، وعمل الفواحش ومع ذلك تربط به الخيول فكان هذا منذ**

مات المؤيد إلى هذا الوقت، فطهره الله من تلك الأرجاس، وجعله محل عبادة.

- وفيه : جلس السلطان للحكم بين الناس، كما كان المؤيد ومن قبله، وصار يحكم يومي الثلاثاء والسبت بالمقعد من الاصطبل السلطاني.
- وفيه : زينت القاهرة ومصر لإدارة محمل الحاج على العادة، فمنع صدر الدين أحمد بن العجمي المحتسب النساء من الجلوس على حوانيت الباعة، وتشدد في ذلك، فامتنعن وكانت العادة أن تجلس النساء صدراً من النهار، ويبتن بالحوانيت حتى ينظرن المحمل من الغد فيختلطن بالرجال في مده يومين وليلة، وتقع أمور غير مرضية، فعد منعهن من جميل ما صنع، لكنه لم يتم، وعدن فيما بعد كما كن لإهمال أمرهن.
- وفيه : أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر على ما جرت به العادة وقد كثر الاعتناء بأمره، وعملت كسوة الكعبة في غاية الحسن، بحيث لم يعمل مثلها فيما أدركناه وولي عملها شرف الدين أبو الطيب محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله ناظر الكسوة، لحسن مباشرته وعفته.
- وفيه : خرج الأمير أينال الظاهري نائب صفد عن الطاعة، وذلك أنه كان من جملة مماليك الظاهر ططر، رباه صغيراً، ثم ولاه نيابة قلعة صفد، فلما قام السلطان برسباي بالأمر بعد ططر، ولي أينال نيابة صفد، فشق عليه خلع ابن أستاذه من السلطة، وأخذ في تدبير أمره، حتى أظهر ذلك، وأخرج من كان مسجوناً بقلعة صفد وقبض على من خالفه من أمراء صفد وأعيانها فكتب السلطان إلى الأمير تنبك ميق نائب الشام أن يخرج بالعسكر إلى قتال أينال.
- وفيه : أخرج بالمظفر أحمد بن المؤيد شيخ وأخيه من قلعة الجبل نهاراً، وحملا في النيل إلى الإسكندرية، فكانت هذه موعظة، فإن المؤيد أخرج بأولاد ابن

أستاذه الملك الناصر فرج إلى الإسكندرية، فعومل بمثل ذلك، وأخرج ابنيه إلى الإسكندرية، كما يدين الفتى يدان.

- شهر رمضان : أعيد الآذان بمأذنتي مدرسة السلطان حسن بسوق الخيل و فتح باب المدرسة ، الذي سده الظاهر برقوق، وهدم درجه.
- وفيه : نودي بمنع النساء من الخروج إلى الترب في أيام العيد، وهددن بالعقوبة إن خرجن، فامتنع كثير منهن عن الخروج إليها.
- وفي هذه الأيام: ابتدئ بعمل الخربة – التي بخط الركن المخلق من القاهرة – وكالة، وهذه الخربة موضعها الآن داخل الدرب الأصفر، حيث كان يعرف قديماً بالمنحر، وبابها من وسط سوق الركن المخلق، عملته خوند بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان ليكون داخله قاعة، بجوار القيسارية التي أنشأتها ، فماتت قبل عمارتها، وقد فرغت واجهة الباب فقط، فتعطلت دهرا إلى أن أخذ الأمير جمال الدين يوسف من وقف أم السلطان على مدرستها بخط التبانة ، وصيرها من جملة أوقافه على مدرسته التي أنشأها بخط رحبة باب العيد، وضع يده أيضاً على هذه الخربة، ومات قبل أن يعمل فيها شيئاً، فلم تزل معطلة حتى وقع اختيار السلطان في هذا الوقت على عملها .
- وفيه : رسم بإعادة مكس دار التفاح الذي أبطله الملك المؤيد شيخ، فأعيد بسفارة الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كلاب وطول سعيه فيه، عامله الله بعدله، فإنه جدد مظلمة يتلف فيها من أموال الناس بنهب الظلمة الفساق ما شاء الله " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " .

(سنة ست وعشرين وثمانمائة)

- شهر رجب : فيه كملت الوكالة على يد عظيم الدولة القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش، ولم يعسف العمال فيها، ولا بخسوا شيئاً من أجرهم، فجاءت من أحسن المواضع وكثر النفع بها.
- وفيه : ابتدئ بهدم الحوانيت والفنادق، التي فيما بين المدرسة السيوفية وسوق العنبريين لعمل مدرسة للسلطان، وكانت موقوفة على المدرسة القطبية ، فاستبدل بها أملاك أخر من غير إجبار المستحقين وجعل الاختبار لهم فيما يستبدل به حتى تراضوا، و لم يشق عليهم وتولى ذلك زين الدين عبد الباسط.
- شهر شوال : ابتدأ الهدم في الحوانيت والرباع التي علوها فيما بين الصنادقيين ورأس الخراطين، لتبنى وكالة وربعا، تجاه العمارة الأشرفية.
- وفيها : ماتت خوند زينب ابنة الظاهر برقوق وهي آخر من بقي من أولاده

(سنة سبع وعشرين وثمانمائة)

- أهلت هذه السنة وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الأشرف أبو العز برسباي والأمير الكبير الأتابك بيبغا المظفري والدوادار الكبير سودن بن عبد الرحمن وأمير سلاح قجق وأمير مجلس أينال النوروزي وأمير أخور جقمق والسلطان في قلق من جانبك الصوفي، وهو حثيث الطلب له، والفحص عنه والناس في تخوف من ذلك، فما بين الواحد وبين هلاكه، إلا أن يقول عدو له: جانبك الصوفي عند فلان فيؤخذ ويعاقب حتى يهلك ومع ذلك فالناس في ضيق من الحجر على السكر، والامتناع من بيعه إلا للسلطان ولا يشتريه أحد إلا من الحوانيت التي يباع منها سكر السلطان.
- وفيها : ابتدئ بهدم المئذنة التي أنشأها الملك المؤيد شيخ على باب الجامع الأزهر، من أجل أنها مالت حتى قرب سقوطها.

- وفيها : ركب السلطان حتى عبر من باب زويلة وشاهد عمارته ومضى من باب النصر إلى القلعة، وهو بثياب جلوسه، من غير شارة الملك.
- شهر ربيع الآخر: خلع على قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر، وأعيد إلى تدريس الجامع المؤيدي .
- وفي هذه الأيام: عثر بعض الناس بجماعة قد خزنوا من رمم بني أدم شيئاً كثيراً، فحملوا إلى الوالي، فما زال بهم حتى أقروا أنهم ينبشون الأموات من قبورهم، ثم يغلون الميت في الماء بنار شديدة، حتى ينهري لحمه، ويجمعون ما يعلو الماء من الدهن، ثم يبيعونه للفرنج بخمسة وعشرين دينار القنطار، فحبسوا، ونسي خبرهم بعد ما شاهد الناس رمم الموتى عندهم والأواني التي بها الدهن، وحملت إلى السلطان حتى رآها وشق بها القاهرة.
- وفيه :نزل السلطان إلى الجامع الذي أنشأه، وجلس به قليلا .
- شهر شعبان : فيه تتبعت البغايا وألزمن بالزواج، وأن لا يزاد في مهورهن على أربعمائة درهم من الفلوس ونودي بذلك، فلم يتم منه شيء.
- وفيه : ابتدئ بقراءة صحيح البخاري بين يدي السلطان، وحضرة القضاة، ومشايخ العلم، والهروي، وابن الجزري، وكاتب السر ، وزين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، والفقهاء الذين رتبهم المؤيد وكانت العادة من أيام الأشرف شعبان بن حسين أن يبدأ بقراءة البخاري أول يوم من شهر رمضان، ويحضر قاضي القضاة الشافعي، والشيخ سراج الدين عمر البلقيني، وطائفة قليلة العدد لسماع الحديث فقط ويختم في سابع عشرينه، ولم يزل الأمر على هذا حتى تسلطن المؤيد شيخ، فابتدأ القراءة من أول شهر شعبان إلى سابع عشرين شهر رمضان وطلب قضاة القضاة الأربع

ومشايخ العلم، وقرر عدة من الطلبة يحضرون أيضاً، فكانت تقع بينهم بحوث يسيء بعضهم على بعض فيها إساءات منكرة، فجرى السلطان الأشرف برسباي على هذا ، وكثر الجمع وصار المجلس جميعه صياحاً ومخاصمات، يسخر منها الأمراء وأتباعهم.

- شهر شوال : ابتدئ بحفر صهريج بوسط الجامع الأزهر، فوجدت فيه أثار فسقية قديمة، فلما أزيلت، وجد - بعد ما حفر - عدة أموات.
- وفيه : نودي بخروج أهل الريف من القاهرة إلى بلادهم فلم يعمل بذلك.

(سنة ثمان وعشرين وثمانمائة)

- وفي المحرم : كمل الصهريج الذي عمله السلطان بصحن الجامع الأزهر، وبنيت بأعلاه مصطبة، فوقها قبة برسم تسبيل الماء، وغرس بصحن الجامع أربع شجرات نارنج فلم تفلح، وهلكت من الذباب.
- وفيه : وقع الهدم في قصر الأمير صرغتمش المجاور لبير الوطاويط بالصليبة،
- وفيه: عرض السلطان المماليك الذين عينهم لغزو الفرنج في البحر
- وفيها : وقع الاجتهاد في عمل الأغربة ولم تحسن سيرة من ولي عملها فإنه أخذ الأخشاب ظلماً، وقطع من أشجار الجميز والحور بغير رضاء أربابها، وسخر الناس في عملها، فأشبه هذا الغزو، من صلى لغير القبلة بغير وضوء عمداً.
- وفيها : حدث عند شروق الشمس زلزلة قدر ما يقرأ الإنسان سورة الإخلاص، ثم زلزلت ثانياً مثل ذلك، ثم زلزلت مرة ثالثة، فلولا أن الله لطف بسكونها، لسقطت الدور، فإن الأرض مالت، وتحركت المباني وغيرها حركة مرعبة، بحيث شاهدت حائطا خرج عن مكانه ثم عاد .

- وفي غده: نودي – عن أمر السلطان – بصوم الناس ثلاثة أيام من أجل الزلزلة، فما أنابوا ولا سعوا.

- وفيه : ورد الخبر من طرابلس بنصرة المسلمين على الفرنج، فدقت البشائر بالقلعة، وجمع القضاة والأعيان بالجامع الأشرفي، وقرئ عليهم الكتاب ونودي بزينة القاهرة ومصر فزينتا ثم قرئ الكتاب من الغد بجامع عمرو بن العاص وكتبت البشائر إلى الإسكندرية والبحيرة والوجه القبلي

- وفيها: قدم الغزاة بألف وستين أسيراً، فباتوا بساحل بولاق، وصعدوا بكرة يوم الأحد إلى القلعة، وبين أيديهم الأسرى والغنائم فعرض الجميع على السلطان، فكان يوماً مشهوداً لم يعهد مثله في الدولة التركية والجركسية، فرسم ببيع الأسرى وتقويم الأصناف، فابتدئ في البيع وتولي البيع عن السلطان الأمير أينال الششماني، فاشتراهم الناس على اختلاف طبقاتهم ورسم أن لا يفرق بين الأولاد وآبائهم، ولا بين قريب وقريبه، فكانوا يشترونهم جميعاً

- وفيها : أنشأ زين الدين عبد الباسط، بناحية بركة الحاج بستاناً وساقية ماء، وعمر فسقية كبيرة تملأ بالماء ليردها الحجاج، فعظم الانتفاع بها.

(سنة تسع وعشرين وثمانمائة)

- وفيها : نودي أن يقطع كل أحد ما تحت حانوته من الأرض، ويرمي بالكيمان، وان تصلح الطرقات في سائر أزقة القاهرة ومصر وظواهرهما، وفي جميع الحارات والخطط، وهدد من لم يفعل ذلك .

- وفيها: أركب السلطان كثيراً من مماليكه، ونزلوا في عدة من الأمراء إلى القاهرة متقلدي سيوفهم، حتى طرقوا الجودرية – إحدى الحارات – وأحاطوا بها من

جميع جهاتها، وفتشوا دورها، وقد وشى للسلطان بأن جانبك الصوفي في دار بها، فلم يعثروا عليه ، ونودي من الغد بأن لا يسكن أحد بالجودرية، فأخليت عدة دور بها، واستمرت زماناً خالية، فكانت حادثة شنعة.

- وفي شعبان : أقلع الغزاة من ميناء الإسكندرية طالبين قبرص ، أيدهم الله على أعدائه بنصره.
- شهر رمضان : قدم الخبر بوصول الغزاة في أخريات شعبان إلى قلعة اللمسون، وأن صاحب جزيرة قبرص قد استعد، وأقام بمدينة الأفقسية، وعزم على اللقاء.
- وفيه : قدم الخبر في النيل بأخذ جزيرة قبرص وأسر ملكها ولما قدم هذا الخبر دقت البشائر بقلعة الجبل، ونودي بزينة القاهرة ومصر فزينتا، وقرئ الكتاب الوارد على الناس بالجامع الأشرفي، وندب جماعة من المماليك، فساروا في النيل لحفظ مراكب الغزاة، والمسير بها من دمياط، وقد قدمت بالغزاة وما معهم، حتى يوقفوها بميناء الإسكندرية.
- وفيه : قدم الأمير تغري بردي المحمودي والأمير أينال الجكمي – مقدما الغزاة المجاهدين – بمن معهما من العسكر، وصحبتهم جينوس بن جاك متملك قبرص ، وعاد ومن أسروه وسبوه من الفرنج، وما غنموه وجميعهم في مراكبهم التي غزوا قبرص فيها .

(سنة ثلاثين وثمانمائة)

- وفيها : هدمت إحدى المآذن الثلاثة اللاتي أنشأهن المؤيد شيخ بجامعه، وهي الصغرى التي تشرف على صحن الجامع، لميلها وخوف سقوطها، ثم جددت.

- وفيه : كثر عبث الفرنج في البحر، وأخذوا مراكب مشحونة بضائع للمسلمين، يقال عدتها ثماني مراكب، أخرها مركبان قدمتا من بلاد العلايا حتى قاربتا ميناء الإسكندرية أخذتا، ولا قوة إلا بالله.

(سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة)

- وفيها : تتبعت أماكن الفساد، وأريقت منها الخمور الكثيرة، وشدد في المنع من عصير الزبيب، ومنع الفرنج من بيع الخمر المجلوب من بلادهم.
- وفيها : هدمت الحوانيت التي تجاه شبابيك المدرسة الصالحية التي بجوار قبة الملك الصالح وكانت في وقف الجوكندار .

(سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة)

- وفيها : تتبع الأمير قرقماس حاجب الحجاب مواضع الفساد، فأراق من الخمور وحرق من الحشيشة المغيبة للعقل شيئاً كثيراً، وهدم مواضع، ومنع من الاجتماع في مواضع الفساد.
- وفيها : ابتدئ بهدم حوانيت الصيارف، وسوق الكتب، وحوانيت النقليين والأمشاطيين، فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية، وهي جارية في وقف المارستان المنصوري، لتجدد عمارتها.
- وفيها : اشتد فساد المماليك الجلب، وكثر عبثهم بالناس، وأخذهم ما قدروا عليه من مال وحريم ، فتجمع السودان وقاتلوهم، فقتل بينهم عدة.

(سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة)

- وفيها : نودي في الناس بصيام ثلاثة أيام، وأن يتوبوا إلى الله تعالى من معاصيهم

ويخرجوا من المظالم، ثم يخرجوا في يوم الأحد رابعه إلى الصحراء هذا والحكام والولاة على ما هم عليه.

- وفيها : خرج قاضي القضاة علم الدين صالح في جمع موفور إلى الصحراء خارج باب النصر، وجلس بجانب تربة الظاهر برقوق فوعظ الناس على عادته في عمل الميعاد، فكثر ضجيج الرجال والنساء وكثر بكاؤهم في دعائهم وتضرعهم ثم انفضوا قبيل الظهر، فتزايدت عدة الأموات عما كانت.
- شهر جمادى الآخرة : ارتفعت أسعار الثياب التي تكفن بها الأموات، وارتفع سعر ما تحتاج إليه المرضى ، على أن القليل من المرضى هو الذي يعالج بالأدوية، بل معظمهم يموت موتاً سريعاً في ساعة وأقل منها وعظم الوباء في المماليك السلطانية الذين كثر فسادهم وشرهم، وعظم عتوهم وضرهم، بحيث كان يصبح منهم أربعمائة وخمسون مرضى فيموت في اليوم زيادة على الخمسين مملوكاً ، وحملت الأموات على الألواح والأقفاص وعلى الأيدي وعجز الناس عن دفن أمواتهم، فصاروا يبيتون بها في المقابر، والحفارون طول ليلتهم يحفرون، وعملوا حفائر كثيرة، تلقى في الحفرة منها العدة الكثيرة من الأموات وأكلت الكلاب كثيراً من أطراف الأموات، وصار الناس ليلهم كله يسعون في طلب الغسال والحمالين والأكفان، وترى نعوش الأموات في الشوارع كأنها قطارات الجمال، لكثرتها والمرور بها متواصلة بعضها في إثر بعض، فكان هذا من الأهوال التي أدركناها.
- وفيه : جمع كاتب السر بأمر السلطان أربعين شريفاً، اسم كل شريف منهم محمد، وفرق فيهم من ماله خمسة آلاف درهم، وأجلسهم بالجامع الأزهر، فقرءوا ما تيسر من القرآن الكريم بعد صلاة الجمعة ثم قاموا – هم والناس – على أرجلهم، فدعوا

الله تعالى، وقد غص الناس بالجامع الأزهر فلم يزالوا يدعون الله حتى دخل وقت العصر، فصعد الأربعون شريفاً إلى أعلى الجامع وأذنوا جميعاً، ثم نزلوا فصلوا مع الناس صلاة العصر، وانفضوا ، فلما أصبح الناس يوم السبت أخذ الوباء يتناقص في كل يوم حتى انقطع .

- شهر رمضان: قرر السلطان في جامعه دروساً ثلاثة، فجعل مدرس الشافعية شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن يعقوب القاياتي وقرر عنده عشرين طالباً، وجعل مدرس المالكية عبادة بن علي بن صالح الزرزاري، وعنده عشرة من الطلبة وجعل مدرس الحنابلة زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الزركشي، ومعه عشرة من الطلبة

(سنة ثمان وخمسين وسبعمائة)

- وفيها : مات الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان الملك الأشرف برسباي وقد ترشح للسلطنة بعد أبيه، فدفن على أمه بالأشرفية .
- ومات السلطان الصالح محمد بن الظاهر ططر، وانقرض بموته عقب ططر.
- ومات الأمير سيف الدين يشبك أخو السلطان، وهو أحد الأمراء الألوف .
- وماتت خوند هاجر ابنة الأمير منكلي بغا الشمسي، وأمها خوند فاطمة بنت الملك الأشرف شعبان وتزوجها الظاهر برقوق بكراً، وحظيت عنده حتى مات وهي آخر نسائه موتاً .

(سنة خمس وثلاثين وثمانمائة)

- وفيها : ابتدئ بهدم قصر بيسري بين القصرين، وكان قد أخذ رخامه وعمل في داير الأشرفية.

- وفيها : خلع على دولات خجا، واستقر في ولاية القاهرة، فلما ولي بدأ بالإفراج عن أرباب الجرائم من سجنهم، وحلف لهم أنه متى ظفر بأحد منهم وقد سرق ليوسطنه، رهب إرهاباً زائداً، وركب في الليل، وطاف، وأمضى وعيده في السراق، فما وقع له سارق إلا وسطه، فذعر الناس منه وأكثر دولات خجا من الركوب ليلاً ونهاراً بفرسانه ورجالته، وألزم الباعة بكنس الشوارع، ثم رشها بالماء، وعاقب على ذلك، ومنع النساء من الخروج إلى الترب في أيام الجمع.
- وفيها : مات جينوس بن جاك ملك قبرص ، قدم إلى القاهرة مأسوراً، ثم أعيد إلى مملكته، وصار نائباً عن السلطان يحمل إليه المال كل سنة.

(سنة ست وثلاثين وثمانمائة)

- وفيها : فتحت القيسارية المستجدة بخط باب الزهومة ، وسكنها الكتبيون؛ وكان سوق الكتب المقابل للصاغة قد هدم وما حوله سنة ثلاث وثلاثين، وبني قيسارية يعلوها ربع، وبدائرها حوانيت ، وجاءت من أحسن ما بني بالقاهرة.
- وفيها : منع من بقي من الأسياد أولاد الملوك من ذرية الناصر محمد بن قلاوون من سكن القلعة وطلوعها، وأخرجوا من دورهم بها، وكانوا قد سكن أكثرهم بالقاهرة وظواهرها، فذلوا بعد عزهم، وتبذلوا بعد تحجبهم، وبقي من أعيانهم طائفة مقيمة بالقلعة، وتنزل بالقاهرة لحاجاتها، ثم تعود إلى دورها، فأخرجوا بأجمعهم في هذه الأيام، ومنعوا من القلعة، فتفرقوا شذر مذر، كما فعل أبوهم الناصر محمد بن قلاوون بأولاد الملوك بني أيوب، وكذلك فعل الله ببني أيوب كما فعل أبوهم الكامل محمد بن العادل أبو بكر بن أيوب بأولاد الخلفاء الفاطميين، " ولا يظلم ربك أحداً " .

(سنة سبع وثلاثين وثمانمائة)

• **وفيها :** أصبح السلطان ملازماً للفراش من آلام حدثت في بطنه ، فاشتد به الألم، وطلب رئيس الأطباء، فحقنه في الليل مراراً وأصبح وبعث بمال فرقه في الفقراء وما زال محجوباً عن كل أحد، وعنده نديماه ولي الدين محمد بن قاسم، والتاج الشويكي فقط.

(سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة)

• **وفيها :** انتهت عمارة سقف الكعبة – شرفها الله تعالى – على يد سودن المحمدي، وشرع في هدم المنارة التي على باب اليمني من المسجد الحرام، فهدمت وبنيت بناء عالياً.

(سنة تسع وثلاثين وثمانمائة)

• **وفيها :** جمع قضاة القضاة بين يدي السلطان وسئلوا في أخذ أموال الناس للنفقة على العساكر المتوجهة لقتال شاه رخ، فكثر الكلام، وانفضوا هذا، وقد تزايد اضطراب الناس وقلقهم.

• **وفيها :** ابتدئ بعرض أجناد الحلقة، فجمع المشايخ والأطفال وعدة عميان في الحوش من قلعة الجبل، وعرضوا على السلطان، فقال لهم: أنا ما أعمل كما عمل الملك المؤيد من أخذ المال منكم، ولكن اخرجوا جميعكم، فمن قدر منكم على فرس، ركب فرساً، ومن قدر على حمار ركب حماراً فنزلوا على ذلك إلى بيت الأمير أركماس الدوادار، فكان يوماً شنعاً.

• **وفيها :** ورد كتاب أصبهان بن قرا يوسف حاكم بغداد، على يد قاصده حسن بيك، يشتمل على التودد، وأنه هو وأخوه اسكندر يقاتلون شاه رخ .

- شهر جمادى الآخرة : عرض أرباب السجون ليفرج عنهم، من كثرة شكواهم بالجوع ثم أعيدوا إلى سجونهم لما يترتب على إطلاقهم من المفاسد، ورسم لأرباب الديون أن يقوموا بمؤونة مسجونهم، حتى تنقضي أيام الغلاء، هذا إن كان الدين مبلغاً كبيراً فإن كان الدين يسيراً أُلزم رب الدين بتقسيطه عن المدين أو الإفراج عن الديون .
- وفيها : ماتت خوند جلبَان ، زوجة السلطان، وأم ولده المقام الجمالي يوسف ودفنت بتربة السلطان التي أنشأها بالصحراء وكانت قد تصدت لقضاء الحوائج، فقصدها أرباب الدولة لذلك وكثر مالها، فأبيعت تركتها بمال كبير.

(سنة أربعين وثمانمائة)

- وفيها : وقع الوباء ببلاد الصعيد من أرض مصر وكثر بدمشق، وشنع بحلب وأعمالها، فأظهر أهلها التوبة، وأغلقوا حانات الخمارين، ومنعوا البغايا الواقفات للبغاء، والشباب المرصدين لعمل الفاحشة، فتناقص الموت وخف الوباء، حتى كاد يرتفع ففرح أهل حلب بذلك، وجعلوا شكر هذه النعمة أن فتحوا الخمارات، وأوقفوا البغايا والأحداث للفساد بالضرائب المقررة عليهم، فأصبحوا وقد مات من الناس ثمانمائة إنسان وإستمر الوباء الشنيع، والموت الذريع فيهم، رجب، وشعبان، وما بعده.
- وفيها : أمر السلطان بإخراج أهل السجون من أرباب الجرائم، ومن عليه دين، فأخرجوا بأجمعهم، وأطلقوا بأسرهم ورسم بغلق السجون كلها، وألا يسجن أحد، فأغلقت السجون بالقاهرة ومصر وأنتشرت السراق والمفسدون في البلد وإمتنع من له مال على أخر أن يطالبه به .

- وفيه: عزم السلطان على ولاية الحسبة لرجل ناهض، فذكر له جماعة، فلم يرضهم ثم قال: عندى واحد ليس بمسلم، ولا يخاف الله وأمر فأحضر إليه الأمير دولت خجا، فخلع عليه وإستقر به محتسب القاهرة، رغبة من السلطان في جبروته، وقسوته، وشدة عقوبته وقلة رحمته .
- شهر شوال : كل الناس بالقاهرة ومصر من القبض والأنكاد ما لا يوصف، وذلك من تزايد عدة الأموات هذا، وقد تعطل بيع كثير من البضائع وأمتعة النساء لإمتناعهن من المشي في الطرقات وإستوحش نساء الأمراء المجردين وأولادهم لغيبتهم عنهم، وقلق الناس من عسف متولى الحسبة، وشدة بطشه، ومن كثرة ما داخل الناس من الوهم خوفًا على أولادهم وخدمهم من الموت بالطاعون، ومن نزول أنواع المكاره بالذمة من اليهود والنصارى، بحيث أنى لم أدرك في طول عمرى عيدًا كان أنكد على الناس من هذا العيد .
- وفيها : خلع على الإمام الحافظ بن حجر، وأعيد إلى قضاء الشافعية بديار مصر هذا، وقد أظهر السلطان أنه لا يولى أحدًا من القضاة بمال، فإنه داخله وهم عظيم من كثرة تزايد الموت في الناس، وموت كثر من المماليك السلطانية سكان الطباق من القلعة، وموت الكثير من خدام السلطان الطواشية، ومن جواريه وحظاياه وأولاده .
- وفيها : ركب السلطان من القلعة، وأقام يومه بخليج الزعفران خارج القاهرة وعاد من آخره بعد أن فرق مالاً في الفقراء، فتكاثروا على متولى تفرقة ذلك، حتى سقط عن فرسه، فغضب السلطان من ذلك، وطلب سلطان الحرافيش، وشيخ الطوائف، وألزمهما بمنع الجعيدية أجمعين من السؤال في الطرقات، وإلزامهم بالتكسب، وأن من شحذ منهم يقبض الوالى عليه، وأخرج ليعمل في الحفير فإمتنعوا من

الشحاذة، وخلت الطرقات منهم، و لم يبق من السؤال إلا العميان والزمناء وأرباب العاهات، و لم نسمع بمثل ذلك فعم الضيق كل أحد، وإنطلقت الألسنة بالدعاء على السلطان، وتمنى زواله، فأصبح في يوم الأربعاء سابعه مريضًا قد إنتكس، ولزم الفراش.

- وفيها : تزايد بالسلطان مرضه ومنذ إبتدأ به المرض، وهو أخذ في التزايد، إلا أنه يتجلد، ويظهر أنه عوفي ويخلع على الأطباء، ويركب وسحنته متغيرة، ولونه مصفراً، إلى أن عجز عن القيام هذا، وقد شنع الموت بالدور السلطانية في أولاد السلطان الذكور والإناث، وفي حظاياه وجواريه، وجوارى نسائه، وفي الخدام الطواشية، وفي المماليك السلطانية سكان الطباق بالقلعة وشنع الموت أيضاً في الناس بالقاهرة ومصر وما بينهما، وفي سكان قلعة الجبل .
- وفيها : وسط السلطان طبيبيه اللذين خلع عليهما بالأمس، وهما العفيف وزين خضر، وذلك أنه حرص على الحياة، وصار يستعجل في طلب العافية، فلما لم تحصل له العافية ساءت أخلاقه، وتوهم أن الأطباء مقصرون في مداواته، وأنهم أخطأوا التدبير في علاجه، فوسطوا توسيطًا شنيعا ثم حملا إلى أهليهما بالقاهرة فساء الناس ذلك، ونفرت قلوبهم من السلطان، وكثرت قالتهم، فكانت حادثة لم ندرك مثلها ومن حينئذ تزايد البلاء بالسلطان , فاستدعى السلطان الأمير الكبير جقمق الأتابك ومن تأخر من الأمراء ، وقال لهم: " انظروا في أمركم " ، وخوفهم مما جرى بعد المؤيد شيخ من الإختلاف وإ تلاف أمرائه، فطال الكلام، وإنفضوا عنه، على غير شيء عقدوه، ولا أمرًا أبرموه.
- شهر ذى القعدة: أهل والناس في أنواع من البلاء الذى لم نعهد مثله مجتمعًا، وهو

أن السلطان تزايدت أمراضه، وأرجف بموته غير مرة، وشنع الموت في مماليكه ، حتى لقد مات منهم في هذا الوباء نحو آلاف ومات من الخدام الخصيان مائة وستون طواشي، ومات من الجوارى بدار السلطان زياده على مائة وستين جارية، سوى سبع عشرة حظية وسبعة عشر ولدًا، ذكورا وإناثًا.

- وفيه : عهد السلطان إلى ولده المقام الجمالى يوسف .
- شهر ذى الحجة : أهل والناس بديار مصر من قلة الخدم في عناء وجهد، فإنه مات بالقاهرة ومصر وما بينهما في مدة شهر رمضان وشوال وذى القعدة زيادة على مائة ألف إنسان، معظمهم الأطفال، وأكثر الأطفال البنات، ويلي الأطفال في كثرة من مات الرقيق، وأكثر من مات من الرقيق الإماء، بحيث كادت الدور أن تخلو من الأطفال والإماء والعبيد وكذلك جميع بلاد الشام بأسرها.
- وأما السلطان فحدث له مع سقوط شهوة الغذْاء مدة أشهر، ومع إنحطاط قواه، فكثر هذيانه وتخليطه، ولولا أن الله تعالى أضعف قوته لما كان يؤمن مع ذلك من إفساد شيء كثير بيده، إلا أنه في أكثر الأوقات غائب، فإذا أفاق هذى وخلط وصِار العسكر في الجملة قسمين: قسم يقال عنهم أنهم قرانصة، وهم الظاهرية والناصرية والمؤيدية، وكلمتهم متفقة على طاعة الملك العزيز، وأن يكون الأمير الكبير جقمق العلاى نظام الملك، كما قرره السلطان، وأنهم لا يصعدون إلى القلعة خوفًا على أنفسهم من المماليك الأشرفية والقسم الآخر المماليك الأشرفية سكان الطباق بالقلعة ورأيهم أن يكون الملك العزيز مستبدًا بالأمر وحده، وهذه الطائفة الأشرفية مختلفة بعضها على بعض ولكن سكنت تلك الثائرة ولله الحمد.

- وفي يوم الأربعاء عاشره : **وهو يوم عيد النحر خرج الملك العزيز، فصلى صلاة العيد بجامع القلعة ، ودخل، وذبح، ونحر الضحايا بالحوش ، وقد توالت على السلطان نوب الصرع مرارًا، وتخلت قواه، حتى صار كما قيل.**

" ولم يبق إلا نفس خافت ومقلة إنسانها باهت يرثى له الشامت مما به ياويح من يرثى له الشامت " .

- **حتى مات عصر السبت ثالث عشره تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته**

(قبرص)

حين أجلى **المماليك الصليبيين** من آخر معاقلهم في عكا **سنة 690هـ/1292م**، وتم طردهم من **بلاد الشام**، تقدّمت **قبرص** لتكون معقلاً جديدًا للهجمات **الصليبية**؛ فقد اتخذ **الصليبيون** من **قبرص** مركزًا للهجوم والإغارة على الموانئ الإسلامية في البحر المتوسط وتهديد تجارة **المسلمين**؛ وكان أخطر وأشرس تلك الهجمات، ما قام به الملك **القبرصي** بطرس الأول لوزجنان حين تمكّن من القيام بحملة صليبية على مدينة **الإسكندرية في سنة (767هـ 1365م)**، فقد نزل الصليبيون على حين غرّة من أهلها، وفي وقت سياسي سيطر فيه كبار الأمراء المماليك على العرش والنفوذ، وكان **السلطان الأشرف** شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون لا يزال غير قادر على الإمساك بزمام السلطنة بقوة.

نزل **الصليبيون** المدينة فأحرقوا الحوانيت والخانات والفنادق، ودنسوا المساجد، وعلّق **القبارصة** عليها الصلبان، واغتصبوا النساء وقتلوا الأطفال والشيوخ، ومكثوا بالمدينة ثلاثة أيام يعيثون فيها فسادًا، ثم غادروها إلى جزيرتهم حين علموا بمقدم حملة عسكرية **مملوكية** من **القاهرة**. لكن تكررت مثل هذه الحملة على طرابلس الشام بعد ذلك في **سنة (796هـ 1393م)**

ظلّت غارات القبارصة لا تنقطع على الموانئ والسفن الإسلامية، ولم تفلح محاولات سلاطين المماليك في دفع هذا الخطر والقضاء عليه، وبلغ استهانة القبارصة بهيبة دولة المماليك واغترارهم بقوتهم أن اعتدى بعض قراصنتهم على سفينة مصرية **سنة 826هـ** وأسروا من فيها، ولم تفلح محاولات السلطان برسباي في عقد معاهدة مع **جانوس** ملك **قبرص**؛ تَضْمن عدم التعدي على تجار المسلمين وموانيهم وسفنهم .

بل تمادى **القبارصة** في غرورهم، فاستولوا على سفينتين تجاريتين، قرب ميناء دمياط، واستطاعوا أسر ما يزيد على مائة رجل، ثم تجاوزوا ذلك فاستولوا على سفينة محملة بالهدايا كان قد أرسلها **السلطان** **برسباي** إلى السلطان **العثماني** **مراد الثاني**، عند ذلك لم يكن أمام **برسباي** سوى التحرك لدفع هذا الخطر المتنامي الذي نال من هيبة **المماليك**، وسلطانهم ودولتهم، ولم يكن ثم شك في أن الرد على هذه الإهانات المتكررة سيكون قويًا.

لقد اشتعلت في نفس **السلطان** **بْرسباي** نوازع الجهاد، والشعور بالمسئولية، فأعد ثلاث حملات لغزو قبرص، وذلك في ثلاث سنوات متتاليات.

خرجت الحملة الأولى في سنة (827هـ = 1424م)، وكانت حملة صغيرة تمكنت من النزول في **قبرص**، وهاجمت ميناء «ليماسول»، وأحرقت ثلاث سفن **قبرصية** كانت تستعد للقرصنة، وغنموا غنائم كثيرة، ثم عادت الحملة إلى **القاهرة بثلاثة وعشرين أسيرًا**.

شجّع هذا النصر **برسباي** لإعداد حملة أعظم قوة من سابقتها لغزو **قبرص**، فخرجت **الحملة الثانية في رجب (828هـ /مايو 1425م)** مكونة من **أربعين سفينة**، واتجهت إلى **الشام**، ومنها إلى **قبرص**، حيث نجحت في تدمير قلعة «**اللمسون**»، وقُتل نحو **خمسة آلاف قبرصي**، وعادت إلى القاهرة تحمل بين يديها ألف أسير، فضلاً عن الغنائم التي حُملت على الجمال والبغال .

لكن ذلك لم يشف غليل **برسباي**، فقد كان هدفه أعظم من الغنائم والأسرى، وأقوى من مجرد التأديب للصليبيين والقبارصة المتواجدين في الجزيرة، لقد عزم على إخضاعها وتبعيتها لمصر؛ لذا أعد برسباي حملة ثالثة أعظم من سابقتيها وأكثر عددًا وعُدة، فأبحرت **مائة وثمانون سفينة** من ميناء **رشيد** في (**829هـ / 1426م**)، واتجهت إلى **ليماسول**، فلم تلبث أن استسلمت المدينة وكل من فيها للقوات المصرية في (**26 شعبان 829هـ**)، وتحركت الحملة شمالاً في **جزيرة قبرص**، وحاول ملك الجزيرة أن يدفع القوات المصرية، لكنه فشل، بل وسقط أسيرًا كسيرًا بين يدي القوات المصرية، واستولت هذه القوات على العاصمة «**نيقوسيا**»، وبذا دخلت الجزيرة في طاعة دولة **المماليك**.

احتفلت القاهرة برجوع الحملة احتفالاً باهرًا، فقد شقّت القوات المملوكية الظافرة شوارع **القاهرة** من شمالها إلى جنوبها، واحتشد المصريون لاستقبال الأمراء والمجاهدين في (**8 شوال 829 هـ / 14 أغسطس 1426م**)، وكانت جموع الأسرى البالغة **3700 أسير** تسير خلف الموكب في ذلة وانكسار، وكان على رأسهم ملك **قبرص** **جانوس** وأمراؤه مصفدين في الأغلال والقيود .

(محمد شعبان ايوب)

وركب الغزاة بحر النيل إلى أن وصلوا رأس بحر المالح، وأرادوا السفر فيه، هبت ريح باردة؛ حصل اضطراب عظيم، وانكسر بعض المراكب، وغرق عدة من الخيول وردوا إلى الثغر؛ لإصلاح ما تلف من المراكب. وراجعوا الملك الأشرف بذلك، فاغتم ، ودعا الله – سبحانه وتعالى – وقصد الأولياء والصالحين، وأمر عدة فقهاء بقراءة سورة الأنعام عدة مرار، ثم أرسل إليهم بالثغر بما يحتاجون إليه من الآلات والدراهم والسلاح، ولا هاله ذلك، بل صمم على السفر، وأرسل يستحثهم في إصلاح ما فسد من مراكبهم، وفي سرعة السفر؛ فامتثلوا

ما رسم به، وسافروا في أمن الله إلى أن وصلوا بر اللمسون، فخرج إليها شرذمة من العسكر، وقاتلوا من بها حتى أخذت عنوة في يوم الأربعاء سابع عشرين شعبان، وهدموها، وقتلوا من بها من المقاتلة، وغنموا، ثم ساروا عنها بعد إقامتهم عليهم ستة أيام .

وكانوا في خيول كثيرة أذلّها الله تعالى وأعزّ الإسلام مع قلّة العسكر بالنسبة إلى جيش الكافر، وانجلت الحرب عن أسر جينوس وانهزام جيوشه مع جيوش أخر جاءت في البحر، وانهزموا، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويغنمون الأموال حتى وصلوا إلى الأفقسيّة ودخلوها وملكوها، واحتووا على قصر الملك، ونهبوا جانبا من المدينة وأقاموا بها يومين بعد أن أقاموا بها شعائر الإسلام عادوا إلى جهة البحر لمدينة الملاّحة وبعث أهل الماغوصة إليهم يطلبون الأمان، وأنهم واصلون عن قريب.

فلما سمع السلطان بهذا الخبر سرّ سرورا زائدا وأمر بالبشائر فضربت بالقلعة، ونودي بزينة القاهرة بشارة بهذا الفتح، وقرىء الكتاب الوارد بالبشارة بالمدرسة الأشرفية .

قدم الأمير تغري بردي المحمودي والأمير أينال الجكمي – مقدما الغزاة المجاهدين – بمن معهما من العسكر، وصحبتهم جينوس بن جاك متملك قبرص ، وعاد ومن أسروه وسبوه من الفرنج، وما غنموه وجميعهم في مراكبهم التي غزوا قبرص فيها.

فمروا على ساحل بولاق حتى نزلوا بالميدان الكبير، فكان يوماً مشهوداً لم ندرك مثله وكانوا في مسيرهم هذا الذي لا يبعد أن يقارب البريد قد قدموا الفرسان من الغزاة المجاهدين في سبيل الله أمام الجميع، ومن وراء الفرسان طوائف الرجالة – من عشران البلاد الشامية وزعر القاهرة ومطوعة البلاد – ومن وراء الرجالة الغنائم محمولة على رءوس الرجال، وظهور الجمال والبغال والحمير، وفيها تاج الملك وأعلامه ورايته منكسة، وخيله تقاد ومن وراء الغنائم الأسرى من الرجال والسبي من النساء والصبيان، وهم زيادة على ألف إنسان، ومن وراء الأسرى جينوس بن جاك الملك، وقد أركب بغلاً، وقيد بقيد من حديد،

وأركب معه اثنان من خاصته، وركب الأميران تغري بردي وأينال الجكمي عن يمين جينوس بن جاك وشماله، حتى وصلا به باب القلعة، أنزلاه عن البغل، فكشف رأسه، وخر على وجهه إلى الأرض، فقبلها ثم انتصب قائماً ، حتى مثل بين يدي السلطان ، وقد جلس السلطان بالمقعد، وفي خدمته أهل الدولة من الأمراء والمماليك والمباشرين، وحضر الشريف بركات بن عجلان أمير مكة، ورسل ابن عثمان ملك الروم، ورسل صاحب تونس، ورسل أمراء التركمان، ورسل عذراء أمير الغرب، ومماليك نواب البلاد الشامية، فعرضت الغنائم ثم الأسرى، ثم جيء بجينوس في قيوده مكشوف الرأس، فخر على وجهه يعفره في التراب، ويقبل الأرض، ثم قام وقد خارت قواه، فلم يتمالك نفسه لهول ما عاينه، وسقط مغشياً عليه، ثم أفاق من غشوته، فأمر به إلى منزل قد أعد له بالحوش من القلعة، فكان يوماً عظيماً لم ندرك مثله، أعز الله تعالى فيه دينه.

وأما جينوس فإنه لما استقر في منزله أتته قصاد السلطان لطلب المال، فأظهر جلداً، وقال: ما لي إلا روحي، وهي بيدكم، فغضب السلطان من جوابه وبعث إليه من الغد يهدده أن لم يفد نفسه منه بالمال، مثبت على التجلد، وقال: ألا لعنة الله على واحد من النصارى فأمر السلطان بإحضاره، فأخرج إلى الحوش، وقد جعلت الأسرى فيه، فما هو إلا أن شاهدوا جينوس ملكهم قد أخرج أسيراً ذليلاً، صرخوا بأجمعهم صرخة مهولة، وحثوا بأكفهم التراب على رءوسهم، والسلطان قد جلس بالمقعد، وأوقف جينوس حيث أوقف أمس من تحت المقعد، وقد وقف معه جماعة من قناصلة الفرنج، فالتزموا عنه بفدائه بالمال من غير تعيين شيء، وأعيد إلى منزله، ودخل إليه قصاد الملك لتقرير المال.

(ابن تغري بردي– المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي3/ 264)

ولقد عاينتُ جينوس المذكور لما دخل من الحوش , ورأى تلك الأبهة والعظمة أُغمي عليه، واستلقى على الأرض كالميّت، ثم أفاق، وأعلامه منكّسة أمامه،

وعُرضت الغنائم والأسرى على السلطان، ثم قُدّم جينوس بقيوده مكشوف الرأس، فخرّ على وجهه يعفره في التراب، ثم قام وقد أظهر من الخوف ما لا مزيد عليه، ثم أمر السلطان بتوجهه إلى منزل قد أُعد له بالحوش، فكان هذا اليوم من الأيام التي لم نعهد بمثلها، ولا شاهدنا مثل هذا اليوم الذي عظّم الله قدره بنصر المسلمين، وأعز الله فيه دينه، فلله الحمد على هذه النعمة. ولما كان جينوس بين يدي الملك الأشرف على تلك الهيئة المذكورة، صارت دموع الأشرف تذرف، وهو يلهج بحمد الله وشكره.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي 268/3)

الفصل الثالث عشر



يوسف بن برسباي

1) ترجمة العزيز يوسف ابن الأشرف :

يوسف بن برسباي العزيز الجمال أبو المحاسن بن الأشرف الدقماقي الظاهري الأصل القاهري.

ولد بقلعة الجبل **في إحدى الجماديين سنة سبع وعشرين وثمانمائة** وأمه أمة لأبيه جركسية اسمها **جلبان** تزوجها بعد أن ولدته له وماتت في أيامه .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 303/10)

فلما كان **يوم الثلاثاء الرابع من ذي القعدة طلب السلطان برسباي الخليفة والقضاة والأمراء والخاصكية والمماليك السلطانية والأجناد** ، وعهد السلطان بالسلطنة لولده وكتب عهده ، ولقب الملك **العزيز جمال الدين يوسف** ، وأشهد السلطان على نفسه بذلك برضا أهل المملكة وإمضاء الخليفة ، واشهد على نفسه أنه جعل الأمير الكبير – **جقمق** نظام مملكة ولده **يوسف** – وكتب له بذلك ورقة مفردة ، وشهد فيها على السلطان بالتفويض وعلى الخليفة بالإمضاء .

(ابن حجر – إنباء الغمر بأبناء العمر 12/9)

ولما مات **السلطان برسباى** بادر **القاضي زين الدين عبد الباسط**، **والأمير أينال** ، **والأمير على بيه**، **والأمير تمرباى** ، وقد اجتمعوا بالقلعة، وبعثوا في إستدعاء **الخليفة**، وبعث **القاضي زين الدين** بعض غلمانه في طلب القضاة، فأتوا جميعًا ودخل الأمير **جوهر الزمام**، فأخرج **بالملك العزيز** إلى **باب الستارة**، وأجلس هناك، وطلب الأمير **الكبير جقمق** وبقية الأمراء، ونزل المماليك من **الطباق** فلما تكامل جمعهم ، وحضر الوزير وكاتب السر، وناظر الخاص، فوض الخليفة السلطة **للملك العزيز**، وأفاض عليه التشريف ، وقلده السيف وعمر **السلطان** يومئذ **أربع عشرة سنة وسبعة أشهر** , فجلس على تخت الملك وسرير السلطنة

وخرجوا من القصر فإزداد الناس طمأنينة ولم يكن شيء مما كان يتوقع من الشر، والحمد **لله**.

(المقريزي – السلوك 360/7)

فاستولى الأتابك **جقمق** على أمور الدولة صغيرها و كبيرها.

ثم استدعي نظام الملك **جقمق** الخليفة والقضاء وجميع الأمراء وأرباب الدولة إلى الحرّاقة بالإصطبل وادّعى عدم أهلية **العزيز** للسلطنة لأنه لا يحسن التصرّف. وكان **قرقماس** هو الذي بدأ بالكلام وقال: **إنّ أحوال الناس ضائعة، وإنّ الأمراء اجتمع رأيهم على إقامة الأتابك**، فأجابوا إلى ذلك بعد أن خلع العزيز.

(عبد الباسط الملطي – نيل الأمل في ذيل الدول 53/5)

فكانت مدته أربعة وتسعين يومًا .

وأسكنه بقاعة **البربرية** من دور الحريم السلطاني , فتسحب منها عقب صلاة المغرب من **رمضان** على حين غفلة بعد أن غير زيه بتحسين بعض أتباعه ذلك له وإيهامه أن مماليك أبيه معه فلم ير لذلك حقيقة وتحير واختفى حينئذ إلى أن ظفر به **يلباي** وهو إذ ذاك **أمير عشرة في أواخر شوال** بإرشاد خاله **بيبرس** لوقت مروره واعتذاره بكونه لا يحسن به هو مسكه وذلك بعد أن مس جماعة بسبب اختفائه مزيد الضرر بل وسط بعضهم فسر **الظاهر جقمق** بذلك أتم سرور وسر أحبابه فحبس بالدور السلطانية أياما في قاعة العواميد .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 303/10)

وأرسل إلى **برج الإسكندرية**، معتقلا، فأقام إلى أن كانت دولة **الظاهر** " **خشقدم** " سنة **خمس و ستين و ثمانمائة** فأفرج عنه وسمح له بالسكنى في الإسكندرية حيث شاء على ألا يخرج منها، فسكنها إلى أن مات .

(الاعلام – الزركلي 8/ 221)

يوم الاثنين التاسع عشر من المحرم سنة ثمان و ستين و ثمانمائة.

2) حوليات الملك العزيز يوسف:

- شهر ذى الحجة: إجتمع أهل الدولة للصبحة عند قبر السلطان وقد بات القراء يتناوبون القراءة، عند قبره ليلتهم، فختموا القرآن الكريم، ودعوا، ثم إنفض الجمع وأقام القراء للقراءة عند القبر سبعة أيام
- وفيه: وقع بين جكم خال السلطان وبين الأمير أينال مفاوضة، آلت إلى شر
- وفيه: تجمع كثير من المماليك تحت القلعة، وأرادوا أن يفتكوا بالقاضي زين الدين عبد الباسط فلما نزل من القلعة أحاطوا به، وجرت بينهم وبينه مقاولات، أغلظوا فيها عليه، ولم يقدروا على غير ذلك، وخلص منهم إلى بيته.

(سنة إثنتين وأربعين وثمانمائة)

- وفي المحرم : تجمع المماليك الأشرفية بالقلعة يريدون قتل خشداشيهم الأمير أينال الدوادار، ففر منهم بحماية بعضهم له، ونزل إلى داره، فوقفوا خارج القصر وسألوا الأمير الكبير جقمق أن يكون هو المستبد بالحكم، وأن تكف يد أينال وغيره عن الحكم والتصرف، فوعدهم ذلك، فإنفضوا .
- وفيه : قدم الأمير تغرى بردى المؤذى، ومن معه من التجريدة إلى البجرة، بعدما عاثوا وأفسدوا كما هي عادتهم
- وفيه: أفرج عن جكم خال السلطان، ومن سجن معه، وخلع عليه بشفاعة السلطان فيهم.

- **وفيه: خلع على الأمير الكبير جقمق تشريف جليل، ونزل من القصر إلى الحراقة بباب السلسلة، وسكنها على أنه يقوم بأمور الدولة وتدبير المملكة، وتخرج الإقطاعات على ما يريد ويختار، ويولى ويعزل، ومعنى هذا أن السلطان لا يبقى له أمر ولا نهى، ويقتصر من السلطنة على مجرد الإسم فقط**
- **وفي صفر: إجتمع الأمراء والمباشرون وأرباب الوظائف بالحراقة، في خدمة الأمير الكبير نظام الملك وقد تعين من الجماعة الأمير قرقماس أمير سلاح بجرأته وإقتحامه على الرياسة بالتهور وشارك الأمير نظام الملك في مجلسه، وجلس من عداه على مراتبهم يمينًا وشمالاً .**
- **وفيه: خلع العزيز فكانت مدته أربعة وتسعين يومًا، ومن الإتفاق الغريب أن عدة حروف عزيز بالجمل أربعة وتسعين.**

(بين السلطان واتابكه)

لما تسلطن الملك **العزيز**، شرع جماعة من أطراف المماليك الأشرفية يأمرون في الدولة وينهون، فعظم ذلك على أعيان الدولة من المؤيدية والناصرية والظاهرية والسيفية، وخاف كل واحد على نفسه .

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 280)

وصاروا يشاركونه في تدبير الملك، والأتابك **جقمق** سامعا ومطيعا، إلى أن وقع الخلف بينهم، وانضم أحد جماعة منهم على الأتابك **جقمق** فقويت شوكته .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 156)

كل ذلك والأتابك **جقمق** سامع لهم ومطيع إلى أن زاد أمرهم وتفرقت كلمتهم، وانضم فرقة منهم على الأتابك **جقمق** ، فعند ذلك انتهز الفرصة ، فاجتمع عليه خلائق لا تدخل تحت الحصر من الأمراء والخاصكية وكانوا هم الطالبين له والراغبين في تقدمه لحسن

سيرته ولاستنقاذ مهجهم من أيدي هؤلاء الأجلاب الأشرفية، وصاروا معه عصبا واحدا على كلمة واحدة، وآل أمرهم إلى الحرب مع من بقى من المماليك الأشرفية عند الملك العزيز بقلعة الجبل.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 278)

ولازال أمره ينمو والأقدار تساعده، إلى أن خلع الملك **العزيز** وتسلطن هو بعد أمور ملخصها :

أن الكلام والتحدث فى أمور المملكة صار بين ثلاثة, الأمير **الكبير نظام الملك جقمق**، **والقاضي زين الدين عبد الباسط**، **والأمير أينال** ولزم **السلطان** السكوت، فلا يتكلم فأنكر **جكم** على **أينال** أمره ونهيه فيما يتعلق بأمر الدولة، وكونه أقام بالقلعة وصار يبيت بها، فغضب منه **أينال**، ونزل من القلعة إلى داره، فكان هذا ابتداء وقرع الخلف ، وآلت إلى شر .

ثم إن **جكم خال السلطان** إتفق هو وعدة من **الأشرفية** على أن يقبضوا على **الأمير جقمق** ومن معه من الأمراء، وعلى أَخذ **عبد الباسط** ، فلم يوافقهم الأمير **أينال**، ومنعهم من ذلك مرارًا .

فلما علم **جكم** بمخالفة **أينال** له أخذ يدبر مع أصحابه في قتل **أينال**، فعندما أرادوا الإيقاع به، أعلمه بعض أصحابه بذلك، ففر منهم، وقد حماه منهم بعضهم ، وإلتجأ إلى الأمير **جقمق**، وقص عليه الخبر ومازال يوضحه **للأمير** حتى تبين له صحة مقالته، فأختص به، تجمع **المماليك الأشرفية** بالقلعة يريدون قتل **الأمير أينال** ، ففر منهم ، فوقفوا خارج القصر وسألوا **الأمير الكبير جقمق** أن يكون هو المستبد بالحكم، وأن تكف يد **أينال** وغيره عن الحكم والتصرف، فوعدهم ذلك، فانفضوا، ووقف من الغد جماعة منهم تحت القلعة بغير

سلاح، فكانت بينهم وبين جماعة **الأمير أينال** وقعة بالدبابيس .

ثم عادوا بكرة يوم الأربعاء إلى مواقفهم تحت القلعة، وقد صار العسكر قسمين: إحداهما مع **الأمير الكبير نظام الملك جقمق** ، فإنهم هم الذين يثيرون الفتنة والقسم الآخر **المماليك الأشرفية** وهم بالقلعة مع **السلطان**، وعندهم **الخليفة**، وبأيديهم في القلعة خزائن الأموال وحواصل السلاح الكثير، إلا أنهم **أغمار جهال**، لم يجربوا الأمور، ولا أدربتهم الأيام، فلا ينقاد صغيرهم لكبيرهم .

والقرانصة وإن كانوا أقل مالًا ورجالاً، إلا أنهم أقعد من **الأشرفية** بأعمال الحرب، وأعرف بتصاريف الأمور، وقد إجتمعوا على الأمير الكبير **جقمق**، وإنقادوا له، وأجمعوا على الحرب معه .

فلما **أصبحوا يوم الخميس** نزل **الأمير الكبير في بيت قوصون** تجاه باب السلسلة، وجمع عليه من وافقه ، ومن الزعر وأوغاد العامة وقد وعدهم بالنفقة فيهم , ثم زحف أتباع **الأمير جقمق** على **القلعة**، وقد لبسوا أسلحتهم، وهم فيما يظهر دون أهل **القلعة** في العَدد والعِدد، فرماهم الأشرفية بالنشاب حتى أبعدوهم، فمالوا نحو باب القرافة، وهدموا جانبًا من سور الميدان وعبروه .

(المقريزي – السلوك 7/ 363)

وترامى كل من الطائفتين بالنبال، وتواجها في بعض الأحيان، ودام ذلك بينهم نحو ثلاثة أيام .

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 279)

والملك **العزيز** مقيم بالقصر الأبلق من قعلة الجبل، وأمره في إدبار وأمر الأتابك **جقمق** في استظهار، كل ذلك والأتابك **جقمق** يظهر الطاعة للملك **العزيز يوسف**، وانما يستخصم جماعة من المماليك الأشرفية، ويبالغ في الحط عليهم، ثم ترددت الرسل بينهما إلى

أن وقع الصلح، على أن يرسل السلطان إلى الأتابك جقمق بأربعة من الخاصكية، فأرسلهم إليه .

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 280)

فنزل طائفة من **الأشرفية** وقاتلوهم حتى أخرجوهم منه فحال بينهم الليل، وباتوا على حذر، وقد طرق الأشرفية الزردخاناه بالقلعة، وأخذوا من السلاح شيئًا كثيرًا، ونصبوا مكاحل النفط على سور القلعة، وغدوا على حربهم يوم السبت، فهلك بينهم من العامة بالنشاب والأسهم الخطائية جماعة .

هذا، **والقضاة** وغيرهم تتردد بينهم في إخماد الفتنة بإرسال أربعة نفر إلى **الأمير الكبير** منهم **جكم** خال **السلطان** إلى أن أذعنوا لذلك بعد إمتناع كثير، فنزل **جكم** ومعه الثلاثة المطلوبون بعد عصر يوم السبت، ظنًا من **الأشرفية** أنه لا يصيب **جكم** وأصحابه سوء، سوى أنهم يمنعون من سكنى **القلعة** فقط فما هو إلا أن عبروا إلى الأمير **جقمق**، أحيط بهم، وسجنوا، ثم رحل بهم وبمن معه من بيت **قوصون** عائدًا إلى دار سكنه على **بركة الفيل**، فكان هذا أول وهن وقع في **الأشرفية**

وأصبحوا يوم الأحد: والرسل تتردد من الأمير **جقمق** إلى **الأشرفية** بالقلعة، في طلب جماعة أخرى حتى نزل إليه منهم **الأمير على بيه الخازندار**، **والأمير يخشباى أمير أخور**، وهما من عظماء **الأشرفية وأعيانهم** فللحال طلب **الأمير جقمق الأمير خشقدم مقدم المماليك**، وألزمه بإنزال جميع **الأشرفية** من الطباق بالقلعة، فاستسلموا بأجمعهم، ونزلوا طبقة أبعد طبقةَ، وقد حضر القضاة وأهل الدولة، فحلفوا للأمير الكبير **جقمق**، وحكم **قاضى القضاة سعد الدين سعد الديرى الحنفي** بسفك دم من خالف منهم هذا اليمين وزعم أن في مذهبه نقلاً بذلك فكان هذا الحكم أيضًا مما لم نعهد مثله ثم أمر جميع المماليك

الأشرفية بإخلاء طباقهم من القلعة إلا المماليك الكتابية فقط حتى خلت منهم، فكان هذا من أعجب ما سمعنا به في الخذلان، فإن عددهم يبلغ ألف وخمسمائة وعندهم خزائن الأموال الجمة العدد، وحواصل الأسلحة العظيمة القدر في الكثرة والقيمة، وهم بالقلعة دار الملك وسرير السلطنة، ومعهم **السلطان**، ولهم من الأمتاع والأموال والنعم ما لا يقدر قدره، إلا أنهم أغمار جهال، متفرقون في إجتماعهم " **تَحْسَبُهُمْ جَمِيْعًا وَقلُوبُهم شتى، ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قومُ لا يَعْقلون** " .

وقد إجتمع لرؤيتهم من الناس عالم كبير، فمن باك رحمة لهم، ومن شامت بهم، ومن معتبر بتقلب الدهر، وتصاريف الأمور، ومن ساه لاه .

ومن حينئذ تبين إدبار أمر الأشرفية ، وزوال عزهم، وإقبال جد الأمير **جقمق**، وتجديد سعادته.

فكان كل ذلك بسبب **اينال** وهو أول اسباب زوال دولة **العزيز**، وصار **أينال** يبكى في خلواته ويقول: " **ما كان جزاء الملك الأشرف منى أنه إشترانى ورباني وعلمني القرآن، وخولني في نعمه، أن أخرب بيته بيدي** " .

وكان **الأشرف برسباى** قد نظر إلى أينال هذا في مرض موته ثم قال لمن حضره عنده **وأينال** قائم على قدميه " **هذا مخرب بيتي وقد قيل قديمًا** : " **إتق شر من أحسنت إليه** " .

(المقريزي – السلوك 7/ 363)

فحال وصولهم قبض عليهم الأتابكى **جقمق**، ثم ركب فرسه حتى صار تحت القلعة نزل عن فرسه تجاه باب السلسلة، وقبل الأرض للملك **العزيز**، ثم ركب وعاد وصحبته الخاصكية الأربعة المقبوض عليهم إلى داره على بركة الفيل، وسكنت الفتنة،

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 280)

ثم بدا للأتابكى **جقمق** أن يفرج عن هذه الأربعة الخاصكية فأفرج عنهم، وأخلع على كل واحد منهم كاملية مخمل بفرو سمور بمقلب سمور، وأعادهم إلى الملك **العزيز**، وكثر الكلام بين الطائفتين إلى أن طلع الأتابك **جقمق** إلى الإسطبل السلطاني، وسكن بالحراقة من باب السلسلة، ثم أمر بنزول المماليك الأشرفية من الأطباق بالقلعة إلى القاهرة بعد أن حلفوا له بالطاعة، وحلف لهم.

واستفحل أمره، وعظم في النفوس، وصارت حرمته تتزايد، وأمره ينمو إلى أن وصل من تجرد من الأمراء إلى البلاد الشامية في حياة الملك **الأشرف**.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 280)

ولما وصل هؤلاء الأمراء انضموا أيضا على الأتابك **جقمق** ووافقوه على قصده، وانقطعوا عن الطلوع لخدمة الملك **العزيز**، واجتمعوا عند الأتابك **جقمق** بالحراقة من باب السلسلة، وقد تعين من الجماعة القادمين من البلاد الشامية الأمير **قمرقماس** أمير سلاح لاقتحامه على الرئاسة، ويظهر بذلك التنصح للأتابك **جقمق**، وشارك الأتابك في مجلسه، وجلس من عداه في مراتبهم، ثم أسر للأتابك بكلام، فندب الأتابك بعض جماعته بطلب جماعة من الأشرفية وغيرهم، فاحضروا سريعا، فلما حضروا أخذ قرقماس يشير بالقبض عليهم، وصار واحدا بعد واحد، وأرسلوا الجميع إلى سجن الإسكندرين في يوم السبت ثامن شهر ربيع الأول.

ثم إن الأمير الكبير جقمق ندب الأمير تنبك نائب القلعة كان، ومعه الأمير أقطوه، في جماعة، فطلعوا إلى القلعة لحفظها، واستقر تنبك المذكور كالنائب بها، وهو من جملة أمراء الألوف، ثم انفض الموكب بعد أن علم كل أحد بزوال مملكة الملك العزيز يوسف وذهاب دولته.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 282)

ثم خلع على الأمير الكبير **جقمق** تشريف جليل، وصارت اليه جميع أمور الدولة وتدبير المملكة، وتخرج الإقطاعات على ما يريد ويختار، ويولى ويعزل، ومعنى هذا أن **السلطان** لا يبقى له أمر ولا نهى، ويقتصر من السلطنة على مجرد الإسم فقط ، وتلاشى أمر **السلطان**، وأخذ في الإنحلال.

إلى أن خلع **العزيز في يوم الأربعاء تاسع عشره، فكانت مدته أربعة وتسعين يومًا**

(المقريزي – السلوك 7/ 363)

الفصل الرابع عشر



ابو سعيد جقمق

1) ترجمة سيف الدين جقمق :

معنى جقمق = قدّاحة – زَنَدْ– سلاح Çakmak

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

السلطان الرابع والثلاثون من ملوك الترك، والعاشر من الجراكسة تسلطن يوم خلع الملك **العزيز يوسف**، **وهو يوم الأربعاء تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة إثنتين وأربعين وثمانمائة.**

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 162)

وكانت صفته قصيرا ، للسمن أقرب، أبيض اللون مشربا بحمرة، صبيح الوجه، منور الشيبة، فصيحا في اللغة التركية، وفي العربية لا بأس به بالنسبة لأبناء جنسه .

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 311)

هذا الملك سبى صغيرًا من بلاد الجركس، وجلب إلى القاهرة، وربي في بيت الأمير **أينال اليوسفي**، وإنتقل إلى الملك **الظاهر برقوق** من على ولد **الأمير أينال**، فتنقل في الخدم إلى أن صار بعد الأشرف **برسباى** نظام الملك .

(السلوك – المقريزي 382/7)

جاركسي الجنس جلبه خواجا **كزل** إلى مصر، فابتاعه منه **العلائي على بن الأتابك أينال اليوسفي**، ثم انتقل منه إلى **الملك الظاهر برقوق**، وصار من جملة الخاصكية، ثم صار ساقيا في الدولة **الناصرية فرج**، ثم إمرة عشرة، ثم أمسك، وحبس، ثم أطلق .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 162)

وضرب الدهر ضرباته إلى أن صار في الدولة **المؤيدية شيخ** أمير طبلخاناة، وخازندارا ، ثم صار في الدولة **المظفرية أحمد بن شيخ** أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 280)

ثم استقر في الحجوبية الكبرى أيام الاشرف برسباي ثم نقله إلى **الأخورية الكبرى** وباشر حينئذ نظر **الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء** .

ثم نقله إلى امرة سلاح ثم إلى **الاتابكية** واستمر فيها إلى ان مات **الاشرف** بعد أن أوصاه على ولده المستقر بعده في **السلطنة** وصار **نظام الملك**.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 72/3)

وإستمر أمر الأتابك **جقمق** يقوى، ودولة الملك **العزيز** تضعف، إلى أن خلع الملك **العزيز** في **يوم الأربعاء تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة إثنتين وأربعين وثمانمائة** وكانت مدته أربعة وتسعين يوما.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 280)

ورام حين سلطنته أن يتسمى **بمحمد** تشرفا ويبطل اسمه ثم رأى الجمع بينهما لما خيل من طمع الملوك فيه لظنهم كونه من غير الاتراك وكتب كذلك على أبواب كثيرة من الأماكن المجددة كالمنبر الذي جدده **للبرقوقية** والمدرسة **الفخرية** بالقرب من **سوق الرقيق** .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 72/3)

ثم خرج **الأمير قرقماس** عن طاعته؛ فواقعه **الملك الظاهر** ؛ فانهزم **قرقماس**، واختفى، ثم ظفر به، وسجن بثغر **الأسكندرية**، ثم ضربت رقبته .

ثم خرج من طاعته **تغرى برمش نائب حلب**، ثم **أينال الجكمي نائب الشام**؛ فجهز إليهما العساكر؛ فقاتلوهما واحدا بعد واحد، وظفر بهما .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 162)

وصفا الوقت للملك **الظاهر جقمق** في مدة يسيرة، وظفر بأعدائه بعد أن كانت دولته قد أشرفت على الزوال فلما صفا وقته وزال عنه الضد والمعاند أخذ يقرب جماعة من الأندال والأوباش، وأنعم عليهم بالإمريات والإقطاعات والوظائف، السنية، ولكن المعطى هو **الله**،

لأن قلوب الملوك بيده سبحانه وتعالى يقلبها كيف يشاء فسبحان المتفضل بالنعم على مستحقي النقم، قلت: **ولا يحمد على المكروه إلا الله سبحانه وتعالى.**

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 294)

كل ذلك والأقدار تساعده والسعد يعاضده بحيث أنه لم يجرد في مدته إلى البلاد الشامية ولا أرسل تجريدة مطلقا سوى مرة واحدة وهي نوبة الجكمي أول سلطنته .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 74/3)

واستمر الملك **الظاهر جقمق** في سلطنة الديار المصرية من غير معاند، وطالت مدته، وصفت حتى أنه لم يحتج فيها لمساعد، وأخذ ينتهز الفرصة ، ولسان الحال **عنه يقول: إذا هبت رياحك فاغتنمها فعقبى خافقة سكون .**

ولازال على ذلك، والدهر مطاوعه، والمقادير تساعده، إلى أن مرض في أواخر **ذي الحجة سنة ست وخمسين وثمانمائة**، وطال مرضه إلى أن خلع نفسه من السلطنة في **الحادي والعشرين من محرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة**، وسلطن ولده الملك المنصور عثمان، ودام متمرضا بقاعة الدهيشة من القلعة.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 294)

وصار يظهر الجلد ولا يمتنع من الكتابة والحكم حتى غلب عليه الحال وعجز فانحط ولزم الفراش نحو شهر ثم مات وقد زاد على **الثمانين** وذلك بين المغرب والعشاء من **ليلة الثلاثاء ثالث صفر سنة سبع وخمسين** فمات تلك الليلة والقراء حوله إلى أن جهز من الغد وصلى عليه بمصلى باب القلة .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 74/3)

وصلى عليه **الخليفة القائم بأمر الله حمزة** بباب القلة من **قلعة الجبل** من الغد ، وحضر ولده الملك **المنصور عثمان** الصلاة عليه .

وكانت جنازته مشهودة من غير هوج ولا غوغاء، بخلاف جنائز الملوك ودفن بتربة أخيه الأمير **جاركس القاسمي المصارع** التي جددها مملوكه **قانيباى الجركسي** تجاه القلعة بالقرب من دار الضيافة .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 162)

وكانت مدة ملكه من يوم تسلطن بعد خلع الملك العزيز إلى أن خلع بولده الملك المنصور عثمان أربع عشرة سنة وعشرة شهور ويومان، وكانت وفاته بعد خلعه بإثنتي عشر يوما.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 293)

واما زوجاته: **خوند الكبرى** صاحبة القاعة **مغل بنت القاضي ناصر الدين البارزي** إلى أن طلقها ، ثم خوند **زينب الأمير جرباش الكريمي** أمير سلاح تزوجها في أول سلطنته، ثم جعلها بعد **بنت البارزي** صاحبة القاعة، ثم خوند **شاه زاده بنت ابن عثمان** تزوجها بعد موت زوجها الملك الأشرف **برسباي** إلى أن طلقها وأنزلها إلى القاهرة، ثم خوند **نفيسه بنت الأمير ناصر الدين بك التركماني** صاحب إبلستين إلى ان ماتت بالطاعون، ثم خوند **بنت سليمان بن نصار الدين بك** أعنى بنت أخي نفيسة السابقة، ثم خوند الجركسية **بنت كرت باي أمير الجاركس**، قدمت مع أبيها حتى تزوجها السلطان، ثم عاد أبوها إلى بلاد الجاركس، ثم **خوند فاطمة بنت الزيني عبد الباسط** تزوجها بعد وفاة أبيها.

وخلف من الأولاد الذكور: الملك **المنصور عثمان** سلطان الديار المصرية، ومن الإناث إبنتين (**خوند خديجة**) زوجة الأمير **أزبك من ططخ الظاهري** ، وأمها **خوند مغل** ، وبنتا أخرى بكرا مراهقة وأمها أم ولد ماتت في أيامه.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 311)

وماتت في حياته حظيته سرباي فحزن عليها حزنا شديدا .

قالوا عن الملك الظاهر جقمق :

وكان ملكا جليلا دهاء، يجل العلماء، ويقتني الكتب النفيسة، مع فهم جيد، محبا لتوسعة الأرزاق على الناس والأيتام، كريم النفس، سخيا جدا يكره اللهو والطرب، ويتجنب المزاح، هادن الملوك القاصية والدانية، وكان شجاعا مقداما، عارفا بفنون الفروسية والرمي بالنشاب، كثير البر والخير .

(عبد الباسط – نيل الأمل في ذيل الدول 383/5)

في باب التواضع لا يلحق .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 74/3)

وكان غالب أوقاته على طهارة كاملة .

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 311)

الملك **الظاهر جقمق** فاق ملوك عصره بالعلم والدين والعفة والجود .

(ابن حجر – كتاب نزهة الألباب في الألقاب 455)

كان ملكا عظيما جليلا متواضعا، هدأت البلاد فى أيامه من الفتن، وكان فصيحا بالعربية متفقها، له مسائل في الفقه عويصة يرجع إليه فيها، وكانت فيه حدة وآذى بعض العلماء .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

كان على جانب عظيم من الديانة والفقه والشجاعة ومحبته العلماء وله خيرات كثيرة بالقدس وغيرها , فصيحا متفقها .

(حاجي خليفة – سلم الوصول إلى طبقات الفحول)

وكان **الملك الظاهر** ملكا دينا، خيرا عفيفا ، كريما، متواضعا، محبا للفقهاء والعلماء والصلحاء والأيتام ، عفيفا عن المنكرات والفروج، بحيث أنه لا نعلم من ملك مصر قبله ولا بعده من ملوك الترك – بل ولا غيرها – أعف منه، وأنا أدري ما أقول .

وكان فصيح اللسان، فاضلا متفقها، يذاكر بالمسائل الفقهية ، كثير التعصب لمذهب الإمام الأعظم **أبي حنيفة** – رضي **الله** عنه .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 163)

وكان ملكا عدلا دينا كثير الصلاة والصوم والعبادة عفيفا عن المنكرات والقاذورات لا تضبط عنه في ذلك زلة ولا تحفظ له هفوة .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 74/3)

وأبطل من تقشفه أشياء كثيرة من شعار المملكة، مثل: سوق المحمل، والنزول إلى الصيد بالجوارح، وخدمة الإيوان، الحكم بباب السلسلة بالإصطبل السلطاني، ونوابة خاتون التي كانت تدق بقلعة الجبل عند الصباح والمساء، وأشياء كثيرة من هذا النمط ، وكل ذلك كان يكرهه مما يقع فيه من المفاسد، لا يفعل ذلك توفرة للأموال، فإن المال كان عنده كلا شئ، على أنه كان يحب جمعه من حلاله وحرامه، ثم يصرفه على قدر اجتهاده في أي جهة كانت.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 298)

متواضعا يقوم للفقهاء والصالحين إذا دخلوا عليه ويبالغ في تقريبهم وعدم ارتفاعه في الجلوس بحضرتهم وما فعله في يوم قراءة تقليده من جلوسه على الكرسي والمعتضد بالله الخليفة دونه بحيث اقتدى به ولده المنصور .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 74/3)

وكان سلطانا دينا، خيرا، صالحا، متفقها، شجاعا، عفيفا عن المنكرات والفروج، لا نعلم أحدا من ملوك مصر في الدولة الأيوبية والتركية على طريقته من العبادة والعفة؛ لم يشهر عنه في حداثة سنه ولا في كبره أنه تعاطى مسكرا، ولا اكتشف حراما قط، وأما حب الشباب فلعله كان لا يصدق أن أحدا يفعل ذلك لبعده عن معرفة هذا الفعل .

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 311)

ذا إلمام بالعلم واستحضار في الجملة لكثرة تردده للعلماء في حال امرته ورغبته في الاستفادة منهم كالعلاء البخاري بل لا أستبعد أن يكون له حضور عند السراج البلقيني

وطبقته فضلا عن ولده الجلال ونحوه ولهذا انتفع به كثير ممن كان يرافقه عندهم في تقديمهم للمناصب الجليلة كالقاياتي والونائي وغيرهما، مديما للتلاوة على بعض مشايخ القراء . تام الكرم بحيث يصل إلى التبذير , زائد الاصغاء في الشفاعات .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 74/3)

وكان له اشتغال وطلب قديما، وكان يستحضر مسائل جيدة، ويبحث مع العلماء الفقهاء، ويلازم مشايخ القراءات، ويقرأ عليهم دواما، وكان يقتني الكتب النفسية، ويعطي فيها الإثمان الزائدة عن ثمن المثل، وكانت أيامه آمنه، رحمه الله تعالى.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 299)

كان آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر .

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 296)

راغبا في إزالة ما يعلمه من المنكرات غير ناظر لكون بعضه من شعار الملوك كابطاله سوق الرماحة للمحمل حسما لمادة الفساد الذي جرت العادة بوقوعه عند ادارته ليلا ونهارا فما عمل في جل ولايته وذلك من مدة عشر سنين إلى أن مات ومسايرة أمير الحاج والمولد الذي يعمل في طنتدا وما كان يعمل بالقلعة من الزفة بالمغاني والمواصيل والخليلية عند غروب الشمس وعند فتح باب القلعة باكر النهار وبعد العشاء التي يقال لها نوبة خاتون وما كان يسقاه الملوك ومن بجانبهم من الامراء بداخل المقصورة وقت خطبة الجمعة من المشروب ، وخرق جميع ما مع أصحاب خيال الظل من الشخوص وألزمهم بعدم العود لفعله وشدد في أمر المطاوعة جدا .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 73/3)

وكان متقشفا في ملبسه ومركبه إلى الغاية، لم يلبس الأحمر من الألوان في عمره، ولم أراه منذ تسلطن أنه لبس كاملية بمقلب سمور غير مرة واحدة، وأما الركوب على السرج الذهب

والكنبوش الزركش فلم يفعله قط، وكان ما يلبسه في أيام الصيف وما على فرسه لا يساوي عشرة دنانير، وكان معظما للشريعة، محبا للفقهاء وطلبة العلم، معظما للسادة الأشراف، وكان يقوم لمن دخل عليه من الفقهاء والصلحاء كائنا من كان، وكان إذا قرأ عنده أحد فاتحة الكتاب نزل عن مدورته وجلس على الأرض تعظيما لكلام الله تعالى، وكان كريما جدا، مسرفا مبذرا، أتلف في مدة سلطنته من الأموال مالا يدخل تحت حصر كثرة، وكان لا يلبس إلا القصير من الثياب، ونهى الأمراء وأكابر الدولة وأصاغرها عن لبس الثوب الطويل، وأمعن في ذلك حتى أنه ضرب جماعة كثيرة بسبب ذلك، وقص أثواب جماعة أخر من أعيان الدولة في الموكب السلطاني بحضرة الملأ من الناس، وكان كثيرا ما يوبخ من يلبس الثوب الطويل، ومن لا يحف شاربه من الأتراك.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 296)

كثير التفقد للمحابيس والكشف عنهم والاحسان إلى الأيتام بحيث أنه كان يرسل من يحضرهم له فيمسح رءوسهم ويعطي كل واحد منهم دينارا، مائلا لتجديد القناطر والجوامع ونحوها من المصالح العامة وقرر لأهل الحرمين دشيشة للفقراء في كل يوم ولكثير منهم رواتب الذخيرة كل سنة تحمل اليهم من مائة دينار إلى عشرة أو أكثر من ذلك وقراءة البخاري بمكة وما يفوق الوصف مما كثر الدعاء له.

وكان يرى أن إصلاح ما يشرف على الهدم أولى من الابتكار ولذا لم يبتكر مدرسة بل ولا تربة .

وهادن ملوك الأطراف وهاداهم وتودد اليهم ولكثير من التركمان حتى بالتزوج منهم وكان يبدي مقصده في ذلك بقوله كل ما أفعله معهم لا يفي بنعل الخيل أن لو احتيج إلى المسير اليهم .

وأثكل ولدا له من نوادر أبناء جنسه فصبر واحتسب .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 74/3)

كان قد قمع المفسدين والجبابرة من كل طائفة، وكسدت في أيامه حال أرباب الملاهي والمسكرات، وتصولح غالب أمرائه وجنده، وبقي أكثرهم يصوم الأيام الكثيرة في كل شهر، ويعف عن المنكرات، وكل ذلك مراعاة لخاطره، وخوفا من بطشه لما يرون من تشديده على من يفعل القبائح والمنكرات، وهذا بخلاف الملوك السابقة فإنهم كانوا كثيرا ما يفعلون ذلك، فكان يصير كل قبيح جهارا، ومن عظم حرمته وشدة بطشه قال بعض الفضلاء: تابت هذه الدولة عن الموت في هدم اللذات والأيام الطيبة، وان الذين يتعاطون المسكرات في أيامه وهم القليل من الناس صاروا يتعاطون في خفية، ويرجفهم في تلك الحالة صغيرة الصافر.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 298)

(مساوئ الملك الظاهر)

وبالجملة، كانت محاسنه وكرمه أكثر من مساوئه كما قيل :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها .. كفى المرء فخرا أن تعد معايبه

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 163)

مع حدة تعتريه وسرعة بطش وبادرة مفرطة ربما تؤدي إلى ما لا يليق به من ادخال غير واحد من الاعيان حبس أولى الجرائم وغيره من الحبوس وضربه لآخرين ونفيه لغيرهم وعلى كل حال فالكمال لله، ومما يعاب به أيضا انه كان ينفد ما يتحصل في يديه مع كثرته جدا أولا فأولا حتى انه لم يدع في الخزانة مالا بل ولم يترك من الزردخاناه والشوب والاسطبلات السلطانية الا الربع مما خلفه الملوك قبله أو أقل والاعمال بالنيات .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 74/3)

كان قد قيض الله له أعوان سوء وحاشية ليست بذاك، وكان رحمه الله سريع الإستحالة،

وعنده بطش وحدة مزاج، وبادرة مع طيش وخفة، فلهذا كان يقع منه تلك الأمور القبيحة من ضرب العلماء، وبهدلة الفقهاء والرؤساء وسجنهم بحبس المقشرة مع أرباب الجرائم، وكل ذلك كان لعدم تثبته في أحكامه، وعظم بادرته وسلامة باطنه، فإنه كان يصدق ما ينقل إليه بسرعة، ولا يتروى في أحكامه حتى يأتيه من يخبره بالحق، فلهذه الخصال كانت الرعية قد سئمته وطلبت زواله، وكانت الدعوى عنده لمن سبق، لا لمن صدق، على قاعدة الأتراك.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 311)

2) حوليات الظاهر جقمق:

- **فلما كان يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول: إستدعى الخليفة والأمراء والقضاة وجميع أرباب الدولة إلى الحراقة بالاصطبل، وأثبت عدم أهلية الملك العزيز يوسف لأنه لا يحسن التصرف، فخلعه الخليفة، وفوض السلطة للأمير نظام الملك جقمق وتلقب بالملك الظاهر أبي سعيد، ونودى في القاهرة وظواهرها بالدعاء للملك الظاهر .**
- **وفيه : خلع على الأمير قرقماس، وإستقر أميرًا كبيرًا أتابك العساكر.**
- **وفيه : عمل السلطان المولد النبوي بالقلعة على عادة من تقدمه من الملوك الجركسية، فكان وقتا حسنًا .**
- **شهر ربيع الآخر : ثارت عدة من المماليك القرانصة الذين قاموا مع السلطان قبل ذلك على الأشرفيه ، وطلبوا الآن من السلطان الزيادة في جوامكهم ومرتب لحمهم ووقفوا تحت القلعة وأصبحوا يوم الأربعاء وقد كثر جمعهم، حتى نزل الأمراء ، فصاروا يجتمعون على واحد واحد منهم، ويذكرون له ما يريدون إلى أن نزل الأمير**

الكبير الأتابك قرقماس فأحاطوا به وحدثوه، فوعدهم أن يتحدث لهم مع السلطان، فأبوا أن يمكنوه من العود إلى القلعة، وأرادوه أن يوافقهم على محاربة السلطان وساروا معه بأجمعهم إلى داره، وتلاحق بهم جماعة فلم يزالوا به حتى وافقهم بعد جهد منهم وإمتناع منه، ولبسوا سلاحهم .

- وفيه: إجتمع القضاة بجامع القلعة، وحكم قاضي القضاة شمس الدين محمد البساطى المالكي بهدم سلالم مأذنتى مدرسة السلطان حسن، وهدم سلالم سطحها وألزم الناظر في مجلس الحكم بهدم ذلك فمضى وهدمه، فكان هذا الحكم أيضًا من الأحكام التي لم نعهد من القضاة مثله .
- وفيه : قبض على الأمير قرقماس .
- وفيه: قبض على جماعة من المماليك الأشرفية، وأخذت خيولهم وبغالهم، وسجنوا بالبرج من القلعة .
- وفيه: خلع على الأمير أقبغا التمرازى، وإستقر كبيرًا أتابك العساكر
- وفي هذا الشهر والذي قبله : زالت نعم جماعة كثيرة من الأشرفية ما بين أمير ومملوك وكاتب وغير ذلك، فمنهم من قتل ومنهم من سجن، ومنهم من نهب، ومنهم من صودر، وآخرون يترقبون ما يحل بهم.
- وفيها : إبتدىء بقراءة صحيح البخاري بين يدي السلطان بالقصر من القلعة، وزادت عدة من حضر ومنعوا من البحث، فإنه كان يقضي إلى خصام ومعاداة، فإنكفوا عنه، ولله الحمد.
- وفيها : جمع الحافظ قاضي القضاة شهاب الدين شيخ الإسلام ابن حجر، أعيان الدولة، وفيهم المقام الناصري محمد ولد السلطان وغيره من الأمراء،

وكاتب السر، وناظر الجيش، والوزير وناظر الجيش، والقضاة وشيوخ العلم في عامة طلبة العلم وغيرهم، فاجتمعوا بأعلى أرض التاج خارج القاهرة وكان الوقت شتاء والأرض مخضرة بأنواع الزراعات، والخيول على مرابط ربيعها، وقدم لهم من أنواع الحلاوات وألوان الأطعمة الفاخرة ما يجل وصفه ويكثر مقداره، وقد أكمل تصنيف كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري في عشرين مجلدة ، هذا وقد اجتمع بهذه المنظرة وحولها من أسفلها عالم كبير من الرجال وغيرهم، ونصبت هناك سوق، وضربت خيام عديدة، فكان من الأيام المذكورة التي لم نعهد في معناه مثله، أنفق فيه مال جزيل .

- وفيها: قدم الخبر من الأمير طوغان نائب القدس بأن أينال الجكمى أطلق الأمراء الذين قبض عليهم وحلفهم للعزيز، فعلم أهل المعرفة أن أمر أينال هذا لا يتم لتضييعه الحزم في ركونه، وطمأنينته إلى الأمراء بعد أن أوحش ما بينه وبينهم بالقبض عليهم
- وفيها : ورد الخبر بخروج الأمير أينال الأجرود ناب صفد منها، وأنه نزل بالرملة بعدما دعاه أينال الجكمى إلى موافقته، وأعلمه أنه ما قام في هذا الأمر حتى وافقه نواب الممالك وأركان الدولة بمصر، فلم يدخل في طاعته .
- وفيها : دقت البشائر لورود الخبر بمسك الأمير أينال الجكمى، وإنبثت قصاد السلطان في أهل الدولة يبشرونهم بذلك، ويأخذون ممن يأتوه مالاً على هذه البشرى، فمنهم من يعطي البشير أربعين ديناراً، أو أقل من ذلك أو أكثر، وفعلوا مثل ذلك في الليلة التي قبض على العزيز فيها، فكسبوا مالاً جزيلاً.

- وفيها : كتب بقتل أينال الجكمي بسجنه من قلعة دمشق بعد تقريره على أمواله وذخائره، وبقتل جماعه ممن قبض عليه في الوقعة.
- وفيها: قدم رأس تغرى برمش، فطيف به على رمح، ثم علق بباب زويلة .

(سنة ثلاثين وأربعين وثمانمائة)

- وفيها : رسم لوالى القاهرة أن يستخدم مائة ماش يسعون في ركابه، وبين يديه إذا ركب، ونودي بألا يخرج أحد من المماليك السلطانية بالليل، وكانت الإشاعة بين الناس قد قويت بإختلاف أهل الدولة
- وفيها : ختمت قراءة صحيح البخاري بالقصر من قلعة الجبل بحضرة السلطان، وخلع على قضاة القضاة الأربع، ومشايخ العلم الحاضرين، وفرقت صرر الدراهم في جميع من حضر، وزادت عدتهم في هذه السنة عن عدة الحاضرين عن السنين الماضية زيادة كبيره .
- وفيها : عقد السلطان على الخاتون بنت الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر

(سنة أربع و أربعين وثمانمائة)

- وفيها :رسم بتتبع من في القاهرة وظواهرها من العجم الذين يطوفون بالأسواق وفي الطرقات، يستجدون الناس تارة، ويظهرون الصلاح تارة، فقبض على عدة منهم، فضرب قوم ونفي جماعة، وضرر هذه الطائفة كثير جدًا فإن كثيرًا منهم ينتحلون مذهب الإلحاد، ويصرحون بتعطل الصانع تعالى ، وينكرون شرائع الأنبياء، ويجهرون بإباحة المحرمات، فالله يبيدهم، ويعجل بعقوبة من ينصرهم.
- شهر جمادى الأولى، نودي بمنع النساء من الخروج إلى الشوارع والأسواق إلا

العجائز والجواري، فإمتنعن، ثم نودي لهن بالخروج إلى الأسواق والشوارع من غير تبرج بزينة.

- وفيه : أنعم بإقطاع الأمير ممجق بعد موته على تغرى برمش بن جركس وتغرى برمش من محاسن هذه الدولة، لمعرفته الحديث ورجاله المعرفة الجيدة إلى غير ذلك من الفضائل.
- وفيه : فوض السلطان نظر الجامع الحاكمي بالقاهرة إلى الأمير دولت بيه الدوادار وأنعم برسم عمارته ، فركب وكشف أحواله، فوجد سقوفه قد سقط منها مواضع، وفيها مواضع ساقطة، وبلاطه قد تلف منه كثير، ومقاصيره الخشب قد تلف كثير منها، وميضات الجامع متهدمة، وأحوال الجامع بمرور النساء والصبيان وغيرهم ملعبة فمنع دخول النساء الجامع وألزم بوابيه أن لا يمكنوا إمرأة ولا صغيرًا من الجلوس فيه، ولا المرور منه، وكان هذا الجامع قد فسدت أحواله، فأصلحه الله على يد هذا الأمير .
- وفي هذا الشهر: أيضًا جددت عمارة جامع الصالح طلائع بن رزيك خارج باب زويلة، وقام بذلك رجل من الباعة وجدد أيضًا جامع الفاكهيين بالقاهرة، وجامع الفخر بخط سويقة الموفق قريب من بولاق وجدد أيضًا عمارة جامع الصارم قريب من بولاق .
- وفي شهر رمضان: أقيمت الجمعة بالجامع الذي أنشأه في هذه السنة الطواشي جوهر نائب مقدم المماليك بالرميلة تحت القلعة.
- وفي شوال: أقيمت الجمعة بالجامع الذي أنشأه الأمير تغري بردي البكلمشي الدوادار المعروف بالمؤذي، بخط الصليبة.

- وفيها : مات الأمير الطواشي صفي الدين جوهر السيفي قنقباي اللالا زمام الدور خازندار السلطان عن نحو سبعين سنة، وصلى عليه السلطان، ودفن بمدرسته، بجوار الجامع الأزهر وكان من جملة هدية ملك بلاد الحبشة إلى السلطان الملك الظاهر برقوق، فأنعم به على الأمير قنقباى اللالا، لالا المقام الناصري محمد ولد السلطان، فرباه وهو صغير، وأقرأه القرآن العظيم، ثم خدم من بعد قنقباي جماعة من الأمراء، زمامًا لدورهم، وعارك خطوب الدهر ألوانًا، حتى إستدعاه الأشرف برسباى، وعمله خازندارًا، فتمكن منه تمكنًا زائدًا، وإنبسطت يده في تحصيل الأموال للذخيرة بقوة وشهامة وضبط، فلما مات الأشرف أضيفت إليه أزمة الدور، فباشر ذلك حتى مات، ولم يخلف في أبناء جنسه بعده مثله ، وكان عفيفًا، له بر وأفضال مع رصانة عقل، وجد من غير هزل، وكان مهابًا يتلو القرآن بالسبع، إلا أنه فتن بصحبة السلطان، فحرص على رضاه، وإقتحم المهالك، بحيث أنه لم يكن في الدولة الأشرفية أحد أخص منه بالسلطان ولا أقوى تمكنًا، فالله يعفو عنه بمنه.

(المقريزي – السلوك)

(سنة اثنين وخمسين وثمانمائة)

- وفيها : توفيت سورباص الجركسية حظية السلطان ببولاق بعد أن قامت به أياما للنزهة لما طال مرضها ودفنت من الغد.
- وفيها : ولي ابن حجر تدريس الشافعية بالصالحية والنظر على أوقافها.
- وفيها : تحولت خوند الكبرى مغل ابنة البارزي من القاعة الكبرى إلى البربرية واخبر السلطان إنه طلقها من نحو ثمانية أشهر وذكر أنها كانت السبب لقتل سورباص بالسحرة وحاشاها من ذلك.

- وفيها : توفيت ست الملوك ابنة الظاهر ططر زوجة يشبك الاتابكي .
- وفيها : تحولت خوند ابنة جرباش إلى قاعة العواميد الكبرى عوضا عن ابنة البارزي.
- وفيها : تغير السلطان على العبيد الذين بالقاهرة كون بعضهم هجم على حمام النساء بمنية عقبة وافتاه بعض الفقهاء بأنهم محاربون فصمم وأمر بمسكهم وإيداعهم السجن.
- وفيها : توفي المعلم محمد بن حسين الطولوني مهندس السلطان وصلى عليه بسبيل المؤمني وحضر ذلك السلطان.
- وفيها : ظهر الطاعون بالديار المصرية.
- وفيها : توفي شيخ الإسلام ابن حجر .
- وفيها : استقر العلاء القلقشندي في تدريس الحديث بجامع ابن طولون والجلال المحلي في تدريس الفقه بالمؤيدية والعلم البلقيني في تدريس الصالحية بقبة البيبرسية كل ذلك عوضا عن ابن حجر بحكم موته.

(سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة)

- وفيها : عظم الطاعون بديار مصر فكان عدة من يموت فيه زيادة على ألف
- وفيها : توفي سيدي أحمد ولد السلطان .
- وفيها : توفي سيدي محمد ابن السلطان
- وفيها : توفيت خوند فاطمة ابنة السلطان
- وفيها : تناقص الطاعون بل كان تناقصه قبل ذلك بأيام ومع ذلك فيموت كل يوم خلائق نسأل الله الموت على الإسلام .
- وفيها : توفيت زوجة السلطان .

(سنة أربع وخمسين وثمانمائة)

- وفيها : توفي سيدي محمد ابن السلطان وسنه دون عشرة اشهر .
- وفيها : توفي العلامة شهاب الدين أحمد ابن عربشاه .
- ولقد شاهدت في هذه الأيام أعاجيب منها أنني أدركت الوباء العظيم في سنة ثلاث وثلاثين ثم في سنة أحدى وأربعين ثم في سنتي سبع وثمان وأربعين ثم في سنة ثلاث وخمسين وكان وباء سنة ثلاث وثلاثين مهولا إلى الغاية بحيث إنه مات فيه في اليوم الواحد من الخلائق ما ينيف على عشرة آلاف نفر ومع ذلك فكنت أجد آنذاك بالشوارع جماعة من العامة يضحكون ويهزلون هذا مع عظم الوباء وسرعة الموت بخلاف هذه الأيام فكنت لا ترى من الناس إلا باكيا أو متضرعا إلى الله أو مهموما بكثرة عياله ولا ترى جماعة بمكان إلا وكلامهم غالبا في القمح والدقيق والخبز فكان هذا دأب الناس في هذه الأيام.

(سنة خمس وخمسين وثماني مائة)

- شهر رمضان : أهل والناس في أمر مريج من عدم اللحوم والغلاء المفرط في سائر الأقوات الذي لم يعهد مثله في سالف الاعصار وكثرت الفقراء بالقاهرة إلى الغاية وتفقر خلائق ومنهم من ليس له مروءة أخذوا في السؤال واتضع حال جماعة ممن لهم شهرة واسم لعظم القحط وطول مكثه في هذه السنين الثلاث وأمسك في هذه الأيام جماعة من البيعة ومعهم لحوم الدواب الميتة ولحوم الكلاب وشهروا بالقاهرة ونودي عليهم وتفرغت حواصل الغلال التي كانت مدخرة عند أربابها من طول مكث الغلاء وضاقت أعين الناس ولولا أن القلوب اطمأنت بري البلاد في هذه السنة وإلا لكان الأمر أعظم من ذلك.

- **وفيها : طلب السلطان أصحاب خيال الظل وحرق جميع ما معهم من الشخوص المصنوعة للخيال .**
- **وفيها : توفي البدر العيني الحنفي.**

(سنة سبع وخمسين وثمانمائة)

- **في الثانية من نهار الخميس الحادي والعشرين من محرم خلع الظاهر جقمق نفسه عن الملك وولى ابنه عثمان السلطنة بدلا منه .**
- **وفي صفر توفي الملك الظاهر جقمق .**

(ابن تغري بردي – الحوادث والدهور)

(جقمق و عقبات في طريق الملك)

واستمر الملك **الظاهر** في أمر ونهى وأخذ وعطاء إلى أن أسر بعض خواص **السلطان** إليه بأن **الأتابك قرقماس** يريد إثارة فتنة، فلم يقبل **السلطان** كلامه، ونزل **قرقماس** إلى أن وصل تحت باب المدرج من القلعة أحاطوا به المماليك السلطانية، وطلبوا منه أن يتكلم مع **السلطان** في زيادة جوامكهم، ولزموه وطلبوا منه أن يركب معهم، فأراد أن يرجع إلى القلعة فما مكنوه من ذلك، وأخذوه إلى داره، وتلاحق بهم من **المماليك الأشرفية** جماعة .

ولازالوا به حتى وافقهم على الركوب ومحاربة **السلطان**، فلبس سلاحه وركب على كره منه.

ووقع **القتال بين الفريقين**، واشتد الحرب بينهم، وتلاقوا غير مرة، وفشت الجراح بينهم ، ودام ذلك إلى نصف النهار ، وتعين الظفر **لقرقماس** غير مرة، لكنه كان في قلة من أكابر الأمراء فلهذا انهزم وتفرقت عنه عساكره قليلا بقليل حتى كانت الكسرة عليه، وانهزم واختفى .

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 288/4)

فكانت هذه الوقعة من الحروب القوية بحسب الوقت، إلا أن **قرقماس** جرى فيها على عادته في العجلة والتهور، ففاته الحزم، وأخطأه التدبير من وجوه عديدة، ليقضى الله أمراً كان مفعولا " **وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرد لَهُ** "

قبض على الأمير **قرقماس**، وأركبوه فرسًا ومروا به، وقد اجتمع الخلائق لرؤيته فمنهم من يسبه ومنهم من يدعو عليه، حتى صعد القلعةْ، فعندما عاين **السلطان** خر على وجهه يقبل الأرض، ثم قام ومشى قليلاً، وخر يقبل الأرض، وقام فمشى ثم خر ثالث مرة يقبل الأرض، وقد قرب من **السلطان** فوعده بخير، وأمر به فأدخل إلى مكان وقيد بالحديد وهو يشكو من الجوع، فأتى بطعام هذا وقد لهجت العامة في الأسواق تقول " **الفقر والإفلاس، ولا ذلتك يا قرقماس** " .

(المقريزي – السلوك 386/7)

واستمر **السلطان** بعد ذلك إلى ان ترادفت عليه الأهوال بورود الخبر بعصيان **الأمير تغرى برمش نائب حلب**، ثم بعصيان **الأمير إينال الجكمى نائب دمشق**، ثم فرار **الملك العزيز** من وسط الدور السلطاني من **قاعة البربرية.**

وكان **العزيز** لما حبس بقاعة البربرية من الدور السلطاني، وكانت **دادته سر النديم الحبشية** عنده ومعها عدة **جواري** له، ثم مكنت مرضعته من الدخول إليه وكان القائم في حوائجه، وفي قبض ما رتب له من أوقاف والده في كل شهر **طواشى هندي يسمى صندل**، لم يبلغ **العشرين** من العمر، من عتقاء أمه **خوند جلبان**، وكان عنده نباهة وفطنة، وكان أرجف بقتل **العزيز** غير مرة أو بكحله، ثم أشيع ينقله إلى حبس الإسكندرية، فصار **صندل** يخبر **العزيز** بما سمعه، فداخل **العزيز** الخوف واتسع خياله إلى أن بلغه أيضا أن بعض القضاة أتى بقتله لصيانة دم الرعية، فرمى **العزيز** نفسه على صندل وقال له: **تحيل في فراري، وأبق**

على مهجتي، فانفعل صندل، وكان **للعزيز** طباخ من أيام أبيه، فكلمه **صندل** في إخراج **العزيز**، فوافقه على ذلك، فأمر **العزيز** لجوارية أن ينقبن في البربرية يخرج منه إلى المطبخ، وساعدهم الطباخ من الخارج، حتى انتهى.

فلما كان وقت الأفطار من يوم الإثنين ، والناس في شغل بأكلهم، خرج **العزيز** من النقب عريانا مكشوف الرأس، فألبسه الطباخ من خلقاته ثوبا ملوثا بسواد القدور، وأخذه معه، ونزل كأنه من بعض صبيانه، وهو يمر على الخدام من غير أن يتفطن به أحد، فوافا الأمراء وقد خرجوا بعد الفطر من عند **السلطان**، وصاروا جملة واحدة، فلما رأى الطباخ ذلك ضرب **العزيز** ظهره ضربة وصاح عليه كأنه من بعض صبيانه، ليرد بذلك الوهم عنه، فمشت حيلته؛ ونزل من باب المدرج حتى وصل تحت الطبلخاناة، وإذا **بصندل الطواشي**، **وطوغان الزرد كاش**، ومشده ازدمر في آخرين من الأشرفية فقبلوا يده.

وكان صندل كان قد أخبر **العزيز** أنه إذا نزل مماليك أبيه **الأشرفية** يركبون معه لقتال الملك **الظاهر** أو يتوجهون به إلى **الشام**، فلما رأى غير ذلك ندم، وطلب العود إلى مكانه، فلم يمكنه ذلك .

واختفى **العزيز** هو وطواشيه **صندل**، **وأزدمر** مشده، وطباخه، وصار يتنقل من مكان إلى آخر، **والسلطان** في طلبه، وعوقب جماعة بسببه، وهجم على جماعة من البيوت، ومرت **بالعزيز** شدائد في اختفائه .

واستمر **العزيز** مختفيا إلى أن خرجت تجريدة لقتال الأمير **إينال الجكمى** نائب الشام، ولقتال الأمير **تغرى برمش** نائب حلب .

وتزايدت الهموم والمحن على السلطان في هذه المدة من سائر الجهات، وبقى في حيرة، وصار تارة يشتغل بتجهيز العساكر لقتال العصاة من النواب بالبلاد الشامية، وتارة في طلب

العزيز وفي الفحص عنه، ولا زال على ذلك **إلى يوم الأربعاء ثالث عشرين شوال من سنة إثنتين وأربعين وثمانمائة** ظفر **بسر النديم** دادة الملك **العزيز** بعد ما كبس عليها عدة بيوت، وعوقب جماعة، وقاست الناس في هذه المدة أهوالا بسبب **العزيز** وحواشيه، ثم ظفر السلطان بالطواشي **صندل** الهندي فتحقق منهما أن **العزيز وإينال** لم يخرجا من القاهرة، وأنهما لم يجتمعا قط، فهان عليه الأمر قليلا، فإنه كان في ظن **السلطان** أن الأمير **إينال** أخذ **العزيز** على نجبه التي هيأها لسفر الحجاز، ومضى به إلى الأمير **إينال الجكمى** نائب الشام.

ثم اجتهد **السلطان** في طلب **العزيز**، وطرق الناس بهذا السبب أهوالا ومحن إلى ليلة الأحد سابع عشرينه قبض على الملك **العزيز**، فاستراح بالقبض عليه وأراح، وهو أنه لما نزل من القلعة واختفى كان معه طواشيه صندل وأزدمر مشده، وطباخه **إبراهيم** لا غير، وصار **العزيز** ينتقل بهم من موضع إلى موضع لكثرة ما يكبس عليه، وصار كل يوم في رجيف ومحنة، حتى وقع بين **أزمر وصندل** الطواشي، وطرد **صندل**، ففارق **صندل العزيز** ومضى إلى حال سبيله بعد أن أنعم عليه **العزيز** بخمسين دينارا، ثم أن **أزدمر** طرد أيضا **إبراهيم** الطباخ، وبقي مع **العزيز** وحده ليكونا أخف على من يختفيا عنده، هذا والسلطان يستحث في طلبهما حتى ضيق عليهما المسالك، واستوحش من قبولهما كل أحد حتى أرسل **العزيز** إلى خاله الأمير **بيبرس**، أحد أمراء العشرات وأعلمه بمجيئه ليختفي عنده، فواعده **بيبرس** أن يأتيه ليلا، ثم خاف **بيبرس** عاقبة ذلك، فأعلم جاره الأمير **بلباي الإينالي المؤيدي**، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، بذلك، وقال: **يقبح بي أن يكون مسك العزيز على يدي، ولكن أفعل أنت ذلك**، وأعلمه بطريقة التي يمر منها في قدومه، فترصد له **يلباى** ، ومعه أناس قلائل جدا، بزقاق حلب خارج القاهرة، حتى مر به الملك **العزيز** بعد عشاء الآخرة

ومعه أزدمر، هما في هيئة مغربيين، فوثب **يلباى** على **أزدمر** ليقبض عليه، فدفع عن نفسه، فضربه **يلباي** أدمى وجهه وأعانه عليه من معه حتى أوثقوه، وأخذوا **العزيز** وعليه جبة صوف حتى طلعوا بهما إلى القعلة من باب السلسلة، **العزيز** حاف، وقد أخذ مملوك من المؤيدية بأطواقه إلى أن أوقف بين يدي الملك الظاهر **جقمق**، فكادت نفسه تزهق فرحا، فأوقفه **الظاهر** ساعة، ثم أدخله إلى قاعة العواميد من الدور، عند زوجته خوند الكبرى **مغل بنت القاضي ناصر الدين محمد بن البارزى**، وأمرها أن تجعله في المخدع، ولا تبرح عن بابه، وأن تتولى أمر أكله وشربه، فأقام على ذلك مدة، ونقل إلى الأسكندرية وحبس بها .فعند ذلك خف عن الملك **الظاهر** بعض ما كان يجده من أمر **العزيز**، والتفت إلى البلاد الشامية.

وعندما صعد **العزيز** إلى القلعة دقت البشائر ليلاً ومن الغد، وركب الأعيان لتهيئة السلطان، فإنه وأتباعه من أهل الدولة كانوا في قلق زائد وخوف شديد لما داخلهم من عود دولة **العزيز** بخروج نائبي دمشق وحلب عن طاعة **السلطان**، وقيام الأشرفية ببلاد الصعيد، وكلهم جميعًا في طاعة **العزيز**، **والله** يؤيد بنصره من يشاء.

فتوالى على **السلطان** في مدة أيام يسيرة **الظفر بالملك العزيز**، **وبالمماليك الأشرفية** الذين قاموا مع **العزيز** بالصعيد، **وبأينال الجكمى** نائب الشام، **وبتغرى برمش** نائب حلب، وهذا من النوادر الغريبة، **ولله** عاقبة الأمور فكانت هذه السنة ذات حوادث عظيمة، زالت فيها نعم خلائق بمصر والشام، فذلوا بعد عزهم، وأهينوا بعد تعاظمهم، جزاء بما كسبت أيديهم " **وَمَا ربك بظَلَّامَ لِلْعَبِيد** " .

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 292/4)

(جقمق وعادات السلطنة)

وقد ابطل **السلطان** منذ تسلطن أشياء كثيرة من شعار المملكة بخلاف غيره من **ملوك الترك** فان كل واحد من ملوك الترك المتأخرين ابطل شيئا مما فعله الملوك المتقدمون وأول من أخذ في إبطال المحاسن **الظاهر برقوق** ابطل ركوب الموادين بعد سلطنته بمدة طويلة ثم ابطل **الناصر فرج** التوجه **لسرياقوس** ثم ابطل **المؤيد شيخ** نيابة السلطنة **بالديار المصرية** ثم أبطل **الأشرف** زينة المراكب عند وفاء النيل وإما ما أبطله **السلطان** فكثير فمن ذلك خدمة الإيوان عند قدوم القصاد الغرباء إلى الديار المصرية وكان أمراً مهولا إلى الغاية وابطل نزول السلطان إلى بر الجيزة على عادة الملوك ثم ابطل النزول إلى الإسطبل للحكم بين الناس في يوم السبت والثلاثاء ثم ابطل التوجه إلى الرمي للصيد بطيور الجوارح ثم ابطل خدمة السبت والثلاثاء بالكفاة بالقصر السلطاني ثم ابطل سوق المحمل في رجب وكان من محاسن الدنيا وغرائبها ثم أبطل مسايرة أمراء الحج في رمضان ثم أبطل خدمة الخميس ثم أبطل ضرب الخليلية بباب القلعة , خارجا عما أبطله من شعار السلطنة فيلبسه وجلوسه وحركاته وأفعاله وذلك أيضاً كثير جداً .

(ابن تغري بردي – حوادث الدهور 340/2)

كان متقشفا بحيث لم يمش على سنن الملوك في كثير من ملبسه وهيئته وجلوسه وحركاته وأفعاله .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 74/3)

(المماليك وأعمال البر)

ازدهرت أعمال البر في عصر دولة المماليك الجراكسة، حيث دأب الكثير من الأمراء على البذل والانفاق في سبيل الله، رغبة في الأجر والثواب، أو لكسب العامة من الناس، أو حباً في الظهور والمباهاة ، وقد كانت هذه الاعمال إما في شكل عيني او نقدي، ومن الأمثلة التي تذكرها النصوص التاريخية:

أرسل الأمير **جاركس الخليلي** قمحاً كثيراً الى **الحرمين الشريفين** ليعمل منه كل يوم خمسمائة رغيف لمكة ومثلها **للمدينة** وكذلك في **القاهرة**، وكان لذلك أثر طيب في نفوس اهل المدينتين.

وكان الأمير **شيخ نائب الشام** يبعث في كل عام الى **مكة والمدينة** مئتا قميص، مثبت على كل قميص عشرة دراهم فضة، تفرق على الفقراء والأيتام .

وتصدق **الأمير خاير بك بن بلباي** بعشرة ألاف إردب من القمح وأمر بتفرقتها على مجاوري الأزهر وعلى الفقراء ،

وأحسن الأمير **تاني بك البجاسي** الى الحجاج حيث لقى الحجاج مشقة عظيمة بسبب الرياح التي هبت عليهم بحوران فخرج اليهم بنفسه ومعه انواع الزاد حتى البغال وفرق ذلك عليهم وحصل بذلك النفع . للغني والفقير .

وللأمير **قاني باي الرماح** أعمال بر ومآثر عظيمة فقد قدم مساعدة للحجاج والفقراء الذين خرجوا للحج، حيث أرسل لهم الإبل والمؤنة، وبعث اليهم الملابس والطعام والماء العذب .

عاد الحجاج مجهودين مكدودين لقلة الماء وموت الإبل، فبعث إليهم **الأمير يشبك** ، بزاد وماء ومؤنة، فحصل بذلك غاية النفع.

تصدق الأمير **طومان باي** على الفقراء بمبلغ له صورة ورسم بقراءة ختمان في جميع الأسواق وقال : **ادعو للسلطان بالنصر**. .

كما حرص الأمراء في ذلك العصر على الإنشاء والتعمير، وخاصة المنشآت الدينية والتعليمية والاجتماعية، التي تعود بالنفع والفائدة على العامة، وقد حرصوا على اتقان بنائها وفخامتها، نظراً لحبهم لتشييد وتخليد أسمائهم عليها .

أولا: المنشآت الدينية:

من هذه العمائر: المساجد والجوامع، ومنها على سبيل المثال:

جامع الأمير أزبك في الأزبكية، فقد قرر فيه صوفية ومدرسين، وقراء، وعمل فيه خزانة لكتب العلم .

جامع الأمير تغري بردي برمش ساحل بولاق ,**أنشأ الامير قاني باي قراجا** مسجدين الأول تجاه سوق الخيل، والثاني، بجوار البركة الناصرية .

جامع الامير قجماس الإسحاقي بالإسكندرية وخصصة للجمعة والجماعات. .

ثانيا : المنشآت التعليمية:

أنشأ بعض الأمراء المدارس وألحقوا بها المكتبات وزودوها بالكتب العلمية لتسهيل العلم، وقرروا عليها المدرسين باختلاف مذاهبهم، منها على سبيل المثال :

المدرسة الجمالية أو المحمودية، أنشأها الأمير **جمال الدين محمود الأستادار** ورتب بها جدول العمل من حيث توالى درس الفقه بالمذاهب الأربعة، ودروس الحديث والتفسير ، وله مدرسة أخرى برحبة باب العيد أنشأها لها الكتب واشترى الكثير منها من مكتبة المدرسة الأشرفية بعد هدمها

المدرسة الأيتمشية: أنشأها الأمير **أيتمش البجاسي** جعل بها درس فقه للحنفية، وحوض سبيل ومصلى للأموات ، وهى مدرسة ظريفة.

مدرسة الأمير إينال للقرآن الكريم، وجعل فيها قراء يتناوبون قراءة القرآن على قبره، وقد توفى قبل الانتهاء من انشائها

مدرسة الأمير قجماس الإسحاقي، وهى مدرسة هائلة للجمعة والجماعات، جعل . بها قارئاً للبخاري، ونقل ما كان قرده من التصوف بالجامع الازهر إليها .

مدرسة الأمير قاني باي الرماح بالقلعة، رتب فيها مكتباً لتاديب الأيتام، وعين مؤدب وعريف يعلم الأيتام القرآن الكريم، والخط العربي، والأحاديث النبوية، وقرر للأيتام المرتبات الشهرية، والصدقات السنوية، من كسوة ولحوم .

مدرسة الأمير عبدالغني الفخري بالقاهرة، خصصت لتدريس ثلاثة مذاهب)**الشافعي والحنفي والمالكي**(وبها طباق للصوفية .

ولم يقتصر الأمراء على تشييد الجوامع والمساجد والمدارس، بل حرصوا على إنشاء كل ما فيه نفع وفائدة للعامة، كالأربطة والأسبلة، والخانقاوات، والتي منها على سبيل المثال **بنى الأمير قجماس الإسحاقي** على البحر رباطاً وجعل له أسبلة .

ومن الأسبلة كذلك: صهريج وسبيل للماء في رأس **حارة برجوان** ، أنشأها الأمير **طوغان الحسني** ، وانشأ **الأمير قاني باي الرماح** الكثير من الأسبلة بالقاهرة وضواحيها، حيث كان يصب بها الماء العذب .

وأنشأ **الأمير عبدالغني الفخري** سبيلاً للمارة والمصلين بالقرب من مدرسته ، كما أنشأ الامير **تمرباي التمرباوي** سبيلين، الاول: في **سرياقوس** ، والثاني: **بمكة المكرمة** .

وأنشأ **الأمير جانم السيفي** سبيلاً ومكتباً للأيتام في **حلب**.

ومن **الخانقاوات** التي تم انشاؤها من قبل بعض الأمراء والتي كانت تجمع بين **الجامع والمدرسة والضريح** :

خانقاة **الأمير يونس النوروزي** خارج **باب النصر**، جعل بجانبها مكتباً يقرأ فيه أيتام المسلمين كتاب الله، وبنى صهريجاً لنقل ماء النيل إليه .

هذه المنشآت كانت تحتاج إلى دعم لضمان استمراريتها، لهذا أوقفوا عليها الاوقاف، ومن الأمثلة على ذلك .

الجامع الذي أنشأه **الأمير مرداش** في حلب وأوقف عليه اوقافاً كثيرة، كما أنشأ زاوية في **طرابلس** وأوقف عليها الاوقاف الكثيرة .

وأنشأ **الأمير لاجين السيفي** جامعاً بالجسر الأعظم، وجعل عليه أوقافاً جمة

أنشأ **الأمير تغري بردي الكشمبغاوي** جامعاً في حلب وأوقف عليه أوقافاً وقرر فيه مدرسين **شافعي، وحنفي** .

وعمر الأمير **تغري بردي الرومي** مدرسة حسنة وجعل فيها خطبة ومدرسا وشيخاً وصوفية، وأوقف عليها أوقافاً كثيرة .

وبنى **الأمير قانباي المحمدي** مدرسة برأس **سويقة منعم**، وقدر بها مدرسين **للشافعية والحنفية**، وأوقف لها وقفاً جيداً .

وأنشأ **الأمير قراقجا الحسني** مدرسة وجامعاً، وبنى أملاكاً جعلها وقفاً عليها ،

وللأمير **قاني باي قرا** أوقافاً متعددة على الاماكن المقدسة بمكة والمدينة كما خصص اموال كثيرة من ريع وقفه تصرف على عمارة الأبنية المختلفة، والدور والعقارات وغيرها .

وحرص بعض الأمراء على تجديد بعض العمائر الدينية والتعليمية رغبة في مزيد من الأجر والثواب، منها على سبيل المثال :

جدد **الأمير قجماس الإسحاقي** مدرسة في **الشام**، وقرر فيها صوفية، وعمل بجانبها مطبخاً للدشيشة .

وجرت على يد **الأمير تغري بردي بن بلبان** مبرات وأشياء جزيلة، فقد جدد بعض المساجد والجوامع والزوايا , جدد الأمير **قانى بك العلائي** مسجداً قديماً في **القاهرة**، وأوقف عليه ربعاً لطيفاً , وأكمل الأمير **عبدالغني الفخري** الرباط الذي أمر بإنشائه **تقى الدين عبدالوهاب بمكة المكرمة** مقابل **المسجد الحرام** .

الى جانب حبهم لتشييد العمائر الدينية والتعليمية كما كان لبعض الامراء أعمال تشهد على حبهم للغير والتقرب الى الله تعالى منهم على سبيل المثال:

الأمير **يلبغا السالمي** عرف عنه كثرة العبادة من **الصلاة والصوم** والصدقة فقد كان يخرج من كثرة الصدقة عن الحد، كان له في كل ثلاثة أيام ختمة

كان **الأمير تمراز الشمسي** متودداً للعلماء باراً بالفقراء، كثير الصدقة محسناً للناس

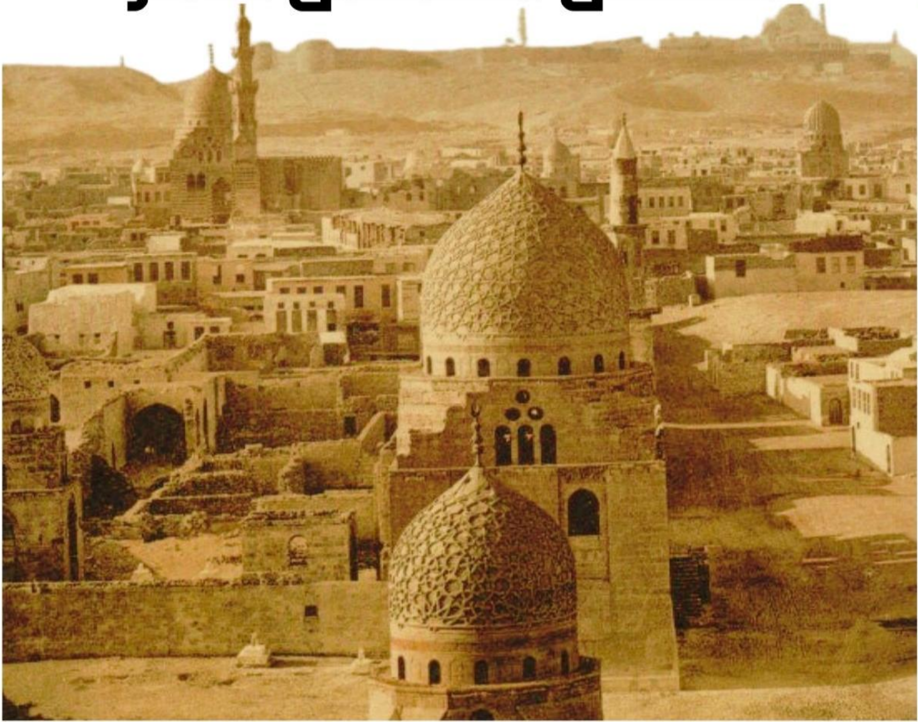
وعرف **الامير سيف الدين بهادر** بإحسانه للفقراء والصلحاء والغرباء وله صدقات كثيرة وبر وافر .

وكان الامير **أقبغا التمرازي** ، نائب الشام متهجداً . متعبداً كثير الصدقات والمحبة في الصلحاء والعلماء

والامير قانم التاجر ، كثير المال ساعياً في الخير معيناً على قضاء الحوائج ، وعرف عن **الامير قاني باي الرماح** كثرة الصدقات على فقراء المسلمين وخاصة فقراء الحرمين، واشترط ان يصرف من ريع أوقافه على الفقراء والمجاورين بالجامع الازهر الشريف، وتوزيع الخبز والماء العذب عليهم ، وكان **الأمير أركماس الطويل** خيراً باراً بالأيتام ، كما وصف المؤرخين الأمير **جانبك الدويدار** بأنه كثير البر للفقراء ، كما كان الامير **يشبك الساقي** من خيار الأمراء، محباً في الحق وفى أهل الخير، كثير الديانة والعبادة كارهاً لكثير من الأمور، التي تقع على خلاف مقتضى الشرع .

(د.شريفة عطيه – أعمال البر والاحسان للأمراء في عصر دولة المماليك الجراكسة)

الفصل الخامس عشر



يوسف بن جقمق

1) ترجمة الملك المنصور عثمان بن جقمق:

السلطان الملك المنصور أبو السعادات فخر الدين عثمان ابن السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبي سعيد جقمق العلائي الظاهري وهو الخامس والثلاثون من ملوك مصر الاتراك والحادي عشر من الجراكسة.

تسلطن بعد أن خلع أبوه **الملك الظاهر جقمق** نفسه عن الملك وحضر **الخليفة القائم بأمر الله حمزة والقضاة الأربعة** وجميع الأمراء وأعيان الدولة بقاعة **الدهيشة** من **قلعة الجبل** وبايعوه بالسلطنة , وركب من **الدهيشة** وعليه السواد الخليفتي بشعار الملك وأبهة السلطنة .

(ابن تغري بردي –النجوم الزاهرة 23/16)

وأمه أم ولد تركيه اسمها زهراء .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 38/12)

ولم يجعل له (**ابيه**) وصيا ولا نظاما مدبرا، وظن أن ذلك مما يثبت به ملكه , وكان الأمر بخلاف ذلك.

(عبد الباسط الملطي – نيل الأمل في ذيل الدول 379/5)

فتسلطن وسنه دون العشرين .

نشأ في حجر السعادة معتنيا بالفروسية بل اشتغل على **الزين قاسم الحنفي** وغيره وسمع الحديث على شيخنا **(ابن حجر)** , واستقر بعد أبيه في السلطنة ولقب **بالمنصور**.

(السخاوي –الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 128/5)

فوقعت الفتنة بينه وبين الأتابك **أينال** مع من وافقه من الأمراء على ذلك، ودام القتال بين الفريقين في كل يوم .

فلما تحقق كل أحد بزوال دولة **المنصور** و إقبال دولة الأتابك , اجتمعت القضاة عند الأتابك **أينال ببيت قوصون** حيث كان جلوسه أيام القتال، واتفقوا جميعا على

خلع **الملك المنصور عثمان** من السلطنة؛ فخلع، وبويع الأتابك **أينال** باللفظ لا بالجلوس **على تخت الملك** ، ونودي بذلك في شوارع **القاهرة** , إلى أن ملك **الأتابك أينال** القلعة بمن معه ، وملك الإصطبل السلطاني .

فتسحب **الملك المنصور** من الإصطبل، وطلع إلى الدور السلطانية بقلعة الجبل، وجلس بمكان، إلى أن أخذ منه .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 165)

وزالت دولة الملك المنصور عثمان كأنها لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه.

وكانت مدة سلطنة الملك المنصور من يوم تسلطن إلى يوم خلعه الخليفة شهرًا واحدًا وثلاثة عشريومًا .

ولا نعلم أحدًا من ملوك مصر من الاتراك كانت مدته في الملك أقصر من مدة الملك المنصور **هذا** مع عظم شوكته وثبات قدمه في الملك.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 55/16)

وتوجه هو إلى **الحريم السلطاني** عند والدته وأقام عندها في قاعة البحرة بالحوش السلطاني من **قلعة الجبل** فأقام الملك ومن يخدمه مع والدته وأولاده والجميع في الترسيم إلى يوم الأحد **ثامن عشرين شهر ربيع الأول** فاخذ منها بجميع خدمه ووالدته وأولاده وأنزلوا الجميع في حراقة إلى **ثغر الإسكندرية** ومضوا به من باب القرافة في وقت القائلة وقد خرجوا الناس للفرجة عليه بخارج القاهرة وساروا به وحوله الخاصكية بالسيوف والرماح وجماعة كبيرة من أعيان الأمراء وقد ازدحم الناس بالكيمان للفرجة عليه حتى اجتاز بقرافة مصر القديمة إلى أن وصل إلى **نيل مصر** وأنزل في الحراقة وسافر من وقته في بحر النيل إلى **الإسكندرية** فسجن بها.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 55/16)

ولما تسلطن الملك **الظاهر** **خشقدم** رسم باطلاقه من السجن، وأذن له بالسكنى ببعض دور **الأسكندرية**؛ فنزل من البرج، وسكن ببعض الدور على أجمل وجه، وفعل **بالملك** **العزيز** كذلك، ورسم لهما معا بالركوب والنزول .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 167)

واستمر مقبلا على العلم متطلعا لكتبه التي حصل منها في كل فن نفائس مذاكرا مع كل من يرد عليه من الفضلاء والمشايخ حتى تميز وبرع في الفقه وكثر استحضاره بل درس قطعة من المنهاج للنووي ولكثير من التاريخ سيما البداية لأبن كثير مع تطلع لمعاني الحديث وإقبال على سماعه ومشاركة في فنون كثيرة بحيث يستحضر الطب والعربية والعروض والموسيقى وحسن عشرته وكثرة أدبه ورقة طبعه وحرصه على الانعزال والمطالعة والتلاوة والصيام وصرف أوقاته في الطاعات وتحريه في نقل العلم وإعراضه عن التشاغل بأنواع الفروسية ومتعلقاتها مع تقدمه فيها .

وقد حج في غضون إقامته بدمياط في أبهة تامة.

مات بدمياط في **يوم الخميس ثامن عشر المحرم سنة اثنتين وتسعين** فتوجه الأتابك والزمام لإحضاره ودفن عند **أبيه بتربة** **قانبياي** وخلف بضعة عشر ولدا من أمهات شتى منهم إناث ثلاث أكبرهن **خديجة** .

مات منهن في الطاعون واحدة ومن الذكور ستة وأكبر الذكور عمر وكتبا كثيرة رحمه الله وعوضه الجنة.

(السخاوي –الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 128/5)

وكان عالما، فاضلا، مفننا.

(عبد الباسط الملطي – نيل الأمل في ذيل الدول 379/5)

2) حوليات المنصور عثمان :

(سنة سبع وخمسين وثمانمائة)

- وفيه : استقر الأمير تمربغا الظاهري دوادارًا كبيرًا عوضًا عن دولات باي .
- وفيه : أشيع بوقوع فتنة ووثوب المماليك السلطانية بسبب النفقة .
- وفيه : عزل السلطان جماعةً كبيرة من الخاصكية البوابين من المؤيدية وولى عوضهم جماعة من حواشيه فزاد ما بالمؤيدية وأخذوا في عمل الركوب فلم يكن لهم طاقة لذلك لقلتهم هذا وقد أخذت المؤيدية في استمالة الأشرفية من يوم قبض الملك المنصور على خجداشيتهم دولات باي ورفقته ولا زالوا بهم حتى وافقوهم لحزازة كانت في نفوس الأشرفية أيضًا من الملك الظاهر جقمق قديمًا.
- شهر ربيع الأول : كان ابتداء الوقعة بين السلطان الملك المنصور وبين الأتابك.
- وفيه : ركب جماعة كبيرة من أعيان المماليك الأشرفية ورافقهم جمع كبير من المؤيدية والسيفية وغيرهم من غير لبس سلاح ووقفوا بالرميلة من تحت القلعة لمنع الأمراء من طلوع الخدمة فلم يكن إلا ساعة يسيرة من وقوفهم وقدم الأمراء جميعًا إلى الرميلة يريدون طلوع القلعة فتكاثرت المماليك عليهم واحتاطوا بهم وأخذوهم غصبًا بأجمعهم وعادوا بهم إلى بيت الأمير الكبير إينال العلائي .
- وابتدأ القوم في القتال من يوم الاثنين واشتد الحرب وجرح جماعة وقوي أمر أصحاب الأمير الكبير بأخذ المدرسة الحسنية إلى الغاية غير أن الأمير الكبير إلى الآن يقدم رجلًا ويؤخر أخرى في الخلاف على المنصور .
- ومضى نهار الاثنين : بعد قتال كبير وقع فيه وبات الفريقان في ليلة الثلاثاء على أهبة القتال وأصبحا على ما هم عليه من القتال والرمي بالمدافع والنفوط والسهام من الجهتين والجراحات فاشية في الفريقين إلا أن فيمن هو أسفل أكثر غير

أنه لا يؤثر فيهم لكثرتهم ولم يكن وقت الزوال حتى كثر عسكر الأمير الكبير إينال بمن يأتيه من المماليك السلطانية واستفحل أمره .

- ثم في هذا اليوم : لهج الخليفة بخلع الملك المنصور عثمان من الملك غير مرة في الملأ فقوي بذلك قلب أصحاب الأمير الكبير وجدوا في القتال وتفرقوا على جهات القلعة وجدوا في حصارها ومنعوا من يطلع إليها بالميرة وغيرها وشرع الجميع في القتال بمماليكهم وحواشيهم وفي عمل التدبير في أخذ الملك المنصور وخلعه من السلطنة وباتوا تلك الليلة على ما هم عليه.
- وأصبحوا يوم الأربعاء : والقتال عمال وأصحاب الملك المنصور تنسل منه إلى الأمير الكبير واحدًا بعد واحد .
- فلما كان يوم الخميس: أرسل الملك المنصور إلى الأمير الكبير بالأمير سونجبغا والأمير نوكار والزيني عبد الرحمن وشهاب الدين إلاخميمي ومعهم منديل الأمان للأمير الكبير ومن معه من الأمراء ليطلعوا إلى طاعة السلطان انفض المجلس على غير طائل ولم ينبرم صلح ومنع الأمير الكبير سونجبغا ونوكار من الطلوع إلى القلعة وعاد إلاخميمي بالجواب إلى السلطان.وفي الحال عاد القتال على ما كان عليه وأعلن الخليفة في هذا اليوم أيضًا بين الملأ بخلع الملك المنصور من السلطنة وسلطنة الأتابك إينال .
- وأصبح يوم الجمعة خامسه : حضر المقر الجمالي ناظر الجيش والخاص وعظيم الدولة عند الأمير الكبير فقام له الأمير الكبير واعتنقه وأجلسه بإزائه فوق الأمير خشقدم حاجب الحجاب.فعند قدومه تحقق كل أحد بزوال دولة المنصور و إقبال دولة إينال وخلع الملك المنصور في اليوم المذكور من الملك وحكم القضاة

بذلك فلما دخل وقت الصلاة خطب قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني وصلى بالأمير الكبير والخليفة وجميع العساكر بمقعد البيت المذكور ثم انصرف القضاة بعد الصلاة إلى منازلهم ثم رسم الأمير الكبير في الحال بقلع السلاح وقلع هو قبل الناس ما كان عليه وقلعت العساكر في الحال السلاح من عليهم وسكنت الفتنة كأنها لم تكن وبات الناس في أمن وسلامة.

- **وزالت دولة الملك المنصور عثمان كأنها لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه.**

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة)

(المنصور عثمان بن جقمق والأتابك اينال)

قد صار الميل الى تغيير الدول عادة عند موت كل سلطان من عهد الملك المؤيد شيخ إلى يومنا هذا بل إلى يوم القيامة لعدم أهلية الملوك ولغفلتهم عن هذا المعنى في أيام عزهم وأعجب من هذا أن أحدهم لا يزال في غفلة عن ذلك حتى يشرف على الموت فيعهد لولده بالسلطنة مع معرفته وتحققه بما يفعلونه مع ولده من بعده كما فعل بأمثاله.

وكان قد عظم ما وقع من الولاية والتغاير على أعيان الأمراء ونفرت القلوب من الظاهرية في الباطن بسبب تولية **تمربغا الدوادارية** الكبرى .

ومن يومئذ وقع الكلام في الدولة ووجد من له غرض في إثارة الفتنة مدخلًا يدخل منه وترقب الناس وقوع الفتنة غير أن الناس في سكون والبواطن مشغولة

ثم ساعدهم أيضًا من له غرض في تغيير الدول لا رغبةً في أحد بعينه بل حتى يناله ما قد أمل كل ذلك **والمنصور** ومماليك أبيه وحواشيه في غفلة عن ذلك وأكبر همهم في تفرقة الإقطاعات والوظائف وفي ظنهم أن دولتهم تدوم وأن الملك قد صار بيدهم.

هذا مع عدم التفاقم لتقريب العقلاء ومشاورة ذوي التدبير وأرباب التجارب ممن مارس تغيير الدول والحروب والوقائع وصار أحدهم إذا لوح له بعض أصحابه بشيء مما يدل على ذلك يستخف عقله ويهزأ به

وبات **الملك المنصور** وأمراؤه في ليلة الاثنين على تفرقة النفقة على **المماليك السلطانية** في غده وقد انبرم أمر القوم وتجهزوا لما عساه يكون.

ركب جماعة كبيرة من أعيان المماليك من غير لبس سلاح ووقفوا **بالرميلة** من تحت القلعة لمنع الأمراء من طلوع الخدمة.

فلم يكن إلا ساعة يسيرة من وقوفهم وقدم الأمراء إلى الرميلة يريدون طلوع القلعة فتكاثرت المماليك عليهم واحتاطوا بهم وأخذوهم غصبًا بأجمعهم وعادوا بهم إلى بيت الأمير الكبير **إينال العلائي** وهو من جملتهم .

واجتمع المماليك ومعهم الأمراء في بيت الأمير الكبير وقد كثر جمعهم وتزايد عددهم وهم بغير سلاح ولم يبق عند **الملك المنصور** من أعيان الأمراء غير **الأمير تنم أمير سلاح والأمير قاني باي الجركسي الأمير آخور الكبير والأمير تمربغا الدوادار الكبير والأمير جانبك الأستادار وبرد بك البجمقدار** .

وكان عند **الملك المنصور** من الأمراء غير مماليك أبيه جماعة لا يعتد بهم كونهم إلى الآن صفة الخاصكية فهؤلاء هم الأمراء.

ولما اجتمع القوم في **بيت الأمير الكبير** وعظم جمعهم أتاهم الأمراء والخاصكية والأعيان من كل فج حتى بقوا في جمع موفور فأعلنوا عند ذلك بالخروج عن طاعة **الملك المنصور** والدخول في طاعة الأمير **الكبير إينال والأمير الكبير** يمتنع من ذلك بلسانه فلم يلتفتوا لتمنعه.

وطلبوا الخليفة فحضر قبل تمام لبسهم السلاح .

ولما حضر **الخليفة** أظهر الميل الكلي **للأتابك** إينال وأظهر كوامن كانت عنده من **الملك** المنصور وقام مع الأمراء في **خلع** المنصور أتم قيام.

ولما تكامل لبس المماليك والأمراء السلاح طلبوا من **الأمير الكبير** الركوب معهم والتوجه إلى **بيت** قوصون تجاه **باب السلسلة** فامتنع تمنعًا ليس بذاك ثم أجابهم في الحال وركب هو والأمراء وحولهم العساكر محدقة بهم إلى أن أوصلوهم إلى **بيت** قوصون ودخلوه من باب سره الذي **بالشارع الأعظم** ونزل **الأمير الكبير** بمن معه من **الأمراء** بالمقعد من الحوش وجلس الخليفة بالقصر الفوقاني بالبيت .

وأما **الملك** المنصور لما بلغه ما وقع من القوم في بيت **الأمير الكبير** تحقق من عنده من الأمراء والأعيان ركوب الأمير الكبير وخروجه عن الطاعة .

ثم أمر **الملك** المنصور لأمرائه وحواشيه بلبس السلاح فلبسوا بأجمعهم ولبس هو أيضًا كل ذلك وآراؤهم مفلوكة وكلمتهم غير منضبطة.

ولم ينزل من القلعة أحد لحفظ **المدرسة الحسنية** مع معرفتهم أنها مسلطة على القلعة غاية التسليط هذا مع كثرتهم وقوة بأسهم بالقلعة والسلاح .

وابتدأ القوم في القتال من يوم الاثنين واشتد الحرب وجرح من الطائفتين جماعة.

ثم خرج جماعة من أصحاب الأمير الكبير لأخذ **مدرسة السلطان** حسن فامتنع من بها من فتح أبوابها فنقبوا حائطًا من جوارها مما يلي **حدرة البقر** ودخلوا منه إلى **المدرسة** وعمروا سلالم سطحها وطلعوا منه إلى مآذنها ورموا منها بالمدافع على القلعة وقوي أمر أصحاب الأمير الكبير بأخذ **المدرسة المذكورة** إلى الغاية غير أن الأمير الكبير إلى الآن يقدم رجلًا ويؤخر أخرى في الخلاف على المنصور ويحسب العواقب وصار يظهر أنه مكره على ذلك

فلم يقبل المنصور منه ما أظهره وتحقق كل أحد ما القصد بالركوب.

ثم نزل **الملك** المنصور من القصر السلطاني بأمرائه وعسكره إلى **الإسطبل السلطاني** وجلس بالمقعد المطل على **الرميلة** ونزل من عساكره جماعة مشاة من **باب السلسلة** إلى **الرميلة** لقلة وجود الخيل بالقلعة فإنه كان أيام الربيع والخيول غالبها مربوطة على القرط بالبر الغربي من الجيزة حتى إنه كان جميع ما بالقلعة من الخيول أقل من مائة فرس ومنعوا من إحضار خيولهم التي بالربيع و عز توصلهم إليها وقاتلوا القوم وهم مشاة غير مرة.

وصار أمر **الأمير الكبير** في نمو بمن يأتيه من **المماليك السلطانية** وجميعهم فرسان غير مشاة فإنه صار كل واحد منهم يرسل غلامه فيأتيه بفرسه من مربطه بالربيع بخلاف القلعيين.

ولم يكن وقت الزوال حتى كثر عسكر الأمير الكبير بمن يأتيه من المماليك السلطانية واستفحل أمره .

وشرع الجميع في القتال بمماليكهم وحواشيهم وفي عمل التدبير في أخذ **الملك** المنصور وخلعه من **السلطنة** وباتوا تلك الليلة على ما هم عليه.

وأصبحوا يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الأول والقتال عمال وأصحاب **الملك** المنصور تنسل منه إلى **الأمير الكبير** واحدًا بعد واحد ومن بقي منهم عند **الملك** المنصور لا يلتفت إلى من ذهب بل هو على ما هو عليه من القتال لكثرة عددهم وللقيام بنصرة ابن أستاذهم فكان **في يوم الأربعاء هذا** وقعات بين الطائفتين بالمناوشات لا بالمقابلة وباتوا على ذلك.

فلما كان يوم الخميس رابع شهر ربيع الأول أرسل الملك المنصور إلى الأمير الكبير بالأمير سونجبغا و نوكار و ابن الكويز والإخميمي ومعهم منديل الأمان للأمير الكبير ومن معه من الأمراء ليطلعوا إلى طاعة السلطان.

وترددوا بين **الملك** المنصور **والأتابك** **إينال** غير مرة في عمل الصلح وكثر الكلام بينهم إلى

أن انفض المجلس على غير طائل ولم ينبرم صلح ومنع **الأمير الكبير** سونجبغا ونوكار من الطلوع إلى القلعة وعاد إلاخيمي بالجواب إلى **السلطان**.

وأعلن الخليفة في هذا اليوم بين الملأ بخلع **الملك** المنصور من السلطنة **وسلطنة الأتابك** إينال **والأتابك** إينال يمتنع من ذلك في ذلك الوقت حتى ينظر ما يكون من أمر الملك المنصور ومحاصرته.

هذا وقد ضعف أمر **الملك** المنصور واستفحل أمر **الأتابك** إينال غير أن الرمي من القلعة بالمدافع وغيرها مستمر وهلك من ذلك جماعة كبيرة من عساكر **الأمير الكبير** ومن الأجناد والعامة والمتفرجين.

وأصبح يوم الجمعة خامسه حضر المقر الجمالي ناظر الجيش والخاص وعظيم الدولة عند الأمير الكبير فقام له الأمير الكبير واعتنقه وأجلسه بإزائه فوق الأمير خشقدم **حاجب الحجاب.**

ثم سأل **قاضي القضاة** من حضر المجلس عن سلطنة **الأمير الكبير** إينال عليهم فصاحوا بأجمعهم: " **نحن راضون بالأمير الكبير** " وكرر **القاضي** عليهم القول غير مرة وهم يردون الجواب كمقالتهم أولًا.

وفرحوا بذلك وسروا غاية السرور وانفض المجلس على خلع **الملك** المنصور وسلطنة **الأتابك** إينال غير أنه لم يلبس خلعة السلطنة ولا ركب بشعار الملك: ترك ذلك لوقته.

وكنت أنظر في تلك الأيام إلى وجه **الأمير الكبير** لأتحقق هل هو مسرور أم محزون فلا أعرف هذا منه لثباته في سائر أحواله وسكونه وعقله فإنه كان ينفذ الأمور على أحسن وجه من غير اضطراب ولا هرج بتأن وتؤدة وكلما وقع من أصحابه ما يخالف ذلك يأخذ في تسكينهم وثباتهم على القتال من غير عجلة ثم يقول لهم:

" **القلاع ما تؤخذ إلا بالصبر والثبات والتأني** ".

هذا مع مبالغة أصحاب **الأمير الكبير** في القتال لا سيما من يوم حضر **المقر الجمالي ناظر الجيوش** والخاص ثم حضر **القضاة** وخلع **الملك المنصور** في **يوم الجمعة** فمن يومئذ بذلوا نفوسهم لنصرة **الأمير الكبير** وخوفًا من أن يصير **للملك المنصور** عليهم دولة فسيكون فناؤهم على يديه وأيضًا إنهم تحققوا سلطنة **الأتابك إينال** فاشتاقت نفوسهم لما عساه ينالهم من الإقطاعات والوظائف وغير ذلك فاقتحموا إلاهوال لذلك من غير صبر ولا تأن .

صارت أمراء الألوف تخاطب **الأمير الكبير** وهم وقوف وصار لا يقوم لأحد منهم عند ذهابه وإيابه.

هذا وقد تحقق أهل القلعة زوال ملك **الملك المنصور** وهم على ما هم عليه من الشدة في القتال والقيام بنصرة ابن أستاذهم غير أنهم كما قيل في إلامثال: " **سلاح حاضر وعقل غائب** " لكونهم شبابًا لم تمر بهم التجارب ولا لهم ممارسة بالحروب ولا يعرفون نوعًا من أنواع الخديعة والمكر بأخصامهم

انحاز السلطانية إلى **باب السلسلة** فكان في هذا اليوم حرب بين الطائفتين لم يقع مثله في الستة أيام الماضية.

فلما دخل القوم إلى الميدان ولت **المنصورية** الأدبار وقام **السلطان الملك المنصور عثمان** من مجلسه بمقعد الإسطبل السلطاني وطلع إلى القصر الأبلق من قلعة الجبل ومعه جماعة كبيرة من مماليك أبيه وغيرهم من **الأمراء والخاصكية** ودخل **قاني باي الجركسي** إلى مبيت الحراقة من الإسطبل ودام **الأمير تنم** بالمقعد مستعزًا بخجداشيته **المؤيدية** وغيرهم.

وتمزقت عساكر **المنصور** في الوقت كأنها لم تكن من غير أمر أوجب ذلك وتركوا **باب السلسلة** وفروا منه قبل أن يطلع إليه واحد من أصحاب **الأتابك إينال** ثم فعلوا ذلك أيضًا

بقلعة الجبل وتركوها وأبوابها مفتحة ولم يقاتلوا بها ساعة واحدة وتمزقوا كل ممزق.

وكان يمكنهم أن يقاتلوا القوم بالميدان أيامًا فإن الميدان لا فرق بينه وبين **الرميلة** وليس بينه وبين **باب السلسلة** تعلق.

وأيضًا ولو ملكت أصحاب **الأمير الكبير باب السلسلة** والإسطبل السلطاني كان يمكنهم القتال من القلعة أيامًا إذ ليس للقلعة تعلق بالإسطبل: وقد ملك **المؤيد** **شيخ** أيام إمرته الإسطبل من **الأمير أرغون** **الأمير آخور** نائب غيبة الملك **الناصر فرج** ودام به أيامًا ولم يقدر على أخذ **القلعة** ولا توصل إليها بوجه من الوجوه وكان مع **الملك** المؤيد أقوام هم هم وأيضًا لم يكن **بالقلعة** يوم ذاك بعض من كان بها الآن ووقع ذلك لخلائق من الملوك أنهم ملكوا **باب السلسلة** ولم يقدروا على أخذ القلعة.

والمقصود من هذا الكلام أن ليس **للقلعة** علاقة **بباب السلسلة** إلا في **الأمن والرخاء** لا غير كل ذلك وأنه ليس عندهم من يدبر أمورهم وإلا فكان يمكنهم أن يطلعوا إلى القلعة ويحصنوها ويقاتلوا بها أيامًا حتى تعمل مصالحهم وإذا سلموها يعطوها بالأمان والرضا هذا إذا لم يكن لهم نهضة للهروب والخروج من **الديار المصرية** والاختفاء في مكان من إلامكنة من **القاهرة** كما فعل غيرهم من الملوك السالفة.

ولما بلغ الأمير **الكبير** **إينال** طلوع **الملك المنصور** من **الإسطبل السلطاني** إلى **القصر الأبلق** ندب في الحال الأمير **جرباش المحمدي** إلى الطلوع إلى **باب السلسلة** وتسليم **الإسطبل السلطاني** ولم يتحرك **الأمير الكبير** من مكانه ولا ظهر عليه فرح ولا كآبة.

وطلع **الأمير جرباش** إلى **باب السلسلة** بعد أن استولى أصحاب **الأمير الكبير** عليها.

ولما طلع **الأمير جرباش** إلى الإسطبل وملك **باب السلسلة** قام **الأمير الكبير** عند ذلك من مقعد بيت **الأمير** **قوصون** وركب فرسه وخرج منه في موكب عظيم إلى الغاية **والخليفة** عن

يمينه **وتنبك البردكي** أمير مجلس عن يساره والعساكر بين يديه محدقة به وقد وقفت الخلائق دهليزًا لرؤيته حتى سار من **بيت قوصون** تجاه **باب السلسلة** إلى أن طلع إليها وجلس بالحراقة من باب السلسلة فحال جلوسه تفرقت العساكر في قبض أعيان الأمراء الظاهرية وغيرهم فقبضوا منهم على جماعة كثيرة.

ثم رسم **الأمير الكبير** في الحال بقلع السلاح وقلع هو قبل الناس ما كان عليه وكان لبسه في تلك الأيام كلها قرقل مخمل أحمر بغير أكمام.

وقلعت العساكر في الحال السلاح من عليهم وسكنت الفتنة كأنها لم تكن وبات الناس في أمن وسلامة.

على أن **القاهرة** كانت في مدة هذه الأيام والقتال عمال في كل يوم في غاية الأمن والحوانيت مفتحة والناس في بيعهم وشرائهم وأكثرهم جالس بالدكاكين للفرجة على من يمر عليهم من العساكر الملبسة بل كان يتوجه منهم أيضًا جماعة كبيرة إلى الرميلة للفرجة على القتال كما كان يتوجه بعضهم للفرجة على المحمل وغيره.

ولم تقفل أبواب **القاهرة** في هذه المدة ولا شوشت **الزعر** على أحد بل كان كل واحد يمضي إلى حال سبيله والقتال عمال بين الطائفتين لا يصيب من العامة إلا من توغل منهم بين المقاتلة فهذا أيضًا من الغرائب.

على أننا لا نعلم وقعة كانت بمصر تطول هذه المدة ولا حوصرت قلعة الجبل سبعة أيام إلا في هذه الواقعة.

وتسحب **الملك المنصور** من الإصطبل، وطلع إلى الدور السلطانية بقلعة الجبل، وجلس بمكان، إلى أن أخذ منه، واحتفظ به بقاعة البحرة من الحوش السلطاني، إلى **يوم الأحد ثامن عشرين شهر ربيع الأول** وحمل مقيدا إلى ثغر **الأسكندرية** راكبا على فرس مقيدا

بمفرده، من غير أن يركب خلفه أوجاقى على العادة، والأمراء والخاصكية حوله بسلاح وغير سلاح ونزلوا به من **باب القرافة** ومروا به على **المجراة** إلى **القرافة** إلى البحر وأنزلوه من وقته **بالحراقة**؛ فسافر من يومه .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 54)

الفصل السادس عشر



الأشرف اينـــال

1) ترجمة الملك الأشرف اينال :

معنى اينال = الموثوق به – المؤمن Inal

(عبد الله عطية – معجم معاني اسماء سلاطين المماليك)

وهو السلطان السادس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، والثاني عشر من الجراكسة وأولادهم .

المعروف بالأجرود، الأمير سيف الدين أتابك العساكر بالديار المصرية.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 209/3)

جاركس الجنس جلبه **خواجا علاء الدين** إلى **مصر**؛ فاشتراه الملك **الظاهر برقوق**، ودام في الرق، إلى أن أعتقه الملك **الناصر فرج**، وجعله في أواخر دولته خاصكيا .

(ابن تغري بردي – مورد للطافة 168)

ثم **تأمر عشرة** في دولة **المظفر أحمد بن شيخ** ، ثم صار من جملة الدوادارية في الدولة المؤيدية شيخ .

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 209/3)

ثم جعله **الأشرف برسباى أمير طبلخاناه** ورأس نوبة ثم صار **رأس نوبة** ثاني ثم نقل إلى **نيابة غزة** ، ثم نقله **الأشرف برسباى** لما توجه إلى **آمد** إلى نيابة **الرها**؛ فدام بها، إلى أن عزله عنها .

(ابن تغري بردي – مورد للطافة 168)

ثم لما ولي **الرها** ولاه نيابتها مع تمنع زائد وأمده فيها بالسلاح والمال والعليق وغير ذلك لخرابها حينئذ وجعل عنده مائتي مملوك لحفظها ثم أنعم عليه بتقدمة بمصر زيادة على ما بيده ثم عزله عن الرها بعد نحو ثلاث سنين وأقام مقدما مدة ثم نقله لنيابة صفد

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 329/2)

وقدم إلى **مصر**، على إمرة مائة وتقدمة ألف – وكانت بيده زيادة على نيابة **الرها** فدام **بمصر**، إلى أن ولاه **الملك الأشرف** نيابة **صفد** .

(ابن تغري بردي – مورد للطافة 168)

وسافر لغزو الفرنج مقدما غير مرة بل كان من جملة الأمراء في غزوة قبرص .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 329/2)

ولاه **الظاهر جقمق دوادارا كبيرا** بعد موت **تغرى بردى البكلمشي المؤذي** .

(ابن تغري بردي – مورد للطافة 168)

فباشر الدوادارية إلى أن خلع عليه باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية، واستمر في الأتابكية بديار مصر، إلى أن تسلطن بعد أمور جرت بينه وبين الملك المنصور عثمان بن جقمق.

(ابن تغري بردي – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 211/3)

تسلطن بعد خلع الملك المنصور عثمان في صبيحة يوم الأثنين ثامن شهر ربيع الأول من سنة سبع وخمسين وثمانمائة ,وتم أمره في الملك، وطالت أيامه، وحسنت، لولا ما شان سؤدده أفعال مماليكه الأجلاب .

واستمر في الملك، إلى أن مات في يوم الخميس خامس عشر جمادى الأولى بعد أن خلع نفسه من الملك بيوم واحد .

(ابن تغري بردي – مورد للطافة 168)

وقد قارب الثمانين بعد مرضه نحو نصف شهر وصلى عليه بباب القلة من القلعة ثم دفن بالقبة من مدرسته التي أنشأها بالصحراء **فكانت مدة مملكته ثمان سنين وشهرين وستة أيام** .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 329/2)

وتسلطن ولده **الملك المؤيد أحمد**، وصلى عليه بباب القلة، ودفن من يومه قبيل العصر بقبته التي بناها **بمدرسته خارج القاهرة ، وقد ناهز الثمانين من العمر** .

وكانت صفته: للسمرة أقرب، طوالا رقيق الوجه نحيف اليد لحيته في حنكه وهي شعرات بيض ولهذا كان لا يعرف إلا **بإينال** الاجرود وفي كلامه رخو مع خنث كان في لهجته .

وكانت أيامه غرر أيام ؛ لقلة ظلمه، وعدم سفكه للدماء، ولتجاوزه عن الذنوب والخطأ، إلا أنه لم يسلم من سوء سيرة مماليكه، وإلا كان خير ملوك الترك – رحمه **الله** .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 157)

وكان له محاسن ومساوىء والأول أكثر.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 157)

فأما محاسنه فكان ملكًا جليلًا عاقلًا رئيسًا سيوسًا كثير الاحتمال عديم السر غير سباب ولا فحاش في حال غضبه ورضاه.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 157)

وكان عارفًا بالأمور والوقائع والحروب شجاعًا مقدامًا كثير التجارب للخطوب والقتال عظيم التروي في أفعاله ثابتًا في حركاته ومهماته له معرفة تامة بملوك الأقطار في البلاد الداخلة في حكمه وفي الخارجة عن حكمه أيضًا عارفًا بجهات ممالكه شرقًا وغربًا وفهمًا بفنون الفروسية وأنواعها لا يحب تحرك ساكن ولا إثارة فتنة وعنده تؤدة في كلامه واحتمال زائد يؤديه ذلك إلى عدم المروءة عند من لا يعرف طباعه.

ومن محاسنه أنه منذ سلطنته ما قتل أحدًا من الأمراء ولا من الأجناد الأعيان على قاعدة من تقدمه من الملوك إلا من وجب عليه القتل بالشرع أو بالسياسة وأيضًا أنه كان قليلًا ما يحبس أحدًا أو ينفيه سوى من حبس في أوائل دولته من أعيان الأمراء كما هي عوائد أوائل الدولة.

ثم بعد ذلك لم يتعرض لأحد بسوء إلا انه نفى جماعة عندما ركبوا عليه ثانيًا في حدود سنة ستين وخلع **الخليفة القائم بأمر الله حمزة** بسبب موافقته لهم على قتاله ثم حبسه بالإسكندرية وهو معذور في ذلك ولو كان غيره من الملوك لفعل أضعاف ذلك بل وقتل منهم جماعة كثيرة.

وبالجملة فكانت أيامه سكونًا وهدوءًا ورياقة وحضور بال لولا ما شان سؤدده من مماليكه الأجلاب وفسدت أحوال الديار المصرية بأفعالهم القبيحة ولولا أن **الله** تعالى لطف بموته لكان حصل الخلل بها وربما خربت وتلاشى أمرها.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 158)

كثير الاحتمال صبورا بعيدا عن إثارة الفتن والشرور شجاعا مقداما عارفا بالحروب والوقائع بأنواع الملاعب من الفروسية متحريا في سفك الدماء والحبس يحسب كثيرا من العواقب الدنيوية .

وأنشأ المدرسة التي دفن فيها والتربة المقابلة لها وهما في غاية الحسن ووسع الشارع الذي بين القصرين عند بناية الحمامين والربع والقيسارية وغير ذلك وبالجملة ففيه محاسن معدودة .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 329/2)

فكان ملكا جليلا، شهما، وجيها، شجاعا، مقداما، جلدا، عاقلا، سيوسا، دربا، محتكما، حليما، عارفا بأنواع الفروسية والأنداب، له إحاطة خبرة بملوك الأقطار النائية عنه، كثير التأنّي، ساكنا في حركاته، كثير الأدب والحشمة، صادق اللهجة، سليم الفطرة، عارف بجهات ممالكه، ينزل الناس منازلهم،

غير مقدام على سفك الدماء، حتى قيل عنه إنه لم يسفك دما في مدّة سلطنته بغير وجه شرعيّ، وهي من نوادره، كثير الاحتمال، فصيحا بلغة الترك،

(عبد الباسط الملطي – نيل الأمل في ذيل 102/6)

وتزوج **السلطان** من **خوند زينب بنت علي خاص بك** بعد أخت لها ماتت تحته ولم ينفك عنها ولا بعد تملكه حتى مات ولم يتزوج عليها بل ولا تسرى وكل أولاده منها بحيث انفرد عن سائر الملوك بذلك كما انفردت هي عن سائر الخوندات بالمزيد من نفوذ الكلمة ووفور الحرمة وطواعية السلطان جدا لأوامرها حتى كان لا اختيار له معها، وحجت في أيام عزها فكان أمرا زائدا على الحد وعوفيت من مرض مرة فطلعت من بيتها ببولاق الى القلعة في محفة وكل من ولدها وصهريها الداودار الكبير والثاني والزمام والخازندار بحواشيهم وغيرهم أمام محفتها وآخرون من الخدام والخدم والمماليك بجوانبها وخلفها الى غير ذلك من الخوندات ونساء الأمراء والمشاعل والشموع والفوانيس والأمر في عظمتها فوق هذا كله، وتزايدت ثروتها إلى حد لا يحصر وأنشأت الدور الكثيرة وعملت رباطا حسنا للأرامل بالقرب من زاوية بني وفا في حارة عبد الباسط وأضيف إليها من الجهات ما الله به عليم ، ثم بعد صارت مرعية **بالأشرف قايتباي** سيما وقد تزوج عظيم دولته الدوادار الكبير ابنة ولدها وسافرت وابنها في اسكندرية اليه وماتت و دفنت بتربة زوجها وقد قاربت الثمانين رأت احفاد أولادها عفا الله عنها وسامحها ورحمها .

(السخاوي – الضوء اللامع)

وترك من الابناء المؤيد احمد الذي تسلطن بعده والامير محمد وخوند بدرية (زوجة الامير بردبك الدوادار) وخوند فاطمة (زوجة الأمير يونس الدوادار) .

وأما مساوئه :

فكان بخيلًا شحيحًا مسيكًا يبخل ويشح حتى على نفسه. , عاريًا من العلوم والفنون المتعلقة بالفضائل.

وكان أميًا لا يعرف القراءة والكتابة حتى كان لا يحسن العلامة على المناشير هذا مع طول

مكثه في السعادة والرياسة والولايات الجليلة ثم السلطنة , ومع هذا لم يهتد إلى معرفة الكتابة على المناشير ولا غيرها .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 157)

ولعله كان لا يحسن **قراءة الفاتحة** ولا غيرها من **القرآن العزيز** فيما أظن.

وكانت صلاته للمكتوبات صلاة عجيبة نقرات ينقر بها لا يعبأ الله بها , وكان مع هذه الصلاة العجيبة لا يحب التملق ولا إطالة الدعاء بعد الصلاة بل ربما نهى الداعي عن تطويل الدعاء .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 157)

مع لين ربما يؤدي إلى خراب الإقليم وقلة المروءة بل أدى إلى تجرئ مماليكه عليه بالرجم وغيره وعلى سائر الرعايا بجميع أنواع الفسق والكبائر بحيث غطى ذلك جميع ما لعله يذكر في حسناته خصوصا وميله إليهم أكثر واعتذاره عنهم أشهر هذا مع مزيد شحه ومحبته للمال من أي وجه كان ولذا تزايدت الرشوة في أيامه وبذلك الأموال فيما لم تجر العادة بالبذل .

وانقاد في أموره كلها لزوجته فتزايد البلاء وعم الضرر سيما للفقهاء وأهل العلم بالنسبة للجوالي والوظائف مما في شرحه طول .

غير راغب في بر ولا قربة بل هو عديم الصدقة عري عن الانقياد إلى الخير تام البلادة وما أظن السبب في قصر مدته وإلا فهو نقيضه بكل وجه.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 329/2)

ويعاب بالبخل والشحّ، وعرائه عن الفضائل العلمية وأمّيّته، مع نوادر تختصّ به.

(عبد الباسط الملطي – نيل الأمل في ذيل 102/6)

2) حوليات الاشرف اينال :

(سنة سبع وخمسين وثمانمائة)

- شهر ربيع الأول : طلع أعيان الدولة والعساكر إلى الإسطبل السلطاني و الخليفة والقضاة الأربعة وسائر أمراء الدولة وبويع الأمير إينال بالسلطنة
- وفيه : خلع السلطان على جماعة كبيرة بعدة وظائف: فخلع على ولده المقام الشهابي أحمد باستقراره أتابك العساكر عوضًا عن نفسه.
- وفيه : اشيع كلام بسبب تولية السلطان ولده أحمد أتابكًا عوضه وأن ذلك بخلاف العادة فخارت طباع الأشرف من غير أمر يوجب ذلك وأصبح من الغد فخلع على الأمير تنبك البردبكي باستقراره أتابك العساكر عوضًا عن ولده .
- وفيه : رسم السلطان أن يحط عن البلاد بالوجه القبلي والبحري وسائر الأعمال ربع ما كان يطرح عليهم قبل ذلك في أيام الظاهر جقمق من إلاطرون وسر الناس بذلك وتباشروا بزوال الظلم وإزالة المظالم.
- في شهر رجب : أدير المحمل على العادة ولعبت الرماحة وكان الملك الظاهر جقمق أبطل ذلك فأعاده الملك الأشرف وسر الناس بعمله غاية السرور.
- في شوال : ورد إلى الديار المصرية قاصد خوندكار محمد بك بن مراد بن عثمان متملك بلاد الروم لتهنئة السلطان بالملك وأيضًا يخبره بما من الله عليه من فتح مدينة إسطنبول ولله الحمد والمنة على هذا الفتح العظيم وجاء القاصد ومعه أسيران من عظماء إسطنبول وطلع بهما إلى السلطان فسر السلطان والناس قاطبة بهذا الفتح العظيم سرورًا زائدًا ودقت البشائر لذلك وزينت القاهرة بسبب ذلك أيامًا.

(سنة ثمان وخمسين وثمانمائة)

- وفي ذي الحجة : نزلت المماليك الجلبان الأشرفية من الأطباق وهجمت دار الأستادار الأمير ناصر الدين محمد بن أبي الفرج ونهبوا جميع ما كان له في

داره من غير أمر أوجب ذلك فلم يسع الأستادار إلا الاستعفاء وهذا أول ظهور أمر مماليك الأشرف الجلبان وما سيأتي فأعظم.

(سنة تسع وخمسين وثمانمائة)

- في جمادى الآخرة : كانت وقعة المماليك الظاهرية مع الملك الأشرف إينال وتفرقت من يوم ذاك أجلاب السلطان فرقتين: فرقة اشتراهم من كتابية الظاهر جقمق وابنه وفرقة اشتراهم هو في أيام سلطنته وقويت الفرقة الذين اشتراهم على الفرقة الظاهرية ومنعوهم من الطلوع إلى القلعة والسكنى بالأطباق وقالوا ما معناه: " إنكم سودتم وجوهنا عند أستاذنا " ولما انتهت الوقعة وخلع السلطان الخليفة أمسك جماعة من المماليك الظاهرية وحبسهم بالبرج من قلعة الجبل ونفى بعضهم واختفى بعضهم وسكن الأمر كأنه لم يكن لحسن سياسة السلطان في تسكين أخلاط الفتن .
- وفي ذي القعدة : رسم السلطان بهدم تربته التي كان أنشأها أيام إمرته وأعادها مدرسة .

(سنة ستين وثمانمائة)

- وفي المحرم : نزلت المماليك الأجلاب من الأطباق وقصدوا بيت الوزير فرج بن النحال لينهبوا ما فيه فلما دخلوا البيت لم يجدوا فيه ما يأخذونه فمالوا على من هو ساكن بجواره فنهبوهم بحيث إنهم أخذوا غالب متاع الناس .
- وفي جمادى الآخرة : استقر في الأستادارية سعد الدين فرج بن النحال الوزير عوضًا الأمير زين الدين الأستادار فلما سمعت المماليك الأجلاب بهذا العزل والولاية نزلوا من وقتهم غارة إلى بيت الأستادار لينهبوه فمنعهم مماليك زين الدين وقاتلوهم وأغلقوا الدروب فلما عجزوا عن نهب بيت زين الدين نهبوا بيوت الناس وفعلوا

بالمسلمين أفعإلا لا تفعلها الكفرة ولا الخوارج مبالغة وهذا أعظم مما كان وقع منهم من نهب جوار بيت الوزير فرج فكانت هذه الحادثة من أقبح الحوادث الشنيعة التي لم نسمع بأقبح منها في سالف إلاعصار ومن ثم دخل في قلوب الناس من المماليك الأجلاب من الرجيف والرعب أمر لا مزيد عليه لعلمهم أنه مهما فعلوا جاز لهم وأن السلطان لا يقوم بناصر من قهر منهم.

- **وفي هذه الأيام** : كان الفراغ من مدرسة السلطان التي بالصحراء وقرىء بها ختمة شريفة وحضرت الأعيان من الأمراء ما خلا السلطان.
- **وفي رمضان** : نودي بالقاهرة من قبل السلطان بعدم تعرض المماليك الأجلاب إلى الناس والباعة والتجار فكانت هذه المناداة كضرب رباب أو كطنين ذباب.

(سنة إحدى وستين وثمانمائة)

- **وفي صفر** : ثارت المماليك الأجلاب على السلطان وأفحشوا في أمره إلى الغاية.
- **وفي هذه السنة** : كان فراغ الربع والحمامين اللذين بناهما السلطان الملك الأشرف إينال بخط بين القصرين.
- وفرغت هذه السنة وقد انحل أمر حكام الديار المصرية أرباب الشرع الشريف والسياسة أيضًا لعظم شوكة المماليك الأجلاب وصار من له حق عند كائن من كان من الناس قصد مملوكًا من المماليك الأجلاب في تخليص حقه فصار كل أحد يستعين بهم في قضاء حوائجه وترك الناس الحكام فقوي أمر الأجلاب وضعفت شوكة الحكام وتلاشى أمرهم إلى الغاية والنهاية.

(سنة اثنتين وستين وثمانمائة)

وفي ربيع الأول : نودي من قبل السلطان على الذهب بأن يكون سعر الدينار الذهب

بثلاثمائة درهم نقرة بعدما كان وصل سعر الدينار لأربعمائة وستين درهمًا الدينار وأن يكون سعر الفضة المغشوشة كل درهم بستة عشر درهمًا وحكم السلطان بذلك ونفذ حكمه القضاة وسر الناس بهذا الأمر غاية السرور فإنه كان حصل بتلك الفضة المغشوشة غاية الضرر في المعاملات وغيرها.

غير أنه ذهب للناس بهذا النقص في سعر الفضة المغشوشة مال كثير وصار كل أحد يخسر ثلث ما كان معه من المال و نقص ثلث ثمن جميع البضائع في المأكول والملبوس فهان عند ذلك وقال كل واحد في نفسه: " كما نقص من مالي الثلث نقص من ثمن ما كنت أبتاعه الثلث " فكأنه لم ينقص له شيء.

(سنة أربع وستين وثمانمائة)

أهلت هذه السنة والناس في جهد البلاء من غلو الاسعار وظلم المماليك الأجلاب الذي خرج عن الحد وعدم الأمن وكثرة المخاوف في الازقة والشوارع بحيث إن الشخص صار لا يقدر على خروجه من داره بعد أذان عشاء الآخرة حتى ولا لصلاة الجماعة ولو كان جار المسجد وإن أذن العشاء والشخص خارج عن داره هرول في مشيه واسرع لئلا تغلق عليه الدروب التي عمرتها رؤساء كل حارة خوفا على بيوتهم من المناسر والحرامية لأن والي القاهرة خيربك حط عنه أمور الناس وانعكف على ما هو عليه من المفاسد وسببه أنه علم أن الذي يتعبث على الناس أو يسرق إنما هو من المماليك الأجلاب أو من أتباعهم وعلم مع ذلك ميل السلطان إلى الأجلاب واتفق بعد ذلك كثرة السراق وفتح البيوت وهجم المناسر على الحارات وكلمه السلطان في ذلك بكلام خشن ووبخه في الملأ وكاد أن يفتك به فأوهم الوالي السلطان بالتلويح في كلامه أن الذي يفعل ذلك إنما هو من المماليك الأجلاب وكان الذي لوحه الوالي إلى

السلطان قوله: " يا مولانا السلطان أنا ما لي شغل ولا حكم على من يلبس طاقية يعني المماليك وما حكمي إلا على العوام والحرامية " فسكت السلطان ولم يكلمه بعد ذلك إلا في غير هذا المعنى فوجد الوالي بذلك مندوحة لسائر أغراضه وحط عنه واستراح وانحل النظام وضاعت حقوق الناس وأخذ كل مفسد يتزيا بزي الجند ويفعل ما أراعه وصار الوالي هو كبير الحرامية ولا قوة إلا بالله.

- وفي هذه الأيام : فشا الطاعون بالقاهرة .
- جمادى الآخرة : كثر الوباء بالديار المصرية وانتشر بها وبظواهرها , هذا مع الغلاء المفرط في الإسعار وظلم المماليك الأجلاب فصارت الناس بين ثلاثة أمور عظيمة: الطاعون والغلاء والظلم وهذا من النوادر وقوع الوباء والغلاء معًا في وقت واحد فوقع ذلك وزيد ظلم الأجلاب ولله الأمر.

  وفيما حكيناه كفاية عن فعل هؤلاء الظلمة " إلا لعنة الله على الظالمين ".
- وكان الذي مات من المماليك الأجلاب الإينالية في هذا الطاعون إلى جمادى الآخرة ستمائة مملوك وثلاثين مملوكًا إلى لعنة الله وسقر إلى حيث ألقت.
- في شعبان : خف الطاعون من الديار المصرية بالكلية فكان عدة من مات في هذا الطاعون من المماليك الأجلاب الإينالية فقط ألفًا وأربعمائة نفر فالله يلحق بهم من بقي منهم .
- وفيه : وقع في المملكة أمر شنيع وهو أن السلطان جمع أعيان الفرنج القبارصة في الملأ بالحوش السلطاني وأراد بقاء الملكة صاحبة قبرص على عادتها وكان أخوها حاضر الموكب فعز عليه ولاية أخته وإبقاؤها على ملك جزيرة قبرص مع وجوده فقام على قدميه واستغاث وتكلم بكلام معناه أنه قد جاء إلى مصر والتجأ

إلى السلطان ودخل تحت كنفه وأنه أحق بالملك من أخته وبكى فلم يسمع السلطان له وصمم على ولاية أخته وأمره بالنزول إلى حيث هو سكنه فما هو إلا أن قام جاكم وخرج من باب الحوش ثم خرج بعده أخصامه حواشي أخته وعليهم الخلع السلطانية فمدت الأجلاب أيديها إلى أخصام جاكم من الفرنج وتناولوهم بالضرب وتمزيق الخلع واستغاثوا بكلمة واحدة أنهم لا يريدون إلا تولية جاكم هذا مكان والده.وعظمت الغوغاء فلم يسع السلطان إلا أن أذعن فى الحال بعزل الملكة وتولية جاكم فتولى جاكم على رغم السلطان .

- جمادى الأولى: مرض السلطان الملك الأشرف إينال مرض الموت ولزم الفراش.
- ثم في ثاني عشره : أرجف بموت السلطان وأصبح الناس في هرج وماجوا ووقف جماعة من العامة عند باب المدرج فنزل إليهم الوالي وبدد شملهم ثم نودي في الحال بالأمان وأن أحدًا لا يتكلم بما لا يعنيه فسكن الأمر .
- فلما كان ضحوة يوم الأربعاء : طلب الخليفة والقضاة الأربعة إلى القلعة وطلعت الأمراء والأعيان واجتمعوا الجميع بالدهيشة فلم يشك أحد في موت السلطان فلم يكن كذلك بل كان الطلب لسلطنة المقام الشهابي أحمد .
- ومات في يوم الخميس : بعد خلعه نفسه بيوم واحد بين الظهر والعصر فجهز من وقته وغسل وكفن وصلي عليه بباب القلة من قلعة الجبل ودفن من يومه بتربته التي عمرها بالصحراء وقد ناهز الثمانين من العمر .

الفصل السابع عشر



أحمد بن اينــال

1) ترجمة الملك المؤيد احمد بن اينال :

أحمد بن اينال المؤيد الشهاب أبو الفتح بن الأشرف أبي النصر العلائي الظاهري ثم الناصري من ذرية الظاهر بيبرس فأمه ابنة ابن خاص بك.

ولد في سنة **خمس وثلاثين وثمانمائة** بغزة حين كان أبوه بها ونشأ فقرأ **عند العلاء الغزي** وغيره وترقى في أيام أبيه وكانت حجته هائلة تضرب بها الأمثال .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 246/1)

وهو السلطان السابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم، والثالث عشر من الجراكسة وأولادهم .

تسلطن في يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى ، وذلك بعد خلع الملك **الأشرف أينال** نفسه من السلطنة، وجعل الأمر في ولده هذا .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 218/16)

وأفيض على **أحمد** شعار السلطنة، وتعمم وتقلد السيف وقيد له فرس النوبة، وركب من الدهيشة قاصدا القصر، والكل مشاة بين يديه، ما عدا الخليفة، فإنه أركب فاستضعف عليه المركوب، فنزل ومشى، وأذن **لخشقدم** أمير سلاح بحمل القبة والطير على رأس السلطان، وقد ترشح للأتابكية، وسار السلطان في موكب حافل جدا حتى أنزل بالقصر ودخله، ورفع على سرير الملك، وقام الكل بين يديه بعد أن لقب **بالمؤيد**، وكني **بأبي الفتح**. وخلع على الأتابك **خشقدم** وعلى الخليفة. وخرج المنادي بشوارع القاهرة بسلطنته والدعاء له **وكان سنه يوم بويع بالسلطنة نيفا وثلاثين سنة.**

ولم نر في شعار الملك سلطانا أليق منه في يوم بيعته.

(عبد الباسط الملطي – نيل الأمل في ذيل الدول 114/6)

ولما تم أمره في الملك أخلع على **الأمير خشقدم أمير سلاح** باستقراره **أتابك العساكر**، عوضا عن نفسه .

ثم أخذ في تدبير أمور المملكة، وعمل مصالحها، وساس الناس أحسن سياسة وسر الناس بسلطنته قاطبة، وأمنت السبل في أيامه، واطمأن كل أحد على نفسه وماله، لاسيما لما قمع مماليك أبيه الأجلاب، ونهرهم عن أفعالهم القبيحة؛ فخافوه، وانتهوا عن أفعالهم؛ فزاد سرور الناس به أضغاف سرورهم أولا .

حصل الأمن في جميع الأعمال برًا وبحرًا شرقًا وغربًا ووقع رعب السلطان في قلوب المفسدين حتى صار أحدهم لا يستطيع أن يخرج من داره فكيف يقطع الطريق فانطلقت الألسن بالدعاء **للملك المؤيد** وتبارك كل أحد بقدومه واستيلائه على الأمر ومالت النفوس إلى محبته ميلًا زائدًا خارجًا عن الحد لذلك فكل من أحبه فهو معذور لما قاست الناس منهم أيام أبيه من تلك إلافعال القبيحة.

على أن **الملك المؤيد** أيضًا كان له في أيام **والده** مساوىء كثيرة فلما تسلطن ترك ذلك كله كأنه لم يكن وأقبل على العدل وإرداع المفسدين فبدل في أيامه الجور بالعدل والخوف بالأمن والراحة بعد التعب ولله الحمد.

وانطلقت الألسن له بالدعاء والابتهال سرًا وعلانية وسر بسلطنته كل أحد من الناس ومالت القلوب إليه لولا تكبر كان فيه وعدم التفات إلى الأكابر وهذا كان أكبر الأسباب لتوغر خواطر الأمراء منه وإلا فكان أهلًا للسلطنة بلا نزاع.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 225/16)

وبالجملة؛ فهو أحسن ملوك مصر وجها، ومعرفة، وحذقا، وتدبيرا، وسياسة؛ إلا أنه لم يجد له معين ولا منصف، بل تحاملوا عليه، واتفقت جميع الطوائف على خلعه، من غير

أمر أوجب ذلك , وما ذاك، إلا أنه كثير المحاسن، أهلا للسلطنة، والدهر لا ينصف مثل ذلك ، ولا يرفع إلا ناقصا كما هي عادته فيما نرى .

ولا زالوا يدبرون عليه حتى خلعوه من الملك، وسلطنوا عوضه **الأتابك خشقدم**.

وكانت مدة سلطنته على مصر أربعة أشهر وخمسة أيام، مرت كلمح البصر من حسن أوقاتها .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 172)

ودام **الملك المؤيد** بالحوش السلطاني **بقلعة الجبل إلى يوم الثلاثاء حادي عشرين شهر رمضان** فرسم **السلطان الملك الظاهر خشقدم** بتوجهه وتوجه أخيه **محمد** إلى سجن **الإسكندرية**.

وجلست الناس بالحوانيت والطرقات والبيوت لرؤية **الملك المؤيد** كما هي عادة العوام وغيرهم من المصريين وتوجهوا بهم من الصليبة إلى أن اجتازوا **بالملك المؤيد** وأخيه **محمد** على تلك الهيئة بدار أخته شقيقته زوجة الأمير **يونس الدوادار الكبير** وهو في حياض الموت لمرض طال به أشهرًا تجاه الكبش.

فلما وقع بصر زوجة **الأمير يونس** على أخويها وهما في تلك الحالة العجيبة المهولة صاحت بأعلى صوتها هي ومن حولها من الجواري والنسوة فقامت عيطة عظيمة من الصياح واللطم والرؤوس المكشوفة فحصل للناس من ذلك أمر عظيم من بكاء وحزن وعبرة على ما أصاب هؤلاء من النكبة والهوان بعد الأمن والعز الذي لا مزيد عليه وما أحسن قول من قال في هذا المعنى:

جاد الزمان بصفو ثم كدره

هذا بذاك ولا عتب على الزمن

ودام سيرهم على هذه الصفة إلى أن وصلوا بهم إلى البحر بخط **بولاق** بساحل النيل فأنزل **الملك المؤيد وأخوه** في مركب واحد وسافروا من وقتهم على الفور إلى **الإسكندرية** وقد كثر تأسف الناس عليهم إلى الغاية ما خلا **المماليك الظاهرية** فإنهم فرحوا به لما كان فعل الملك **الأشرف إينال** بابن أستاذهم **الملك المنصور** كذلك فجازوه بما فعلوه الآن مع ابنه **الملك المؤيد** .

قلت: هكذا فعل الدهر يوم لك ويوم عليك.

ولما نكب **الملك المؤيد** وخلع من السلطنة على هذا الوجه كثر أسف الناس عليه إلى الغاية والنهاية فإنه كان سار في سلطنته سيرة حسنة جميلة وقمع أهل الفساد وقطاع الطريق بجميع إقليم مصر وأمنت السبل في أيامه أمنًا زائدًا واطمأنت النفوس من تلك المخاوف التي كانت في أيام أبيه وزالت أفعال الأجلاب بالكلية مما أردعهم في أوائل سلطنته بالآخراق والوعيد وأبعدهم عنه.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 249/16)

وتألم الناس لذلك سيما قاضي الحنابلة **بالعز الكناني** ولم يتحاش عن التظاهر بذلك فإنه كان قد أحسن السيرة في تلك الأيام وانكف المماليك به عن تلك البليات العظام واتفقت القلوب على حبه وخضع الأمراء فمن دونهم له وتفاءلوا بالعدل والخير في سلطنته هذا مع تلفته في غالب أيام أمرته إلى العلماء وإكرامه لهم وتفقدهم وميله لرقائق الأشعار ورقة طباعه وحسن عشرته ومزيد عقله وخبرته بالأمور .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 246/1)

واستمر **الملك المؤيد** مسجونًا بقيده إلى أن **استهلت سنة ست وستين فرسم السلطان الملك الظاهر خشقدم** بكسر قيده فكسر وتوجهت والدته **خوند زينب** إليه وسكنت عنده بالثغر ومعها ابنتها زوجة **الأمير يونس** بعد موته.

ثم مرض ولدها **محمد** في أثناء السنة أيامًا كثيرة ومات بالثغر ودفن به .

ولما وقع ذلك أرسلت والدته **خوند زينب** تستأذن **السلطان** في حمل رمة ولدها **محمد** من **الإسكندرية** إلى القاهرة لتدفنه عند أبيه **الأشرف إينال** فأذن لها في ذلك فحملته بعد أشهر وجاءت به إلى **القاهرة** ودفن على أبيه في فسقية واحدة رحمهما **الله تعالى** والمسلمين.

ولما مات **الظاهر خشقدم** وتسلطن **الملك الظاهر تمربغا الظاهري** ففي أول يوم رسم بإطلاق **الملك المؤيد أحمد** من سجن **الإسكندرية** ورسم له بأن يسكن في **الإسكندرية** في أي بيت شاء وأنه يحضر صلاة الجمعة راكبًا وأرسل إليه خلعة وفرسًا بقماش ذهب .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 251/16)

واستقر حين كونه بالاسكندرية في **ذي الحجة سنة ست وثمانين** في مشيخة **الشاذلية** وكان يلقنهم الذكر ويحضر مجالسهم ومن يتوجه معه إلى بيته من جماعة الشاذلية يكرمهم بالإطعام ونحوه ولا وجه له وهو هناك لقضاء حاجة من يقصده إلا بغرض.

مات في منتصف صفر سنة ثلاث وتسعين وجيء بجثته إلى القاهرة فدفن عند أبيه رحمه الله وإيانا.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 246/1)

وكان إنسانا حسنا، عارفا بالأنداب والتعاليم، غير خال من فضيلة.

(عبد الباسط الملطي– نيل الأمل في ذيل الدول 98/8)

وتزوج السلطان من خوند نفيسة بنت دلغادر زوجة الظاهر جقمق بعد وفاته وزوج بنته خوند فاطمة للأمير يشبك من مهدي .

2) حوليات المؤيد أحمد :

(سنة خمس وستين وثمانمائة)

- جمادى الأولى : صلى الملك المؤيد الجمعة بجامع الناصري بالقلعة مع الأمراء على العادة وخلع بعد انقضاء الصلاة على الأمير خشقدم الناصري المؤيدي خلعة الأتابكية على العادة .
- وفي رمضان: اجتمع الاتابك ومن معه على القتال وزحفوا على القلعة بقلب رجل واحد فقاتلهم عساكر الملك المؤيد قتالًا ليس بذاك ساعة هينة.

فلما رأى الملك المؤيد أن ذلك لا يفيده إلا شدة وقسوة أمر عساكره ومقاتلته بالكف عن القتال وقام من وقته وطلع القلعة بخواصه وأمر أصحابه بالآنصراف إلى حيث شاؤوا.

- وفيه : دخل السلطان إلى والدته خوند زينب بنت البدري حسن بن خاص بك وترك باب السلسلة لمن يأخذه بالتسليم وتمزقت عساكره في الحال كأنها لم تكن وزال ملكه في أقل ما يكون فسبحان من لا يزول ملكه وبقاؤه الدائم الأبدي.
- وفيه : طلع الامير الكبير ومن معه إلى باب السلسلة واستولى على الإسطبل السلطاني وملك قلعة الجبل من غير مقاتل ولا مدافع وأمر الأمير الكبير في الحال بقلع السلاح وآلة الحرب وسكن الأمر وخمدت الفتنة كأنها لم تكن.
- ثم أرسل الأتابك خشقدم في الحال جماعة من أصحابه قبضوا على الملك المؤيد أحمد هذا من الدور السلطانية فأمسك من غير ممانعة وسلم نفسه وأخرج من الدور إلى البحرة من الحوش السلطاني وحبس هناك بعد أن قئد واحتفظ به.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة)

(نكبة المؤيد أحمد بن اينال)

وكان **الملك المؤيد** قد ثقل عليهم وكثر خوفهم منه فإنه أول ما تسلطن أبرق وأرعد فانخزى كل أحد وحسبوا أن في السويداء رجالًا .

وكان دخول **المؤيد** السلطنة بحرمة وافرة لأن سنه كان نحو الثلاثين سنة يوم تسلطن وكان ولي الأتابكية في أيام أبيه وأخذ وأعطى وسافر أمير حاج المحمل وحج قبل ذلك أيضًا وسافر البلاد ومارس الأمور في حياة والده.

وهذا كله بخلاف من تقدمه من سلاطين أولاد الملوك فإن الغالب منهم حدث السن يريد له من يدبره فإنه ما يعرف ما يراد منه فيصير في حكم غيره من الأمراء فتتعلق الآمال بذلك الأمير وتتردد الناس إليه إلى أن يدبر في سلطنة نفسه بخلاف **المؤيد** هذا فإنه ولي السلطنة وهو يقول في نفسه **إنه يدبر مع مملكة مصر ممالك العجم زيادة على تدبير مصر**.

وكان مع هذه الأوصاف مليح الشكل وعنده تؤدة في كلامه وعقل وسكوت خارج عن الحد يؤديه ذلك إلى التكبر وهذا كان أعظم الأسباب لنفور خواطر الناس عنه فإنه كان في أيام سلطنته لا يتكلم مع أحد حتى ولا أكابر الأمراء إلا نادرًا ولأمر من الأمور الضروريات وفعل ذلك مع الكبير والصغير وما كفى هذا حتى صار يبلغ الأمراء أنه في خلوته يسامر الأطراف الأوباش الذين يستحى من تسميتهم فعظم ذلك على الناس , فلو كان علم الكلام مع الناس قاطبة لهان على من صعب سكاته عليه من كون الرفيع يكون مبعدًا والوضيع مقربًا فهذا أمر عظيم لا تحمله النفوس إلا غصبًا فلما وقع ذلك وجد من عنده عقد فرصة وأشاع عنه هذا المعنى وأمثاله وبشع في العبارة وشنع وقال هذا وغيره: **إنه لا يلتفت إلى المماليك ويزدريهم وهو مستعز بمماليك أبيه الأجلاب وأصهاره وحواشيه وخجداشية أبيه وبالمال الذي خلفه أبوه** ومنهم من قال أيضًا: **إنما هو مستعز بحسن**

تدبيره فإنه قد عبأ لكل سؤال جوابًا ولكل حرب ضربًا.

وكان مع هذا قد قمع مباشري الدولة وأبادهم وضيق عليهم ودقق في حسابهم كما هو في الخاطر وزيادة فما أحسن هذا لو كان دام واستمر!!

فنفرت قلوب المباشرين أيضًا منه وحق لهم ذلك واستمرت هذه الحرمة من يوم تسلطن إلى مجيء **يحيى بن جانم** نائب الشام إلى القاهرة ثم إلى أن عين التجريدة إلى **البحيرة** فأخذ أمره في إدبار لعدم مثابرته على سير طريقه الأول من سلطنته **فلو جسر لكسر لكنه هاب فخاب ولكل أجل كتاب.**

فلو أنه سار مع الأمراء سيرة والده **الأشرف** من الملق وأخذ الخواطر مع إرادة **الله** تعالى لدامت أيامه مقدار المواهب الإلهية **لأنه كان ملكًا عارفًا سيوسًا فطنا عالي الهمة يقظًا** لولا ما شان سؤدده من التكبر ومصاحبة الأحداث **ولله** در القائل:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء فخرًا أن تعد معايبه

واستمر **الملك المؤيد** على ما هو عليه **بالديار المصرية** وأمره في انحطاط من عدم تدبيره في أواخر أمره وأيضًا من قلة المساعدة بالقول والفعل وإلا فتدبيره هو كان في غاية الحسن في أوائل أمره غير أنه كان لا يعرف مداخلة إلاتراك ولا رأى تقلب الدول ولا حوله من رأي لأنه أبعد الناس عنه قاطبة وقرب الأمير **بردبك الدوادار** الثاني **لكونه صهره زوج أخته** فعلى هذا ضعف الأمر من كل جهة.

هذا وأمر **الملك المؤيد** آخذ في اضطراب ايضا من يوم عين تجريدة إلى البحيرة.

حين صممت المماليك المعينة إلى البحيرة في عدم الخروج إلا إن عين معهم جماعة من أجلاب أبيه وساعدهم في ذلك **المماليك السلطانية** من كل طائفة مخافة من تقريب الأجلاب.

فأساء **المؤيد** التدبير من أنه لم يبت أمرًا لا بقوة ولا بلين بل سكت وسمع قول من أملاه المفسود من قوله: **إذا أرسلت مماليك أبيك من يبقى حولك وإذا أبعدت مماليك والدك فمن تقرب** فكأنه مال لهذا القول الواهي واستحسنه وهذا نوع مما كنا فيه أولًا من أنه ما كان عنده من يرشده إلى الطريق.

واستمروا على ذلك وسكنت حركة السفر بسكات السلطان وبذلك فشا انحطاط قدره وتلاشى أمره بعد أن كان له حرمة عظيمة ورعب في القلوب.

نكبة الملك المؤيد أحمد ابن إينال وخلعه من الملك

لما كان **آخر يوم الجمعة سابع عشر شهر رمضان** رسم السلطان **الملك المؤيد أحمد لنقيب الجيش** أن يدور على الأمراء مقدمي الألوف ويعلمهم أن **السلطان** رسم بطلوعهم من الغد إلى الحوش السلطاني من **قلعة الجبل** بغير قماش الموكب ولم يعلمهم لأي معنى يكون طلوعهم واجتماعهم في هذا اليوم بالقلعة وهو غير العادة فدار دوادار نقيب الجيش على الأمراء وأعلمهم بما رسم به السلطان من طلوعهم إلى القلعة.

وأخذ الأمراء من هذا الأمر أمر مريج وخلا كل واحد بمن يثق به وعرفه الخبر وهو لا يشك أن **السلطان** يريد القبض عليه من الغد.

وماجت الناس وكثر الكلام بسبب ذلك وركبت الأعيان بعضها على بعض.

وأما الأمراء فكل منهم تحقق أنه مقبوض عليه من الغد ووجد لذلك من كان عنده كمين من **الملك المؤيد** أو يريد إثارة فتنة فرصة وحرض بعضهم بعضًا إلى أن ثارت **المماليك الظاهرية** في تلك الليلة وداروا على رفقتهم وإخوانهم وعلى من له غرض في القيام على **الملك المؤيد** وداموا على ذلك ليلتهم كلها.

اجتمعت طوائف المماليك في بيت **الأمير الكبير** ولم يطلع إلى القلعة في هذا اليوم أحد من

الأمراء والأعيان إلا جماعة يسيرة جدًا.

فلما تكامل جمعهم في **بيت الأمير الكبير** شرعوا في الكلام بحضرة الأمراء في الاجتماع بسببه فتكلم بعض من حضر من الأمراء بأن قال: " **أيش المقصود بهذا الجمع** " فأجاب الجميع بلسان واحد: " **نريد خلع الملك المؤيد أحمد من السلطنة وسلطنة غيره** ".

قال **جانبك**: " **الرأي عندي سلطنة الأمير الكبير خشقدم المؤيدي فإنه من غير الجنس يعني كونه رومي الجنس وأيضًا إنه رجل غريب ليس له شوكة ومتى أردتم خلعه أمكنكم ذلك وحصل لكم ما تقصدونه من غير تعب** ".

وكانت **الأشرفية** لما سمعوا كلام **جانبك** وقالوا: " **نعم نرضى بالأمير الكبير** " كان في ظنهم أن قتالهم يطول مع **الملك المؤيد** أيامًا كثيرة كما وقع في نوبة **المنصور عثمان** ويأتيهم **جانم** وهم في أشد القتال فلا يعدلون عنه **لخشقدم** فيتم لهم ما قصدوه فاتفقت كل طائفة مع الآخرى في الظاهر وباطن كل طائفة لواحد فساعد الدهر الظاهرية وانهزم **الملك المؤيد** في يوم واحد .

ونودي بالحال بسلطنته بشوارع القاهرة ثم شرعوا بعد ذلك في قتال **المؤيد أحمد**.

كل ذلك **والملك المؤيد** في القلعة في أناس قليلة من مماليكه ومماليك **أبيه الأجلاب** ولم يكن عنده من الأمراء أحد غير مملوك والده **قراجا الطويل الأعرج** أحد أمراء العشرات وهو كلا شيء **والأمير آخور الكبير برسباي البجاسي** وليته لا كان عنده **وخيربك القصروي** نائب **قلعة الجبل** وكان أضر عليه من كل أحد .

كل ذلك **والملك المؤيد** لا يعلم حقيقة ما العزم فيه غير أنه يعلم باجتماع المماليك والأمراء في **بيت الأمير الكبير خشقدم** وأنهم في أمر مريج غير أنه لا يعرف نص ما هم فيه.

وصار **الملك المؤيد** يسأل عن أحوالهم وينتظر مجيء أحد من مماليك أبيه فلم يطلع إليه أحد

بل العجب أن غالبهم كان مع القوم عند **الأمير الكبير** مساعدة على ابن أستاذهم **وليتهم كانوا من المقبولين وإنما كانوا من المذبذبين لا غير.**

على أن **الملك الظاهر خشقدم** لما تسلطن أبادهم وشوش عليهم بالمسك وإخراج أرزاقهم أكثر مما عمله مع الذين كانوا عند **المؤيد** فلا شلت يداه.

وبقي **الملك المؤيد** كلما فحص عن أمر الفتنة لا يأتيه أحد بخبر شاف بل صارت الأخبار عنده مضطربة وآراؤه مفلوكة وهو في عدم حركة ويظهر عدم الاكتراث بأمر هذا الجمع إلى أن تزايد الأمر وخرج عن الحد وصار اللعب جدًا فعند ذلك تأهب من كان عنده من المماليك فجاءه الخبر بأن القوم أخذوا **باب السلسلة** وملكوا الإسطبل السلطاني وأخذوا **الأمير برسباي البجاسي الأمير آخور الكبير** أسيرًا إلى **الأمير الكبير خشقدم** وكان أخذ **باب السلسلة** مكيدة من **برسباي** .

فلما سمعت الأجلاب أخذ **باب السلسلة** نزل طائفة منهم وصدموا من بها من عساكر **الأتابك خشقدم** صدمة هزموهم فيها واستولوا على **باب السلسلة** ثانيًا .

ولما جلس **الملك المؤيد** بالمقعد ورأى القوم قد تكاثف جمعهم وكثر عددهم وهو فيما هو فيه من قلة العساكر و المقاتلة لم يكترث بذلك وأخذ في الدفع عن نفسه بمن عنده.

غير أن الكثرة غلبت الشجاعة وما ثم شجاعة ولا دربة بمقاومة الحروب وصار كذلك خذلانًا من الله تعالى فإنه لم يطلع إليه في هذا اليوم واحد من مماليك أبيه القديمة ولا خجداشيته وما كان عنده من الأمراء ثلاثة وهؤلاء الثلاثه كلا شيء .

وكان عنده مع هؤلاء **أجلاب أبيه** الذين **بالأطباق** وهم عدة كبيرة نحو الألف وهم الذين اشتراهم والده **الأشرف** بعد سلطنته من التجار .

وركبت الجميع في هذا اليوم وقاتلوا ابن أستاذهم أشد قتال وصاروا هم يوم ذلك أعيان

العسكر بالشبيبة والإمكان والكثرة هذا مع من كان **الأتابك خشقدم** من **الناصرية والمؤيدية والظاهرية والسيفية.**

فاؤوا الجميع **للأتابك خشقدم** ومن معه قبل أن يستفحل أمر **خشقدم** ويضعف أمر **المؤيد** فما ذاك إلا عدم موافاة لا غير.

وأعجب من هذا أن أصحاب **المؤيد** ومماليك أبيه الذين تقدم ذكرهم ممن انضاف مع **الأتابك خشقدم** كانوا يوم الواقعة من الممقوتين لا من المتأهلين وذل الإبعاد لائح عليهم وكان يمكنهم تلافي الأمر والطلوع إلى **الملك المؤيد** ومساعدته فلم يقع ذلك فهذا هو السبب لقولي: **إن هذا كله مجازاة لفعل والده.**

ثم التحم القتال بين الطائفتين مناوشة لا مصاففة غير أن كلا من الطائفتين مصر على قتال الطائفة الآخرى **والملك المؤيد** في قلة عظيمة من المقاتلة ممن يعرف مواقع الحرب وليس معه إلا أجلاب وهذا شيء لم يقع لأحد غيره من السلاطين أولاد السلاطين فإن الناس لم تزل أغراضًا ووقع ذلك **للعزيز** مع **الملك الظاهر جقمق** فكان عند **العزيز** جماعة كثيرة من الأمراء والأعيان لا تدخل تحت حصر وكذلك **للمنصور عثمان** مع الملك **الأشرف إينال** وكان عنده خلائق من أعيان ولا زالت الدنيا بالغرض فقوم مع هذا وقوم مع هذا.

غير أن **الملك المؤيد** هذا لم يكن عنده أحد البتة فانقلب الموضوع في شأنه فإنه كان يمكن الذي وقع له يكون **للعزيز والمنصور** فإنهما كانا حديثي سن والذي وقع لهما كان يكون **للمؤيد** لأنه كبير سن وصاحب عقل وتدبير **فسبحان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.**

ولهذا لم تطل وقعة **المؤيد** فإنه علم بذلك زوال ملكه وتركه **برسباي البجاسي الأمير آخور وخيربك القصروي نائب قلعة الجبل** ونزلا إلى **الأتابك خشقدم** فإن العادة في الحروب إذا كان كل من الطائفتين يقابل الآخرى في القوة والكثرة يقع القتال بين الطائفتين وكل من

الطائفتين يترجى النصرة إلى أن يؤول النصر لإحدى الطائفتين وتذهب الآخرى إلا هذه الوقعة لم يكن عند **المؤيد** إلا من ذكرناه.

واستمر على ما هو عليه من الاجتهاد في القتال وصار أمر **الملك المؤيد** في إدبار وعساكر **الأتابك خشقدم** في نمو وزيادة.

هذا والمناوشة بالقتال مستمرة بين الطائفتين وقد أفطر في هذا اليوم خلائق من شدة الحر وتعاطي القتال من الطائفتين وجرح جماعة كثيرة من الفريقين فلم ينقض النهار حتى آل أمر الملك إلى زوال وهو مع ذلك ينتظر من يجيء إليه لمساعدته وهو بين عسى ولعل وكاتب جماعة من أصحابه ممن كان عند **الأتابك خشقدم** فلم يلتفت إليه أحد لتحقق الناس زوال ملكه.

وبينما الناس في ذلك وإذا **بخيربك القصروي** نائب **القلعة** ترك باب المدرج ونزل إلى الأمير الكبير **خشقدم** وصار من حزبه فعلم كل أحد أنه قد ذهب أمر **الملك المؤيد** ولو كان فيه بقية ما نزل **نائب القلعة** منها وانضاف إلى جهة **الأمير الكبير**.

وبقي **باب القلعة** بغير ضابط فأرسل **الملك المؤيد** في الحال بعض أصحابه وجلس مكان **خيربك** هذا فلم يشكر أحد **خيربك** على فعلته هذه.

كل ذلك وأمر **المؤيد** في انحطاط فاحش لأن غالب من كان عنده تركه ونزل إلى تحت وكانوا في الأصل جمعًا يسيرًا وبات من هو أسفل وقد استفحل أمرهم وتأهبوا للقتال في غد وهمتهم قد عظمت من كثرة عددهم وتكاثف عساكرهم من كل طائفة حتى من ليس له غرض عند أحد بعينه جاء إلى **الأمير الكبير** مخافة على رزقه ونفسه لما علم من قوة شوكة **الأمير الكبير** وما يؤول أمره إليه هذا مع حضور **الخليفة والقضاة الأربعة** عند **الأمير الكبير** وجميع أعيان الدولة .

هذا وقد تقاعد غالب من كان عند المؤيد عن القتال وهم الأجلاب من مماليك أبيه لا غير وظهر ذلك عليهم وبردت همتهم وركضت ريح عزائمهم وأخذ كل احد من أصحابه في مصلحة نفسه إما بالإذعان للأمير الكبير خشقدم أو بالتجهز للهرب والاختفاء , وظهر ذلك للملك المؤيد عيانًا فأراد أن يسلم نفسه ثم أمسك عن ذلك من وقته.

كل ذلك وأصحاب **الأمير الكبير** لا يعلمون بذلك فقد أصبحوا في أفحل أمر وأقوى شوكة وأكثر عدد وقد تهيؤوا في هذا اليوم للقتال ومحاصرة **قلعة الجبل** زيادة على ما كانوا عليه في أمسه وفي نفوسهم أن أمر القتال يطول بينهم أيامًا.

وبينا هم في ذلك ورد عليهم خبر الملك المؤيد مفصلًا وحكي لهم انحلال برمه وانفلاك أمره وما هو فيه من أنه أراد غير مرة تسليم نفسه وزاد الحاكي وأمعن لغرض ما فقوى بذلك قلوب من هو أسفل وتشجع كل جبان فطلب المبارزة كل مول وتقدم كل من كان خاف هذا من هؤلاء فكيف أنت بالشجاع المقدام!.

فعند ذلك اجتمعوا على القتال وزحفوا على القلعة بقلب رجل واحد فقاتلهم عساكر الملك المؤيد قتالًا ليس بذاك ساعة هينة.

فلما رأى الملك المؤيد أن ذلك لا يفيده إلا شدة وقسوة أمر عساكره ومقاتلته بالكف عن القتال وقام من وقته وطلع القلعة بخواصه وأمر أصحابه بالآنصراف إلى حيث شاؤوا.

ثم دخل إلى والدته **خوند** زينب بنت البدري حسن بن خاص بك وترك **باب السلسلة** لمن يأخذه بالتسليم وتمزقت عساكره في الحال كأنها لم تكن وزال ملكه في أقل ما يكون **فسبحان من لا يزول ملكه وبقاؤه الدائم الأبدي**.

فلما بلغ الأمير الكبير خشقدم الخبر قام من وقته بمن معه من أصحابه وعساكره وطلع إلى باب السلسلة واستولى على الإسطبل السلطاني وملك قلعة الجبل أيضًا في الحال من غير

مقاتل ولا مدافع وأمر **الأمير الكبير** في الحال **بقلع** السلاح وآلة الحرب وسكن الأمر وخمدت الفتنة كأنها لم تكن.

ثم أرسل **الأتابك خشقدم** في الحال جماعة من أصحابه قبضوا على **الملك المؤيد أحمد** من الدور السلطانية فأمسك من غير ممانعة وسلم نفسه وأخرج من الدور إلى البحرة من الحوش السلطاني وحبس هناك بعد أن قيد واحتفظ به.

وأمسك أخوه **محمد** وحبس معه بالبحرة فخرجت والدتهما **خوند زينب** معهما وأقامت عندهما .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 247/16)

(الجزاء من جنس العمل)

لما رأى المؤيد ميل مماليك والده معهم تعجب غاية العجب وعلم أن ذلك أمر رباني ليس فيه حيلة وما هو إلا بذنب سلف أو للمجازاة لأن الجزاء من جنس العمل .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 242/16)

وقد علمت وعلم كل أحد بأن الذي وقع لهم من زوال ملكهم في أسرع وقت إنما هو بدعوة مظلوم غفلوا عنها لم يغفل الله عنها وعلى قدر الصعود يكون الهبوط وكما تدين تدان وما ربك بظلام للعبيد ".

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 248/16)

وقد ركب أبوه الملك الأشرف إينال على الملك المنصور عثمان بعد أن تخول في نعم الظاهر جقمق فإنه هو الذي رقاه وولاه الأتابكية فغدر به وخلعه من الملك وتسلطن مكانه وحبسه إلى أن مات , فما شاء الله كان وما هذا إلا نوع من القصاص.

وقد رأينا هذه المكافأة في واحد بعد واحد من يوم خلع **الملك المنصور حاجي** بالملك

الظاهر برقوق من السلطنة إلى يومنا هذا والجميع يشربون هذا الكأس من يد أتابكتهم ويرد عليهم هذا الشراب بتدبير مماليك أبيهم .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 55/16)

وكان في هذا موعظة وذكرى لأولي الألباب، فإن الملك المؤيد أنشأ ططر وآواه، بعد ما كان من أقل المماليك **الناصرية** الهاربين من الملك الناصر فرج وما زال يرقية حتى صار من أكبر أمراء مصر، وائتمنه على ملكه فقام بعد موت المؤيد بكفالة ولده أحمد المظفر وما زال يحكم الأمر لنفسه إلى أن خلع ابن المؤيد، وتسلطن، وأودع ابن المؤيد وأمه ببعض دور **القلعة** في صورة معتقل فلما أشفي ططر على الموت، عهد إلى **ابنه** محمد، واستأمن برسباي – لقرابة بينهما – على ولده، بعد ما كان برسباي مقيماً بدمشق من جملة أمرائها وجل مناه أن يبقى المؤيد عليه مهجته، فآواه ططر، وجعله من أكبر أمراء مصر، فقام بأمر ابنه الملك الصالح قليلاً، واقتدى بأخيه ططر في أخذ الملك لنفسه .

(المقريزي – السلوك 55/7)

وكما تدين تدان جوزى الملك الظاهر ططر فى ولده كما فعل هو بابن الملك المؤيد شيخ الملك المظفر أحمد، غير أن الأمير ططر كانت له مندوحة بصغر ابن الملك المؤيد شيخ من أنه كان بقى لبلوغه الحلم سنين طويلة، وأما الملك الصالح فكان مراهقا، غير أنهم احتجوا أيضا بأنه كان فى عقله شيء شبه الخلل.

وإن توقف الأمر على أن كل واحد من هؤلاء يخلع بأمر من الأمور، ويكون ذلك حجة لمن خلعه، فيلزم الخالع من ذلك أمور كثيرة لا يطيق التخلص منها أبدا، وقد دار هذا الدور على أناس أخر بعدهما، والكأس ممزوج لمن يشربه من يد ساقيه، كما جرت به العادة؛ والعادة لها حكم، وهى تثبت عند الشافعية بمرة واحدة .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 233/16)

وقد صار الميل الى تغيير الدول عادة عند موت كل سلطان من عهد الملك المؤيد شيخ إلى يومنا هذا بل إلى يوم القيامة لعدم أهلية الملوك ولغفلتهم عن هذا المعنى في أيام عزهم وأعجب من هذا أن أحدهم لا يزال في غفلة عن ذلك حتى يشرف على الموت فيعهد لولده بالسلطنة مع معرفته وتحققه بما يفعلونه مع ولده من بعده كما فعل بأمثاله.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 36/16)

وكأن لسان حال **إسكندرية** قبل ذلك يقول: " **كل ثان لا بد له من ثالث** ".

فالأول ممن كان فيها من السلاطين أولاد الملوك: **الملك العزيز ابن الملك الأشرف برسباي وقد خلعه الملك الظاهر جقمق وتسلطن مكانه ثم الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق خلعه الملك الأشرف إينال وتسلطن عوضه وهو الثاني** فاحتاجت **الإسكندرية** إلى ثالث ليجازى كل على فعله فكان **المؤيد** هذا خلعه **الملك الظاهر خشقدم** وتسلطن مكانه.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 248/16)

الفصل الثامن عشر



الظاهر خشقدم

1) ترجمة الملك الظاهر خشقدم :

معنى خشقدم = قدم سعيد Hoskadem

(عبدالله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

السلطان الثامن والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، والأول من الأروام – إن لم يكن أيبك التركماني والمنصور لاجين من الأروام

رومي الجنس، جلبه خواجا **ناصر الدين** – وبه كان يعرف **بالناصري** .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 173)

اشتراه **المؤيد** وهو **ابن عشر** ثم أعتقه بعد مدة وصار من المماليك السلطانية .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 3/ 175)

كان مليح الشكل، كبير اللحية أصهبها، قد شاب أكثرها، للطول أقرب، مع رشاقة في قده، وهيف وحلاوة شكل، ومعرفة بفنون الفروسية كالرمح، والنشاب، والمحمل، والكرة وغير ذلك .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 175)

وصار خاصكيا في دولة **المظفر أحمد بن شيخ** .

(عبد الباسط المطي – نيل الأمل في ذيل الدول 6/ 279)

ثم في دولة **الظاهر** ساقيا ثم تأمر عشرة وصار من رءوس النوب ثم مقدما بدمشق ثم رجع إلى القاهرة على الحجوبية الكبرى .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 3/ 175)

بسفارة **أبي الخير النحاس والأمير تمربغا الدوادار الثاني**، وأنعم عليه بحجوبية **الحجاب دفعة** .

ودام على ذلك، إلى أن نقله **الملك الأشرف أينال** إلى إمرة سلاح؛ فدام على ذلك دولة

الأشرف أينال كلها .

فلما تسلطن **الملك المؤيد أحمد بن أينال** جعله **أتابك العساكر** عوضا عن نفسه، فلم تطل أيامه، وتسلطن بعد خلع **المؤيد أحمد** .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 173)

ورأى العز في سلطنته وعظم جدا، وهابه الكثير من الملوك، وجمع الأموال، وأعيب بتقديم الكثير من الأوباش والسفلة ومن لا ذكر له، وبأخذه الرشا على كثير من الوظائف حتى القضاء بمصر وبمعاداته لملك الروم **ابن عثمان**.

(عبد الباسط المطي – نيل الأمل في ذيل الدول 6/ 279)

وكان داهية، مهيبا، كفؤا للسلطنة، فصيحا بالعربية وهدأت البلاد فى أيامه.

(الزركلي – الاعلام 2 / 306)

ولم يزل يتودد ويتهدد ويعد ويبعد ويصافي وينافي ويراشي ويماشي حتى رسخ قدمه ونالته السعادة الدنيوية مع مزيد الشره في جمع المال على أي وجه لاسيما بعد تمكنه بحيث اقتنى من كل شيء أحسنه وأنشأ **مدرسة بالصحراء** بالقرب من **قبة النصر وتربة** وكثرت مماليكه الذين غطوا ما لعله اشتمل عليه من المحاسن، وعظم وضخم وهابته ملوك الأقطار فمن دونهم وانقطع معاندوه .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 3/ 175)

وعظم الملك الظاهر خشقدم بآخره، وخافه الخاص والعام، إلى أن مرض، وطال مرضه، إلى أن مات بعد **ظهر يوم السبت عاشر ربيع الأول سنة إثنتين وسبعين وثمانمائة , وكانت مدة سلطنته ست سنين وستة أشهر بنقص ثمانية أيام**.

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 175)

أخذوا في تجهيز الملك **الظاهر خشقدم** والصلاة عليه فغسلوه وصلوا عليه عند باب القلة

ونزلوا به إلى حيث دفن **بمدرسته** التي أنشأها بالصحراء بالقرب من قبة النصر وحضرت أنا دفنه ولم يحضره من أعيان الأمراء إلا جماعة يسيرة .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 356)

لكن لم يتأسف الناس لموته، و شحوا عليه بالدموع؛ لكثرة مساوئ مماليكه، لا بغضا فيه، فقد كانت محاسنه أكثر من مساوئه .

(الزركلي – الاعلام 2 / 306)

وليس محبته لمماليكه الأجلاب بعجيب، وإنما العجب أنه أقام نحو السنتين من سلطنته ونحن نتحاكى معه أفعال أجلاب الأشرف أينال، وهو أعظم حاك عنهم، ثم ينشئ هو بعد ذلك أجلابه ويرضى بأفعالهم مع عظم انكاره على من كان قبلهم!

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 175)

وكان ملكا جليلا، شجاعا، مقداما، عارفا بأنواع الفروسية، شهما، مهابا، وقورا، أدوبا، حشما، عاقلا محنكا، سيوسا، عارفا، مدبرا، جلدا، مع بعض تواضع ومحبة في أهل العلم ومشاركة في بعض القراءات مع حسن هيئة وشكالة وتأنق في ملابسه إلى الغاية.

(عبد الباسط المطي – نيل الأمل في ذيل الدول 6/ 279)

وكان عاقلا مهابا عارفا صبورا بشوشا مدبرا متجملا في شئونه كلها حشما مليحا رشقا عارفا بأنواع الملاعب كالرمح والكرة وسوق الخيل مكرما للعلماء والفقراء معتقدا فيمن ينسب إلى الخير وربما كان يقرأ في القرآن على التاج السكندري.

وله فهم وذوق بحيث يلم ببعض ما يتكلمه الفقهاء عنده، ومحاسنه كثيرة مع مساوىء لا حاجة لذكرها رحمه الله وعفا عنه.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 3/ 175)

وفيه حذق، وذوق، ومشاركة قليلة في علم القراءات بحسب الحال وأبناء جنسه

وبالجملة؛ أنه كان فيه محاسن، لولا طمع كان فيه وشح، وأفعال مماليكه الأجلاب في المسلمين، تلك الأفعال القبيحة و بهذا المقتضى طلب الناس موته؛ وزوال دولته وفرح الناس بموته قاطبة، حتى اليهود والنصارى؛ فهم كانوا أكثر مظلمة مع الأجلاب من المسلمين .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 175)

وتزوج السلطان من خوند شكرباي الأحمدية سرية الناصر فرج وخوند سورباي الجركسية وولدت له ابنته خوند فرج وماتت في حياته .

2) حوليات خشقدم :

(سنة خمس وستين وثمانمائة)

وفيها : **تواترت الأخبار بوصول الأمير جانم الأشرفي نائب الشام إلى منزلة الصالحية فتحقق السلطان الإشاعة فحصل عليه من هذا الخبر أمر كبير وعظم مجيء جانم على السلطان إلى الغاية لأن جانم كان رشح لسلطنة مصر قبل ذلك وخارت طباع الملك الظاهر خشقدم وما ذلك إلا لعظم جانم في النفوس وأيضًا لكثرة خجداشيته الأشرفية وزيادة على ذلك من كان كاتبه وأذعن لطاعته من أعيان الظاهرية الجقمقية ثم طلب السلطان الأمير جانبك الدوادار وكلمه بما سمعه من مجيء جانم وكان جانبك قد استحال عن جانم ومال بكليته إلى الملك الظاهر خشقدم وصار من جهته ظاهرًا وباطنًا فهون جانبك مجيئه على السلطان وأخذ في التدبير وقام وخجداشيته بنصرة الملك الظاهر خشقدم وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه توجه القاضي محب الدين بن الشحنة كاتب السر إلى خانقاه سرياقوس لتحليف جانم نائب الشام وسافر جانم إلى محل كفالته على أقبح وجه وسافر بعده تمراز الذي استقر في نيابة صفد كل ذلك بتدبير**

عظيم الدولة جانبك الدوادار وقد انتهت إليه يوم ذلك رئاسة المماليك الظاهرية بديار مصر وأما الملك الظاهر فإنه لما سافر جانم أخذ في مكافأة العسكر واستجلاب خواطرهم ووجد عنده حاصلًا كبيرًا من وقاسى الملك الظاهر من طلب المماليك أمورًا عظيمة وأهوالًا ولما قل ما عنده من الضياع بالديار المصرية مد يده إلى ضياع البلاد الشامية ففرق منها على أمراء مصر وأجنادهم ما شاء الله أن يفرق.

وفي هذه الأيام : رسم السلطان أن يفرج عن الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برسباي وعن الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق من محبسهما ببرج الإسكندرية ورسم لهما أن يسكنا بأي مكان اختارا بالثغر المذكور ورسم أيضًا بكسر قيد الملك المؤيد أحمد بن الأشرف إينال.

وفي ذي الحجة : أمسك السلطان بالقصر السلطاني جماعة من أمراء الألوف وغيرهم من الأشرفية وأمسك من أمراء الطبلخانات والعشرات جماعة.

فلما سمعت خجداشيتهم بذلك ثاروا ووافقهم المماليك الأشرفية الإينالية وجماعة من الناصرية وتوجهوا الجميع إلى الأمير الكبير جرباش المحمدي الناصري وهو مقيم يوم ذاك بتربة الملك الظاهر برقوق التي بالصحراء وكان في التربة في مأتم ابنته التي ماتت قبل تاريخه بأيام واختفى جرباش المذكور منهم اختفاء ليس بذاك فظفروا به وأخذوه ومضوا له إلى بيت قوصون الذي سد بابه الآن من الرميلة تجاه باب السلسلة ومروا به من باب النصر من شارع القاهرة وبين يديه جماعة من أمراء الأشرفية وغيرهم وعليهم آلة الحرب وقد لقبوه بالملك الناصر على لقب أستاذه الناصر فرج بن برقوق ولما وصلوا إلى بيت قوصون أجلسوه بمقعد البيت وعندما جلس بالمقعد ظهر على الأشرفية وغيرهم اختلال أمرهم لاختلاف كلمتهم من سوء آرائهم المفلوكة ولعدم تدبيرهم فإن

الصواب كان جلوسه بالتربة المذكورة إلى أن يستفحل أمرهم وأيضًا إنهم لما أوصلوه إلى بيت قوصون ذهب غالبهم ليتجهز للقتال وبقي جرباش في أناس قليلة.

وأما الملك الظاهر خشقدم فإنه لما بلغ الملك الظاهر والظاهرية أمرهم طلعوا بأجمعهم إلى القلعة وانضم عليهم أيضًا خلائق لعظم شوكة السلطنة من خجداشية السلطان المؤيدية وغيرهم وأخذوا السلطان ونزلوا به من القصر إلى مقعد الإسطبل السلطاني أعلى باب السلسلة وعليهم السلاح ودقت الكوسات بالقلعة وشرعوا في القتال.

وبينما هم في تناوش قتال جرباش وقد رأى جرباش أن أمره لا ينتج منه شيء تدارك فرطه وقام من وقته وركب وطلع إلى القلعة طائعًا إلى السلطان وقبل الأرض واعتذر بالإكراه فقبل السلطان منه عذره وفي النفس من ذلك شيء وانهزمت الأشرفية الكبار.

وهذا ذنب ثان للأشرفية عند السلطان والذنب الأول قصة خجداشهم جانم والثاني هذا وانهزم جميع من كان انضم على جرباش المذكور وتوجه كل منهم إلى حال سبيله فتجاهل السلطان عليهم وزعم أنه قبل أعذارهم إلى أن تم أمره فمد يده يمسك وينفي ويكتب إلى التجاريد والسخر إلى أن أبادهم.

(سنة ست وستين وثمانمائة)

و في شهر رجب : نودي بشوارع القاهرة بالزينة لدوران المحمل ونودي أيضًا بأن أحدًا من المماليك ولا غيرهم لا يحمل سلاحًا ولا عصاة في الليل فدامت الزينة إلى أن انتهى دوران المحمل ولم يحدث إلا الخير والسلامة.

وفي شعبان :سافرت خوند الأحمدية زوجة السلطان في محفة إلى ناحية طندتا بالغربية لزيارة سيدي أحمد البدوي.

وفيه : ورد الخبر بأن جانم نائب الشام كان عدى الفرات في جمع كثير من المماليك

وتركمان حسن بك بن قرايلك وسار بعساكره حتى وصل إلى تل باشر من أعمال حلب وتجهز نائب حلب لقتاله ففي الحال عين السلطان تجريدة إلى حلب لقتال جانم .

ثم أصبح الغد : رسم بإبطال التجريدة وسبب ذلك ورود الخبر من نائب حلب بعود جانم على أقبح وجه وأن جماعة كثيرة من مماليكه فارقوه وقدموا إلى مدينة حلب.

وفي هذه السنة : أخذ حسن بك بن علي بك بن قرايلك مدينة حصن كيفا ثم أخذ قلعتها بعد ما حاصرها سبعة أشهر وانقطع من الحصن ملك الأكراد الأيوبية بعدما ملكوها أكثر من مائتي سنة وذلك بعد قتل صاحبها بيد بعض أقاربه فاختلف الأكراد فيما بينهم فوجد حسن بك بذلك فرصة في أخذها فحاصرها حتى أخذها وقوي أمر حسن بأخذها فإنه أخذ بعد ذلك عدة قلاع وممن من أعمال ديار بكر من تعلقات الحصن وغيره.

(سنة سبع وستين وثمانمائة)

أهلت وجميع نواب البلاد الشامية مقيمون بحلب مخافة هجوم جانم عليها والسلطان ملازم الفراش.

وفي المحرم :خلع السلطان على الأطباء وعلى السقاة وعلى من له عادة.

وفي ربيع الاول : عمل السلطان المولد النبوي بالحوش من الجبل على العادة من كل سنة وأصبح من الغد عمل مولدًا آخر لزوجته خوند الأحمدية.

و في ربيع الآخر : ورد الخبر من جانبك التاجي نائب حلب أن جانم نائب الشام قتل بمدينة الرها .

وفيه : سافرت زوجة السلطان إلى زيارة الشيخ أحمد البدوي.

(إحدى وسبعين وثمانمائة)

وفيها : ورد الخبر بموت الأمير برسباي البجاسي نائب الشام

وفيها : ابتدأ السلطان بالحكم بين الناس بالإسطبل السلطاني في يومي السبت والثلاثاء على قاعدة ملوك السلف ولم يقع له ذلك من يوم تسلطن لأن سلاطين زماننا هذا صاروا يجلسون بالدكة من الحوش السلطاني بقلعة الجبل ويتعاطون الأحكام بين الناس فلم يحتج الملك مع جلوسه بالحوش إلى النزول بالإسطبل للحكم وكانت قاعدة ملوك السلف ممن أدركنا وسمعنا الاحتجاب عن الناس بالكلية ولم يقدر أحد من المماليك السلطانية أن يدخل الحوش بحاجة أو غير حاجة إلا بقماش الموكب ولا يجتمع أحد بالسلطان بالدهيشة والحوش إلا الخصيصين به لا غير ومن كان له مع السلطان حاجة يجتمع به في القصر السلطاني ليالي المواكب فبهذا المقتضى كان يحتاج السلطان إلى النزول إلى الإسطبل السلطاني للحكم بين الناس وإنصاف المظلوم من الظالم .

وفي عشر جمادى الأولى : ثارت المماليك الأجلاب بالقلعة في الطباق ومنعوا الناس من الطلوع إلى الخدمة السلطانية وطلبوا زيادة جوامك وكسوة وعليق

وفي شوال : ورد الخبر من نائب حلب يشبك البجاسي أن شاه سوار نائب أبلستين خرج عن طاعة السلطان ويريد المشي على البلاد الحلبية.

(اثنين وسبعين وثمانمائة)

المحرم : بدأ السلطان التوعك من يوم عاشوراء وهذا المرض الذي مات فيه.

فلما كان يوم الخميس عاشر صفر: أرجف بموته وأشيع ذلك إشاعة خفيفة في ألسنة العوام.

فلما كان يوم الجمعة حادي عشره : خرج السلطان الملك الظاهر خشقدم إلى صلاة الجمعة من باب الحريم ماشيًا على قدميه من غير مساعدة وعليه قماش الموكب الفوقاني

والسيف والكلفتاة على العادة وصلى الجمعة وسنتها قائمًا على قدميه هذا وقد أخذ منه المرض الحد المؤلم وهو يستعمل التجلد وإظهار القوة إلى أن فرغت الصلاة وعاد إلى الحريم فلما عاد السلطان الحريم سقط مغشيًا عليه لشدة ما ناله من التعب وعظم التجلد ثم أصبح السلطان في يوم السبت فرسم بالمناداة بشوارع القاهرة بأن أحدًا لا يخرج بعد صلاة المغرب من بيته ولا يفتح سوقي دكانه وهدد من خالف ذلك , فلم يلتفت أحد إلى هذه المناداة وعلم أن المقصود من هذه المناداة عدم خروج المماليك في الليل وتوجه بعضهم لبعض لإثارة فتنة.

فلما كان يوم الجمعة : لم يشهد السلطان صلاة الجمعة وصلى الأمراء بجامع القلعة على العادة وبعد أن فرغت الصلاة دخلوا عليه وسلموا عليه واستوحشوا منه وجلسوا عنده إلى أن أسقاهم مشروب السكر وانصرفوا.

شهر ربيع الأول : والسلطان ملازم للفراش والناس في أمر مريج من توقف الأحوال لا سيما أرباب الحوائج الواردون من الأقطار.

هذا وجميع نواب البلاد الشامية قد خرجوا من أعمالهم إلى البلاد الحلبية لقتال شاه سوار بن دلغادر ما خلا جكم نائب صفد ونائب غزة قد خرج أيضًا إلى جهة العقبة لقتال مبارك شيخ عرب بني عقبة فبهذا المقتضى خلا الجو للمفسدين وقطاع الطريق وغيرهم بالدرب الشامي والمصري ومع هذا فالفتن لم تزل قائمة بأسفل مصر الشرقية والغربية وأيضًا بأعلى مصر الصعيد الأدنى والأعلى وتزايد ذلك بطول مرض السلطان وبينما الناس في ذلك ورد الخبر من يشبك من مهدي الظاهري الكاشف بالصعيد أن يونس بن عمر الهواري خرج عن طاعة السلطان هذا وقد أرجف بموت السلطان فماجت الناس وكثر الهرج بشوارع القاهرة ولبس بعض المماليك آلة الحرب فاستمرت

الحركة موجودة في الناس إلى قريب الصباح.

وأصبح في يوم الأحد ربيع الأول : والسلطان في قيد الحياة غير أنه انحط في المرض انحطاطًا يشعر العارف بموته ونودي في الحال بالأمان والبيع والشراء ودقت البشائر بعافية السلطان في باكر النهار وفي آخره أيامًا كثيرة وصار السلطان أمره إلى التلف وهم على ذلك كل ذلك والسلطان صحيح الذهن والعقل يفهم الكلام ويحسن الرد وينفذ غالب الأمور ويولي ويعزل والناس لا تصدق ذلك وأنا اشاهده بالعين استلقى على قفاه فرأيت وجهه كوجه الأموات.

فلما كان بعد الظهر طلع إلى السلطان بعض أمراء الألوف والأعيان وسلم عليه فشكا إليه السلطان ما أشيع عنه من الموت ثم قال: " أنا ما أموت حتى أموت خلائق وأنا أعرف من أشاع هذا عني " هذا مع التجلد الذي لا مزيد عليه وكان هذا دأبه من أول مرضه إلى أن مات , التجلد وعدم إظهار العجز ولله دره ما كان أجلده.

فلما كان صبيحة يوم الثلاثاء سادسه طلع الأمير الكبير يلباي إلى السلطان ومعه خجداشه قاني بك المحمودي وجانبك والثلاثة أمراء ألوف مؤيدية فلما دخلوا على السلطان لم ينهض إليهم للجلوس بل استمر على جنبه لشدة مرضه وشكا إليهم ما به فتألموا لذلك ودعوا له وقد اشتد به المرض ويئس الناس منه وكذلك يوم الجمعة ولكن عقله واع ولسانه طلق وكلامه كلام الأصحاء.

عاشر شهر ربيع الأول : اجتمع الأمراء الأكابر بمقعد الإسطبل السلطاني عند الأمير آخور الكبير والأمير آخور المذكور حس بلا معنى ليس له في المجلس إلا الحضور بالجثة وجلس الأتابك يلباي في صدر المجلس وبإزائه الأمير تمربغا أمير مجلس وهو متكلم القوم ولم يحضر قرقماس أمير سلاح لإقامته بساحل .

وحضر جماعة من أمراء الألوف وكبير الظاهرية الخشقدمية يوم ذاك خيربك الدوادار الثاني وأخذوا في الكلام إلى أن وقع الاتفاق بينهم على سلطنة الأتابك يلباي ورضي به عظيم الأمراء الظاهرية الكبار الأمير تمربغا أمير مجلس وكبير الظاهرية الصغار الخشقدمية خيربك الدوادار وجميع من حضر وكان رضاء الظاهرية الكبار بسلطنة يلباي بخلاف الظن وكذلك الظاهرية الصغار.

ثم تكلم بعضهم بأن القوم يريدون من الأمير الكبير أن يحلف لهم بما يطمئن به قلوبهم وخواطرهم فتناول المصحف الشريف بيده وحلف لهم يمينًا بما أرادوه ثم حلف الأمير تمربغا أمير مجلس وشرح اليمين وكيفيته معروفة فإنه يمين لتمشية الحال.

وأرادوا خيربك أن يحلف فقال ما معناه: " نحن نخشاكم فحلفناكم فنحن نحلف على ماذا " , ثم انفض المجلس ونزل الأتابك يلباي إلى داره وبين يديه وجوه الأمراء , فلم يكن بعد أذان الظهر إلا بنحو ساعة لا غير ومات السلطان بقاعة البيسرية بعد أذان الظهر .

الفصل التاسع عشر



الظاهر يلباي

1) ترجمة الظاهر يلباي :

معنى يلباي = الأمير الشجاع Yelbay

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

السلطان التاسع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم والرابع عشر من الجراكسة وأولادهم.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 372/16)

قدم به **إينال ضضغ** الأمير الشهير الذي صار بعد إمرته **تاجر المماليك** وإليه تنسب **الإينالية كيرشباي** .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – المجلد 10 /288)

فاشتراه **الملك المؤيد شيخ** قبل **سنة عشرين وثمانمائة** وأعتقه وجعله من جملة المماليك السلطانية وأسكنه **بالقلعة بطبقة الرفرف.**

ثم صار **خاصكيًا** بعد موت أستاذه ودام على ذلك إلى أن صار من أعيان **الخاصكية.**

ثم صار **ساقيًا** في أوائل **دولة الملك الظاهر جقمق** فلم تطل أيامه في السقاية **وأمره عشرة** وجعله من جملة **رؤوس النوب** فدام على ذلك إلى أن تسحب **الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برسباي** من **قلعة الجبل** واختفى .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 372/16)

فلما اختفى **العزيز** واتفق قبضه على يد **يلباي** وإحضاره سر **الظاهر** كثيرا وأقطعه زيادة على ما معه وصيره من **الطبلخاناة** فدام حتى قبض عليه المنصور في جملة المؤيدية وحبسه **بإسكندرية** وأخرج أقطاعه .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – المجلد 10 /288)

وحبس بثغر **الإسكندرية** إلى أن أطلقه الملك **الأشرف إينال** ووجهه إلى **دمياط** بطالًا ثم أحضره إلى **القاهرة** بعد أيام قليلة فاستمر بطالًا مدة يسيرة.

فاستمر **يلباي** على **الحجوبية** إلى أن نقله الملك **الظاهر خشقدم** إلى الأمير **آخورية الكبرى** بعد توجه **برسباي البجاسي** إلى نيابة **طرابلس** .

فدام **يلباي** في هذه الوظيفة إلى أن نقل إلى **الأتابكية بالديار المصرية** بعد موت **الأتابك قانم** دفعة واحدة بعد أن كان يجلس في مجلس **السلطان** خامس رجل .

واستمر على ذلك إلى أن مرض الملك **الظاهر خشقدم** وثقل في مرضه وتكلم الناس فيمن يتسلطن فيما بينهم فرشح جماعة فاختارت الأجلاب **يلباي** هذا كونه **أتابك العساكر** وأيضًا خجداش أستاذهم فتسلطن وتم أمره .

ولما أنزل نعش الملك **الظاهر خشقدم** من القلعة شرعوا عند ذلك في سلطنة **الأتابك يلباي** وكان قد انبرم أمره هذا مع الأمراء ومماليك **الملك الظاهر خشقدم** وكبيرهم يوم ذاك **خير بك الدوادار** **وخشكلدي البيسقي** أحد مقدمي الألوف.

ولما أذعن مماليك **الظاهر الأجلاب** بسلطنة **يلباي** لم يختلف عليه يومئذ أحد لأن الشوكة كانت للأجلاب وهم أرادوه **والظاهرية** الكبار تبع لهم وأما **المؤيدية** فخجداشيته فتم أمره.

وأخذ أمره من يوم جلس على تخت الملك في إدبار واعتراه الصمت والسكات وعجز عن تنفيذ الأمور وظهر عليه ذلك بحيث إنه علمه منه كل أحد وصارت أمور المملكة جميعها معذوقة بالأمير **خيربك الدوادار** وصار هو في السلطنة حسًا والمعنى **خيربك** وكل أمر لا يبته **خيربك** المذكور فهو موقوف لا يقضى.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 372/16)

وتم أمره في الملك على أفحش حال ، وأبرد حركة، وأبعد موقع من النفوس وضعف عن

تدبير الملك وتنفيذ الأمور، وظهر عليه العجز في أحوال المملكة بحيث أن ذلك ظهر لكل أحد .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 180)

لما تسلطن وتم أمره غطاه المنصب وصار كالمذهول ولزم السكات وعدم الكلام وضعف عن بت الأمور وردع الأجلاب بل صارت الأجلاب في أيامه كما كانت أولًا وأعظم فلم يحسن ذلك ببال أحد وصار الأمير خيربك الدوادار الثاني هم صاحب الحل والعقد في مملكته وإليه جميع أمور المملكة.

وشاع ذلك في الناس والأقطار وسمته العوام: " **أيش كنت أنا قل له** " يعنون أن السلطان لما يسأل في شيء يقول: " **أيش كنت أنا قل لخيربك** " فبهذا وأشباهه اضطربت أحوال **الديار المصرية**.

هذا مع ما ورد من **البلاد الحلبية** من أمر **شاه سوار** وقتل أكابر أمراء **البلاد الشامية** ونهبه **للبلاد الحلبية** وأخذه **قلاع أعمالها** وأن **نائب الشام بردبك** في أسره وأن **يشبك البجاسي نائب حلب** دخل إلى **حلب** على أقبح وجه فصار الناس بهذا المقتضى كالغنم بلا راع.

وفي أيامه زادت الأجلاب في الفساد وضيقت السبل وعظم قطع الطرقات على المسافرين مصرًا وشامًا.

وكان الناس قد أهمهم أمر الجلبان أيام أستاذهم الملك **الظاهر خشقدم** فزادوا **بسلطنة الملك الظاهر يلباي هذا همًا على همهم.**

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/372)

وما برحت الفتنة في أيامه قائمة في الأرياف قبليها وبحريها وتوقفت أحوال الناس لا سيما الواردين من الأقطار وزادت الأسعار في جميع المأكولات وضاعت الحقوق وظلم الناس بعضهم بعضًا وصار في أيامه كل مفعول جائزًا وما ذلك إلا لعدم معرفته وسوء

سيرته وضعفه عن تدبير الأمور وبت القضايا وتنفيذ أحوال الدولة وقلة عقله فإنه كان في القديم لا يعرف إلا **بيلباي تلي** أي **يلباي** المجنون فهذه كانت شهرته قديمًا وحديثًا في أيام شبيبته فما بالك به وقد شاخ وكبر سنه وذهل عقله وقل نظره وسمعه.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 373/16)

وبالجملة فكانت أيام **الملك الظاهر يلباي** نكدة قليلة الخير كثيرة الشر وعظم الغلاء في أيامه وتزايدت الأسعار وهو مع ذلك لا يأتي بشيء وجوده في **الملك** وعدمه سواء فإنه كان سالبة كلية لا يعرف القراءة ولا الهجاء ولا يحسن العلامة على المناشير والمراسم إلا بالنقط مع عسر في الكتابة.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 374/16)

ودام على ذلك، إلى أن حدثته نفسه في أخذ خير بك وخجداشيته؛ فدبر تدبيرا ناقصا كان فيه تدميره وخلعه من الملك **بالملك الظاهر تمربغا** في **يوم السبت سابع جمادى الأول من سنة إثنتين وسبعين وثمانمائة.**

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 179)

ووقعت أمور يطول الشرح في جملها، فضلا عن تفاصيلها، فيها من الحيل من الظاهرية، والمكائد التي لا تعد من استمالتهم الأشرفية الكبار بطريقة يعجز عنها ساسان.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 297/2)

فلما جاء الليل ليلة السبت أدخل **يلباي** إلى مبيت **الحراقة** وبات به على هيئة عجيبة إلى أن أصبح النهار وأخذوه وطلعوا به إلى **القصر الأبلق** وحبسوه في المخبأة التي تحت الخرجة بعد أن طلعوا به ماشيًا على هيئة الخلع من السلطنة **وأخذوا الناس في سلطنة الملك الظاهر تمربغا وزال ملك يلباي كأنه لم يكن فسبحان من لا يزول ملكه.**

وكانت مدة ملكه شهرين إلا أربعة أيام ليس له فيها إلا مجرد الاسم فقط.

ولم نعلم أحدًا من أكابر ملوك الترك في السن خاصة من مسه الرق خلع من **السلطنة في أقل من مدة يلباي هذا .**

ومع هذه المدة اليسيرة كانت أيامه أشر الأيام وأقبحها.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 372/16)

وبات بالمبيت المذكور على أقبح وجه وأسوئه مزعوجا مرعوبا، حائرا في أمره، مفكرا في ماذا يكون حاله.

وزالت دولته في هذه الليلة ودولة خشداشيه المؤيدية كأنها لم تكن.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 297/2)

لما أخذه **برسباي قرا الخازندار** من مخبأة وتوجه به إلى البحرة ليحبس بها فاجتاز به من طريق الحريم السلطاني أنه عيي في الطريق وجلس ليستريح ثم سأل **الأمير برسباي** المذكور: " **إلى أين أروح** " فقال له: " **إلى البحرة يا مولانا السلطان معزوزًا مكرمًا** " فقال: " **والله ما أنا سلطان! أنا أمير! وما كنت أفعل بالسلطنة وقد كبر سني وذهل عقلي وقل نظري وسمعي! بالله سلم على السلطان وقل له إني لست بسلطان وسله أن يرسلني إلى ثغر دمياط أو موضع آخر غير حبس فأكون فيه إلى أن أموت وأنا مأمون العاقبة لأني ما عرفت أدبر المملكة وأنا مولى سلطانًا فكيف يقع مني ما يكرهه السلطان!** ".

وبالجملة كانت سلطنته غلطة من غلطات الدهر.

فحمل إلى سجن **الإسكندرية** في بحر النيل فحبس ببعض أبراج **الإسكندرية**

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 372/16)

واستمر في محبسه حتى مات في ليلة الاثنين مستهل ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وسنة نحو الثمانين .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – المجلد 10 /288)

وكان ملكًا ضخمًا سليم الباطن مع قلة معرفته بأمور المملكة بل بغالب الأمور أميًا لا يحسن الكتابة ولا القراءة ولا الكلام العرفي إلا بمشقة.

وكان عديم التجمل في ملبسه ومركبه ومماليكه وسماطه مشهورًا بالبخل والشح.

وبالجملة إنه كان رجلًا ساكنًا غير أهل للسلطنة رحمه **الله** تعالى وعفا عنه.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 372/16)

ولم يكن له منها سوى الاسم لغلبة **خير بك الظاهري خشقدم** الدوادار الثاني على التدبير والأمر والنهي ولكن لم تطل مدته بل خلع قبل تمام شهرين **بالظاهر تمربغا** وحمل إلى إسكندرية فسجن بها .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – المجلد 10 /288)

وكان ضخما حشما كثير السكون والوقار متدينا وجيها في الدول لم ير مكروها قط إلا سجنه أيام المنصور، سليم الفطرة جدا طارحا للتكلف في شئونه كلها لم يكتب ولا قرأ موصوفا بالبخل مع مزيد ثروته ومن يوم تسلطن أخذ في النقص وظهر عجزه والظاهر أنه لو دام لما حصل به كبير ضرر لقلة أذاه ومزيد صفائه ومحبته لنفع المسلمين فلله الأمر.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – المجلد 10 /288)

وكان خيرا، دينا سليم الباطن والفطرة، حسن العقيدة، شجاعا، مقداما، غير مداهن، محمود السيرة، من ذوي الحنكات، صاحب رأي وتدبير.

(عبد الباسط الملطي – نيل الأمل في ذيل الدول 6/ 346)

ودام على ذلك، إلى أن حدثته نفسه في أخذ **خير بك** وخجداشيته؛ فدبر تدبيرا ناقصا كان فيه تدميره وخلعه من الملك .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 180)

وكان ثقيل الدماغ بآخرة، متواضعا، لا مكر ولا خداع عنده، عفيفا عن الأموال والفروج وما

قرأ ولا كتب، ولم يظهر تصرفاته الاختيارية في سلطنته حتى يعلم حقيقة حاله فيها، بل كان مغلوبا والأمر لغيره.

(عبد الباسط الملطي – نيل الأمل في ذيل الدول 6/ 346)

تنقل في أوائل أمره من منزلة سنية إلى منزلة أخرى إلى يوم تسلطن فلما تسلطن كان ذلك نهاية سعده ، وأخذ أمره في إدبار، إلى أن مات .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 180)

2) حوليات يلباي :

(اثنتين وسبعين وثمانمائة)

- شهر ربيع الأول : **خلع على الأمير تمربغا أمير مجلس بالأتابكية .**
- وفيه : **ورد الخبر على الملك الظاهر يلباي بعصيان الأمير بردبك نائب الشام وأنه قتل جميع النواب المجردين معه لقتال شاه سوار بن دلغادر وكان الأمر غير ذلك أن بردبك المذكور كان تهاون في قتال شاه سوار وخذل العسكر الشامي لما كان في قلبه من الملك الظاهر خشقدم رحمه الله فكان ذلك سببًا لكسر العسكر الشامي والحلبي وغيرهم ونهبهم وقتل في هذه الواقعة نائب طرابلس ونائب حماة وأتابك دمشق وغيرهم من أمراء البلاد الشامية**
- **هذا مع ما ورد من البلاد الحلبية من أمر شاه سوار وقتل أكابر أمراء البلاد الشامية ونهبه للبلاد الحلبية وأخذه قلاع أعمالها وأن نائب الشام بردبك في أسره وأن يشبك البجاسي نائب حلب دخل إلى حلب على أقبح وجه فصار الناس بهذا المقتضى كالغنم بلا راع.**
- وفيه : **خلع الملك الظاهر يلباي على الأمير أزبك من ططخ الظاهري رأس نوبة**

النوب باستقراره في نيابة الشام عوضًا عن بردبك الظاهري بحكم انضمامه على شاه سوار وعين السلطان في هذا اليوم عدة أمراء تجريدة لقتال شاه سوار .

- في ربيع الآخر : ابتدأ السلطان بالنفقة على المماليك السلطانية لكل واحد مائة دينار ففرقت هذه النفقة على أقبح وجه وهو أن القوي يعطى والغائب يقطع والمسن يعطى نصف نفقة ومنع أولاد الناس والطواشية من الأخذ وعاداتهم أخذ النفقة فأحدث الظاهر يلباي هذا الحادث وكثر الدعاء عليه بسبب ذلك وتفاءل الناس بزوال ملكه لقطعه أرزاق الناس فكان كذلك.
- فبهذا المقتضى وأمثاله نفرت القلوب من الظاهر يلباي وعظمت الوقيعة في حقه وكثرت المقالة في بخله وعدت مساوئه ونسيت محاسنه إن كان له محاسن وصارت النفقة تفرق في كل يوم سبت وثلاثاء طبقةً واحدة أو أقل من طبقة حتى تطول الأيام في التفرقة.
- وفيه : أنعم السلطان على الأمير قايتباي المحمودي الظاهري بإقطاع الأمير أزبك نائب الشام واستقر عوضه أيضًا رأس نوبة النوب .
- وفيه : تواترت الأخبار أن الأمير بردبك جاوز مدينة غزة فندب السلطان الأمير تمرباي المهمندار والأمير جكم الظاهري أن يخرجا إليه ويأخذاه ويتوجها به إلى القدس الشريف بطالًا.
- جمادى الأولى : أوله الأحد والقالة موجودة بين الناس بركوب المماليك الأجلاب ولم يدر أحد صحة الخبر غير أن الأمراء المؤيدية خجداشية السلطان امتنعوا في هذه الأيام من طلوع الخدمة مخافة من الأمير خيربك الدوادار وخجداشيته الأجلاب أن يقبضوا عليهم بالقصر السلطاني واتفقت المؤيدية في الباطن مع الأشرفية

الكبار والأشرفية الصغار كل ذلك والأمر خفي على الناس إلا السلطان فإنه يعلم بأمره بل هو المدبر لهم فيما يفعلونه في الباطن وهي الواقعة التي خلع فيها الظاهر يلباي من السلطنة.

- وأصبح يوم الجمعة والقتال عمال بين الفريقين بشارع الصليبية من أول النهار إلى آخره.
- فلما جاء الليل : أدخل يلباي إلى مبيت الحراقة وبات به على هيئة عجيبة إلى أن أصبح النهار وأخذوه وطلعوا به إلى القصر الأبلق وحبسوه في المخبأة التي تحت الخرجة بعد أن طلعوا به ماشيًا على هيئة الخلع من السلطنة وأخذوا في سلطنة تمربغا وزال ملك يلباي كأنه لم يكن فسبحان من لا يزول ملكه.

الفصل العشرين



الظاهر تمربغا

1) ترجمة الملك الظاهر تمربغا:

معنى تمربغا = ثوّر حديد Temürboğa

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

تمربغا الظاهر أبو سعيد الرومي الظاهري جقمق , قدم به بعض تجار الروم البلاد الشامية في سنة اثنتين وعشرين فملكه شاهين الزردكاش نائب طرابلس .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 41/3)

وتنقلت به الأحوال، حتى ملكه **الظاهر جقمق** في حال إمرته على وظيفة الأميراخورية الكبرى، فرباه، وأدبه، وهذبه، وقربه، واختص به، وأدناه إليه، وأحبه لنجابة كانت به.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 305/3)

ولم يزل عند **الظاهر** حتى تسلطن، فصيره خاصكيا وسلحدارا، وزاد اختصاصه به وتقريبه إياه، ثم صيره **خازندارا**، ثم **أمره عشرة في سنة ست وأربعين**، عوضا عن **آقبردي الأشرفي الأميراخور**، ودام مدة على ذلك، إلى أن نقل إلى **الدوادارية** الثانية، عوضا عن **دولات باي المؤيدي**، لما نقل إلى تقدمة ألف، فباشرها **تمربغا** بحرمة وافرة وعظمة زائدة وشهامة وأبهة.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 305/3)

فباشر **تمربغا** الدوادارية الثانية بحرمة وعظمة زائدة، ونالته السعادة، وعظم في الدولة، وشاع اسمه في الأقطار، وبعد صيته، وقصدته أرباب الحوائج من البلاد والأقطار، وصار أمر المملكة معذوقا به، والدوادار الكبير بالنسبة إليه في الحرمة ونفوذ الكلمة كآحاد الدوادارية الصغار الأجناد.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 376/16)

ونالته الوجاهة والسعادة، وصارت الأمور منوطة به، وكثير من تعلقات المملكة راجعة إليه ,

ولم يزل على هذا المهيع، وبيده أزمة مملكة أستاذه، وله فيها كبير تدبير، وعن رأيه ومشورته تصدر الآراء، إلى أن مات أستاذه و تسلطن ولده **المنصور عثمان** .

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 305/3)

فصار **تمربغا** عند ذلك هو مدبر المملكة وصاحب عقدها وحلها، والملك **المنصور** معه حس في الملك والمعنى هو، لا سيما لما أمسك **الملك المنصور** الأمير **دولات باى** الدوادار والأمير **يلباى المؤيدى** هذا الذي تسلطن، واستقر **تمربغا** دوادارا كبيرا عوضا عن **دولات باى** وبقى ملك مصر وأموره معذوقا به، والناس تحت أوامره .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 378/16)

وكان **تمربغا** هو الآمر الأعظم في سلطنته على الكيفية الماضية , وضخم **تمربغا** زيادة عما كان عليه، وارتفع قدره أضعاف ما كان، حتى صار هو المدبر لمملكة ولد أستاذه، وبيده الحل فيها والعقد، وهو صاحب الأمر والنهي لصغر **المنصور**، ولم يكن له إلا مجرد الاسم فقط، وهو الحس، **وتمربغا** هو المعنى، لا سيما لما قبض **المنصور** على جماعة من المؤيدية على ما مر وكان ذلك برأي **تمربغا**, ودام على ذلك مدة **المنصور**، لكنها لم تطل حتى كانت الكائنة التي خلع فيها **المنصور**، ودامت تلك الفتنة والواقعة سبعة أيام .

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 306/3)

وكان ذلك كله بتدبير **تمربغا** ، فإنه هو الذي كان القائم بتلك الحروب في تلك الأيام المتوالية، وهو المتولي ذلك جميعه، وإليه المرجع فيه، وإن يكن قد كان عند **المنصور** من هو أعلى رتبة من **تمربغا** هذا، **كتنم من عبد الرزاق** أمير مجلس، **وقانباي الجركسي** أميراخور كبير، لكن التدبير في أمر القتال كان إليه، والمعول فيه عندهم كان عليه.

وأظهر بالقلعة من القوة والصبر والجلادة على القتال والإقدام الزائد ما يذكر به إلى الآن، ومن الفروسية ما لا يكاد أن يدخل تحت الإمكان.

ولما انتصر الأتابك **إينال**، وتسلطن بعد خلع **المنصور**، قبض على **تمربغا** وبعث به إلى سجن ثغر **الإسكندرية**، ودام به مدة، ثم نقل منه إلى سجن **قلعة الصبيبة**، فدام مسجونا بها فوق **الخمس سنين**، ثم أطلقه الأشرف **إينال** في أواخر دولته، وأذن له بالدخول إلى دمشق لعمل يرقة، وتجهزه إلى **مكة المشرفة**، فتوجه إليها، وأقام بها مدة بطالا من **سنة اثنتين وستين إلى سنة خمس وستين**.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 307/3)

انقضت تلك الايام فكان فيمن نقل إلى الصبيبة فاستمر بها سنين ثم أطلق وأذن له في التوجه إلى **الحج** مع **الركب الشامي** فأقام بمكة أيضا سنين .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 41/3)

ولما مات **الأشرف إينال**، وآل الأمر إلى سلطنة **الظاهر خشقدم**، وكان القاسم بدولته الظاهرية طائفة **تمربغا** وحزبه، مع ما كان بينه وبين **خشقدم** من الصحبة قبل ذلك، فإنه هو الذي كان السبب في استقدامه إلى **القاهرة**، وأيضا كونه **جنسه**، بعث إليه بحضوره من **مكة المشرفة** إلى **القاهرة**، فقدمها في أسرع وقت وأقربه ، ثم رفع **الظاهر خشقدم** من محله، وأجله وعظمه إلى الغاية في يوم حضوره ووروده عليه، وأجلسه مرتفعا على جماعة من **مقدمين الألوف**، بل وأرباب الوظائف، ثم أمره بعد القرب من قدومه تقدمة ألف ثم جعله رأس نوبة النوب، عوضا عن **بيبرس** خال **العزيز** .

ودام على إمرة مجلس إلى موت **الظاهر خشقدم**.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 307/3)

وتسلطن الملك **الظاهر يلباى**، فصار الملك **الظاهر تمربغا** أتابك العساكر عوضا عن الملك **الظاهر يلباى** المذكور، فعند ذلك تحقق كل أحد أن الأمر يؤول إليه،

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 378/16)

في يوم السبت، سابعه، كانت مبايعة **الأتابك** **تمربغا** **بالسلطنة**، وعقد الملك له.

وكان من خبر ذلك أن **يشبك الفقيه** هو وجميع من كان معه من خشداشيه من المؤيدية، ممن قام بالفتنة الماضية، اختفوا في ليلة هذا اليوم .

وسكن الهرج والمرج في هذه الليلة، وكأن الفتنة لم تكن، فلما أصبح نهار هذا اليوم ابتدأوا قبل كل شيء بإخراج **الظاهر يلباي** من مبيت الحراقة، وطلعوا به إلى القصر ماشيا على قدميه في هيئة المخلوع من الملك، وزووه بالمخبأة بالقصر، مسجونا بها، موكلا به، محتفظا عليه. وعاد الخبر إلى باب السلسلة بانزوائه، وقد حضر بمقعد الحراقة أكابر الأمراء من سائر الطوائف، وجميع العساكر والجند وأرباب الدولة، فشرعوا في التكلم في مبايعة **الأمير الكبير الأتابك** **تمربغا**، بعد أن اتفق جميع من حضر من أكابر الأمراء، وسائر الطوائف ، وكان ذلك في باكر هذا النهار، وقد جلس **الأتابك تمربغا** في صدر المجلس بالمقعد المذكور ، بعد أن حضر **الخليفة أمير المؤمنين** **المستنجد بالله أبو المظفر يوسف**، وحضر القاضيان الشافعي والحنفي، وتأخر المالكي لوعك كان به، والحنبلي لإبطائه، ثم تكلموا في سلطنة **تمربغا**، وتم له الأمر، ومد الخليفة يده إليه فبايعه، وتبعه الناس على المبايعة، وعملت صورة ذلك على الوجه الشرعي، وتم بها، ونفذ الحكم، وانبرم الأمر وتم، وقام **تمربغا** بعد تمام ذلك من وقته، فدخل إلى مبيت الحراقة، وقد أحضر شعار الملك الأسود الخليفتي، فأفيض عليه، وتقلد السيف، ولبس العمامة السوداء المعدة لمثل هذا الوقت، وخرج من المبيت سلطانا .

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 297/2)

وسر جمهور الناس به لمزيد عقله وتؤدته ورياسته وفصاحته وفهمه

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 41/3)

وهو السلطان الذي تكمل به عدة أربعين ملكا من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، والثاني من الأروام .

فتسلطن **في باكر نهار السبت سابع جمادى الأول سنة إثنتين وسبعين وثمانمائة .**

وتم أمره في البيعة، وتلقب بالملك الظاهر – وهو ثالث ظاهر، لقبوا واحدا بعد واحد، لم يكن بينهم غيرهم، وهذا من النوادر .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 181)

وتحقق الكثير من الناس وجزموا بأنه إذا ولي الأمر طالت مدته، ولم يقض أحد من ذوي العقول بزوال ملكه سريعا، لأن القياس العادي يأباه، وإنما تخلف هذا القياس في **يلباي** لأجل الجلبان الخشقدمية، فإن قيام شوكتهم كان مؤذنا بزوال يلباي، وأما **تمربغا** فلا، **ولله** عاقبة الأمور.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 307/3)

وسار الملك **الظاهر** في موكب السلطنة، إلى أن طلع من باب القصر , ودخل إلى القصر وجلس على **تخت الملك**، وقبلت الأمراء الأرض بين يديه، ونودي باسمه وسلطنته بشوارع **القاهرة** وسر الناس بسلطنته سرورا زائدا تشارك فيه الخاص والعام، حتى قال بعضهم: **نعد ذلك من نوع الفرج بعد الشدة** ؛ وما ذلك **إلا لزوال يلباى عنهم**، وسلطنة هذا الرجل الذي اجتمعت الناس على عقله، ومعرفته، وفضله، وعلمه، ودينه، وما اشتمل عليه من المحاسن كلها ، والجمع بين فنون العلم والفروسية والذكاء والفصاحة وحسن اللفظ في الخطاب، والتؤدة في الكلام، والأدب الزائد، وطلاقة الوجه، وحسن الشكل .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 181)

وبالجملة؛ إنه لم يل سلطنة مصر قديما ولا حديثا من يشبهه، ولا يقاربه، ولا يدانيه وما أقول ذلك في الأفضلية ولا في الصلاح، وإنما أقول في المعرفة والحذق والجمع لفنون السيادة وأنواع الكمال ؛ لأن من محاسنه أنه: يعمل القوس بيده ويصنعه في أحسن عمل، وكذلك النشاب، ثم يرمي بهما رميا إنتهت إليه فيه الرئاسة على جميع أهل زمانه، وقس

على هذا ؛ إذ هو محل الاطناب في ذكر ملوك مصر ولكنه مع هذه المحاسن لم يصف له الدهر ولا لقى معينا لرفع يد **خير بك** عنه ولا الأجلاب .

ولازال يدافع عن نفسه بما هو الأخف وبالإحسان، إلى أن وثب عليه **خير بك** في **ليلة الأثنين سادس رجب**، وقبض عليه، وحبسه بالقلعة .

وسمع **الأتابك قايتباى** بذلك؛ فركب في الليل، وقام بنصرته، إلى أن انتصر على **خير بك** فلما رأى **خير بك** أمره تلاشى أطلق الملك **الظاهر تمربغا**، واستجار به؛ فأجاره **الملك الظاهر** .

ولما تمت الوقعة وطلع **الأتابك قايتباى** إلى الإصطبل السلطاني حسن له أصحابه الوثوب على الأمر؛ فامتنع من ذلك، فما زالوا به حتى أذعن وخلع **الملك الظاهر تمربغا** وتسلطن عوضه؛ فكان **ذلك في باكر نهار الأثنين سادس رجب من سنة إثنتين وسبعين المذكورة** , **فكانت مدة ملكه شهرين إلا يوما واحدا.**

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 182)

ثم سفر إلى ثغر دمياط؛ ليقيم به على أحسن وجه، وكان سفره أيضا إلى دمياط في النيل وليس معه مسفر من الأمراء هذ بعد أن أمعن السلطان في إكرامه واحترامه ووداعه، واعتذر إليه عن وثوبه على السلطان , وقبل **الملك الظاهر تمربغا** عذره وشكره على ما فعله معه من إكرامه له ، وتفارقا على ذلك .

وبالجملة؛ إنه لم يقع لملك بعد خلعه من السلطنة من الإكرام ما وقع له

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 183)

واستمر بثغر **دمياط** بخدمه وحشمه على أحسن حال، إلى أن جاءه **محمد بن عجلان شيخ العرب بالشرقية** وأخذه وراح إلى **غزة المحروسة** على أنه يتفق مع نواب **المملكة الشامية** وغيرهم على أمر يفعله؛ فبلغ خبره المقام **الشريف قايتباى – نصره الله**

تعالى – ففي الحال أرسل المراسيم الشريفة صحبة الهجانة؛ فأسرعوا إلى طلبه؛ فمسك بغزة **المحروسة** وعادو به؛ فبرز أمر المقام الشريف **للأمير** **يشبك** من **مهدي الدوادار** **الكبير** أن يتوجه **بتمربغا** إلى **الثغر السكندري**؛ فامتثل ذلك، وتوجه به، ودخل من باب **رشيد** من بين **السورين** إلى وسط **دار النائب**؛ فتسلمه وأدخله البرج موثوقا به – وكان **للأمير يشبك** زينة عظيمة **بالأسكندرية** .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 184)

وتوجه به إلى اسكندرية ليكون بها في بيت **العزيز يوسف** بدون ترسيم ولا تحفظ وأنه يحضر الجمعة والعيدين مع الجماعة وأرسل هو يبالغ في الترقق والتعطف ويعتذر عن صنيعه وأنه إنما حمله عليه ما كان يطرق سمعه من الأمر بسجنه **باسكندرية** والتضييق عليه فرام التوجه إلى **الطور** ليتوصل منه في البحر إلى **مكة** واستمر مقيما **بالثغر** على أعز حال وأكرم هيئة مما لم يسبق إليه غيره .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 41/3)

إلى أن جاءه هادم اللذات ومفرق الجماعات وسقى كأس الحمام .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 184)

بعد توعكه عدة أشهر، ودفن هناك بحوش لنائبها إذ ذاك الأمير **قجماس** بجانب مدرسته ثم عمل على قبره قبة لطيفة نافذة لها، ورتب هناك قراء.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 41/3)

وكان فقيهاً، فاضلاً، يحفظ "المنظومة" للنسفي ويستحضر كثيراً من المسائل مع مشاركة في فنون، انتهت إليه رئاسة الفروسية والرمي والملاعيب،

(سلم الوصول إلى طبقات الفحول – حاجي خليفة)

وكان ملكا لائقا، فقيها، فاضلا، حفظ القرآن العظيم، ثم "منظومة النسفي"، وكان

يستحضر الكثير من المسائل الفقهية الفرعية، وغير ذلك أيضا، وله مشاركة جيدة في كثير من التاريخ والأدبيات والشعر، وله جودة مذاكرة، وحسن محاضرة، وعنده ذكاء وفهم وفطنة وتيقظ، وعقل تام، وجودة رأي، وتدبير صائب، وسياسة وكياسة، وحسن سمت، وتؤدة وسكون، وفصاحة لسان، عارفا بلغة الترك والعرب، عفيف اللسان، ذا حشمة وأدب، ومحبة لأهل العلم، مع معرفة تامة بكثير من صنايع اليد وأعمالها، منها مهارته في عمل القوس العربية بيده، وتجويد السهام وعملها، أستاذا في ذلك، رأسا في رمي النشاب، لعله انتهت إليه الرياسة في ذلك في زمنه، ومع ذلك فكان أمة في لعب الرمح وتعليمه وأندابه وتعاليمه، عارفا بسائر فنون الفروسية من الضرب بالسيف، رأسا أيضا في معرفة الدبوس وتخرج به في ذلك جماعة من الأعيان من طائفة الأتراك، وكان له خبرة ومعرفة بفن اللجام والمهماز والضرب به بسائر أنواعه. وكان كثير التجمل في ملابسه ومراكبه ومأكله ومشاربه وسائر شؤونه وأحواله، يقترح في ذلك أشياء غريبة، وله مفردات انفرد بها تنسب إليه إلى يومنا هذا.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 307/3)

وكان ملكا لائقا فقيها فاضلا يحفظ المنظومة للنسفي ويستحضر كثيرا من المسائل الفقهية مع مشاركة حسنة في فنون كالتاريخ والشعر وحذق وذكاء وعقل تام وجودة رأي وتدبير وفصاحة اللغتين العربية والتركية وطهارة لسان وحشمة وأدب وتجمل زائد في ملبسه ومركبه ومأكله ومشربه ومسكنه، وله في ذلك اختراعات تنسب إليه وعلى ذهنه الكثير من الصنائع كعمل القوس والسهام عارفا برمي النشاب معرفة تامة إليه انتهت الرياسة فيه بل وفي غيره من أنواع الفروسية والملاعيب.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 41/3)

وأما غير ذلك فيما ينسب إليه من المساوئ، فكان يتهم بالميل الكلي إلى محبة العبيد الحبش ، الله أعلم بصحتها، ولولا أشيع ذلك عنه إشاعة فاحشة، كان يمكننا عدم ذكر ذلك والسكوت عنه، لكنه فشا عنه ذلك، فإن تركنا ذكره نسبنا إلى الفرقة والبغضة، وليس ذلك من شأن من يتصدى لبيان التاريخ، ليتزن بما يقوله الزمان وسير الناس وأحوالهم .

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 308/3)

لكنه كان غير عفيف فيما يقال قائما في أغراض نفسه جدا مع اثارة فتن ومكر وخداع ومزيد تكبر ودخول فيما يقصر أمثاله عن دونه، وتعرض للخلاف بين الحنفية والشافعية وربما نسب إليه التكلم بما لا يليق مما أظنه السبب في سرعة انقضاء مدته , ولذا رام الانتقام منه في الأيام المنصورية فعوجل مع انه لما تسلطن تواضع جدا وأعرض عن كثير مما كان ينسب إليه مع توهم طول مدته وأن الأمر عاد إلى الروم آخذا ذلك من قوله تعالى سيغلبون في بضع سنين حيث كانت الباء , باثنين والعين بسبعين والضاد بثمانمائة .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 41/3)

وكان يقوم أيضا في أغراض نفسه القيام التام، مع بعض مكر وحيل وخديعة، وإثارة فتن، وتكبر على الناس، وشمم زائد جدا، لكنه زال عنه ذلك حين سلطنته، ولعله كما قيل لأجل التمكن، والله أعلم.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 308/3)

(انتقاد عبد الباسط الملطي لأبن تغري بردي)

ولما ترجمه بعض المؤرخين ممن يجازف في كلامه وتعرض فيما يقول، قال:

لا نعلم في ملوك مصر من ولي تخت مصر في الدولة التركية أفضل منه، ولا أجمع للفنون والفضائل، مع علمي من ولي مصر قديما وحديثا من يوم افتتحها عمرو بن العاص إلى يوم تاريخه، ولو شئت لقلت: ولا من بني أيوب.

ثم أخذ بعد ذلك فذكر كلاما طويلا لا طائل تحته، ولا يصدر عن من له أدنى مسألة في معرفة نقد الناس، والوقوف على سيرهم وأحوالهم وأخبارهم، إما بالمشاهدة والعيان، أو بالخبر والبرهان.

ورأيت هذا المسكين في غاية الجهل بمراتب الناس ومعرفة ذلك. وما لهم من المقامات الذاتية والعرضية، مع ما عرفته من ترجمتنا لتمربغا هذا، وإيصالنا له إلى حقه، لكن بحيث يصل الإنسان في الإطراء إلى مثل قول هذا القائل، فلعل هذا المقال يؤدي إلى الهبال، وما جميع من ملك مصر بعد بني أيوب مع بني أيوب، لا سيما **السلطان السعيد**، الشهيد، الملك **الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب**، إلا كما قال الشاعر:

نزلوا بمكة في قبائل نوفل ... ونزلت بالبيداء أبعد منزل

وكذا مع صالح نجم الدين أيوب، ووالده الكامل محمد، بل ووالده العادل أبي بكر بن أيوب فليس من الإنصاف، بل ولا من الدين، لا سيما لمن يدعي أنه مع علمه بكذا وكذا، وأنه له علما أن يقول مثل هذا المقال، اللهم إلا أن يكون به الخبال، فانظر بعين الإنصاف، وتجنب الاعتساف. وعلى تقدير تسليم ما قاله كيف يدعي لصاحب مدة قصيرة لم يظهر له ثمرات في تصرفاته، بل ونحن نعرف ما كان عليه قبل وصوله إلى ما وصل إليه، بل وآل أمره عن قريب إلى ما آل، أن ينسب إلى كونه أفضل من أولئك الملوك الأقيال، فنعوذ **بالله** من الضلال.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 308/3)

2) حوليات تمربغا :

(سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة)

- جمادى الأولى : أخذ الأمير قاني بك المحمودي المؤيدي أمير سلاح من اختفائه ببيت الشيخ سيف الدين الحنفي فقيد وحبس بعد أن نهبت العامة بيته وأخذت أمواله من غير إذن السلطان ولا إذن أحد من أرباب الدولة بل بأمر الغوغاء والسواد الأعظم يوم الوقعة عند انهزام يشبك الفقيه الدوادار واختفائه وكان هذا المسكين جميع ماله من المال والسكر والقنود والأعسال والقماش في داره فنهب ذلك جميعه وما ذاك إلا لصدق الخبر: " بشر مال البخيل بحادث أو وارث " .
- وفيه : رسم السلطان بإطلاق الملك المؤيد أحمد ابن الأشرف إينال من حبس الإسكندرية ورسم أن يسكن في الإسكندرية في أي بيت شاء وأنه يحضر صلاة الجمعة راكبًا وأرسل إليه فرسًا بقماش ذهب ثم رسم السلطان أيضًا للملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق بفرس بقماش ذهب وخلعة عظيمة ورسم له أن يركب ويخرج من أي باب شاء من أبواب الإسكندرية وأنه يتوجه حيث أراد من غير مانع يمنعه من ذلك.
- وفيه : كتب أيضًا عدة مراسيم إلى البلاد الشامية والأقطار الحجازية بإطلاق من بها من المحابيس الأشرفية وغيرهم ومجيء البطالين.
- وفيه : رسم السلطان بأن كل من كانت له جامكية في بيت السلطان من المماليك الإينالية الأشرفية وقطعت قبل تاريخه تعاد إليه من غير مشورة فعم الناس السرور بهذه الأشياء وتباشرت الناس بيمن سلطنته.
- وفيه : أشيع بالقاهرة بإثارة فتنة وركوب الأمراء على السلطان ولم يعين أحد.
- جمادى الآخرة : نودي من قبل السلطان بأن السلطان ينزل إلى الإسطبل السلطاني في يومي السبت والثلاثاء للحكم بين الناس وإزالة المظالم.

- **وفيه : قويت الإشاعة بأن الأمير خيربك يريد القبض على السلطان وعلى الأتابك قايتباي المحمودي إذا طلع إلى القلعة في ليالي الموكب وأنه قد اتفق مع خجداشيته الجراكسة الأجلاب على ذلك وأن خجداشيته الجراكسة تخالفه وتميل إلى الأمير كسباي الدوادار الثاني وكسباي هو صهر الملك الظاهر تمربغا أخو زوجة السلطان وكسباي مخالف لخجداشه خيربك الدوادار ويميل إلى صهره الملك الظاهر تمربغا.**
- **شهر رجب : سأل الأتابك قايتباي السلطان أن يتوجه إلى ناحية مربط جماله على الربيع ببعض قرى القليوبية من أعمال مصر فأذن له السلطان في ذلك فسافر الأتابك إلى تلك الجهة وغاب بها إلى يوم الأحد خامس رجب.**
- **وفيه : خلع الظاهر تمربغا .**

(خير بك .... سلطان ليلة)

خير بك الظاهري خشقدم أصله من مماليك **سودون قرقاش** فاشتراه **الظاهر** في أيام إمرته وعمله بعد مدة **خازنداره** ولما تسلطن جعله من جملة **الخازندارية** الصغار ثم **أمره عشرة** ودام به على **الخازندارية** إلى أن نقله إلى **الدوادارية الثانية في شوال سنة سبعين** عوض **جانبك كوهيه**، وسافر فيها **أمير المحمل** بعد أن تزوج **ابنة الجمالي ناظر الخاص بن كاتب** حكم واستولدها وحجت معه، وصار هو **والشهابي حفيد العيني** المرجع بحيث كانا كفرسي رهان بل كان عند موت أستاذه **عظيم المماليك الظاهرية الخشقدمية** والمتكلم عنهم ولذا كانت ولاية **الظاهر بلباي** برأيه وتدبيره ولم يكن له معه في مدته سوى الاسم .

ثم نقله الظاهر تمربغا للدوادارية الكبرى فكافأه بالوثوب عليه .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 208/3)

(وقعة الظاهر تمربغا وخير بك الدوادار)

لم يسلم **الظاهر تمربغا** من واسطة سوء وكلمة الشح مطاعة فتغير بعد بذل و خشوع وكسر خاطر فلم يفلح بعدها.

ولم يقع للظاهر تمربغا في سلطنته ما يعاب عليه إلا هذه القضية فما شاء الله كان.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 380)

ولكنه مع هذه المحاسن لم يصف له الدهر ولا لقى معينا لرفع يد خير بك عنه ولا الأجلاب , ولازال يدافع عن نفسه بما هو الأخف وبالإحسان، إلى أن وثب عليه خير بك في ليلة الأثنين سادس رجب .

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة 182)

فلما اذن أذن المغرب والامراء **بالقلعة** وصلوا مع **السلطان الملك الظاهر تمربغا صلاة المغرب** , دخل **الملك الظاهر** إلى الخرجة المطلة على الرميلة على العادة وجلس بها.

ولما دخل الملك **الظاهر تمربغا** وجلس سمع بالقصر بعض هرج بالخارج فسأل عن الخبر فقيل له ما معناه: " **الأجلاب بينهم كلام** ".

فراب **السلطان** ذلك فطلب **خير بك** فدخل عليه فأخذ **السلطان** يتكلم معه وهو يتبرم من وجع رجليه على ما زعم , ولم يطل جلوسه عند **السلطان** وخرج .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 380)

عظم الهرج وضرب أصحاب **خيربك الأمير طرباي** المحتسب أحد أصحاب **كسباي الدوادار** ضربًا مبرحًا أشفى منه على الهلاك ونالوا من **كسباي** أيضًا وضربوه ضربًا ليس بذاك كل ذلك لدفع **كسباي وطرباي** عن **السلطان**.

فلما وقع ذلك تحقق **الملك الظاهر تمربغا** وقوع شيء ولم يسعه إلا السكات.

وكان عند **السلطان** جماعة من خجداشيته الأمراء **والسلطان** ومن عنده كالمأسورين في يد الأجلاب.

ثم تفرقت الأجلاب إلى الأطباق **بقلعة الجبل** ولبسوا آلة الحرب وعادوا إلى القصر بقوة زائدة وأمر كبير وتوجه بعضهم لإحضار **الخليفة**.

وآل الأمر إلى الدخول على **السلطان** وإخراج خجداشيته من عنده .

ثم بعد ساعة دخل على **السلطان** ثلاثة أنفار من الجلبان ملبسة وهم ملثمون وأخذوه وأنزلوه إلى المخبأة من غير إخراق وأخذوا **النمجة والدرقة والفوطة** ودفعوهم إلى **خير بك** .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 380)

وأخذ أتباعه نمجاة الملك والدرقة منه وسلموهما له وأجلسوه موضع السلطان وقبلوا له الأرض ولقبوه بالعادل .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 208/3)

وأطلقوا عليه اسم **السلطان** وباس له الأرض جماعة من أعيان الأمراء , كل ذلك بلا مبايعة ولا إجماع الكلمة على سلطنته بل بفعل هذه الأجلاب الأوباش غير أن **خيربك** لما أخذ **النمجة والدرقة** حدثته نفسه بالسلطنة وقام وأبعد في تدبير أمره وتحصين القلعة.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 380)

وأما ما كان من أمر **خيربك** فإنه لما فعل ما فعل، وجرى منه ما كان، وجلس بمكان السلطان وقد أشرب الملك في قلبه، وبات وطائفته على ذلك.

أصبح في الغلس، أخذ في الحال في الشروع في عمل مصالح نفسه، ليتم له الأمر وما قصده، فقام من وقته، وقد أحضر إليه من **مراكيب السلطان** فرسا فركبه، ونزل من القصر إلى جهة باب السلسلة، وبين يديه وحوله جمع جم من جلبان أستاذه وطائفته **وخشداشيه**، ومع بعضهم **الترس والنمجاة** باشر بهما إلى جانبه، كما هو الدأب مع السلطان، وسار إلى أن دخل الإسطبل، وجاء إلى باب **السلسلة** بفرسه، ووقف عنده من داخله ساعة جيدة كالمنتظر.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 342/2)

ونزل إلى الاسطبل السلطاني **بخجداشيته الاجلاب** مترقبا من يجيئه من غيرهم ممن كان متواعدا معه فخذلوه فغير نقابه .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 208/3)

ودام وراء باب السلسلة، وما زال على ذلك حتى أيس وقنط، وكان في ظنه أو حدسه أن الهرجة الكائنة بالرميلة والركوب هرجة من وافقه، فلما تحقق وتيقن خلاف ذلك، وأنهم غدروه وما أرادوا إلا خذلانه، إن صح اتفاقهم معه، ظهر عليه الندم الشديد الذي ما عنه مزيد، لكنه لم يسعه التصريح بذلك بين جماعته وأكابر طائفته القائمين معه، لا سيما وهم معه وبين يديه، فما أمكنه إلا الأخذ في تحريضهم على القتال، وتحصين الإسطبل وصعودهم على أسواره، واستعدادهم للقتال، ومن هذا وأشباهه، وهو يخاطب الجلبان ويحرضهم غاية التحريض بأن يكونوا مستفيقين على القتال في هذا اليوم، كل ذلك ظاهرا، وفي باطنه خلاف ذلك، وهو في بحر افتكار كيف يكون تنصله من ذلك.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 342/2)

فندم حيث لا ينفعه الندم ولم يسعه إلا إتمام ما فعل.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 380)

لما علم **الأتابك قايتباي** بما وقع فركب في الحال هو وأصحابه وخجداشيته وقد انضم عليه الأشرفية , فحضر **الأتابك قايتباي** إلى **بيت قوصون** الذي سد بابه من تجاه القلعة.

فعاد **خيربك** إلى القلعة بعد أن أمر **الأجلاب** أن يصعدوا على سور القلعة ويقاتلوا من بالرميلة من أصحاب **قايتباي** ففعلوا ذلك وقاتلوا قتالًا جرح فيه جماعة من الفريقين وقتل جماعة.

وطلع **خيربك** إلى القصر وقد علم أن أمره تلاشى وأدبرت سعادته.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 380)

ووقع الحرب الشديد والمقاتلة الهائلة، ولم يدم ذلك حتى انهزم فيها الجلبان، بعد أن قتل جماعة من الفريقين، وخرج آخرون ولما رأى **خيربك** ما هو فيه من الإدبار أخذ في الطلوع إلى القصر، وهو متيقن تلاشي أمره وإدبار سعادته، بل زواله بالكلية، وتحقق ذلك.

وبينا هو في أثناء هذه الفكرة، وغضون هذه السكرة، وقد زادت به الحيرة، إذ بلغه فرار أعيان خشداشيه وأكابر ذويه والكثير من طائفته وحرسه وجماعته، مثل **خشكلدي**، **ومغلباي**، وآخرين ، فلم يكن دأبه وشغله إلا ملافاة هذا الأمر المهم، والحادث المدلهم، فبدر بأن توجه إلى **الظاهر تمربغا**، فأفرج عنه من المخبأة، وعمن كان معه من خشداشيه ، وكذا جماعته.

وساعة وقوع بصره عليه وقع على رجليه، ومرغ عليهما خذيه وهو يقبل ذلك ويعتذر في ذلك إليه وعما صدر منه، ويبكي، وهو في غاية الاستكانة والخضوع، فأظهر **تمربغا** القناعة وقبول عذره، وأخذ في تسكينه وطمأنينة خاطره وتطييبه، ثم مشى بين يدي **تمربغا** حتى أوصله إلى القصر، وأجلسه بمكان السلطنة الذي جلس هو به ليلا، ووقف بين يديه على العادة، وأعطاه الترس والنمجاة، وقد انهزم الجلبان عن آخرهم، ونزلوا من القلعة لا يلوي أحد على أحد.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 342/2)

وقد أبدى من التضرع أنواعًا كثيرة فقبل السلطان عذره.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 380)

هذا وقد جلس السلطان الملك **الظاهر تمربغا** موضع جلوس السلطان على عادته وأخذ **النمجة والدرقة** وقد انهزم غالب الأجلاب ونزلوا من القلعة لا يلوي أحد منهم على أحد كل ذلك **والأتابك قايتباي** بمن معه من الأمراء بالرملة.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 380)

فلما تم جلوس الملك **الظاهر تمربغا** بالقصر على عادته أمر من كان عنده من أكابر الأمراء بالنزول إلى **الأتابك قايتباي** .

والذين أرسلهم هم: الأمير **جانبك قلقسيز أمير سلاح**، **وسودون القصروى**، **وتنبك المعلم**، فهؤلاء الثلاثة وأمثالهم كانوا عند **خيربك** في وقت مسك **الملك الظاهر تمربغا** وفي قبضته، وقد أظهروا له الطاعة إما غصبا على ما زعموا، وإما رضى على ما زعم بعضهم .

وكان إنزال هؤلاء الأمراء إلى الأتابك قايتباي هفوة من الملك الظاهر تمربغا فإنه لو لم يكن نزولهم ما كان ينبرم للأتابك قايتباي في غيبتهم أمر.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 390)

ولما تم أمر **الأتابك قايتباي** من قتال الأجلاب وانتصر طلع من **باب السلسلة** وجلس بمقعد الإسطبل , وكان لهج بعضى الأمراء عند طلوع **قايتباي** إلى الإسطبل بأن قال: " **الله ينصر الملك الناصر قايتباي** " وسمع بعض الناس ذلك.

ولما جلس **قايتباي** بمقعد الحراقة بتلك العظمة الزائدة كلمه بعض الأمراء في السلطنة وحسنوا له ذلك فأخذ يمتنع امتناعًا ليس بذاك إلى أن قام بعضهم وقبل الأرض له وفعل غيره كذلك فامتنع بعد ذلك أيضًا فقالوا: " **ما بقي يفيد الامتناع وقد قبلنا لك الأرض , فإما تذعن وإما نسلطن غيرك** " , فأجاب عند ذلك.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 380)

كل ذلك **والظاهر تمربغا** جالس بالقصر على المدورة في مرتبة السلطنة، والناس طلوع إليه أفواجا أفواجا وزمرا لتهنئته بالسلامة والنجاة من هذه الكائنة والورطة، ولا علم عنده ولا عندهم بما هو صائر بباب السلسلة، وكان **خيربك** في أثناء ذلك واقفا بين يدي **السلطان تمربغا**، حتى حضر إنسان من الخاصكية يقال له **تنم الأجرود الظاهري** لأجل

تهنئة السلطان، ورأى **خيربك** وهو واقف بين يديه، فحنق منه حين وقوع بصره عليه، وحطم عليه طالبا قتله أصلا ورأسا، فمنعه **السلطان** من ذلك، ثم أمر بحبس **خيربك** بداخل الخرجة، فحبس بالمخدع الصغير بمقعدها ووكل به , واستمر **السلطان** على ما هو عليه من جلوسه بالقصر، والناس تحضر إليه للتهنئة أرسالا، وهو في انتظار طلوع الأتابك إليه، ولم يخطر ببال أحد، ولا توهم أن **قايتباي** يتسلطن في هذا اليوم.

وكنت حاضرا بباب **السلسلة** حين مبايعة **الأتابك قايتباي**، ولو شرحت أصل هذه القضية على ما كانت عليه من أولها إلى آخرها، وما رأيت فيها وما سمعت، لطال المجال، واتسع المقال، ولسنا بصدد ذلك، بل نحن بصدد أن نذكر ما فيه الاعتبار لأهل البصائر والأبصار، لا سيما للمعتبرين من أهل اليقين، ليعلم أن هذه الدنيا تلعب بأهلها، وتتلهى بهم .

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 343/2)

فلما تم أمر **الأتابك قايتباي** في السلطنة طلع الأمير **يشبك من مهدي** إلى الملك **الظاهر تمربغا** وعرفه **بسلطنة قايتباي** وأخذه ودخل به إلى خزانة الخرجة الصغيرة وقد حبس بها **خيربك** .

وقام **الملك الظاهر تمربغا** وتوجه في الحال إلى البحرة مكرمًا مبجلًا وبين يديه **يشبك من مهدي** وغيره وأصحابه وحواشيه تترد إليه من غير مانع يمنعهم من ذلك **والملك الأشرف قايتباي** يظهر تعظيمه وإكرامه بكل ما تصل قدرته إليه.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 16/ 380)

ثم بادر **قايتباي** لحبس **خير بك بالركب خاناه** وأخذ في جلب الأموال من قبله ثم أرسل به إلى **اسكندرية** فسجن بها إلى أن أنعم عليه بالتوجه لمكة فأقام بها مدة على خير من اشتغال ونحوه ثم شفع فيه ليكون **ببيت المقدس** فأجيب.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 208/3)

الفصل
الحادي والعشرين



الأشرف قايتباي

1) ترجمة الملك الاشرف ابو النصر قايتباي:

ومعنى قايتباي = أمير قائد Kayıtbay

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

بدون حصر **الأشرف أبي النصر**، خاتمة العظام ونابغة العظام بارك الله تعالى للمسلمين في حياته وتدارك باللطف سائر حركاته وسكناته .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 201/6)

السلطان الملك، الأشرف، أبو النصر، سيف الدين، صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية، والأقطار الحجازية، وما والى ذلك من الأمصار والأقاليم والأقطار.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 351/3)

الأسد الضرغام الهمام والفارس البطل والسايس الحبل والرامي الذي لا يجارى والسامي الذي لا يشكك ولا يمارى.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 201/6)

أعظم أتراك زمننا ، ولم يأت قبله مثله.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 357/3)

واسطة عقد الشراكسة وأقربهم إلى قلوب الرعية وأجملهم حالا وأحسنهم إحسانا وأفضلهم عقل وأكملهم نبلا وأكثرهم في جهات الخير إيثارا وآثارا وأكبرهم عمائر وأوقافا وأدوارا وأطولهم طولا وزمانا وأمكنهم ملكا وقوة وإمكانا .

(العصامي – سمط النجوم العوالي 53/4)

أحد ملوك الديار المصرية والحادي والأربعين من ملوك الترك البهية .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 201/6)

بقية الملوك العظام وخاتمة النظام .

(العيدروسي – النور السافر عن أخبار القرن العاشر 17)

چاركسى الجنس، جلب من بلاده إلى الديار المصرية في **حدود سنة تسع وثلاثين وثمانمائة**، فاشتراه **الملك الأشرف برسباى**، ولم يجر عليه عتقا، وجعله بطبقة الطازية من أطباق قلعة الجبل .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 395/16)

أدب بالطبقة وهذب، وأقرئ القرآن وبينا هو في أثناء ذلك إذ مات **الأشرف** ، وجرى بعد موته ما جرى، وتسلطن **الظاهر جقمق**، فملكه مع جماعة كثيرة، منهم الأتابك **أزبك**، **وقانصوه اليحياوي**، **وإينال الأشقر**، **وجانبك من ططخ**، وآخرون ثم أجرى عليه عتقه.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 351/3)

أعتقه وجعله خاصكيا، ثم دوادارا صغيرا، ثم امتحن بعد خلع ابن أستاذه الملك **المنصور عثمان**، ثم تراجع أمره عند الملك **الأشرف إينال**، وصار دوادارا صغيرا كما كان أولا ، ثم أمره إمرة عشرة،

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 395/16)

ثم قربه **الأشرف** وأدناه ولم يبعده، ولا نفر منه كما نفر من غالب طائفته، بل وصار بينهما مناسبة، حيث تزوج بابنة **العلائي بن خاصبك** وهي الست **فاطمة** الخوند، صاحبة القاعة ، ودام على ما هو عليه إلى سلطنة **الظاهر خشقدم** فأحبه وأدناه وقربه، واختص به جدا، وكان يأتمنه ويعتمده، وندبه لمهمات كثيرة، وربما استشاره في كثير من أموره .

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 351/3)

فدام على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك **الظاهر خشقدم** بإمرة طبلخاناه، وجعله شاد الشراب خاناه بعد **جانبك الأشرفى** المشد، فدام فى المشدية أياما كثيرة، وتوجه إلى تقليد نائب حلب، ثم بعد عوده بمدة أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 395/16)

ثم لما جرت كائنة قتل جانبك نائب جدة، وقبض الظاهر **خشقدم** عقيبها على جماعة من الظاهرية بعد مديدة، منهم الأتابك **أزبك**، وآخرون وأراد مماليك **الظاهر** الوثوب عليه، واضطر أن بعث إلى صاحب الترجمة ليلا بطلبه مع جماعة من أصحابه وخشداشيه، ليدركه بآلة السلاح قبل أن تشرع مماليكه في أمر، ويتسع الخرق، فحضر إليه بنية صادقة، وطلع إليه بذلك الجمع من باب السلسلة على أتم وجه وأحسنه ومن تلك الليلة زاد مقام صاحب الترجمة عند **الظاهر خشقدم** زيادة على ما كان عليه، وأحبه، وصار كثير الركون إليه ولم يزل على ذلك حتى مات **الظاهر خشقدم** .

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 352/3)

وقام بالأمر من بعده **الظاهر يلباي**، فرقاه إلى الرأس نوبة الكبرى، عوضا عن **أزبك** لما نقل منها إلى نيابة الشام، ولم تطل مدته في هذه الوظيفة حتى تسلطن **الظاهر تمربغا**، فولاه الأتابكية عوضا عن نفسه ، نقلا إليها من الرأس نوبة، وعدت من نوادره.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 352/3)

ثم لما وقع من فتنة **خيربك** عقد له الملك باتفاق العسكر والأكابر والأعيان من الأمراء وأرباب الدولة على ذلك، ودام بالقصر آمرا ناهيا، ثم أخذ في أسباب ما هو بصدده، وأخرج **تمربغا** إلى ثغر دمياط بعد أن أكرمه وأجله، ثم اعتذر إليه في ليلة خروجه، بل وأهوى إلى يده ليقبلها وهو سلطان، وذاك مخلوع، وذلك من كثرة أدبه وحشمته

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 352/3)

لم يلبث أن خلع به مع تعزز وتمنع وصار الملك **وذلك قبل ظهر يوم الاثنين ثالث شهر رجب سنة اثنتين وسبعين**

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 201/6)

وكانت آثار النجابة ظاهرة عليه، ولوائح السعادة بين عينيه.

فدام الدهر الطويل محفوفا بالفضل الجزيل وظهر بذلك تحقيق ما سلف تصريح **المحب الطوخي** أحد السادات : **قم أنت أيها الملك الأشرف قايتباي.**

ونحوه مشافهته من **محمد العراقي** شيخ خانقاه سرياقوس بقوله **استفق فإنك الملك وكن من الله على حذر وإيقان،** وكذا قال له **حسن الطبندي العريان** في سنة **إحدى وسبعين: أنت الملك تلو هذا الآن .**

بالبشارة بذلك إما بالفراسة أو بغيرها من المسالك:

إن الهلال إذا رأيت سموه ... أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

بل حكى لي السيد العلامة الأصيل الفهامة **العلاء الحنفي** نقيب الأشراف **بدمشق** كان وهو في الصدق بمكان أن **الأمير قجماس** حين كونه نائب **الشام** أخبره **أنه رأى في بعض الطواعين كأن أناسا توجهوا لطعن جماعة بحراب معهم فكان هو وصاحب الترجمة قبل ترقيهما ممن راموا قصدهما بالطعن فكفهم عنهما شخص قيل أنه أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه وأخبر بارتقائهما لأمر عظيم وبزيادة هذا عليه في الارتقاء .**

وكذا بلغني عن بعض نواب المالكية ممن كان في خدمته حين الإمرة :

أنه رأى كأن شجرة رمان ليس بها سوى حبة واحدة وأن صاحب الترجمة بادر وقطعها فتأوله الرائي بأخذه للملك وأعلمه بذلك واستخبره عماذا يفعل به إذا صار الأمر إليه وأمره بالسكوت عن هذا المنام والاستحياء من ذكر هذا الكلام.

وعني في تأويله أنه خاتمة العنقود إذ من عداه لا يفي المقصود لما اجتمع فيه من الخصال التي لا توجد مفرقة في سائر الأقران والأمثال وأيضا ففي خصوصية الرمان مكثه طويل

الزمان .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 202/6)

حكى عن نفسه أنه لما جلبه سيده إلى مصر للبيع وهو إما مراهق أو بالغ كان معه رفيقه أحد المماليك والجلب فتحادثا مع الجمال ليلة من الليالي في شهر رمضان فقالوا لعل هذه الليلة ليلة القدر والدعاء فيها مستجاب فليدع كل واحد منا بدعاء يحبه قال قايتباي فقلت أما أنا فأطلب سلطنة مصر من الله تعالى فقال رفيقي وأنا أطلب أن أكون أميرا كبيرا والتفتنا إلى الجمال فقلنا له أي شيء تطلب أنت فقال أنا أطلب من الله خاتمة الخير فصار قايتباي سلطانا وصار صاحبه أميرا كبيرا فكنا إذا اجتمعنا نقول فاز الجمال من بيننا .

(العصامي – سمط النجوم العوالي 53/4)

ولما استقر في المملكة أخذ في الإبقاء والعزل والأخذ والبذل والتحري لما يراه العدل والتقريب والترحيب والتهديد والتمهيد والإرشاد والإبعاد والتلبث والتثبت برأيه وتدبيره وسعيه وتقريره مع الحرمة الزائدة والهمة للتب بالشهامة شاهدة والخضوع لمن يعتقد فيه العلم والصلاح، والرجوع لمن لعله يستند إليه بالارتياح وعدم التفاته لجل الشفاعات وتخيلاته من تلك المعارضات والمدافعات.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 203/6)

ولما ملك وتمكن ساس الأمور بنباهة وشهامة وصرامة وعظمة ومهابة، وأبهة زائدة، مع توكل عظيم، بحيث عد ذلك من العذر، ولعل بدايته كانت من حيث التمكن كنهاية كثير من السلاطين .

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 352/3)

ومن نوادره أنه كتب إليه ثلاثة من سلاطين مصر يخاطبونه بمولانا السلطان، بعد أن كتبوا إليه عن أنفسهم المملوك وهم: **المؤيد أحمد بن إينال، والظاهر يلباي، والظاهر تمربغا**، ولم

يقع ذلك لغيره من الملوك والسلاطين.

وأما اسمه فهو من نوادر الأسماء في هذه الطائفة، لعله لم يتسم به أحد قبله.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 352/3)

وكثرت في أيامه الفتن، لا سيما بالبلاد الشامية ، وجهز التجاريد متكررة إلى **شاه سوار** القائم بالأبلستين، وغرم الأموال الطائلة في جرته، وفنيت في أيامه الكثير من العساكر وأعيان أكابر الأمراء المصريين ، وآل الأمر أن قبض على **سوار** بعد ذلك، وأحضر إلى القاهرة، وكلب بحلق بباب زويلة ، ووسط جماعة من أمرائه، ثم أرجف في أيامه بتحرك **ابن عثمان** ملك الروم، غير ما مرة، واحتاط هو من ذلك غاية الاحتياط، وراعى الحزم، فأمر بشد الثغور وعمارة الأبراج وتحصين الكثير من السواحل، وأنشأ البرج العظيم الهائل بمينا الثغر السكندري بمكان المنار، وحصل به النفع في دفع العدو، وعمل السلسلة بثغر دمياط.

ثم مات **ابن عثمان** ولم ينل هذه المملكة منه السوء بعد أن أشيع عنه قصدها، وما اتفق له ذلك وكذا **حسن الطويل**، **وجهان شاه**،

وأكثر هذه الأشياء هي الأسباب الداعية إلى سيرة هذا السلطان في الأموال وجمعها حزما منه، واجتهد في تحصيل ذلك غاية الاجتهاد، حتى كادت أن تفتح له كنوز الأرض، بل فتحت له، لكنه ضيق على كثيرمن العباد في معاشهم بل ومعادهم، واقتنى الكثير من المماليك الجياد، وأغدق عليهم بالعطايا والأرزاق والأسلحة والعدد والأمتعة.

ومن نوادره تطلعه واستشرافه لأخبار أمرائه وجنده، بل وسائر رعيته، ووقوفه على الكثير من أخبارهم وأحوالهم الجزئية، وما هم فيه وعليه، فضلا عن أخبارهم الكلية، بل ومعرفة أحوال بعض ممن لا يؤبه إليه، فيعمل بمقتضى آرائه فيما يصل إليه من أحوالهم، وتقديم من يستحق التقدم، ولو لم يرشح لذلك، وتأخير من يستحق التقديم، ولو ترشح للتقديم، فله فضيلة إيصال كل إلى ما يستحقه إذا وقف على حقيقة ما هو الشخص عليه.

ومن نوادره ركوبه بنفسه في كل قليل من الأحيان، واجتيازه بكثير من الأزقة الضيقة التي لم تجر عادة سلطان ممن تقدم من السلاطين الاجتياز بها ولا دخولها في حالة سلطنتهم.

ومن نوادره في التكلم في بعض الأحيان في الأشياء الجليلة والحقيرة، حتى أقاطيع الخاصكية وغيرهم، بل ومشافهة الفلاحين في مثل ذلك، بل ربما حاسبهم على بعض أشياء وحاققهم.

ومن نوادره في كثرة العماير والأبنية التي أنشأها وملكها أيضا، التي قل أن وقعت أو لم تقع لملك قبله، وذلك بسائر بلاد مملكته ومدنها غالبا، ومع ذلك فإنه يسره لأقل ملك من أملاك رعيته، ويملكه بأدنى سبب، حتى ملك منها شيئا يجل عن الحد والعد.

ومن نوادره فصل الأحكام الهينة جدا، وبروزه لذلك حتى بين النساء وأزواجهن، إلى أن صار يطلع إليه في أقل جزئيات ليفصلها ولو عددناها لطال المجال، حتى إنه لما كثر ذلك عليه أمر بالمناداة بأن لا يطلع إليه إلا في الأشياء التي لم يفصلها الحكام من قضاة وأمراء وغيرهم ممن له الحكم.

ويذكر عنه العفة وطهارة الذيل عن القاذورات، والكف عن المنكرات والمسكرات، والتدين وكثرة الصيام في الأيام التي وردت السنة في الترغيب في صومها، وكثرة النوافل، والصلاة والتهجد بذلك في جوف الليل، وتلاوة القرآن وسماعه، ومحبته الأذكار والأوراد، بل واخترع أذكارا جمعها، وهي مشهورة، اعتنى بها الكثير من الناس واستعملوها .

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 355/3)

وفي الصدق بالعزم والتجلد والثبات منتصب الراية، سيما وله تهجد وتعبد وأوراد وأشعار وأذكار مزيلة للأكدار وتلحينات تسر النظار وتعفف وتعرف ويقظة وتصرف وبكاء ونحيب وإنكاء لمن بمراده لا يجيب وارتقاء في تربية من شاء الله من مماليكه وخدمه وانتقاء لمن يسامره في دفع ألمه وميل لذوي الهيئات الحسنة والصفات المثنى عليها بالألسنة حتى إنه يتشوق لرؤيته لشيخنا ابن حجر وابن الديري في صغره ويتلذذ بذكره لهما في كبره

بل كثيرا ما ينشد ما تمثل به أولهما حين استقرار القاياتي في القضاء بعد صرفه وقوله استرحنا وقول الآخر أكرهونا مشيرا لكونه على رغم أنفه

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 201/6)

ومن محاسنه حلمه مع حدة مزاجه وتواضع الزائد مع من يستحق ذلك، وانبساطه إليه وتقريبه ومكالمته ومحادثته، بحيث لم يقع ذلك لمن قبله من السلاطين كل ذلك مع شهامته، وعلو همته.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 355/3)

ومن محاسنه عفته عن الأنفس وسفك الدماء.

وله ميل للعلم والفضائل، ويستحضر أشياء كثيرة، ويشارك في أشياء، مع فصاحة، وذكاء، وفطنة، وفهم، وتيقظ دائم، وجودة طبيعة، ويحب الجمال في سائر شؤونه وشؤون جماعته وأرباب دولته في سائر أحوالهم وأمورهم.

وأما شجاعته وإقدامه وفروسيته، ومعرفته بأنواع الأنداب والآداب والتعاليم بتمامها وكمالها، ما بين رمح، ورمي سهام، وضرب سيف وسوق خيل، إلى غير ذلك من سائر أنواع الفروسية شيء لا يكاد أن يضبط، ولا يصدق قائله لو بثه عنه.

وأما جلادته واحتماله للمشاق، وتعبره وثباته على الخيل في أسفاره، فشيء يعجز الفرسان والكثير من جلدة الشبان عنه، وكذا أصحاب القوى والجأش، حتى سمعت عنه في ذلك ما لا يكاد أن يكون في طاقة البشر.

وأما ما له من الأبنية والآثار العظيمة الهائلة الحافلة، فشيء يكاد أن لا يحد ولا يضبط بعد. وبالجملة، فهو سلطان جليل، وملك ضخم، شهم، يقظ، درب، عارف، خبير، تام العقل، سيوس، جل قصده وضع الأشياء في محلها وإن أخطأ في المحل ومن حذقه نظره في الأمور، وعدم إقدامه على الشيء سريعا في كثير من الأشياء وله التأني التام والتروي في

كثير من الولايات، لا سيما الوظائف الدينية، كالقضاء والتدريس، ونحو ذلك، بل في كثير من الوظائف الدنيوية والولايات والنيابات والعمالات والمباشرات.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 357/3)

وأما ما له من البر والمعروف والخيرات فشيء كثير، من ذلك ما قد فعله بالحرمين الشريفين في هذا القرب، مما يطول الوصف في تفصيله ، وأوقف لذلك وقفا هائلا، وجعل عليه ناظرا ومتحدثين وله صدقات تفرق في أول كل شهر رمضان على الكثير من الناس من أهل العلم وطلبته، وعلى الزوايا وغيرها.

(عبد الباسط الملطي – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 360/3)

وتلاوة ومطالعة في كتب العلم والرقائق وسير الخلفاء والملوك يرجى كونها نافعة بحيث يسأل القضاة وغيرهم الأسئلة الجيدة ولا يسمع في الكثير جوابا يستفيده عنده وربما يقال له منكم يستفاد حيدة عن المراد وينكر كثرة الصياح بدون فائدة ويكرر عتبهم في غيبتهم والمشاهدة، وتوجع لنفسه من العاقبة والمآل مع تصريحه بالاعتذار وتلميحه بما يقتضي الإنكار وتكرر دعاؤه على نفسه بالموت وأظهر تبرمه مما هو فيه بالفوت وربما برز ليفوز بالفرار , بل صرح بخلع نفسه في بعض المرار ثم يعاد بالتلطف والتسييد .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 201/6)

بل حج في طائفة قليلة سنة أربع وثمانين تأسيا بمن قبله من الملوك **كالظاهر بيبرس والناصر محمد قلاوون الأمين** ووهب وتصدق وأحكم كثيرا من العلق وأظهر من تواضعه وخشوعه في طوافه وعبادته ما عد في حسناته سيما عند سقوط تاجه عن رأسه بباب السلام ليندفع عنه ما لعله زها فيه الملام وقال مظهرا للنعمة وصرف العين حين مشى في المسعى بين إمامه وقاضي الحجاز: **أنا بين برهانين**.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 205/6)

ولما أستقر في المملكة أخذ في الحل والعقد والعزل والعهد ولم يكن في زمنه منازع ولا مدافع وطالت أيام دولته السعيدة وسار في الناس السيرة الحميدة وأجتهد في بناء المشاعر العظام بحيث وقع له من ذلك ما لم يتفق لغيره من ملوك الإسلام.

(العيدروسي – النور السافر عن أخبار القرن العاشر 17)

بل رتب لأهل السنة من أهلها والقادمين عليها من كبير وصغير وغني وفقير ورضيع وفطيم وخادم وخديم ما يكفيه من البر ومن الدشيشة والخبز ما تيسر وعمل أيضا ببيت المقدس مدرسة كبيرة بها شيخ وصوفية ودرسة وغير ذلك مما يطول ذكره

وبالجملة فلم يجتمع لملك ممن أدركناه ما اجتمع له ولا حوى من الحذق والذكاء والمحاسن مجمل ما أشتمل عليه ولا مفصله وربما مدحه الشعراء ولا يتلفت إلى ذلك ويقول لو أشتغل بالمديح النبوي كان أعظم من هذه المسالك وترجمته تحتمل مجلدات .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 210/6)

وله تهجد وتعبد وأوراد وإذكار وتعفف وبكاء من خشية الله تعالى وميل لذوي الهيئات الحسنة والصفات وتلاوة ومطالعة في كتب العلم والدقائق وسير الخلفاء والملوك بحيث يسأل القضاة وغيرهم الأسئلة الجيدة وربما افادهم في بعض الأحيان والاعتراف من نفسه بالتقصير والاعتقاد فيمن يثبت عنده صلاحه من الصلحاء والعلماء

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 211/6)

وتكرر وجهه لبيت المقدس والخليل وثغور دمياط واسكندرية ورشيد وأزال كثيرا من الظلامات الحادثات وزار من هناك من السادات بل حج في طائفة قليلة سنة أربع وثمانين ووهب وتصدق وأظهر من تواضعه وخشوعه في طوافه وعبادته ما عد من حسناته.

وكان محبا للخير معتقدا في الصالحين .

وكان رحمه الله ملكا جليلا وسلطانا نبيلا له اليد الطولى في الخيرات والطول الطائل في

إسداء المبرات .

(العصامي – سمط النجوم العوالي 53/4)

بنى في المساجد الثلاثة عدة ربط ومدارس وجوامع عظيمة الآثار باهرة الأنوار وله بمصر والشام وغزة وغير ذلك آثار جميلة وخيرات جزيلة أكثرها باق إلى الآن وجميع عمائره يلوح عليها لوائح النورانية والأنس .

وكانت أيامه كالطراز المذهب ودولته تنجلي كالعروس في حلل الجوهر والذهب حتى قدم عليه بريد الأجل وما أغنى ما جمعه من الخيل والخول وكانت انتقاله إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة إحدى وتسعمائة وكانت مدة تصرفه ثلاثين سنة إلا ثلاثة أشهر .

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 53/4)

وصلي عليه في المسجد الثلاثة وختم له فيها بعدة ربعات

(العيدروسي – النور السافر عن أخبار القرن العاشر 17)

وعاش عمره كله وهو في عز وشهامه , وكانت صفته طويل القامة عربي الوجه مصفر اللون نحيف الجسد شائب اللحيه تولى الملك وله من العمر نحوا من اربعة وخمسون سنه وكان موصوفا بالشجاعه عارفا بانواع الفروسيه ولا سيما في لعب الرمح علامه في كل فن لكنه كان محبا لجمع المال ناظرا لما في ايدي الناس ولولا ذلك لكان خيار ملوك الجراكسة على الاطلاق ولكنه كان معذورا في ذلك تحرك عليه في ايام سلطنته شاه سوار وحسن الطويل وابن عثمان وغير ذلك من ملوك الشرق وغيرها وجرد اليهم عده تجاريد نحو ستة عشر تجريده وهو ثابت على سرير ملكه لن يتزحزح .

وكان مغرما بمشترى المماليك حتى قيل لولا الطواعين التي وقعت في ايامه لكان تكامل عنده ثمانية الاف مملوك ومن العجائب ان من بعده قد انحصرت مملكه مصر في مماليكه فقط دون

غيرهم وتسلطن منهم اربعه سلاطين وكان تقيا في نفسه لم يشرب قط خمرا وكان له اشتغال بالعلم كثير المطالعات في الكتب وله اذكار واوراد جميله والى الان تتلى في الجوامع وكان له اعتقاد في الفقراء ويعظم العلماء عارفا بمقام الناس ينزل كل احد منزلته وكان تابعا لطريقه الصوفيه في التقشف وكان لا يوصف بالكرم الزائد ولا بالبخل المفرط كان له بر ومعروف واوقف عده جهات على وجوه البر والصدقه وكانت محاسنه اكثر من مساوئه ولم يخلف من الاولاد سوى ابنه **محمد** الذي تسلطن من بعده وكان من سريته **اصلباي** ولم يتزوج في منذ عمره سواء بخوند **فاطمه ابنه العلاي علي ابن خاص بك** واستمرت معه الى ان مات ومن محاسن **الاشرف** انه كان في شده غضبه يستحيل في الحال راضيا ويزول ما كان عنده من الحدة وفي الجمله كانت محاسنه اكثر من مساوئهم وكان خيار ملوك الترك بالنسبه لمن جاء من بعده من السلاطين ولولا كان عنده بعض طمع لكان اجل ملوك الجراكسة وكان من خيارهم.

(ابن اياس – بدئع الزهور)

سلك الملك الأشرف **قايتباي** أحسن المسالك، وسار أحسن السير فى تدبير الممالك، وكان يتـألف قلـوب العلمـاء، ويتواضـع لعامـة الصـلحاء، وكـان لـه في **سـيدي عبـد القـادر الدشطوطي** غاية الاعتقاد، وكان **سيدي عبد القادر** يتولى تربيته وإرشاده كلما مر عليه، وكان يمتثل أمره، وينقاد وكان بين السلطان **قايتباي**، وبين الجد غاية الاتحاد ولكل منهما في الآخرة مزيد الاعتقاد، وكان الجد يقطع له بالولاية .

وكتب الشيخ الجد ديوانا لطيفا من نظمه وإنشائه في مناقبه ومآثره سماه "**بالدرة المضية، في المآثر الأشرفية**" ، وذكر فيه أن بعض أولياء **الله** تعالى أظهره على مقام الملك **الأشرف قايتباي** في الولاية لما اجتمع الجد بالولي المذكور في حجر **إسماعيل عليه الصلاة والسلام** في وقت السحر، فعرفه بمقامه، وأمره باعتقاده .

ونظم في مآثره وعمائره قصيدة رائية ضمنها الديوان المذكور، فمنها أنه عمر حصنا بالإسكندرية، ومدرسة بالقرب منه، وحصن ثغر دمياط، وبنى حصونا، وبنى مدرسة معظمة بمكة لصيق الحرم الشريف مما يلي المقام، وأعطى تدريسها لشيخ الإسلام **البرهان بن ظهيرة**، وعمر مسجد الخيف، وساق الماء من عرفات إلى منى، والمحصب، وعمر **قايتباي** الحجرة الشريفة، والقبة المبتناة عليها، وعمر مسجد **رسول الله صلى الله عليه وسلم**، وعمر بالمدينة مدرسة ورباطا، وساق ماء العين الزرقاء إليها :

هذا وحقك شيء ما سبقت له .. وكم مليك تمناه وما قدرا

أليس يكفيك هذا سيدي شرفا .. على الملوك وفخرا زين السيرا

وعمر بالقدس الشريف مدرسة عظيمة، ورم الجامع الأموي، وعمر مدرسة بغزة، وجامعا بالصالحية المصرية، وجامع الروضة، وجامع الكبير، وتربة بصحراء مصر، وعمر قبة الإمام الشافعي في مآثر آخرى .

ولقد كان من محاسن الدهر، ورؤوس ملوك الأرض، ولم ينتقد عليه أحد عظيم أمر سوى ما كان من أمره بإعادة كنيسة اليهود بالقدس الشريف بعد هدمها، وعقوبته لعالم القدس البرهان الأنصاري، وقاضيها الشهاب بن عبية وغيرهم بسبب هدم الكنيسة ، وفي نفس الأمر، فإن **قايتباي** لم يقصد الأمر باعادة الكنيسة نصرة لليهود، وإنما أمر بذلك أن عقد مجلسا جمع فيه العلماء، وأفتى بعضهم بأن هدم الكنيسة لم يصادف محلا.

(نجم الدين الغزي – الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة 299/1)

وتزوج السلطان من خوند فاطمة (الخاصبكية) بنت علي بن خاص بك وترك من الاولاد محمد الذي تسلطن بعده من سريته اصلباي .

2) حوليات الملك الاشرف قايتباي :

(سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة)

- **وفي رجب:** أطلق السلطان جماعة ممّن كان قبض عليهم من الخشقدمية وذلك بتحسين بعضا من الظاهرية الجقمقية ذلك للسلطان، وتخيّله من الأشرفية الكبار والإينالية إن انفردوا .
- وفيه عين السلطان تجريدة إلى قتال شاه سوار بن دلغادر، وكانت قويت شوكته، لا سيما في الفترات الكائنة بالقاهرة
- **وفيه** حمل خير بك الدوادار الكبير بل «سلطان ليلة» كما شهر ذلك، إلى ثغر الإسكندرية وهو مقيّد، وقد أركب فرسا، والأوجاقي ردفا له، وأسمع من العامّة في طريقه مكروها كثيرا .
- **وفي ذي قعدة** وردت الأخبار بأخذ عينتاب من أعوان شاه سوار، ثم زادت الأخبار المخبّطة ونقصت وما تحرّرت إلاّ بعد ذلك .
- وفيه صعدت الخوند فاطمة زوجة السلطان إلى القلعة من دار السلطان التي كان يسكنها بسوق الغنم ، وصعدت في محفّة ومعها جماعة من النساء والخدّام موصوفة بالعقل التام، والرأي والأخلاق الحسنة، ولها انجماع عن مداخلة زوجها مع حشمة وأدب وسكون وحسن سمت وتواضع، ولم يتزوج السلطان عليها قط، لا من قبل سلطنته ولا بعدها، وحجّت حجة هائلة بأبّهة وعظمة ووالدها العلائي مشهور معروف بحسن السمت والشكالة والهيئة، وله أبّهة وحرمة طائلة وسكون زائد، وعنده تواضع وأدب وحشمة ونشأ بالقاهرة في عزّ وسعادة، وقرأ القرآن وشيئا ، وهو أخو الخوند زينب زوجة الأشرف إينال وأمّ المؤيّد أحمد.
- وفيه كانت كسرة عساكر مصر على يد شاه سوار والقبض على جانبك قلقسيز وأسره، وكانت كسرة شنيعة قتل فيها جمعا وافرا من أكابر الأمراء والجند .

- شوال: ورد نجّاب وعلى يده مكاتبة نائب الشام فيها أنه على حصار قلعة عينتاب بعد أخذ البلد، وأنه مجدّ في ذلك وذكر بأنه وصل إليه قاصد أحمد بن قرمان بمكاتبة من عنده بأنه وقع بينه وبين خاله السلطان محمد بن عثمان ملك الروم وحشة وأنه وجّه إليه عسكرا وهم على قونية لانتزاع البلاد منه، وانه يطلب نجدة من السلطان
- وفيه ورد الخبر من البحيرة وعربانها تحالفوا على الخروج عن الطاعة، وأنهم أفسدوا الكثير من البلاد وحرّقوا الكثير أيضا
- وفيه ورد الخبر على السلطان بأنّ تمربغا إنما فرّ خوفا على نفسه من أشياء توهّمها أوحيت إليه من الناس
- وفي ذي حجّة كثر النعي والعزاء بديار من قتل من العسكر وأسر
- وفيه ورد الخبر بالقبض على تمربغا من غزّة، فعيّن السلطان يشبك الدوادار بأن يخرج فيتلقّاه من بلبيس وعمله إلى ثغر الإسكندرية، فوصل إليه وأخذه إلى الإسكندرية، وكان السلطان قد أذن له أن يسكن بها بدار العزيز يوسف بن برسباي، وأن يركب إلى الجمعة والعيدين ثم ورد كتاب تمربغا بخط يده على السلطان باللطف والاعتذار وهو يخاطبه فيه بمولانا السلطان وبالمملوك تمربغا، وأطال الكلام فيه في اعتذاره
- وفيه ورد الخبر بأنّ عسكر ابن عثمان التقي مع عسكر ابن قرمان، وأن ابن عثمان عادت عساكره وتبعهم عسكر ابن قرمان فأوقع بهم

سنة ثلاث وسبعين وثمانماية

- في محرّم، لما صعد القضاة للتهنئة بالعام والشهر أمر السلطان بعقد مجلس بقضية

شراء مماليك خشقدم، وهم من بقي من كتابيّته على الرقّ فاشترى منهم نيّف عن خمس مائة نفر، كل نفر بعشرة آلاف درهم

- وفيه فشا الطاعون بالإسكندرية ومات به الكثير من الخلق .
- وفيه ماتت الخوند فاطمة ابنة الأشرف إينال، أخت المؤيّد أحمد، زوجة يونس الدوادار وكان سنّها نحوا من سبع وعشرين سنة، وحملت ميّتة كما هي إلى القاهرة، ودفنت في تربة أبيها
- وفي ربيع الأول مات السلطان، الملك، الظاهر، أبو سعيد، يلباي، الإينالي ، المؤيّديّ وسنّه نحوا من الثمانين سنة
- وفيه ورد الخبر بكسر حسن الطويل عساكر حسن علي واستيلائه على ممالك العراق وأذربيجان
- وفي رجب وصل قاصد حسن الطويل وقد ملك مرسله العراقين وأذربيجان، وصعد إلى القلعة لمكاتبه وبعض هدية للسلطان، وعلى يده عدّة مفاتيح لعدّة حصون وقلاع سمّاها، وأنه ملكها، وأكثر من التواضع في مكاتبته، وأنّ كلّما ملكه من البلاد هو زيادة في ممالك السلطان، وأنه النائب عنه فيها، وأنه يلتمس بأن يبعث إليه الخلع بذلك، فأكرم قاصده
- وفيه استقرّ يشبك الدوادار في الأستادارية مضافا لما بيده من الدوادارية والوزارة وغير ذلك، وما أظن جمعت (هذه الوظائف) لأحد غير يشبك هذا
- وفيه فشا الطاعون بزيادة ، وتعطّلت أحوال الكثير من الناس وأسبابهم، ثم بلغ عدّة من مات في بعض أيام هذا الشهر نحو من عشرة آلاف، وصارت الجنائز كالقطارات

بالشوارع، وكان يصفّ العدّة منها في صلاة واحدة، وتوضع الجنائز بعضها فوق بعض وصلّينا مرة على نحو الستين جنازة

- وفيه في هذه الأيام كان نهاية المغسل الذي أنشأه يشبك الدوادار بالقرب من المصنع تجاه مدرسة الناصر حسن، وحملت إليه الطرحاء من الموتى، وشرع في تجهيزهم وتكفينهم من مالهم، وحصل للناس بذلك رفق وتمّ الأمر على ذلك إلى يومنا هذا ثم كمل ما إلى جانبه من السبيل والمكتبة
- وفي رمضان كان الناس في أمر مريج بسبب زيادة الطاعون فتكدّرت الناس وتعطّلت أحوالهم، واشتدّ مع ذلك كله الغلاء للناس، ووردت الأخبار بغلوّ الأسعار بالبلاد الشامية، وأن الغلاء بدمشق فحش هذا، مع كثرة الفتن والمظالم، فاشتدّ الأمر على الناس، وبيد الله عاقبة الأمور
- وفيه مات للسلطان ولد اسمه أحمد , لم يرزق السلطان ذكرا قبله من زوجته الخوند فاطمة, وكان له أربع سنين ثم ماتت له ابنة اسمها ست الجركس
- وفيه كانت قتلة السلطان بو سعيد ابن أحمد سعدان شاه بن تمرلنك، صاحب سمرقند وبخارى , وكان على يد حسن الطويل، وكان من أعظم ملوك الإسلام ومن أهل الفضل والدين والخير والبرّ، وله الآثار الحسنة من أعظم سلاطين الإسلام وملوكهم، وغلط بعض المؤرّخين بل كذب حيث قال: هلك الطاغية الخارجي بو سعيد
- وفيه كانت كائنة كسر العساكر المصرية ثانيا على يد سوار وقتل جماعة من الأكابر وأعيان الأمرا والكثير من الأصاغر والجند، بل ذهاب العسكر بأسره

سنة أربع وسبعين وثمانماية

- وفيه ماتت الخوند فاطمة ابنة الظاهر ططر وأخت الصالح محمد وزوج الأشرف برسباي , وقد جاوزت الستين وكانت ذات كرم وسخاء خارج عن الحدّ لولا موتها لأتلف مالها , كانت من أعيان الخوندات الأكابر ورؤسائهن، كثيرة التأنّق في سائر شؤنها وأحوالها، عليّة الهمّه في ذلك لا سيما في اختراع أنواع أصناف المآكل والمشارب، ذات كرم وسخاء خارج عن الحدّ بحيث أدّاها ذلك إلى أن تحمّلت الديون الطائلة لوفور كرمها وكثرة عطاياها، جاوزت الستين، ودفنت على أبيها بالقرب من ضريح الإمام الليث بن سعد رحمه الله بالقرافة
- وفيه وصل الخبر من الأتابك أزبك بأنّ ابن رمضان أمير التركمان الرمضانية أخذ قلعة سيس من شاه سوار، فسرّ السلطان بذلك وجهّز إليه خلعة سنية .
- وفيه صعد قاصد شاه سوار إلى بين يدي السلطان، وكان قد أحضر معه هدية، فلم يؤذّن إليه بإصعادها معه، ولما فضّت مكاتبة سوار كان ضمنها طلب الصلح على شروط ذكرها فيه، منها أن يكتب له تقليد بإمرة الأبلستين والتركمان، وتقدمة ألف بحلب، وإنه إن فعل معه ذلك سلّم عنتاب
- [شوال] وفيه كان بداية إنشاء السلطان تربته التي بالصحراء، وأول ما بدأ به عمارة الحوض للدوابّ، ثم حفر الصهريج
- ذو الحجة : وفيه مات صاحبنا المؤرّخ، الجمال يوسف بن تغري بردي .

سنة خمس وسبعين وثمانماية

- المحرم وفيه كثرت القالة بين الناس من علماء وغيرهم في أمر الشيخ الوليّ، العارف، سيدي عمر بن الفارض ، نفع الله تعالى به وافترقوا فيه على فرقتين تعصّبت كل فرقة على الأخرى، وكان رأس أحد الفرقتين قاضي (القضاة) المحبّ بن الشحنة

وهم يقولون بتفسيق ابن الفارض أو تكفيره ورأس الفرقة الأخرى: البدر بن الغرس ومعهم الأتراك من الأمراء قائلون بولايته وتصوّفه ومعرفته التامة وسلوكه وكانت هذه الفتنة قد ابتدأت في حدود السنة الخالية وفشت في هذه الأيام، وكتبت الفتاوى في أمر الفارض، وفي كلماته التي ظاهرها الخروج عن كثير من قواعد الشرع على ما زعم الطائفة المتعصّبة عليه وأفتى شيخنا العلاّمة الكافيجي، رحمه الله تعالى، وجماعة من علماء مصر بما مال إليه البدر بن الغرس، وكان كلام شيخنا في ذلك من أحسن كلام وأقربه إلى الإنصاف وأجلّه وأحشمه، ووقع في ذلك خبط كبير، وخلط كثير، وقال وقيل، وتنافس الطلبة، بل وتعادوا فيما بينهم، بل والعلماء والأكابر، وصنّفت التصانيف, حتى استفيض بأن سيعقد في ذلك مجلس، وهذا بعد تعصّب الكثير من الأمراء الأتراك وغير الأمراء مع الطائفتين، لكن الأرجح والأكثر طائفة البدر بن الغرس ثم زاد الأمر حتى أيقن البقاعي شرور بما جزم بأنه يقتل في هذه الحادثة بتعصّب الترك عليه بل ربما همّ بأن يبعث إلى السيّاف بالوصيّة به والترفق حين يضرب عنقه، ولو فعل به ذلك لكان أهون عليه مما قاساه وعاناه بعد ذلك من المشاق وترك الوطن، حتى صار الناس يصرّحون بأنّ ذلك كله من بركة ابن الفارض وكراماته

- وفيه تصدّق السلطان بجملة من المال على جماعة .
- وفيه وصل الخبر من السلطان محمد بن عثمان ملك الروم أنه افتتح عدّة من بلاد الفرنج البنادقة .
- وفيه وصل إلى القاهرة خير بك سلطان ليلة، ونزل بدار زوجته فاطمة ابنة الجمال ابن كاتب جكم، وأخذ في تجهّز نفسه للخروج إلى مكة المشرّفة

- وفيه عمل المولد النبويّ بالقلعة على العادة وحضره برقوق نائب الشام في أبّهة وجلس رأس الميمنة .
- وفي ربيع الآخر : لما صعد القضاة للتهنئة بالشهر هم والمشايخ، وأرادوا الإنصراف أخذ السلطان في الكلام مع الزين بن مزهر كاتب (السرّ) في أمر محراب جامع الأمير أبي العباس أحمد بن طولون، وأن أهل الميقات ومن له خبرة باستخراج القبلة، أجمعوا على أنه كثير الانحراف عنها إلى جهة الجنوب، فأجاب كاتب السرّ بأنّ الناظر على هذا الجامع هو قاضي القضاة الشافعية، وأنه قد علم ذلك، وأنّ في قصده أن يغيّر المحراب، ويصحّح غيره إلى جهة القبلة منحرفا بالجامع فإنه لا يمكن تغيير الجامع وانفضّ المجلس على هذا ولم يقع شيئا مما قيل إلى يومنا هذا .
- وفيه ورد الخبر من جهة البلاد الحلبية بأنّ حسن الطويل في قصد أخذ حلب، وأنه أظهر العداوة للمصريين، ولما بلغ هذا السلطان تأثّر له، وأظهر الاهتمام الزائد في تجهّز عسكر كثيف وأنه هو يخرج بنفسه .
- وفيه عقد مجلس بالقلعة بين يدي السلطان حضره القضاة الأربع وغيرهم (لقضية ما) وبين ما هم في أثناء ذلك أخذ السلطان يتكلّم معهم بأنه أبطل عدّة مكوس وأمر المنادي بأن ينادي ذلك بين يديه بالقلعة، وحمد على ذلك
- وفي رجب ابتديء بقراءة «البخاريّ» بالقلعة .
- وفيه ورد الخبر بأن شاه سوار استولى على سيس وقلعتها .
- وفي شوال كان خروج يشبك الدوادار ومن عيّن معه إلى جهة شاه سوار، وكان لخروجه يوما مشهودا معدودا من نوادر الأيام، وكان في يرق طائل وتجمّل هائل، وقد جعل إليه السلطان أمر العساكر بأجمعها، وجعل له الولاية والعزل

- وفيه ركب السلطان إلى الريدانية ودار على خيم الأمراء كالمودّع لهم وهو راكب فرسه وما نزل عنه إلاّ لمخيّم يشبك ، فجلس عنده مليّا .
- وفي ذي قعدة ولد ليشبك الدوادار ولد من زوجته ابنة المؤيّد أحمد بن إينال، وسمّي منصورا، وتغالت أمّه في زلابيته وعقيقته .
- وفيه عيّن تمر حاجب الحجّاب للخروج إلى جهة الشرقية لردع المفسدين بها ثم عيّن قانصوه الخسيف أيضا للخروج إلى الشرقية وغيرها من البلاد لردع أهل الفساد، وخرجت الأوامر السلطانية إلى الجهات بأنّ من ظفر بنفر من بني سعد أو وائل فليقبض عليه .
- وفيه كان ابتداء عمارة الإيوان الكبير بالقلعة .

(سنة ست وسبعين وثمانية)

- [محرم] وفيه ركب السلطان ونزل من قلعته ومعه أتابك أزبك وعدّة من أمرائه وخواصّه، وصار إلى جهة شيبين القصر للتنزّه هناك، وبينا هو سائر إذ شبّ فرس الأتابك ورفس، فأصابت الرفسة قصبة ساق السلطان، فانشعرت، بل أشيع بأنه انكسر، فأخذ السلطان يظهر التجلّد، ثم أسرع إلى شيبين ونزل بها، فقوي عليه الألم، فبعث بطلب المجبّرين والجرائحية، وطلب محفّة يعود فيها ولما وصل هذا الخبر إلى القاهرة، كادت أن تموج بأهلها، بل وأرجف العوامّ بموته، لا سيما لما تسامعوا بخروج المحفّة إليه، وكثر القال والقيل بسبب ذلك، وعاد السلطان إلى القلعة، وأنزل بالبحرة وكان لما عاد بات بظاهر القاهرة، فلما بلغه الإشاعات ركب في صبيحة تلك الليلة وهو يتجلّد لأجل قطع قالة العامّة، وصعد إلى القلعة، وانزوى بالبحرة للعلاج وكانت القاهرة قد زيّنت لأمر ما فهدمت الزينة، وأظهر الناس التأوّه عن السلطان،

فبادروا إلى الشرطة بإشهار الندى بالأمان، وسلامة السلطان، وإعادة الزينة ثم كتبت المراسيم إلى جهة البلاد الشامية بمعنى ذلك خوفا من الإرجاف بها بما يكون سبب الفساد .

- وفيه وصل الخبر بقتل قرقماس ، نائب ملطية على يد شاه سوار وكان قرقماس هذا شجاعا، مقداما، عارفا، لا بأس به
- وفيه أشيع بأنّ شاه سوار في احتياط عظيم، وأنه جمع ماله وأهله، وبعث بالجميع إلى قلعة زمنطوا ، وصار هو في جموعه مترقّبا من يأتيه من العساكر ليقابلهم ويقاتلهم .
- وفي صفر وصل الخبر بأخذ يشبك قلعة عينتاب من شاه سوار بالأمان بعد أن حاصر المدينة، واستولى عليها
- وفيه برئت ساق السلطان، فركب ثم اجتاز بالإيوان فأخذ في سرعة العمارة ، ثم نزل سائرا إلى جهة القرافة فزار وعاد، وقد أظهر التهاني، لا سيما بالحريم السلطانيّ، وحضر المغاني .
- وفيه خرج السلطان عن ألف دينار لعمارة ما يحتاج إلى الترقيم من الجامع الناصريّ بالقلعة، وتوسيع الميضأة وإجراء الماء إليها.
- وفيه ورد الخبر بأخذ أذنه وطرسوس من أعوان شاه سوار بعد حصار كبير وقتال، قتل فيه عدّة من الفريقين .
- وفيه نودي من قبل السلطان بأنّ أحدا لا يشكوا أحدا للسلطان إلاّ بعد أن يرفع أمره للأمراء أو القضاء، وإذا لم يخلّص حضر للسلطان وكان قد كثرت شكاوى الناس في الأمور الحقيرة للسلطان حتى المرأة زوجها في أمر حقير .

- وفيه ركب السلطان إلى جهة مصر العتيق لكشف جامع عمرو بن العاص، وكان قد أنهي إليه بتعطّل أحواله وخرابه، فلما كشفه بنفسه أمر بعمارة ما يحتاج إلى العمارة من مال الذخيرة، ولو بلغت النفقة ما عسى أن تبلغ
- وفي ربيع الآخر، لما صعد القضاة وهنّأوا السلطان بالشهر وأرادوا الإنصراف وقف إنسان يقال له الشيخ حسن كالمشتكي من القاضي الشافعي بأنّ خان السبيل تحت نظره، وأنه ضائع المصالح آيل إلى الدثور ، فأمر السلطان بعمارته والنظر في مصالحه .
- وفي جماد الأول وصل محمد ابن نائب بهسنا أحد أخصّاء يشبك الدوادار بمكاتبة منه يذكر انحلال أمر شاه سوار وفلول عساكره عنه، وأنه خائف، وقد توغّل في الجبال وآن أخذه، فسرّ السلطان بهذا الخبر وخلع عليه وأكرمه .
- وفيه وصل القاصد من يشبك الدوادار بمكاتبة منه يخبر فيها بنصرته على سوار، وأنّ جماعة من إخوته تركوه وجاؤوا إلى يشبك، وأنّ عسكره انهزم وقتل منهم جماعة، وأنه سيؤخذ عن قريب .
- [وفيه] أقام السلطان الموكب بمقعد الإسطبل من باب السلسلة (للمظالم، وورد عليه الكثير من الشكاة، وكثرت شكاوى الأكابر حتى أنّ الخوف داخل الكثير منهم، ثم جلس به) غير ما مرة، وحصل بجلوسه النفع في الجملة .
- [وفيه] ركب السلطان وسار إلى جامع الظاهر وكشف السبيل الذي أنشأه وعاد من على قنطرة الحاجب، فأذّن عليه المغرب، ووصل إلى الجيعانية ببركة الرطليّ، فنزل بها وصلّى المغرب منفردا ثم ركب إلى قلعته .
- وفيه انتهت مواكب الإسطبل، وفرّق السلطان فيه على الفقراء ثمان مئة دينار

- وفيه كان ابتداء تفرقة التوسعة الرمضانية من السلطان على جماعة من أهل العلم والمشايخ والطلبة وغيرهم .
- وفيه قدم قاصد ملك الروم ابن عثمان بهدية من مرسله ومكاتبة بالتودّد، وكان هذا القاصد قد حضر بنيّة الحج .
- وفيه رسم السلطان بألف دينار تفرّق على العلماء والصلحاء والفقراء.

وقال ابن إياس: واستمر ذلك عمّالا في كل شهر رمضان مدة أيام الأشرف قايتباي إلى أن مات، ثم تناقص ذلك من بعده .

- وفيه جلس السلطان في يوم العيد على سرير الملك وخلع على الناس، ودخل منصور بن الظاهر خشقدم بخلعة على السلطان فطلبه إليه وهو صغير إذ ذاك ، فأجلسه معه على كرسي الملك، وعدّ ذلك من النوادر التي ما وقعت قط .
- وفيه ورد الخبر من يشبك بأنّ سوار بعث يطلب منه الأمان، وأن يكون نائبا عن السلطان بالبلاد، وأنه يبعث بأمّه وولده وبمفاتيح درنده، ويحلف على ما أريد منه، وأنه لم يوافقه على ذلك إلا أن حضر عنده بنفسه وخلع عليه .
- وفيه كانت الطريق من قطيا إلى القاهرة مخيفة بواسطة العربان المفسدين .
- وفيه سقط إنسان نجار كان يصنع شيئا ببعض طباق القلعة، فمات، فصعد أهله للسلطان وأنهوا إليه أنه فقير الحال وله عيال، وهم يلتمسون شيئا من صدقات السلطان، فأمر بمائة دينار يشترى بها لابنه ملكا يستغلّه من الذخيرة، وأمر للميّت بثوب بعلبكيّ وثلاثة دنانير يجهّز بها به .
- وفيه ماتت الخوند مغل البارزية ، زوجة الظاهر جقمق وكانت من خير نساء عصرها دينا وأمانة ومحبّة للصالحين والفقراء، كثيرة البرّ والمعروف والصدقات

وأعمرت للشيخ مدين الأشموني جامعا، ووقفت عليه أوقافا وكانت من نوادر الخوندات، ويضرب بها المثل .

- وفيه أمر السلطان بإنشاء البرج العظيم بقرب ثغر رشيد .

(سنة سبع وسبعين وثمانماية)

- [صفر] وفيه ضرب السلطان ثلاثة أنفار من جلبانه ومعهم آخر من الخشقدمية ضربا مبرحا لإجماعهم على شرب الخمر، ثم ضرب آخر بعد أيام لفسق بلغه عنه، وأمر بنفيه إلى البلاد الشامية، وكان من جلبانه.
- وفيه أمر السلطان بتبيض باب القصر، وبابي زويلة، وضرب الرنوك عليهما .
- وفيه، في ثامن عشره، كان دخول يشبك (إلى القاهرة) ومعه سوار في سلسلة من الحديد، وبقيّة إخوته وأعيان من قبض عليهم من جماعة ، ووقعت أشياء يطول الشرح في ذكرها آلت إلى أمر السلطان بتشهير سوار ومن معه من إخوته وجماعة ، وشنقه وإخوته مكلّبين بباب زويلة .
- [ربيع الآخر] وفيه أضاف إنسان من مماليك تمراز الشمسي إنسانا وكان معه صرّة ذهب فقتله وأخذها منه، ففطن به، فأمر السلطان بتوسيطه
- وفيه قرّر قجماس الإسحاقي في جملة مقدّمي الألوف على تقدمة سودون الأفرم وقد استعفى منها لما عيّن للسفر، فقرّر باسمه إمرة عشرة يأكلها طرخانا
- وفيه خرج يشبك مسافرا إلى ما عيّن إليه (من قتال) حسن الطويل، وكان لخروجه يوما مشهودا
- وفيه استقرّ في مشيخة الشيخونية صاحبنا الجلال السيوطيّ

- وفي رمضان سقط عدّة أمكنة ومساكن بربع بشتاك بين القصرين، وارتعب منه أهل الربع لكن سلموا وأخرجت امرأة من تحت الردم فقامت تمشي، وأحضر لها ماء لتشربه مما حصل عليها فلم تشربه لكونها صائمة
- وفيه ورد الخبر بإعادة ملطية إلى مملكة السلطان
- وفيه قدم قاصد ابن عثمان ، فأكرمه السلطان ثم أضافه، وأذن له بالسفر
- وفيه صلبت أمة سوداء بباب زويلة كانت قد قتلت سيّدتها، وكادت العامّة أن يحرقونها فمنعوا من ذلك
- [شوال] وفيه مات الأمير الكبير الأتابك جرباش كرد المحمدي، الناصري .

وقال ابن إياس: وهو الذي أنشأ القبّة على ضريح الشيخ عمر بن الفارض، رحمة الله عليه، وهو الذي قام في القبض على شاه سوار وكان ساذجا، سليم الفطرة مع تليّن وسكون، وأدب، وحشمة، تنقّل في الولايات بعد أن تزوّج بابنة أستاذه الخوند شقراء ابنة الناصر فرج، وترشح للسلطنة غير ما مرة، بل وقام طائفة فأركبوه ولقّبوه بالناصر، ولم يتمّ له أمر .

- وفيه تتبّع الحاجب والمحتسب أماكن المنكرات بأمر من السلطان، وأزالا الكثير من ذلك .
- وفي ذي قعدة حضر الخليفة عند السلطان لتهنئته بالشهر على العادة، وكلّمه في أمر بنته ست الخلفاء التي كان قد عقد عليها خشكلدي البيسقي ثم جرت عليه أما جرى ، وطال الكلام في ذلك حتى دخل القضاة، ودار الكلام منهم بينهم في عقد خشكلدي، وما انفضّ على طائل ووقع بعد ذلك أشيا آلت إلى فسخ النكاح .

- وفيه وصل أيضا قاصد من عند ابن عثمان من جهة البحر وأخبر بأنه أخذ في طريقه مركبا للفرنج غنمها فوجد بها مكاتبة حسن إليهم بأن يمشوا على الروم ومصر وهو يساعدهم .
- وفيه وردت مكاتبة ابن الصوّا من حلب بتلاشي أمر حسن ورحيله عن البيرة، وأنّ ولدا له قد جرح جراحات بالغة، وآخر من أولاده أصيب في عينه، وزال عقله، وأنه كان بينه وبين طائفة من الجيش السلطاني مقتلة (هائلة) .
- وفي ذي الحجة وصل الخبر بأنّ ابن عثمان قد سار بعساكره إلى جهة بلاد حسن الطويل، وأنّ جاليشه وصل إلى مدينة أذربيجان فنهبها وسبى أهلها وفتك فيها .
- وفيه قدم قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم فأكرمه السلطان، وأحضر صحبته مكاتبة حسن الطويل إلى بعض ملوك الفرنج .

(سنة ثمان وسبعين وثمانماية)

- ورد عليه الخبر بأنّ الفرنج قد عاثوا بقرب الإسكندرية وأسروا تسعة من المسلمين، وأخذوا مراكبا للتجار بما فيها من تجار وأموال من دمياط وغيرها، فطلب السلطان قجماس الإسحاقي أحد مقدّمي الألوف، وأمره بالخروج لوقته عساه يتلافى ما وقع من الفرنج، فتجهّز وخرج مع أذان عصر يومه ذلك في مشهد حفل .
- وفيه وصل الخبر من يشبك الدوادار بأن صاحب قونية جاء في عسكر كبير إلى زمنطوا، وأنه قادم ليتعاضدوا على حسن الطويل، وأنّ حسن قد مات ولده محمد أغرلوا وأن حسن توجّه إلى جهة ملطيه .
- وفيه عيّن السلطان برسباي الشرفيّ أحد العشرات وأستادار الصحبة رسولا منه إلى ملك الروم ابن عثمان، وجهّز معه هدية سنيّة .

- [ربيع الأول] وفيه ورد الخبر بفرار حسن الطويل من طلائع عساكر ابن عثمان وكسر طلائع حسن المذكور، فسرّ السلطان بذلك
- وفيه ورد الخبر بأن ابن عثمان وصل إلى ملطية نجدة للعساكر المصرية على حسن الطويل .
- [ربيع الآخر] وفيه ورد الخبر بكسر عسكر ابن عثمان من عسكر حسن الطويل بعد الالتقاء، ثم عود عساكر ابن عثمان على حسن وكسره أقبح كسر وأنّ حسن نفسه فرّ هاربا مهزوما وكاد أن يقتل، وحصل عنده من الفزع والرعب ما أثّر فيه بأخرة حتى كان من أعظم الأسباب لموته بعد ذلك، وأنّ يشبك الدوادار مشرف على أخذ قلعة الرها
- [جمادى الآخر]وفيه ثار جماعة من جلبان السلطان بالقلعة وعاثوا بها ومنعوا الصاعد والنازل من التوصّل إليها وإلى أسفلها، والسلطان مع ذلك لا يكترث بهم ويركب وينزل ودام ذلك عدّة أيام، حتى قصد السلطان مقابلتهم بالسلاح لولا تلطّف حتى سكن وسكنوا .
- وفيه وصل الأتابك [أزبك] إلى القاهرة، وصعد إلى القلعة، فخلع السلطان عليه، ونزل في موكب حافل
- وفيه ورد الخبر من يشبك بأنّ حسن الطويل بعث إلى ابن عثمان يسأله في الصلح، فأجابه بأنّ ذلك موقوف على رضى سلطان مصر، وأنه عيّن قاصدا إلى السلطان لأجل ذلك ومعه هدية
- [رمضان] وفيه كان دخول يشبك إلى القاهرة بعد أن احتفل له السلطان ونزل إلى داره ، وعقد له على أخت قانصوه خمسمائة

- **وفيه** كان ختم البخاري بالقلعة على العادة، واحتدّ فيه السلطان حين تقبيل يده، وقال: لا يسلّم على القضاة إلاّ القضاة فقط.
- **ذو القعدة** وفيه خرج يشبك الجمالي مسافرا لابن عثمان .
- **وفيه** كان بناء أزدمر الطويل على بنت المنصور عثمان بن الظاهر جقمق، واحتفل بها زوج عمّتها الأتابك، وكذا يشبك الدوادار
- **وفيه** ثار جماعة من جلبان السلطان ونزلوا إلى بولاق ونهبوا ما فيها من المآكل ونحوها، ثم قصدوا شونة شعير ليشبك الدوادار فنهبوا ما فيها، وصاروا من وجدوه من جمال السّقّائين وأخذوه وأراقوا في الروايا من الماء وحمّلوها الشعير إلى إصطبلاتهم، وبلغ السلطان ذلك، فبعث مقدّم المماليك ليردعهم فما أدركوهم إلا وقد فات الأمر وأسفر الجلبان في هذا اليوم عن أذى كثير للناس
- **وفي ذي حجة** ثار جماعة من الجلبان أيضا، وتحزّبوا لأجل عليق خيولهم وغير ذلك من أشياء أخذوا يتعنّتوا فيها فبعث إليهم السلطان بتمر الحاجب، وخير بك من حديد، وتنبك قرا الثاني، ولا زالوا بهم حتى عادوا إلى طباقهم، وسكنت الفتنة شيئا ثم أحسّ يشبك الدوادار بشرّ فخرج إلى الجيزية فرارا من الشرّ، مظهرا بإنه خرج لعمل مصالح الإقليم .

(سنة تسع وسبعين وثمانماية)

- **وفيه** وصل قاصد حسن الطويل وصعد إلى القاهرة وأوصل مكاتبة مرسله ، مضمونه الاعتذار عمّا كان، وأنه لم يقع عن قصد واختيار وغير ذلك من كلام
- **وفيه** وصل قاصد السلطان محمد بن عثمان ملك الروم، وأقيم له الموكب لما صعد إلى بين يدي السلطان وكانت مكاتبته تتضمّن المودّة والشفاعة في إينال

الحكيم وكان قد جرت كائنة وفرّ (إلى) ابن عثمان، فقبل السلطان الشفاعة وأكرم قاصد ابن عثمان

- [جمادى الآخر] وفيه سعّر المحتسب المبيعات، فعزّ وجود الخبز في الأسواق والأفران، وازدحم الناس على شراء الدقيق وعزّ وجوده ، ومات كثيرا من الناس جياعا غير ما ليلة

- وفيه وقع بين علي بك أحد أمراء ابن عثمان (وبين بني الأصفر) حرب هزم فيها علي بك المذكور، وقتل جمعا وافرا من عسكره استشهدوا، ولله الأمر .

- وفيه نزل السلطان للإسطبل للحكم به، ووقع له عدّة حكومات، منها قضية حكم فيها على نفسه، وأخرى على كاتب السرّ وكان قد أعدّ له دكّة لقراءة القصص عليها تجاه مقعد السلطان، فنزل عنها وساوى خصمه حتى ادّعى، ثم أخرى على يشبك الدوادار، فقام وساوى خصمه حتى سمع دعواه، ثم أخرى على جانبك الفقيه، ففعل كذلك ثم أمر السلطان بإحضار من بالسجون فأطلق أربعة من أولي الجرائم، وجماعة من الفرنج كانوا بالسجن فأسلموا، وفرّقهم على الأمراء للخدمة، ووصّى بهم

- وفيه ماتت الخوند بدريّة ابنة الأشرف إينال وكانت وجيهة لا بأس بها وهي زوج بردبك الدوادار، وتركت عدّة أولاد ذكور وأناث من برد بك، وتزوّجت بعده بقراجا الطويل وماتت تحته.

- وفيه هجم طائفة من مفسدي العربان على منية الأمراء من ضواحي القاهرة فنهبوا وسلبوا (ما وجدوه) من ثياب المارّة والمتفرّجين، من جملتهم إنسان من مماليك السلطان سلبوه وسلبوا فرسه وتركوهما عريانين

- شوال : وفيه كان ببولاق من الخلق ما شاء الله تعالى أن يكونوا، زعموا أنهم بحضور ليلة سيدي إسماعيل الإنبابي، وللتفرّج على الردك، ووقع في تلك الليلة من المفاسد والفسق والفجور ما لا يعبّر عنه برّا وبحرا، وسقطت إشارة بالردك فقتل بها صغير رضيع، وكانت ليلة شنيعة
- وفيه قبل أمر السلطان بشنق جارية بيضاء، فشنقت على جمّيزة بحدرة ابن قميحة من طريق مصر العتيق ، وكانت هذه الجارية قد حملت، فلما وضعت قتلت الولد خوفا من الفضيحة، وأغرق إنسان من جلبان السلطان أيضا اتّهم بها، وجبّ آخر بسببها ونفي وكانت هذه من النوادر
- وفي ذي حجّة لما كثر أذى العربان المفسدين بالشرقية والغربية عيّن السلطان إليهم يشبك الدوادار لردعهم، فخرج في عدّة من مقدّمين الألوف وغيرهم من الأمراء وجماعة من الجند السلطاني، (وجالوا تلك البلاد) وردعوا بها أهل الفساد والعناد، وقبضوا على جماعة ووسّطوا جماعة، واستولوا على الكثير من الخيول جدا في وقعات، وهي تبعث إلى الظاهرة حتى تحصّل منها عدّة مستكثرة جدا .

(سنة ثمانين وثمانماية)

- وفيه قتل إنسان من جلبان السلطان غلاما له وزوجة الغلام، فأمر السلطان بتوسيطه على باب إسطبله
- وفي ربيع الأول حين صعد القضاة القلعة لأجل تهنئة السلطان وقع كلام كثير بسبب وظائف شيخنا الأمين الأقصرائيّ، وكان من جملة كلام السلطان: «أنا ما أعطي الوظائف إلا بالاستحقاق وعلى المهل ولو عشرين سنة»، ثم انفضّ المجلس لا على طائل .

- [ربيع الآخر] وفيه كان سفر السلطان إلى ثغر رشيد للكشف عن البرج الذي أنشأه هناك، وسار في البحر في المراكب ومعه جميع أمراؤه وجنده وكانت المراكب التي معه زهاء عن مائة مركب، وذكر بعض البحارين أنها كانت تسع مائة ووصل السلطان إلى رشيد فرأى البرج وأعجبه، وقرّر أموره وأمور الجامع الذي أنشأه هناك
- وفيه ورد الخبر بأنه وقع بين شاه بضغ بن دلغار وبين ابن قرمان التي بجبال الورسق من بلاد المحجر كائنة وحرب قتل فيها جماعة من الفريقين
- وفيه أيضا أشيع بأنّ حسن الطويل بعث طائفة من عسكره لقتال أخيه أويس بالرها، ثم أشيع بأنهم قتلوه
- وفيه نودي بزينة القاهرة بقدوم السلطان، وزيّنت زينة حافلة ، وخرج الكثير من الطوائف العسكر إلى لقائه ومعهم الشاش والقماش ليركبوا به ثم في عشرين الشهر وصل السلطان ودخل إلى القاهرة في مشهد حافل جدا، وازدحم الناس لرؤيته بالطرقات، وخرج أهل الذمّة بالشموع الموقدة، وشق القاهرة صاعد إلى القلعة وعاد وقد زار القدس والخليل، وفعل بهما أنواعا من البرّ، وتصدّق بستة آلاف دينار، وأقام بالبيت المقدس ثلاثة أيام، وجلس به يفصل الحكومات، وأزال عدّة مظالم، وأنشأ بالعريش جامعا وسبيلا، وأعمر عدّة أماكن بطريقه، وحصل له من التقادم أيضا أشياء كثيرة
- وفيه عرض السلطان في مماليكه بالطباق بالقلعة وبعقد أحوالهم في قراءتهم القرآن وفي كتابتهم، وعرض فقهاء الطباق معهم

(سنة إحدى وثمانين وثمانماية)

- وفي جماد الأول نزل السلطان إلى دار الأتابك أزبك ليعوده، وكان قد مرض وأشيع بأنه في غاية الجهد من مرضه، وأرجف بموته
- وفي شعبان كثرت الأراجيف بحدوث الطاعون بالقاهرة .
- وفيه تعهّد السلطان النزول إلى الإصطبل والجلوس فيه يفصل الحكومات ورفع إليه إنسان شكوى على أبي بكر بن عبد الباسط، فأمر (نقيب الجيش) بحمله معه إلى حيث شاء من قضاة الشرع
- وفيه أشيع بالقاهرة أن السلطان تنكّر وغيّر هيئته ونزل لابسا برنسا إلى القاهرة، وإلى جهة الجامع الأزهر، ورأى عمائره التي أنشأها تجاه الجامع المذكور من السبيل والمكتب وما إلى جانبها من الربع الهائل وما تحته من الحوانيت والخان وما يقرب ذلك من العمائر والحوض وكانت هذه العمائر قد انتهت وما بقي إلاّ اليسير منها وذكر عنه أنه تصدّق بالجامع الأزهر وغيره من غير أن يشعر به أحد، وأنه سأل عن أحوال الناس والرعايا، وسأل عن نفسه عن بعض الناس، إلى غير ذلك من الإشاعات ولعلّ نزول السلطان على هذه الهيئة والصفة من النوادر
- (وفيه) ظهر الطاعون بمصر في بعض الأطفال والرقيق وكثرت الأراجيف به
- وفي ذي قعدة كان الطاعون متزايدا فاشيا بالقاهرة وضواحيها، وبلغ عدّة من يرد اسمه ديوان الحشر نحوا من ستين نفسا خارجا عن الأطفال والعبيد والإماء فهم أضعاف ذلك ثم بعد أيام ظهر بقلعة الجبل وصار يموت من المماليك في كل يوم منه عشرة فما دونها، وعمّ ديار الأمراء، فما من دار إلاّ والموت في المماليك عمّال .
- وفيه هلك بطرك النصارى اليعاقبة، ميخائيل المنفلوطيّ وكان مشكورا في بطركته،

محمود السيرة عند أهل ملّته، معظّما عندهم، موصوفا بالأمانة والعفّة والزهد والعبادة على قواعدهم.

- **وفيه** زادت (عدّة) الأموات ، وزادت عدّة من يصلّى عليه بمصلّى باب النصر على المائة، وقس على ذلك بقية المصلّيات، وهنّ سبعة عشر مصلّى ، وفشا الطاعون ببولاق، وصار يجرف الناس جرفا ورؤيت الجنائز كالقطارات، وربّما صفّت الجنائز عشرة في مرة واحدة، بل وربّما كانت أزيد من ذلك في الصلاة الواحدة، ونودي من قبل يشبك أنّ من كان عنده ميّت وعجز عن تكفينه وتجهيزه فليحمل إلى مغسله الذي أنشأه قريب المصنع، فحصل للناس بذلك رفق، وكذا فعل بمغسل زين الدين الأستادار ببولاق، وجهّز يشبك من ماله جمعا موفورا في هذا الوباء
- **وفيه** ماتت أخت السلطان الخوند جان تين الجركسية وتركت موجودا بزيادة على العشرين ألف دينار، وتركت ولدا لها وكانت جنازتها حافلة جدّا حضرها السلطان والأمراء والأعيان
- **وفيه** أحصي من مات بالقلعة من مماليك السلطان إلى أواخر هذا الشهر، فكانوا زيادة على أربعمائة .
- **وفيه** قرئ «صحيح البخاري»، و «مسلم»، و «الشفاء» بالجامع الأزهر، وحضر القضاة ذلك والمشايخ والطلبة بأمر من السلطان، وصاروا يدعون عقيب ذلك بدفع البلاء عنهم، وهو الطاعون، وهذا خلاف السنّة
- **وفيه**، في أواخره، تناقص عدد الموت بالمصلّيات، وبدا (الحال) عن شيئا بالنسبة لما كان، بل كان بحكم الثلث مما كان

- وفيه ركب السلطان ومعه كاتب السرّ وعدّة من أمرائه وخواصّه ونزل إلى الجامع الأزهر، وقد حضر قضاة القضاة وجماعة من الأعيان فصعد وإيّاهم إلى سطح الجامع ورأى ما أحدثت به من الخلاوي، وكشفها بنفسه، فقال للقضاة: «إنّ هذا لا يحلّ إيجازه هاهنا بغير شرط الواقف ووقع كلام كثير، وآل الأمر فيه أن حكم القاضي المالكيّ بهدم جميع ذلك، ونفّذ بقيّة القضاة حكمه ثم برز أمر السلطان بترميم الجامع، وقام جماعة من الفقراء فشكوا إلى السلطان فقرهم، فتصدّق عليهم بشيء من المال ثم ركب عائدا إلى قلعته

(سنة اثنتين وثمانين وثمانماية)

- وفيه قام يشبك الدوادار في أمر ما بني بالطرقات والشوارع والأزقّة من أبنية وحوانيت وسقايف ورواشن ومصاطب وغير ذلك مما بني بغير وجه وقام أيضا في قطع الأراضي بشوارع القاهرة، وكانت قد زادت وعلت جدا وتسلسل الحال في الهدم والقطع مدّة حتى دخلت السنة الثانية، وهدم فيها أشياء كثيرة بحق وبغير حق، لكن حصل النفع غالبا .
- وفيه كان الهدم عمّالا في الأماكن التي على الطرقات على يد يشبك، وأمر السلطان البدر بن الكويز معلّم المعلّمين أن يتولّى كشف الأماكن التي أمر بهدمها، والتي لم تهدم بعد، ويكون معه من كل مذهب نائب من قضاة الحكم وشهود .
- جماد الآخر: ورد مرسوم من السلطان ليشبك وغيره من الأمراء بأن يتعاضدوا على المقاصد ويتوصّوا بالأحوال والرعايا ويحضروا تفرقة الجوامك، وأكّد في عمل المصالح وغيرها، وأشيع بأنه متوجّه إلى البلاد الشمالية، وما علم ما الغرض من سفره ثم رتّب الأتابك عدّة مماليك للطوف في كل ليلة بشوارع القاهرة، وما حصل على أحد شرّ

ولا تشويش وكان الأمن والأمان حتى تعجّب الناس من ذلك

- وفيه كان قلع عتبة بابي زويلة، وغلق البابين أياما ثم قلعهما لإصلاحهما، وامتنع المارّ منهما مدّة، وعدّ ذلك من النوادر وقام يشبك بذلك، وأمر بإصلاح وجوه الجوامع وغيرها من المساجد والأماكن وتبييضها حتى عادت القاهرة كأنها استجدّت، وصار من غاب عنها إذا عاد إليها تغيّرت عليه أحوالها وطرقاتها
- وفيه أقيم الموكب والخدمة بالحوش وحضره الأتابك، وعرض السلطان المسجونين، وأطلق بعضا منهم، وضرب آخرين، وأمر بتوسيط اثنين من المفسدين فسمرا وشهّرا ووسّطا
- [وفيه] ورد الخبر بأن هوّارة بالوجه القبليّ في غاية الافتتان، وأن يونس بن عمر قام في مكان هو وبعث يستجيش أعراضه من هوّارة، وتشعب الناس هناك وخرج سيباي الكاشف بجنده وبقية الكشاف، ووقع بينهم مقتلة قتل فيها جماعة من الجند والبلاصية ولما بلغ ذلك يشبك الدوادار وهو يتمرّض برجله أخذ في أسباب تجهّز نفسه للسفر إلى الوجه القبليّ ثم أشيع بأنّ السلطان متوجّه إليه بنفسه .
- وفي ذي الحجّة عاد السلطان من سفره بالفيّوم، وبطلت الإشاعة بتوجّهه إلى الوجه القبلي .

(سنة ثلاث وثمانين وثمانماية)

- وفي صفر أمر السلطان بإنشاء البرج المعظّم بميناء الإسكندرية بمكان المنار، وجاء من (أجلّ) المباني الهائلة وأحسنها .
- وفي ربيع الآخر صعد قاصد ابن عثمان إلى القلعة بهدية من مرسله ومكاتبة، فأكرمه وخلع عليه .

- جمادى الأولى : وفيه ورد الخبر بأن الغاوي قريب سيف أمير نعير قد خرج عن الطاعة بسبب القبض على قريبه سيف، وأنه عاث الفساد ببلاد حماه وحلب وزاد شرّه وفساده، وقتل الكثير من الرعايا، وقطع آذان البعض، وأخذ الأموال، وسبى الذراري، والنساء، وأنّ نائب حماه خرج إليه بجموعه، ففر منه إلى حلب وفعل بها نحوا مما ذكرناه، وخرج إليه نائب حلب والتقا به حتى حاربه حتى هزمه وهو في أثره .
- وفيه نودي أنّ جميع الديار المطلّة بالشوارع توقد بها القناديل في طيقانها .
- وفيه فتح سدّ بركة الأزبكية، وكان له مشهدا حافلا ، واتفق أنّ صعد جماعة من المتفرّجين على شجرة جمّيز، فانكسر غصن منها وسقط بمن عليه، فمات به امرأة .
- وفيه وصل يشبك الدوادار من الوجه القبلي وصعد إلى القلعة في موكب حافل وبين يديه بني وفيهم أحمد أخو يونس، وجماعة وافرة من أعيان هوّارة وغيرهما ركبانا بين يديه في التوكيل بهم في السلاسل والأغلال والقيود، وجماعة من الأتباع مشاة .
- وفي جماد الآخر : وفيه ورد الخبر بموت حسن الطويل ، وأنّ ولده خليل ولّي عوضه ، وصحّ هذا الخبر .
- [ذو القعدة] وفيه وصلت الجزية من قبرص إلى دمياط، وكانت قد تعطّلت مدّة سنين حتى بعث السلطان غير ما مرة بطلبها وتهديد صاحب قبرص .
- وفيه انتهت عمارة جانم السيفيّ قانباي البهلوان أحد العشرات ودوادار يشبك وخاله، وهي الجامع الذي استجدّه بالخطبة تجاه جامع قوصون .
- وفيه مات الخوند فاطمة ابنة المؤيّد أحمد بن الأشرف إينال زوجة يشبك الدوادار وكانت شابّة حسنة، وتركت موجودا كثيرا .

(سنة أربع وثمانين وثمانماية)

- وفيه أنشأ يشبك الدوادار خمسة مراكب للسفر بالغلال والمتاجر إلى مكة ببحر الطور وأنشأها بالصحراء بقرب تربته ثم لما تكاملت أخشابا مركبة حملت إلى السويس على الجمال، وركّبت هناك وأنزلت البحر .
- [جمادى الأول] وفيه ماتت الخوند الكبرى الخاصكيّة، زوج الأشرف إينال، وأمّ المؤيّد أحمد، زينب ابنة حسن بن خليل بن خاص بك وهي في عشر الثمانين وكانت من مشاهير الخوندات، ونالت في سلطنة زوجها من السعادة والعزّ والجاه ووفور الخدمة، ونفاد الكلمة والتدخل في تدبير المملكة ما لم ينله غيرها وحضر ولدها جنازتها، وأخرجت حافلة جدا .
- وفيه ورد الخبر بأنّ السلطان دخل دسوق وزار سيدي إبراهيم الدسوقي ماشيا .
- وفيه عاد السلطان من سفرته بالإسكندرية، ولما شاع الناس به، وخصوصا العوامّ، كادت القاهرة أن تموج بأهلها، وهرعوا إلى ساحل بولاق للفرجة عليه، واجتاز في مراكبه ببولاق وكان لدخوله إلى ساحلها يوما مشهودا .
- في بدائع الزهور 3/ 157 وفيه: «وقد عدّ سفره من النوادر كونه توجّه إلى ثغر الإسكندرية وترك الملك المؤيّد بالقاهرة، مع أن مماليك أبيه الأشرف إينال كانوا في غاية التنمرد ينتظرون لوقوع الفتن، وظهر منهم في غيبة السلطان بعض حركة ، ونفي فيما بعد منهم جماعة كثيرة»
- [جمادى الآخر] وفيه نودي بقطع الطرقات بالقاهرة، وقام يشبك في ذلك أتمّ قيام، وفرض على أرباب الأملاك، وصار يشبك يبعث الجمال والحمّارة لشيل ما قطع شيئا فشيئا بأجرته، (ومن) لم يجد قطع شيئا أو غاب، أمر بقطعه من ماله، ثم رجع به على

أربابه، وبعث إلى جباة الأوقاف، وألزمهم بذلك، وقطعت في أقرب وقت وأسرعه .

- **وفيه** كان سفر السلطان إلى الحج، وكان قد بكّر إليه الأتابك أزبك، وجلس عنده (مليّا) ، وأوصاه بوصايا كثيرة، وجعله هو ويشبك، عوضا عنه في النظر في المصالح ثم ركب بعد الزوال، ونزل من على جهة الصحراء، وسار ومعه عدد يسير من خاصكيته وبعض من أمرائه وعدّت هذه السفرة من نوادر هذا السلطان ومن نوادر سفرات السلاطين على هذا الوجه .
- **وفيه** اهتمّ يشبك الدوادار بعمارة الخراب الذي برأس الحسينية، وابتداؤه من جامع آل ملك النائب إلى جامع كراي، بل وما فوقه وما بين تلك الأماكن، وجاء مكانا هائلا، لكنه لم يتمّ غرض يشبك في عمارته، وبقيت أشياء كثيرة لم تنته، واشتمل هذا البناء على غيطين عظيمين وقبّة هائلة ودهليز شارع طويل وبناء عظيم، وبركة هائلة في رحبة متّسعة بها شرفات .
- **وفي ذي حجّة** وفيه كان العمل بعمارة الكبش بأمر السلطان وكان الشادّ على العمارة نانق المؤيّدي، أحد العشرات، وجاءت عمارة جيّدة .
- **وفيه** قدم مبشّر الحاج إنسان من خواص خاصكية السلطان يقال له أسنباي، وعرف بالمبشّر بعدها إلى الآن، وأخبر بسلامة الحاج والسلطان، ووصف كيفية سفر السلطان وما وقع في أثناء ذلك، وكيفية دخوله إلى المدينة المشرّفة أولا، وأنه تصدّق بها خمسة آلاف دينار، ثم كيفية دخوله إلى مكة وملاقاة أميرها قبل ذلك، وأنه تصدّق بها بخمسة آلاف دينار، وحصل لأسنباي هذا من الخلع والمال ما عمّه وطمّه .

(سنة خمس وثمانين وثمانماية)

- في محرم كانت القاهرة في غاية ما يكون من الأمن والرخاء والطمأنينة، مع كون السلطان غائبا والأمراء والجند الكل بها إلاّ بعضا يسيرا مع السلطان .
- واستهلّت ويشبك الدوادار في غاية الاجتهاد في أمر العمارة خارج الحسينية وهو واقف عليها بنفسه قاصدا تكملة الدهليز العظيم ليسير السلطان منه إلى القاهرة في حين قدومه من الحج .
- وفيه دخل السطان للقاهرة بعد أن زيّنت له زينة حافلة، وقعد الناس لرؤيته، وسار قاصدا القلعة شاقّا للقاهرة من باب النصر حتى خرج من باب زويلة حتى نزل بالمقعد من الحوش، ومدّت له الأسمطة فأكل ثم خلع على من له عادة في مثل هذا الحال، وتحوّل إلى الدكة فجلس عليها .
- وفيه كان خروج يشبك ومن عيّن معه للسفر، وخرج من غير تطليب ولا هرج ولا اضطراب، وكان عليه خمدة حتى تفوّه الكثير من الناس بأنه لا يعود، وتفاءلوا به، فكان كما تفاءلوا وعمل يشبك في سفرته هذا أشياء لم يقع له في خرجه أمرها، وكأنّه حدّثته بأنه لا يعود بل ذكر لي من أثق به أنه صرّح بأنه لا يرجع من سفرته هذه .
- رمضان : وفيه أمر السلطان بتجديد عمارة قبّة الإمام الشافعيّ، رحمه الله تعالى، وجاءت في غاية الحسن.
- وفيه، كانت الكائنة المهولة بالرها ، وقتل فيها يشبك الدوادار وجماعة، وكسرت العساكر المصرية، وأسر فيها جماعة من أكابر الأمراء الأعيان، ونهب العسكر عن آخره على يد بايندر باش عساكر يعقوب بن حسن الطويل وكانت كائنة فظيعة .
- وفيه عيّن السلطان الأتابك أزبك باشا وعرض الجند وعيّن منهم جماعة، وعيّن أيضا

عدّة من الأمراء، وصارت الأراجيف عمّالة بأن عساكر ابن حسن ستزحف على حلب وغيرها من البلاد، ولو فعلوا ذلك لكان لهم شأنا .

- وفي ذي قعدة وصل قانصوه الشاميّ، وقانصوه دولات باي دوادار يشبك الدوادار، وكانا قد حضرا الحرب فذكرا للسلطان كيف كانت على التفصيل .
- وفيه أحضرت جثّة يشبك الدوادار بغير رأس، ودفنت بتربته (بالصحراء) وانقطعت الإشاعات بأنه حيّ .

(سنة ست وثمانين وثمانماية)

- وفيه كان وصول قجماس الإسحاقي نائب الشام إليها وكان له يوما مشهودا .
- وفيه مات السلطان المعظّم، والملك المفخّم، الكبير، الغازي، ملك الروم، وصاحب قسطنطينية العظمى، محمد بن مراد بن محمد بن عثمان .
- وفيه ركب السلطان إلى الروضة وكشف على الجامع الذي كان قد أمر بتجديده أصلا ورأسا، وهو جامع المقسي الذي كان يعرف قديما بجامع الفخر، وعرف بعد نهايته بجامع السلطان .
- وفي شعبان كان دخول جمجمة بن عثمان إلى القاهرة بعد أن احتفل السلطان إلى لقائه، وبعث بالوزير الطواشي خشقدم ومعه المطبخ السلطاني وأشياء كثيرة، ولقيه ببلبيس، وأقام له السلطان موكبا (حافلا) .
- وفيه كان سقوط الصاعقة وحريق الحرم الشريف النبوي على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وكان حريقا مشهورا، سقطت منه المنارة والموذن ومات عدّة أنفس أيضا أو زيادة على ذلك كانوا بالمسجد الشريف، وسقطت منه سقوط المسجد وجميع

الأعمدة، وما سلم سوى القبر الشريف، فإنه وجد كما كان، وعملت النار فيما حوله ولم يؤثر فيه، وكان هذا من نوادر الحوادث .

- وفيه وصل إلى القاهرة قاصد يعقوب بن حسن الطويل، وصعد إلى بين يدي السلطان ومعه مكاتبة من مرسله بالتودّد والاعتذار عمّا وقع، فتكلّم السلطان بكلمات فيها العتب والمخاشنة، ثم أضاف القاصد بعد ذلك وطيّب خاطره .
- وفيه ركب السلطان إلى غير ما جهة غير ما مرة، وكلّما اجتاز بالعامّة ضجّوا إليه في أمر الفلوس وما هم فيه من الضرر بواسطة ذلك، وشكوا إليه غلو الأسعار وارتفاعها، فأمر بأن يعقد مجلس بالصالحية بحضرة القضاة الأربع ، وكاتب السرّ، وناظر الخاص، والمحتسب، فعقد في سلخه وقد جمعت فيه التجار والسوقة، واجتمع فيه من الغوغاء ما شاء الله أن تجمّع ثم أخذوا في التكلّم في أمر الفلوس وما ناب الناس من ضررها، وعمّ من بليّتها بسبب غلو الأسعار وارتفاع سعر الدينار ثم اتفق الحال بعد طول هذا المجلس وطول الكلام فيه إلى أن يكون الفلوس كلّها بالميزان بستة وثلاثين درهما الرطل، فسكن الحال شيئا .
- وفي شوال : وفيه وصل الخبر من المدينة المشرّفة بمحضر يكتتب بالكائنة التي اتفقت بالمدينة من الحريق الأعظم كما قدّمناه، فحصل عند الناس بذلك باعث شديد وأخذ السلطان في الإهتمام بشأن هذا الحادث والاجتهاد في القيام ببناء المسجد الشريف النبويّ، ثم عمل بتقدير النفقة عليه فكانت نحوا من مائة ألف دينار ثم بني بعد ذلك وأعيد أحسن ما كان وبنيت القبّة المعظّمة على القبر الشريف بعد إحكام بناء القبر أيضا، وعملت المقصورة الهائلة النادرة وكانت هذه من أجلّ المباني وأعظمها .

(سنة سبع وثمانين وثمانماية)

- في محرم : وفيه عزم جمجمة بن عثمان على السفر إلى جهة بلاد أخيه لقيامه عليه عساه ينزع الملك منه له، ووقع من السلطان والأتابك والأمراء بمصر كلام في ذلك آل إلى الندامة كونهم جهّزوه وما أعاقوه بهذه المملكة لما جرى بعد ذلك وما حدث .
- وفيه كان ابتداء العمارة التي أنشأها السلطان بالبندقانين ووقفها على الحرم الشريف النبويّ، على ساكنه أفضل الصلاة والسلام .
- وفيه وصل الخبر بكسر جمجمة بن عثمان من جيش كثيف جاء إليه ببلاد ابن قرمان من أخيه أبي يزيد صاحب الروم، وأنه قد فرّ هاربا، فكتب عن السلطان لنواب البلاد الشمالية بأن يتجهّزوا ويتأهّبوا لمنعه من هذه المملكة خوفا من كسر الناموس بدخول عساكر ابن عثمان خلف جمجمة لهذه المملكة.
- وفيه أشيع بأنّ جمجمة بن عثمان قتل , ثم أشيع بأنه فرّ بنفسه فوجد مركبا للفرنج ببعض السواحل فركبها وفاز .
- وفي رجب ماتت الخوند شقراء ابنة الناصر فرج بن الظاهر برقوق زوجة الأتابك جرباش كرت وكانت من مشاهير النساء، ولها معرفة وحنكة وصولة في الخوندات، وكانت جنازتها حفلة حضرها السلطان بسبيل المؤمني .
- وفي شعبان هيّأ الأتابك أزبك أنفاطا بالأزبكية وعملت وقدة بالديار هنالك ليلا، ووقع فيها من السخف والفسق ما لا يعبّر عنه .
- وصل الخبر بأنّ علاء الدولة بن دلغادر قد أظهر انتماؤه لابن عثمان .
- [شوال] وفيه ولد للسلطان ولد ذكر من سريّة من سراريه، وسمّي محمدا .

(سنة ثمان وثمانين وثمانماية)

- وفيه أشيع بأنّ ابن عثمان في حركة زائدة .
- [صفر] وفيه كان ابتداء عمارة السبيل وما بأحوازه بالجبل في طريق الحجّارين وكان سبيلا حسنا نافعا، في محلّه .
- وفي ربيع عمل المولد النبويّ ، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، بالقلعة بين يدي السلطان على العادة وقام كاتب السرّ في أثناء ذلك المجلس وتكلّم بأشياء كثيرة عن لسان السلطان، وأنه اشترى أملاكا ورباعا ورزقا بنحو المائتي ألف دينار وجعلها وقفا مبتدئا على المدينة المشرّفة لأنواع برّ ووجوه خير، وأخذ في تفصيلها حتى انتهى وذكر أنّ السلطان أبطل جميع المكوس التي بالمدينة الشريفة، وعوّض صاحب المدينة عن ذلك ألف إردبّ من القمح .
- وفيه اعترض جماعة من العامّة الأتابك أزبك وهو صاعدا إلى القلعة لشهود صلاة الجمعة مع السلطان، فشكوا إليه من صغر قطع الخبز، وأنّ زنة الرغيف أربع أواق، مع قلّة وجوده بالحوانيت فلما أخبر السلطان بذلك أحضر المحتسب لبين يديه وشهّره ووبّخه، وأمره بجمع الطحّانين، وعمل المصالح، فحصل بعض رفق .
- وفي جماد الآخر أشيع بأنّ علاء الدولة بن دلغادر على حصار ملطية بل وغيرها من البلاد، وأنه في جموع موفورة .
- وفيه كائنة الشمس الحلقي ضبط عنه أنه قال عن ابن عربيّ أنه كافر، وكفره أشدّ من كفر اليهود والنصارى وعبدة الأوثان، وأنّ كتبه يجب حرقها، وأنّ كلّ من اعتقد إسلامه فهو كافر، فقال بعض من حضر: كيف تحرق وفيها كلام الله؟ فقال: ولو كان وادّعى عليه ذلك كلّه، فبادر بالترامي على كاتب السرّ، فأحضره عنده وعزّره وحقن دمه، وحكم بإسلامه، وجرت عليه أشياء لا خير فيها .

• وفيه مات جانم البهلوان الظاهريّ، أحد العشرات وكان [من] موالي الظاهر جقمق، وتأمّر بعده، وكان رأسا في الصراع مات بحلب .

(سنة تسع وثمانين وثمانماية)

• في محرّم قبض على إنسان بزيّ الفقراء من أهل الصلاح، وله شعرة برأسه، ويدخل إلى مزارات الصالحين فلا يظنّ به سوء، وكان دأبه سرقة الستور من على ضرائح الصالحين، كشفه الله تعالى في هذا الشهر وفطن به فضرب وشهّر .

• استهلّت السنة وقد كمل الحرم الشريف المدني كله، ولم يبق منه شيء أصلا، وكذا لم يبق من المدرسة السلطانية غير الترخيم وبعض تتمّات من أعلاها وسكن بعض خلاويها، وانتهى الفرن والطاحون وما تمّ محرّمها حتى وصل شادّ عمائر الحرمين منها لمكة، وناظرها للقاهرة .

• وفيه أمّر قانصوه الغوري عشرة، وعيّن للتجريدة .

• وفيه ورد الخبر بأنّ ابن عثمان ملك الروم غزى غزوة غظيمة .

• رمضان : وفيه كانت كائنة قتل وردبش نائب حلب، وجماعة معه من عساكر حلب، بل ومن عسكر مصر وكان قد توجّه بعسكره إلى جهة علاي الدولة وقد أنجده طائفة من عسكر ابن عثمان ببلاد ابن قرمان، فالتقى العسكران، وكانت الكسرة على العثمانية وعلاي الدولة، لكن كثروا بعدها فكسروا العسكر الحلبي ومن معه، فقتل وردبش من محمود شاه الظاهريّ وكان شجاعا، مقداما ترقّى سريعا، وزالت سعادته بسرعة ترقّى من الخاصكية والدوادارية إلى نيابة سيس، ثم نيابة قلعة الروم ولم يباشرها .

- ثم حصلت النصرة ثانيا للمصريّين على علاء الدولة ومن معه من عساكر ابن عثمان والقرمانية وكسروهم وأخذوا لهم أشياء ما بين سناجق وغيرها على يد تمراز أمير سلاح .

- وفي شوال وفيه ركب السلطان من قلعته بهيئة الموكب السلطاني وأبّهة الملك، وساروا والجنايب بين يديه ونمجاة الملك والترس والمدوّرة والبقج، وغير ذلك، ومعه جماعة قاصدا منزل الأتابك أزبك، وكان قد أشيع بأنه موعوك فجلس عنده ساعة خفيفة، (ثم خرج) من عنده فدار على بعض عمائره، وعاد إلى قلعته فبعث إليه الأتابك بأشياء، فلم يقبل منها إلاّ شيا يسيرا، وردّ الباقي وحمد وشكر .

(سنة تسعين وثمانماية)

- وفيه عيّن جانبك حبيب للرسلة لابن عثمان، وأمر بتجهيز حاله من البحر، وأخذ السلطان في تجهّز هدية حافلة لابن عثمان ، ومكاتبة من الخليفة ومنه بما عساه يكفّ عن هذه المملكة، وتقع المسالمة .

- وفيه أشيع بأنّ علاء الدولة تحرّك بمجموعة على بلاد سيس وطرسوس وغيرهما، وأنّ عسكر ابن عثمان معه على ما هو فيه .

- وفيه ورد الخبر بأخذ علي الدولة درنده، وأنه عاش بتلك البلاد فأخذ السلطان يستحثّ التجريدة المعيّنة للخروج .

- [جمادى الأول] وفيه، كثرت الأراجيف والإشاعات الباطلة بأنّ ابن عثمان قاصدا هذه المملكة بنفسه، فأخذ السلطان يظهر أنه يعيّن الأتابك ومعه تجريدة، ثم انحلّ العزم شيئا .

- وفيه سافر آقبردي الدوادار، وابن الجيعان، وجان بلاط، وماماي، والحاج رمضان مهتار الطشت خاناه السلطانية، ومعهم جماعة من القراء لعمل وليمة بمدرسة السلطان بالبيت المقدس .

- وفيه ورد الخبر باستيلاء ابن عثمان على قلعة كولك، وأن نائبها طوغان الساعي من مماليك السلطان هو الذي أسلمها لعسكر ابن عثمان وقد وصل إلى تلك الأطراف وكانت هذه أول فاتحات ابن عثمان وتحرّكه على هذه المملكة ومنع بعد ذلك من جلب المماليك إلى هذه المملكة، وجرت أمور هي باقية مصطحبة الشرر إلى اليوم .

- وفي رجب قويت الإشاعة بالتقاء العساكر العثمانية والمصرية .

- وفيه ورد القاصد من حلب يستحثّ بأن يخرج إليهم عسكرا .

- وفيه زادت شرور الجلبان وأذاهم وشرور الزعر والعبيد، وخرجوا في ذلك عن الحدّ .

- وفيه كان ابتداء رمي أساس عمارة السلطان بخط الخشابين، وكملت (بعد ذلك) فكانت من أحسن المباني .

- وفيه وصل قرقماس التنمي من حلب بأخبار غير سارّة، منها قصد عساكر ابن عثمان هذه المملكة، فأشيع في يوم وصوله بأنّ السلطان سيعيّن الأتابك بعسكر كثيف معه .

- وفيه وصل إلى القاهرة جماعة من العثمانية نحوا من خمسين نفر فارّين إلى هذه المملكة، فأكرمهم السلطان وأنزلهم، وذكروا أنّ عسكر ابن عثمان قاصد هذه المملكة .

- وفيه وصل الخبر بموت بيبرس الرجبي نائب طرابلس، قريب السلطان وكان قد أرجف بقتله وما صحّ ذلك، ثم صحّ أنه (مات) متمرّضا وكان إنسانا حسنا، شجاعا، عارفا، شابا، متجمّلا ، تنقّل في أسرع وقت وزال في (أسرعه).
- وفيه صعد الأتابك لصلاة الجمعة مع السلطان فوقف له جماعة بباب زويلة وضجّوا له من ظلم الجلبان وما فيه الناس من الضرر بواسطة ذلك، وسألوه أن يعرّف بذلك السلطان واتفق أن صعد قاضي القضاة الزين زكريا فأخذ يعرّض في خطبته، بل يصرّح بظلم الجلبان وما هم فيه، وما حلّ (بالمسلمين) من أذاهم ثم ذكّر الأتابك ما وقع له، فأخذ السلطان يظهر التألّم على الناس وتنكّر أفعال جلبانه ثم لما نزل الأمراء من الصلاة جمع السلطان أغوات الطباق والأعيان منهم وقرّعهم ووبخهم وحذّرهم ثم أمر بجمع الجلبان، فاجتمعوا بالحوش، فأخذ السلطان في توبيخهم، ثم وعظهم وتخويفهم من عامّة الظلم ومن سطوته، وأمرهم بأن يحضروا ما أخذوه من الخيول والبغال إلى غيره، ونفع رضا أصحابها ثم أمر بأن ينادى: أنّ من له فرسا أو بغلا يصعد في غير هذا اليوم إلى الميدان لعمل مصلحة، فجمع من ذلك شيئا كثيرا ، ثم عملت بعض مصالح الناس بحضور أمير اخور كبير، وحصل للناس بعض طمأنينة مما كانوا فيه [رمضان] [وصول قاصد من حلب] وفي رمضان وصل قاصد من حلب ومعه ما يوجب بعض السرور وتثبيط العسكر
- وفيه كان خروج العسكر المعيّن لعلاء الدولة، وكان لخروجهم يوما مشهودا.

وفيه أمر السلطان بالفحص عن حواصل الغلال ومخازنها وضبطها ومعرفة أصحابها عن غلال الأمراء وأرباب الدولة، وأن يتقدّم أرباب الغلال ببيعها بخمس مائة الإردبّ، ومن امتنع من ذلك يفتح حاصله ويباع عليه شاء أو أبى .

- وفيه كانت كائنة التقاء العسكرين المصري والعثماني، وكسر العثماني أقبح كسرة، والقبض على أحمد بن هرسك أمير أمراء ابن عثمان، ثم أخذ أدنة وقتل جماعة فيها، وقتل آلاف من عسكر ابن عثمان، حتى قال المكثر: نحوا من أربعين ألفا، وكانت كائنة مهولة جدا .
- وفيه وصل قيت الساقي بما معه من الرؤوس المقطّعة، وأقيم الموكب بالقلعة مع انقطاع السلطان، وحضر من وجد بالقاهرة من الأمراء بالحوش بين يدي دكّة السلطان، وغطّي مكان جلوس السلطان بالملاءة الحرير وصعد قيت ومعه عدّة من الخاصكية والرؤوس المقطّعة محمولة على الرماح وغيرها بين يديهم والقاهرة مزيّنة وكان أحضر معه كاتب جيش ابن عثمان مأسورا .
- وفيه قرّر الجلال السيوطيّ في مشيخة البيبرسية بعناية الخليفة، وركب إليها في مشهد حافل .
- وفيه وصل الخبر بعود العساكر إلى حلب بأسرها، فانزعج السلطان لذلك ثم ورد الخبر بأنّ ابن عثمان جمع جيشا كثيفا وشقّ قاصد هذه البلاد ثانيا، فحصل عند السلطان باعث شديد بذلك .
- وفيه أشيع بأنّ ببلاد المشرق فتن كثيرة، وأنّ ملك خراسان قد استولى على عدّة بلاد لابن حسن الطويل، وأنّ مملكة كرمان وشيراز قد خرجا من يده .
- وفيه أشيع بأنّ طائفة من عساكر ابن عثمان عادت إلى أن وصلت إلى بلاد الأبلستين وقلعة الكولك ، ووصل إلى قريب أدنة أيضا، وكانوا جيشا كثيرا، وأهم

ملكوا بلاد طرغل، وأظهروا قوّتهم وما هم فيه ، وتوعّدوا هذه المملكة وعادوا وكان الظنّ بهم هجومها ، فلطف الله تعالى .

- وفيه ماتت الخوند آسية ابنة المؤيّد شيخ وزوجة يشبك الفقيه أمّ ولده يحيى وكانت خيّرة ديّنة، عارفة بطرائق الخوندات .

(سنة اثنين وتسعين وثمانماية)

- اشتدّ البرد جدّا، وكانت الأسعار مرتفعة، وزنة الخبز كل رغيف ثلاثة أواق ونصف، ثلاثة دراهم بل ربّما وجد الرغيف ثلاث أواق، فكان كل رطل خبز باثني عشر درهما وكانت أحوال الناس في وقوف وتعطّل جدا، وزادت الفلوس وكثر ضربها، وأضرّ ذلك بحال الناس، وارتفع سعر النصف الفضّة صرفا إلى أربعة وعشرين درهما نقرة هذا، والجلبان وغلمانهم وعبيدهم والزعر من العوامّ والأوباش يفعلون ما شاءوا كما شاءوا ولا من يردّهم، والطرقات مخوفة، والأراجيف عمّالة بتحرّك ابن عثمان، وقصده البلاد الحلبية، والسلطان يصرّح لأمرائه وجنده في كل قليل بأن يكونوا على أهبة متى دعوا فليجيبوا ويخرجوا .

- وفيه مات بدمياط السلطان الملك المنصور ، عثمان بن الظاهر جقمق، أبو السعادات القاهري، الحنفيّ وكان عالما، فاضلا، مفنّنا .

- وفيه أبيع الإردبّ القمح كل إردب بستة دنانير، وظهر شدّة الغلاء، وزاد في هذه الأيام حتى أجهد الناس، وأكل الكثير من حشائش الأرض وقعر الجزر وقشور البطيخ، وغير ذلك، ومات الكثير من الجوع، سيما أهل السجون .

- وفيه فتحت عدّة شون ببولاق، وبيع منها القمح بخمسة دنانير الإردب بعد أن قام المحتسب قياما، وضرب الكثير من الباعة والخبّازين ونحوهم، وكثر وجود

الذرة في هذه الأيام، وكان قد زرع منه الكثير بالوجه القبلي، فاستعان به الناس، لا سيما الفقراء، في قوتهم، وحصل به فرج .

- وقال ابن إياس: «وقطع الخبز من أكثر الخوانق والمدارس أوقاتا، وانجفل كثيرون إلى الأماكن التي لم يحلّ بها هذا البلاء كغزّة، ووصل علم ذلك للفرنج، فجلب جمع من تجّارهم قمحا كثيرا، بيع الإردبّ منه بثلاثة دنانير فأقلّ بعد أن كان بستة فأزيد، وشقّ ذلك على طالب الازدياد، وربما احتال بأمر يوصله لبعض غرضه، ثم جاء الشعير الجديد، فتوسّع الناس به وبالجملة، فلم تدرك مثل هذه الأيّام، والعبارة تقصر عن شرح تفصيله، والموت فيها منتشر، والأبدان ضعيفة» .
- وفي ربيع الأول قوي البرد وثارت رياح الحسوم، واستهلّ والغلاء فوق الحدّ والأراجيف بحالة بأمور يسيء الناس سماعها .
- وفيه فشت بالقاهرة أمراض حادّة، ومات بها جماعة من الناس، وصلّي فيه في بعض الأيام بمصلّى باب النصر على نحو الأربعين جنازة .
- وفيه توقّفت الأحوال وتعطّلت أحوال الناس، وأغلقت الكثير من الحوانيت بالقاهرة، وصار الناس في قلق وقلقلة بسبب الفلوس، وزاد ضررها، وعدم الخبز بالأسواق، وارتفع سعر الغلال بعد ما كان قد تراجع شيئا ثم آل الأمر أن نادى السلطان على الفلوس بستة وثلاثين نقرة الرطل، وعدل عن عددها إلى الوزن وكان العوام قد تحزّبوا في هذا اليوم وتجمّعوا من باب زويلة إلى باب المدرّج ووقعت أمور طويلة آلت إلى السكون شيئا بهذه المناداة .
- [جمادى الأول] وفيه ماتت فاطمة ابنة قانباي العمريّ، زوج جرباش قاشق ، وحماة

الظاهر جقمق وهي صاحبة الجامع الصغير بين السورين خارج باب القوس وداخل باب الشعرية ودفنت بقبّة الظاهر برقوق بمدرسة بين القصرين.

- وفيه حمل مهر ابنة الأتابك أزبك ليعقد عليها لقانصوه خمسماية الأمير اخور الكبير، وبعث به إلى السلطان من عنده، وكان شيئا كثيرا حافلا، هائلا .

- وفي شعبان ماتت فاطمة ابنة (يوسف) بن عبد الكريم بن بركة بن كاتب جكم وكانت خيّرة ديّنة، فاضلة، أدوبة، حشمة، قرأت القرآن العظيم، وشيء من الرسائل الفقهية، وسمعت على الفخر الديميّ .

- وفيه مات بدمشق نائبها قجماس الإسحاقي ، الظاهريّ وكان إنسانا حسنا، خيّرا، ديّنا، فارسا، شجاعا، بطلا، عارفا بفنون الفروسية والملاعيب، مع أدب وحشمة وتواضع، وسكون زائد، وعبادات، ومحبّة في العلم وأهله وله الآثار الحسان، منها: المدرسة المعظّمة الضخمة، قريبة البياطرة، والدرب الأحمر الذي بقرب سوق الغنم، وتربة أنشأها بالصحراء، وما أنشأه بدمشق، وغير ذلك .

- وفيه وصل الخبر بفرار شاه بضاغ بن دلغادر من قلعة دمشق، فتأثّر السلطان لذلك غاية التأثّر، ورسم بشنق نائب القلعة ثم بعد مدّة ظهر بأنّ بضاغ هذا توجّه لابن عثمان، وأنه أكرمه ثم جرت على بضاغ أمور، وآل أمره أن فرّ عائدا إلى هذه المملكة ثانيا، وها هو الآن بمنفلوط، رتّب إليه عدّة مرتّبات .

- وفيه وردت أخبار غير سارّة، وأشيع بأنّ ابن عثمان في تجهّز عظيم، وأخذ السلطان في عرض بيوتاته وإشاعة أنه مسافر بنفسه .

- وفيه شدّد والي الشرطة على الناس، وصار من يجده بعد صلاة العشاء بهدله كائنا

من كان، وحصل بذلك بهدلة على جماعة من بياض الناس، وصارت الحوانيت تغلق مع أول العشاء، وكلّم في ذلك فلم يرعوي .

- وفيه وصل قاصد من علاي الدولة ومعه تقدمة للسلطان .
- وفيه سقطت ليلا القبّة العظمى على محرابه الجامع الناصريّ بالقلعة وكان لها رجّة حين سقوطها وهشّمت المنبر، ومات تحتها بواب الجامع وولده، وأصبح السلطان فبكّر بالخروج إلى الجامع حتى رأى القبّة، ثم اهتمّ الزمام في تنظيف ما سقط للشروع في إعادة قبّة أخرى، ثم جمع الصنّاع والنّجارين والعمّال، وأحضرت أخشابا كثيرة، وأخذوا في عمل قبّة ثم انتهت في حدود السنة الآتية، وجاءت قبّة حسنة .

(سنة ثلاث وتسعين وثمانماية)

- وفيه اجتاز علينا ونحن بالشيخونية في هذا اليوم عدّة من الجنائز حتى تعجّبنا من ذلك في غير وباء ولا طاعون .
- وفيه قويت الإشاعات بتجهّز ابن عثمان عساكره لقصد هذه المملكة هذا والسلطان كلما بلغه ذلك همّ أن يعيّن عسكرا يخرج سريعا، والأمراء لا سيما الأتابك يعاكسه في ذلك وكان الرأي مع السلطان لو فعل ذلك ووقع التشاور مع الأمراء غير ما مرة، والأتابك يثبّطه حتى صحّ الخبر بوصول عساكر ابن عثمان بعد ذلك، وعيّن العسكر، وخرج في جمادى الآخر .
- [صفر] وفيه ورد الخبر بموت الملك المؤيّد أبو الفتح أحمد بن الأشرف إينال العلائي، الجركسيّ الغزيّ الأصل، الحنفيّ وأنه مات في ليلة رابع عشره ودفن بالثغر واستؤذن السلطان على إحضاره إلى القاهرة ليدفن على أبيه .

- وفيه قويت الإشاعة بأنّ عساكر ابن عثمان قد تحرّكت، فعيّن السلطان الأتابك أزبك للخروج تجريدة .
- وفيه ورد الخبر باستيلاء ابن عثمان على قلعة إياس من غير قتال ولا غيره .
- [وفيه] وصل إلى القاهرة طائفة من العثمانية فارّين فأنزلهم السلطان بطباق في جملة الجند على عادة الجند في المرتبات .
- وفيه صحّ الخبر بأنّ عدّة من مراكب جهّزها ابن عثمان في البحر الملح إلى جهة باب الملك ليقاطع على العساكر المصرية .
- رمضان : وفيه ورد الخبر من الأتابك أزبك بأنه ملك باب الملك بعد أن كان ابن عثمان قد جهّز المراكب إلى تلك الجهة مشحونة بالمقاتلة وكانت عدّة [مراكبه تزيد] على الستين مركبا، وأنّ الله تعالى بعث عليها ريحا أغرق عدّة منها، وخرج أهلها إلى البرّ، فقتلهم العسكر المصري وكانت فتنة كبيرة انتصر فيها المصريّون، فسرّ السلطان بهذا الخبر .
- وفيه نودي بأنّ النساء لا يخرجن إلى جامع عمرو لما يقع منهنّ من الفساد في رمضان وما لا خير فيه، ومع ذلك فلم يكففن وكان بالجامع في بعض جمع هذا الشهر من اللّغط وبيع الملاهي وغيرها ما لا يعبّر عنه ولله الأمر .
- وفيه ورد الخبر بأنّ العساكر المصرية التقت بعساكر ابن عثمان بالقرب من أدنه، وكان بينهما وقعة هائلة في ثامن رمضان قتل فيها جماعة من الطائفتين، وقتل من الأعيان من أمراء مصر .
- [شوال] وفي شوال وصل مغلباي البجمقدار الأشرفيّ، أحد العشرات، من جلبان السلطان بالبشارة بنصرة العساكر المصرية على عساكر ابن عثمان،

واستقدم معه عدّة من الروس المقطّعة من العثمانية، وكان نحوا من مائتي رأس على الرماح والجريد، وهي أمام مغلباي، وصعد إلى بين يدي السلطان فخلع عليه، وكان له يوما مشهودا ، كثر فيه الزحام للفرجة .

- وفيه أشيع بأنه وقع بين بني الأصفر الأنكرس، وبين طائفة من جيش ابن عثمان حراب انتصر فيها المسلمون .
- وفيه مات محمد بن محمد بن محمد بن سلامش بن بيبرس الملك الظاهر وكان حشما من مشاهير أولاد الأسياد .

(سنة أربع وتسعين وثمانماية)

- وفيها كان خلع السلطان نفسه من الملك وتبرّمه منه، ثم عوده إليه بمبايعة جديدة وكان السبب في ذلك جلبانه، فإنهم لما حضروا من التجريدة أخذوا في التعنّت والشغب، ووقع لهم أشياء كثيرة أوجبت السلطان جمع الخليفة والقضاة والعلماء والأمراء وجميع أرباب الدولة والجند، وتكلّم بكلمات منكية نادرة وآل أمره أن خلع نفسه حتى روجع في ذلك وأعيد في الوقت .
- وفيها ورد الخبر بأنّ شاه بضاغ ابن دلغادر حضر إلى بلاد الأبلستين ومعه جمايع من عسكر ابن عثمان، وأنه كبس على أخيه علاء الدولة، وقبض على ولدين له، فانزعج السلطان لهذا الخبر .
- وفيها صحّ الخبر بأنّ شاه بضاغ بن دلغادر في أطراف مملكة ابن عثمان مما يلي بلاد الأبلستين، وأنه في جمع من عسكر ابن عثمان ومعه أمير من أمرائه يقال له إسكندر بن ميخائيل، وقد انضمّ إليهم الكثير من الدلغادرية .

- وفيها وصلت مكاتبة داوود باشا وزير ابن عثمان إلى الأتابك أزبك بأنه إن أشار على السلطان يبعث قاصد وبعثه إلى ابن عثمان يكون الصلح، فأعيد إليه الجواب بأنه متى حلّيت القلاع، وأطلق للتجار بالمماليك المجيء إلى هذه المملكة يكون الصلح وجرت بعد ذلك أمور في قضية هذا الصلح، وهي مسلسلة إلى الآن، والسلطان ينكر ذلك ويقول: «هذا حيلة» .
- وفيها كان وصول اسكندر بن ميخال ، أحد أمراء ابن عثمان إلى القاهرة مأسورا، ومعه جماعة من العثمانية، وقد أخذوا بعد أن تقاتل هو وبعضا من نواب البلاد الشامية، وعلاي الدولة وكان القائم بالحراب شاه بضاغ فكسر هو والعثمانية، وفرّ وأخذ اسكندر هذا، وكان لدخوله إلى القاهرة يوما مشهودا، وهو مسجون بها الآن .

(سنة خمس وتسعين وثمانماية)

- وفيه وصل شاه بضاغ بن دلغادر إلى القاهرة فارّا من بني عثمان وكان لما هرب من قلعة دمشق توجّه إليه، ووقع له هناك أشياء تطول، ثم فرّ منهم إلى هذه البلاد فأكرمه السلطان وخلع عليه ثم بعد مدّة يسيرة بعثه إلى منفلوط يقيم بها بمرتّب (له بشيء) أجراه عليه .
- وفيه جلس السلطان بمقعد الإسطبل من باب السلسلة للحكم، وتكرّر منه ذلك غير ما مرّة وحصل بذلك بعض نفع وخلاص الكثير من الحقوق .
- ربيع الأول : وفيه وصلت أخبار من عند علاي الدولة بأنّ ابن عثمان في تجهّز ومشت طلائع عساكره .
- وفيه وردت مكاتبة قانصوه شادّ البرج بالثغر السكندري يقدّر أشياء يحتاج إليها بالبرج ليكون عدّة له من حادث يحدث بالبحر وكانت الإشاعة قويّة بأنّ

مراكب ابن عثمان في تجهّز كبير، وكتبت قائمة بأشياء ما بين أخشاب، وبتاتي، وجبال، وأحطاب وزاد من بقسماط، وغيره .

- وفيه حضر بعض القرّاء بين أيادي الأتابك أزبك بداره، فأخذوا في قراءة {الم غُلِبَتِ الرُّومُ} السورة فحنق منهم وأمر بهم فضربوا على أرجلهم عصيّا بين يديه، ولقد أجاد .
- وفيه أشيع بأنّ عساكر ابن عثمان عدّت إلى برصا .
- وفيه استفيض على ألسنة أهل مصر، سيما من العوام، بأنّ يشبك الدوادار موجود وهو في قيد الحياة، وزادت هذه الإشاعة حتى خرجت عن الحدّ، ثم لم يظهر لها الأثر .
- [رمضان] وفيه أغلق باب الجامع المؤيّديّ من بعد صلاة الصبح إلى الظهر، ومن بعد العصر إلى المغرب، ثم دام ذلك .
- وفيه نقل سوق الحمير من مكانه أمام باب الميزان إلى جهة مدرسة قانباي الجركسيّ خلف سور الميدان .
- وفيه ابتديء بعمارة المكان الذي أنشأه السلطان على بركة الفيل لولده، وتم بعد ذلك بعد أن أصرف عليه أموالا هائلة جدا ولله الأمر .
- وفيه جمع إنسان من الجند ثلاثون نفرا بثلاثين مصحفا بالمدرسة الأيتمشيّة، وأمرهم أن يقرأوا حتى يختموا، كلّ مصحفه الذي معه فعدّت من النوادر، كون ثلاثين ختمة تقرأ في وقت واحد .

(عبد الباسط الملطي – نيل الامل ي ذيل الدول)

(سنة ست وتسعين وثمانماية)

- **في المحرم** منها دخل الأتابك أزبك إلى القاهرة ومعه جميع الأمراء الذين خرجوا معه ما عدا أزبك اليوسفيّ فإنه أدخل في محفّة إلى داره لوعكه وكان لدخول الأتابك هذا يوما مشهودا .

- **وفيه** سمع صوت من جبل المقطّم المطلّ على حوش السلطان بحيث يسمع السلطان ذلك، وفيه الحط عليه وتخويفه وتحذيره وبال ظلمه وعاقبة ذلك أن يقطع عما هو فيه وكان قد اشتدّ الطلب على الناس بسبب جباية ما فرضه من الخمس شهور، حتى أزعج هذا الصوت السلطان، وبعث من يترصّد ذلك، فلم يوجد، حتى قالت امرأة يسمع الصوت: «إن كنت شاطر اقفاهم» يعني من يفتّش عليه من جهة السلطان فأجابها: «إن كانوا هم شطّار فليحصّلوني»

- **وفيه** أغلق الأتابك أزبك الربع الذي خلف المدرسة الصالحية الذي يقال له: «ربع البارزيّ»، وأبطل سكناه، بل وسدّه، وقبض على من كان فيه من بنات الخطا، وضربهنّ، وشهّرن بالقاهرة .

- **وفي جمادى الأولى** أمسك من بالربع المتوسّط بين الكتبيّين وخان الخليلي، وهو علو الوكالة التي هناك، وتحت نظر الأتابك من النساء، وهنّ نحو عشرين امرأة، وفيهنّ إماء، لشهرتهنّ بالخطأ، فطيف بهنّ، ثم رسم عليهن على مال، إما متجمّد عليهنّ من الأجرة أو غير ذلك، وكان الآمر بإمساكهن قاضي الحنابلة لمقابلة الربع لباب الدخول لقاعته بالصالحية .

- **وفيه** دخل قاصد ابن عثمان ملك الروم إلى مصر مع ماماي قاصد السلطان وهو إنسان من الفقهاء مولّى قضاء بروشا التي يقال لها برصا، وكان لصعوده إلى القلعة يوما مشهودا، وجاء بحكاية ابن عثمان بتقدير الصلح بين المملكتين ووقعت

جزئيّات تطول آلت إلى عود القاصد حامدا شاكرا، رأى من العزّ والكرامة من السلطان وأمرائه ما لا يعبّر عنه .

- وفي رجب وفيه حمل جهاز ابنة يشبك الدوادار التي عقد لها على كرتباي ابن أخت السلطان شادّ الشراب خاناه وكان جهازا حافلا جدا، به أشياء نادرة .
- وفيه كان بين قانصوه خمسماية الأمير اخو كبير، وبين آقبردي الدوادار وكانت هذه بداية الوحشة الفاحشة بين الإثنين، حتى أدّت بعد ذلك إلى المقارعة بالسيوف قبل الحتوف .

(ثم دخلت سنه سبع وتسعين وثمانمائة)

- وفيه جاءت الاخبار بأن مملكه حسن بك الطويل في اضطراب وان ابن عثمان اشرف على اخذ بلاد الطويل من يد اولاده فلما بلغ سلطان ذلك قصد ان يخرج بتجريده صحبه حسين ابن حسن الطويل الذي كان مقيما بالقاهرة ثم ال الامر الى اهمال خروج التجريده ومات حسين فيما بعد لما حج ودفن بالمدينه الشريفة.
- وفيه وقع الطاعون الثالث في دوله الاشرف قايتباي .
- وفي رجب توفيت ابنه السلطان وكانت تسمى ست الجراكسه وكانت شابه جميله مستحقه للزواج وكانت من سريه فماتت هي وامها في يوم واحد واخرجت قدام نعش ابنتها وكانت جنازتها حافلة .

(ثم دخلت سنه ثمان وتسعين وثمانمائة)

- وفي صفر انعم السلطان على مملوكه قاني باي قرا وهو الذي بقي امير اخور كبير فيما بعد .
- وفي ربيع الاخر عين قانصوه خمسمائة امير اخور كبير .

(ثم دخلت سنه تسع وتسعين وثمانمائة)

- وفي المحرم صعد القضاه الى القلعة للتهنئة بالعام الجديد وصعد ايضا الشيخ جلال الدين السيوطي فلما جلس سأله السلطان عن اي سنه سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها فلم يجيبه الشيخ جلال الدين عن ذلك بشيء مع غزاره العلم وقوه الاطلاع وكان السلطان عنده كتاب يسمى حيرة الفقهاء ثم اجاب الشيخ جلال الدين بعد ذلك بجواب حسن كافى في هذه المسأله بأن السلطان قصد بذلك الاذان فإنه سنه ولم يفعله والاصح انه اذن في وقت واورد في ذلك الحديث وعمل في هذه المساله كراسه مطوله وذكر فيها اشياء كثيره مما سنه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفعله .
- وفيه عين السلطان الامير ماماي من خداد بان يتوجه رسولا الى ابن عثمان وقد توجه اليه قبل ذلك مره او مرتين .
- وفي جماد الاولى امر السلطان بتجديد عماره باب القرافة وانشأ هناك الربوع والسبيل وجاءت من احسن المباني ثم بعد مدة يسيرة انشا جامعا خارج باب القرافة فجاء غاية في الحسن به النفع للناس .
- وفيه امر الاتابكي ازبك بتجديد عمارة المدرسة المنصوريه التي بدهليز البيمارستان وعمل على الفسقيه التي بها قبه وجدد بها منبرا واقام بها خطبة وخطب بها ولم يعهد قبل ذلك ان احدا من الاتابكيه قبله اقام بها خطبة فعد ذلك من النوادر .

(ثم دخلت سنه تسعمائة)

- وفي رمضان توعك السلطان في جسده ثم ارجف بموته ونسب لقنصوه خمسمائة في مدة توعك السلطان على انه قد تقحم على السلطنه فمنع من الدخول على

السلطان في مده انقطاعه ثم ان السلطان حصل له الشفاء ونودي في القاهرة بالزينة .

- وفي ذي القعده بدأ السلطان يتوعك جسده وظهر عليه اشاير الموت فضرب الكرة في ضربا هينا لما كان عليه قبل ذلك من القوة فسبحان مغير الاحوال .

وفيه تعمرت القلوب بالعداوة بين قانصوه خمسمائة وبين اقبردي الدوادور فصارت العداوه كل يوم في مزيد فلما كان يوم الخميس المذكور ركب قنصوه خمسمائة ولبس لامة الحرب والتف عليهم جماعه من خشداشيته مثل قنصوه الالفي والجمع من الخاصكيه والمماليك السلطانيه فلما لبسوا لامة الحرب توجهوا الى بيت قنصوه خمسمائة فركب معهم واتوا الى بيت الاتابك ازبك الذي انشأه في الازبكية فأجتمع هناك من العسكر ما لا يحصى , فلما بلغ الامير يشبك الجمال بان العسكر قد اجتمع عند الاتابك ازبك حضر فكمل هناك اربعه امراء مقدمين وجاء العسكر افواجا افواجا ولا بقي يعلم ان كانت هذه الركبه على السلطان ام على الامير اقبردي الدوادر فلما اشتد الامر طلع تاني بك قرا حاج الى السلطان وتنصح له وخلى به وقال له انما هذه الركبة على السلطان .

فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت احواله وخشي من اتساع الفتنه فنزل الى باب السلسله وجلس في المقعد المطل على الرمله وعلق الصنجق السلطاني ثم نادى السلطان في العسكر كل من كان طائعا لله وللسلطان يطلع الى الرمله ويقف تحت السنجق السلطاني فلما بلغ الامراء المقدمين ذلك طلع الى باب السلسله تمراز وتاني بك اقبردي وازبك اليوسفي وغيرهم من الامراء المقدمين والطبلخانات والعشرات واجتمع بالرمله الجمع الغفير من العسكر فلما بلغ ذلك من بالازبكيه من العسكر بان السلطان قد نادى ان العسكر الطائع يطلع الى الرمله ووقف تحت الصنجق السلطاني فصاروا في الحال يتسحبون هناك شيئا ويطلعون الى الرمله حتى لم يبقى في الازبكيه الا مماليك الامراء الذين هناك فظهرت الكسرة على قنصوه خمسمائة ومن معه من الامراء وكانت هذه اول حركات قنصوه خمسمائة وهم معكوس الحركات في سائر افعاله .

وبينما الاتابكي ازبك جالس في مقعده اذا بالامير أزبك اليوسفي داخل عليه وصحبته الحج رمضان مهتار الطشتخانه فقالا له قم كلم السلطان في خير فقام من وقته وتوضأ وصلى ركعتين وركب بصحبتهما الى القلعه فلما راوهم المماليك الجلبان كادوا ان يقطعوه بالسيف فلما وقف بين ايدي السلطان فقام له وامر بادخاله الى قاعه البحرة خوفا عليه من المماليك الجلبان الا يقتلوه .

لما بلغ قنصوة خمسمائة ومن معهم من الامراء ان الاتابكي قد عوقوه بالقلعة فقام قنصوه وركب وتوجه من

على قنطره الحاجب واختفى من حيث لا يعلم له خبر وكذلك بقيه الامراء ممن كان من عصبه قنصوة خمسمائة فلما اختفوا الامراء انفض ذلك الجمع الذي كان بالازبكيه كانه لم يكن .

ثم ان السلطان نادى للعسكر بان يقلعوا اله الحرب ويتوجهوا الى بيوتهم ونادى للناس بالامان والاطمئنان واما الاتابكي ازبك فانه اقام بقاعه البحره ثمانيه ايام فلما كان يوم الجمعه رسم له السلطان بانه يصلي معه الجمعه وهو بالشاش والقماش على عادته ولما فرغ من الصلاه اراد ان ينزل الى داره فقيل له ان المماليك واقفه بالرمله ومتى نزلت من هنا يقتلونك لا محاله فخاف عليه السلطان وادخله الى قاعه البحرة ثم انهم اجتمعوا عند السلطان فقال له انا ما بقي لي اقامه في مصر يقتلوني المماليك الجلبان وقصدي اتوجه الى مكه فاجابه السلطان في ذلك فكانت مدته في الاتابكيه نحو من سبعة وعشرين سنة .

(ثم دخلت سنه واحد وتسعمائة)

- وفيه جاءت الاخبار من حلب بوفاه صالح الكردي حاجب حلب وشيخ الابراج مات قتيلا وجاءت الاخبار من حلب ايضا بقتل محمود بن ابي سعيد صاحب سمرقند قتله محمود بن يونس صاحب شاش وملك من بعده سمرقند وكان محمودا هذا اخر ذريه تيمورلنك وبه ازال دولتهم كانها لم تكن . ثم ان اقبردي صار يقبض على جماعة قانصوة خمسمائة فقبض على قيت الرجبي ومصرباي الشريفي وبرسباي الخفيف وغيرهم واستمر قانصوة مختفيا . وقد انتصف اقبردي على عصبة قنصوه خمسمائة وبدد شملهم وفتك في تلك الايام وطاش وخف الى الغاية واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد ليس على يده يد وكان ذلك من اكبر الفساد في حقه .
- وفي ذي القعده صارت فتنه كبيره من المماليك الجلبان ممن هو من عصبه قنصوه خمسمائة فلبسوا السلاح وطلعوا الى الرمله وحاصروا اقبردي الدوادار وهو في داره فلما تزايد الامر و بلغ السلطان ذلك ركب ونزل الى باب السلسله في المقعد المطل على سوق الخيل فلم تخشى منه المماليك وتزايد الامر وكان السلطان ينام في الصيف على الدكه التي بالحوش فدخل عليه في الليل بعد الخاصكيه وقال له ان

المماليك الذي في طبقه الحوش قد اتفقوا على ان ينشبوا السلطان وهو راقد على الذكة فلما بلغ السلطان ذلك بادر وقام من على الذكه وتحول الى مكان غيره فلما اصبح وجد ثلاثه اسهم بنشاب في المخدة التي ينام عليها فما وسع السلطان الا اسر هذا الامر ونقل المماليك من طبقه الحوش وسد بابها وقطع سلمها , مر السلطان جالسا بالمقعد الذي بباب السلسله الى بعد العصر فبلغه ان اقبردي قد غيب من داره فعند ذلك قام بالسلطان وقد حمى في جسده وطلع الى القلعه وكان هذا اخر ركوبه ورؤيه الناس , فلما دخل الى القلعة ودخل الى البيت لزم الفراش وثقل في المرض من ليلته .

- ثم ان سلطان تزايد به الالم وقوي عليه امر الاسهال المفرط وعجز عن الحركه وكثر القيل والقال بين الناس .
- فلما كان يوم الجمعه خامس عشريه طلع الاتابك تمراز الى السلطان فقال له يا مولانا السلطان ان الاحوال قد فسدت ومن الرأي ان تسلطن سيدي.
- فلم يرد عليه السلطان جوابا فأخذ ابن السلطان ونزل به الى باب السلسله فاجلسه في المقعد الذي هناك وجلس معه ليوليه السلطنة فانتظر الامير اقبردي ليطلع اليه فأختفى اقبردي ولم يطلع الى القلعه في ذلك اليوم فلم يشعر تمراز الا وقد دهمته العساكر كالجراد الناشر وذلك ان قنصوه خمسمائة وكرتباي الاحمر لما بلغهما ان الاتابكي تمراز بباب السلسلة ومعه ابن السلطان فلبسوا السلاح وهجموا ودخلوا الميدان من عند حوش العرب وطلعوا الى باب السلسله من الاسطبل فقبضوا على تمراز وقيدوه وسجنوه بالبرج التي بباب السلسله اما قنصوة خمسمائة وكرتباي الاحمر وجماعته من الامراء ممن هو من عصبه قنصوة خمسمائة باتوا بباب السلسله في تلك

الليله وتشاوروا فيمن يلي السلطنه فترشح امر ابن السلطان ووقع الاتفاق على ذلك .

- **فلما كان يوم السبت سادس عشرين ذي القعده اجتمع الامراء بباب السلسله وارسلوا خلف امير المؤمنين وحضر القضاة الاربعة فلما تكامل المجلس تكلموا في خلع الاشرف بحكم انه قد اشرف على الموت فبايعه الخليفه بالسلطنة هو عن ابيه الاشرف واشهد عليه القضاه بذلك فهذا كله وقع والسلطان في النزع لم يشعر بشيء مما جرى .**
- **فلما كان يوم الاحد كانت وفاة الملك الاشرف توفي الى رحمه الله تعالى في ذلك اليوم بعد العصر وبات بالقلعه واخرج صبحة يوم الاثنين فتوفي وله من العمر نحو من اربعه وثمانين سنه ومات بعله البطن وامتنع عن الاكل مده انقطاعه حتى مات وكانت مده سلطننه بالديار المصريه والبلاد الشاميه تسعة وعشرين سنه واربعه اشهر وواحد و عشرين يوما .**

(ابن اياس – بدائع الزهور)

(3) مجريات الاشرف قايتباي

(قايتباي وشاه سوار)

مثلت **امارة دلغادر** احدى اهم الامارات **التركمانية** التي عاصرت الدولتين **المملوكية والعثمانية** وكانت مسرحا للصراعات والاحداث بينهما باعتبارها منضوية تحت لواء الدولة المملوكية وخارجة عليها في كثير من الاحيان .

كان لانهيار دولة **سلاجقة الروم** امام جحافل التتار اثره الكبير والداعم الى ظهور العديد

من زعماء **التركمان** الذين ارادوا الاستفادة من الاوضاع السياسية التى طرأت على المنطقة فغلبوا على الجبال والثغور والسواحل **جنوب اسيا الصغرى** .

وعقب انتصار المماليك في **معركة عين جالوت** وانضمت تلك الامارات **لسلاطين مصر** ، والعمل معهم وتحت امرتهم , ولما كان الدفاع عن بلاد الشام يتمركز فى المنطقة الشمالية والممتدة من **طرطوس** وحتى **الفرات** والمعروفة باسم **الثغور** لذا عمل **سلاطين المماليك** على حيازتها والاستيلاء عليها من ايدى الارمن والتتر، وخاضوا فى ذلك المعارك الكثيرة والتى كان **التركمان** يشاركون فيها ، الى ان الت فى نهاية الامر الى **سلاطين المماليك** فاقطعوها الى **التركمان،** لما لهم من قوة **عسكرية** ، وسمحوا بزراعتها وفلاحتها وقدموا اليهم التسهيلات الكثيرة المشجعة للاستيطان والمحفزة له ،فاعفوهم من خراج الارض الذى هو حق للدولة كما اسقطوا عنهم الكثير من الضرائب التجارية ، واطلقوا ايديهم فى التوسع على حساب الارض ، مما كان له كبير الاثر فى ظهور **الامارات التركمانية** فى هذه المنطقة، ومنها **امارة دلغادر** ، والتى كان من المفروض فيها ان تكون تابعة **لسلاطين المماليك** ، الا ان امراء تلك الامارة لم يستمروا على ولائهم، بل عملوا فى كثير من الاحيان على استغلال الظروف المناسبة للخروج على تبعيتهم **لسلطنة المماليك** ، ومهاجمة اراضيها ، بل والتجرؤ على **السلطان المملوكى** نفسه احيانا ، مما سبب لدولة **المماليك** الكثير من المتاعب على حدودها الشمالية , وهذه الحدود التى اتبع فيها المماليك سياسة عسكرية تقوم على اساس ان هذه المنطقة تمثل احد خطوط الدفاع ضد الاعتداء الخارجى ومن هذا المنطلق نالت امارة بنى دلقادر اهتماما مبالغا نابعا من السياسة **العسكرية المملوكية** ، اذا وكل اليهم المماليك مهمة حماية درب الحدث على طول ثغور الجزيرة ، باعتبارهم نواب وولاة لسلاطين المماليك، الا ان **بنى دلغادر** قد ربطتهم بسلطنة المماليك علاقات متقلبة بين الخضوع

والتبعية حينا ، والثورة والعدوان احيانا، مما جعل هذه المنطقة تعانى الكثير من الاضطرابات لامراء تلك الامارة بالقوة العسكرية حينا وبالملاطفة والملاينة حينا اخر حتى يخضعوا للضغوط المملوكية .

وكان **ابناء دلغادر** قد وصلوا الى الاناضول مع هروب **التركمان** امام الزحف المغولى الكاسح ايام **جنكيزخان** ، وكان يرأس هذه العشيرة امير يقال له **دلغادر** واستقر بهم فى نواحى **البستان ومرعش** .

ويعد المؤسس الحقيقى لهذه الامارة **زين الدين قراجا بن دلغادر** –فبعد ان تمكن من تقوية نفسه فى الابلستين اعلن استقلاله بامارته **سنة ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م** ، وقد بدات العلاقات **بين بنى دلغادر والمماليك** منذ وقت مبكر ، فقد استطاع **زين الدين قراجا** اكتساب ثقة السلطان المملوكى الذى اعلن تبعيته للدولة **المملوكية** ، التى اعترفت به كقائد لها على **الابلستين**، وخاصة بعد ان نجح فى اخضاع حاكم اسيا الصغرى المغولى للسلطان الناصر **محمد بن قلاوون** ، وتمكن بعد ذلك من السيطرة على **قلعة درندة** ، واقام بها الدعوة **للسلطان** الذى اخذها منه ، وانعم بها على الامير **تنكز نائب الشام** ، كما ارسل السلطان الى **ابن دلغادر** بتشريفه وشكره .

وحينما نجح **السلطان برقوق** واقام دعائم الدولة المملوكية البرجية **سنة ٧٨٤ هـ** , ثار عليه الامير **علاء الدين الطنبغا** نائب **الابلستين** ولم يحلف له، بل استولي على قلعة **درندة** التابعة له ، والقي القبض على بعض امرائها، ولما لم يجد مناصرة ومؤازرة من نواب الشام الذين لم يؤيدوه فى ثورته ، وعلى راسهم الامير **يلبغا الناصري** الذى كتب اليه يهدده ويطلب منه العودة الى الطاعة لكنه ابي وفر هاربا الى بلاد **التتر** وانتهز **بنو دلغادر** الاضطرابات التى حدثت انذاك نتيجة عصيان الامير **علاء الطنبغا** فقرر **خليل بن دلغادر**

مهاجمة **القوات المملوكية** فى بلاد **درندة ودوركي ومرعش والابلستين** ، حيث نهب وعاث فسادا هو واعوانه وانصاره، ولما علموا بقدوم الامير **يلبغا الناصري** نائب **حلب** فروا من امامه وازاء هذه التطورات قرر السلطان تعيين الامير **تمر باي الحسني** نائبا على **الابلستين** .

ويبدو ان امراء **بني دلغادر** ارادوا خداع السلطان فارسلوا **سولي بن دلغادر** كي يحلف بالطاعة للامير **يلبغا الناصري** امير حلب، ومكث اياما فى حلب ينتظر كتاب **السلطان** بتعيينه لكنه فوجئ بمرسوم **السلطان** يطلب القاء القبض عليه ، فامر **امير حلب** بسجنه فى القلعة، حتى اتي امر **السلطان المملوكي** باحضاره الى مصر ، فتسلمه **نائب حلب** ، وانزله الى الميدان، فهرب منه ليلا ، وركب وراءه الامير **يلبغا الناصري** ولكنه لم يدركه ولعل **السلطان** اراد الانتقام من امراء **بني دلغادر** جميعا، لانهم سببوا الكثير من المتاعب للدولة بعصيانهم الدائم وثوراتهم المتكررة ، وخروجهم عن الطاعة ، ولذلك قرر القضاء على كبيرهم الامير **خليل بن قراجا بن دلغادر** ، ولم يجد مفرا من اعمال الحيلة للقضاء على هذا الامير ، فاستمال اليه احد امراء التركمان وحرضه على قتله ، فقتل بالقرب من مدينة **مرعش سنة ٧٨٨/ ١٣٨٦ م** وعقب مقتل **خليل بن دلغادر** أراد السلطان استمالة اخيه **سولي بن دلغادر** ، فعهد اليه بنيابة **ابلستين سنة ٧٩٢/ ١٣٩٠ م** لكن سولي استمر فى سياسته العدائية ضد المماليك ، فامر السلطان نواب الشام بالتوجه لقتال هذا الامير واعوانه ، فاتجهوا اليهم والتقوا بهم عند "**طنون**" ما بين **مرعش والبستان** فاستطاع التركمان هزيمة الجيش، وقتلوا عددا كبيرا .

بعد انتصار الامير **سولي بن دلغادر** على الجند المملوكي بدا يتجه بانظاره نحو العثمانيين ليكونوا سندا له وعونا ضد المماليك ، فسعي لاقامة علاقات طيبة بهم ووطد هذه

العلاقات عن طريق المصاهرة معهم ، فزوج ابنته الى **السلطان العثماني محمد جلبي** فشق ذلك على **صاحب مصر** الذى دس على **سولي بك** من يقتله كما قتل اخوه من قبل ، فقتله احد التركمان **سنة ٨٠٠/ ١٣٩٧ م** اثناء نومه بالقرب من مرعش وتوجه **ابن سولي** الى الملك **الظاهر برقوق** الذى قرر تعيينه مكان ابيه، فلما عاد الى بلاده وجد ابن عمه **ناصر الدين محمد بن خليل بن دلغادر** قد تولي الملك بدعم من العثمانيين، فوقعت بينه وبين ابن عمه معركة كبيرة انتصر فيها ناصر الدين، ووطد اقدامه فى حكم البلاد ونظرا لمناصرة **المماليك** لابن عمه ضده فان **ناصر الدين محمد بن خليل** التعاون مع **العثمانيين** ، فذهب الى انقرة سنة **٨١٥/ ١٤١٢**م، التقي بالسلطان **العثماني محمد جلبي** لينال تاييده ودعمه واستمر **ناصر الدين محمد** فى اتباع سياسته العدائية تجاه المماليك ، واخذ يناصر الخارجين والثائرين عليهم ، فحينما علم ان الامير **سيف الدين جانبك الصوفي** قد خرج على طاعة السلطان **برسباي** وتمرد عليه، قام الامير **ناصر الدين محمد بن دلغادر** بمناصرته فى **سنة ٨٣٨/ ١٤٣٥**م، ورفض تسليمه **للمماليك**، فجرد له السلطان المملوكي حملة عسكرية ، فلما علم **ناصر الدين** باستعداد المماليك لقتاله ارسل ابنه **الامير فياض بن ناصر الدين بن دلغادر** الى **القاهرة** للتقرب **للسلطان** ، واظهار ولائه ، ولكن **السلطان** رفض الاستجابة لهذا التقرب، وامر بسجنه فى قلعة الجبل ولما علم ناصر الدين **محمد بن دلغادر** بما حدث لابنه اراد مدارة السلطان، وخاصة حينما علم بخروج العساكر من حلب لمحاربته، فبعث امرأته الحاجة **خديجة خاتون** بهدية للسلطان ، ومعها مفاتيح قيصرية التى اخذها من **ابراهيم بن قرمان** وان يكون زوجها المذكور نائب السلطنة بها، وان يفرج عن ولدها **فياض بن ناصر الدين** المسجون بقلعة الجبل، وكتب بذلك كتابا وعد فيه بتقديم الكثير من الاموال وسارت **خديجة خاتون** الى القاهرة ، ومعها كتاب **ناصر الدين بن**

دلغار والكثير من الهدايا ، فاستقبلت استقبالا طيبا من السلطان الذى قبل هداياها، وافرج عن ابنها فياض، وخلع عليه ، وامر بتوليته نيابة مرعش وارسل شادي بك احد رؤوس النوب بمال وخيل الى الامير ناصر الدين محمد بن دلغادر ، والى والده سليمان ، وكتب لهما بان يسلما شادي بك جانبك الصوفي ليحمله الى القلعة ، فلما وصلت زوجة الامير ناصر الدين وابنها فياض الى زوجها ترك مداراة السلطان ، واخذ المال من شادي بك ، ورفض اعطاءه الامير جانبك الصوفي ، واعلن عصيانه للسلطان ، وتاييده للامير جانبك الصوفي ، وزوجه بنته الاميرة نفيسة .

ولما علم السلطان بما حدث من ناصر الدين محمد بن دلغادر قرر اعداد حملة عسكرية لتاديب هذا الامير الخارج عن الطاعة ، وعزم على السفر ، وجمع الامراء وحلفهم على طاعته ، وعين سبعة امراء للسفر، والفا من المماليك السلطانية ، والفا من اجناد الحلقة ، فاخذوا فى الاستعداد للسفر ، والتحرك الى الابلستين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخري فان الامير ابراهيم بن قرمان الذى كان يتخذ موقفا معاديا للعثمانيين وتحالف مع المماليك ، طلب من السلطان المملوكي بان يملكه قيصرية وكانت بيد ناصر الدين بن دلغادر ، ووعد بدفع مبلغ كبير للسلطان، الذى وافق من جانبه على مساعدته فى الاستيلاء على المدينة وقد قلق العثمانيون من الدعم العسكري المملوكي لقرمان ، ومن تعاظم نفوذ هذه الامارة ، وكرد عثماني قام السلطان العثماني مراد الثاني بتاييد جانبك الصوفي المتمرد على السلطان المملوكي ، والمؤيد من قبل ناصر الدين محمد بن دلغادر .

ونتيجة لسياسة امراء بني دلغادر توترت العلاقات المملوكية العثمانية ففى سنة ٨٤٠/ ١٤٣٦ م فقد استنجد ناصر الدين محمد بن دلغادر بالسلطان العثماني مراد الثاني على ابراهيم بن قرمان ، الذى اخذ قيصرية بموافقة السلطان المملوكي ، فجهز مراد الثاني

عسكرا لمحاصرة قيصرية وتسليمها الى **ابن دلغادر**، فعلم السلطان المملوكي بذلك كتب الى امراء الطاعة من التركمان بمعاونة **ابراهيم بن قرمان**، كما امر نواب الشام بتوجه لنجدته **العثمانيين سنة ٨٨٨/ ١٤٨٣م** وتوجهت القوات المملوكية من حلب الى الابلستين ، ففر من امامهم **ناصر الدين بن دلغادر** ، فقام امراء الحملة بنهب **الابلستين** وحرقها .

ولما وجد **ابن دلغادر** انه لن يستطيع الصمود امام المماليك قبض على **جانبك الصوفي** ، وارسل الى السلطان المملوكي يخبره بذلك والحقيقة ان الاوضاع لم تهدأ وتستقر العلاقات بين الدولتين المملوكية والعثمانية الا بعد مقتل **جانبك الصوفي** ، وهزيمة **ناصر الدين محمد بن دلغادر** ، والتزامه الطاعة للسلطان المملوكي ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخري عقد الصلح بين السلطان العثماني **وابراهيم بن قرمان** فى **نهاية سنة ٨٤٠/ ١٤٣٦م** .

وفى سنة ٨٤٦ هـ/ ١٤٤٢م تولي الامير **سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر** خلفا لابيه ، واعاد سليمان سياسة التقرب الى العثمانيين ، ونتج عن هذه السياسة ان **ارسل السلطان العثماني مراد بك ١٤٥١م** الى الامير **سليمان** يطلب منه تزويج ابنته **مكرمة خاتون لابنه الامير محمد** .

ولما توفي **الامير سليمان سنة ٨٥٨/ ١٤٥٤م خلفه الامير ملك ارسلان بك** ، الذى اتبع سياسة المداهنة والملاينة بين كل من **المماليك والعثمانيين** ليحظى بصداقتهما معا ، فتقرب من السلطان **محمد الفاتح** ، وقوى علاقته به ، فاغضب بذلك السلطان المملوكي، فكتب اليه يعتذر بأن ما يفعله مع السلطان **محمد الفاتح** انما هو مصانعة له ، لكون بلاده متاخمة للعثمانيين ، ولا يمكنه مشاقتته لكونه لا طاقة له به ، فتظاهر السلطان المملوكي بقبول اعتذاره ، واتجه الى **حسن الطويل** زعيم **الاق قوينلو** يأمره بالاستيلاء على **خرتبرت** ، واوعز فى الوقت نفسه الى **ملك ارسلان** ان يقاوم **حسن الطويل**، ويبدوا ان **السلطان**

المملوكي كان يسعي للتخلص من هذين الاميرين التركمانيين الذين لا يثبتان على الولاء لاحد ، فاراد ان يضرب احدهما بالاخر ، ولكن الذى حدث ان ملك **ارسلان** سلم **خرتبرت** بغير قتال **للامير حسن الطويل** ، لانه لم تكن لديه القوة الكافية لمقاتلته، او لعله تعمد تسليم المدينة نكاية فى **السلطان المملوكي** .

بدأ التنافس بين **المماليك والعثمانيين** على النفوذ يظهر واضحا فى زمن الامير **شاه بوداق** الذى عين نائبا على **الابلستين** من قبل **السلطان المملوكي خشقدم** وقد لقي **شاه بوداق** معارضة من اخيه **شاه سوار** الذى ساءه ان يقتل اخوه بتآمر من **شاه بوداق** فاستعان **بالسلطان العثماني محمد الفاتح** لكي يتوسط لدى **السلطان خشقدم** فى تعيينه نائبا خلفا لاخيه **ملك ارسلان** فارسل السلطان **محمد الفاتح** رسالة الى السلطان **خشقدم** يطلب منه فيها النيابة **لشاه سوار** .

رفض **السلطان المملوكي** الاستجابة لطلب **السلطان العثماني** الذى بادر بارسال قوة عسكرية لمساندة **شاه سوار** الذى نجح فى الاستيلاء على البستان وفر **شاه بوداق** من امامه الى **مرعسن** ولم يكن **السلطان المملوكي** ليقبل بالتدخل العثماني فى شئون **امارة دلغادر** فأمر فى **سنة ٨٧٠/ ١٤٦٥ م** باعداد حملة عسكرية لتاديب **شاه سوار** والقضاء على تمرده ولكن امر هذه الحملة لم ينفذ ويبدو ان السبب فى عدم خروجها هو ثورة اهل **البستان** على **سوار** ورفضهم لأمرته عليهم مما اضطره الى الفرار من المدينة حيث امر **السلطان المملوكي** بتعيين عمه الامير رستم بدلا منه ومن اخيه **شاه بوداق** الذى لم يستطع التصدي **لشاه سوار** , لكن شاه سوار عاد مرة اخري الى البستان واصطدم بعمه **رستم** ونشب القتال بينهما ولعل **رستم** قد هزم فى القتال مع **شاه سوار** حيث ارسل السلطان الى نائب **حلب** ليقوم بعزل رستم واعادة **شاه بوداق** على الحكم ولم تفلح

محاولات **السلطان المملوكي خشقدم** فى التغلب على **شاه سوار** الذى يجد مساندة ومؤازرة من **السلطان العثماني** ومما ساعد على ازدياد نفوذه وفاة **السلطان المملوكي خشقدم** فى سنة ٨٧٢ هـ- ١٤٦٨ م واضطراب الاحوال السياسية فى مصر عقب وفاته .

ثم استطاع **قايتباي** ان يعيد للدولة هيبتها و مكانتها فى الداخل والخارج وان يلقن الخارجين عليها دروسا قاسية فقد واجه **قايتباي** بمجرد جلوسه على عرش مصر فتنة **شاه سوار** الذى كان يتمتع بتاييد العثمانيين والذى اعلن استقلاله وشرع ان يهاجم اطراف **الدولة المملوكية**، والحقيقة ان **قايتباي** رفض ان يهادن هذا الرجل، وبادر بارسال عدة **حملات عسكرية** ضده، ونجحت الحملة الاخيرة التى ارسلها **قايتباي سنة ٨٧٦/ ١٤٧١** م فى انزال الهزيمة **لشاه سوار** والقبض عليه وارساله الى القاهرة حيث شنق على **باب زويلة** .

(مخلف عبد الله صالح –الصراع على وراثة العرش العثماني واثره امارة دلغادر)

(شاه سوار)

وصل قاصد من **يشبك الدوادار** ومعه مكاتبة منه يخبر السلطان فيها بأن **شاه سوار** بعث إليه بمفاتيح قلعة **درنده** وأن **سوار** أعاد طلبه الأمان لنفسه، وأنه مقيم بقلعة **زمنطوا** هو وأهله ومعه فئة قليلة، وأخبر بأنه سيؤخذ عن قريب،

وكان كذلك، فإن **يشبك** سار إليه بالجموع حتى نزل على قلعة **زمنطوا** وضايقها، فأذعن له **سوار**، ونزل بأمان إليه، فقبض عليه **برقوق نائب الشام** وأودعه **السلسلة**، ورحل العسكر قاصدين **حلب** عائدين إلى **القاهرة**

وأخذ الناس يتجهزون لملاقات **يشبك** والعسكر، وقد أشيع قرب مجيئه ودخل القاهرة الكثير من الجند وارتجت القاهرة له يوم دخلها، وكان في موكب حافل جدا، وقد زينت له **القاهرة**، وقعد الناس لرؤيته من **الريدانية** إلى **باب المدرج**، وسار هو في ذلك الموكب

الحافل قاصد القلعة، وقد عنف الأطلاب، وسارت أمامه شيئا فشيئا حتى كان هو آخرها، وبين يديه الأمراء بأسرهم والأسرى من سوار وجماعته وغيرهم من **عربان وتركمان**، وصعد إلى بين يدي السلطان فخلع عليه خلعة حافلة جدا وعلى من معه من الأمراء بالقصر ثم انتقل السلطان إلى الإيوان، ولم يعرض سوار ثم إلى الحوش فأحضر إلي بين يديه هو وإخوته، ومن كان منهم بالسجن أيضا، وطال مكالمة السلطان لهم.

ووقعت أشياء يطول الشرح في ذكرها آلت إلى أمر **السلطان** بتشهير **سوار** ومن معه من إخوته وجماعة ، وشنقه وإخوته مكلبين **بباب زويلة**، وتوسيط جماعتهم بباب القصر .

رسم **مولانا السلطان** أن يشنكل سوار وإخواته الثلاثة **بباب زويلة**، والثلاثة **بباب النصر**، ويوسطوا جماعته هناك، فركبوا جمالا فسمروا جميعا، ما خلا **سوار**، فإنه ركب هجينا وفي رقبته في أعلا الجنزير حديدة طويلة وفيها جرس، فلما وصلوا إلى باب **زويلة**، فبطح **سوار** أولا، وشنكل، ثم **كاور يحيى**، ثم **أردوانة**، ثم **خداداد**، ووقعت الشفاعة في الثلاثة من إخوته، وهم: **عيسى**، **ويونس**، **وسالم** الذين كان رسم بشنقهم في **باب النصر**، فأنزلوا من الجمال، فوسطوا الباقي، وهم اثنى عشر نفرا، واستمر سوار المخذول وإخوته المشنكلون معه معلقين، والخلائق يزدحمون للتفرج عليهم وهم يستغيثون فلا يغاثون، ما خلا شاه سوار، فإنه ساكت ساكن، ومات سوار في آخر يومه

وكان **سوار** هذا شجاعا، بطلا، شهما، حازما، عارفا، ضربت باسمه السكة، وخطب له بالأبلستين، وهو أعظم **بني دلغادر** شهامة وهمة وعزة

(عبد الباسط الملطي – نيل الامل)

وبعد مقتل **شاه سوار** امر **السلطان المملوكي** ان يتولى شئون الامارة اخوه **شاه بوداق** الذي وجد منافسة من الامير **علاء الدولة بن سليمان بن دلغادر**، الذى دعمه **السلطان**

العثماني ، وسانده كي يحكم الامارة **الدلغادرية**، ويبدو ان شاه بوداق اراد التعاون هو الاخر مع العثمانيين ، حتى يدعم نفوذه وسلطانه ضد **علاء الدولة** ، الذى تمكن من التغلب عليه، واستولي على الامور فى داخل الامارة، لكنه لم يفلح فى ذلك ، حيث نجح **المماليك** فى القاء القبض عليه **سنة ٨٨٥/ ١٤٨٠ م** حيث قيد فى الحديد، وارسل الى القاهرة، وسجن بالقلعة .

اما **علاء الدولة** فقد طلب من الامير ان يتوسط بينه وبين السلطان **قايتباي** للموافقة على طلبه ، والاعتراف بامارته ، واستجاب السلطان، وخلع عليه، واعترف به حاكما على الامارة الا ان **علاء الدولة** سرعان ما انقلب على **المماليك**، وعاد الى التعاون مع العثمانيين ، وهاجم **ملطية** التابعة للدولة **المملوكية سنة ٨٨٨/ ١٤٨٣ م** ، والحقيقة ان هذا العمل الذى قام به **علاء الدولة** لم يكن بمثابة خروج عن طاعة **السلطان** المملوكي فحسب، بل كان بمثابة تصدع لأهم الدعائم الدفاعية **المملوكية** فى جنوب شرق **الاناضول**، لذلك وحرصا من **قايتباي** على عدم تكرار قضية **شاه سوار** ارسل فى **المحرم سنة ٨٨٩/ ١٤٨٤ م** حملة عسكرية لتاديب حاكم **دلغادر** ، كان على راسها امير السلاح **تمراز الاشرفي** وعدد من الامراء ، وما يزيد على الالف من مماليك السلطان وقد بدأ اول صدام مسلح بين الطرفين واشتد لقتال وقتل نائب حلب ونائب صفد واسر نائب طرابلس، الا ان تمراز نجح فى ان ينزل الهزيمة بقوات علاء الدولة واعوانه من الجند العثماني ، وقتل عددا كبيرا منهم ، واسر عددا كبيرا اخر، ومع ذلك فان سلطنة المماليك استمرت تعاني الكثير من المتاعب من جانب امارة **دلغادر**، لأن **علاء الدولة** كان واقعا تحت تاثير **العثمانيين** وتحريضهم، وان كان تفوق الجيوش المملوكية على **الجيوش العثمانية** فى ذلك الدور جعل **علاء الدولة** يلتزم جانب الحرص فى معاملاته مع **دولة المماليك** ، ويتودد اليها

فى الفترة التى حدثت فيها صدامات بينهم وبين العثمانيين ١٤٩٢ م ، فانتهج علاء الدولة سياسة تقوم على التقرب والتودد بهدف اعادة العلاقات السياسية الى مجراها الطبيعي، فاقدم على تزويج ابنته من ابن القائد **المملوكي** المنتصر **ازبك الظاهري** ولم يكتف بذلك بل اطلق سراح جماعة من المماليك المأسورين لديه .

وفى **سنة ٨٩٠/ ١٤٨٥ م** حينما وصل **الجيش المملوكي** الى حلب توطأة للهجوم على **كيليكيا** ارسل **علاء الدولة** يسأل الصلح مع **السلطان المملوكي**، وعلى الرغم من ان طلبه رفض الا انه ابي الانضمام فى العامين التاليين **٨٩١ -١٤٨٧ م** الى الجيش **العثماني** فى حملته المتوجهة لقتال **المماليك**، ورفض الدخول فى مواجهة عسكرية مباشرة ضدهم ، رغم استمرار تحالفه مع **العثمانيين** فى الظاهر ومما لاشك فيه ان مواقف علاء الدولة تجاه دولة المماليك قد اثارت شكوك السلطان **العثماني بايزيد** الثاني تجاه **علاء الدولة** ، فقرر العمل على عزله عن الامارة ، وتقديم العون لاخيه **شاه بوداق** المنافس له على الحكم ، والذى هرب من بين ايدي **المماليك سنة ١٤٨٧م** .

تحرك **شاه بوداق** الى **الابلستين** سنة **٨٩٦/ ١٤٩١ م** ومعه مدد من الجند **العثماني** ، وهاجم اخاه **علاء الدولة** وقبض على اثنين من ابنائه وحينما وصل الخبر الى **السلطان المملوكي** امر بتجهيز حملة عسكرية لمساندة **علاء الدولة** ، وجعل على رأسها الامير **قانصوه الشامي** ، ولتوثيق اواصر التعاون مع امير **دلغادر** ارسل خلعة الى **عبد الرازق** شقيق **علاء الدولة** ، وامر بتعيينه فى اتابكية حماه عوضا عن **ابن طرغل** الذي نقل الى نيابة طرسوس ، وتمكن بذلك الامير **علاء الدولة** من هزيمة **شاق بوداق** واعوانه **العثمانيين** .

(مخلف عبد الله صالح -الصراع على وراثة العرش العثماني واثره امارة دلغادر)

(قايتباي والعربان)

شكل **العربان** شريحة اجتماعية متميزة في مصر عصر **سلاطين المماليك**، حيث انتشرت **القبائل العربية** في بلاد الوجهين القبلي والبحري وبخاصة في اقاليم **الشرقية والبحيرة والمنوفية** في الوجه البحري، و اقاليم **قوص واسيوط والاشمونين** في الوجه القبلي وقد حمل العربان راية المعارضة و لم تخل سنة من السنين من ثورة في الصعيد او في الوجه البحري، ومن ثم اتسم عصر **سلاطين المماليك** بكثرة **ثورات العربان** وانتفاضاتهم ضد الدولة **المملوكية** وكان لثورات **العربان** تاثيرها علي نظام الاقطاع الحربي الذي ساد مصر منذ قيام الدولة الايوبية، وكان يعد المورد الرئيس لدخل **سلاطين المماليك** وامرائهم وجنودهم،كما كان الخراج يعد المصدر الاساسي لدخل الدولة في **عصر المماليك** والامتناع عن دفع الخراج معناه ضرب نظام الاقطاع في مقتل وحرمان المقطعين من موارد دخلهم وهم من الامراء والجنود وبالتالي اضعاف **الجيش المملوكي** وقد تاثير **ثورات العربان** على الاقتصاد المصري، فقد تاثر نظام الوقف الذي خضعت له كثير من الاراضي الزراعية ،بسبب اعتداءات **العربان** من قتل **الفلاحين** وغرق الارض ونهب الغلال وبالتالي الاثر السيئ علي الجهات الموقوف عليها هذه الاراضي كما ادى الصراع بين **العربان والمماليك** الي تدمير البنية البشرية لسكان مصر في عصر كانت المجاعات والاوبئة بمثابة معول هدم لهذه البنية البشرية من ناحية اخري .

(سيد محمود عبد العال – ثورات العربان واثرها في الاقتصاد زمن سلاطين المماليك)

كان **العربان** قد جالوا وعاثوا بالنواحي ثم وقع **بالقاهرة** حركة وهرجة عظيمة واضطراب، وكادت أن تموج بأهلها، وأرجف بهجوم العرب **القاهرة** لنهبها، وانكشف الحال أنه كان بين بين **وائل وبين حرام حرب**، وهزم بعضهم بعضا، وآخرين انهزموا إلى جهة القاهرة

وأعداؤهم في أثرهم حتى وصلوا إلى **الحسينية**، والنهب والسلب عمال في المارة إلى آخر النهار، فأرجف بما أرجف فعين السلطان **الأتابك أزبك**، وبعض الامراء، وأمرهم بالخروج سريعا إلى جهة **الشرقية** لردع **العربان** ، وأضاف إليهم عدة من الجند الجلبان من طباق القلعة، وخرجوا قريب غروب الشمس في كبكبة كبيرة ووصل **الأتابك** إلى **الخانكه**، ثم أصبح فعاد بمن معه وقد قبضوا على البعض من العربان فأودعوا إلى السجن ، وأمر بالإقامة **بالشرقية** لردع المفسدين وكانت هذه من نوادر الحوادث .

(عبد الباسط الملطي – نيل الامل)

(قايتباي وحسن الطويل)

ظهرت **امارة القرا قوينلو** (**الشاة السوداء**) فى الربع الاخير من **القرن الثامن الهجري** / **الرابع عشر الميلادي**، ويري البعض ان اسمهم يعود الى لون اغنامهم، بينما يري البعض الاخر انه يعود الى لون اعلامهم، وكانت هذه الامارة فى الاصل قبيلة من قبائل التركمان، انحدرت من اماكنها القديمة فى بلاد **التركستان**، واتجهت الى بلاد **اذربيخان** بزعامة **بيرام** خواجه، الذى عمل فى خدمة السلطان **اويس الجلائري**، وبعد وفاته استولي **بيرام** خواجه على الاماكن الواقعة جنوبي بحيرة وان ، ودخلت **الموصل وسنجار وارجيسن** تحت نفوذه، واحتفظ بالحكم هناك حتى وفاته **سنة ٧٨٢/ ١٣٨٠ م**، ثم تولي من بعده ابنه **قرا محمد تورمسن** الذى يعد المؤسس الحقيقي للامارة **القرا قونيلية**، التى كان يدين اصحابها **بالمذهب الشيعي**، ومن ابرز امراء هذه الامارة **قرا يوسف** الذى استطاع الاستيلاء على **تبريز**، ومد سيطرته على كل **اذربيجان**، ونجح فى ضم **العراق** اليه، وارسل **ابنه محمد شاه** نائبا عنه فى **بغداد**، واخذ يعمل على توسيع رقعة بلاده حتى توفي **سنة ٨٢٣/ ١٤٢٠ م**، وبموته بدأت الخلافات تدب بين **القرا قونيلية** من اجل النزاع على الحكم، حتى تمكن

الامير حسن الطويل زعيم **الاق قونيلو** من هزيمتهم، والسيطرة على ممتلكاتهم **٨٧٣/ ١٤٦٧ م** .

امارة **الاق قونيلو** (**الشاه البيضاء**) ظهرت هذه الامارة **سنة ٨٠٦/ ١٤٠٣ م**، وهى عشيرة **تركمانية** كبيرة هاجرت من **تركستان** الى **اذربيجان**، ثم الى نواحي **ديار بكر**، ثم استقرت فى النهاية بالاراضي الواقعة بين **امد والموصل**، وكونوا **امارتهم** فى اواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وكانوا يعتنقون المذهب **السني**، ويعد قره ايلوك عثمان **المؤسس الحقيقي** لهذه الامارة، وكانت علاقة هذه الامارة بكل من **المماليك والعثمانيين** غير طيبة، وكانت الدولتان تعدان هذه الامارة خطرا عليها سواء بسواء، وقد ظهر العداء واضحا بين امراء **الاق قونيلو** وكل من **المماليك والعثمانيين** فى زمن زعيمهم حسن الطويل، الذى اعلن الحرب على **المماليك** والعثمانيين معا، واعد جيشين لمهاجمة **المماليك والعثمانيين**، وبقي هو فى جيش ثالث استعدادا لمن يحتاج الى المعونة والمساعدة، وتحرك الجيش التركماني الذى بلغ زهاء مائة الف مقاتل بقيادة **الوزير** عمر بك ويوسف **ابن عم** حسن الطويل لقتال **العثمانيين**، وبرر قادة الجيش هجومهم على **الدولة العثمانية** بانهم يريدون العبور الى **امارة دلغادر**، ثم انقضوا على مدينة توقات، ومنها اتجهوا الى قونية، والتقوا **بالجيش العثماني** الذى هزم **التركمان** شر هزيمة .

(مخلف عبد الله صالح –الصراع على وراثة العرش العثماني واثره امارة دلغادر)

أشيع بأن حسن الطويل طرق بجموعه أطراف **بلاد الروم** ووصل توقات فهجمها وحرقها ونهب بلادها، وسبى الأهل والذراري، وأن ابن عثمان بلغه ذلك فلم يتحرك ولا قصده، بل كل من سمع بقدومه أخلى له بلاده فعاث فيها، ثم أخذ في تعرضه لهذه المملكة، وداس بعض عساكره أطرافها، فتحقق كل أحد عداوته لهذه المملكة أيضا فعين السلطان من

عين وأمرهم بالمسير إلى تلك الجهات .

ثم وصلت مكاتبة ابن الصوا من حلب يخبر فيها بأن أبا يزيد **بن السلطان** محمد ابن عثمان صاحب **أماسية** ظفر بجماعة من عسكر **حسن الطويل**، وفيهم أخوة **أويس**، وأنه قاتلهم هو وأحد أولاد **دلغادر**، إما علاء الدولة أو شاه بضاغ وكان علاء الدولة عنده، وأنهم انهزموا، ووصل جماعة منهم في هزيمتهم إلى **عين تاب**، فقبض نائبها على نحو الثلاثين نفرا منهم حصار حسن الطويل لعدة بلاد .

ووردت الأخبار أيضا بأن **ملطية وكختا وكركر** في حصار من حسن الطويل .

وورد الخبر أيضا بأنه وقع لحسن الطويل كائنة تؤذن بخذلانه، وأنه قبض على جماعة من عسكره نحوا من ستمائة نفر بحيلة، وأن نائب حلب بعث بأتابكها ومعه من العسكر نحوا من ثلاثمائة نفر لإحضارهم .

وأشيع بأن حسن الطويل بعث مكاتبة مكتوبة بماء الذهب إلى شاه بضاغ صاحب **الأبلستين**، وابتدأ فيه بقوله تعالى " **أطيعوا** الله **وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** " ثم قال فيه: « **وإنكم تعلمون لقصادنا ما يرومون من البلاد والأموال، وإلا فعلنا بكم وتركنا**» وأخذ يهدد، فلم يلتفت بضاغ إلى ذلك، وجهز كتابه إلى السلطان، فلما وقف عليه انزعج وتأثر له، وعين في الحال يشبك الدوادار أيضا، وإينال الأشقر، وبرسباي قرا، وعدة وافرة من الطبلخاناة والعشرات، ونحوا من الألفين من الجند، ثم أخذوا في سفرهم شيئا فشيئا .

ووصلت مكاتبة حسن الطويل إلى نائب الشام وهو يرعد فيها ويبرق ويأمر بأشياء، فأعاد إليه نائب حلب الجواب بأنه إذا اختار اللقاء التقيت به أنا وجيشي بأي مكان أحب، ثم جهز بكتابه مع مكاتبة له إلى السلطان، وابتدأ في كتابه الذي بعثه به إلى حلب بقوله

تعالى:

يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم "

(عبد الباسط الملطي – نيل الامل)

وفي شوال ورد الخبر بكسر العساكر المصرية وقتل **يشبك الدوادار**، وأن ذلك كان في **نصف رمضان** على مدينة **الرها**، وأنه ضربت عنق **يشبك** صبرا بين يدي **بايندر** بعد القبض عليه، وأسر جماعة من أكابر الأمراء، منهم: **نائب الشام، ونائب حلب، وبرسباي قرا، وتنبك قرا**، في آخرين، فكادت **القاهرة** أن تموج بأهلها من هذا الخبر، ووجم السلطان والعسكر قاطبة وسقط في أيديهم، واضطربت مصر بمن فيها وكان يوما مشهودا سيما لما بلغهم تلف جميع العسكر، وما معهم من الأموال .

(يشبك من مهدي الدوادار الكبير، وأمير سلاح، والأستادار والوزير، وكاشف الكشاف وما مع ذلك من الوظائف وله نحوا من **خمسين سنة** وكان قد ضخم أمره جدا وفخم وشهر وذكر، وطار صيته في الآفاق، وانتهت إليه رئاسة الأتراك **بمصر** ، وصار إليه تدبير **مملكة الأشرف قايتباي**، مع وفور الحرمة ونفاد الكلمة، ونوادر وقعت له لم تقع لغيره، مع شجاعته، وفروسيته، وإقدامه، وتنقل في الخدم من إمرة عشرة إلى الدوادارية الكبرى ووقع له أشياء لم تقع لغيره من أبناء جنسه في القريب من عصره وله الآثار الجليلة، وسيرته تغني عن مزيد التعريف به .

وأحضرت جثة **يشبك الدوادار** بغير رأس، ودفنت بتربته **بالصحراء** .

ثم ورد الخبر من **جهة** حلب بأن **وردبش** نائب **البيرة** قبض على جماعة من جهة حسن وقتل آخرين، فسر السلطان .

ثم وصل قاصد حسن الطويل وصعد إلى **القاهرة** بعد أن أقيم بها موكبا حافلا ، فلما تمثل

بين يدي السلطان منع من تقبيله له الأرض لكونه من الأشراف ومن أهل العلم، وأوصل مكاتبة مرسله، فإذا هي سبعة عشر سطرا بالفارسية وتحت كل سطر تعريبه بالعربي ، وكانت هذه من نوادر المكاتبات، مضمونه الاعتذار عما كان، وأنه لم يقع عن قصد واختيار وغير ذلك من كلام وأخذ السلطان يتكلم مع القاصد بكلمات كثيرة .

وفي جماد الآخر ورد الخبر بموت **حسن الطويل** ، وأن ولده **خليل** ولي عوضه.

وكان **حسن** هذا عاقلا، سيوسا، ذا رأي وتدبير، وحيل، ودهاء، وفروسية، وشجاعة، وإقدام، محبا في إظهار العدل، عفيفا عن الأموال، لكنه عادى الملوك وأربى في ذلك على جده، وتسلط على العباد والبلاد وطال واستطال، واقتلع الملك من أخيه جهان كير بحيل غريبة سيما لما قتل عمه الشيخ **حسن** ثم ملك **الحصن** وانقرضت دولة **بني أيوب** على يده وأظهر عداوة **جهان شاه**، وجرت بينهما أمور يطول الشرح في ذكرها آلت بأخرة إلى قتل جهان شاه ومحاربة ولده **حسن** علي بعد ذلك، وتملك **تبريز والعراقين أبو سعيد** والاستيلاء على بعض مملكته وقصد بأخرة **ابن عثمان**، ثم هذه **المملكة** وجرت أمور ، وآل أمره إلى الموت بعد أن بلغ مبلغا لم يصل إليه قبله من أسلافه وأخلافهم غيره

(عبد الباسط المطي – نيل الامل)

(قايتباي والوباء)

وقع الوباء في عهد قايتباي ثلاث مرات .

والناس في وجل شديد وتخوف ما عنه مزيد مما حل بهم، وحصل عليهم من هذا الوباء ، وما عهد مثله في وباء قبله وقد عم الطاعون سائر بلاد مصر قبليا وبحريا، شرقا وغربا، وخلت منه الديار بل والقرى ونجوع العرب، حتى حدث في ذلك أشياء تشبه الأكاذيب، وصارت الموتى بالوجه القبلي ترمى كالبهائم وتترك من غير تجهز ولا تكفين ولا دفن، وربما مات جميع من في نجع، فيرمون عليهم بثوب الشعر ويتركوهم كما هم، وجافت البلاد

من جيف الموتى، وسواحل النيل مما يرمون الموتى بلا دفن من المراكب هذا وقد خف الموت وضبطت المصليات في سلخ هذا الشهر الذي هو آخر السنة، فكانت بحكم الربع ومات من أولاد الأمراء في هذا الطاعون سبعة أنفار، ومن الجند السلطاني نحو الألفي نفر، عدا عن مماليك الأمراء، وغير الناس من أهل القاهرة، وغير الأطفال والعبيد والإماء والغرباء من الناس، وكان من الأوبئة النادرة

(عبد الباسط الملطي – نيل الامل)

(قايتباي و العمارة)

- توجه **السلطان** إلى **رشيد** بكشف **البرج** الذي أنشأه بها، ثم دخل **الإسكندرية** وكشف البرج المعظم الذي أنشأه **بالمنار**، وأنه أنشأ به **جامعا** عظيما بخطبة، وأنه جاء برجا هائلا، بل معقلا حافلا بهيئة غريبة وصفة عجيبة، وأن دهليزه على قناطر عظيمة في البحر، تصل إليه من الساحل **السكندري**، وأنه قرر مصالحه وشحنه بالآلات والرجال والأسلحة وأن السلطان وعد بأنه سيفرد له أوقافا ووفى بعد ذلك بوعده، وهو من نوادر أبنية هذا السلطان، بل هو في حد ذاته من نوادر أبنية هذا الزمان .
- ركب **السلطان** إلى **الخانكة**، وأمر بأن يبنى له عند **قناطر المرج** قبة وحوضا وسبيلا وغير ذلك، وأخذوا في أسباب ذلك حتى كمل وجاء من أحسن المباني والآثار
- وبقلعة الجبل عدة أماكن أبنية هائلة منها، الإيوان العظيم الذي جدده، والمقعد بالحوش، والمبيت، والمناظر، والكثير من الأماكن العجيبة النادرة الجليلة النزهة، والطباق، وباب الحوش، وغير ذلك من الأبنية بالقلعة، مما يكاد أن لا يضبط، ولا وقعت **لسلطان** قبله في **دولة الجراكسة**.
- ومن آثاره التربة المعظمة التي **أنشأها بالصحراء** ، المشتملة على المدرسة الهائلة ، والمدفن بالقبة العظيمة عليه، وما بداخل ذلك من الأمكنة، وما إلى جانب بابها

من السبيل المعظم، وما يعلوه من المكتب للأيتام، وما تجاه ذلك من الأمكنة المعدة لصوفيتها وشيخها، وما يقربها أيضا من الربع العظيم الهيئة والشكل، المعد ذلك لسكنى صوفية التربة المذكورة أيضا، وخدامها وجماعتها، وما أنشأه بقربها من الحوض المعظم الهائل، المعد لشرب البهائم وبهذه التربة عدة من الصوفية من أعيان الناس، وطلبة العلم وأهل الفضائل وبها الحضور في الأوقات الخمسة، ولشيخها وصوفيتها وخدمتها الأرزاق الجيدة والمعاليم الكافية ، ولها ترتيب أنيق حسن.

- ومن آثاره الجامع المعظم بالكبش وما بجواره وأسفله من الأبنية الجليلة.
- ومن آثاره الجامع الأنيق بروضة مصر، وهو من أحسن المباني في موضعه.
- وله عدة أسبلة هائلة، من ذلك السبيل بتحت الربع، وما يعلوه من المكتب، والسبيل بالجبل، وهو من أحسن الأسبلة وأنفعها في ذلك المحل والسبيل بزيادة جامع ابن طولون، حيث كانت دار ابن النقاش ، والسبيل المعظم برأس سويقة ابن عبد المنعم.
- ومن آثاره الرباط المعظم بمكة المشرفة وما يليه من الأمكنة، وما بناه بجبل منى من الآثار المعظمة، منها مسجد الخيف.
- ومن آثاره تجديد سوق الماء إلى تلك الأمكنة والرباط بالمدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وأعظم هذه الآثار بناء الحجرة الشريفة النبوية، بعد الحريق العظيم الذي كان في هذا الزمان، وكمل ذلك، فكان من أعظم الأبنية هو وما يليه من أبنية المسجد الشريف النبوي، وما اخترعه من المقصورة الغربية على حجرة النبي -صلى الله عليه وسلم-.
- ومن آثاره الجامع المعظم بغزة، والمدرسة الأنيقة بالبيت المقدس، والمدرسة بثغر دمياط، وغير ذلك من بيوت لله تعالى.

• ومن آثاره البرج الذي بفم رشيد، وغير ذلك من الآثار والمباني بهذه البلاد وبالبلاد الشمالية، وقناطر الخيرية، والأسبلة والرباع، والخانات، والحمامات، والفنادق، والديار، والقاعات، والقصور، والحوانيت، ما يكاد أن لا يعد ولا يحد بغالب أخطاط القاهرة ونواحيها، مما هو ظاهر لكل أحد.

(عبد الباسط – الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 358/3)

(قايتباي وابن عثمان)

القسطنطينية ٤ ربيع الاول سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م :

مات السلطان المعظم ، والملك المفخم، الكبير، الغازي، ملك الروم، وصاحب قسطنطينية العظمى، محمد بن مراد بن محمد بن عثمان .

وكان ملكا، جليلا، ضخما، معظما ساد بني عثمان كلهم، وزادت مدته، وبعد صيته وذكره، وانتشر عدله في الآفاق، مع العقل والتدين والمعرفة والفضل الغزير والعلم والكرم، وسعة الملك، ووفور الجيوش، وإقامة الغزو والاستيلاء على الأقاليم الكفرية، وفتح الكثير من حصونها وقلاعها، وبناء الأبنية، والآثار الهائلة وكان ملك في حياة أبيه، ثم استقل بعد، ودام ملكه بعد استقلاله به مدة تزيد على أحد وثلاثين سنة ومولده بعيد الأربعين وثمانماية وملك بعده ولده بايزيد .

وصح الخبر بأنه لما مات بعث إلى ولده بايزيد يلدرم فأحضر من أماسية وولي ملك أبيه، وأنه كان قد عهد إليه ثم وقع له مع أخيه الأصغر جمجمة أمور مطولة آلت إلى فراره إلى هذه البلاد .

(عبد الباسط الملطي– نيل الامل)

صرع بايزيد الثاني وجم :

بعد وفاة **السلطان محمد الثاني الفاتح** جلس على عرش الدولة العثمانية ابنه الاكبر **بايزيد الثاني** , لم تكن تولية **بايزيد الثاني** العرش بسهولة، بل رفق ذلك صراع مرير وطويل مع اخيه الاصغر جم الذي كان يشغل ابان حكم والده منصب حاكم **قرمان** , اما **بايزيد** فكان يحكم **اماسية** .

على اثر وفاة السلطان **محمد الفاتح** المفاجئة بادر الوزير الاعظم **محمد باشا قرمان** ، الى اخفاء نبأ وفاته اطول مدة ممكنة تكفي لاخبار جم بوفاة والده، وتمكنه من الوصول الى العاصمة لتسلم العرش قبل ان يتمكن **بايزيد الثاني** من السيطرة على مقاليد الحكم , هذا من جانب، اما الجانب الاخر، لمنع حصول اي تمرد في صفوف **الانكشارية** .

لم يبد **الوزير الاعظم** اي اعترضا على مقترح السياسيين من اركان الدولة باستدعاء الابن الاكبر بايزيد لاستلام مقاليد الحكم ، فارسل احد رجال **الشرطة** الى **اماسية** من اجل ابلاغ بايزيد بوفاة والده والحضور الى العاصمة كما ارسل احد رجاله سرا الى **جم** الذي كان يكن له مودة خاصة ويفضله على **اخيه بايزيد** وتربطه به علاقة حميمة , يخبره بوفاة والده، ويحثه على الاسراع بالوصول قبل بايزيد من اجل تسلم مقاليد الحكم ، وبما ان **قونية** اقرب الى العاصمة من **اماسيه**، فيكون وصول **جم** الى **استانبول** اسرع من **بايزيد** عندئذ يسلم الجميع للامر الواقع هذه كانت خطة **الوزير القرماني**.

على الرغم من هذه الاجرءات والتدابير لم يكتب لمساعي الوزير **القرماني** النجاح فقد انتشر خبر وفاة **السلطان محمد** في معظم معسكرات الجيش اثر القاء القبض على مبعوث الوزير الاعظم الخاص الى **جم** ، اذ تم القاء القبض عليه من قبل **سنان باشا** حاكم الاناضول وصهر **بايزيد**، فاذا معه رسالة من الوزير الى **جم** يطلب منه الحضور بسرعة لتسلم مقاليد الحكم، فقتل **سنان** باشا الرسول ليحول بذلك دون وصول خبر وفاة السلطان **محمد**

الفاتح الى جم

لما علم **الانكشارية** بما اقدم عليه الوزير قرروا التمرد والعصيان ، وثاروا على الصدر الاعظم وقتلوه مع عدد من اعوانه ونهبوا داره ، ولم يكتفوا بذلك بل هاجموا بعض المحلات ومنازل اثرياء المدينة ونهبوها ونصبوا في **ربيع الاول ٨٨٦ هـ / ٤ايار ١٤٨١**م **قورقود ابن بايزيد** الثاني سلطانا لحين حضور والده .

اما الرسول الذي ارسل الى **بايزيد الثاني** فقد وصل في **١٣ ربيع الاول ٨٨٦ هـ / ١٢ ١٨٤١م** ، فاسرع بالوصول الى **العاصمة** وكان برفقته **اربعة الاف فارس** ، حيث وصلها بعد رحلة استغرقت تسعة ايام بينما كانت في الايام الاعتيادية تستغرق **خمسة عشر يوما**.

كان **بايزيد الثاني** يعتقد بأنه احق بالعرش من اخيه جم، لان والده كان اوصى له بالحكم من بعده ، ولانه اكبر سنا من **جم**، فضلا عن ان والدة **بايزيد** كانت تعد السلطانة الوالدة اي السيدة الاولى في الدولة، في حين كانت والدة **جم** جارية من اصل صربي ، كما ان **بايزيد الثاني** في هذه الاحداث كان اوفر حظا من اخيه **جم** .

اما الامير **جم** الذي فقد الفرصة اعلن الامير **جم** نفسه سلطانا على **الاناضول** ، حيث استقر في مدينة **بروسة** بعد ان تغلب على **الانكشارية** فيها ، والتف حوله عدد كبير من اتباعه .

هكذا اصبح للدولة **العثمانية سلطانان** في وقت واحد، **بايزيد الثاني** في **استانبول** و**جم** في **بروسة** ، الذي بعث الى اخيه يطلب الصلح اذ اقترح اقتسام الدولة الى شطرين الاسيوي يكون من نصيب **جم**، اما الشطر الاوربي يكون **لبايزيد الثاني** .

جاء مقترح جم بعد ان ادرك خطورة الموقف حين علم بتقدم **السلطان بايزيد الثاني** على راس جيش كبير باتجاه **بروسة** , وحاول ان يجد حلا للازمة القائمة بينهما ولاجل ذلك

كلف **سلجوق خاتون** ان ترس وفدا ضم كبار العلماء .

التقى الوفد بالسلطان **بايزيد** في معسكره، وطلبت **سلجوق خاتون** من **بايزيد الثاني** ان يقبل بعرض الامير **جم** تجنبا للحرب بين الاخوين وحقنا لدماء المسلمين، الا ان **بايزيد الثاني** رفض مقترحات الوفد رغم تقديره العالي للوفد واعضائه، لاسيما لعمته **سلجوق خاتون** حيث ختم جوابه بضرب المثل العربي " **لا ارحام بين الملوك** " .

لم يبق امام الاخوين سوى الخيار العسكري حيث زحف **بايزيد الثاني** على اخيه **جم** ودارت رحى معركة بينهما في منطقة **يكي شهر** انتهت بهزيمة **جم** وفراره جريحا الى **قرمان**, ثم الى **قونية** وبعد ثلاثة ايام قرر مغادرة **قونية** بعد ان علم بقدوم قوات **بايزيد** باتجاه المدينة، فضلا عن ان المدينة كانت اضعف من ان تقف بوجه الجيش الذي كان يقوده **بايزيد** .

وصل الامير **جم** الى مدينة **ادنة** التي كانت تابعة للدولة **المملوكية**، وخلال اقامته في **ادنة** اتصل بالسلطان **المملوكي الاشرف** **قايتباي** وطلب منه السماح له بدخول مدينة **حلب** فوافق الاخير على طلبه، واستدعاه الى **القاهرة** بشرط اصطحاب عدد قليل من جنوده .

وصل الامير **جم** مشارف القاهرة حيث امر السلطان **قايتباي** بتنظيم احتفال كبير لاستقباله خرج فيه الوزراء والامراء ودخل جم القاهرة في موكب مهيب ، وفي اليوم الثاني استقبل السلطان ضيفه رسميا، واظهر له المحبة والاحترم وخصص له قصرا من قصوره لاقامة جم واسرته

اما **السلطان** **بايزيد** فعندما وصلت اليه الاخبار بوصول اخيه **جم** الى **القاهرة** قرر الانسحاب بجيشه الى **استانبول** .

مكث الامير **جم** في القاهرة اربعة اشهر ثم قصد الاراضي المقدسة لاداء **فريضة الحج** , ولما عاد الى **مصر** بعث السلطان **بايزيد الثاني** برسالة اليه جاء فيها (**بما انك اليوم قمت**

بواجباتك الدينية في الحج فلماذا تسعى الى الامور الدنيوية من حيث الملك كان من نصيبي بامر الله فلماذا تقاوما ارادة الله؟) , فرد عليه **برسالة (هل من العدل ان تضطجع على مهد الراحة والنعيم وتقضي ايامك بالرغد واللذات وانا احرم من اللذة والراحة واضع رأسي على الشوك)** .

بعد عودة الامير **جم** من **الحجاز** تسلم رسالة من **قاسم بك القرماني** ، وهو اخر من بقي من الاسرة الحاكمة القديمة في قرمان التي كان العثمانيون قد وضعوا ايديهم عليها حيث وعد **الامير جم قاسم القرماني** ان هو ساعده في الحصول على عرشه يعيد اليه امارة اجداده ، جاء فيها ان كثير من قادة الدولة في غاية الانتظار والسرور لقدومك المبارك ، وقد صرفوا انظارهم عن **السلطان بايزيد** من ابرز الامراء الذين راسلوا جم سرا حاكم سنجق انقرة **محمد بك الطربزوني**, كما ان عددا من اصحاب الاقطاعات المتذمرين من سياسة **بايزيد الثاني** الذي جردهم من اقطاعاتهم، الى جملة الذين راسلوا الامير جم يخبرونه بالظروف المواتية وتعهدوا بالانضمام اليه حال قدومه الى الاراضي **العثمانية** .

قدم **السلطان بايزيد** الثاني عرضا اخر للامير **جم** يقضي بتخليه عن ادعاءاته بالعرش والاقامة في مدينة القدس الشريف مقابل منحه رتبا سخيا ، غير ان **الامير جم** رفض هذا العرض ايضا واستجاب لدعوات **قاسم بك** والذين راسلوه، وطلب من السلطان **قايتباي** ان يأذن له بالعودة الى بلاده ومقاتلة اخيه ، فاذن له السلطان **قايتباي** على غير رغبة منه وامده بالجيش والاموال.

غادر الامير جم القاهرة ووصل الى حلب في ١٧ ربيع الاول ٨٨٧ هـ .

كان **قاسم بك** في استقبال الامير **جم** لدى وصوله **حلب**، وانضم اليهما كثير من الاعيان والامراء, وجمع **قاسم بك** اعوانه وسار مع الامير جم لمحاصرة **قونية** وتصدى القائد **كدك**

احمد باشا للامير **جم** وحلفائه مما اضطر الامير **جم** الى الفرار ومني بهزيمة اخرى بالقرب من **انقرة** .

عاد الامير جم من جديد الى التفاوض مع **السلطان بايزيد الثاني** حيث اقترح ان يمنحه حكم بعض الالوية غير ان **السلطان** رفض هذا الاقتراح ايضا بقوله (**ان الخطيبة لايظفر بها الا رجل واحد**) .

ولما ضاقت السبل **بالامير جم** قرر العودة الى **مصر** حيث وصل في طريقه اليها الى جزيرة **رودس** اذ كانت هذه الجزيرة تحت سيطرة فرسان **القديس يوحنا** ، فطلب منهم الامير **جم** ايصاله الى **مصر**، واقسم الرئيس الاعلى للفرسان على ايصال الامير **جم** الى **مصر** لكنه لم يف بقسمه .

واستمرت اقامة الامير **جم** في **رودس اربعة وثلاثون يوما** وفي غضون ذلك ارسل السلطان **بايزيد الثاني** وفدا الى رئيس الفرسان يحمل عرضا قضي بابقاء الامير **جم** لديه ، كما طلب منه ابعاده عن **جزيرة رودس** لكونها قريبة من حدود الدولة **العثمانية** ، مقابل ذلك تعهد السلطان **بايزيد الثاني** بدفع مبلغ من المال سنويا الى الفرسان كما تعهد بعدم التعرض لرودس طيلة حياته .

وهكذا رحل الامير **جم** الى **فرنسا** حيث وضع رهن الاقامة الجبرية واخذ ينقله الفرسان من قلعة الى قلعة ومن برج الى برج ضمن الاملاك التابعة لهم حيث مكث في **فرنسا** بين **ست سنوات وبين سبع سنوات** .

ادرك السلطان **بايزيد الثاني** الذي تعرض الى الكثير من الابتزز من عدد من الدول الاوربية ، كما انفق الكثير من الاموال على قضية الامير **جم** ، ان السبب في ذلك هو الدولة **المملوكية** ، وبعد ان اطمئن ان الامير **جم** اصبح بعيدا عن **المماليك** اراد الانتقام منهم .

فحرض **علاء الدولة** امير امارة **دلغادر** على مهاجمة **ملطية** وساعده بكثير من الجنود والاموال لتدخل العلاقات المملوكية العثمانية صراعا جديدا .

(مخلف عبد الله صالح –الصراع على وراثة العرش العثماني واثره امارة دلغادر)

سبب تأزم العلاقات بين سلطان المماليك والسلطان العثماني :

والذي استفاض بين الناس أن سبب هذه الفتنة الواقعة بين **السلطان** وبين **ابن عثمان**، أن بعض **ملوك الهند** أرسل إلى **ابن عثمان** هدية حافلة على يد بعض تجار الهند، فلما وصل إلى جدة، احتاط عليها نائب جدة وأحضرها صحبته إلى السلطان، وكان من جملة تلك الهدية خنجر قبضته مرصعة بفصوص مثمنة، فطمع **السلطان** في تلك الهدية وأخذ الخنجر، فلما بلغ **ابن عثمان** ذلك حنق، وجاء في عقيب ذلك أن **علي دولات** ترامى على ابن عثمان وشكا له من أفعال السلطان وما يصدر منه، فتعصب لعلي دولات وأمده بالعساكر، واستمرت الفتنة تتسع .

وقد طمع غالب ملوك الشرق في عسكر مصر بموجب ما وقع لهم مع **سوار**، **وباينذر**، وغير ذلك من ملوك الشرق ثم إن السلطان أرسل إلى **ابن عثمان** ذلك الخنجر والهدية التي بعث بها ملك **الهند**، وأرسل يعتذر **لابن عثمان** عن ذلك بعد ما صار ما صار .

(عبد الباسط الملطي – نيل الامل)

الحرب بين السلطان وابن عثمان :

وفي جماد الآخر وصل **خير بك دوادار الأتابك أزبك** من عنده مكاتبة منه يخبر فيها بأنه لما دخل دمشق وصل إليه قاصد من عند **داوود باشا وزير ابن عثمان** بأنه مجتهد عند أستاذه في قضية الصلح بين المملكتين، وأنه لو جاء قاصد من عند السلطان لكان الصلح قد انعقد، فما أعجب السلطان هذا ، وأعاد إليه الجواب بأن هذا حيلة وفيه تثبيط العساكر عن الحركة، وأنه إن رأى أن يرد جوابا شافيا فليفعل .

وقال **البصروي**:

«وصل قاصد أرسله **شيخ عرب**، عالم بلاد الروم، ليس في بلاد **ابن عثمان** أعلم منه اسمه **أبو بكر**، فذكر القاصد أن شيخه والعلماء والوجوه ليسوا راضين عن فعل **ابن عثمان** ومعاداته لأهل هذه البلاد، وأن الضرورة حصلت لهم، وأن الكفار طغوا عند ما رأوا المسلمين يقاتل بعضهم بعضا، وأشاروا بالصلح، فأجابه **أزبك** والأمراء: **إنما نحن متوجهون حسبما رسم لنا السلطان، وأنت اذهب إلى السلطان، ودارسهم بالصلح فيكون، ونحن هناك مجتمعون عليه، ثم توجه القاصد إلى مصر**».

وفيه عاد **السلطان** ووصل إليه هجان يخبر بأن العساكر على **زمنطوا**، وأنهم في قصد المسير إلى جهة بلاد **ابن عثمان** بعد أن بعثوا **ماماي الخاصكي** رسولا، ومعه عشرة من المماليك **السلطانية**، وأشار عليهم **تمراز الشمس** بأنهم لا يتحركوا حتى يرجع إليهم **طرباي** هذا إما بصلح فيعمل بمقتضاه أو بغيره فيعمل ذلك ، فخالفوه ومشوا عقيب سفر **ماماي** ، فرحلوا إلى أطراف مملكة **ابن عثمان** من جهة البلاد **القرمانية**، فوصلوا إلى مدينة **سرمشق** وبها مغاير اجتمع أهلها بها واحتموا على العساكر فحاصروهم، وأخذ بعضا من هذه المغاير، وقتلوا جمعا من أهلها ، ونهبوا وفسقوا، وفعلوا أفعالا غريبة، ثم رحلوا إلى جهة قيسارية فأخذوها، ولم يقدروا على قلعتها، فحرقوا المدينة ونهبوا، ثم رحلو إلى قراصار ففعلوا بها نحوا من **قيسارية**، ثم إلى نكده كذلك، ثم إلى أركلي وانقسم العسكر على فرقتين، توجهت أحدهما إلى **دارنده** فحرقوا وأخربوا، وبقيت الفرقة الأخرى تنتظر هذه حتى عادت ورجعوا إلى قولك ونزلوا لحصارها، وعندهم الغلاء في كل شيء ثم وصل هذا الخبر إلى **السلطان** على يد **جان بلاط الغوري** أحد جلبانه من العشرات، فما أعجبه هذا الفعل ولا سر به .

وقال ابن الحمصي: إن عسكر **ابن عثمان** نصبوا على عسكرنا ثمان ماية عجلة بمدافعها وجنوياتها، وأنهم رموا بالبندق الرصاص على عسكرنا، فثبت عسكرنا للقتال، وكان النصر لعسكرنا، وقتل من عسكرهم خلايق لا تعد ولا تحصى، ومن عسكرنا اليسير، واستمرا من أول النهار إلى آخره في القتال فلما حال الليل بين العسكرين لم يصبح من عسكرهم إلا الخيام، فغنم عسكرنا منهم غنيمة كثيرة وكانت الوقعة على أذنة.

وصل الخبر بأن العساكر **المصرية** لما انتصروا على عساكر **ابن عثمان** عادوا إلى أدنة وهي في غاية الحصانة وقد أعمرها ابن عثمان وأشحنها بالرجال وآلات الحصار، فنزلوا عليها لأخذها ثم جرت عليهم أمور في أثناء ذلك، ولا زالوا يحاصرونها مدة ثلاث شهور حتى أخذوها بالأمان في **ذي حجة**، بعد أن هلك من الخلق ما شاء **الله** أن يهلك من **المصريين**، وكذا قتل من **العثمانية** بأدنة جماعة .

(نقش كتابي بصهريج يعقوب شاه المهمندار يسجل مآثر السلطان ضد ابن عثمان)

" مما انعم الله على العبد الفقير الحقير تراب الاقدام يعقوب شاه المهمندار عمارة هذين الصهريجين والقبتين في دولة المقام الشريف الخاقاني الفغفوري الفريدوني تاج ملوك العرب والعجم خادم الحرمين الشريفين الذي فاق اقرانه من الملوك بالعلم والعمل والفروسية ابو الفتوحات السلطان منها جريان عين عرفة وعين بيت المقدس وعمارة مسجد الخيف والحرم النبوي على ساكنه افضل الصلوة والسلام وتوجه العساكر المنصورة الى مملكة الروم لرد عساكرهم فلما تقابل العسكران وهجمت العساكر المنصورة عليهم كالاسود الضراغم فضيقوا عليهم الارض بما رحبت فما وسعهم الا الفرار ففروا كحمر مستنفرة فرت من قسورة فوقع في قبضتهم باش عساكرهم بن هرسك ومن دونه وشبع من لحوم قتلايهم الضباع والذياب والنسور والعقبان

فاحضروهم في السلاسل والاغلال بين يدي الحضرة المعظمة وصناجقهم منكسة بالحوش الشريف وكان يوما ما كتب مثله في تواريخ الملوك السالفة وكان الفراغ في سنة احدى وتسعماية " .

فالسلطان **قايتباي** هو الذي اعاد هيبة الدولة بعد ضعف واضطراب ونكبات، فبالسلطان قايتباي ادركت مصر ضالتها من الحكام الراشدين، اذ فاق قايتباي اقرانه من الملوك بالعلم والعمل والفروسية، وهو مع كل ذلك رجل دين تقي .

وحين هدأت المعركة وانجلى الغبار، ارسلت رءوس القتلى التي تزيد على مائتي رأس مغروسة في اسنة الرماح ليطاف بها في المدن كأية من ايات النصر ورمز من رموزه وزينت القاهرة لذلك الحدث زينة حافلة ، وانتظر الناس عودة الجيش المنتصر بصبر فارغ ، وامر **السلطان** بتبييض **بابي النصر وزويلة** وضرب **الرنوك** عليهما بلون الذهب ووصل موكب الامير **ازبك** الى **القاهرة** في **ذي القعدة 891 هـ** يسوق الاسرى مشاة امامه، وهم مقيدون بالسلاسل ومكبلون بالاغلال في ذلة ومهانة، وامامهم اعلامهم منكسة ومهانة، تدوس عليها الدواب ويهان اسم سلطانهم المرقوم عليها وسيق **احمد باشا ابن هرسك** قائد **الجيش العثماني** الى القلعة وهو يركب فرسا اعرج والغل يحيط برقبته والزناجير في يديه والقيود تعض قدميه وتدميها .

ولم يكن السلطان **العثماني** ليقبل بهذه الهزيمة فالتقي جيشه مع الجيش **المملوكي سنة ٨٩٣/ ١٤٨٧ م**، ودارت الدائرة على الجيش **العثماني** وغنم **المصريون** منهم اشياء كثيرة من خيول وسلاح وغير ذلك، واستمرت المعارك المتقطعة بين الجانبين حتى استقر الراي بعد مفاوضات متصلة على عقد الصلح بين السلطان **بايزيد** والسلطان **قايتباي**، وتم الصلح وتبادل الجانبان الهدايا والمجاملات الودية

(فرج الحسيني – نقش كتابي بصهريج يعقوب شاه المهمندار)

(قايتباي وبلاد الحجاز)

أن سلاطين **المماليك** منذ بسط نفوذهم على الديار **المصرية**، فإنهم تطلعوا إلى إخضاع بلاد **الحجاز** لسيطرتهم، خاصة وأن تلك الأماكن المقدسة كانت خاضعة بالتبعية لسلطان **الفاطميين** في **مصر** منذ قدوم **جوهر الصقلي** إليها في عهد الخليفة **المعز لدين** الله، وذلك لشيوع نظرية أن انضمام **الحرمين الشريفين** من أهم شروط **الخلافة الإسلامية**، و أنها لا تكتمل إلا بعد أن تؤيده خطبة **الحرمين** وتنطق باسمه .

كذلك استمرت بلاد **الحجاز** طوال العصر **الفاطمي** خاصة لسلطانهم ونفوذهم، حتى سقطت البلاد في يد **صلاح الدين الأيوبي**، الذي ضم بلاد **الحجاز** إلى تبعيته، ودعي إليه على منابرها، مع استمرار الحكم القائم في بلاد الحجاز في يد أشرافها فكان **الحسينيون في مكة، والحسينيون في المدينة المنورة**

وفي سلطنة الملك الكامل – أخو صلاح الدين الأيوبي – انقسمت السلطة في بلاد الحجازيين الأيوبيين في مصر وبني رسول حكام اليمن ، وقد استمر هذا الوضع حتى قيام الدولة المملوكية في مصر

وعلى أساس أن بلاد **الحجاز** رمزاً دينيا تصبوا إليه أنظار وأفئدة المسلمين في جميع أرجاء العالم الإسلامي، فقد تطلع السلطان **الظاهر بيبرس** بعد أن احيي **الخلافة العباسية** في **القاهرة** عقب سقوطها في **بغداد** على **أيدي هولاكو المغول**، بأن يبسط نفوذه على بلاد **الحجاز**، وذلك في **٦٥٩ هـ/ ١٢٦١ م** بإرسال أميراً من قبله هو **علم الدين اليغمري** لعمارة **الحرم النبوي الشريف**، ثم أرسل كسوة فاخرة **لقبر الرسول الكريم** مصحوبة بالشمع والبخور والزيت والطيب لمظهر من مظاهر السيادة المملوكية على تلك الأماكن المقدسة. ومن هنا حرص السلطان بيبرس على تأكيد س يطرته ونفوذه على بلاد الحجاز،

بالتدخل في النزاعات الداخلية بين أشراف المدينة المنورة، وأصدر أوامره بأن تضرب السكة باسمه وإلا يمنع أحد من دخول **الكعبة المشرفة** هذا بالإضافة إلى خروجه في **سنة ٧٦٧ هـ/ ١٣٦٦ م**، لتأدية **فريضة الحج**، وتصدق في طريقه بالكثير من الصدقات وعلى أهل مكة المكرمة، وذلك ترسيخاً لنفوذه ونفوذ المماليك في تلك الأماكن **المقدسة** .

لدرجة أنه عين أميراً من قِبله نائباً على مكة هو الأمير **شمس الدين مروان** وبذلك اكتملت منظومة النفوذ **المملوكي** في بلاد **الحجاز** بتعيين نائباً للسلطان في **مكة المكرمة** مما يدل على مسعاه بالاستيلاء عليها وفرض نفوذه وسيطرته على تلك **الأماكن المقدسة**.

استمرت المحاولات **المملوكية** في السيطرة على بلاد الحجاز في معظم فترات الحكم **المملوكي** في الديار **المصرية**، خاصة في عهد **السلطان الناصر محمد بن قلاوون** الذي أرسل قوة عسكرية في سنة **٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م** على رأسها **الأمير بيبرس الجاشنكير**، الذي قبض على الشريفين **أبي الغيث وعطيفه**، وعين بدلاً منهما **حميضه ورميثه**، وحملهما إلى القاهرة معه، وكذلك حملة أخري في سنة **٧١٣ هـ/ ١٣١٣ م** تحت قيادة الأمير **سيف الدين طقصاي الناصري** وذلك لظهور الفساد والظلم من قبل **حميضة**، وبذلك هدأت الأمور بين **أشراف مكة**، وبذلك يتضح لنا أن سلاطين **المماليك** كانوا يرسلون الحملات **العسكرية** لقمع النزاعات الداخلية التي تشب بين أشراف **الحجاز**. أما في عهد **السلطان الظاهر برقوق** قد زادت الصلات السياسية بين **المماليك** في مصر وبين أشراف **مكة** وذلك بإرسال الرسائل والوفود القامة من مصر، واستقر الأمن والطمأنينة في عهد الشريف **حسن بن عجلان**، خاصة لاستقرار التجارة ولرواجها في ميناء عدن حتى خفضت الرسوم الجمركية على التجار لذا كان **السلطان المملوكي** يرسل تقليداً بتولية شريف مكة الحكم، وخير دليل على ذلك تقليد **شريف مكة حسن بن عجلان** نيابة السلطنة المملوكية في

الأقطار الحجازية من قبل **السلطان الناصر فرج بن برقوق** وهذه أول مرة يتولى فيها أحد الأشراف نيابة الأقطار الحجازية من قبل سلطان **مصر المملوكية**.

هذا إلى جانب ازدياد نفوذ المماليك في الأراضي **الحجازية** وذلك بعزلهم بعض **الأشراف** في **مكة** كما حدث في **سنة ٨١٨ هـ/ ١٤١٥ م** عندما عزل السلطان المؤيد شيخ شريفي مكة **الشريف بركات والشريف أحمد إمارة مكة** وإصدار مرسوما بتولية غيرهما وهو **الشريف رميثه بن محمد بن عجلان** .

أما في عهد **السلطان الأشرف برسباي** فقد تحولت **مكة المكرمة** إلى ولاية تابعة تبعية تامة لسلطنة **المماليك** في مصر، وذلك في **سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م**، حيث أشرك السلطان مع والي **مكة الشريف علي بن عنان بن رميثة** أميراً مملوكياً في حكمها هو **الأمير قرقماس** تصحبه قوة عسكرية، لكي تمكن الأمير الجديد من تولي مهام منصبه وتفرض سلطه ونفوذ المماليك في الحجاز بالقوة العسكرية، ومنذ تلك الفترة صار لزاما على أشراف مكة أن يتولوا الحكم فيها مع وجود قوة مملوكية عسكرية.

لقد زاد نفوذ **سلطان المماليك في الأراضي الحجازية منذ عهد الظاهر جقمق** , ففي **سنة ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١** م صحب **أمير مكة الشريف علي بن حسن بن عجلان** من **مصر** قوة عسكرية على رأسها **يشبك الصوفي** مع إلتزام **الشريف** بدفع مبلغا معينا من المال يقدر بحوالي **ثلاثين ألف دينار في مقابل تولية الإمارة**، وبذلك صار على **شريف مكة** أن يدفع مرغما مبلغاً من المال كضريبة في مقابل توليته الحكم والإمارة بها.

استمرت الإضرابات والمنازعات الداخلية بين أشراف مكة حتى عهد **السلطان قايتباي**، الذي توجه فيه **الشريف محمد بن بركات** في سنة **٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م** بحملة عسكرية إلى مدينة **جازان** لتأديب أميرها، الذي ناصر **الشريف علي بن بركات**، وسانده جنده

وذلك عندما نفاه **الشريف محمد** إلى أراضيه، ومن ثم أنزل **الشريف محمد** الهزيمة بأمير **جازان أبو الغوائر**، وأرغمه على دفع مبلغا من المال يؤديه له كل عام .

لقد ساند **السلطان قايتباي الأمير محمد بن بركات** في سياسته التوسعية خاصة أنه قام بحركة توسعية في عدة قرى ومدن **بالحجاز** فضمها تحت سيادته، وذلك في سنة **٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠ م**، ومن ثم أيد **السلطان** ذلك بإصدار فرمان للريف بتقليد جميع مدن الحجاز كاملة، وبسط يده في توليه وعزل من يشاء من أشرافها على جميع تلك المنطقة، لذا عين الشريف بركات على إمارة المدينة المنورة وبذلك نري أن هناك بعض **أشراف مكة** يبسطوا نفوذهم وسلطانه السياسي والعسكري على جميع بلدانها، بفضل مساندة سلاطين المماليك، وما تمتعوا به من سياسة الحزم والقوة والحنكة والدهاء السياسي، كما كان تأييد **السلطان لأشراف مكة** بإرسال الهدايا القيمة بصحبة شاد العسكر .

أما عن حكم **المدينة المنورة** في عهد **السلطان قايتباي**، فقد كان أشرافها يقومون بترشيح أميرهم ممن يرضونه عليهم، حتى عهد السلطان **فرج بن برقوق** الذي منح **حسن بن عجلان** نيابة أقطار الحجاز، لذا كانت فترة حكم **السلطان قايتباي** ينتابها كثير من الاضطرابات في **المدينة المنورة** حتى أضربت الأحوال السياسية **بالمدينة المنورة** نتيجة لهجوم شريفها **الحسن بن زبير** على خزانة **المسجد النبوي الشريف** واستولى على ما فيه من نقود وقناديل الذهب والفضة، لذا أرسل شريف مكة قوة عسكرية، استطاعت عزله، وحفظت الأمن والنظام في المدينة، وتم تعيين شريفاً جديداً عليها .

ومن هنا فإن الجهود السياسية للسلطان **قايتباي** في بلاد **الحجاز** كانت تتمثل في فض المنازعات بتأيد **شريف مكة** بالحملات **العسكرية**، وأن المنازعات والخلافات الداخلية في **المدينة المنورة** فترة حكم **قايتباي** كانت تؤدي إلى عزل وتعيين العديد من الأشراف بها.

وبذلك يعد السلطان **قايتباي** من أشهر سلاطين المماليك رعاية لشئون بلاد الحجاز، وتكريماً بأمرائهم وأشرافهم.

وكذلك اهتم السلطان **قايتباي** بالجوانب العلمية في **بلاد الحجاز**، وأعطي الكثير من الاهتمام لطلاب العلم، وأقام المدرسة التي كانت مقابل مقام **إبراهيم عليه السلام**، وقد ضمت هذه المدرسة **اثنين وسبعين** خلوه **للصوفية**، ومكتبا **لتعليم الأيتام**، وقد بنيت تلك المدرسة من الرخام الملون، وقد قرر فيها أربعة مدرسين على المذاهب الفقهية الأربعة، وضمت حوالي أربعين طالباً للعلم، وخزانة لأشهر الكتب، عين عليها خازنا، فكانت المكتبة زاخرة بنفائس الكتب وقد زود **السلطان** تلك المكتبة بالكثير من الكتب وبخاصة في العلوم الشرعية وأرسل معظمها من الديار المصرية على يد المؤرخ السمهوري، ثم في سنة **٨٨٩ هـ / ١٤٨٤ م** على يد **ابن الجيعان** الذي الذي وصل **بلاد الحجاز** ومعه أحمال من كتب **العلوم الشرعية**.

وفي سنة **٨٨٦ هـ/ ١٤٨١م** ، أمر السلطان **قايتباي** بإنشاء رباط في **المدينة المنورة** بين **باب السلام وباب الرحمة**، وذلك عقب الحريق الثاني الذي شب في **المسجد النبوي**، لذا إقام شاد العمارة في جدار المسجد الغربي مدرسة ورباط **للسلطان الأشرف قايتباي**، وعين له ناظراً وشيخين وذلك عند تأديته فريضة الحاج.

وقد شهدت تلك الأربطة والمدارس نشاطا علميا ملحوظة، وأرتاده طلاب العلم والمجاورون في بلاد الحجاز وقد أمر السلطان باتخاذ منفذاً للمدرسة إلى للمدرسة إلى **المسجد الحرام**، يطلق عليه اسم **باب قايتباي**، وقد كتب على هذا الباب من خارجة بالخط البارز – **مولانا السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي** – وكتب أسفلها دعاء، "**اللهم أنصره نصراً وأعزه** "، وإلى يسار ذلك كتب "**وأفتح له فتحاً مبينا**".

وفي المدينة المنورة أمر **السلطان** في **٨٨٧ هـ/ ١٤٨٢ م** بإنشاء رباط ومدرسة فهدمت المدرسة الجوبانية وأقام على أرضها المدرسة الأشرفية، وأمدها بالمصاحف الكثيرة، ثم أوقف عليها عدة قري في داخل الديار المصرية، تحمل غلالها إلى المجاورين وطلاب العلم، فكانت حصة ال فرد سبعة أرادب في العام .

كما شيد **ابن الزمن** للسلطان **قايتباي** رباط **بالمدينة المنورة** في سنة **٨٨٨ هـ/ ١٤٨٣م** بعد أن أشتري منازل معروفة باسم منازل **آل عباس**، وقد خصص هذا الرباط لسكني طلاب العلم ومن أهم مجهودات **السلطان قايتباي** في عمارة المنشأت في الأراضي المقدسة أصدارة الأوامر إلى الحاج مغلباي بتعمير وترميم مسجد نمرة بعرفة، وقد أنشأ رواقين عظيمين بصدر القبلة، برسم الظل **للحجاج** .

لذا علينا أن نقول أن **قايتباي** أقام منشأت معمارية كثيرة في الحرمين سواء أثناء قيامة **كأمير للحاج** أو في أثناء تأديته فريضة الحج وهو سلطان لمصر، ومنها تجديد عمارة **المسجد النبوي الشريف** بعد حرقه، وأنشأ مدرسة بشبابيك مطلة على **الحرم النبوي**، وغيرها من المنشأت .

(نعمه علي مرسي – جود السلطان قايتباي في بلاد الحجاز)

(حريق المسجد النبوي)

أن المؤذن لما طلع على **المئذنة الشرقية** لأجل **التسبيح**، فرأى صاعقة عظيمة نزلت من السماء على **المسجد الشريف**، فعملت فيه النار، فلما عاين المؤذن ذلك خرس ونزل من المئذنة، فأقام ساعة ومات، وقد عاينوا الناس عدة أطيار بيض بأعناق طوال طائفة حول **المسجد** تمنع النار أن لا تحرق البيوت التي حول المسجد، وأن **المسجد** جميعه قد احترق حتى صار كالتنور، فلما سمع **السلطان** ذلك **بكى وبكى من حوله**، وتعجب الناس لهذه

الواقعة كيف جرت في مثل هذا المكان **الشريف**، فأخذ **شيخنا شمس الدين محمد القادري** يعتذر عن ذلك، وهو قوله: **بطيبة سيئات الركب بدلها رب العلا حسنات** عند ما زاروا وعند ما قبلت ضاهت لذي حرم المختار من أكلت قربانه النار .

(ابن اياس – بدائع الزهور 3/ 187)

واتت النار على كامل المبنى ، وهرع اهل المدينة لاطفائه؛ ولكن عظمة النار وشدتها حالت دون اي محاولة، كما حاول البعض قطع السقف للحيلولة دون تقدم النار، لكنها سبقتهم وعجزوا عن امرها وكانوا اذا القوا عليها الماء زادت اشتعالا، فخلصوا نجيا وبعد ايام شبعت النار بعد ان اتلفت اغلب سقف المسجد، وتهدمت جدرانه وتداعت اعمدته وابوابه وحواصله؛ واحترقت المقصورة الخشبية والمنبر والكتب والمصاحف، ولم يبق من العقود والاعمدة الا اليسير؛ ومات في تلك الحادثة بضعة عشر شخصا، وكان عزاء المسلمين الوحيد هو سلامة الحجرة الشريفة؛ بحيث لم تمسها النار سوى ثقب حدث في القبة بقدر اتساع الترس .

ولما علم **السلطان قايتباي** بكى وبكى من حوله؛ وعلى الفور رسم بتنظيف المسجد واعادته للصلاة وكان اهل المدينة قد نظفوه ونقلوا جزءا من الرديم الى ما يلي باب الرحمة؛ ونصبوا الخيام به وجهزوه للصلاة، وبنوا في شهر شوال حول الحجرة الشريفة جدارا يقيها ويصونها وفكر السلطان قايتباي ورای ان اختيار الله تعالى له لعمارة المسجد تشريف لا مزيد عليه، وكرامة ما بعدها كرامة، وذخيرة يرجو الفوز بسببها فسخر امكانيات الدولة كلها لاجل ذلك ، وامر بوقف البناء في عمائره بمكة، وان يتوجه شاد العمائر المكية الامير سنقر الجمالي صحبة اخيه الامير شاهين الجمالي بمبلغ 20.000 الف دينار؛ وما يزيد على مائة صانع من البنائين والنجارين والنشارين والدهانين والحجارين والحدادين والمرخمين، جمعهم السلطان من بلاد الشام ومصر والحجاز، ومعهم كثير من الدواب من الجمال

والحمير وعلى الفور شرعوا في تجهيز الالات حتى كثرت في الطور والينبع والمدينة المنورة، وشرع في العمل وذلك بهدم بقايا المئذنة الرئيسية وعمارة الروضة الشريفة، ثم ما لبث ان وصل الخواجا شمس الدين بن الزين ليكون شاد العمارة وصحبته اكثر من ثلاثمائة من الصناع ، وغيرهما من المبيضين والسباكين والجباسين، واكثر من مائة جمل ومائة حمار وهكذا بدات العمارة الثانية بكل همة ونشاط؛ فبدا اولا بهدم حوائط المسجد واعادة بنائها وزادوا في عرضها قليل واحدثوا بالجدار الشرقي دخلات لوضع الكتب والمصاحف، واعادوا بناء الاعمدة والعقود وتسقيف المسجد، واصلحوا القبة الشريفة واقاموا فوقها قبة ثانية؛ بحيث اصبحت تغطى الحجرة الشريفة بقبتين علوية واخرى لا ترى الا من داخل الحجرة الشريفة؛ ثم حدث بالقبة العلوية تشقق بعد الانتهاء من العمل، فاصلحت ، واعادوا ترخيم الحجرة النبوية وما حولها وزخرفوا القبة بزخارف بديعة، حتى ان البرزخي المؤرخ المعروف وصف الحجرة الشريفة حين كتب له السعد بدخولها، فقال:

«وثم اطمعت بصري الى داخل القبة الكبيرة فرايتها في غاية الحسن والارتفاع مزينة بنقوش ظريفة عليها طراز فيه كتابة لم يمكنى الا قراءة ما قابلني من جهتها الغربية وهو ....انشا هذه القبة الشريفة الغالية المعترف بالتقصير الراجي عفو ربه القدير قايتباي.. » كذلك وسعوا المحراب العثماني وزخرفوه بالرخام واقاموا عليه قبة محمولة على اعمدة، واقاموا قبة قبلي الحجرة الشريفة بينها وبين الجدار حولها ثلاث قباب وبنوا باب السلام وبالقرب منه قبتين، ورخموا جدار القبلة والجدار الشرقي وزخرفوه بالرخام والايات القرانية وبنوا المحراب النبوي واعادوه الى موضع الصندوق الذي كان علامة على محاذاة الراس الشريف، وزخرفوه بالرخام الملون بشكل بديع وبالايات القرانية بشكل رائق، وصنعوا للمسجد ودكة للمبلغ بالرخام ، وكتب عليه كتابة اثرية عبارة عن خمسة اسطر بخط الثلث،

نصه كالتالي: **بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد امر بعمارة هذا المحراب النبوي الشريف العبد الفقير المعترف بالتقصير مولانا السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي خلد الله ملكه بتاريخ شهر الحجة الحرام سنة ثمان وثمانين وثمانماية من الهجرة النبوية**

كذلك بنيت دكتان اخريان في شمال المسجد بين بابي الرحمة والنساء، كما بنوا محراب التهجد الموضوع في الناحية الشمالية لبيت فاطمة وزخرفوا محراب الحنفية ايضا واقاموا سياجا عبارة عن شبكة من النحاس حول المقصورة

وكان السلطان قد نصبها بالحوش السلطاني بقلعة القاهرة واحتفل باتمامه وكتب عليه نقوشا بطريقة التخريم، قيل ان وزنه 400 قنطار حمل على سبعين جمل الى المدينة ومما كتب على هذه المقصورة عبارة التوحيد والرسالة **لا اله الا الله محمد رسول الله** ، والنص التاسيسي التالي: **انشا هذه المقصورة الشريفة مولانا وسيدنا السلطان ابو النصر قايتباي تقبل الله منه في عام ثمان وثمانين وثمانماية من الهجرة النبوية** .

(عمارة عين عرفة)

وهي عين عذبة المياه تنبع عند ذيل جبل كرا؛ وهو جبل شاهق شرقي مكة على طريق الطائف، على بعد 40 كيلو مترا منها، تنحدر المياه من ذيل الجبل في قناة الى موضع بوادي النعمان؛ يقال له الاوجر او ارض حسان او بلاد السبحي؛ وهناك نبع اخر بمزرعة العقم بوادي النعمان ايضا

واستمرت العين معطلة داثرة ما يقرب من مائة وخمسين عاما، بحيث لم يكن في اهل مكة من كبار السن من رأها او سمع عنها .

وبدأ من ارض عرفات مشرقا حتى بلغ وادي النعمان، فاصلح قناتها واحواضها، وجدد

صهاريجها، ورمم ما يحتاج الى ترميم، وابدل ما تشعث منها، ونظف مطمورها ورتق فتوقها، ودعم اساسها والطريق التي تقطعها والاماكن التي تمر بها من منشئها في الطائف حتى وصولها عرفة ثم مكة واعاد بناء القناة المحيطة بجبل الرحمة من جديد، واصلح برك عرفات وكان الناس يأملون وصول الماء الى مكة ولكن وعورة الجبال حالت دون ذلك، وفي الوقت نفسه تم تعمير عين خليص وبناء قبتها وقد سجلت عمارة السلطان قايتباي لعين عرفة والبرك والملحقات على لوحين حجريين متطابقين في المضمون؛ كانا مثبتين على صخرتين اسفل جبل الرحمة .

وهو مصون الان بمتحف قسم الحضارة والنظم الاسلامية بجامعة ام القرى ، والنقش الاخر محفوظ في المعسكر الكشفي التابع لادارة التعليم بمكة في حي العزيزية ونصه كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبمنته تكمل المسرات وبتوفيقه تجرى الخيرات على يد من اختار من اهل السعادات وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي نبع الماء من بين اصابعه في الازمات وفتح الله تعالى به اعينا عميا واذنا صما وقلوبا غلفا وختم ببعثته الرسالات صلى الله وسلم عليه وصحبه اولي البر والصلات ازكى السلام وافضل الصلاة وبعد فان عين عرفة المشرفة كانت قد محي اسمها وتعطل رسمها وعفا اثرها ولم يبق الا خبرها وهم كثير من الملوك والسلاطين بعمارتها فلم تساعدهم القدرة على مقاومتها ومضى على ذلك دهور ويئس منها لما اتى عليها من العصور فلما من الله على العباد بولاية من صلحت به الرعية والبلاد وانحسمت بوجوده مواد الجور والفساد هو مولانا السلطان الاعظم مالك رقاب الامم حاوي فضيلتي السيف والقلم ظل الله تعالى الممدود على العالم سلطان الاسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين محي ماثر الخلفاء الراشدين ملك البرين والبحرين

خادم الحرمين الشريفين السلطان المالك الملك الاشرف ابو النصر قايتباي نصره الله نصرا عزيزا وفتح له فتحا قريبا بمحمد صلى الله عليه وسلم برز امره الشريف باجرائها بتلك الاماكن المشرفة لوفد الله تعالي واضيافه المباهي بهم الملائكة قربة الى الله تعالى لا رياء فيها ولا امتراء يجد ثوابها يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرا محضرا فجرت بحمد الله تعالى وتوفيقه في اسرع مدة يقارب احصاؤها اشهر العدة مع تنظيف قعرها وبناء مصانعها وبركها وعمل مشرعتها لنفع اهل الشريعة وبناء قناتها المحيطة بجبل رحمة الله الوسيعة فالله يجدد لمولانا السلطان في كل لحظة عزا ونصرا ويجري له على ما اجرى في الدارين اجرا وذلك على يد الجنابين العاليين الاميرين الكبيرين شاهين الجمالي الاشرفي وشقيقه المباشر للعمل السيفي سنقر الجمالي الاشرفي اجزل الله تعالى ثوابهما واحسن املها في مدة اولها شهر ربيع الاخر واخرها شهر رجب الفرد الحرام عام خمسة وسبعين وثماني ماية وصلى الله على سدنا محمد واله وصحبه وسلم .

(اصلاحات السلطان قايتباي في مسجد الخيف)

يعد السلطان قايتباي اكثر السلاطين اهتماما بالمشاعر المقدسة؛ فقد قام بتجديد وبناء العديد من المباني في مكة والمدينة منها مسجد الخيف يبدا من العضادة اليمنى وينتهي على اليسرى بما نصه :

«**بسم الله الرحمن الرحيم عمر مسجد الخيف السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي سنة اربع وسبعين وثمانماية** » وكان يوجد رنك السلطان قايتباي على يمين ويسار كوشتي العقد وقد اقيم فوق المدخل مئذنة بلغ ارتفاعها فوق الجدار 14 مترا، ويتوج من اعلى بشريط كتابي بخط الثلث، نصه كالتالي «**امر بعمارة هذا المسجد المبارك مولانا السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي عز نصره ودام بقاه؛ وذلك باشارة المقر**

السيفي شاهين الجمالي واخيه المباشر سنقر الجمالي في سنة اربع وسبعين وثمانماية احسن الله اليهما "

وكان السلطان قد أنشأ وكالة بباب النصر 885 هـ / 1480 م ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم وعلى سيدنا محمد وافر الصلوات واكمل التسليم وعلى اله واصحابه وصحبه اجمعين امر مولانا المقام الشريف الاعظم والخاقان المنيف المعظم والسلطان الاعدل الافخم الاكرم الملتجئ الى ظل عرش الله مولانا السلطان المالك الملك الاشرف ابو النصر قايتباي سلطان الاسلام والمسلمين ناشر الوية العدل في العالمين خادم حرمي الله ورسوله بلغه الله غاية سؤله ونهاية ماموله وادار بسعوده الافلاك الدائرة وجمع له بين خيري الدنيا والاخرة بانشاء هذه الوكالة المباركة السعيدة وما بباطنها وظاهرها واعلاها من المساكن العديدة وقفا شرعيا صحيحا وحبسا مرعيا صريحا مقصودا به العمل الصالح الذي لا انقطاع له ولا انبثاث كما اشار الحديث في عدم انقطاع الثلاث مصروفا ريعه في احسن القربات واولى انواع البر والمثوبات وهو اطعام الطعام لجيران النبي عليه الصلاة والسلام من الخبز والدشيشة والتوسعة في العيشة للقاطنين في ذلك الحرم الشريف والواردين الى ذلك المحل المنيف بحيث لا يصد عنه احد من الفقراء والمساكين والايتام والارامل والمنقطعين جاريا ذلك عليهم ابد الابدين ودهر الداهرين حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين تقبل الله ذلك منه قبول جميل واثابه عليه ثوابا جزيل بمحمد واله وصحبه وسلم .

(نعمه علي مرسي – جود السلطان قايتباي في بلاد الحجاز)

(قايتباي وحج بيت الله الحرام)

لم يحج من ملوك الشراكسة غير **السلطان قايتباي** وذلك لتمكنه في الملك وحسن تدبيره

وضبطه للممالك فحج سنة أربع وثمانين وثمانمائة فأقام الأمير يشبك الدوادار الكبير نائبا عنه بمصر وخرج بعد الحاج بثلاثة أيام وكان أمير الحاج الخارج بالمحمل الشريف خشقدم فخرج السلطان قاصدا للحج والزيارة

وركب السلطان هو وشيخ الإسلام إبراهيم بن ظهيرة وولده أبو السعود وأخوه أبو البركات وأمام السلطان إبراهيم بن الكركي الحنفي ودخلوا مكة عصرا من أعلاها وشيخ الإسلام هو الذي تقدم لتطويف السلطان وصار يلقنه الأدعية إلى أن دخل من باب السلام الأقصى فقبل الحجر وطاف والريس يدعو له من أعلى قبة زمزم والناس محيطون بالطواف يشاهدونه ويدعون له إلى أن تم طوافه وصلى خلف المقام ثم خرج إلى الصفا فلما فرغ من سعيه عاد إلى الزاهر ودخل مكة بهذه الصفة إلى أن وصل مدرسته فترجل له الناس وسلم عليهم إلى أن طلع عرفة وكانت الوقفة بالإثنين فأفاض مع الناس وأتم حجه وقرب أغناما كثيرة وكان يناسب أن ينحر شيئا من الإبل فما أشار عليه به أحد وركب مرة إلى درب اليمن يشاهد ما قدمه له الشريف محمد من الإبل والخيل وتشكر من فضل الشريف ثم سافر ظهر يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة بعد أن طاف للوداع والريس يدعو له على قبة زمزم ومشى القهقري إلى أن خرج من باب الحزورة وركب معه الشريف وأولاده والقاضي إبراهيم إلى الزاهر ثم ودعهم وودادعهم وسافر إلى مصر وعاد إلى مملكته ولم يختل شيء من ملكه مع غيبته عن تخت مصر نحو ثلاثة أشهر وذلك لإتقانه أمر الملك وتدبيره

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي)

ولم يقع ذلك لغيره من ملوك الجراكسة ولا القريب منهم، وكذا سفره إلى القدس والفرات في جمع قليل.

(عبد الباسط الملطي – نيل الامل)

(قايتباي ومماليكه)

ويقال إن عدة مماليكه بلغت خمسة آلاف فما فوقها، ولعل ذلك إن صح لم يقع لغيره من ملوك الجراكسة والترك، من يوم سلطنة برقوق وإلى الآن، هذا، مع ما هو فيه من الاجتهاد التام في أمرهم من تعليمهم أولا القرآن، والخط، والاستخراج، ثم تعليمهم أديانهم، ثم تعليمهم الأنداب والآداب والتعاليم، وسائر أنواع الفروسية بسائر فنونها، حتى إنه غالبا يحضر ملاعيبهم بنفسه وينظر في تعاليمهم، بل ربما علم البعض بنفسه في بعض الأحيان، وهذا من نوادره التي لم تقع لأحد من السلاطين أيضا قبله.

ومن غريب نوادره أيضا أحكامه لمماليكه، وضبطه إياهم، مع كثرة عددهم وعددهم، وشهامتهم الزائدة في فروسيتهم، وذلك في طول مدته هذه، وقرب مماليكه جدا، وأقطعهم الأقاطيع الهائلة، وقدم الكثير منهم، حتى صار غالب الملوك الأكابر بمصر، بل وبجميع المملكة , ولم يقع ذلك لغيره من ملوك مصر على هذه الوتيرة.

ومن نوادره حضوره غالبا تعليم مماليكه في الرمح والنشاب بظواهر القاهرة.

(عبد الباسط الملطي – نيل الامل)

الفصل الثاني والعشرين



الناصر محمد بن قايتباي

الناصر محمد بن قايتباي :

وهو أبو السعادات محمد ابن الملك الأشرف أبي النصر قايتباي بويع بالسلطنة قبل موت أبيه بيوم واحد وهو في سن البلوغ .

(ابن العماد – شذرات الذهب في أخبار من ذهب 35/10)

توجه ثلاثة من قضاة القضاة، وصاحب ديوان الإنشاء إلى الملك الأشرف، فوجدوه في حكم الأموات، والروح في صدره، فرجعوا إلى أمير المؤمنين، وأعلموه بذلك، فبايع الملك الناصر بالسلطنة، ولبس شعار الملك والسلطنة، وجلس على تخت الملك الشريف، وانقاد لأمره الخاص والعام، وهو يومئذ شاب في سن البلوغ، وكان يوما مشهودا، وكتب علامته على المراسيم الشريفة: محمد بن قايتباي.

واستقر الأمير قانصوه خمس مئة أتابك العساكر، والأمير تاني بك الجمالي على عادته أمير سلاح، ومشير المملكة، والأمير جان بلاط دوادار كبير.

(التاريخ المعتبر في أنباء من غبر 288/2)

فأقام ستة أشهر، ويومين ثم خلع.

(ابن العماد – شذرات الذهب في أخبار من ذهب 35/10)

ثم عاد بعد ثبوت رشده، فأقام سنة وستة أشهر ونصف شهر، ثم شرع في اللهو، واللعب، والشعبذة، ومخالطة الأوباش، وارتكاب الفواحش، وأمور لا يليق ذكرها.

(ابن العماد – شذرات الذهب في أخبار من ذهب 35/10)

وكان يغلب عليه الجنون والسفه وما كان له التفات إلى الملك ولا تدبير السلطنة بل غلب عليه اللهو واللعب والحركات المستبشعة يحكى عنه أمور قبيحة .

مر في موكبه بدكان حلواني ودار حوله أمراؤه فأقامه من دكانه وجلس كأنه يبيع الحلاوة وأخذ بيده الميزان فصار يزن لهم حتى جبرت الحلاوة وكان يقلي الجبن المقلي بنفسه يبيعه

للجند ويأمرهم بشرائه منه ويأخذ أكياس الذهب إلى طرف النيل فيرمي دينارا فيقول هذا قال بق ويرمي الآخر فيقول هذا ما قال بق ثم يحضر الأمراء الكبار ويأمر بذبحهم في الديوان فصار الشخص منهم إذا أضجع للذبح صوت صوت الغنم فيضحك ويطلقه .

وكانت له حركات من هذه الخرافات منها ما يضحك ومنها ما يبكي إلى أن سقط من أعين الناس والعسكر وسطوا عليه كما سطا بالحسام الأبتر وسلخوه من الملك كما سلخ الضعيفة بالخنجر ومزقوه كل ممزق ولعذاب الآخرة أكبر

وسبب قتله أنه من غروره خرج متخفيا منفردا من خدمه وعبيده متباعدا عن خوله وحشمه فتوجه يمشي وحده إلى بر الجزيرة فكمن له عشرة أنفس من مماليك أبيه في خيمة على ممره فلما وصل إليهم خرجوا له من الخيمة فأمسكوا بلجام فرسه وضربوه بالسيوف إلى أن قطعوه وجاءوا به مقتولا إلى القاهرة ودفنوه في تربة أبيه سنة ٩٠٤ أربع وتسعمائة وكانت مدة سلطنته ثلاث سنين .

(سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 60)

وكان السلطان قد تزوج من خوند مصرباي الجركسية .

الفصل الثالث والعشرين



الظاهر قانصوه خمسمائة

قانصوه خمسمائة :

معنى قانصوه = عُصارة الدمْ Kansu

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

قانصوه الاشرفى القايتبايي و أيضا يعرف بخمسمائة ترقى الى ان صار دوادارا ثم رأس العساكر لابن أستاذه الناصر محمد بن قايتباى ثم تولى الاتابكية ثم خالف عليه و خلعه من السلطنة و تسلطن هو مكانه فى يوم الاربعاء الثامن و العشرين من جمادى الاولى سنة اثنتين و تسعمائة فتحرك العسكر فهرب قانصوه خمسمائة الى غزة ثم فقد فى وقعة خان يونس ولم يعرف موته ولا حياته وكانت مدّة سلطنته ثلاثة أيام ثم جدّدت البيعة للملك الناصر محمد بن قايتباى .

وكان الاتابك **قانصوه خمسمائة** قد وثب على **الناصر محمد** واستدعى الخليفة والقضاة وأثبت عجز **الملك الناصر** عن السلطنة و القيام بالملك وخلعه فى يوم **الاربعاء الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة اثنتين وتسعمائة** وكانت مدّة ملكه فى هذه المرّة الاولى **ستة أشهر و يومين** وتسلطن الاشرف **قانصوه خمسمائة** بعد خلع **الناصر محمد بن قايتباى** ثم فقد **قانصوه خمسمائة** فى وقعة خان يونس وكانت مدّة سلطنته **ثلاثة أيام** .

ثم يوم السبت **مستهل جمادى الآخرة سنة اثنتين و تسعمائة** جدّدت البيعة للناصر **محمد بن قايتباى** وأعيد الى السلطنة المرة الثانية بعد ثبوت رشده ثم شرع فى المخالطة ومباشرة الاوباش وارتكاب الفواحش فقتل شر قتلة وكان ذلك فى يوم الاربعاء قبل غروب الشمس الخامس والعشرين من ربيع الاوّل سنة أربع وتسعمائة وكانت مدّة سلطنته فى المرة الثانية سنة و ستة أشهر و نصف و مجموع مدّة ولاية **الناصر محمد** فى المرّتين سنتان و ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما.

وكانت فاطمة ابنة سيف الدين جقمق تحت الأتابك أزبك من ططخ الظاهري، فولدت له ابنة التي تزوجها الظاهر قانصوه خمسمائة. فكان قانصوه خمسمائة صهر ابنة السلطان جقمق.

الفصل الرابع والعشرين



الظاهر قانصوه الاشرفي

1) ترجمة الملك الظاهر قانصوه الاشرفي :

معنى قانصوه = عُصارة الدمْ Kansu

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

قانصوه بن قانصوه الأشرفي الملقب بالملك الظاهر أبي سعيد وهو السابع عشر من ملوك الجراكسة بالديار المصرية وخال الملك الناصر.

(ابن اياس – بدائع الزهور)

جركسي الأصل، ولد ونشأ في بلاده, وأحضر إلى مصر، وهو شاب، فاشتراه الأمير **قانصوه الألفي** بمصر، وقدمه للسلطان الأشرف **قايتباي** سنة ٨٩٨ هـ فظهر أنه أخو سرية السلطان "**أصل باي**" وهي أم ولده "**الناصر محمد بن قايتباي**" فاستخدمه ورقاه. ثم ولي الناصر فجعله "**خازندارا كبيرا" وعرف بخال السلطان الناصر.**

وحدثت وقائع دافع فيها عن **الناصر** بشجاعة واستماتة، فجعله "**دوادارا كبيرا**" فعظم أمره.

ولما قتل **الناصر** اتفق الأمراء على توليته، فبويع بالقاهرة **سنة ٩٠٤ وتلقب بالملك الظاهر أبي سعيد**، فكان من أسعد المماليك حظا في سرعة تقدمه.

(الزركلي – الاعلام 187/5)

وكان فى مدة **السلطان قايتباى** من جملة الجمدارية، ولما تولى ابنه جعله خازندارا كبيرا ، وصار يدعى بخال السلطان ، فعظم أمره، وخلع عليه السلطان وظيفة دوادار كبير، ثم صار استادارا .

ولم يقم بمصر قبل توليته السلطنة إلا **ست سنين**، ولم يتفق ذلك **لجركسى** قبله، فعد ذلك من سعده، فلذلك كانت الأمراء تحسده، وتحقد عليه، مع حسن تدبيره للأمور.

ولما هلك **الناصر بن** **قايتباى** ، تولى السلطنة بعد أقامته أخته مقام ولدها، وعمره فوق العشرين .

ولم تطل مدته أكثر من سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما، وكان ملكا مسلوب الإرادة مع الأمراء .

فكانت الفتن غير منقطعة من القاهرة، وزاد على ذلك قيام العرب فى الصعيد والوجه البحرى، حتى حصل للأهالى الضرر الشامل، فتفرقت العساكر فى جهات مصر، وبددت شمل العرب، وأسروا منهم عددا وافرا , وعم مصر الرخاء في أيامه.

(الزركلي – الاعلام 187/5)

بذلت له أخته الأموال والخزائن وأرادت إقامته وإصلاحه ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر فما استكملته الإيالة وما أهلوه للسلطنة والولاية فخلعوه من **الملك أواخر سنه ٩٠٥ خمس وتسعمائة وكانت مدته سنة وسبعة أشهر.**

(سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 60)

خلع والناس عنه راضون .

(ابن اياس – بدائع الزهور 58/3)

وكان عاقلا حليما، قليل المساوئ، لم يتهيأ له ما تهيأ للمماليك المولودين بمصر أو المحضرين إليها وهم صغار، من تعلم العربية، فكان قليل الكلام بها.

(الزركلي – الاعلام 187/5)

وتزوج السلطان من خوند خان كلدي الجركسية وخوند مصرباي .

2) حوليات قانصوه الاشرفي :

وفي ربيع الآخر **جاءت الأخبار من حلب بأن آقبردي الدوادار قد حاصر حلب أشد المحاصرة وأحرق ما حولها من الضياع وأشرف على أخذ المدينة وقد التم عليه الجم**

الغفير من الناس والتركمان وحصل منه غاية الضرر، فلما تحقق السلطان ذلك عين تجريدة ثقيلة إلى آقبردي وكان باش العسكر تاني بك الجمالي أمير سلاح وبها من الأمراء المقدمين قاني باي أمير أخور كبير وسودون العجمي وبلباي المؤيدي وجماعة من الأمراء الطبلخانات والعشراوات وعدة وافرة من العسكر فأنفق عليهم واستحثهم على الخروج الى حلب بسرعة.

وفي جمادى الأولى خرجت التجريدة المعينة إلى آقبردي الدوادار وكان لخروجها يوم مشهود.

وفيه جاءت الأخبار من دمشق بأن قصروه الذي قرر نائب حلب لما دخل الشام وضع يده على مال كرتباي الأحمر جميعه وكان مبلغا ثقيلا نحوا من سبعة وستين ألف دينار، وكان هذا أول عصيان قصروه واستخفافه بالسلطان، فلما بلغ السلطان ذلك تنكد لهذا الخبر وعين مشد أحد الدوادارية بالتوجه إلى قصروه وأن يأمره برد ما أخذه من مال كرتباي الأحمر، فلما توجه إلى قصروه لم يلتفت إلى مراسيم السلطان ولا رد شيئا من المال الذي أخذه واعتذر بأشياء لم تقبل.

في حادي عشر شعبان وصل خايربك أخو قانصوه البرجي الذي توجه قاصدا إلى ابن عثمان ملك الروم وكان الملك الناصر أرسله إليه في المحرم من السنة الماضية، ولما وصل إليه أكرمه وأظهر الفرح بسلطنة الملك الناصر، فلما بلغه قتلة الملك الناصر شق عليه ووبخ خاير بك بالكلام.

وفي شعبان أيضا جاءت الأخبار بأن عسكر ابن عثمان زحفوا على بلاد السلطان وآل الأمر إلى أن ابن عثمان أرسل يقول لنائب حلب: اعزل ابن طرغل، فأجابه نائب حلب إلى ذلك وعزل ابن طرغل.

وفي رمضان اجتمع السلطان والأمراء في قاعة البحرة وضربوا مشورة في أمر آقبردي ، فوقع الاتفاق في ذلك اليوم على أن آقبردي يستقر في نيابة طرابلس.

وفي شوال جاءت الأخبار من حلب بأن آقبردي الدوادار دخل إلى حلب طائعا وقد تم الصلح بينه وبين الأمراء الذين توجهوا من مصر، وسبب ذلك أن العسكر الذين توجهوا إلى قتال آقبردي وجدوه بمرعش عند علي دولات، فلما طال الأمر على العسكر وكان الغلاء موجودا بحلب والعليق لم يوجد أرسل قصروه نائب حلب يسأل آقبردي في الصلح فتوجه إليه قاني باي الرماح أمير أخور كبير فمشى في أمر الصلح وكان السلطان والأمراء مائلين إلى ذلك، فلما وثق آقبردي بذلك حضر صحبة قاني باي الرماح ودخل إلى حلب طائعا مختارا فلاقاه قصروه نائب حلب وسائر الأمراء الذين كانوا هناك، وكان الأمير آقبردي متوعكا في جسده، فلما استقر بحلب كاتبوا بذلك السلطان فعين له خلعة حافلة وفرسا بسرج ذهب وكنبوش وكتب له تقليد نيابة طرابلس وماها في كل سنة ثم أخذوا في أسباب التوجه إليه.

وفي شوال ورد الخبر إن آقبردي لما دخل إلى حلب وأقام بها اعترته آكلة في فمه وقيل في وجهه رعت فيه حتى مات بحلب ودفن عند سيدي سعد الأنصاري، ثم نقلت جثته إلى القاهرة سنة خمس وتسعمائة ودفن بتربته التي أنشأها له في الصحراء.

وفي ذي الحجة انتقل قصروه من نيابة حلب إلى نيابة الشام عوضا عن جان بلاط نائب الشام بحكم انتقاله إلى الأتابكية بمصر، وانتقل دولات باي بن أركماس نائب طرابلس، إلى نيابة حلب عوضا عن قصروه.

وفيها : خرج قصروه نائب الشام عن الطاعة وأظهر العصيان واستولى على قلعة دمشق وأموالها وطرابلس وقلعتها، وكان السلطان حاول أن يولي قصروه الشام فاختفى

السلطان في الفتنة وخلفه في الملك الأشرف أبو النصر جان بلاط، فلما تسلطن السلطان أرسل إلى قصروه في الشام بالبشارة فلم يزدد إلا عصيانا. وفي هذه السنة ولي نيابة الشام قانصوه المحمدي فأتى إلى البقاع فهرب منه مقدمها ابن حنش، وجرت بينهما أمور. ثم وقعت الفتنة بين أهل دمشق ونائبها فأحرق حي الشاغور وجرت بينهم غوائل ثم وقع الصلح عن يد ابن الكسيح شيخ الإسلام بدمشق.

(ابن اياس – بدائع الزهور)

(عصيان اقبردي)

عين السلطان تجريدة بسبب **آقبردي الدوادار**، فإنه لما انكسر وخرج من مصر هاربا حاصر الشام وقصد أن يملكها فما قدر فنهب الضياع التي حول **دمشق** وخرب غالبها وفعل مثل ذلك بضياع حلب، فوقع الاتفاق من الأمراء على خروج تجريدة له فعينوا ذلك وأنفق السلطان على العسكر المعينين للتجريدة وبعث نفقة الأمراء الذين عينوا للخروج وهم قانصوه البرجي أمير مجلس **وقيت الرحبي** حاجب الحجاب **وقانصوه الغوري** أحد المقدمين وغيرهم.

وفيه جاءت الأخبار بأن آقبردي بعد أن حاصر الشام نحوا من شهرين لم يقدر عليها وحاربه الأمراء الذين بالشام ورموا عليه بالمدافع وفر إلى حلب، فلما توجه إلى حماة حاصرها وأخذ منها أموالا لها صورة، فلما وصل إلى حلب حاصرها نحوا من شهرين وكان **إينال السلحدار** يومئذ نائب حلب وكان من عصبة **آقبردي** فقصد أن يسلمه مدينة حلب فرجمه أهل المدينة وطردوه منها وحصنوا المدينة بالمدافع على الأسوار، فعند ذلك فر آقبردي ومن كان معه من الأمراء والعسكر وكذلك **إينال** نائب حلب صحبتهم، وفروا أجمعون وتوجهوا إلى **علي دولات** والتجؤوا إليه ، فلما بلغ الأمراء ذلك اضطربت أحوالهم فوقع الاتفاق على

أن يولوا **جان بلاط بن يشبك** الذي كان دوادارا كبيرا نيابة حلب عوضا عن **إينال** الذي كان بها بحكم فراره مع آقبردي .

وفي ربيع الآخر كان خروج الأمراء الذين عينوا للتجريدة فكان لهم يوم مشهود حتى ارتجت لهم القاهرة وقد تقدمهم كرتباي الأحمر الذي تقرر في نيابة الشام **وجان بلاط** بن يشبك الذي تقرر في نيابة حلب.

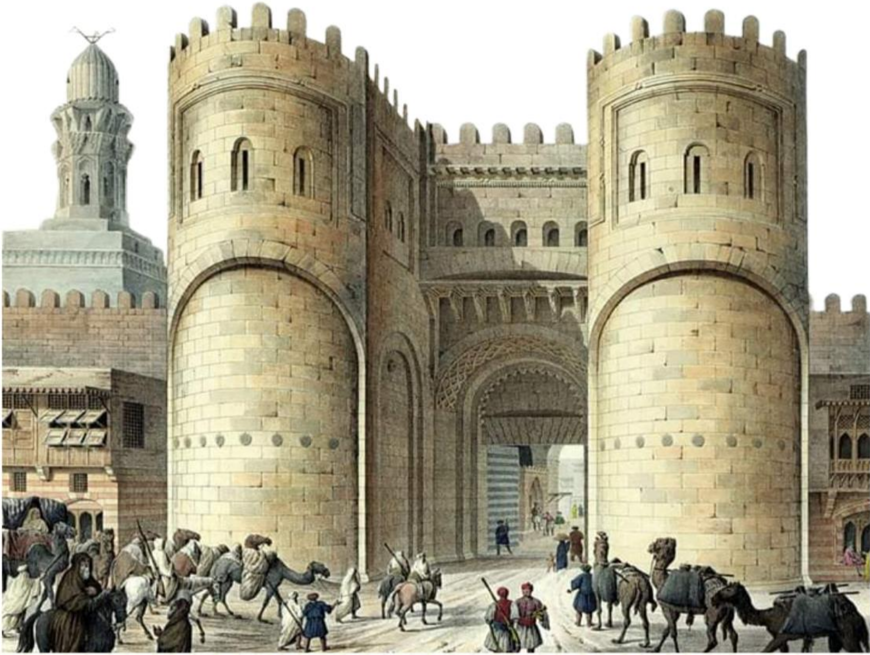
وفيه جاءت الأخبار بأن العسكر الذين توجهوا إلى مواجهة آقبردي قد تبعوه إلى عين تاب وتقاتلوا معه هناك ووقع بينهم واقعة عظيمة فانكسر آقبردي كسرة مهولة وقتل لعلي دولات معه ولدان وقتل من الخاصكية والمماليك الذين كانوا معه جماعة كثيرة وقد حاربه كرتباي الأحمر نائب الشام أشد المحاربة إلى أن انكسر وهرب على جبل الصوف وتوجه منه إلى نحو الفرات بمن معه من الأمراء والمماليك.

وفي شوال وصل **سودون** الدواداري أحد الأمراء العشراوات وصحبته عدة رؤوس ممن قتل في المعركة التي وقعت بين آقبردي والعسكر الذين خرجوا من مصر فكان عدة تلك الرؤوس إحدى وثلاثين رأسا وكان فيها رأس إينال السلحدار نائب حلب الذي فر مع آقبردي ورأس ابن علي دولات الذي قتل في المعركة.

وفي ذي القعدة جاءت الأخبار من حلب بأن آقبردي الدوادار لما بلغه أن التجريدة عادت إلى مصر عاد إلى عين تاب وصار ينهب البلاد ويقطع الطريق على التجار، فلما بلغ الأمر ذلك أعياهم أمره.

(الطباخ – اعلام النبلاء)

الفصل الخامس والعشرين



الاشرف جان بلاط

الملك الأشرف أبي النصر جان بلاط :

ومعنى جان بلاط الفولاذ القوى Can pulat

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

جان بلاط الأشرفي قايتباي، أصله لدولات باي فقدمه حين كان نائبا بملطية للدوادار يشبك فقدمه مع غيره للاشرف قايتباي .

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)

فقربه إليه وعلمه القرآن، والحساب، والرمي، وصار رئيسا، محتشما، ثم رقاه حتى أعطاه تقدمة ألف، ثم ولي الدوادارية الكبرى , وصيره الشاد في أوقافه والناظر على خانقاه سرياقوس مع دوادارية المناشير لطرابلس وغيرها من الجهات رغبة في تنميته ومحبة لرفعته ثم أمره عشرة عوضا عن شاذبك حين استقر في نيابة القلعة وأمره على المحمل في سنة ثلاث وتسعين فلما عاد أعطاه إمرة أربعين وألبسه إمرة الحج ثانيا فلم تتم بل سافر مع المجردين الذين باشهم **قانصوه الشامي** إلى حلب فدام بها ثم عينه رسولا إلى ابن عثمان وذلك في رمضان سنة ست وتسعين وعين معه البدر بن جمعة مع الانعام عليه، وفي غيبته أعطاه تجارة المماليك ولما عاد واستقر أمر ابن عثمان على الصلح أعطاه تقدمة ثم استبدل له بيت الزيني عبد الباسط تجاه مدرسته ورقاه جدا وكان قد تزوج ابنة المؤيد بن الاشرف اينال وماتت تحته **وزوج ابنة الزيني** كاتب السر وذكر بعقل.

(السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)

وجعله الناصر **محمد بن قايتباى داويدارا كبيرا سنة ٩٠١ هـ** ، ثم عزله، وأرسله بعد ذلك نائبا فى حلب، ونقل إلى الشام .

وفي أيام ولايته بدمشق ذهبت في خدمة شيخنا المحدث الجمال ابن المبرد إليه، فقال له: **عني هذا ولدك فقال: لا هذا طالب علم** , فأنشد :

يا طالب العلم لا تركن إلى الكسل ... واعجل فقد خلق الإنسان من عجل

واستعمل الصبر في كسب العلوم ... وقل: أعوذ بالله من علم بلا عمل

(ابن طولون – مفاكهة الخلان)

ثم قدم القاهرة في زمن الظاهر قانصوه ، فولاه الأمرة الكبرى، وزوجه بأخته .

(الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة 173)

وصار **العادل طومان باي**، يرمي الفتنة بينه وبين الظاهر قانصوه إلى أن تنافرا، وقدر **جان بلاط** على الظاهر، فخرج من قلعة مصر وتركها له.

(سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 60)

وفي الثاني من ذي الحجة خلع السلطان قانصوه بن قانصوه وولي السلطنة الملك الأشرف أبي النصر جان بلاط بن يشبك الأشرفي.

(ابن اياس – بدائع الزهور)

ولم يتهن بالسلطنة ولا وافقه أحد عليها .

(سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 60)

وكانت الفتن كل يوم فى ازدياد وقد أكثر المصادرات للأمراء والمباشرين واليهود والنصارى، للصرف على العساكر، فكثر الاضطراب والقال والقيل.

وفى أثناء ذلك وصلت الأخبار من الشام بأن جميع نوابها شقوا عصا الطاعة، ورفعوا لواء العصيان، فجهز السلطان جيشا، ووجهه تحت قيادة الأمير طومان باى

وأخذوا فى أهبة السفر إلى مصر، فلما بلغ السلطان جانبلاط ذلك، حصن القلعة، وجمع فيها الذخائر , فلما وصلوا حاصروا القلعة، وحصل قتال شديد فى الرميلة، وجهة باب الوزير والصليبة، واتخذ جامع **السلطان حسن** معقلا، وكذا **جامع شيخون**، وحفرت الخنادق فى **الصليبة، وحدرة البقر** , فقتل كثير من الفريقين، وخربت بيوت، ثم أخذت

العساكر تنضم إلى **العادل**.

(علي باشا مبارك –الخطط التوفيقية 130)

فطلع إليه طومان باي وأمسكه وأرسله إلى الإسكندرية ثم قتله خنقا، ودفن بها مدة شهر، ثم نقل إلى القاهرة ودفن بتربة أستاذه قايتباي نحو ثلاث أيام، ثم نقل إلى تربته التي أعدها لنفسه **خارج باب النصر** ، **ولم تتغير جثته رحمه الله تعالى** .

(كتاب الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة 173)

كانت مدة سلطنة **الأشرف جانبلاط** ستة أشهر وثمانية عشر يومًا، وكانت هذه المدة في غاية الضنك مع طومان باي، وآخر الأمر وثب عليه وخلعه من السلطنة..

وكان الأشرف جانبلاط قطيع القلب، قليل الحظّ، عسوفًا ظالمًا، حصل منه في مدة سلطنته للناس غاية الضرر من المصادرات وأخذ الأموال، ولو أقام في السلطنة حصل للناس منه غاية المشقة من الظلم والأذى، فعجّل الله به .

(ابن إياس – بدائع الزهور في وقائع الدهور)

الفصل السادس والعشرين



العادل طومان باي

الملك العادل طومان باي :

ومعنى طومان باي =أمير فرقة عسكرية Tümen bay

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

جركسي الأصل اشتراه **قانصوه اليحياوي** ، نائب الشام، وقدمه مع جملة من المماليك إلى الأشرف **قايتباي** ، فاستخدمه، فترقى إلى أن كان مدير مملكة الأشرف **جان بلاط** .

(الأعلام – للزركلي 233/3)

اجتمع السلطان (**جان بلاط**) بالأمراء وتشاوروا في أمر **قاصروه نائب الشام** فأشاروا عليه بأن يرسل قاصدا، وكان قصروه قد استولى على **غزة** وأعمالها **والقدس** وغير ذلك من النواحي، فعزم السلطان على إرسال تجريدة **لنائب الشام**، وكان **دولات باي** نائب حلب معه في شق عصا الطاعة .

وكان العسكر المصري نزل **بسعسع** بالقرب من **دمشق** فركب قصروه نائب **الشام** في نفر قليل من عسكره وأظهر أنه طائع فاطمأن له العساكر، وكان غالب الأمراء من ندمائه، ولما حضر إليهم دخل معهم إلى دمشق واجتمعوا في القصر الأبلق، ثم ثارت فتنة بالقلعة، وأمر قصروه **وطومان باي** بالقبض على جماعة من الأمراء وسجنهم.

وحضر إلى دمشق **دولات باي بن أركماس** نائب حلب الشهير بأخي **العادل** وتعصب **لطومان باي** وتكلم في سلطنته فأحضر قضاة الشام وكتب صورة محضر في خلع الأشرف **جان بلاط** من السلطنة وبايعوا طومان باي من غير خليفة وتلقب بالملك **العادل أبي النصر** وأحضر له شعار الملك فأفيض عليه.

(كرد علي – خطط الشام 201/2)

وكان **دولات باي** قد حضر إلى **الشام** لما عصى بها نائبها **قصروه** وحضر لأجله من مصر طومان باي، ولما انتصر على قصروه ادعى السلطنة لنفسه وبويع **بالشام** وساعده

على ذلك **دولات** باي نائب حلب، ولما تم أمره في السلطنة عين نيابة الشام **لدولات باي** نائب حلب وعين نيابة حلب إلى **قرقماس** من ولي الدين، ثم توجه السلطان طومان باي بمن معه من الأمراء إلى مصر وحاصر **السلطان** جان بلاط إلى أن أسره وأرسله إلى الإسكندرية وبويع ثانيا واستقل في السلطنة، ولما تم له ذلك خلع على جماعة من الأمراء من جملتهم **دولات باي** وقرره في نيابة الشام وقرر **قرقماس** في نيابة حلب.

(الطباخ – إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 959/3)

وتلقب بالملك **العادل** وعاد إلى مصر فحاصر **جانبلاط** بالقلعة وقبض عليه، وسجنه بالإسكندرية، ثم أمر بخنقه.

وجددت له البيعة بحضور **الخليفة يعقوب المستمسك بالله**.

(الأعلام – للزركلي 233/3)

بويع له بالسلطنة فى الشام، وجلس على السرير بعد ظهر يوم السبت ثامن عشر شهر جمادى الآخرة سنة خمس وتسعمائة .

(كتاب الخطط التوفيقية 106)

في **جمادى الآخرة من هذه السنة** خلع السلطان **أبو النصر جان بلاط** وتولى السلطنة **طومان باي** ولقب بالملك **العادل** وهو التاسع عشر من ملوك الجراكسة.

(ابن إياس – بدائع الزهور)

قال القرماني: لما تمكن الملك **العادل طومان باي** من الملك بعد نصف شهر قتل الأمير **قصروه** واستخف بالأمراء المقدمين فحقدوا عليه فاتفق قتل **الرماح أمير سلاح والأشرف الغوري الدوادار الكبير** وغيرهما .

(الطباخ – إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 959/3)

وساءت سيرته بعد توليه السلطنة، فقتل بعض أنصاره، خنقا، وأراد **قتل جلال الدين**

السيوطي، فاختفى ونجا.

(الأعلام – للزركلي 233/3)

وبنى بها مدرسته العادلية، **وتربته التى خارج باب النصر**، وكانت من أجمل المبانى، ولم يبق منها إلا القبة التى على يسار الذاهب إلى العباسية، وتعرف الآن **بقبة الفداوية**.

وكان آخذا حذره من الأمراء، وهم آخذون حذرهم منه، لما كان بينهم من البواطن، فلما كان يوم العيد، أراد القبض على بعضهم، فاستشعروا بذلك، فحزبوا الأحزاب، وقاموا عليه قومة واحدة، ومعهم الأمراء، الذين كانوا مختفين من مدة جانبلاط، فلم يجد بدا من الفرار .

(الخطط التوفيقية 130)

فركبوا عليه في سابع عشر رمضان فنزل في آخر نهاره من القلعة هاربا واختفى، فتبعه العسكر إلى أن ظفروا به فقتلوه وقطعوا رأسه ودفنوه في تربته التي أعدها لنفسه أيام إمرته في أطراف الصحراء .

(الطباخ – إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 959/3)

وكانت مدته من حين تغلبه بالشام أربعة أشهر، وخمسة عشر يوما، ومن حين بويع بقلعة الجبل ثلاثة أشهر وثلاثة وعشرون يوما، وبنى مدرسة العادلية، وتربته خارج باب النصر، ثم هجم عليه العسكر وقتلوه.

(ابن العماد– شذرات الذهب في أخبار من ذهب 40/10)

كان مهيبا وافر العقل، إلا أنه سفاك للدماء ظالم واستمر مختفيا مدة، ثم ظهر وقبض عليه وقطع رأسه ، في أوائل سلطنة قانصوه الغوري .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

«**قطّعوه قطعًا قطعًا**» كما يقول **ابن الحمصي** في تاريخه ولم يكتفوا بهذا، بل قطعوا رأسه،

وطافوا بها في شوارع القاهرة حيث نادى المنادي:

«هذا جزاءُ من يقتل ابن أستاذه، يعني الملك الناصر محم د بن قايتباي، ويحلف الأيْمان الكاذبة، ويقتل الملوك»

(محمد شعبان ايوب – طومان باي)

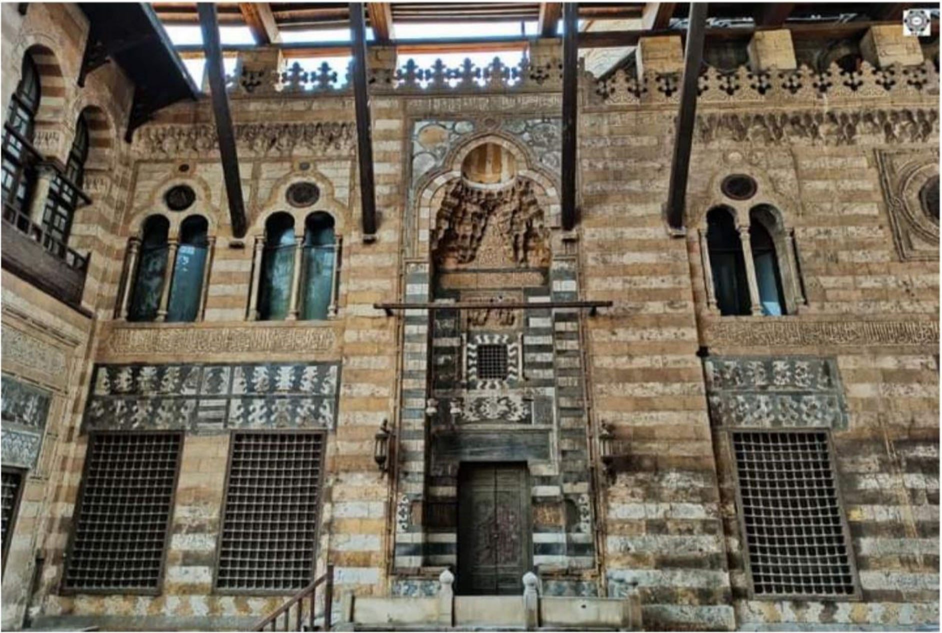
«فكانت مُدّة العادل طومان باي في السلطنة بالديار المصرية مائة يوم، وكان ملكًا جليلًا، مُهابًا مبجّلًا، تولّى الملك وقد جاوز الأربعين سنة من العمر. غير أنّه كان سفّاكًا للدماء، عسوفًا ظالمًا

(ابن إياس – بدائع الزهور في وقائع الدهور)

هجم عليه العسكر وقتلوه فما أقدم أحد على السلطنة وكانت الأمراء متوفرة وبعضهم يشير إلى بعض في الجلوس على تخت الملك فاتفقوا على تولية قانصوه الغوري لأنهم رأوه سهل الإزالة أي وقت أرادوا إزالته أزالوه لأنه كان أقلهم مالا وأضعفهم حالا وأوهنهم قوة وأشاروا أن يتقدم فأبى فألزموه بذلك فقال أقبل ذلك بشرط أن لا تقتلوني فإذا أردتم خلعي من السلطنة فأخبروني بما تريدون وأنا أوافقكم على ذلك وأترك لكم الملك وأمضي حيث أريد فعاهدوه على ذلك فقبل .

(سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 60)

الفصل السابع والعشرين



قانصوه الغوري

1) ترجمة الأشرف قانصوه الغوري :

معنى قانصوه = عُصارة الدمْ Kansu

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

قانصوه بن عبد الله الجركسي الظاهرى، الأشرفى، الملك الأشرف، أبو النصر، سيف الدين، الغوري .

صاحب تخت مصر المشهور بالغوري نسبة إلى طبقة الغَور ، أحد الطبقات التي كانت بمصر لتعليم المؤدبين مماليك السلطان أيَّ سلطانٍ كان (القرآن الكريم) .

(راغب الطباخ – اعلام النبلاء 366/5)

جركسي من مماليك **السلطان قايتباي**، أعتقه وولاّه بعض الأعمال في حاشيته حتى جُعل كاشفاً للوجه القبلي ثم جُعل أمير عشرة ، ثم وُلي بعض الولايات في الشام وما يتصل بها من بلاد العواصم .

وكان قد صار نائب **طرسوس**، فانتزعها منه جماعة السلطان **أبي يزيد بن عثمان**، فهرب منها، وعاد إلى حلب، فلما انتصر عسكر مصر على الأروام عاد إلى **طرسوس** مرة ثانية، ثم أخذها الأروام مع ما والاها، فهرب منها أيضا إلى حلب، ثم نصر عسكر مصر ثانيا، فعاد إليها مرة ثالثة، ثم أعطي نيابة مطلبه .

(ابن طولون – مفاكهة الخلان)

فلما مات الملك **الأشرف قايتباي** رجع إلى مصر، ووقعت له أمور في دولة **الملك الناصر ابن قايتباي**، ثم أعطاه تقدمة ألف، ثم في دولة جان بلاط أعطاه **رأس نوبة النوب**، ثم توجه صاحب الترجمة صحبة العسكر المصري إلى الشام بسبب عصيان **قصروه** نائبها، فخامر أمير العسكر **طومان باي**، واتفق مع قصروه على أن يكون سلطانا، وأمسكوا جماعة من الأمراء، وجعل من الأمراء، وجعل صاحب الترجمة **دوادارا كبيرا**، ثم توجهوا

إلى الديار المصرية، وحاصروا **الأشرف جان بلاط**، ثم أمسكوه، وتولى السلطنة **طومان باي** واستمر صاحب الترجمة **دوادارا** إلى أن وقع بينه وبين **طومان باي**، فاتفق مع العسكر على أن يركبوا عليه، واختفى هو في حيلة، فهرب السلطان **طومان باي ليلة الجمعة مستهل شوال سنة ست وتسعمائة** .

فلما اختفى السلطان **طومان باي** هرباً من المماليك، اجتمع رؤساء الدولة ليختاروا سلطاناً ينتهي بولايته هذا الاضطراب, فتولى السلطنة بعده صاحب الترجمة في **يوم عيد الفطر**،

(نجم الدين الغزي – الكواكب السائرة 296/1)

تولى السلطنة بإجماع الخليفة المستمسك والقضاة الأربعة والأمراء أصحاب الحل والعقد، فبويع بالسلطنة يوم **الاثنين مستهل شوال سنة ست و تسعمائة**، و لبس شعار الملك و جلس على التخت .

ولما أراد المماليك أن يولوه السلطنة شرط عليهم ألّا يقتلوه إذا أرادوا غيره بل يعلموه بإرادتهم فيخلع نفسه متى شاؤوا.

(كامل الغزي – نهر الذهب فى تاريخ حلب 192/3)

فأبى الله تعالى إلا أن يثبت في السلطنة فأخذ يتبع القرانصة وذوي الشوكة والقوة من أمراء الجراكسة فيقتلهم شيئاً فشيئاً .

(راغب الطباخ – اعلام النبلاء 366/5)

وكانت صفته أنه طويل القامة، غليظ الجسد ذو كرش كبير، أبيض اللون، مدور الوجه، مشحم العينين، جهوري الصوت، مستدير اللحية، ولم يظهر بلحيته الشيب إلا قليلاً، وكان ملكاً مهيباً جليلاً مبجلاً في المواكب، تملأ العيون منه في المنظر، ولولا ظلمه وكثرة مصادراته للرعية لكان خيار ملوك الجراكسة، بل خيار ملوك مصر قاطبة , كان يميل إلى الأبهة في ملابسه ومواكبه، كما كان ميّالاً للتنعم، مولعاً بالفنون الجميلة .

كان يلبس في أصابعه الخواتم الياقوت الأحمر والفيروز والزمرد والماس وعين الهر وكان مولعاً بشم الرائحة الطيبة من المسك والعود والبخور، وكان ترِفاً في مأكلهِ ومشربه وملبسه، ويحب رؤية الأزهار والفواكه

وكان مولعاً بغرس الأشجار، وحب الرياضيات، وسماع الأطيار المغرِّدة، ونشق الأزاهير العطرة والبخور .

وكان يستعمل الطاسات الذهب يشرب فيها الماء، وكان يستعمل الأشياء المفرِّحة، وكان نهماً في الأكل، وكان يغوي طيور المسموع .

(ابن إياس بدائع الزهور 3/ 432)

كان رضيّ الخلق يملك نفسه عند الغضب، وليس له بادرة حدة عند قوة خلقه , له اعتقاد زايد في الصالحين والفقراء , يعرف مقادير الناس على قدر طبقاتهم , ماسك اللسان عن السب للناس في كثرة غضبه و كان يفهم الشعر ويحب سماع الآلات والغناء، وله نظم على اللغة التركية وكان مغرماً بقراءة التواريخ والسّير ودواوين الأشعار وكان قريباً من الناس يحب المزاح والمجون في مجلسه ، غير كثيف من حيث النظر إلى ذاته، وكان عنده لين جانب ورياضة بخلاف طبع الأتراك، ولم يكن عنده شمم ولا تكبر نفس ولا رقاعة زائدة بخلاف عادة الملوك في أفعالها .

(ابن إياس بدائع الزهور 3/ 435)

مغرماً بالعمارة فازدهرت في عصره، واقتدى به أمراء دولته في إنشاء العمائر وقد خلف ثروة فنية جُلها بمصر وحلب والأقطار الحجازية اهتم بتحصين مصر، فأنشأ قلعة العقبة وأصلح قلعة الجبل، وأبراج الاسكندرية، وجدد خان الخليلي فأنشأه من جديد، وأصلح قبة الإمام الشافعي، ومسجد الإمام الليث، وأنشأ منارة للجامع الأزهر , له مجموعة أثرية هامة مكونة من وكالة وحمام ومنزل ومقعد وسبيل وكتّاب ومدرسة وقبة ومسجد .

(تميم مأمون – الملك السلطان الغوري)

بنى فى سلطنته سور جدة و داير الحجر الشريف، و بعض أروقة المسجد الحرام، وباب إبراهيم وجعل علوه قصر الشاه، و تحته ميضأة و بركة وادى بدر، وعدة خانات و آبار فى طريق الحاج المصرى؛ منها: خان فى عقبة أيلة والأزلم، و مدرسته أنشأها علو سقف الجملون بالقاهرة، و أنشأ مجرى الماء من مصر العتيقة إلى قلعة الجبل.

(نجم الدين الغزي – الكواكب السائرة 296/1)

أنشأ الجامع والقبة والمكتب والسبيل التي في الغورية، وجامعاً عند القلعة، وبنى خان الخليلي، وخاناً وأحواضاً في طريق الحاج عند العقبة، ورباطاً ومارستاناً في مكة، وقصراً عند المقياس في الروضة، وأنشأ الميدان عند القلعة، وأحواضاً وأبنية فيه وعمّر قاعة البَيْسَرِيَّةْ والعواميد والدُهَشية في القلعة وقناطر وأبنية أخرى.

ويصف الشريفي الذي ترجم الشاهنامة إلى اللغة التركية بأمر الغوري – مدرسة الغوري قائلا :

" يُقرأ فيها العلم الإلهي، ويُتلى القرآن والأوراد في الأسحار ولها شيخان وثمانون صوفياً يقرؤون مرتين كل يوم، وبها مائتان من أصحاب الوظائف منهم من يعطي الخبز كل يوم ومنهم من يعطي وظيفة مشاهرة "

وبجانب الخانقاه سبيل كأن ماءه سلسبيل، يشرب الناس منه ليل نهار وفيه خُدام لا يغيبون نهاراً ولا ليلاً؛ فإذا غاب أحد السقاة أناب غيره وبنى فوق السبيل مكتباً يقرأ فيه الأيتام إلى العصر، وفيه مؤدب يعلمهم ويربيهم .

كان ذا حظ من العلوم الدينية: التوحيد والفقه والتفسير، ومشاركاً في علوم العربية: النحو والبلاغة وغيرها، وأنه كان مولعاً بقراءة التاريخ والسّير والقصص، وأنه كان ذا ملكة يتفهم بها الأدب وتُزيّن له أن يشارك في النظم أحياناً، وأنه كان مولعاً بالموسيقى والغناء،

وكان له نَظم وألحان يُتغنى بها، وأنه كان يَعرف لغات عدة وعناية السلطان بالعلم والأدب ومشاركته فيهما، وولعه بمطالعة الكتب .

يقول الشريفي في خاتمة الشاهنامة:

ما تُذكر كلمة من العلم والمعرفة إلا أنتَ محيط بها وقد أوتي قلبكَ حظاً من كل معرفة، كأن ضميرك اللوح المحفوظ .

لك يدٌ في كل فن، ولك مشاركة في كل موضوعٍ، وكم مشكل لا تناله الأيدي حللته بإدراككَ، الإنشاء والشعر والغزل والعلم والبحث والجدل، كل هذه نراها فيك بحراً زاخراً لقد تحيّر الخلقُ فيكَ .

ما كان من فن فهو خبير به، قد هداه الله في كل أمر طريقاً يجيد فنَّ الشعر والمعمّى، وله غَزَلٌ مرغوبٌ كالدّرِ وقد قال في توحيد الباري ومدح النبي ما بلغ به الغاية .

كان للسلطان مجالس تجمع العلماء والكبراء، وتُطرح فيها للبحث مسائل شتى وقد سُجلت كثيراً من مسائل هذه المجالس في كتابين يصوّران تصويراً حسناً كثيراً من أحوال مصر في عهد **السلطان الغوري** .

ما أجمل مجلسك أيها السلطان، إنه يشبه الجنة، كل شيء مهيَّأ في هذا المجلس، إنه في الحقيقة منبع العلوم، ومجمع الأفاضل بلا ريب مجلس تُيسّر فيه المشاكل أي مجلس هذا؟ إنه حديقة وبستان تقال فيها العبارات بكل اللغات، وتسير على قانونه الرموز والإشارات .

وكان **الغوري** يدبّر ملكاً واسعاً هو مُلك مصر والأقطار التي تتبعها.

يدبّر الملكَ في مصرَ إلى عدنٍ إلى العراقِ، فأرض الرومِ فالنُّوبِ

كانت مصر والشام وبلاد العرب، وبعض الجزر الفراتية، وبلاد العواصم، (القسم الجنوبي من

آسيا الصغرى)، في سلطان ملوك مصر ، وكان بنو رمضان الذين تسلّطوا في أدنة وطرسوس وما يليهما يولّون من قِبَل سلاطين مصر.

فقد كان **للغوري** ولسلاطين المماليك من قبله، الزعامة بين ملوك المسلمين، لتوليهم خدمة الحرمين الشريفين، ولمكان الخلافة العباسية في مصر ومن يتتبع الرسائل التي كانت بين ملوك مصر وغيرهم من الملوك المسلمين، ويتعرّف أحوال الأقطار الإسلامية في تلك العصور يعرف أن ملوك مصر لم يكونوا يتنازعون في هذه الزعامة.

وبلغت الأساطيل المصرية سواحل الهند، وبنت عليها قلاعاً لحماية التجارة وقد اجتهد الغوري زمناً في الاحتفاظ بسلطان المصريين في تلك الأرجاء على رغم البرتغاليين وكان بعض أمراء الهند يستنجده على الفرنج فيرسل الأساطيل والجند في الحين بعد الحين .

(عبد الوهاب عزام – مجالس السلطان الغوري)

فطمع **الغازي سليم ابن عثمان** في ملكه كما طمع ابائه من قبل فرماه بأنه على مودة في الباطن مع **شاه إسماعيل الصوفي** صاحب **تبريز** .

فالتقى هو وابن عثمان عند مرج دابق في بلاد الشام .

فدفع عليهم العسكر الرومي بالعرادات، ورموا بها عليهم، فأظلم الأفق، وصار له دوي، وجفلت الخيل فقاتلوهم ساعة، ثم هرب الغلمان وبعض العسكر، وقتل جماعة من أمراء الجراكسة، ثم غشي على **الغوري**، وكان بطينا سمينا، فطاح عن فرسه، ثم طاح عنها ثانيا، فأقعدوه **وقالوا له: أثبت لنا فقال لهم: ما بقي شيء** وأسكت من وقته، ثم زحف عليهم عسكر الروم، فتفرق عنه عسكره وتركوه ملقى على الأرض، فمات ولم يعلم به أحد .

قتل يوم الأحد بين صلاتى الظهر و العصر خامس عشر رجب سنة اثنين و عشرين و تسعمائة في مرج دابق ضد العثمانيين .

(نجم الدين الغزي – الكواكب السائرة 298/1)

وكانت عظمة سلطنة الغوري لا مثيل لها حتى أن سلاطين بني عثمان بنوا عزهم وحضارتهم على أكتاف وسواعد أهل مصر والشام وحلب .

2) حوليات الملك الاشرف :

(سنة ست وتسعمائة)

- وثب العسكر على العادل طومان باي في سلخ شهر رمضان سنة ست وتسعمائة واختفى في ليلة عيد الفطر بعد العشاء فلما أصبح ذلك اليوم وأشيع هروب العادل، ركب الأمير قيت الرجبي أمير سلاح، وقانصوه الغَوْري أمير دودار كبير ثم ظهر خوشكلوي البيسقي، وكان مختفياً من العادل لما أراد القبض عليه، فلما تكاملوا اجتمعوا ببيت قانصوه خمسمائة الذي بقناطر السباع، فحضر إليهم الأتابكي تاني بك الجمالي، وكان مختفياً من حين كسر الأشرف جنبلاط وتسلطُن العادل طومان باي فلما حضر وقع الاتفاق على سلطنته أولاً، فركب من هناك وعلى رأسه الصنجق السلطاني وقد ترشح أمره إلى السلطنة، فلما طلع إلى باب السلسلة ليلي السلطنة أشيع في ذلك اليوم أن الأشرف قانصوه خمسمائة باقٍ على قيد الحياة فأشهروا النداء في القاهرة بأن قانصوه خمسمائة إن كان موجوداً فليظهر وله الأمان وإذا لم يظهر بعد ستة أيام فلا أمان له .
- فلما طال المجلس انفضّ العسكر من الرملة، ونزل غالب الأمراء الذين كانوا قد اجتمعوا في الحراقة بباب السلسلة، وكان يوم عيد الفطر، فاختار كل واحد منهم العودة إلى داره حتى يقع اختيار الأمراء على من يولوه السلطنة، فأعرض غالب العسكر عن الأتابكي تاني بك الجمالي كونه أرشل معكوس الحركات في أفعاله وطاش لما ذكر للسلطنة ثم آل أمره بعد ذلك إلى كل سوء فلم تُقَم له السلطنة،

وكانت من نصيب قانصوه الغَوْري , فلما رأوا المجلس مانع تعصب الأمير قيت الرجبي أمير سلاح، والأمير مصرباي، إلى قانصوه الغَوري، وقالوا ما نسلطن إلا هذا فسحبوه وأجلسوه وهو يمتنع من ذلك ويبكي .

• فحضر الخليفة المستمسك بالله يعقوب وقاضي القضاة عبد الغني بن تقي المالكي، والشهاب الشيشيني الحنبلي، وتأخر قاضي القضاة الشافعي زين الدين زكريا، وبرهان الدين الكركي الحنفي، حتى يقع رأي الأمراء فيمن يولوه السلطنة، فكتب القاضي الحنبلي صورة محضر في خلع العادل من السلطنة، وشهّد فيه جماعة كثيرة من الناس بأنه سفّاك للدماء ثم حضر القاضي الشافعي والقاضي الحنفي وعقدت البيعة لقانصوه الغوري وبايعه الخليفة وكانت سلطنته في يوم الاثنين مستهل شوال سنة ست وتسعمائة .

• ثم أحضر إليه شعار السلطنة، وهي الجبة والعمامة السوداء فأفيض عليه ذلك كل هذا وهو يمتنع ويبكي، فلقبوه الملك الأشرف، وسما في علوّه وأشرف، وكنوه بأبي النصر قانصوه الغَوري، وبه صارت مصر مشرقة وقيل:

ألا إنّما الأقسام تحرم ساهراً   وآخر يأتي رزقه وهو نائمُ

• نودي باسمه في القاهرة، وارتفعت الأصوات له بالأدعية الفاخرة، وزال ما كان من الشكوك والظنون، وقرَّت من الناس بسلطته العيون، فكانت سلطنته على غير القياس، وأشيع بأن بنيانه على غير أساس، فصار منه بعد ذلك الهزل جد، ومكث في السلطنة مكثاً جاوز الحد، فزال عنه الضرر والبأس، وامتلأت منه أعين الناس، فتولى الملك وله من العمر نحو من ستين سنة ولم يظهر بلحيته الشيب حتى عدّ ذلك من جمله سعده

(سنة تسعة وتسعمائة)

• في ربيع الآخر : خُطب في جامع السلطان الذي أنشأه في الشرابشيين وقد تم بناؤه وجاء في غاية الحسن والتزخرف وصنع به مأذنة لها أربعة رؤوس . وهو أول من اتخذ ذلك . فكان أول من خطب بهذا الجامع قاضي قضاة دمشق الشهاب أحمد بن فرفور الدمشقي الشافعي.

• فلبس السواد وخطب، وكان المرقّى قدّامه القاضي عبد القادر القصروي وحضر في ذلك اليوم الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة ، وحضر غالب الأمراء ، والجم الغفير من أعيان الناس وزُينت الشرابشيين في ذلك، وكان يوماً مشهوداً وأخلع السلطان في ذلك اليوم على قاضي القضاة عبد البرّ ابن الشحنة، كونه حكم بصحة الخطبة في هذا الجامع وأخلع على إينال شادّ العمارة خلعة حافلة، وأنعم عليه بإمرة عشرة، وأخلع في ذلك اليوم على عدّة من المهندسين والبنّائين والمرخّمين والنّجارين وغير ذلك من أرباب الصنائع ممن كان بالجامع وأنعم على الفعلاء لكل واحد بألف درهم .

• ثم في الجمعة الثانية رسم السلطان لقاضي القضاة عبد البرّ بن الشحنة بأن يخطب في هذا الجامع، فخطب تلك الجمعة خطبة بليغة .

(سنة عشرة وتسعمائة)

• ربيع الآخر وفيه أخلَعَ السلطان على شخص يقال له طراباي وكان طراباي هذا وليّ الأتابكية في حلب، ثم حضر إلى مصر وسعى في نيابة صفد بمال له صورة حتى تولاها .

• جمادى الأولى ووقع للغوري أشياء غريبة لم تقع لغيره من الملوك؛ منها أنه نقل

الآثار الشريف النبوي من مكانه الذي كان به المطل على بحر النيل فجعله في مدرسته حتى عُدَّ ذلك من النوادر .

- وقد تعب الصاحب بهاء الدين بن حنا في نقل هذا الأثار الشريف وكان عند جماعة من بني إبراهيم بالينبع ، فلا زال يتلطف بهم حتى اشتراه منهم بستين ألف درهم بالدراهم القديمة، ثم نقله إلى الديار المصرية وبنى له مسجداً مطلاً على بحر النيل , وكان الناس يقصدون الزيارة إليه في كل يوم أربعاء فلما تلاشى أمر ذلك المكان الذي كان به الأثار الشريف استفتى السلطان العلماء فأفتوه بنقله إلى مدفنه بالقبة وهذا بخلاف شرط الواقف , ثم إن السلطان نقل المصحف العثماني إلى مدرسته أيضاً ثم نقل إلى المدرسة أيضاً الربعة العظيمة المكتوبة بالذهب التي كانت بالخنقاة البكتمرية التي بالقرافة قيل إن مشتراها على الواقف ألف دينار.
- وقد وقع للأشرف قانصوه الغوري في مدرسته من المحاسن ما لم يقع لأحد قبله من الملوك، وحاز فيها أشياء غريبة عزيزة الوجود .
- ولما نقل الأثار الشريف والمصحف العثماني إلى مدرسة السلطان كان له يوم مشهود ونزل قدّامه القضاة الأربع والأتابكي قيت الرجبي، وجماعة من الأمراء المقدمين والفقراء أرباب الزوايا والأعلام .

(سنة احدى عشر وتسعمائة)

- جمادى الآخرة : وفيه مالت مئذنة جامع السلطان الذي أنشأه بالشرابشيين، فلما تشقّقت وآلت إلى السقوط رُسم بهدمها وقد ثقلت من علوّها، كون أنها بأربعة رؤوس فلما هدمت أعيدت على الصحة وقد بنى علوّها بالطوب، وصنعوا عليه قاشاني أزرق .

(سنة اثني عشر وتسعمائة)

● ربيع الآخر : كان ختام ضرب الكرة بالميدان . وكانت جماعة من هؤلاء القصّاد حاضرين فلما انتهى ضرب الكرة قام السلطان وطلع إلى الحوش وجلس بالمقعد، وأحضروا قدامه ثيران يتناطحون وكباش .

(سنة اربعة عشر وتسعمائة)

● جمادى الآخر وفيها كان انتهاء العمل في الجراة التي أنشأها السلطان فدارت هناك الدواليب وجرى الماء في الجراة حتى وصل إلى الميدان الذي تحت القلعة ثم إن السلطان صنع هناك سواقي نقالة، وبنى ثلاثة صهاريج تمتلئ من ماء النيل برسم المماليك الذين يلعبون الرمح في الميدان، وشرع في بناء بحرة في وسط ذلك البستان الذي أنشأه بالميدان، فكان طول تلك البحرة نحواً من أربعين ذراعاً، وقيل أكثر من ذلك وبنى هناك عدة مقاعد ومناظر مطلات على ذلك البستان ,

(سنة خمسة عشر وتسعمائة)

● في المحرم يوم عاشوراء أمر السلطان بأن يجتمع الفقراء والحرافيش عند سلم المدرج فاجتمع هناك الجم الغفير ونزل السلطان بنفسه ووقف وهو راكب على فرسه تحت سلم المدرج وصار يعطي لكل إنسان من الفقراء رجل كان أو امرأة كبير أو صغير أشرفي ذهب , فوقع الازدحام بين الفقراء حتى قتل منهم ثلاثة أنفار، من شدة ازدحامهم وقيل إنه فرق في ذلك اليوم نحواً من ثلاثة آلاف دينار فارتفعت الأصوات له بالدعاء فلما رأى ازدحام الفقراء لم ينزل مرة أخرى ولم يفرق شيئاً .

● ومن الوقائع اللطيفة أن في يوم الخميس ليلة الجمعة خامس عشرة، نزل السلطان إلى الميدان، ونصب به خيمة كبيرة مدوّرة وملأ البحرة التي أنشأها هناك من ماء

النيل، من المجراة التي أنشأها، ثم رسم بجمع كل ورد في القاهرة ووضعه في تلك البحرة وجمع قرّاء البلد قاطبة والوعاظ وعلّق أحمالاً بها قناديل، وفرش حول البحرة الفُرش الفاخرة وعزم على القضاة الأربعة، وسائر الأمراء من كبير وصغير، وأرباب الوظائف من المباشرين، وأعيان الناس قاطبة وبات السلطان تلك الليلة بالميدان وبات عنده الأتابكي قرقماس ، وجماعة من الأمراء ومد تلك الليلة أسمطة حافلة أعظم من سماط المولد فمدّ في السماط أربعمائة صحن صيني ورسم بأن تُعمل المأمونيّة الحموية وكل قطعة نصف رطل , وكان من الإوز والدجاج والغنم ما لا ينحصر ومن اللحم ألف وخمسمائة رطل ومن الدجاج ألف طير ومن الإوز خمسمائة طير، ومن الغنم المعاليف خمسين معلوفاً، ومن الرّمسان الرضع أربعين رميساً ، حتى قيل صُرف على ذلك السماط فوق الألف دينار، بما فيه من حلوى وفاكهة وسكر وغير ذلك، وكانت ليلة مشهودة .

- وفي رجب نادى السلطان بألا يتجاهر الناس بالمعاصي، ولا يُمشى بسلاح بعد المغرب، وأن الناس يواظبوا على الصلوات الخمس في الجوامع .
- ذي القعدة : نزل السلطان سيراً وتوجه إلى نحو تربة الأشرف قايتباي ودخل وزار قبره وبكى هناك وتمرغ على قبره، وقرأ له الفاتحة ثم رسم للبوابين وللصوفية بمائة دينار.
- ذي الحجة : وفي هذه السنة أينعتْ الأشجار التي غرسها السلطان بالميدان وأخرجت ما شتله بها من الأزهار ما بين ورد وياسمين وبان وزنبق وسوسان وغير ذلك من الأزهار الغريبة , فكان السلطان يوضع له دكة كبيرة مطعمة بالعاج والأبنوس ، ويفرش فوقها مقعد مخمل بنطع، ويجلس عليه، وتظله فروع الياسمين، وتقف حوله

المماليك الحسان وبأيديهم المذبات وينشون عليه ويعلق في الأشجار أقفاص فيها طيور مسموع ما بين هزارات ومطوق وبلابل وقماري وغير ذلك من طيور المسموع ويطلق بين الأشجار دجاج حبش وبط صيني وحجل وغير ذلك من الطيور وقد صار هذا الميدان جنة على الأرض .

• ذي الحجة أن النيل زاد في هاتور ثمانية أصابع فتضرر الناس فرسم السلطان للقضاة الأربع بأن يتوجهوا إلى المقياس، ويدعوا إلى الله تعالى في هبوطه فتوجهوا إلى هناك وباتوا في المقياس وقرأ السلطان تلك الليلة ختمة شريفة ومدّ أسمطة حافلة فهبط المنسوب في تلك الليلة نحو من نصف ذراع فعدّ ذلك من الوقائع الغريبة.

(سنة ستة عشر وتسعمائة)

• جمادى الأولى وفيه كثرت مصادرات السلطان للمباشرين، حتى إنه صادر عرب اليسار الذين يسكنون تحت القلعة، وقرر عليهم مال له صورة، وقال لهم (إنتو عملتو كيمان تراب تحت القلعة من عفشكم ما يشتال ولا بعشرة آلاف دينار) وجعل ذلك حجة عليهم .

(سنة ثمان عشر وتسعمائة)

• المحرم : يوم عاشوراء نزل السلطان وتوجه نحو المقياس ، وجلس في القصر الذي أنشأه هناك، وكان معه جماعة من الأمراء، فأقام هناك إلى قريب المغرب وانشرح في ذلك اليوم إلى الغاية، ومدَّ هناك أسمطة حافلة وأُحضر بين يديه مغاني وأرباب آلات ثم إن شخصاً مضحكاً يقال له (علي باي)الذي يعمل عفريتاً في المحمل، قام فرقص ثم قام الوالي كِرْنباي فرقَّصه، ثم سحب أمير آخور ثاني آقباي الطويل فرقّصه ثم سحب بركات بن موسى المحتسب فرقّصه، ثم سحب الصيرفي فرقّصه، وكان جسيماً

فضحكَ عليه السلطان ونثروا بين يديه أشياء من أنواع الورود والزهور والفاكهة ومجامع الحلوى، فتخاطف ذلك المماليك وابتُهِجَ في ذلك اليوم .

● جمادى الآخرة ثم إن السلطان أوقد في قاعة المقياس وقدة حافلة، باطناً وظاهراً، وعلّق أحمال بقناديل في القصر الذي أنشأه هناك، وعلى شرفات المقياس قناديل في أحمال وأمشاط حتى أوقد جامع المقياس والمئذنة ثم إن سكان برّ مصر وبر الروضة علّقوا في بيوتهم القناديل في الأحمال والأمشاط بطول البرّين، حتى أوقدوا المربع الذي أنشأه السلطان للسواقي تجاه بر الروضة , ثم أحضر السلطان المركب الكبير الذي عمّره، وصرف عليه نحواً من عشرين ألف دينار، فأرسلوا به قبالة المقياس، وصفوا له ثماني مراس في البحر، وعلقوا على صواريه القناديل في الأمشاط، فكان الذي وُقِدَ في المقياس تلكم الليلة خمسة قناطير زيت وعشرة آلاف قنديل , ثم صنع السلطان في تلك الليلة إحراقة فكان مصروفها نحواً من مائة وسبعين ديناراً مثل إحراقة نفط المحمل التي كانت تصنع بالرملة قدام القلعة .

● فشقوا بالنفط من القاهرة وهو مزفوف، وقدامه الطبول والزمور، فكان عُدة قلاع النفط خمسون قلعة، والمآذن ستون مئذنة، وأزيار عشرة، وجرار أربعين جرة، وصواريخ كبار ثلاثمائة، وماويات ألف ومائتين، وشجرات عشرة، وتنانير عشرين، وقطع ألفان، وشُعل أربعين، فلما وصلوا بالنفط إلى شاطئ البحر أنزلوه في خمسين مركب، وصفّوا المراكب قُبالة المقياس عند البسطة، ورسم السلطان للأمراء المقدمين بأن يُحضروا طبلخاناتهم في مراكب عند المقياس ففعلوا ذلك، فكان حسنَّ الطبول والزمور مع الكوسات مثل صوت الرعد القاصف , فلما صلى السلطان صلاة العشاء جلس على سطح القصر الذي أنشأه على بسطة المقياس والأمراء حوله،

وأحرقوا قدامه النفط، وكان النيل في ثلاثة أصابع من عشرين ذراع وكانت ليلة البدر فدقت كوسات السلطان مع كوسات الأمراء المقدمين، وهم أربعة وعشرون مقدم ألف فقاموا في صعيد واحد عند إحراق النفط فكانت تلك الليلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم، ولم يقع أحد من الملوك قبله مثل هذه الواقعة، ولا للمؤيد شيخ ولا للناصر فرج .

• رمضان وفيه كان ما وقع لرئيسة المغاني، وهي امرأة يقال لها (هيفة اللذيذة) وقد رافعها بعض أعدائها بأن لها دائرة كبيرة من المال ولها حلة للكرا فلما سمع السلطان ذلك قبض عليها وأقامت في الترسيم، وعرضت للضرب غير ما مرة، وقرر عليها خمسة آلاف دينار، فباعت الحليّ وجميع ما تملك وأوردت ألف دينار وقد تكلم لهم القاضي بركات بن موسى بأنها لا تملك غير ذلك، فقرر عليها بعد ذلك خمسمائة دينار ترد في كل شهر مائة دينار على كل جامكية وقد طفّل السلطان نفسه إلى مصادرة المغاني أيضاً والأمر لله .

• ذي القعدة : ولما نزل السلطان في القلعة توجه نحو المقياس وبات به ليلة السبت، فلما طلع النهار عدَّى من هناك وطلع إلى بر الجيزه وتوجه إلى الوطاق الذي نصبه عند الأهرام وقيل إن السلطان أخذ معه جماعة من المغاني وأرباب الآلات فمنهم محمد بن عُوينة العوَّاد، وجلال السنطيري، والبوالقة، وابن الليموني، وغير ذلك من المغاني .

(سنة عشرين وتسعمائة)

• المحرم كان في تلك الأيام ديوان المفرد، وديوان الدولة، وديوان الخاص، في غاية الانشحات والتعطيل فإن بندر الإسكندرية خراب ولم تدخل إليه البضائع في السنة

الخالية، وبندر جدة خراب بسبب تعبث الإفرنج على التجار في بحر الهند فلم تدخل المراكب بالبضائع إلى بندر جدة نحواً من ست سنين وكذلك جهة دمياط .

- سابع عشر ربيع الأول في هذا اليوم احتجب السلطان في الدهيشة ولم يخرج إلى الناس وتزايد به العارض الذي في عينه، وأشيع بين الناس أن جفونه ارتخت على عينه
- في يوم الجمعة ثالث عشر من ربيع الآخر نزل السلطان وتوجه إلى مقياس النيل وصلى هناك صلاة الجمعة وأقام بالمقياس إلى ما بعد العصر ثم عاد إلى القلعة، فتزايد به رخو الجفون في عينيه وأشيع بين الناس أنه قد عمي وغارت عينه، فاحتجب أياماً عن الناس في القبة الأشرفية، وكثر القال والقيل بين الناس بسبب ذلك، فتعطلت الناس في هذه المدة من المراسيم لأجل قلة العلامة وعدم المحاكمات، حتى أشيع بين الناس أن السلطان يقصد أن يخلع نفسه من الملك ويولي ولده محمد عوضاً عنه، لأجل العلامة على المراسيم والمحاكمات، فلم تتم تلك الإشاعة التي أشيعت بين الناس بذلك، ومما بلغني من بعض أخصاء السلطان أنه لما تزايد به هذا العارض في عينيه واضطربت به الأحوال، كان يقف في شباك قبة الأشرفيه بطول الليل ويتضرع إلى الله تعالى ويقول: يا من لايوصف بالظلمِ والجورِ ارحم عبدك قانصوه الغوري . ثم يقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .
- وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه جلس السلطان في القبة الأشرفيه وحضر عنده الأتابكي سودون العجمي وعلّم على المراسيم وحكم وهو جالس في الشباك، وأظهر أنه قد شفي من ذلك العارض، وإلا لما حاذر على عينه الأخرى، التي كان ينظر بها، ومن رمد بتفلته عليا شفي في الحالي من ألم مبين ثم إن جماعة الكحالين قالوا للسلطان: ما تصح عينك حتى تقص ما طال من جفنك، فامتنع السلطان من ذلك

فأحضروا قدامه أربع أنفس بهم رخو في جفونهم، وكان فيهم شخص يسمى سيدي محمد بن منكلي بغا فقصوا جفنه بحضرة السلطان على أنه يشجعه على ذلك، فلم يوافق السلطان على القص، فأقام محمد بن منكلي بغا أياماً وشفي مما كان به في عينه وطلع إلى السلطان فرأى عينه وقد شفيت اشتد وجع عين السلطان، وارتخى جفنه على عينيه، واحتجب عن الناس في الأشرفية أياماً ، وكثر القيل والقال بين الناس، وأشيع أن السلطان قد عمي فصار يجلس في شباك الأشرفيه قدر درجة حتى ينظره الناس، فكانت الكحالين يصنعون له رفادة على عينيه، وفي الرفادة لزق بعلوكات حتى يرتفع جفنه قليلاً عن عينه وينظر إلى الناس ما دام جفنه مرتفعاً فإذا قلعت تلك اللزق ارتخى جفنه كما كان أولاً .

- وفي يوم الجمعة سابع عشرينه لم يخرج السلطان ولا صلى الجمعة، وكثر الاضطراب بسبب ذلك .
- وفي يوم الأحد تاسع عشرينه أراد السلطان بأن يظهر العدل بين الناس، فجلس في شباك الأشرفية وأمر بعرض المحابيس الذين في الحبوس، فلما عرضوا عليه من في الحبوس الأربعة أمر بعرض من في البرج الذي بالقلعة ومن كان بالعرقانة التي بالحوش السلطاني، فلما عرضوا عليه أمر بإطلاق جماعة منهم ممن كان بالعرقانة فأطلق في ذلك اليوم واحداً وثمانين إنساناً، وأظهر العدل في ذلك اليوم جداً حتى ارتفعت له الأصوات بالدعاء وكبّر من كان حاضراً في الحوش السلطاني من الجم الغفير من الناس حتى سمعوهم من الجبل المقطم وكان يوماً مشهوداً، فانطلقت النساء له بالزغاريد في الحوش، وضجت له الرعية بالأدعية السنية .
- جمادى الآخرة : خرج السلطان وصلى صلاة الجمعة وهو بالشاش والقماش وكان

له نحو من ست جمع لم يخرج ولم يصل الجمعة بسبب ذلك العارض الذي حصل له في عينه، فشال الرفادة عن عينه وخرج وصلى الجمعة فَسُرّ الناس لذلك وتخلقت الخدام بالزعفران وكذلك الغلمان، وكان شفاؤه على غير القياس وكانوا أشاعوا عنه أنه قد عمي لا محالة

- شعبان : زينت القاهرة زينة حافلة، حتى زينوا داخل الأسواق، وهم سوق الشرب والباسطية وسوق الحجاب وسوق الفاضل وسوق جامع ابن طولون وسوق مرجوش وسوق الوراقين وسوق الجواهرة وغير ذلك من الأسواق وزينوا مصر العتيقة وبولاق حتى زينوا أسواق الخانكاه، وزينوا حارة زويلة وخان الخليلي وغير ذلك من أسواق القاهرة، ثم أن الأمراء المقدمين وأرباب الوظائف من الأمراء الطبلخانات زينوا أبوابهم بالصناجق والخيام الحافلة ثم زينة العيد، ثم أن الخليفة زين بابه بستور ضريح السيدة نفيسة رضي الله عنها، ثم أن قضاة القضاة زينوا أبوابهم بالبشاخين المخمل والنواميس الحرير، ولاسيما قاضي القضاة الحنفي عبد البر بن الشحنة فإنه خرج في الزينة عن الحد، فزين بابه بالبشاخين الزركش والعنبر، فعد ذلك من البدع المنكرة، ثم أن الزينة أقامت سبعة أيام متوالية، والكوسات عمالة كل يوم نوبتين باكر النهار وبعد العصر، وهي بالقلعة وعلى أبواب الأمراء المقدمين ولم يقع قط بمصر مثل هذه الواقعة في عافية سلطان ولا أمير، وهذا من باب الوجاهة والزوكرة للسلطان، فإن قضاة القضاة زينوا أبواب المدارس التي يسكنون بها حتى باب المدرسة الصالحية وخانقاه بيبرس وغير ذلك من الأماكن الجليلة، فعاب بعض الناس على القضاة هذه الفعلة، وقد صنع قاضي القضاة عبد البر بن الشحنة ردكاً بأشجار وأحواض جلد على باب الخانقاه البيبرسية، فعد ذلك من البدع المذكورة , وكان سبب إيشاع هذه الزينة أن

الأخبار قد شاعت في البلاد الشرقية والغربية بأن السلطان قد عمي بعينيه الاثنتين، فأراد السلطان إظهار هذه الزينة حتى يشاع في البلاد أن السلطان قد شفي وزال عنه الألم الذي كان في عينيه فأمر بزينة القاهرة ودق الكوسات حتى يشاع ذلك بدق الكوسات بالقلعة وعلى أبواب الأمراء .

1) مجريات الاشرف قانصوه الغوري : (الغوري والخطر البرتغالي)

كان للنجاح الباهر الذي حققته حركة الكشوف الجرافية **البرتغالية** في **غرب أفريقيا** في عهد الملك البرتغالي **هنري الملاح** أثره البالغ على الملك **جون الثاني** الذي قرر فور جلوسه على عرش **البرتغال** مواصلة الجهود الكشفية لبلاده حتى بلوغ بلاد الهند، ولاستكمال ما بدأه **الملك هنري الملاح** .

كلف الملك **جون** الرحالة (**دياز**) البحث عن طريق يخترق فيه **أفريقيا** ويوصل **البرتغال** إلى **الهند** ، وبعد أن تجهز **دياز** لهذه الرحلة الطويلة، غادر **مدينة لشبونة سنة ٨٩٣/١٤٩٧م** على رأس ثلاث سفن، وسار بمحاذاة الساحل الغربي **لأفريقيا** ، ثم سار باتجاه الجنوب ثم أبحر شرقا فشمالا حتى وصل إلى خليج موسل ، وبعد مضي عدة شهور في هذه الرحلة لاحظ **دياز** أن الساحل الإفريقي قد أصبح على الجانب الأيسر من سفنه، وأدرك أنه عبر جنوب إفريقية، وأصبح بمحاذاة الساحل الشرقي للقارة، فقفل عائدا .

وفي طريق عودته مر **بمنطقة الرأس لجنوب القارة الإفريقية**، والذي أطلق عليه اسم رأس العواصف ، لكثرة العواصف التي واجهته هناك، أما رأس الرجاء الصالح فهو الاسم الذي أطلقه عليه الملك البرتغالي **جون الثاني** وعلى هذا حققت رحلة دياز نجاحا باهرا

للبرتغاليين ، فقد فتحت المجال أمامهم في تحقيق أهدافهم الرئيسة في الشرق والتي تمثلت في السيطرة على مواطن التوابل، وفرض الحصار الاقتصادي على مداخل **البحر الأحمر والخليج العربي**، وانتزاع احتكار تجارة الشرق من مصر، وهيأت الفرصة أمامهم للوصول للأماكن المقدسة الإسلامية .

وبعد **وفاة الملك البرتغالي جون**، خلفه في الحكم أخوه **الملك ايمانويل الأول ١٤٩٥-١٥٢٠م**، الذي كان متحمسا للوصول لبحر الهند، ولتحقيق هذه الغاية وقع اختياره على الرحالة **فاسكو دي غاما** ، وقد استطاع **دي غاما** وبإرشاد من البحار العربي **أحمد بن ماجد** أن يدور حول **رأس الرجاء الصالح** وأن يصل إلى **مدينة كاليكوت على الساحل الغربي للهند في ٩٠٤هـ/١٤٩٨م** .

عاد **فاسكو دي غاما للبرتغال سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م** بعد أن استغرقت رحلته سنتين، بحمولة لا بأس بها من التوابل، وهذا ما عده الملك **ايمانويل** نجاحا كبيرا ، فأقام الاحتفالات الرسمية والشعبية ابتهاجا بهذه المناسبة .

لا شك أن نجاح **فاسكو دي غاما** في الوصول إلى الهند عبر طريق **رأس الرجاء الصالح**، قد فتح الباب على مصراعيه أمام الأطماع **البرتغالية** في فرض سيادتها على جميع الموانئ التجارية الواقعة على الطريق البحري بين **الهند ورأس الرجاء الصالح** ، والسيطرة على مداخل **البحر الأحمر والخليج العربي**، وجعلها مراكز منيعة **للبرتغاليين** وإغلاقها أما **التجار العرب** .

وما كاد **فاسكو دي غاما** ينجح في الوصول إلى الهند عبر طريق رأس **الرجاء الصالح سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م**، حتى انجلت الغمام عن الأطماع **البرتغالية** في المنطقة، حيث أعلنت عن رغبتها في فرض سيادتها على جميع الموانئ التجارية الواقعة على الطريق

البحري بين **رأس الرجاء الصالح والهند**، والسيطرة على مداخل البحر الأحمر لإنهاء دور **العرب والمسلمين** في تجارة التوابل، وخنق اقتصادهم بتحويل تجارة الشرق إلى طريق **رأس الرجاء الصالح** .

أن التجارة بين الشرق والغرب كانت تسلك طريق **البحر الأحمر ومصر**، غير أن تحويل **البرتغال** لتجارة الشرق إلى طريق رأس **الرجاء الصالح** ومنها إلى **لشبونة**، حرم **مصر** من المورد الأول لثروتها وقوتها .

كما أن **البحرية العسكرية البرتغالية** استهدفت السفن **التجارية المملوكية** ملحقة بها خسائر فادحة من إحراق ونهب وسلب وتدمير وسرعان ما تنامى هذا الخطر إلى التهديد بغزو جدة، وتدمير المقدسات الإسلامية في **الحجاز ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم** .

يذكر ابن اياس في حوادث سنة٩٠٨ه/١٥٠٢م قيام مجموعة من مراكب الفرنج في البحر بطريق **الهند وهرمز** بالاستيلاء على سبعة مراكب للمسلمين بعد أن قتلوا **"كاثرت مراكب الإفرنج في بحر الهند وهرمز وتلك الجهات ، وعظم أذاهم للمسلمين "** .

وتتابعت الحملات البرتغالية لترصين مركزهم في الهند، ونقل طريق تجارة التوابل إلى اوروبا عن طريق **رأس الرجاء الصالح بدلا من البحر الأحمر** .

، استقر رأي **الملك ايمانويل** على تعيين نائب له بصفة دائمة في **الهند**، فوقع اختياره على الدوق **فرنسيسكو دي الميدا** ، وعمل على تثبيت الوجود البرتغالي في الهند، كما أنه أصدر قانون فرض بموجبه على جميع السفن الإسلامية المارة **ببحر الهند** الحصول على تصاريح خاصة مقابل أداء مبالغ معينة، إذ أصبحت السفن الإسلامية لا تبحر إلا بتصريح **برتغالي**، ومع مرور الوقت لم يعد **البرتغاليون** يراعون هذا التصريح، فقد أخذوا

بممارسة القرصنة ضد السفن الإسلامية سواء أكان لديها تصريح أم لا .

" **فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسرا ونهبا، ويأخذون كل سفينة غصبا، إلى أن كثر ضررهم على المسلمين، وعم أذاهم على المسافرين** .

هذا وعندما اشتد خطر **البرتغاليون** على التجار العرب والمسلمين المقيمين في المراكز **التجارية الهندية**، بل وتعيق تجاراتهم في سواحل **الجنـــــوب العربي والمحيط الهندي**، استنجد التجار المسلمون بالسلطان **الغوري** في **مصر**، مبينين له خطر هؤلاء الغزاة الجدد الذين يصحبون معهم الجنود لغزو البلاد **الإسلامية، والرهبان للتبشير بالمسيحية**، فضلا عن خطرهم العاجل علـــى مصر من خلال حرمانها من مورد مالي عظيم يعتبـــر من أهم موارد دخلها، وجاء رد **الغوري** على نداء الاستغاثة هذا في الحال ، فجهد على الاستجابة له بالوســائل السلمية الدبلوماسية من جهة ، كما شــرع في تجهيــز حملة حربية من جهة أخرى .

وفي سنة٩١٢ ٥/١٥٠٦م ، عاد **البوكيـرك** مرة أخرى **للهند** علـى رأس حملة جديدة، وهذه المرة بصفته نائبا للملك في الهند، خلفا للدوق الميدا، فاستولى **البوكيـــرك سنة ١٥٠٧/٥٩١٣**م على جزيرة **سوقطرة** الواقعة في منتصف الطريق بين **البحر الأحمر و الخلــــيج العربي**، كما حاول الاستيلاء علــــى عدن في نفس السنة لكنه فشل أمام قوة تحصيناتها واستبسال أهلها، مما اضطره ذلك إلى الانسحاب فتوجه إلى **الخلـيج العربي** فاستولى على جزيرة هرمز بعد معركة عنيفة " **غلب الفرنج على مدينة هرمز وأخذوها وأسروا أهلها المسلمين والتجار**"

وفي سنة٥٩١٤/١٥٠٨م استولى **البوكيــرك** علـى **مدينة قلهات، ومدينة مسقط** الــتي كانت تشكل الميناء الرئيس علـــى ساحل **عمان**، وذلك بعد أن دمرهما وأضرم النيــران

بهما واتجه **البوكيرك** بعد ذلك بانظاره إلى مدينة **جوا** على الساحل **الغربي** في ولاية **بيجابور الهندية**، فاستولى عليها واتخذ منها عاصمة **لمستعمرات البرتغال** في **الشرق** .

وكان **البوكيرك** يضع في نصب عينيه حال دخوله البحر الأحمر تنفيذ مشروعه الذي طالما حلم به والذي يحمل طابعاصليبيا، وهو احتلال **المدينة المنورة ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم**، ليجعله رهينة ليفاوض به سيده تسليمه للمسلمين مقابل تنازل المسلمين عن الأماكن المقدسة **المسيحية** في **القدس** .

ومن خلال دراسة الأوضاع المحيطة **بالبحر الأحمر** وجد **البوكيرك** أن احتلال الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز يستلزم إنشاء قاعدة بحرية عند مدخل **البحر الأحمر**، لذلك فكر في احتلال عدن التي تعد المدخل الحقيقي **للبحر الأحمر** واتخاذها قاعدة له، ولم يشأ أن يضيع الوقت فخرج في **١٥١٣** م على رأس حملة كبرى من **جوا** تكونت من **عشرين سفينة وألف وسبعمائة جندي برتغالي** وبضع مئات من الهنود المناصرين له ، إلا أن جميع محاولاته لاقتحام المدينة باءت بالفشل، مما اضطره للانسحاب باتجاه باب المندب بعد أن تكبد خسائر فادحة في الأرواح والعتاد .

ومن **جزيرة كمران** تطلع **البوكيرك** إلى غزو ميناء **جدة**، ثم الوصول **للمدينة المنورة ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم** ، تنفيذا لوصية مليكه باقتلاع جذور الإسلام وضربه في عقر داره، فخرج في **شهر ربيع الأول سنة٩١٩هـ/١٥١٣م** على رأس أسطول مؤلف من أربعمائة سفينة، لكن الرياح اضطرته الرجوع إلى جزيرة كمران قبل الوصول إلى جدة ، بينما تشير إحدى الروايات أن سبب فشل حملة **البوكيرك** على **جدة** هو رؤية **البوكيرك** أثناء مسير حملته في الليل وهج ولهب في السماء فوق الحجاز والمدينة المنورة، وأن ذلك الوهج لم يلبث أن تحول إلى كتلة من النار ثم تحركت تلك النار

فتوقفت **فوق سفن البرتغاليين** فترة ثم تحركت سريعا صوب **الحبشة** لتختفي هناك، وقد أصيب **البوكيرك** بالذعر لذلك فأصدر أوامره بالعودة إلى مران، وبقي هناك مدة أكثر من شهرين، شن خلالهما حملات تخريبية ضد موانئ البحر الأحمر، فهاجم مينائي **زيلع وبربرة** ، واستخدمهما للاستيلاء على السفن الإسلامية القادمة من **البحر الأحمر**، كما عاود هجومه مرة ثانية على عدن فضربها بالمدافع حوالي **خمسة عشر يوما**، ثم غادر **البحر الأحمر** عائدا إلى **الهند** في **أول شهر جمادى الثانية سنة٩١٩ ه**.

وكان **البوكيرك** عقب استيلاءه على **هرمز ومسقط**، توجت أنظاره مرة أخرى إلى عدن، التي كان الاستيلاء عليها يعتبر من أهم دوافع حملته التي جاء من أجلها من البرتغال، لذلك فقد غادر في **شهرمحرم٩٢١ه/ ١٥١٥م** مقر حكمه **جوا** على رأس حملة كبيرة نحو **البحر الأحمر** لاحتلال **عدن** ومهاجمة الأماكن المقدسة الإسلامية في **الحجاز** ، غير أن انتفاض **هرمز** ضد **البرتغاليين** جعله يتوجه رأسا إليها ويؤجل شأن **عدن** إلى حين، إلا أن المنية عاجلته أثناء ذلك وهكذا كانت محاولة **البوكيرك** غزو **البحر الأحمر في محرم ٩٢١ه/ ١٥١٥م**، أخر التهديدات البرتغالية لبلاد العرب والمسلمين في البحر الأحمر والخليج العربي، ولمصالحهم التجارية في مياه المحيط الهندي في عهد **السلطان الغوري**، وشكل موت **البوكيرك** المفاجئ ضربة قاصمة للملك **البرتغالي ايمانويل الأول** لما أبداه **البوكيرك** من تهديد قوي **للمسلمين في الهند والبحر الأحمر**، وتبنيه مشروع تدمير المقدسات الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، في حين شكل موت **البوكيرك** بارقة أمل للعرب والمسلمين في الهند والخليج العربي ومصر بتراجع حدة التهديد البرتغالي لهم .

واجه **السلطان الغوري** بعض فتن العربان والجنود في مطلع عهده، علاوة على الأزمة

الاقتصادية الـــتي كانت تعصف بالدولـــة ، فعندما تولى **الغوري** السلطنة كانت خزائن الدولة خاوية علـى عروشها، إلا أنه أولى خطر الغزو البـرتغالي للهند والبحر الأحمر، وما ترتب على ذلك من حرمان مصر من المورد الأول لثروتها جل عنايته .

كان **البرتغاليون** قد بدأوا بالفعل بإغراق السوق **الأوروبية** بالتوابل وغيرها من حاصلات الشرق بثمن يعادل ربع ثمنها في موانئ مصر، ونتيجة للكشوف البرتغالية وسيطرتهم على تجارة الهند، بدأت تجارة مصر الخارجيـة بالتـدهور التدريجـي، وكان **السلطان الغوري** قد لجأ في محاولة منه لحـل أزمة مصر المالية في بداية عهده بفرض رسوم جديدة علـى تجارة الوارد والصادر في مـــــــــوانئ **الإسكندرية ودمياط** ، فامتنع نتيجة ذلك التجار **الأوروبيون** عن التصدير عبـر مـوانئ مصر، وهذا ما أحدث خلل في الميـزان **التجاري المصري** ، إذ أن التوابل غدت مكدسة في **الإسكندرية ودمياط** بعد أن قل المشتـــرين، ويصف **ابن اياس** ما وصلت إليه حالة التعطل في **مـــوانئ مصرسنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م**، بقوله إن :"**بندر الإسكندرية خراب ولم تدخل إليه القطائع في السنة الخاليـــة ، وبندر جدة خراب بسبب تعبث الفرنج علـــــى التجار في بحر الهند فلم تدخل المراكب بالبضائع إلى بندر جدة نحوا من ست سنين، وكذلك جهة دمياط**"

هذا في الوقت الذي وصلت فيه نداءات الاستغاثة من ملوك الهند ومسلميها **للسلطان الغوري** يستصرخونه ضد الغزاة الجـدد ويخبـروه بأعمـالهم المشينة بحق المسلميـن مثل هتك حرمات المساجد، ونهب أموالهم، وإجبارهم علـى الردة ، هذا ناهيك عن انتهاج الجنـود البـرتغاليين القرصنة ضد السفن الإسلامية الداخلة والخارجـة من البحر الأحمر، والتنكيل بالتجــار العرب والمسلميـــن وقتلهم، وكانت سفن السلطان الغوري نفسه قد تعرضت للقرصنة والنهب .

ولكـــن **السـلطان** حاول معالجـــة هذا الخطـــر الذي أخذ يهدد سلطنته خاصة، وكيان المسلميـــن الـــديني والسياســـي عامة بإتباع أسلوبـــين؛الأول سلمي من خلال الوسائل الدبلوماسية، والثاني عسكري من خلال المواجهة الحربية .

لجأ السلطان **قانصوه الغوري** في بداية الصراع مع **البرتغاليين** إلى الوسائل الدبلوماسية، وذلك من خلال إرسال واستقبال السفارات مع ملوك وأمراء اوروبا **وبابا روما** ، **والسلطان العثماني** ، وبعض حكام الولايات الإسلامية في **الهند،** حتى غدا بلاطه مسرحا مليئا بالوافدين والسفراء، وليس أدل على ذلك من قول ابن اياس إذ يذكر أنه اجتمع عند السلطان في أحد الأشهر :

"أربعة عشـر قاصدا، وكل قاصد من عند ملك علـى انفراده، فمن ذلك قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم. وقاصد الملك محمود ملك الهند وقاصد ملك الفرنج الفرانسة وقاصد البنادقة وغير ذلك .

وبدأ **الغوري** جهوده الدبلوماسية بتنسيق موقفه مع **البندقية** أكبـر شـريك تجاري لمصر فاستقبل **سنة٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م**، سفارة سـرية **للبندقية** برئاسة **بنديتو سانوتو** الذي بـين **للغوري** الأخطار التي تمثلها التجارة البرتغالية في **الهند واوروبا** ، واهتمام **البندقية** للتعاون مع **مصر** في مقاومة المشـروعات **البـــرتغالية** في **الهند،** واقتـرح **سانوتو** علـى **الغوري** تخفيض أسعار التوابل، وخفض الرسوم الجمركيـــــــــة المصرية لإقناع التجار **البنادقة** بمواصلة نشاطهم التجاري في السوق **المملوكية،** ولكـــي يتمكنوا من منافسة خصومهم **البـــرتغاليـــين** في الأسواق الأوروبية وأتبعت **البندقية** هذه السفارة، بسفارة أخرى **سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م**، برئاسة **فرانسيسكو تالدي** ، نبهت من خلالها السلطان الغوري إلى ازدياد النشاط البـرتغالي في الهند، وبيعهم التوابل في اوروبا بأرخـص من أسعار مصر،

وكان من أهم ما جاءت به هذه السفارة من اقتـــــــراحات، أن يغرق السلطان **الغوري** الأسواق بالتوبـل حتـى يستطيع منافسة **البـــرتغال**، وأن يستخدم نفوذه لدى أمراء الهند لقطع صلاتهم التجارية بالبرتغـاليين ، وأن ترافق سفن عسكرية السفن التجارية المملوكية لحمايتهـــا وبعد أن استمع السلطان الغوري إلى مخاوف البندقية، ارتأى أن يبعث برسالة إلى بعض الدول **الأوروبية** منها **إيطاليا وإسبانيا** لحـــث هذه الدول علـى وقف حملات **البرتغال** على **الهند**، وقام بحمل هذه الرسالة رئيس **رهبان الفرنسيسكان** بدير صهيون في بيت المقدس **مورو دي سان برناردينو** ،وقد وصل الموفد إلى **البندقية** أولا وسلم صاحبها رسالة من السلطان لتقديم مساعدات عسكرية ، ثم قصد روما وهناك التقى الـبلاد **يوليوس الثاني في ربيع ٩٠٩ ه/ ١٥٠٤**م، وأبلغه رسالة **الغوري**، ووعده الـبلاد بالكتابـة إلى ملك **البـــرتغال** لوقف إرسال الحمـلات الحربيـة للهند، ثم أتم الراهب مورو جولته في بلاط كل من أسبانيا والبرتغال، غير أنه عاد خالي الوفاض .

ولما لم تأت **جولة الراهب مورو إلى اوروبا** أوكلها، عكف **السلطان الغوري** علـى رفع وتيرة لهجته في تعامله مع البلاد **يوليوس الثاني** وملك البرتغال **عمانويل**، فقد أرسل إليهم في **نفس العام٩٠٩ ه/١٥٠٤م**، برسالة شديدة اللهجة يطلب منهم أن يكف **البـــــرتغاليون** عن أعمالهم العدائية في مياه **المحيط الهندي والبحر الأحمر**، وإلا فإنه سيضطر إلى قتل كافة الفرنج في بلاده، وتدميـر الأماكن المقدسة المسيحية وفي مقدمتها **كنيسة القيامة** .

وفي الوقت الذي انزعج في الـبلاد من تهديد **السلطان الغوري**، لم يبد ملك **البـرتغال** أي اهتمام لذلك التهديد وطلب من الـبلاد ألا يهتم لتهديدات **الغوري** لأنه ليست لديه القوة الكافية لتنفيذ التهديدات، ومما جاء في رد الملك **عمانويل** علـى نداء الـبلاد الذي طلب

منه الحد من الحملات **البرتغالية** على المحيط الهندي، قوله: **لست عازما فقط على خنق التجارة المملوكية، بل سأجاهد في سبيل المسيحية حتى أجعل من مكة هدفا لمدافعي وجنودي** .

كما أنه دعا البلاد إلى ضرورة تكثيف جهوده ليس في سبيل المصالحة مع سلطنة المماليك، وإنما في سبيل توحيد الدول والممالك **المسيحية** تحت قيادة **البرتغال** لاستعادة الأراضي المسيحية في الشرق أدت فشل سياسة الوعيد والتهديد مع الملك البرتغالي، إلى أن يتجه **السلطان الغوري** للتجهز لمحاربة **البرتغاليين** الذين اشتدت وطأتهم في مياه المحيط الهندي وأوشكوا على الانتقال إلى مياه **البحر الأحمر** وتهديد كيان **الدولة المملوكية** تهديدا مباشرا، ولتأمين موارد إعداد الأسطول الحربي لجأ **الغوري** إلى رفع أسعار التوابل، وزيادة رسوم الجمارك في موانئه، وبينما كان **السلطان الغوري** يتجهز للقيام بعمل عسكري ضد **البرتغال** في **الهند**، وصلت إليه الأنباء عن تدعيم البرتغال لأسطولها التجاري في الهند بسفن حربية للحماية، وهنا أدرك **الغوري** استحالة مقاومة **البرتغال** بمفرده، فرأى أن يتعاون مع **البندقية** وغيرها من **الدول الأوروبية** للقيام بعمل جاد لمواجهة الموقف المتدهور في **الهند**، فقرر إرسال بعثة إلى البندقية للمفاوضة في طلب المعونة العسكرية من **أخشاب وسلاح** ، وإعادة التجارة إلى ما كانت عليه لا سيما وأن إيراداته انخفضت بصورة كبيرة، وأوكل مهمة هذه السفارة إلى ترجمانه **تغرى بردى الأسباني** الأصل، الذي **غادر القاهرة في ٩١٠هـ/ ١٥٠٥م**، على إحدى سفن **البندقية**، وكان في طريقه قد نزل **بقبرص** التابعة لمصر، واصطحب منها من أرشدهم إلى **رودس** حيث خاض فيها مفاوضات مع مقدم **اسبتاريتها أمايري وامبوز** ، بشأن وقف أعمال القرصنة والاعتداء التي يمارسها فرسان **الإسبتارية** ضد السفن الإسلامية والتجارية

أثناء عبورها لمياه **رودس**

ثم واصل **تغرى بردى** طريقه إلى **البندقية،** وهناك انتهت المفاوضات إلى عقد اتفاق تجاري بين الدولتين تضمن عودة التجار البنادقة إلى موانئ مصر والشام، وإطلاق صراح السجناء البنادقة في مصر، وتحديد سعر التوابل وتخفيف الرسوم الجمركيـــــة ، أما عن تقديم المساعدة العسكرية، فقد اعتذر البنادقة خوفا من تأليب الرأي العام الأوروبي ضدهم .

وبعد **البندقية** استأنف **تغرى بردى** رحلته إلى **روما** وبعض دول اوروبا ، ثم عاد إلى **القاهرة سنة٩١٢ه/ ١٥٠٧ م**، بعد أن استغرقت رحلته **ثمانية عشـــر شهرا**، دون أن يحقق غرضا ايجابيا سوى إسماع صوت سيده **الغوري** للمسئوليـــن في **روما واوربا** ، وقد عزا **تغرى بردى** فشل مهمته إلى موقف البنادقة ذي الوجهيـن من طلبات السلطان، مما جعله يوغر صدر سيده عليهم، وبالفعل اتخذ **الغوري** إجراءات قاسية بحقهم .

ولتنشيط حركة التجارة في موانئ مصر، وتوفير مورد لبناء الأسطول الحربي، لجأ الغوري إلى توثيق علاقاته السياسية والتجارية **بمملكة فلورنسا،** فقد أرسل إليهم **سنة٩١٤ه/١٥٠٨م**، رسالة مع ترجمانه **تغرى بردى** تضمنت قرارا يقضـي **بالترخيص للفلورنسيين** بدخول موانئ **مصر والشام**، ومنحهم الرعاية والحماية ، **وفي عام٩١٥ ه /١٥٠٩ م**، وقع السلطان **الغوري** مع **فلورنسا** اتفاقية نصت علـــى إنشاء قنصلية دائمة لهم في القاهرة، ومنحهم موسما تجاريا **بالاسكندرية** ، مع معاملة التجار **الفلورنسيين** معاملة خاصة **في مصر** ومما جاء فيها "**لا أحد يعـــترض عليكم، أو يزعجكم، أو يضايقكم**" .

ولما اشتد الخطب **بالسلطان الغوري** أيضا بعد هزيمة **ديو البحرية**، وعكف على تجهيز

حمله جديدة لحرب البرتغاليين والتصدي لخطرهم في البحر الأحمر، لم يجد مفرا من الاستعانة بالسلطان **العثماني بايزيد الثاني** طالبا منه أن يبيعه ما يلزم من أخشاب وعتاد، ومناشدا اياه مساعدته في العمل على المحافظة على المقدسات الإسلامية في الحجاز ، وقد وجد **السلطان الغوري** في السلطان **العثماني** خير معين، فقد أرسل إليه **في جمادى الثانية سنة٩١٦هـ/١٥١٠م، ثماني عشرة سفينة** محملة بالاخشاب والعتاد، غير أن هذه السفن تعرضت للهجوم من قبل فرسان **الإسبتارية** في **جزيرة رودس** وهي في طريقها **لمصر**، بعد أن تأكدوا أن الشحنة من السلاح والخشب معدة لحرب **البرتغاليين**، ولم يصل منها **للإسكندرية** سوى سفينة واحدة خاوية، وشكلت هذه الحادثة كارثة بالنسبة للسلطان الغوري الذي "**تنكد إلى الغاية وامتنع عن الأكل يومين**" .

وقابل **السلطان الغوري** هذا الخطب بإلقاء القبض على جميع التجار الفرنج المقيمين **بالاسكندرية ودمياط**، وأجبر **مطران دير جبل صهيون** على دفع غرامة قدرها **أربعة آلاف دوكات**، كما أنه نكل بالبنادقة لظنه أنهم هم من وشوا بأمر هذه السفن لفرسان الإسبتارية .

وعاد **السلطان الغوري** بعد عدة أشهر بإرسال موفد جديد للسلطان **العثماني بايزيد الثاني** لشراء الأخشاب والسلاح، فما كان من **السلطان بايزيد** إلا أن أسرع في تأمينه بما يحتاج من **بنادق وبارود وأخشاب ونحاس وحديد وحبال ومراسي وغير ذلك** مما يحتاج إليه في بناء السفن، وكان **السلطان بايزيد** أرسل كل ذلك معونة منه رافضا أخذ المال .

وتكررت تلك المساعدات العسكرية العثمانية لمصر طوال عهد **السلطان بايزيد الثاني**، مما يشير إلى تميز العلاقات العثمانية المملوكية بحسن الجوار خلال تلك الفترة، هذا ولم

تشهد السنوات الثلاث الأخيرة من عهد الغوري نشاط دبلوماسي على المستوى الأوروبي، ويبدو أن هيمنت **البرتغال** على تجارة **الشرق**،وإفشالها لكل تدابير **السلطان الغوري** فيما يتعلق بمحاولة إفساده العلاقات التي نشأت بين **البرتغال** وأمراء مراكز إنتاج التوابل في **الهند** مثل **مملكة كنانور ومملكة كوشين**، هذا ناهيك عن نجاح **البرتغال** في استقطاب سفن التجار الفلورنسية والجنوية والألمانية للسفر إلى الهند تحت لواء البرتغال مقابل حصة معينة من حمولاتها قد دفع **الغوري** إلى توقيف الجهود الدبلوماسية مع **الأوروبيين**، والتفرغ لتوثيق علاقاته مع **الممالك الهندية** سواء الإسلامية منها أو **الهندوسية** ، لمجابهة **البرتغاليين** في **البحر الأحمر والمحيط الهندي** عسكريا .

وبعد أن فشلت جميع الجهود الدبلوماسية التي بذلها **السلطان الغوري** في وقف تجرم **البرتغاليين** العدائي في مياه **بحر الهند**، وإغلاقهم منافذ التجارة مع **مصر**، بل وارتفاع مستوى تهديداتهم العدائية بالدخول إلى البحر الأحمر وتدمير **المقدسات الإسلامية**، وما رافق ذلك من وصول نداءات الاستغاثة من ملوك **الهند** مثل **الزامورين** حاكم **كاليكوت، ومحمود بيكر مظفر شاه** حاكم **كجرات** ، ومن مسلمي **الهند** الذين كشفوا له كثيرا من أعمال **البرتغاليين** الوحشية ضد **المسلمين** في الهند مثل "**هتك حرمات المساجد، وتحريضهم على قبول الردة والسجود لصليبهم ، واصطحابهم للرهبان للتبشير بالمسيحية وللقضاء على الدين الإسلامي**، الأمر الذي يوحي بأن هذه الأعمال ما هي إلا لونا جديدا من **الحروب الصليبية**، ومقدمة مشئومة لاستعمار الشرق، فقد كانت مراكبهم وهي **تمخر عباب بحر الهند، شعارها الصلبان والمدافع** .

ووصلت كذلك تحذيرات من **حكام اليمن الطاهرين**، تشير إلى اقتراب **البرتغاليين** من سواحل بلادهم، وفي ذلك يقول ابن الديبع :

"قويت شوكة المفسدين في قطع طرق المسلميـــــن في البحر بطريق الهند وهرمز واستحلوا دماء المسلميـــــن فبعث أهل مدينة عدن الخـــــبر إلى السلطان الغوري يستطيعونه علـــــى الفرنج" وسبق ذلك كله وصول الأخبار إلى القاهرة بأزدياد أعمال القرصنة ضد السفن الإسلامية في مياه المحيط الهندي وبحر العرب ومن ذلك مهاجمة **فاسكو دي غاما** أمام ساحل **المليبار** سفينة كبيـــــرة مملوكة للسلطان **الغوري** كانت محملة بالتوابل وعليها عدد من **الحجاز الهنود** في طريقهم إلى **جدة**، وبعد معركة شديدة بينها وبـــــين قوات **دي غاما** استقرت السفينة في قاع البحر بمن عليها بعد أن نهبت حمولتها .

أمام هذه التحـــــديات والتطورات المتسارعة وجد **السلطان الغوري** أنه لم يعد هناك مجال للفرار أو التأجيل ، فقرر الاتجاه نحو القوة الحربيـــــة لعلاج الموقف، فجهز في الحـــال أسطولا حربيا قـــويا يتكون من خمسيـــن سفينة من نوع الأغربة ، بنيت في دار صناعة السويس، وأوكل قيادتها **للأمير حسين الكردي** .

وكان السلطان **الغوري** قد استعرض هذا الأسطول بنفسه ، واحتفل وقت نزوله للبحر احتفالا شعبيا مطلع **جمادى الثانية سنة٩١١هـ/ ١٥٠٥م، ويذكر ابن اياس** أن العسكر الذين خرجوا في هذه الحملـــــة نحو الهند تكون من جنسيات مختلفة ؛ فكان بينهم أبناء الأمراء المتطوعيـــن، والمماليك السلطانية، والمغاربة والعبيد السود والتـــراكمة، وأرسل بصحبة الحملة الكثير من البنائين والنجارين المهرة ببناء الأبراج .

(معركة ديو)

وفي يوم الاثنين ٦ جمادى الثانية سنة٩١١هـ أبحر **الأسطول المملوكي** من **السويس** إلى **جدة** وما أن بلغت الحملـة **مدينة جدة** الـتي كانت من أهم مراكز التجارة بـين **مصر**

والهند، حتى اتخذت منها قاعدة لها، وعمل الأمير حسين الكردي هو ورجاله على تحصين المدينة من خلال بناء الأسوار والأبراج، كما أخذ في نفس الوقت بمراقبة الطريق إلى الهند وتفتيشه، وتعقب **البرتغاليين** فيه ومقاومتهم ، فقد كان الأسطول **البرتغالي** بقيادة **البوكيرك** في هذه الأثناء قد استولى على **جزيرة سوقطرة** التي تشرف على مدخل البحر الأحمر، ثم عبر باب **المندب** وأغار على ميناء **عدن** ، وكان ينوي الزحف منها نحو جدة، غير أنه ما أن علم بوجود هذا الأسطول المصري الضخم في ميناء جده حتى سارع بالانسحاب من **مياه البحر الأحمر نحو الهند** .

وفي شهر ذي الحجة ٩١٢هـ/١٥٠٧م، أبحر الأسطول المملوكي من **جدة** في طريقه **للهند**، فمر بطريقه بسواكن فاستولى عليها دون قتال، ثم تابع مسيره حتى وصل جيزان فتزود منها بالطعام ، ثم توجه إلى **جزيرة كمران**، ومنها سار إلى عدن فاستقبلهم **أميرها "مرجان الظافري"**، وسمح لهم بأن يأخذوا من **عدن** ما يشاءون من طعام وماء وحطب وغير ذلك من المؤن.

وبعد أن أتم الأسطول تزوده بما يحتاج أقلع من عدن متوجها إلى الهند، فوصل أولا إلى ميناء **ديو** أحد أهم موانئ سلطنة **كجرات**، حيث انضمت إليه سفن **"مالك اياس"** حاكم **ديو**، وكان الأمير **حسين الكردي** ومالك **اياس** قد اتفقا مع **الزامورين** حاكم **كاليكوت** على أن يسيرا إليه في **كاليكوت** لتوحيد جميع قواهم في حملة واحدة للقضاء على **البرتغاليين** في ساحل المليبار وطردهم نهائيا من الهند، وفي أثناء الطريق تقابل الأسطول **المملوكي والكجراتي** بأسطول **برتغالي** صغير بالقرب من ميناء شول، كان بقيادة ابن نائب **ملك البرتغال** في **الهند لورنزو دي الميدا** ، واشتبك الأسطولان في **خريف٩١٣هـ/١٥٠٨م** ، **في معركة بحرية** متقطعة استمرت ليومين، انتصر فيها

الأسطول المملوكـــي وحليفه الكجراتي وقتل فيها القائد **البـــرتغالي لورنزو**، وبعد هذا الانتصار عاد الأسطولان المصري والهندي إلى ميناء **ديو** لإصلاح ما تضرر من سفن وانتظار انتهاء موسم الشتاء ، وهناك التحقت بهم سفن الزامورين حاكم كاليكوت ليصبح عدد قطع الأسطول حوالي مائة سفينة صغيرة وكبيرة

هذا وقد أحدث خبـر الانتصار على الأسطول البـرتغالي في معركة شول فرحة كبيـرة في مصر، وأمر السلطان الغوري ابتهاجابهذه المناسبة دق الموسيقات ثلاثة ايام متتالية، **يقول ابن اياس:**

"جاءت الأخبار بأن العسكر الذي توجه إلى نحو بلاد الهند قد انتصر علـــى الفرنج وغنم منهم غنائم كثيـرة، فسـر السلطان لهذا الخـبر وأمر بدق الكوسات فدقت ثلاثة ايام متوالية "

وعقب وصول **الأميـر حسيـن الكردي** إلى **ديو** بعد الانتصار في **شول**، أرسل **للسلطان الغوري** طالبا دعمه بالجنود والسفن الحربية ليعزز بها قواته ضد **البـرتغاليين**، وهذا ما دفع الغوري لتكثيف جهوده في سبيل بناء المزيد من **السفن الحربيـــــة** ، فاستعرض **في شهر شعبان ٩١٤هـ/١٥٠٨م** ، ستا من السفن الحربية كانت الترسانات قد انتهت منها .

أما بالنســـبة للبـــرتغاليـــن فقد استشاطوا غضبا لهذه الهزيمة، ولا سيما نائب الملك **البـرتغالي** في **الهند** الذي أقسم أن ينتقم انتقاما شديدا لمقتل ابنه، فاستغل لجوء **الأسطول المملوكـــــــــــي** إلى ميناء ديو للراحة والتموين، وفاجأهم هناك بهجوم كاسح **في ٢٦صفر٩١٥هـ/ ١٥٠٩م**، محققا عليهم نصرا حاسما في معركة شهيـرة عرفت بأسـم معركة **ديو** البحرية، دمرت فيها معظم السفن المملوكية والهندية، وقتل فيها معظم عساكر الأسطول المصري،

بهزيمة **الأسطول المملوكي** وانسحابه عن المياه الهندية، ازدادت **قوة البرتغاليين** في **الهند**، ونشطت تجارتهم واتسعت أملاكهم، وهذا ما شجعهم على فرض حصار شديد على جميع السفن **الهندية** المتجهة نحو البحر الأحمر، وقد تمكنوا فعلا من قطع الاتصال البحري بين الموانئ الهندية وجدة، وأخذوا بملاحقة السفن **المملوكية في الخليج العربي والبحر الأحمر** ومصادرة شحناتها أما حكام **الإمارات الهندية؛ كجرات وديو وكاليكوت** وغيرهم، فعندما وجدوا أنفسهم لوحدهم في مواجهة البرتغاليين ، رأوا أن من مصلحتهم الخاصة مصالحة البرتغاليين، فأرسلوا رسلهم إلى نائب الملك البرتغالي في الهند الذي لم يتردد في اجابة طلبهم , أما عن **البندقية** فلم تجد أمامها بعد هزيمة المماليك في **معركة ديو**، سوى الاتجاه إلى لشبونة كبقية دول اوروبا لتبتاع منها التوابل , لكنها في الوقت نفسه ومن باب المحافظة على مصالحها الشخصية مع مصر احترازا لما قد يستجد في المستقبل،

أما في القاهرة فقد هزت تلك الهزيمة **السلطان الغوري**، يقول ابن اياس،

جاءت الأخبار في شهر صفر سنة ٩١٥ه بأن العسكر الذي توجه إلى الهند قد كسروهم الفرنج كسرة فاحشة، وقتلوا العسكر عن آخره فتنكد السلطان لهذا الخبر

, وفي الوقت الذي تطلع فيه **السلطان الغوري** إلى نصر ينهي السيطرة **البرتغالية** في مياه المحيط الهندي وتهديدهم لتجارة **البحر الأحمر** والأماكن **المقدسة الإسلامية**، جاءت تلك الهزيمة التي بددت أحلامه، واستهلكت الكثير من احتياطيه من الأموال والسلاح من جهة، وزادت من قوة البرتغاليين من جهة أخرى ومع ذلك لم ييأس السلطان الغوري بعد هزيمة ديو من توجيه ضربة حاسمة للبرتغاليين في الهند، أو على الأقل وقف خطرهم على التجارة الإسلامية في البحر الأحمر، وعلى الأماكن الإسلامية المقدسة في

الحجاز ، من هنا فقد كلف الأمير حسين الكردي أن يحرص قبل عودته للقاهرة من تحصين جدة حتى لا يستولي عليها **البرتغاليين** في حال دخولهم البحر الأحمر، ومن ثم يغيرون منها على **مكة المكرمة والمدينة المنورة** , فأحاطها **الكردي سنة٩١٧ه** بسور شديد الإحكام من جوانبها الثلاث دون البحر، إذ بلغ طول **السور من الجنوب٨٠٠ ذراعا، ومن الشمال٨٠٠ ذراعا، ومن الشرق٦٠٠ ذراعا، وعزز السور بأبراج بلغ ارتفاعها ١٥ذراعا، ثم أحاط السور والأبراج بالخنادق ، أما أبواب المدينة فصنعت من الخشب المدرع المصفح واستعان الأمير حسين الكردي في توفير الموارد المادية اللازمة لبناء سور جدة وأبراجها بحلفائه سلاطين الإمارات الإسلامية في الهند، الذين استجابوا لطلبه بعد أن بين لهم أن سقوط جدة بيد البرتغاليين معناه تدمير المقدسات الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة**

هذا ولم يقتصر اهتمام **السلطان الغوري** على تحصين مدينة **جدة** وحدها، بل أنه أنشأ كذلك حول **مدينة ينبع ١٥٠ سورا حصينا وأبراجا منيعة، كما بنى في مدينة العقبة عدة أبراج وفساق، وزودها بطائفة من الجنود للحراسة تتجدد مرة في كل عام .**

وإلى جانب تحصين **ميناء جدة** وغيرها من موانئ **السلطنة المملوكية**، كرس **السلطان الغوري** جهوده في هذه الأثناء لبناء أسطول بحري جديد للقيام بحملة عسكرية جديدة ضد **البرتغاليين** في المياه **الهندية** وفي الواقع كان **الغوري** قد بدأ فعلا في بناء الأسطول منذ **سنة ٩١٤ ه/١٥٠٨م** بعث إليه **الأمير حسين الكردي** بعد معركة **شول** يطلب منه دعمه بالجنود والسفن ليعزز بها قواته ضد **البرتغاليين؛ فابن اياس يذكر أنه استعرض في شعبان سنة٩١٤ه/١٥٠٨م** ، ستا من السفن البحرية من نوع الأغربة في ميناء رشيد كانت الترسانة قد انتهت منها وعندما يأس **السلطان الغوري** من الحصول على

الأخشاب وغيـــرها من الأدوات اللازمة لبناء الأسطول الذي يجري إعداده في السويس من البندقية الذين تهربوا من إمداده بحجة خوفهم من العالم المسيحي .

أرسل يطلب العون من السلطان **العثماني بايزيـد الثاني** الذي أجابه في الحـال فأرسل إليه **في جمادى الثانية سنة ٥٩١٦/١٥١٠م**، حمل ثماني عشـــــرة سفنية من الأخشاب وغيـــرها من المعدات اللازمة لبناء السفن، وعندما علم السلطان بايزيـــد تعرض هذه الشحنة للقرصنة من فرسان الإسبتارية والاستيلاء عليها جميعها قبل وصولها الإسكندرية ، أســـــــرع بإرسال شحنة جديدة، حيث وصلت إلى ميناء بولاق **في شهر شوال سنة٥٩١٦/١٥١١م**، عدد من السفن تحمل **البنادق والبارود والأخشاب والنحاس والحديـد والحبـال والمراسي وغيـر ذلك** مما يحتاج إليه في بناء السفن، وقد أرسل كل ذلك هدية منه رافضا ثمنها .

وفي سنة ٥٩١٨/١٥١٢م ، عاد **السلطان الغوري** في إرسال موفد جديد من قبله **للسلطان بايزيـــــد** ليبتاع منه مقادير من لوازم صناعة السفن من **أخشاب ومكاحل نحاسية وحبال**، فأرسلها إليه السلطان **بايزيـد** هدية من عنده كالمرات السابقة وكانت دار الصناعة في مصر تصنع السفن لتحمل أجزاؤها مفككة علـــــى ظهور الإبل حيث يجري تجميعها وتركيبها على شاطئ **البحر الأحمر** .

وبينما كان **الغوري** مشغولا ببناء الأسطول واستعراض ما يجهز منه، وصلت إليه صرخات الاستغاثة من ملوك الهند ، يطلعونه على مراحل الغزو الصليبي الجديـد ، وعلى جرائم قراصنتهم بحق أملاكهم ومتاجرهم الـتي تعاظمت بعد انتصارهم علـى **الأميـر حسيـــــن الكردي** ، كما وصلت إليه الأنباء **سنة٥٩١٩/١٥١٣م**، توغل القائد **البوكيـرك** إلى داخل **البحر الأحمر**، ومهاجمته مدينة عدن وسواكن، واستيلائه علــى

جزيرة كمران، وأنه يعد العدة للهجوم علـــى جدة والأماكن المقدسة الإسلامية في **مكة المكرمة والمدينة المنورة** .

فبالنسبة إلى استجابة الغوري إلى طلب ملوك الهند، فقد رأى ضرورة إيجاد وحدة شاملة بــين ملوك الهند ليضعوا أيديهم في يده لتوجيه ضربة قاصمة للبــرتغاليــين، فأرسل لهذا الغرض بعثة للهند برئاسة "**الطواشـي بشيـر**"، وكان الطواشـي قد نزل في طريقه باليمن وقابل هناك **السلطان عامر بن عبد الوهاب** سلطان **الدولة الطاهرية**، وعرض خطط **السلطان الغوري** فيما يتعلق بتوحيد الجهـود معه ضد **البـرتغاليـين**، ثم واصل **الطواشـي** رحلته للهند إلا أنه علـى ما يبدو لم يستطع تجاوز باب **المندب** بسبب الحصـار الشديد الذي فرضه الأسطول **البــرتغالي** عند مدخل **البحر الأحمر** ولمواجهة خطر **البوكيــرك** علـى **جدة والأماكن الإسلامية المقدسة** في **الحجــاز** ، سارع **الغوري** فور وصول خبـر توغل **البوكيـــرك** في **البحر الأحمر**، بإرسال قائده البحري **حسيـــن الكردي** في **ربيع الأول سنة٩١٩هـ/١٥١٣م** علـــى رأس قوة مؤلفة من ثلاثمائة جندي إلى جدة للدفاع عنها حتى يتم تجهيز الحملة الكبيرة .

وفي يوم١١شوال سنة٩٢١هـ/١٥١٥م، أقلع الأسطول المملوكـــي من **جدة** إلى **الهند** بعد أن تولى قيادته الأمير **حسين الكردي** ويساعده **سلمان العثماني**، غير أنه قدر لهذه الحملـــة ألا تصل إلى هدفها النهائـــي **الهند**، بل أجبـــرتها الظروف الـــتي واجهتها أمام **السواحل اليمنية** على التوقف عند **عدن** .

(د/محمد عطا الله سالم – جهود السلطان الغوري
في التصدي لاطماع البرتغاليين في البحر الاحمر)

الصراع المملوكي العثماني :

(وهن اواصر الدولة المملوكية وأطماع بني عثمان)

كانت **دولة بني عثمان** في عنفوان شبابها وقتئذ وذلك أنهم كانوا قد فتحوا **القسطنطينية** قبل ذلك بقليل في **سنة سبع وخمسين وثمانمائة** واستولوا على ما كان باقيا بأيدي الروم من مملكتهم القديمة واستووا مكانهم على عرش **قسطنطين** وثلوا دولة **القياصرة** بتة فانقرضت وكان ذلك آخر العهد بها وضخمت بذلك **دولة آل عثمان** وهابتهم الملوك كافة، وكان أول من دخل **القسطنطينية** منهم **السلطان محمد** الملقب بالفاتح وأقام في السلطنة بها **ثلاثين سنة أو نحوها ومات سنة ثمان وثمانين وثمانمائة** فخلفه **ابنه بايزيد الثاني**، ولما كانت **سنة سبع عشرة وتسعمائة** خرج عليه ابنه **سليم** وانتزع منه الملك، وكان **سليم** هذا مقداما بعيد مرامي الهمة محبا للحروب مولعا بالفتوح حريصا على توسيع نطاق المملكة، وكان كثير المطامع إلا أن أشدها حبا إليه هو أن يلقب بالخليفة ويدعى **خادم الحرمين** الشريفين وهما مكة **وبيت المقدس** لأنه كان يرى أنه إذا أحرز هذه المنزلة وجبت له الطاعة على المسلمين كافة أيان كانوا، فلذا جعل الاستيلاء على الشام ومصر نصب عينيه ونوى إذا اخذها أن يقبض على **الخليفة العباسي**، فيكرهه على خلع نفسه من الخلافة والنزول له عنها ثم يأخذ مكة فتعترف له بلاد العرب بالإمامة على المسلمين كافة، وهكذا يحق له أن يلقب نفسه **بالخليفة خادم الحرمين**.

هذا مع تطرق الخلل في الدولة **الجركسية** ووهن قواها للفتن التي كانت تحصل بين الأمراء فيها , فأحدثت هذه الأمور تأثيرا في **المملكة المصرية** وأوهنت قواها وحل بها الهرم من جميع أطرافها والمملكة العثمانية في عنفوان شبابها وأوج عظمتها قد انبسط سلطانها وتناءت أطرافها وتقوت شكيمتها ،

وكان من قبل قد علق **بايزيد** آماله على الاستيلاء على **مصر** وما كان تابعا لها وبذر بذور

ذلك أيام دولته ولم يتم له ذلك لأن الأمور مرهونة بأوقاتها .

(الصراع بين سليم وأخويه)

كان السلطان **بايزيد الثاني** قد رزق بثمانية ابناء ، وكان **احمد** اكبر ابناء **السلطان بايزيد الثاني** سنا الذين بقوا على قيد الحياة واحبهم الى قلبه ، وكان يتمتع بشعبية كبيرة خصوصا بين الاعيان والامرء لطبعه الهادئ وعلمه واعتداله حتى ان بعض المصادر عدته ولي العرش .

اشتهر **احمد** بكونه اداريا قديراً ونال محبة كبيرة بين ابناء الشعب الا انه في الوقت نفسه واجه معارضة شديدة من قبل الانكشارية بسبب الهزائم العديدة التي مني بها لدى قيادته لها في الاناضول .

اما **قورقود** فكان محبوبا من قبل العلماء وحظي بتاييدهم اذ نشا في بلاط جده **السلطان محمد الفاتح** فكان ميالا للشعر والعلم والموسيقى وملك معرفة واسعة في العلوم الاسلامية وعرف ايضا برعايته الكبيرة للبحارة العثمانية وكان يحظى بشعبية واسعة في اواسط البحرية العثمانية التي لم تكن تتمتع بنفوذ كبير في الدولة مثل القوات البرية، الا انه لم يكن مرغوبا فيه من قبل كبار ضباط **الانكشارية** الذين نظروا اليه على انه غير جدير **بالعرش العثماني** .

ولما احس **قورقود** ان العرش اصبح بعيدا عنه قرر اخيرا ان يقلد سيرة عمه الامير **جم** حيث توجه الى **مصر في سنة ٩١٥ هـ/ ١٥٠٩** م بحجة اداء فريضة الحج .

في القاهرة لقي **قورقود** استقبالا حارا من السلطان **الاشرف قانصوه الغوري** الا ان الاخير لم يقدم له المساعدة لانشغاله في محاربة **البرتغاليين في البحر الاحمر** والمحيط الهندي علاوة

على عدم رغبته في اثارة غضب السلطان **بايزيد الثاني** لهذا قرر العودة الى بلاده، فطلب الامان من والده فاذن له بالعودة .

اما **سليم** الملقب ب **ياوز** اي **الرهيب او الشديد** ، لقوة طبعه فقد كان اقدر اخوته على تسيير سفينة الدولة الى بر الامان ، حيث كان على اطلاع واسع في السياسة مع حسن البلاء في الحرب ، ولذلك نال تاييد الجيش الذي كان ينظر اليه على انه الامل المرتجى في بعث النشاط الحربي للدولة العثمانية ودفع حركة الفتوحات الى الامام ونيل الغنائم .

عقد الانكشارية سنة ٩١٨ هـ/ ١٥١٢ م تجمعا في **استانبول** شارك في هذا التجمع الوزراء مع كبار المسؤولين العسكريين والمدنيين ، كما شاركت فرق الفرسان ، فبلغ عدد المجتمعين اكثر من اثني عشر الفا ، سار المجتمعون الى مقر **السلطان** **بايزيد الثاني** وطلب قادتهم مقابلة السلطان وفي اثناء المقابلة طلبوا منه ان يعزل نفسه ويجلس ابنه سليم مكانه ، اضطر السلطان تحت الضغط ان يتنازل لابنه **سليم** الذي استدعي الى العاصمة بصورة رسمية .

اقام **الانكشارية** تجمعا حافلا باستقبال **السلطان الجديد** **سليم**، والقى الاخير خطابا في الاجتماع جاء فيه **عندما اصبح سلطانا سوف لن امكث في القصور بل ساخرج الى فتح الممالك وستتعبون في عهدي اكثر مما ترتاحون فاذا كان مثل هذا التعب يناسبكم فاقبلوني سلطانا ، اما اذا اردتم اللهو والراحة فان السلطان احمد يقف هناك .**

في ٨ صفر ٩١٨ هـ/ ١٥١٢م عزل **السلطان بايزيد الثاني** عن عرش الدولة **العثمانية** اذ جلس ابنه **السلطان** **سليم** مكانه، وبعد جلوسه على العرش اصدر مرسوما لاخوته من اجل تثبيتهم كحكام على الاقاليم التي كانت تحت ايديهم ، وكنوع من الرضى عن جلوسه على العرش من اخوته، قابلوا هذا المرسوم بالقبول الا ان **احمد** الذي كان حاكما على

اماسية ، ما لبث ان خرج عليه ، فقام باحتلال مدينة **بورسة** وفرض على اهلها الضرئب الباهظة ، ترك **السلطان سليم** ابنه **سليمان** في العاصمة **استانبول** اذ قاد حملة عسكرية كبيرة **من سبعين الف** مقاتل في البر، وحملة بحرية كبيرة مؤلفة من **مئة وخمسين مركبا** ،استولى **السلطان سليم** على مدينة **بورسة** ، اما **احمد** فقد تمكن من الهرب الى انقرة ثم تبعه الى هناك، الا ان **السلطان سليم** لم يتمكن من القبض عليه، وذلك لوجود علاقة بين **احمد** واحد الوزراء المدعو **مصطفى** الذي كان ينقل تحركات السلطان **سليم** الى اخيه **احمد** ،

بعد ان علم السلطان سليم بخيانة الوزير امر بقتله ثم هرب احمد الى اماسية ، عاد السلطان سليم الى بورسة حيث امر بالقاء القبض على اولاد اخوته ثم امر باعدامهم ، كانوا خمسة اكبرهم عمره عشرون سنة واصغرهم لم يتخط سبع سنوات .

بعد وصول اخبار مذبحة الامرء الصغار حاول **السلطان سليم** استمالة اخيه **قورقود** ، حيث امر عدد من مساعديه ان يكتبوا له كتبا مزيفة تغريه بالخروج على السلطان، ووعدوه ان يساندوه في ذلك ثم جاء الرد الايجابي من **قورقود**

توجه السلطان **سليم** بكل سرعة على رأس عشرة الاف مقاتل الى مدينة **صاروخان** مقر اخيه **قورقود** الذي لم يتمكن من مقاومة هذا الجيش الا انه تمكن من الهرب لكن بعد عدة اسابيع من التحري والبحث تمكن الضابط **سنان باشا** – الذي كلفه السلطان **سليم** بالبحث . عن **قورقود** – من القبض عليه وإعدامه .

اما **احمد** فقد جمع جيش من معاونيه تمكن من خلاله من تحقيق بعض الانتصارات على جيوش السلطان **سليم**، الا ان المعركة الفاصلة كانت بالقرب من مدينة **يكي شهر في ١٧ صفر سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م**، انتصر فيها جيش السلطان **سليم** فتمكن **سنان باشا**

من اسر **احمد** ثم اعدامه .

كان للامير **احمد** ولدان هما **مراد** الذي هرب الى الشاه **اسماعيل الصفوي**، **وعلاء الدين** الذي هرب الى السلطان المملوكي الاشرف **قانصوه الغوري** ، ولما طلبهما السلطان **سليم** من **الشاه اسماعيل والسلطان الغوري** امتنعا عن تسليمهما ، فاسرها السلطان سليم في نفسه ، حيث كانت هذه الحادثة احد اسباب الصراع العثماني المملوكي، ولم يبقِ السلطان **سليم** من امراء العائلة الحاكمة غير ولده **سليمان** ذلك انه كان يعتقد ان ابناء اخوته سوف يدّعون الحق في العرش اثناء مدة غيابه في حملته المرتقبة ضد **اسماعيل الصفوي** .

(مخلف عبد الله صالح –

الصراع على وراثة العرش العثماني واثره على امارة دلغادر)

(أمارة دلغادر والصراع المملوكي العثماني)

اثناء عودة **السلطان العثماني سليم** من حملته ضد **الشاه اسماعيل** امر احد قادة جيشه **محمد باشا** بيقلي باحتلال حصن **كماخ** الذي استخدمه القزلباش لتهديد المواصلات بين **ارضرو وسيواس** ، اذ اشتهر هذا الحصن بمناعته حتى وصفه **القرماني** بقوله **من امنع حصون الدنيا** ، تاخر سقوطه **بيد العثمانيين حتى ٩٢٠ هـ / ١٥١٥م** حتى قدم **السلطان سليم** بنفسه من اجل الاسراع في فتح هذا الحصن ، واستولى العثمانيون ايضا على **قلعة بايبورد** وردا على الاندفاع **العثماني** الاخير عُقد تحالف جديد ضم كلا من **المماليك والصفويين وإمارة دلغادر** ، الا ان اي من المتحالفين لم يستطع التحرك علنا ضد العثمانيين ، مما اتاح فرصة ثمينة امام السلطان سليم لضربهم كلٌ على انفراد ، لذلك قرر السلطان **سليم مهاجمة امارة دلغادر** لكونها اصغر المتحالفين ، فضلا عن موقفها ابان الحملة التي شنها السلطان **سليم** ضد الشاه **اسماعيل** ولادرك **السلطان سليم** ان وضع الجنود **العثمانيين** لا يسمح بالخروج في حملة جديدة ضد **الشاه اسماعيل** في

الوقت الحاضر، ولتامين المناطق الشرقية من الاناضول، لذا اعتقد ان السيطرة على **امارة دلغادر** واخضاع العشائر والولايات شرقي **الاناضول** للسيطرة **العثمانية** يفي بهذا الغرض بدات **القوات العثمانية** هجوما على **امارة دلغادر في جمادي الاولى ٩٢١هـ/ ١٥١٥م** ، اذ تولى قيادتها كل من القائد **العثماني سنان باشا** ، **وعلي بك شاه سوار** الذي القى خطابا بين الجيشين بعد ان اصطفا للقتال بامر من **السلطان سليم- كان قصد السلطان سليم احداث فجوة وخلل في صفوف الجيش الدلغادري- اذ قال في خطابه من عرفني فقد كفي ومن لم يعرفني فانا ابن شاه سوار، اين من ربي في انعام ابي؟ اين المحبون لي ولوالدي؟ فلياتوا تحت سنجق علم من حماني من عدوي ، ولا بد لكل انسان من يحبه ويبغظه .**

بعد هذا الخطاب اصاب **الجيش الدلغادري الخلل والارباك** وتفرق قسم منه، فمن كان يكره **الامير علاء الدولة** لجا الى الجيش **العثماني** الذي فيه **ابن شاه سوار** كان قوام الجيش العثماني الذي هاجم **امارة دلغادر عشرة الاف جندي** اما **سليم** الذي لم يحضر المعركة فقد عسكر على مسافة قريبة من الامارة .

وفي يوم ٢٩ ربيع الثاني ٩٢١ هـ/ ١٥١٥م خاض الجيش الدلغادري اخر معركة له حيث **مني بهزيمة كبيرة في سهل كوكسن قرب مرعش** اضطر بعدها للهرب نحو **جبل تورنا**، وبعد مصادمات شديدة بين الطرفين قتل خلالها حاكم **الامارة المسن الامير علاء الدولة**- الذي كان عمره عند خوضه المعركة تسعين سنة - مع اربعة من اولاده، وثلاثين اميراً من امراء التركمان الذين قطعت رؤوسهم وارسلت الى السلطان **العثماني سليم** .

بهذا يكون السلطان العثماني **سليم** استراح من خطر جده لامه وانقرضت على يديه **امارة دلغادر** التي كانت تشكل حجر عثرة امام طموحاته .

ولم يعد للمماليك اي نفوذ في **امارة دلغادر** فقد اصبحت تابعة **للعثمانيين،** اذ سكت العملة لهم، وقرأت الخطبة باسم **السلطان العثماني** وعيّن السلطان **سليم في ٩٢١ هـ/ ١٥١٥ م علي بك بن شاه سوار**– الذي فر ايام سلفه علاء الدولة الى السلطان العثماني **بايزيد الثاني**– **اول بكلربك حاكم عثماني** على **امارة دلغادر** التي تاسست حديثا .

بعد القضاء على **علاء الدولة** وتعيين **علي بن شاه سوار** مكانه، ارسل السلطان **قانصوه الغوري** رسولا الى **السلطان العثماني سليم** يحمل رسالة يذكره فيها بان منح **ابن شاه سوار** حكم الامارة تصرف غير لائق – وبين السبب – اذ كان ابوه **شاه سوار** اساس الفتنة بين **سلاطين العرب والروم** ، واخذ جزائه حيث صلب في القاهرة، ودعا السلطان **الغوري** في رسالته – **السلطان سليم** ان يبعد **علي بن شاه** سوار عن اهتماماته ، وتمنى السلطان المملوكي ان تذكر الخطبة في امارة **دلغادر** على النظام السابق – اي للمماليك–

كانت ردة فعل السلطان سليم عنيفة وشديدة حيث رد على الرسول قائلا فلتقرأ الخطبة له ولتضرب السكة باسمه في مصر ان اراد

ان رسالة **السلطان المملوكي** اغضبت **السلطان العثماني** الذي رد على رسالة السلطان **قانصوه الغوري** بان بعث برأس **علاء الدولة** ومن معه الى **القاهرة** ، مع رسالة مطولة كان هذا الفعل تحديا سافرًا واعلانا واضحا للحرب من جانب **العثمانيين** ضد **المماليك،** فقد انتزعت **امارة دلغادر** باكملها من السيادة **المملوكية** ، قالها **ابن اياس** بوضوح : **"خرجت بلاد علاء الدولة من بين يدي السلطان ولم تنتطح في ذلك شاتان"**

هكذا اصبحت النوايا العثمانية واضحة في دفع الاحداث نحو الحرب وتصعيد الموقف، اما السلطان **قانصوه الغوري** الذي كان ميالا للسلم بطبعه، ومع كل ماجرى لم تكن ردة فعله سوى التعليق الذي قاله **للرسول العثماني** عند وصوله القاهرة وهو يحمل رؤوس امراء امارة

دلغادر ، حيث قال **ايش ارسلي هذه الرؤوس هي رؤوس ملوك الفرنج انتصر عليهم حتى ارسلهم لي** ، تهكما واستهزاء بالفعل الذي اقدم عليه السلطان سليم الذي ينافي فعل اسلافه من السلاطين العثمانيين في القتال والفتوح في اوربا .

بهذه الطريقة انتقلت امارة دلغادر الى حاضرة العثمانيين ، الذين عينوا علي بن شاه سوار اميرً على امارة دلغادر كاول بكلربكي حاكم على ولاية دلغادر، اذ كان معروفا بولائه للعثمانيين حيث شارك معهم في معركة جالديران ضد الصفويين ، كما وقف مع العثمانيين ضد المماليك في معركة مرج دابق ، عندما كانت قواته تشكل القوات المساعدة للجناح الايمن للجيش العثماني .

اما من الجانب المملوكي فعند خروجهم لملاقاة **السلطان سليم** في معركة **مرج دابق** كلف اولاد واقارب **علاء الدولة** الذين كانوا لاجئين لدى **السلطان المملوكي** في **مصر** منذ زوال امارتهم ، كان من بينهم اولاد **علاء الدولة** واخوه **عبد الرازق** الذي منحه السلطان **قانصوه الغوري** تقليد الامارة ، فضلا عن اعطائه **ثمانية الاف دينار** من اجل الخروج معه، وجمع عددا كبيرًا من **التركمان** .

سعى **السلطان قانصوه الغوري** الى استغلال الامير **قاسم ابن احمد شقيق السلطان سليم** كوسيلة ضغط اخرى ضد **السلطان سليم**، وكان **قاسم** فر- بعد مقتل ابيه على يد **السلطان سليم** - الى حلب، واستدعاه السلطان **قانصوه الغوري** الى مصر حيث دخلها سرًا، والتحق **قاسم** بحملة السلطان **قانصوه الغوري** الذي تركه في مدينة حماه ثم استدعاه الى **حلب**، كان **السلطان قانصوه الغوري** قد علق امالا كبيرة على وجود **قاسم** معه، اذ كان يعتقد بان الجيش **العثماني** سوف يتخلى عن **السلطان سليم** حال علمه بوجود **قاسم** في صفوف الجيش المملوكي وانه سوف يلتف حوله، لكن تلك الامال باءت بالفشل .

كذلك حاول السلطان الغوري استخدام ابن قورقود شقيق **السلطان** سليم للغرض ذاته ، وكان هذا قد لجا مع والدته الى **الشاه اسماعيل** اولا، وبعد هزيمة الاخير في **جالديران** على يد **السلطان** سليم هربت به والدته **الى** مصر، وعند خروج السلطان قانصوه الغوري لحرب السلطان سليما رد اصطحاب ابن قورقود معه،

إن **السلطان** سليما لما غزا شاه إسماعيل الصفوي سلطان العجم **سنة ٩٢٠**وجاء بالعساكر من طريق **البيرة** وكان نائبها يسمى **علاء الدولة** من طرف السلطان الغوري، فأمر علاء الدولة أهل **مرعش** أن لا يبيعوا على عسكر **السلطان** سليم شيئا مطلقا من المأكل والعلف فمات كثير من الناس والدواب من شدة الغلاء، فلما جرى ذلك حصل للسلطان سليم من الغم ما لا مزيد عليه، وكان **السلطان** سليم حاد المزاج فأراد أن يأمر العسكر بالحملة على تلك النواحي ويحاصر مرعش، فأشار وزراؤه عليه أن يرسل للغوري يعلمه بذلك، فأمر بكتابة مرسوم إليه يخبره بما فعل علاء الدولة فأجابه بأن علاء الدولة عاص أمري فإن قدرت عليه فاقتله، وخلع على قصاده وأرسلهم، ثم كتب الغوري مرسوما وأرسله خفية إلى علاء الدولة يشكره على ما فعل ويغريه على قتال السلطان سليم ولا يمكنه من شيء أبدا، وكان قصد الغوري إلقاء الفتنة بين الاثنين رجاء أن يقتل أحدهما أو كلاهما فيكتفي شرهما، فإنه كان يعرف شدة بأس كل منهما، فقوي قلب علاء الدولة على قتال **السلطان** سليم

وأما السلطان سليم فإنه لما قرأ جواب الغوري علم بفراسته أن ذلك خديعة له فتحملت نفسه من الغوري غاية التحمل وأسرها في نفسه فكان ذلك سببا لإثارة الفتنة بينهما حتى وقع ما وقع كما هو المشهور

قال القرماني في تاريخه في الكلام على الدولة الدلغادرية :

لما توجه **السلطان سليم** لقتال **شاه إسماعيل** وجاوز حدود البستان أغار جماعة من عسكر **علاء الدولة بن سليمان**)**صاحب البستان ومرعش وتلك النواحي**(صحبة بعض أولاده على أحمال ذخائر عسكر **السلطان سليم** فأخذ منه شيئا كثيرا، فلم يلتفت إليهم **السلطان** حتى عاد من غزو بلاد العجم وشتى بمدينة أماسية وعين جماعة من العسكر صحبة **سنان باشا** الطواشي إلى قتال **علاء الدولة**، واقتتل الفريقان بقرب البستان فانهزم عسكر علاء الدولة وقتل هو وكان عمره أكثر من تسعين سنة، فعين مكانه السلطان المبرور **الأمير علي بيك ابن شاه سوار** .

وقال ابن زنبل:

لما انثنى **السلطان سليم** راجعا من قتال شاه العجم **إسماعيل** الصفوي مظفرا منصورا يريد قتال **علاء الدولة** كان مع السلطان **سليم خان علي بك ابن شاه سوار** وكان **شاه سوار** هو الملك والحاكم على تلك الديار وهو أخو **علاء الدولة**، وكان **شاه سوار** قبض عليه على يد الأمير **يشبك الدوادار** وأرسل إلى مصر وشنق بها على باب زويلة في زمن السلطان **قايتباي** فأخذ الحكم بعده **علاء الدولة**

وكان **لشاه سوار** ولد أكبر أولاده فهرب إلى **السلطان سليم** فما زال عنده حتى وقعت هذه الحرب مع علاء الدولة واصطف الفريقان للقتال وخرج **ابن شاه سوار** إلى الميدان بين الجمعين بإذن من **السلطان سليم** وقال: **من عرفني فقد كفي ومن لم يعرفني فأنا ابن شاه سوار، أين من ربي في إنعام أبي أين المحبون لي ولوالدي؟ فليأتوا تحت سنجق من حماني من عدوي ولا بد لكل إنسان من يحبه ويبغضه .**

فارتج عسكر **علاء الدولة** وافترق منه بعضه فمن كان يبغض **علاء الدولة** مالوا إلى **ابن**

شاه سوار، فما تم **غير ساعة** حتى **قتل** علاء الدولة وغالب أولاده وقطعت رؤوسهم وجاؤوا بها إلى السلطان سليم فأرسلها إلى **الغوري** .

وقال القرماني: أرسل السلطان **سليم** وزيره **فرهاد** باشا بعسكر كثير إلى **قتال ملك مرعش والبستان الأمير** علاء الدولة فانتصر عليه فرهاد باشا وقتله وعين إمارة تلك البلاد إلى **علي بك بن شاه سوار ابن أخي علاء الدولة** .

(الطباخ – اعلام النبلاء)

(الصراع بين سليم شاه واسماعيل الصفوي)

إلا أنه رام قبل التصدي **للغوري** أن يتودد إلى السنية من رعيته ورعية **الغوري** بأن يغزو **إسماعيل شاه** المتغلب يومئذ على بلاد الفرس وكان شيعيا مغاليا وأكره الفرس على التشيع والغلو المفرط في الدين إلا أنه كان مع ذلك حليفا **للغوري** .

قال الشيخ مرعي المقدسي:

إن إسماعيل شاه هذا تغلب على فارس وقهر ملوكها وقتل من عساكرها ما ينيف على ألف واستفحل أمره وضخمت دولته وعتا ، فكان عسكره يسجدون له وقتل علماء السنة وأحرق كتبهم ونبش قبور المشايخ وأحرق عظامهم، فلما بلغ ذلك سليما تحركت نفسه لقتاله وعد ذلك من أفضل الجهاد .

قال: فزحف عليه في عسكر جرار والتقى الجيشان بقرب **تبريز** وجرت بينهما وقعة هائلة فانهزم جيش **إسماعيل** واستولى **سليم** على خيامه وسائر ما فيها ثم إنه أراد الإقامة **ببلاد فارس** للتمكن من الاستيلاء عليها فلم يتأت له لشدة القحط لأن الأسعار قد غلت حتى بيعت العليقة بمائتي درهم والرغيف بمائة درهم، وسبب هذا القحط تخلف قوافل الميرة التي كان **سليم** قد أعدها لتتبعه في مكان الحاجة فقطعها عنه نائب **مرعش** .

وكان **إسماعيل** لما انهزم أمر فأحرق ذخائر الحب والشعير كلها فلم يجد **سليم** في **تبريز** شيئا فاضطر إلى القفول عن **بلاد فارس** قبل إتمام فتحها .

فخرج السلطان الغوري بنفسه في عساكر مصر وسار إلى حلب يروم في الباطن إخافة سليم وتهديد ساقة جيشه إلا أنه أشاع في الظاهر أنه لا يروم سوى السعي في الصلح بين الترك والفرس، ولما كتب إليه سليم يشكو إليه ما فعله نائب مرعش أجابه أن النائب المذكور عاص علي فإن ظفرت به فافعل به ما شئت ودس إلى النائب سرا يشكره على ما فعل ويغريه بالاستمرار في معاسرة الترك، فلم تخف على سليم هذه المخاتلة وقفل عن بلاد فارس مصمما على البطش بالغوري وشرع يتجهز لذلك ويتأهب، وكان أول ما بدأ به أن انقض بجيشه على نائب مرعش وكسره شر كسرة واعتقله واعتقل بنيه ثم ضرب أعناق الجميع وأرسل برؤوسهم مع قصاده إلى الغوري وهو يومئذ بحلب مع عساكره فقال الغوري عندها: زال والله ملكنا، وأخذ يشنع على أفعال سليم على مسمع من قصاده وهو في كل ذلك يظهر أنه ما خرج في الجيش من مصر إلا ليصلح بين سليم وإسماعيل .

(الطباخ – اعلام النبلاء)

(في الطريق الى مرج دابق)

في المحرم سنة اثنين وعشرين وتسعمائة : تحقق السلطان أن ابن عثمان السلطان سليم خان زاحف على بلاده نادى للعسكر بأن كل من كان له فرس أو أكثر في الديوان يطلع يقبض ثمنه، وصار يأخذ بخواطر المماليك ويرضيهم بكل ما يمكن، وصرف لهم اللحوم التي كانت منكسرة وأعطاهم ثمن الخيول التي كانت لهم في الديوان كذلك أرسل السلطان مكاحل حديد ومدافع وصواناً إلى ثغر الإسكندرية وسافرت

في المراكب إلى هناك فكانت نحو مائتي مكحلة وقد بلغ أن ابن عثمان جهز عدة مراكب تجيء على السواحل للديار المصرية .

وفي صفر : طلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر فقال السلطان للخليفة لما جلس عنده: اعمل برقك إلى السفر وكن على يقظة فأنا مسافر إلى حلب بسبب ابن عثمان وقال للقضاة الأربعة مثل ذلك، فقالوا الأمر لمولانا .

وفيه : جلس السلطان بالميدان وعرض العسكر من كبير وصغير وكتب الجميع ففرض في ذلك اليوم أربع طباق ولم يعف من العسكر أحد .

كما عرض السلطان الأمراء وكان أعْلَمَهم أن العرض في هذا اليوم، فطلعوا جميعاً فقيل عُيّن في ذلك اليوم من الأمراء المقدمين ستة عشر أميراً، وأما الأمراء الطبلخانات والعشراوات فلم يعف منهم إلا القليل، وقال لهم الذي له عذر يعوقه عن السفر يذكره لي، فأعفي منهم جماعة،

وفي تاسعه أكمل السلطان عرض العسكر قاطبة ولم يعف منهم أحداً كما جلس في الميدان وعرض الأمراء والطبلخانات والعشراوات ورؤوس النوّاب، فلما عرضهم قال لهم اعملوا يرقكم وكونوا على يقظة من السفر فإني انفق وأخرج في جمعتي هذه فنزلوا على ذلك .

وفي حادي عشره طلع إلى القلعة ودخل إلى قاعة البيسرية وعرض في ذلك اليوم بكاير وقرقلات وجواشن وغير ذلك أشياء كثيرة من آلات السلاح من حواصل الذخيرة .

وفي رابع عشر منه، ورد على السلطان مطالعة من عند سيباي نائب السلطان بالشام فأرسل يقول: يا مولانا السلطان إن البلاد الشامية (غالية) والعليق والتبن لا يوجد، والزرع في الأرض لم يحصد، ولا ثَمّ عدو متحرك، ولا يتعب السلطان سره ولا يسافر،

وإن كان ثَمّ عدو متحرك فنحن له كفاية، فلم يلتفت السلطان إلى كلامه واستمر باقياً على حركة السفر إلى حلب.

وفي الثامن عشر منه أنفق السلطان على العسكر نفقة السفر وقد تحقق أمر خروج التجريدة فأنفق على كل مملوك مائة دينار وجامكية أربعة أشهر بثمانية آلاف، وثمن جمل سبعة دنانير، ثم السلطان كتب أولاد الناس قاطبة إلى السفر ولم يعطهم نفقة بل أعطاهم جامكية أربعة أشهر بثمانية آلاف، وكان سبب ذلك أن القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك قال للسلطان: إنا نظرنا في بعض التواريخ أن الملك الظاهر برقوق لما خرج إلى التجريدة لم ينفق على أولاد الناس شيئاً فأُعجب السلطان منه ذلك، وقطع نفقة أولاد الناس قاطبة فكثر عليه الدعاء من أولاد الناس بسبب ذلك كانت هذه الواقعة من أعظم مساوئه في حق أولاد الناس وحصل لهم كسر خاطر شديد .

وفي الحادي والعشرين منه وقف جماعة من أولاد الناس إلى السلطان بسبب النفقة، فلما وقفوا له ساعدهم الأمير علان الدودار وبقية الأمراء فلم يرثِ لهم السلطان وقال: أنا ما عندي نفقة لهؤلاء فالذي لا قدرة له على السفر يرد الأربعة شهور الجامكية التي أخذها وأنا أترك له شهراً ويستربح وتنقطع عني جامكيته، فرد جماعة كثيرة من أولاد الناس جامكية الأربعة شهور التي أخذوها واستمر أمرهم مبنياً على السكوت .

وفي الثالث والعشرين منه أكمل السلطان النفقة على العسكر قاطبة من مماليك وجلبان, ونادى عليهم في الحوش أن السفر أول الشهر فاضطربت أحوال العسكر وارتجت القاهرة، وعز وجود الخيل والبغال والأكاديش فأغلقت الطواحين قاطبة وامتنع

الخبز في الأسواق وكذلك الدقيق، ووقع القحط بين الناس وضج العوام وكثر الدعاء وأُغلقت أسواق القماش بسبب المماليك واختفى الصناع والخياطون واضطربت أحوال القاهرة، واختفى جماعة من التجار خوفاً من المماليك، واختفى طائفة من الغلمان خيفة السفر وصارت أحوال مصر مثل يوم القيامة كل واحد يقول يا رب روحي، وقد عاب العسكر على السلطان هذا الرهج الذي وقع منه ولم يمش على طريقة الملوك السالفة عند خروجهم للسفر، مع أنه لم يكن أمر يستحق هذا الرهج العظيم ولا جاءت أخبار بأن ابن عثمان قد وصل إلى حلب ولا جاليشه ولا تحرك على بلاده وعابوا على السلطان عرضه عسكر مصر قاطبة في أربعة أيام وانفق عليهم مع العرض فخشوا أن يشاع في بلاد ابن عثمان وبلاد الصوفي أن السلطان قد عرض عسكره جميعاً في أربعة أيام فينسبونهم إلى قلة، وأنه ما بقي عسكر بمصر وربما يطمع العدو إذا سمع بذلك وما كان هذا الرأي من الصواب وهذه الأحوال كلها غير صالحة .

وفي الخامس والعشرين منه أنفق السلطان على الأمراء وصار يستدعيهم واحداً بعد واحد مثل تفرقة الجامكية فأعطى لكل أمير طبلخانات خمسمائة دينار وأعطي لكل أمير عشرة مائتي دينار ولم يرسل للخليفة نفقة فحصل له غاية المشقة وترامي على جماعة من الأمراء أن يقرضوه مبلغاً بربح ودخل في جهته ديون كثيرة ولم يتفق قط أن السلطان إذا سافر إلى البلاد الشامية وصحبته الخليفة أن يخرج بلا نفقة، وكانت عادة جميع السلاطين أن برك نفقة الخليفة إذا سافر يكون على السلطان، وكان يرسل إليه خمسمائة دينار لأجل جوامك أتباعه فلم يلتفت السلطان لشيء من ذلك وشح معه في أمر النفقة وكان الخليفة مظلوماً مع السلطان في هذه الواقعة

وفي السادس والعشرين منه نزل السلطان من القلعة وتوجه إلى الريدانية، ورتب

الفراشين كيف ينصبون الوطاق إذا برز السلطان للسفر، ورتب منازل الأمراء وكيف تكون منازلهم بالريدانية

وفي هذا اليوم رسم السلطان لولده محمد أمير آخور كبير بأن يعمل برقه ويسافر صحبته، وكان في الأول رسم له بأن يكون مقيماً بباب السلسلة إلى أن يحضر السلطان ثم بطل ذلك ورسم له بأن يشرع في عمل برقه إلى السفر

وفي السادس من ربيع الآخر، برز السلطان خيامه إلى الريدانية وقد تحقق أمر سفره إلى البلاد الشامية، ثم نادى للعسكر في الميدان أن كل من جهز برقه ولم يبق له عاقة يخرج ويسافر ويتقدم قبل خروج السلطان، ولكن إلى الآن لم يعلق السلطان الجاليش الذي هو مقدمة الجيش إذا سافروا إلى البلاد الشامية، وكانت العادة أنهم إذا سافروا إلى البلاد الشامية يعلقون الجاليش قبل خروجهم بأربعين يوماً فلم يمش السلطان على طريقة الملوك السالفة

وفي سابع ربيع الآخر حضر خليفة سيدي أحمد البدوي . وقد حضر بطلب من السلطان . فلما مَثُل بين يديه قال له: إعمل برقك حتى تسافر صحبتي إلى حلب، فلما سمع ذلك تعلل وأظهر أنه ضعيف لا يقدر على السفر، فحنق منه السلطان وألزمه بالسفر ولم يقبل له عذراً، وأرسل يقول لخليفة سيدي أحمد الرفاعي إعمل برقك حتى تسافر صحبتي .

في يوم الاثنين عاشر ربيع الآخر خرج طلب السلطان .

وفي هذا اليوم خرج أمير المؤمنين المتوكل على الله وكان قدامه طبلين وزمرين ونفيراً، ولم يخرج في ذلك غير طلب السلطان فقط (ثم قال) إن السلاطين المتقدمة كانوا يخرجون إلى البلاد الشامية عندما تنتقل الشمس إلى برج الحمل في أوائل فصل الربيع والوقت

رطب، وأما الغوري فإنه سافر في قوة الحر والشمس في برج السرطان فحصل للعسكر مشقة شديدة في الطريق، وكان السلطان الغوري لا يقتدي إلا برأي نفسه في جميع الأمور

لما كان صبيحة يوم السبت خامس عشر ربيع الأول اجتمع سائر الأمراء والمقدمين عند السلطان بالميدان وهم بالشاش والقماش وكان عدة الأمراء الذين تعينوا للسفر صحبة الرِكاب الشريف خمسة عشر أميراً .

ولما انقضى أمر الأطلاب خرج السلطاني المسمى بالبرغش وهو في موكب عظيم قلّ أن يتفق لسلطان موكب مثل ذلك الموكب فكان في أول الموكب الأفيال الثلاثة وهي مزينة بأنواع الزينة، ثم ترادف العسكر المنصور بالشاش والقماش ثم الأمراء رؤوس النوّب بالعصيّ يفسحون الناس وقد ترادفت الأمراء الطبلخانات والأمراء العشراوات قاطبة ثم أرباب الوظائف من المباشرين تقدمت الأمراء المقدمون قاطبة وصحبتهم ولد السلطان المقر الناصري أمير آخور كبير وإلى جانبه الأتابكي سودون العجمي ثم تقدمت السادة القضاة الأربعة مشايخ الإسلام .

ثم أقبل السلطان وكان الخليفة قدامه بنحو عشرين خطوة، وكان السلطان راكباً على فرس أشقر بسرج ذهب وكنبوش وعلى رأسه كلوته وهو لابس قباء بعلبكي أبيض بطرز ذهب على حرير أسود عريض، قيل كان فيه خمسمائة ذهب ، أقبل والسنجق السلطاني على رأسه ومقدم المماليك سنبل العثماني خلفه وصحبته السلحدارية بالشاش والقماش والجم الكثير من الخاصكية والجمدارية، واستمر ذلك اليوم حتى خرج من باب النصر وكان يوماً مشهوداً ثم وصل إلى المخيم بالريدانية

ثم في عقب ذلك اليوم نزلت خوجخانات فيها الذهب الفضة وضمن واحدة من

الذهب العين ألفي ألف دينار خارجاً عن المعادن وقد فرّغ الخزائن من الأموال التي جمعها من أوائل سلطنته إلى أن خرج في هذه التجريدة وفرّغ أيضاً حواصل الذخيرة وأخذ ما فيها من التحف وآلات السلاح الفاخرة التي كانت بها من ذخائر الملوك السالفة من سروج ذهب وعقيق وغير ذلك من كنابيش زركش وطبول وبازات بلور ومينة وبركستوابات مكفتة وأكوار زركش وغير ذلك من التحف الملوكية، فنزل جماعة من كتاب الخزينة صحبة الخوجخانات وجماعة من الخزندارية وهم بالشاش والقماش فكانت تلك الخوجخانات محملة على خمسين جملاً، ثم نزلت الزردخانة وهي محملة على مائة جمل وقدامها طبلان وزمران وعيدان نقر على جمال فتوجهوا إلى الوطاق.

وأخذ الأمراء في الرحيل في الثامن عشر من ربيع الآخر وكان جملة ما مع هؤلاء الذين توجهوا صحبة السلطان تسعمائة وأربعة وأربعين مملوكاً على ما قيل، ويقال أن عدة المماليك الذي خرجوا في هذه التجريدة من القرانصة والجلبان وأولاد الناس خمسة آلاف نفر .

ولما كان السلطان بالمخيم الشريف ورد عليه مطالعة من عند نائب حلب فيها أن ابن عثمان أرسل قاصداً فعوقناه عندنا وأخذنا الكتاب منه وها هو واصل إليكم فوصل إليه وهو بالمخيم بالريدانية .

لما فكه السلطان وقرأه فإذا فيه عبارة حسنة وألفاظ رقيقة منها أنه أرسل يقول: أنت والدي وأسألك الدعاء وإني ما زحفت على بلاد دولات إلا بإذنك وأنه كان باغياً علي وهو الذي أثار الفتنة القديمة بين والدي السلطان قايتباي حتى جرى ما جرى وهذا كان غاية الفساد في مملكتكم وكان قتله عين الصواب، وأما ابن سوار الذي ولي مكانه فإن حسن ببالكم أن تبقوه على بلاد أبيه أو تولوا غيره فالأمر راجع إليكم وأما

التجار الذين يجلبون مماليك الجراكسة فإني ما منعتهم وإنما هم تضرروا من معاملتكم في الذهب والفضة فامتنعوا عن جلب المماليك إليكم وأن البلاد التي أخذتها من علي دولات أعيدها لكم وجميع ما ترومونه ويريده السلطان فعلناه، فلما سمع السلطان ذلك أحضر الأمراء المقدمين وقرأ عليهم كتاب ابن عثمان فانشرح الأمراء والسلطان لهذا الخبر واستبشروا بأمر الصلح والعودة إلى الأوطان عن قريب، وكان هذا كله حيلاً وخداعاً من ابن عثمان حتى يبلغ بذلك مقاصده وقد ظهر حقيقة ذلك فيما بعد .

في الثاني والعشرين من ربيع الآخر رحل السلطان من المخيم الشريف بالريدانية وصحبته الخليفة والقضاة الأربعة وولده المقر الناصري أمير آخور كبير وأقاباي الطويل أمير آخور كبير ثاني وكانت مدة إقامته في الوطاق بالريدانية سبعة أيام .

وفي رابع جمادى الأولى أن السلطان الغوري وصل إلى مدينة غزة .

ولما كان السلطان في غزة ورد عليه مكاتبة من عند سيباي نائب الشام يذكر فيها: الذي يعرضه المملوك على المسامع العالية أعلاها الله تعالى وأدامها أن العبد سمع بأن السلطان يريد السفر إلى قتال ابن عثمان وأن المملوك يقوم بهذا الأمر ويكون السلطان مقيماً بمصر ويمد المملوك بالعساكر المنصورة والذي يعلم به مولانا السلطان أن خير بك ملاحي علينا ومكاتيبه لا تنقطع من عند ابن عثمان في كل حين فرد عليه السلطان: هانحن قد جئنا بأنفسنا ثم أمر بالرحيل بالجيش والعساكر وهم يموجون كالبحر الزاخر والسحاب الماطر .

ومن غريب صنع الله تعالى أن السلطان الغوري كان له رمال حاذق فكان كل حين يقول له: انظر إلى من يلي الحكم بعدي فيقول: حرف السين فكان يعتقد أنه سيباي، وكان كلما كتب سيباي للسلطان بما يفعله خير بك نائب حلب من المكاتبات

للسلطان سليم بأنه معه وأنه ملاحي على أبناء جنسه ويحرضه على المجيء إلى أخذ مصر من الجراكسة، والسلطان الغوري لا يقبل من سيباي نصيحة حتى نفذ قضاء الله تعالى وحكمه وقدره .

وكان السلطان الغوري يعلم أن سيباي بطل من الأبطال ولا يخطر الموت له على بال، وكان رجلاً يعدّ برجال فكان السلطان لا يحسب إلا حسابه، أما خير بك فإنه لم يكن السلطان يحسب له حساباً لما يعلم من جبانته وعدم شجاعته.

في ثاني جمادى الأولى وصل السلطان إلى الشام .

وفي العاشر من جمادى الآخرة وصل السلطان قانصوه الغوري إلى حلب فكان لدخوله يوم مشهود وقدامه الخليفة والقضاة الأربعة وسائر الأمراء كموكبه بالشام، وحُملت القبة والجلالة على رأسه وكان حاملها ملك الأمراء خير بك نائب حلب كما فعل سيباي نائب الشام .

لما دخل السلطان الغوري إلى حلب حضر قصّاد سليم شاه ابن عثمان ملك الروم فقيل له أنه أرسل إليه قاضي عسكره وهو شخص يقال له ركن الدين وأحد أمرائه يقال له قراجا باشا وصحبتهم سبعمائة عليقة فنزلوا بمدينة حلب وبلغني من الكتب الواردة بالأخبار أن السلطان لما حضر بين يديه قاضي ابن عثمان وقراجا باشا شرع يعاتبهم على أفعال ابن عثمان وما يبلغه عنه وما جرى منه في حقه وأخذه لبلاد علي دولات، فقال له القاضي وقراجا باشا: نحن فوض لنا أستاذنا أمر الصلح وقال كل ما اختاره السلطان افعلوه ولا تشاوروني وكل هذا حيل وخداع حتى تبطل همّة السلطان عن القتال وينثني عزمه عن ذلك وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد

ثم أن قاضي ابن عثمان أحضر فتاوى من علماء بلاد الروم وقد أفتوا بقتل شاه

إسماعيل الصوفي وأن قتله جائز في الشرع وأرسل يقول في كتابه للسلطان: أنت والدي وأسألك الدعاء ولكن لا تدخل بيني وبين الصوفي ومن جملة مخادعة ابن عثمان للسلطان الغوري أنه أرسل يطلب منه سكراً وحلوى، فأرسل له الغوري مائة قنطار سكر وحلوى في علب كبار وهذه حيلة منه، وأرسل يقول في كتابه أني لا أحول على إسماعيل شاه أبداً حتى أقطع أثره من وجه الأرض فلا تدخل بيننا فيما يكون من أمر الصلح، وأظهر أنه قاصد نحو الصوفي ليحاربه والأمر بخلاف ذلك في الباطن، وذكروا له أنه على قيسارية يقصد التوجه على الصوفي، ثم إن السلطان خلع على قصّاد ابن عثمان الخلع السنية، وقيل أن ابن عثمان أرسل إلى السلطان تَقدِمة حافلة وللخليفة وأمير كبير سودون العجمي .

بعد توجه الأمير مغلباي إلى السلطان سليم جهز السلطان الأمير كرتباي أحد الأمراء المقدمين إلى سليم وصحبته هدية حافلة وذلك بعد أن خلع على قاضي عسكر عثمان ووزيره قراجا باشا خلعة سنية وأذن لهما بالعودة إلى بلادهما، وكان هذا هو عين الغلط من السلطان الغوري، حيث أطلق قصّاد ابن عثمان قبل أن يحضر مغلباي ويظهر له من أمر ابن عثمان ما يعتمد عليه .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

فلما دخل الامير مغلباي ووقف بين يدي السلطان **سليم** نظر إليه ملياً وامتلأ من الغيظ ثم قال للأمير **مغلباي**: **استاذك ما كان عنده رجل من أهل العلم يرسله لنا وإنما أرسلك بهؤلاء يرعب بها قلوب عسكري ويخوفهم برؤية أجناده؟ ولكن أنا أكيده بمكيدة أعظم من مكيدته** , ثم أمر برمي رقبة مغلباي وجماعته وصاح من صميم قلبه بجلاد، فارتجفت قلوب الحاضرين لذلك، فقام الوزير يونس باشا وقبّل الأرض بين يديه وقال: **الرسول لا**

يقتل وليس له ذنب، فقال السلطان: **لا بد من ذلك** فأجاب الوزير: **فإن كان لابد فابقِ كبيرهم مغلباي** فأمر بحبسه ورمى رقبة العشرة قدام أوطاقه واحداً بعد واحد وهو ينظر إليهم وحبس مغلباي بقلعة زمنوطو يومين ثم أحضره وحلق ذقنه وألبسه طرطور وأركبه حمار أعرج معقور وقال له: **قل لأستاذك يجتهد جهده وها أنا متوجه إليه!.**

وقال له: **قل لأستاذك هذا خارجي وأنت مثله، وأنا أقاتلك قبله، والميعاد بيننا وبينك في مرج دابق .**

(الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة 1/ 298)

ولما وصل الأمير كرتباي إلى عينتاب بلغه أن السلطان ابن عثمان أبي الصلح وقبض على مغلباي ووضعه في الحديد بعد أن قصد شنقه، فشفع بعض وزرائه فيه وقصد حلق لحيته وقد قاسى منه من البهدله ما لا يمكن شرحه فلما تحقق الأمير كرتباي ذلك رجع إلى حلب وأعلم السلطان ما فعله سليم شاه بالأمير مغلباي، وأن طوالع عسكره قد وصلت إلى عينتاب وملكت قلعة ملطية وبهسنا وكركر وغير ذلك من القلاع ولما وصل الأمير كرتباي بهذه الأخبار الرديئة إلى السلطان، اضطربت أحواله وأحوال الناس وأحوال العسكر قاطبة .

ما زال السلطان الغوري يكذب في أمر السلطان سليم شاه تارة ويصدق أخرى إلى أن حضر الأمير مغلباي وهو في حال نحس بزنط أقرع على رأسه وعلى بدنه كَبَر عتيق وهو راكب على اكديش هزيل وقد نهب جميع برقه وأخذت خيوله وقماشه وأخبر أن ابن عثمان أبي الصلح وقال له: قل لأستاذك يلاقينا على مرج دابق وأخبره أنه وَضَعه في الحديد وقصد أن يحلق ذقنه وقدمه إلى الشنق ثلاث مرات فشفع فيه بعض وزرائه، وحمّله الزبل من تحت خيله في قفة على رأسه، وقاسى منه الهوان والأهوال ما لا خير

فيه فلما سمع السلطان هذه الحكاية تحقق وقوع الفتنة بينه وبين ابن عثمان.

(ابن اياس – بدائع الزهور)

جمع السلطان الأمراء والأعيان وتحالفوا على أن لا أحداً منهم يخون صاحبه وأن يكونوا على قلب رجل واحد ويقاتلوا عدوهم .

فقام من بينهم **سيباي نائب الشام** وقبض على **خاير بك** نائب **حلب** وجره بين يدي **السلطان الغوري** وقال: **يا مولانا السلطان إذا أردت أن الله ينصرك على عدوك فاقتل هذا الخائن،** وكان **خايربك** في يده كالشاة بين يدي السبع وهو يجره

قال ابن إياس: كان خاير بك موالسا على السلطان في الباطن .

فقام الأمير **جانبرد الغزالي** وقال: **يا مولانا السلطان لا تفتن العسكر وتبدأ في قتال بعضهم بعضاً وتذهب أخباركم إلى عدوكم ويزداد طمعه فيكم وتضعف شوكتكم والرأي لكم،** وتأخر في مكانه، وهذه مكيدة من **الغزالي**، وإلا كان **خاير بك** قد هلك عند ذلك أمرهم **السلطان** أن يتحالفوا أن لا يخون منهم أحد والخائن يجازيه **الله** تعالى، وعليه لعنة **الله** تعالى .

أمر **السلطان** أن ينادى في حلب بالرحيل منها بالعسكر لقتال السلطان **سليم**، وأن يتأهب كل واحد ويستفيق لنفسه .

خرج من حلب في نحو ثلاثين ألفاً، وترك السلطان ولده في قلعتها.

(الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة 1/ 298)

يوم السابع عشر من شهر رجب، وقد أشيع أن ابن عثمان ماش من جهة وابن سوار ماش من جهة ثم خرج السلطان من ميدان حلب يوم الثلاثاء العشرين من رجب ، بعد أن صلى الظهر وصحبته أمير المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الأربعة وكان قد تقدمه

نائب الشام ونائب حلب وجماعة من النواب فخرجوا بأطلاب حربية وطبول وزمور ونفوط حتى رجّت لهم حلب، فلما خرج السلطان من حلب توجه إلى حيلان فبات فيها .

صبيحة يوم الأربعاء في الحادي والعشرين من رجب، رحل السلطان الغوري من حيلان، وتوجه إلى مرج دابق فأقام به إلى يوم الأحد الموافق للخامس والعشرين من رجب .

فصلى صلاة الصبح ثم ركب وتوجه إلى زغزغين وتل رفاد . قيل أن هناك مشهد نبي الله داوود عليه السلام . فركب السلطان وهو بتخفيفة وملوطة على كتفه طبر وصار يرتب العسكر بنفسه وكان أمير المؤمنين على الميمنة وهو بتخفيفة وملوطة وعلى كتفه طبر مثل السلطان وعلى رأسه الصنجق الخليفتي وكان حول السلطان أربعون مصحفاً في أكياس حرير أصفر على رؤوس جماعة أشراف وفيها مصحف بخط الإمام عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وكان حول السلطان جماعة من الفقراء وهم خليفة سيدي أحمد البدوي ومعه أعلام، والسادة الأشراف القادرية ومعهم أعلام خضر، وخليفة سيدي أحمد الرفاعي ومعه أعلام، والشيخ عفيف الدين خادم السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها بأعلام سوداء وكان الصبي قاسم بك بن أحمد بك بن عثمان واقفاً بإزاء الخليفة وعلى رأسه صنجق حرير أصفر وقيل أحمر وكان الصنجق السلطاني خلف ظهر السلطان بنحو عشرين ذراعاً وتحته مقدم المماليك سنبل العثماني، والسادة القضاة الأربعة والأمير تمر الزردكاش أحد المقدمين وكان على ميمنة العسكر الأمير سيباي نائب الشام، وعلى الميسرة خاير بك نائب حلب .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

كان السلطان الغوري على شيء من الدهاء لا يخلو من حسنات، أعدَّ للأيام عدتها من

الماديات وأدرك ما يحيق بمملكته من خطر ابن عثمان ولكن ما ينفع التدبير إذا كانت المعنويات في حكومته مريضة ضئيلة.

إن **السلطان سليماً** وصل إلى دمشق في عساكر عظيمة لم تر العين مثلها يقال: إن عدتها **مائة ألف وثلاثون ألفاً.**

(معركة مرج دابق)

التقى الجمعان في مرج دابق وباتوا تلك الليلة على غير حرب ولكن لم يهنأ لأحد منهم نوم خوفا من مكر بعضهم لبعض .

ولما اتضح نهار **يوم الأحد الموافق للثالث والعشرين من رجب** ركبوا كالبحر الزاخر فإذا صفوف العثمانية قد بانت صفا بعد صف خارجا عن الوصف والأعلام الملونة من اليسار والميمنة وهم سائرون كالبحر السيال وقد رتبوا الصف من كل طرف، ثم طيروا من الطرف الكبير الذي فيه **السلطان سليم** مدفعا كبيرا كالبرق الخاطف والرعد القاصف تزلزلت منه تلك الصحراء وطلع دخان كالجبال الزرقاء،

وفي جانب الجراكسة وقف **السلطان** والسادة القضاة الأربعة والأمير **تمر الزردكاش** أحد المقدمين، وكان على ميمنة العسكر الأمير **سيباي** نائب الشام وعلى الميسرة **خاير بك** نائب حلب ، فقيل أول من برز إلى القتال في الميدان الأتابكي **سودون العجمي** وملك الأمراء **سيباي** نائب الشام والمماليك القرانصة دون المماليك الجلبان فقاتلوا قتالا شديدا هم وجماعة من النواب فهزموا عساكر **ابن عثمان** وكسروهم كسرة مهولة منكرة وأخذوا منهم سبع صناجق وأخذوا المكاحل التي على العجل ورماة البندق، فهم **ابن عثمان** بالهرب أو بطلب الأمان وقد قتل من عسكره فوق العشرة آلاف إنسان وكانت النصرة لعسكر مصر أولا .

فبينما هم على ذلك وإذا بالأتابكي سودون العجمي قتل في المعركة وقتل ملك الأمراء سيباي نائب الشام فانهزم في الميمنة من العسكر جانب كبير .

ثم إن **خاير بك** نائب حلب انهزم وهرب فكسر الميسرة وكان موالسا على **السلطان الغوري** في الباطن وهو مع **ابن عثمان** على السلطان وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد فكان أول من هرب قبل العسكر قاطبة وأظهر الهزيمة .

وصار السلطان واقفا تحت الصنجق في نفر قليل من المماليك فشرع ينادي:

يا أغوات هذا وقت المروءة هذا وقت النجدة، فلم يسمع له أحد قولا وصاروا يتسحبون من حوله وهو يقول للفقراء: **ادعوا الله تبارك وتعالى بالنصر فهذا وقت دعائكم**، وصار لا يجد له معينا ولا ناصرا فانطلقت في قلبه جمرة نار لا تطفأ .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

وأما الأمراء فقد اعتمدوا على **الله** تعالى في حملاتهم وأخلصوا في نياتهم وصدموا الروم وضرب الروم بالمدافع والبندقيات حتى صار النهار كالليل الحالك من كثرة الدخان والغبار من حوافر الخيل لأنهم كانوا يقاتلون من قلب رجل واحد ونيات متفقة ليس لأحد منهم في قلبه غل ولا مكر ولا حسد لأحد، وهذا أحسن ما يكون لمن يريد النصر ومن أعجب ما يكون من العجب أن هؤلاء القوم القريبين من الألفي فارس المتقدم ذكرهم من الجراكسة يقاتلون قتال الموت في نحو مائة وخمسين ألفا من الروم والترك ما بين ألوف مشاة ومثلهم خيالة من عسكر الروم .

ثم حمل **كرتباي** الوالي وكان فارس المنايا **لله** دره من شجاع، ثم حمل **تمر الزردكاش وبخشباي** أمير مجلس والأمير **أنسباي** حاجب الحجاب والأمير **قانصوه كارت** والأمير **تاني بك الخازندار** والأمير **تاني بك النجمي** والأمير **بيبرس** ابن عم السلطان **الغوري** والأمير

قانصوه أبو سنة والأمير الفاخر والأمير خير بك المعمار والأمير جانبر دي نائب بيروت والأمير جانبر دي الغزالي وخير بك نائب حلب، وكلاهما كانا رأس المتعصبين على الغوري، والأمير تمراز نائب طرابلس، وحملوا جماعتهم حملة واحدة وصادموا الروم ومالوا في القتال والروم الآخرون لاقوهم كالأسود .

ثم حطموا عليهم حطمة واحدة، وطيروا الجراكسة والعربان والمشاة مثل القطر في الثرى وصار النهار مثل القيامة الكبرى، وكان يجيء كل مدفع على نحو خمسين أو ستين أو مائة نفس فصارت تلك الصحراء كالمجزرة من الدماء، ومازال الروم والسلطان سليم سائرين حتى جاؤوا الى صف الغوري فرجع خير بك والغزالي مع من انهزم من الجراكسة حتى دخلوا وطاق الغوري ونادوا: **الفرار الفرار فإن السلطان سليما أحاط بكم وقتل الغوري والكسرة علينا** وانثنى طالبا حلب، فتبعه الجلبان وتشتت العسكر وظنوا أن السلطان قتل كما قال خير بك .

ولما أضرمت نار الحرب فر الغزالي وخير بك إلى ناحية عسكر السلطان سليم بمن معهم من أمراء الديار الشامية وبقي الغوري بعسكر المصريين والمعوَّل عليهم من أمرائها من الشراكسة قد استمالهم السلطان سليم فقاتلوا في صفوفه بدلاً من أن يقاتلوه ونائب الشام الذي كان يتطير منه الغوري لأن اسمه يبدأ بحرف السين قد هلك دونه في المعركة يدافع عن مُلك سيده لا كما كان يتوهم .

ولما انهزمت ميمنة الغوري وقتل الأتابكي سودون وملك الأمراء سيباي نائب الشام، انهزم جانب كبير من العسكر وانهزم خير بك وهرب فانكسرت الميسرة .

وكان الغوري قد خانه لأول الأمر ثلاثة عشر ألفاً من جيشه، وامتنعوا عن الحرب عند الصدمة الأولى وأبوا قتال الأتراك،

وكان **ابن معن** وأمراء الساحل صحبة **خير بك والغزالي** فقال الأمير **ابن معن** لمن معه من رجاله وقومه: **دعونا ننفرد لننظر لمن تكون النصرة فتقاتل معه.**

وقد أقامت هذه الواقعة من طلوع الشمس إلى ما بعد الظهر وانتهى الحال إلى الأمر الذي قدره **الله** تعالى فقتل في تلك الوقعة من عسكر **السلطان ابن عثمان** ومن عسكر **السلطان الغوري** ما لا يحصى عدده ، وأكثر من قتل من عسكر مصر المماليك القرانصة ولم يقتل من مماليك الجلبان إلا القليل فإنهم لم يقاتلوا في هذه الواقعة ولا ظهر لهم فروسية ولا جذبوا سيفا ولا هزوا رمحا فكأنهم خشب مسندة، وقتل من أمراء مصر ودمشق وحلب فوق الأربعين أميرا، وقتل في ذلك اليوم القاضي ناظر الجيش **عبد القادر القصروي** وجماعة كثيرة من الجند،

وكانت ساعة يشيب منها الوليد ويذوب لسطوتها الحديد، فكان مرج دابق فيه جثث مرمية وأبدان بلا رؤوس ووجوه معفرة بالتراب قد تغيرت محاسنها، وصار في ذلك المكان خيول مرمية موتى وسروج مفرقة وسيوف مسقطة بذهب وبركستونات فولاذ بذهب وخوذ وزرديات وبقج قماش فلم يلتفت إليها أحد وكل من العسكرين قد اشتغل بما هو أهم من ذلك .

ثم إن **سليما** زحف بعسكره وأتى إلى وطاق **السلطان** فنزل في خيامه وجلس في المدورة واحتوى على الطشتخاناه وما فيها من الأواني الفاخرة وعلى الزردخاناه وما فيها من السلاح وعلى خزائن المال والتحف، ونزل كل أمير من أمرائه في وطاق أمير من أمراء الغوري واحتوى على ما فيها فاحتوى على وطاق خمسة عشر أميرا مقدمي ألوف خارجا عن أمراء الطبلخانات والعشراوات، واحتوى العسكر على خيام العسكر المصري والشامي والحلبي وغير ذلك

ولم يقع قط لأحد من سلاطين مصر مثل هذه الكائنة ومات تحت صنجقه في يوم واحد وانكسر على هذا الوجه أبدا ولا سمع بمثل ذلك ونهب ماله وبركه بيد عدوه غير قانصوه الغوري وكان ذلك في الكتاب مسطورا .

ولم نر في التواريخ القديمة والحديثة وقعة مثل هذه الوقعة ولا اجتمع فيها مثل هذين العسكرين ولا أكثر عددا .

وكان فقدان المدافع من جيش **الغوري** وخيانة ربع جيشه وعدم ثقته بأحد من دواعي القضاء عليه وعلى سلطانه، وأهم ذلك خيانة بعض قواده وامتناع الأمراء عن الدفاع في صفوفه أو يظهر لهم .

فلما تحقق الغوري أنه غُلب أصابه للحال فالج أبطل شقه وأرخى حنكه، واستعد للركوب فمشى خطوتين وانقلب عن الفرس إلى الأرض وفاضت روحه من شدة قهره، وأكثر المؤرخين على أنه لم تظهر جثته في المعركة.

(كرد علي – خطط الشام 209/2)

قال ابن زنبل الرمال :

فلما وقع **السلطان الغوري** على الأرض، رمى حامل الصنجق الرمح وأخذ القماش المطرز وكان يساوي ثلاثة آلاف ذهب فقال **الأمير علاّن لأقباي الطويل: ما ترى في أمر السلطان؟ قال له: قل ما عندك قال: إن نحن تركناه ورحنا وخليناه يأتي الأعداء فيقتلونه ويأخذون رأسه يطوفون بها جميع بلاد الروم قال: فما الرأي أن نقطع رأسه ونرمي بها في هذا الجب والجثة بلا رأس لا يعرفها أحد؟**

قال: نِعمَ الرأي فأمر الأمير علاّن عبداً من عبيده فقطع رأس السلطان الغوري ورمى بها في جبّ هناك ثم ولّى الأمير علان إلى ناحية حلب وأما الأمير أقباي الطويل فإنه

طلب ناحية العجم وأقام بها إلى أن مات

وأما **السلطان** من حين مات لم يعلم له خبر ولا وقف له على أثر ولا ظهرت جثته بين القتلى فكأن الأرض قد ابتلعته في الحال وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، فداس العثمانية وطاق **الغوري** بما فيه من الأمتعة والأرزاق التي كانت حوله بأرجل الخيول وفقد **المصحف العثماني** وداسوا أعلام الفقراء وصناجق الأمراء ووقع النهب في أرزاق عسكر مصر وبرقهم **وزال ملك الأشرف الغوري** في لمح البصر فكأنه لم يكن **فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير،** فاضمحل أمره وزال ملكه بعد ما تصرف في ملك مصر وأعمالها والبلاد الشامية وأعمالها، **وكانت مدة سلطنته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما**

وأما الأمراء الذين التهوا بالقتال مع الروم فإنهم فاض عليهم بحر المنايا وزاد، وابتلوا بعساكر ملأَت السهل والواد، واجتمع عليهم ذلك الجمع الكثير، وخاضت خيولهم في بطون القتلى فقاتلوا قتال من قطع من الدنيا أمله فقصدهم الرماة بالبندق

وأما الأمراء فمنهم من تشتت في البلاد ومنهم من قتل وانهزمت تلك الجموع فتمكن عسكر **السلطان سليم** من أوطاق **الغوري** وأخذوا كل ما فيه وكأن شيئاً يفوق الوصف من الذهب والفضة والقناطير المقنطرة ومن البرق والملبوس والتحف التي جمعتها الملوك السابقة ذهبت كلها ونهبت في يوم واحد وذلك بالنسبة لما أبقاه السلطان في قلعة **حلب** وما أودعه الأمراء والأجناد عند أهل **حلب** وهو شيء لا ينحصر قليل جداً .

فتشتت شملهم وذهبت حميتهم وانكسرت شوكتهم بعد تلك القوة والمنعة العظيمة والبأس الشديد .

وأما خير بك فإنه دخل حلب وأخذ سيدي محمد ابن الغوري وكان أبقاه أبوه على خزانته وأمواله بقلعة حلب فأخبره أن ابن شاه سوار نزل على حيلان بعشرين ألف

فارس وهو قاصد أخذك وأخذ حلب، فقال سيدي محمد: فما الرأي يا أمير خير بك، قال: الرأي أن تنادي في العسكر بالرحيل إلى مصر ويجتمع إليك ما شئت من العسكر وتكون ملك مصر موضع أبيك وأنا مساعد لك في ذلك، فصدقه في ذلك ونادى في حلب بالرحيل إلى مصر ومن له رغبة في المسير إلى مصر فليتبعنا، فخرجت الناس على وجوههم وتركوا أثقالهم وأموالهم واختاروا سلامة الروح وكانت مكيدة، وخرجوا من حلب كالهاربين، وفعل ذلك خير بك حتى يأخذ حلب للسلطان سليم من غير حرب وكان الأمر كذلك، فإنه أرسل إلى السلطان يخبره بما فعل وأنك تسير في هذا الوقت إلى حلب فإنها خالية من العسكر المصري، وأما عسكر حلب فمن أطاعنا أبقيناه مجيء السلطان سليم إلى حلب واستقبال الأهالي له في الميدان الأخضر

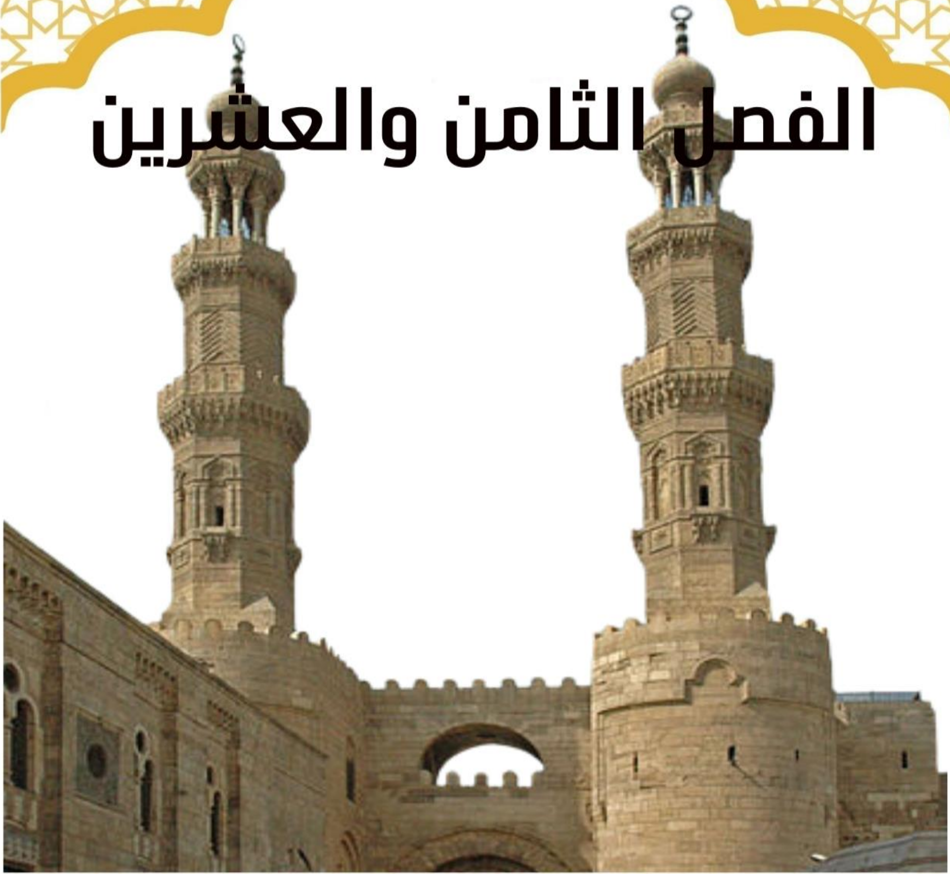
خرج ابن سلطاننا من دمشق إلى مصر، ومعه جميع العسكر المنهزمين والمباشرين وإمرأة النائب سيباي الذي فقد في أرض المعركة مع السلطان الغوري وابنتها التي هي زوجة ابن السلطان المذكور

ولما استقرت الحال بالشام ضرب **السلطان سليم** المكوس على الناس وعلى الأحكام الشرعية فتعطلت الحدود.

ولما بلغ الإمام **علي بن محمد المقدسي** أن العثمانيين ضربوا الجزية حتى على الموسات تنخع الدم من كبده وتمنى الموت، للقهر الذي أصابه وللغيرة على دين الإسلام وتغير الأحكام .

دخل **سليم حلب** وطلع إلى القلعة بسبب عرض حواصلها، فلما عرضت عليه رأى ما أدهشه من مال وسلاح وتحف، وكان فيها من المال ورأى من الكنابيش الزركش والرقاب الزركش والطبر والسروج الذهب والبلور وطبول البازات واللجم المرصعة والفصوص المثمنة

والبركستوانات الفولاذ الملون والسيوف المسقطة بالذهب والزرديات والخوذ الفاخرة وغير ذلك من السلاح ما لم يره قط ولا أحد من ملوك الروم، لأن الذي جمعه **الغوري** من الأموال والتحف التي أخرجها من ذخائر الملوك السالفة من عهد ملوك الترك الجراكسة احتوى عليه جميعه **سليم شاه بن عثمان** ، هذا خارج عما كان للأمراء المقدمين والأمراء الطبلخانات والعشراوات والعسكر قاطبة من الودائع بحلب من مال وسلاح وقماش وبرك وغير ذلك، فاحتوى **ابن عثمان** على ذلك جميعه، وقيل إنه ملك ثلاث عشرة قلعة من بلاد السلطان واحتوى على ما فيها من مال وسلاح وغير ذلك، فكان الذي ظفر به **سليم** في هذه الواقعة من الأموال والسلاح والتحف وغير ذلك لا ينحصر ولا يضبط، وقد قسم له ذلك من القدم واحتوى على خيول وبغال وجمال لا يحصى عددها.



الفصل الثامن والعشرين

الاشرف طومان باي

1) ترجمة الملك الأشرف ابو النصر طومان باي :

ومعنى طومان باي =أمير فرقة عسكرية Tümen bay

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

آخر سلاطين المماليك الملك الأشرف أبو النصر طومان باى من قنصوه الغورى , جركسي الأصل، اشتراه السلطان قانصوه الغوري، وكان يمت له بقرابة، وأهداه إلى السلطان الأشرف قايتباي، ولهذا يدعى طومان باي من قانصوه ، فصار من جملة مماليك قايتباي الكتابية .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

وفي عهد **الناصر محمد بن قايتباي** تم عتقه وخصص له خيلا وغلمانا، وبقي جمدارا ثم خاصكيا واستمر على ذلك حتى تولى قريبه قانصوه الغوري سلطنة مصر في شوال سنة 906 هـ .

ارتقى **طومان باى** فى المناصب، فصار أمير عشرة ، وبعد موت **محمد بن قانصوه الغورى** أنعم عليه بمنصب أمير طبلخانة ، ثم رقاه إلى مقدم ألف ، وتولى منصب دوادار كبير، ثم أنعم عليه السلطان بمنصب لاستادارية .

أصبح **طومان باى** أميرا للحج، وسافر إلى الحجاز ومعه عدد من الأعيان والأمراء ومقدمى الألوف، وشيوخ العربان، وعند عودته من الحجاز، خلع عليه **الغورى** الخلع الحسنة، ونزل من القلعة فى موكب مهيب ليستقبل الأمير **طومان باى**.

فتضاعفت عظمته جدا فلما نزل من القلعة كان له يوم مشهود وفي صحبته سائر الأمراء وأرباب الدولة يتقدمهم الطبل والمزامير .

وقد رجع والناس عنه راضية وأشيع عنه أخبار حسنة مما فعله من البر والإحسان وفعل الخير والصدقات على الفقراء والمساكين فشكر له الناس ذلك .

أشاع الأمن فى القاهرة وكبح جماح المماليك، فأمر بأن ينادى فى المدينة بالأمان والإطمئنان، وأن يعلق على كل دكان قنديل، من بعد صلاة المغرب وأن لا يخرج مملوك ومعه سلاح بعد صلاة العشاء ، ثارت جماعة من المماليك بسبب النفقة، ونهبوا سوق **ابن طولون** والدكاكين الواقعة حوله، فغلقت الأسواق، فانطلق **الأمير طومان باي** يطوف على المماليك، فمن وجد عنده شيء من النهب أخذه ورده لأصحابه، ثم هدأ المماليك بالعدول عن ثورتهم وأقنع السلطان بترضيتهم .

أخذ يترقى في المناصب، حتى تولى منصب الدوادار الكبير ، فتضاعفت عظمته جدا، واجتمع فيه عدة وظائف سنية ولا سيما لكونه قريب السلطان، وتصدى **طومان باي** لثورة بعض المماليك على **السلطان الغوري** الذين أظهروا العصيان ومنعوا الأمراء من القلعة حتى سكن الوضع .

استطاع إخماد الفتن وقمع حركات التمرد والعصيان التي قام بها العربان في الصعيد والغربية والبحيرة نابلس، حيث قطعوا الطريق وأفزعوا المسافرين، فأعاد الأمان .

أشاع الأمن في القاهرة وكبح جماح المماليك، فأمر بأن ينادى في القاهرة بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء، وبأن يعلقوا على كل دكان قنديلا من المغرب، وأن لا مملوكا ولا غلاما ولا عبدا يخرج من بعد العشاء ومعه سلاح، فضج الناس له بالدعاء وكانت الناس عنه راضية .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

فمنذ كان أميرا دوادارا كبيرا فى عصر عمه السلطان الغورى، كان محببا لعامة الناس لاختلافه عن غيره من الأمراء، وامتد الإعجاب بطومان باى إلى الأوروبيين المعاصرين، فبعد أكثر من مائة عام على شنقه، نجد صورة هذا المشهد حاضرة فى كتابات الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مصر، وقد دفع هذا الإعجاب مؤرخا إيطاليا معاصرا لطومان

باى، هو باولو جيوفو، إلى وضع طومان باى ضمن الشخصيات التاريخية الكبرى فى العالم، وإلى إفراد قسم من تاريخه لطومان باي .

(عماد أبو غازى – طومان باي السلطان الشهيد)

ثم غدا نائب الغيبة حين شخص **السلطان الغوري** إلى الشام لقتال **ابن عثمان** .

كان **طومان باى** يشغل منصب نائب السلطان **قانصوة الغوري**، وكانت معظم أعمال القصر والسلطة بين يديه، وما أن قتل الغوري، حتى انهالت الترشيحات عليه ، لكى يتولى الحكم، والذى ظل يرفضه **لمدة 50 يوما**، وذلك بسبب ضعف الموقف العام وتشتت قلوب الأمراء وحصول فتنة من قبل بعض المماليك، حيث كان **خان الخليلي** قد نهب وقتل جميع التجار بحجة أصولهم العثمانية، إلا أن رجال الدين فى مصر، ظلوا يضغطون عليه من أجل موافقته، ليكون ثانى سلطان مملوكى بعد **الغورى**، يتم اختياره من قبل المصريين عن طريق زعماء الدين .

(عبد المنعم ماجد – طومان باى آخر سلاطين المماليك فى مصر)

وكان الخليفة اسيرا عند **ابن عثمان** ، وحينما رجعت فلول الجيش المصرى بعد هزيمة السلطان **الغورى** فى **مرج دابق** وقع إجماع الأمراء على **سلطنة طومان** .

والأمراء كلهم يقولون: ما عندنا من نسلطنه إلا أنت ولا محيد لك عنها طوعا أو كرها , فامتنع عن قبولها وأصر الأمراء على توليته وهو يمتنع , ثم ركب هو **والأمير علان** وجماعة من الأمراء وتوجهوا إلى كوم الجارح، خارج القاهرة، عند **الشيخ أبو السعود الجارحى** فلما جلسوا بين يديه عرض الأمراء عليه الأمر وذكروا تمنع **طومان باى** عن السلطنة، فأبدى **طومان باى** عذره واحتج بأن خزائن بيت المال خاوية على عروشها، وأنه لا يقبل السلطنة إلا إذا تعهد الجنود والأمراء بأن لا يطالبوه بنفقة، وأن الجميع رهن إشارته، ولا يخونوه ولا

يعصونه إذا استعد للحرب ولما تراضى الجميع بين يدى الشيخ أحضر لهم مصحفا شريفا فأقسموا عليه بما تراضوا عليه وتواصوا به .

(الشعرانى – الطبقات الكبرى)

قضى **طومان باى** على روح الهزيمة بين الجنود والأمراء المتقهقرين، وأعاد النظام إلى صفوفهم بقدر ما وسعه، فوثق به الأمراء والشعب. وانعقدت له البيعة بالإجماع فقبل آخر الأمر أن يلى العرش بعد تردد مع إدراكه تمام الإدراك بالمصاعب التى تكتنف موقفه.

جاء السلطان **الأشرف طومان باى** لينقذ جسدا قد مات ، ودولة تبدل حالها من أقوى دولة إسلامية لأكثر من مائتين وستين عاما إلى سلطة نهبية، ترهق شعبها بالضرائب، بعد أن أخفقت فى حمايتهم والدفاع عنهم من ظلم الأمراء وزاد فيها تعاقب السلاطين على العرش ، فقد صار الحكم مهمة ثقيلة يتهرب منها الجميع, وسط هذا المشهد العبثى، ظهر **طومان باى** فى ثوب المنقذ .

(قاسم عبده قاسم)

صفاته :

كان شابا وسيما شجاعا ذكي بطلا، تصدى لقتال العثمانيون ،وثبت وقت القتال،كان رحيما بالشعب ودود محبا العامة .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

كان مقداما خبيرا بالحرب ومواقع الطعن والضرب والدخول في الميدان والخروج منه لا يرهب الإقبال ولا يخطر الموت له على بال، وكان متوسط الطول ذهبي اللون واسع الجبين أسود العينين والحاجبين واللحية، وكان دينا صالحا خيرا فاضلا زائد الأدب والسكون والخشوع والخضوع، ملازما لزيارة المشايخ، الأحياء منهم والأموات، حتى أنه لما غسله الغاسل وقلعه ما عليه من الثياب، وجدوا على بدنه جبة صوف حمراء وأوصى أن يدفنوه بها، ولم يظهر

عنه في حياته شيء من الأفعال الردية أبدا، لا شرب الخمر ولا زنا ولا فواحش أبدا، لا يظهر شيئا مما يفعله أهل التجبر والعنف، وكان الغالب على حاله السكينة والوقار، وكان غالبا على نفسه رزينا في أحواله، لين الكلمة، ذا انخفاض ، كثير الرحمة والشفقة على كل أحد، حتى أنه لما ظهرت منه هذه الفراسة والشجاعة في قتال السلطان سليم، صار الناس يتعجبون منه غاية العجب ولم يكن أحد يظن أنه بهذه الصفة، وكان الذي عمره ما رآه إذا رآه لا يشك في أنه عبد صالح، فالصلاح والأنس والخيرية كانت ظاهرة عليه وعلى وجهه . وكان القاضي أصيل الطويل ، دائما يحكي عنه الحكايات الغريبة والأمور العجيبة التي تشهد له بأنه من عباد الله الصالحين .

(ابن زنبل الرمال - آخرة المماليك)

كل من ينظر إليه يحس فيه بالسكينة والوقار، ولا يشك فى صلاحه، وأنه صاحب عقل وتدبير، وفروسية وشجاعة، خاصة أنه صاحب مبدأ، فضلا عن أنه كان محبوب الصورة عند الكل، وذلك بناء على التقدير لسيرته على مدى القرون .

(عبد المنعم ماجد - طومان باى آخر سلاطين المماليك فى مصر)

كان **طومان باى** أميرا وسلطانا، لين الجانب قليل الأذى، كثير الخير، غير متكبر ولا متجبر، وكان صالحا فاضلا، زائد الأدب والخشوع والخضوع .

كان طومان باي صوفيا زاهدا متواضعا، يلبس الخرقة الصوفية تحت عباءة الحكم، سماه المصريون: **السلطان الدرويش** .

(في اعقاب مرج دابق)

لم يحج في هذه السنة أحد من الناس قاطبة بسبب فتنة **ابن عثمان** ، فقد قطع الطريق على الناس، ونهب أموالهم ويتم عيالهم، وكانت أفعال جيشه في الشام وأهلها تصل إلى آذان أهل

القاهرة ولما دخل إلى حلب قطع في يوم واحد ثمانمائة رأس من جماعة أهل مصر، من جملتهم خليفة سيدي **أحمد البدوي** وآخرون من الأعيان ممن تخلفوا بحلب.

(ابن اياس – بدائع الزهور)

اشيع أن **ابن عثمان** يحتجب عن عسكره أياما لا يظهر فيها، ففي هذه المدة يفتك عسكره في المدينة ويتجاهرون بأنواع المعاصي والفسوق، وهم لا يصومون في شهر رمضان ويشربون فيه الخمر والبوزة، ويستعملون فيه الحشيش، ويفعلون الفاحشة بالصبيان المرد في شهر الرمضان، وأن ابن عثمان لا يصلي صلاة الجمعة إلا قليلا.

واشيع ان **ابن عثمان** تلاشى أمره في الشام، وأن عسكره مختلف عليه، وأن **خاير بك** الذي عينه **سليم شاه** نائبا على حلب ثمنا لخيانته وموالسته على **السلطان الغوري** لقي حتفه. ولم تكن كل هذه الأخبار صحيحة .

فلما أشيع بين الناس بما في مطالعة **ابن عثمان** من هذه الدعاوى العريضة مما تقدم ذكره، اضطربت أحوال الديار المصرية وأخذ كل واحد حذره من **ابن عثمان**، وقالوا: **مثلما طرقتنا قصاده على حين غفلة كذلك يطرقنا على حين غفلة.**

فتوعد المصريين قائلا: **غدا أدخل مصر فأحرق بيوتها وألعب بالسيف في أهلها**

شرع الناس في تحصيل أماكن في أطراف المدينة وجوانبها ليختفوا فيها إذا دخل ابن عثمان،

نبكي على مصر وسكانها   قد خربت أركانها العامرة

وأصبحت بالذل مقهورة   من بعد ما كانت القاهرة.

في مجزرة التل بحلب جاء السلطان العثماني سليم الأول محملا ، فدخل المدينة وارتكب مذابحه المروعة، حيث صنع من جثامين الشهداء تلالا في وسط المدينة.

(ابن طولون – مفاكهة الخلان في حوادث الزمان)

نهب **سليم** مال قلعة حلب وأموال السكان حتى صار له **مئة وثمانية عشر حملا من الأموال**، وقد سلم السكان المدن اتقاء لشر الجنود ، إلا أن هذا التسليم لم ينقذهم من النهب, وهجمت العساكر على دمشق وضواحيها للسكنى، وأخرجت أناس كثيرة من بيوتهم ورميت حوائجهم ومؤنهم، وتعرضوا لشدة لم تقع على أهل دمشق من قبل.

(ابن طولون – مفاكهة الخلان في حوادث الزمان)

لم يعرف العثمانيون سوى القتل، فكان الخازوق وسيلتهم المفضلة في تنفيذ أحكامهم ، اعتمدوا القتل بالخازوق عقابا للضعفاء وقاموا بإرسال خازوق إلى كل حارة .

(ابن طولون – مفاكهة الخلان في حوادث الزمان)

دخلوا البلد ونهبوا قماش الناس وحوائجهم، ونهبوا دكاكين السوقة، ولم يتركوا لأحد شيئا في الدكاكين، ونهبوا البيوت والضياع، ولم يسلم أحد منهم، وارتجت دمشق رجة عظيمة أعظم من وقعة تيمورلنك، وأخذوا من دمشق حريما كثيرا وأولادا وعبيدا، ولم يبقوا فيها لأحد فرسا ولا بغلا.

(ابن الحمصي –حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران)

(معركة غزة)

سير **طومان باي** من المماليك الخاصة ألفين وخمسمائة وجمع من مشايخ العربان ما كمل به سبعة آلاف خيال وساروا جميعا إلى العريش .

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

استحث **السلطان طومان** بقية الأمراء الذين تباطأوا عن الخروج استعدادا للسفر إلى غزة بسبب النفقة قائلا :

(أخرجوا قاتلوا عن أنفسكم وأولادكم وأزواجكم ، فإن بيت المال لم يبق فيه لا درهم ولا دينار، وما عندي نفقة أنفقها عليكم)

فخرج جيش المماليك بقيادة **جان بردي الغزالي** لملاقاة الجيش **العثماني** بالقرب من **بيسان** **في غزة يوم الأحد 24 من ذي القعدة سنة 922 هـ .**

ثم إن **سليم بن عثمان** أرسل إلى الوزير الأعظم سنان باشا بأربعة آلاف خيال؛ ليلحق من قدمه من العساكر؛ و هم ألفان ، عليهم الأمير **محمد بير بن عيسى**، وقصد بتقديمهم تمهيد الطريق، فلما خشى عليهم أتبعهم بالوزير المذكور، فأدركهم فى «غزة»، فلما بلغ الجراكسة ذلك توقفوا عن الحرب .

لكنهم سعوا في جمع الناس من القرى والنواحي فأقاموا في العريش ثلاثة أيام فجمع **سنان باشا** من معه من الأمراء والأعيان واستشارهم في المقاتلة أو الانتظار حتى يرد السلطان فأجمعوا على المقاتلة خشية من الهجوم .

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

وفي ليلة السبت سابع عشري ذي القعدة الحرام ركب **سنان** وخرج من غزة وأظهر أنه راجع لجهة الرملة فسار طول ليلته وأصبح بالقرب من **خان يوسف** وكان بالقرب منه عسكر **الشراكسة** فلما رأى **جانبرد الغزالي** وكان رئيس من تقدم من **الشراكسة** العسكر العثماني هيأ عسكره وعين **الميمنة والميسرة** وكذلك **سنان باشا** جعل على ميمنته **فرهاد** بمن معه وعلى ميسرته **محمد بن عيسى** فلما رأى **الغزالي** ذلك عين بعض جماعة من عسكره مع المشاة وأمرهم أن يقروا على ساقة العسكر أولا فلما رأى **سنان باشا** ذلك أخرج من عسكره مقدار ألف خيال وماش ترمي البندق وأمرهم أن يكونوا خلف العسكر وحوله فلما رأى الشراكسة ذلك تربصوا وسايروا العسكر قليلا .

قليلا ينتهزون الفرصة فلما نزل **سنان** بمحل المنزل هجم **الغزالي** وكان **سنان** أمر الينيشرية وغالب العسكر أن لا يخرجوا سلاحهم وأن يكونوا حول ثقلهم فلما هجم الغزالي قابله

طائفة الينيشرية برمي البندق ثم ركب سنان وتلاحق العسكر والتحم القتال إلى وقت الغروب فانهزم الغزالي وقتل غالب الأمراء الذين معه وأرسلت رءوسهم مع من قبض عليه أيضا إلى السلطان سليم فسر بذلك .

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

يقول المؤرخ العثماني سلاحثور صاحب مخطوطة فتح نامه يار العرب

إن سليم زار المسجد الأقصى وبكى بكاءا حارا في مسجد الصخرة وصلى صلاة الحاجة داعيا الله أن يفتح عليه مصر.

(رسائل سليم للسلطان طومان)

وقام سليم الأول وارسل رسالة الى طومان باي قائلا :

من مقامه السعيد إلى الأمير طومان باي ، فإن الله قد أوحى إلى بأن أملك البلاد شرقا وغربا كما ملكها الإسكندر ذو القرنين إنك مملوك تباع وتشترى ولا تصلح لك ولاية، وانا ملك بن ملك ، وقد توليت الملك بعهد من الخليفة والقضاة.. وإن أردت أن تنجو من سطوة بأسنا فاضرب العملة في مصر باسمنا وكذلك الخطبة وتكون نائبنا بمصر، ولك من غزة إلى مصر، ولنا من الشام إلى الفرات وإن لم تدخل تحت طاعتنا، أدخل إلى مصر وأقتل جميع من بها من الجراكسة حتى أشق بطون الحوامل وأقتل الأجنة التي في بطونهن .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

وإذا لم تطع حكمي، فلا تغفل عن الخبر القائل جولة الباطل ساعة، وجولة الحق إلى قيام الساعة ، وإذا تمسكت بسلوك العصيان والطغيان، فإن مظالمك ومظالم تبعتك معلقة في رقبتك، لن يفلت شخص من قبضة طلاب الدين والدولة، سواء كنتم في مصر أو في الحجاز أو في اليمن، فليكن رجالكم طعاما للسهام أو علفا للسيوف، ولتكن

نساؤكم وأولادكم في الحبس مقيدين بالأغلال، والباعث على إرسال هذا الخطاب هو الشفقة والرحمة السلطانية المحضة، وإقتداء بالنص الكريم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا .

(عماد أبو غازى – طومان باي السلطان الشهيد)

عندما يصلكم حكمي الشريف واجب الاتباع فلا يتطرق الخوف أو الخشية لخاطركم على أي وجه من الوجوه سواء أنت أو من يتبعك من الأمراء أو من عبيدك الخواص أو من خدمك أو من الأشخاص الذين تحبهم، فلتتوجهوا إلى عتبتي دون إبطاء، وعندما تصلون ستكونون ملحوظين بنظر عنايتنا ومحظوظين بسهام رعايتنا السلطانية، فلتكن محسود الأماثل والأقران، ومغبوط الأكابر والأركان، وليظهر الطاعة والانقياد كل من يأتي معك، وسيرعى كل واحد منهم على قدر مرتبته بأضعاف الرعايات المضاعفة ليشكر ويذكر جيدا.

(أحمد فؤاد متولي – الفتح العثماني للشام ومصر(

فأرسل إليه السلطان سليم بعد أن ملك حلب والشام وما بينهما من البلاد بقاصد وكتب معه كتبا يستميل بها خاطره ويستجلب بها قلبه ويعده بكل جميل إن دخل في الطاعة وكف القتال بين المسلمين فلم يلتفت لشيء من ذلك بل قتل القاصد .

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

وكان **ابن عثمان** قد استفتى شيخ الإسلام خاصته **زنبيلي علي أفندي** في شرعية غزو مصر، بحجة أن المصريين لم يعاونوا العثمانيين في قتال الصفويين، وأن المصريين يختلطون بالجراكسة غير المؤمنين، وأنهم يسمحون لأهل الكتاب وغيرهم باستخدام عملة مرسوم عليها شهادة **لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وحملها**، وقد يكونون على نجاسة، فكان رد مفتيه :

إن هذه الأمة، إذا رفضت الإقلاع عن ارتكاب هذا العار، جازت إبادتها،

فقال ابن عثمان غدا أدخل مصر فأحرق بيوتها وألعب بالسيف في أهلها.

(ابن اياس – بدائع الزهور)

وكان قد اشيع في **القاهرة** أن **سليم** قد قال :

ما أرجع حتى أملك مصر وأقتل جميع من بها من المماليك الجراكسة .

(الاستعداد للغزاة)

بمجرد تولى السلطان **الأشرف طومان باي** لعرش السلطنة في رمضان **سنة 922 هجرية 1516ميلادية، عقب وصول الخبر بسقوط عمه السلطان الغوري قتيلا في مرج دابق، دعا المصريين إلى حمل السلاح للدفاع عن وطنهم .**

(عماد ابو غازي – السلطان الشهيد طومان باي)

قال خاير بك لسليم : نركب إلى مصر نأخذها، ونقطع هذه الطائفة ، من أرض مصر جملة واحدة، وأنا ضامن لك هذا الأمر بعناية الله.

(عبد المنعم ماجد – طومان باي آخر سلاطين المماليك)

بدأ **طومان باي** في تحصين الريدانية ، فحفر خندقا ، وأعد أسلحته، ونادى منادي السلطان بالخروج من غير تأخير ومن تأخر يستاهل ما يجري عليه .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

تحقق لدى **السلطان** سقوط **غزة**، ولم يعد هناك مفر من التحرك لملاقاة **بن عثمان** فجمع **طومان باي** المدافع الكثيرة وأخرجها للريدانية وقررها في الأرض وأرسل إلى الإسكندرية وطلب من يضرب بالمدافع فاجتمع عنده خلق كثير .

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

عرض السلطان عجلة من خشب تجرها أبقار وفيها رماة بالبندق الرصاص.

وكانوا نحو 30 عجلة أو فوق ذلك، وعرض جمالا وفوقها مكاحل ورماة يرمون بالبندق

الرصاص من المكاحل فوق ظهور الجمال. فقوي قلب العسكر في ذلك اليوم على القتال.

وأظهر السلطان أنه يخرج بنفسه لقتال **بني عثمان** ، واستحث بقية الأمراء على الخروج بسرعة ولم ينفق على الأمراء شيئا، وقال لهم: **اخرجوا قاتلوا عن أنفسكم وأولادكم وأزواجكم فإن بيت المال لم يبق فيه لا درهم ولا دينار، وأنا واحد منكم، إن خرجتم خرجت معكم، وإن قعدتم قعدت معكم، وما عندي نفقة أنفقها عليكم.**

وكان هذا السلطان له عزم شديد في عمل العجلات والبندق الرصاص، وكانت له همة عالية ومقصد نبيل

(ابن اياس – بدائع الزهور)

وسار **السلطان سليم** حتى نزل ببركة الحج وتهيأ منها لفتح **قلعة مصر** وأخذ البلاد فاتفقت **الشراكسة** المقيمون بها وغيرهم من العرب على إعانة **طومان** باي فبلغت **عدتهم عشرين ألفا** .

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

(معركة الريدانية)

حاقت الهزيمة بالجنود الذين أنفذهم السلطان بقيادة **جانبردى** فى **غزة** على يد **سنان باشا** وعادوا إلى القاهرة.

وهناك عبر **سليم** الصحراء وناوشه البدو، إلا أنه استطاع أن يبلغ مصر هو وجنوده فى حالة طيبة.

وأراد **طومان باى** أن يبادر إلى مهاجمته عند الصالحية بمجرد وصوله، ولكن الأمراء قرروا أن يتريثوا حتى يلقوه أمام القاهرة بين المطرية وجامع الأحمر فى الريدانية؛ وأقيمت المدافع فى مواقعها فى الرمال لتحول دون تقدم الترك،

وفي **الخميس 29 من ذي الحجة سنة 923هـ** وصلت طلائع عسكر **ابن عثمان** عند **بركة الحاج** بضواحي **القاهرة**، فاضطربت أحوال **العسكر المصرية**، وأغلق باب **الفتوح وباب النصر وباب الشعرية وباب البحر**، وأغلقت الأسواق، وزعق النفير، وصار **السلطان طومان باي** راكبا بنفسه وهو يرتب الأمراء على قدر منازلهم، ونادى للعسكر بالخروج للقتال،

فلما بلغ **سليم** ذلك وكان قد صف عسكره ميمنة وميسرة ترك استقبال **طومان باي** وسلك طريقا أخرى من خلف جبل المقطم من وراء عسكر الشراكسة واستمرت مدافع **الشراكسة** مركوزة لمن يأتي من أمام **الريدانية** بلا نفع ولا دفع وبادرهم برمي المدافع والبنادق واستقبلته خيول الجند وفرسانها والتحم الحرب وحمي الوطيس حتى أظلمت الدنيا .

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

وأقبل جند ابن عثمان كالجراد المنتشر، فتلاقى الجيشان في أوائل الريدانية، فكان بين الفريقين معركة مهولة وقتل من العثمانية ما لا يحصى عددهم .

وجرت موقعة أعظم مما حدث في مرج دابق، كانت النصر فيها للعساكر الحمر واضطر طومان للانسحاب، فلاحقهم العثمانيون ودخلوا القاهرة وتعقبوا المماليك في كل مكان ومن كان يقع منهم يضرب عنقه فورا .

ولم تزل الشراكسة تهجم مع تلك الظلمات على العساكر العثمانية المرة بعد المرة وتكر وتفر والقتل فيهم وهم لا يصدهم شيء حتى قتل منهم جانب عظيم من أعيانهم وقتل من العساكر العثمانية أقل من ذلك .

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

وقاتل طومان باي ومن معه من الأمراء قتالا شديدا، وظهر لطومان باي شجاعة قوية

عرف بها، وشهد له بها الفريقان، وأوقع الفتك بعسكر السلطان سليم، ولولا شدة عضده بخير بك .

(ابن اعماد – شذرات الذهب في أخبار من ذهب 10/ 200)

فكان بين الفريقين معركة مهولة وقتل من العثمانلية ما لا يحصى عددهم، ثم دبت الحياة فى العثمانلية، فقتلوا من عسكر مصر ما لا يحصى عددهم.

وانقسم العثمانيون إلى فريقين وأطبقوا على المماليك من ناحيتين فقتل من عسكر مصر ما لا يعلمه إلا الله كما يحكي ابن إياس.

وقف السلطان طومان باي يقاتل رغم الكسرة التي أصابت عسكره ومن حوله مجموعة من المماليك والرماة.

فانكسرت الشراكسة ولم يزل عسكر السلطان خلفهم إلى أن أدخلوهم بيوتهم فنهبت بيوتهم وأموالهم وكان ذلك يوم الخميس تاسع عشر ذي الحجة اثنتين وعشرين وتسعمائة

.

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

ولكن ترامي قوة العثمانيين وعتادهم الحربي ومن ناحية أخري ضعف الجيش المملوكي تدريبا وسلاحا ،جعل كفة العثمانيين هي الكفة الراجحة .

ولم يستطيع الجيش المملوكي مجاراة قوة الجيش العثماني ، فانهزم في هذه المعركة المصيرية بالنسبة للمماليك وذلك نتيجة لضعف الأسلحة والعتاد الحربي .

لما سمع الجراكسة ضرب البنادق هرب غالب العسكر بعد أن كانوا غالبين مستبشرين بالنصر.

فما زالوا في مشوارهم وهم يطعنون بالقنطاريات حتى غاصوا في جميع عسكر الروم بجملتها، فلله درهم من فرسان لكونهم لقوا هذا الجيش العظيم بنفوسهم، فما زالوا يضربون

ويطعنون حتى وصلوا سنجق السلطان وقتلوا من حوله وأسروا وزيره سنان باشا وقتله طومان باي ظنا منه أنه هو السلطان سليم بنفسه، وكانت الخسائر فادحة من الطرفين، إلا أن الهزيمة كانت من نصيب طومان باي والمماليك .

(ابن زنبل – اخرة المماليك)

وأما **طومان باي** فإنه لم يهرب، وحط عليهم حطة الأسد الغضبان، وقتل فيهم قتلا حتى كل ساعده، ولكن ماذا يفعل الواحد في مائتي ألف وأكثر، ثم رجع، فلم ير خلفه أحدا من عسكره .

(ابن زنبل – اخرة المماليك)

ثم دبت الحياة في العثمانية، فقتلوا من عسكر مصر ما لا يحصى عددهم.

(ابن اياس – بدائع الزهور)

ولا ضرهم إلا البندق، فإنه يأخذ الرجل على حين غفلة، لا يعرف من أين جاءه، فقاتل الله أول من صنعها وقاتل من يرمى بها على من يشهد لله بالوحدانية.

(ابن زنبل – اخرة المماليك)

«حتى أن القاهرة كانت ترتج لقذائفهم»

(ابن اياس – بدائع الزهور)

فلما تكاثرت عليه العساكر العثمانية ورأى العسكر قد ذهب من حوله، خاف على نفسه أن يقبضوا عليه، فولى واختفى.

لولا النار التي مع السلطان سليم ما غلب المماليك ، لكن البنادق ساوت بين الشجاع والجبان.

(ابن زنبل – اخرة المماليك)

(بين جنبات القاهرة)

وفي صبح يوم الجمعة غرة محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة أمر السلطان في المسجد والجوامع بالخطبة باسمه الشريف وضرب السكة كذلك باسمه

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

وسلمت له مفاتيح القلعة، واستبيحت المدينة ثلاثة أيام، فسلب الجنود العثمانيون ونهبوا وهتكوا الأعراض وتجرع سكان المدينة الذل والهوان

وخطب **لأبن عثمان** على المنابر، بأن «**انصر اللهم السلطان بن السلطان، مالك البرين والبحرين، وكاسر الجيشين، وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين، الملك المظفر سليم شاه**».

وفي يوم الإثنين 3 من المحرم سنة 923 دخل سليم القاهرة في موكب حافل، بعد ما فرش الحرير تحت حوافر فرسه، وعلقت الرايات الحمراء على الشوارع، وأطلقت في الأجواء مجامر العود ومرشاة الماورد، وفي يوم الجمعة الذي تلاها خطب له من فوق المنابر لأول مرة، بدلا من طومان باي الذي بقي مصيره طي النسيان.

ثم إن جماعة من العثمانية لما هرب السلطان، دخلوا إلى القاهرة وقد ملكوها بالسيف عنوة، فتوجهت جماعة من العثمانية إلى المقشرة وأحرقوا بابها وأخرجوا من كان بها من المحابيس، ثم توجهوا إلى بيت خاير بك أحد المقدمين فنهبوا ما فيه وكذلك بيت يونس الترجمان، وكذلك بيوت جماعة من الأمراء وأعيان المباشرين ومساتير الناس، وصار الزعر والغلمان ينهبون البيوت في حجة العثمانية، فانطلق في أهل مصر جمرة نار.

ثم دخلت جماعة من العثمانية إلى الطواحين وأخذوا ما فيها من البغال، وأخذوا عدة جمال من جمال السقايين. وصار العثمانيون ينهبون ما يلوح لهم من القماش وغير ذلك، وصاروا يخطفون جماعة من الصبيان المرد والعبيد السود، واستمر النهب عمالا في ذلك اليوم إلى بعد المغرب، ثم توجهوا إلى شون القمح التي بمصر وبولاق فنهبوا ما فيها من الغلال .

وصاروا ينهبون بيوت الناس حتى بيوت الأرباع بحجة أنهم يفتشون على المماليك الجراكسة، فاستمر النهب والهجم عمالا في البيوت ثلاثة أيام متوالية، وهم ينهبون القماش والخيول والبغال من بيوت الأمراء والعسكر فما أبقوا في ذلك ممكن .

الأتابكي سودون الدوادري وهو في حالة يرثى لها:

أركبه (ابن عثمان) على حمار وألبسه عمامة زرقاء وجرسه في وطاقة وقصد يشهره في القاهرة، فمات وهو على ظهر الحمار، وقيل حزوا رأسه بعد الموت وعلقوها في الوطاق

وصاروا يكبسون الترب ويقبضون على المماليك الجراكسة منها، وكل تربة وجد فيها مملوك جركسي حزوا رأسه ورأس من بالتربة من الحجازيين وغيرها، ويعلقون رؤوسهم في الوطاق .

ثم إن العثمانية طفشت في العوام والغلمان من الزعر وغير ذلك، ولعبوا فيهم بالسيف وراح الصالح بالطالح، وربما عوقب من لا جنى، فصارت جثثهم مرمية على الطرقات من باب زويلة إلى الرملة ومن الرملة إلى الصليبية إلى قناطر السباع إلى الناصرية إلى مصر العتيقة، فكان مقدار من قتل في هذه الوقعة فوق العشرة آلاف إنسان في مدة هذه الأربعة أيام .

وصارت الجثث مرمية في الرملة إلى سوق الخيل وقد تناهشت الكلاب أجسادهم.

عساكر العثمانلية كانوا جعانين وعندهم عفاشة زائدة وقلة دين، كانوا همجا.

انفتحت للعثمانية كنوز الأرض بمصر من نهب قماش وخيول وبغال وجوار وعبيد وغير ذلك من كل شيء فاخر، واحتووا على أموال وقماش ما فرحوا بها قط في بلادهم ولا أستاذهم .

وصار العثمانيون يمسكون أولاد الناس من الطرقات ويقولون لهم أنتم جراكسة، فيشهدون عندهم الناس أنهم ما هم مماليك جراكسة، فيقولون لهم: اشتروا أنفسكم منا من القتل، فيأخذون منهم بحسبما يختارون من المبلغ، وصار أهل مصر تحت أسرهم .

وملكوا باب القرافة إلى مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها، فدخلوا ضريحها وداسوا على قبرها، وأخذوا قناديلها الفضة والشمع الذي كان عندها، وبسط الزاوية، وقتلوا في مقامها جماعة من المماليك وغير ذلك من الناس الذين كانوا احتموا بها

ثم صاروا يهاجمون الجوامع و يأخذون منها المماليك الجراكسة، فهجموا على جامع الأزهر وجامع الحاكم وجامع ابن طولون وغير ذلك من الجوامع والمدارس والمزارات.

ثم إنهم خطفوا امرأة عند سلم المدرسة المؤيدية وقت الظهر، وفسقوا بها جهارا عند سبيل المؤيدية تحت دكان الذي يبيع الكعك، والناس ينظرون إليهم وهم يفسقون بها ولم يجسر أحد من الناس أن يخلصها منهم.

بأن تعرى المرأة من أثوابها، وأن يكتفوا أيديها وأرجلها، وأن تربط من رجليها في ذنب إكديش وتسحب على وجهها من الكداشين إلى باب زويلة، ففعلوا ذلك وشقوا بها من القاهرة وقصدوا شنقها على باب زويلة فقيل إنها ماتت أثناء الطريق، وقيل بل غرقوها في البحر.

إن ملك الأمراء خاير بك أشهر النداء في القاهرة بأن كل من رأى كلبا يقتله ويعلقه على دكانه، فصارت التراكمة يمسكون الكلاب من الطرقات ويوسطونها نصفين بالسيف، فقتلوا في ذلك اليوم ما لا يحصى من الكلاب، حتى قيل قتلوا في ذلك اليوم فوق الخمسمائة كلب على ما أشيع، وصاروا يعلقون الكلاب على الدكاكين ولم يعلم ما سبب ذلك.

ثم استمر السيف يعمل في الكلاب يوما وليلة حتى هجت الكلاب مما دهاها إلى الترب والصحاري

ولم يقاس أهل مصر شدة مثل هذه قط، إلا أن كان في زمن البخت نصر لما أتى من بابل وزحف على البلاد بعسكره وأخربها وهدم بيت المقدس ثم دخل على مصر. ثم وقع بعد

ذلك في بغداد في فتنة هولاكو ملك التتار لما زحف على بغداد وأخربها وأحرق بيوتها .

ما كنت أحسب أن يمتد بي زمني.. حتى أرى دولة الأوغاد والسفل

صارت العثمانية تنهب ما يلوح لها من قماش وغير ذلك، وصاروا يخطفون جماعة من الصبيان المرد والعبيد السود، واستمر النهب عمالا في ذلك اليوم إلى ما بعد المغرب، ثم توجهوا إلى شون القمح التي بمصر وبولاق، فنهبوا ما فيها من غلال ، فانفتحت للعثمانية كنوز الأرض بمصر، من نهب للقماش وسلاح وخيول وبغال وعبيد، وغير ذلك من كل شيء فاخر، واحتووا على أموال وقماش ما فرحوا بها قط في بلادهم.

صاروا ينهبون بيوت الناس حتى بيوت الأرباع في حجة أنهم يفتشون على المماليك الجراكسة، واستمر النهب والهجم عمالا في البيوت ثلاثة أيام متتالية، وهم ينهبون القماش والخيول والبغال من بيوت الأمراء والعسكر

وقد صدق وصف الشيخ بدر الدين الزيتوني بعد أن شاهد جرائم العثمانيين بحق القاهرة بأنها: أصبحت بالذل مقهورة من بعد ما كانت القاهرة

فقتلوا جماعة كثيرة من العوام وفيها صغار وشيوخ لا ذنب لهم، وحطوا غيظهم في العبيد والغلمان والعوام، ولعبوا فيهم بالسيف وراح الصالح بالطالح، فصارت جثثهم مرمية في الطرقات، فكان مقدار من قتل في هذه الواقعة فوق العشرة آلاف إنسان في عدة هذه الأربعة أيام، ولولا لطف الله لفني أهل مصر قاطبة بالسيف

ختم العام بحرب وكدر وحصل للناس غايات الضرر وأتاهم حادث من ربهم كل هذا بقضاء وقدر.

(ابن اياس – بدائع الزهور)

(معارك الصليبة)

وأقام سليم بالعادلية ثلاثة أيام ثم ارتحل ودخل البلاد وتعدى إلى الجيزة ونزل بعسكره فيها فجمع طومان باي من بقي من الشراكسة نحو سبعة آلاف وهجم على البلاد ليلا واتفق معه بعض العرب وتبعه خلق من أهل مصر وقتلوا جميع من وجد في البلد من العسكر العثماني وقصد الهجوم ليلا على السلطان في الجيزة وهيأ مراكب البحر للذهاب .

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

فلما بلغ ذلك السلطان عين جماعة على المقابر، وأمر العساكر بالتنبه وعدم الغفلة، فلم يقدر طومان باى على الهجوم ليلا، فبعث السلطان جماعة و أمرهم بالهجوم على مصر فهجموا؛ فكل من وجدوه من آدمى أو بهيمة قتلوه، ومحل قابل للحرق أحرقوه، و أغاروا على الناس، والمصريون يقاتلونهم فى الأماكن الحصينة بالسهام و الحجارة، واستمر الحرب على هذا الأسلوب ثلاثة أيام .

(الطبري – الأرج المسكي)

فلما كان ليلة الأربعاء خامس الشهر، بعد صلاة العشاء، لم يشعر ابن عثمان إلا وقد هجم عليه الأشرف طومان باي بالوطاق واحتاط به، فاضطربت أحوال ابن عثمان إلى الغاية، وظن أنه مأخوذ لا محالة... واجتمع هناك الجم الغفير من الذعر وعياق بولاق من النواتية وغيرهم وصاروا يرجمون بالمقاليع وفيها الحجارة، واستمروا على ذلك إلى أن طلع النهار فلاقاهم الأمير علان الداودار الكبير من الناصرية عند الميدان الكبير فكان بين عسكر ابن عثمان وعسكر مصر هناك وقعة تشيب منها النواصي...

واستمر السلطان طومان باي يتقع مع عسكر ابن عثمان ويقتل منهم في كل يوم مالا يحصى عددهم، من يوم الأربعاء إلى يوم السبت طلوع الشمس ثامن المحرم...

بينما كان سليم يقيم داخل السرادق الذي نصبه لنفسه على شاطئ النيل في بولاق، انطلقت الصيحات الخائفة تندلع من معسكر العثمانيين، بعد ما بدأت الخيام

تحترق على إثر جمال تحمل على ظهورها أثقالا مشتعلة راحت تجري بين الخيام، تشعل النار في كل شيء وتنشر الذعر في نفوس الأتراك، وبعدها انطلق هجوم الأحياء على الغزاة وتحولت القاهرة كلها إلى مسرح حرب.

(محمود الشرقاوي – السلطان الشهيد طومان باي)

صارت القتلى من الجانبين أجسادهم مرمية من بولاق إلى قناطر السباع إلى الرميلة إلى تحت القلعة، وفي الحارات والأزقة وهم أبدان بلا رؤوس .

هرب المصريون للاختباء والحماية داخل المساجد، فكان إذا هرب مصري منهم إلى المئذنة صعدوا إليها وألقوه منها إلى الأرض، إذ كانت المساجد مستباحة.

وهجم العثمانيون على زاوية الشيخ عماد الدين بالناصرية ونهبوا ما فيها من قناديل وحصر وأحرقوا البيوت من حولها أما جامع شيخون فقد أحرقه العثمانيون فاحترق سقف إيوانه الكبير وقبضوا على نحو ثمانمائة من المماليك وضربوا أعناقهم .

وظلت نساء الأمراء ترشى المشاعلى حتى يمكنهن من نقل جثث أزواجهن ليحضرن التوابيت للدفن فى الترب المخصصة لهم وصارت الجثث مرمية تنهشها الكلاب وحملت زوجة الأمير تمر الحسنى الزردكاش جثمانه ودفنته بقرافة سيدى جلال الدين بالسيدة عائشة ونادت العثمانية في الطرقات أن من كان لديه مملوك جركسي ولا يبلغ عنه فسوف يشنق على الفور

وفي كل ليلة كانت تخرج فرق من المماليك لتهجم على القوات العثمانية المتواجدة وسط القاهرة، في حرب شوارع مفتوحة قادها طومان باي بنفسه، لكنهم أجبروا على التراجع بعدما استخدم العثمانيون البنادق من فوق الأسطح والأسوار، فلم يكن أمامهم سبيل للصمود أمام الرصاص.

)الفتح العثماني للشام ومصر(

فنادى لهم **إبن عثمان** أن يظهروا ولهم أمان الله وكتب لهم أوراقا بالأمان إذا ظهروا واقتحم السلطان **طومان باى** الشجاع على رأس سرية من جيشه صفوف الجنود الترك إلى خيمة السلطان سليم وأطاح برؤوس الأمراء الترك ظانا أن **السلطان سليم** كان بينهم.

وقال سليم الأول: ما كنت أظن أن أقاسي من أحد مثل ما قاسيت في يومي هذا

(ابن زنبل – اخرة المماليك)

ثم عاد **طومان** سالما فوجد المصريين يفرون فتبعهم إلى النيل ولم شعث البقية القليلة من فلول جيشه.

نجح **طومان باى** مرة أخرى فى استرداد المدينة وثبت فيها يومين وسيطر المماليك على القاهرة جزئيا وصاروا يكبسون الحارات في طلب العثمانية ، ونادى طومان باي أن من قتل عثمانيا فله ثيابه وسلاحه على أن يحضر رأسه للمعسكر.

ثم كر العثمانيون على المماليك فطردوهم من الجزيرة الوسطى بالنيل ومن بولاق، وشنوا هجمة انتقامية على إحدى الزوايا في منطقة الناصرية، وأوقعوا بمن بها من العامة مذبحة مروعة.

اجتمع **طومان باى** وسبعة آلاف فارس، ودارت المعارك بين قواته وقوات السلطان العثمانى فى شوارع القاهرة، وتولى العربان مهاجمة معسكرات العثمانيين فى الريدانية، وتحصن طومان باى فى الصليبة واتخذ من جامع شيخون مركزا للمقاومة، وحفر الخنادق وأقام تحصينات عند رأس الصليبة، وقناطر السباع ورأس الرميلة وجامع ابن طولون، وقاوم القوات العثمانية بكل ما يملك من قوة،

فوصل السلطان بنفسه وسار على البلاد ورمى المدافع على جميع من لاقاه واشتد الحرب في الرميلة وهلك خلق كثير من الجهتين ثم هرب طومان باي إلى جامع الشيخونية وحارب هناك ضجت الرعايا بطلب الأمان وكثر الصياح منهم فأمنهم السلطان وأمر بتتبع

الشراكسة خاصة فلم يجد طومان باي بدا من الهروب فخرج في نحو عشرة أنفس هاربا لجهة الصعيد وقتل ذلك اليوم ما ينيف على أربعة آلاف نفس حتى سالت الدماء وتكدر بحر النيل وتعفن الهواء لذلك فرميت أجسامهم في البحر وجمعت رءوسهم أكواما بعد أكوام فعاد السلطان لمخيمه بالجيزة وبنى له كوشكا عاليا يسكنه مدة مقامه بمصر هربا من العفونة ونقل إليه من قبض عليه من أعيان أمراء الشراكسة فأمر بضرب أعناقهم على ضوء المشاعل وقتل سنان باشا ذلك اليوم فأسف عليه السلطان سليم وقال أي فائدة في مصر بلا يوسف لأن سنان لقبه يوسف

وفي صبيحة ذلك اليوم دون ديوانا رتب فيه للعساكر العطايا وعين أرباب المناصب فأرسل إليه الغزالي وكان قد هرب في الوقعة الأولى من الريدانية إلى جهة الصالحية فطلب الأمان فلما علم السلطان أنه لم يحضر الوقعة التي داخل البلد عفا عنه وطلبه فجاء تائبا مستغفرا فأنعم عليه ببلدة سجاع

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

(اخر المعارك)

وكان قد فضل بقية من العساكر المصرية، فهربوا واجتمعوا هم **والسلطان طومان باي** وجمعوا العربان، والتموا نحو العشرة آلاف، ليلا **من نهار الثلاثاء خامس شهر المحرم الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة** خفية، ودخلوا البيوت الحصينة، وحفروا حولها الخنادق، وستروا التساتير، واجتمعوا في الحارات، وأظهروا الفساد، وابرزوا العناد، فعلمت عساكرنا المنصورة بهم، فربطوا الخيالة لهم الطرقات، لئلا ينهزم أحد، وصاحت عليهم مماليكنا الإينكشارية والتفكجية، وحملت عليهم حملة رجل واحد، ودخلوا عليهم إلى البيوت التي تحصنوا فيها، ونقبوا عليهم البيوت يمينا وشمالا، وطلعوا على أسطحة تلك البيوت التي

تحصنوا فيها ورموا عليهم بالبنادق والكفيات .

واستمر الحرب بين عساكرنا المنصورة وبينهم ثلاثة أيام... وفي هذه الثلاثة أيام يستمر القتال من الصبح إلى العشاء، وبعون الله تعالى قتلنا جميع الجراكسة، ومن انضم إليهم من العربان، وجعلنا دماءهم مسفوحة وأبدانهم مطروحة ونهب عساكرنا قماشهم وأثاثهم وديارهم وأموالهم، ثم صارت أبدانهم للهوام، أما طومان باي سلطانهم فما عرفنا هل هو مات أم بالحياة...

إن طومان باي أرسل بطلب الأمان والعفو عما مضى فقبل السلطان منه ذلك واستمال خاطره وأرسل بجوابه وإجابته كيخية عسكر أنادول مصطفى شلبي والقضاة الأربعة قضاة مصر وكتب إليه بالعهد والأمان معهم فلما وصلوا إليه منعه بعض الشراكسة وحرضوه على العصيان فقتل مصطفى شلبي المذكور والقضاة الأربعة وأظهر عدم الانقياد واجتمع عنده بقية الشراكسة وطائفة من العربان وقصد العود إلى مصر وتعدى على المراكب ووصل قريب مصر حتى نزل ببركة الحبش فعين السلطان بعض الأمراء والعساكر لحربه فتوجهوا لقتاله وخرج السلطان أيضا بنفسه فنزل بالقرب من النيل فارتحل طومان باي من محله وهرب فتبعه العسكر منازل فعلم الأمراء أنه لا راحة لهم ما دام موجودا فتركوا أثقالهم وسعوا في طلبه فادركوه بين الإسكندرية ورشيد

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

فحصل حرب عظيم وقبض على جماعة ممن معه وهرب هو وتوجه في طلبه بعض الأمراء فأدركه في بحيرة وأحاط به وقتل جميع من معه فألقى طومان باي نفسه في البحر فلما أشرف على الغرق طلب الأمان فرموا له جبلا وتمسك به فجروه إلى البر ومسكوه وقيدوه وجاءوا به إلى السلطان ويقال إنه هرب واستجار بشيخ عرب بني جذام عبد الدائم ابن مقر وأنه هرب إلى خياط السلطان سليم وسلم إليه السلطان طومان باي ذكر هذا

العلامة قطب الدين رحمه الله تعالى فقصد السلطان العفو عنه لما رآه ثم تذكر جرائمه ونقض العهد وقتل القضاة الأربعة والكيخية وعلم أن الفتنة لا تنام ما دام موجودا .

(العصامي – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 69/4)

التقى طومان باي بالجيش العثماني في خمس معارك حربية في مدة لا تتجاوز الثلاثة أشهر هي **(موقعة الريدانية يوم 29 من ذي الحجة 922 هـ) و (موقعة الصليبة في ليلة الأربعاء 5 محرم 923 هـ) و (موقعة أطفيح) و (موقعة الجيزة) و(موقعة وردان)،**

فارتحل طومان باي من محله وهرب فتبعه العسكر منازل فعلم الأمراء أنه لا راحة لهم ما دام موجودا فتركوا أثقالهم وسعوا في طلبه فادركوه بين الإسكندرية ورشيد فحصل حرب عظيم وقبض على جماعة ممن معه وهرب هو

أما السلطان طومان باي فقد اختفى وسط الأهالي بحي الصليبة وأخذ يكر على العثمانيين من هناك مع نفر قليل من المماليك.

ولما ظهر طومان باي من جديد في القاهرة تحولت الخطبة إلى النداء باسمه، بعد أسبوع واحد من الخطبة باسم سليم الأول فكان يهاجم وعسكره تجمعات العثمانيين ويقتل منهم من يستطيع قتله ثم يختفي.

لكن الكثرة تغلب الشجاعة، فقد فتر عزم القلة المحيطة بطومان باي عن القتال، فتوقفت حركة المقاومة واضطر السلطان إلى الفرار نحو البهنسا وأخذ يجمع حوله العربان والمماليك الفارين نواحي الصعيد.

أرسل طومان باي رسالة إلى السلطان سليم شاه يقول له فيها:

إن كنت تروم أن أجعل السكة والخطبة باسمك، وأكون أنا نائبا عنك بمصر، وأحمل إليك خراج مصر حسبما يقع الاتفاق عليه بيننا، فارحل عن مصر أنت وعسكرك إلى

الصالحية وصن دماء المسلمين بيننا، وإن كنت لا ترضى بذلك اخرج ولاقني في بر الجيزة ويعطي الله النصر لمن يشاء.

أرسل **ابن عثمان** وفدا للتفاوض مع طومان باي، لكنه لم يصل معه إلى شىء، وقيل أن طومان باي هو الذي غدر وقتل من صحب الوفد من العثمانيين، وانتهى الأمر إلى مواجهة مزلزلة بين سليم

وطومان قرب الجيزة بمنطقة المنوات، انتصر طومان باي في بدايتها، لكنها انتهت بانكسار جديد لآخر السلاطين الجراكسة، ليفر بعدها إلى الغربية ويختبىء هناك، لكن العربان وشوا بمكانه إلى السلطان سليم شاه، فأرسل جنوده فقبضوا عليه ووضعوه في الحديد،

واستطاع ان يوقع خسائر كبيرة في الجيش العثماني واثار هذا غضب **السلطان سليم الأول** وقال :

ما كنت أظن أن أقاسي من أحد مثل ما قاسيت في يومي هذا

هزم جيش **طومان باى** أمام **سليم الأول** فى موقعة وردان بالجيزة، وقد كتب **طومان باى** إلى **سليم** قائلا، وفق ما أورد **ابن إياس**:

إن كنت تروم الخطة والسكة باسمك، وأكون نائبا عنك بمصر، وأحمل إليك خراج مصر حسبما يقع الاتفاق عليه بيننا من المال الذي أحمله إليك فى كل سنة، فارحل عن مصر أنت وعسكرك، وصن دماء المسلمين بيننا، ولا تدخل في خطيئة أهل مصر من كبار وصغار وشيخ ونساء، وإن كنت ما ترضى بذلك أخرج ولاقني فى بر الجيزة، ويعطى النصر لمن يشاء.

ومن هناك فاوض السلطان سليم فوعد سليم بأن يرتد عن مصر إذا ضربت باسمه السكة وكانت الخطبة له فى صلاة الجمعة. وكان السلطان مستعدا لقبول هذه الشروط،

وأمر جنوده بعبور النيل، ولكنهم رسوا متفرقين شراذم فقضى عليهم جنود **طومان باى** الذين كانوا يفوقونهم عددا. ولذلك استقر رأيه على أن يستعين بمدفعيته، فأقام المدافع على ضفة النيل، وقذف أعداءه بالقنابل فأصابهم بضر عظيم فعمدوا إلى الفرار، وهناك أصبح فى استطاعة الترك أن يعبروا النيل.

وجمع طومان باى مرة أخرى جيشا، ومن ثم أنفذ إليه رسولا للتفاوض معه؛ على أن هذا الرسول الذى كان من قبل مملوكا لطومان باى، بدأ يستعمل فى كلامه ألفاظا مهينة فجرح أثناء المناقشة وأعيد إلى السلطان سليم. ودار القتال سجالا فى تلك الليلة. وفى اليوم التالى تحدى تابعه القديم للمبارزة التى انتهت بفوز السلطان. على أن جنود المماليك حلت بهم هزيمة منكرة على يد القوات المتفوقة للترك والبدو الذين كانوا قد انضموا إليهم على الرغم من الشجاعة التى أبداها المماليك.

فقام بأعباء الملك، ووصل الترك العثمانيون إلى غزة، فجهز جيشا، وسيره لقتالهم، فانهزم وحشد الجموع من كل أفق، ودافع عن القاهرة دفاع البطولة، فغلب على أمره، ودخلها العثمانيون، يقودهم السلطان سليم (سنة 922 هـ 1516 م) ولم يكد السلطان العثماني يستقر حتى خرج طومان باي من مخبأه، بقوة من المماليك والعبيد ، فداهموا العثمانيين ليلا، ونشبت معركة حامية (سنة 923 هـ كاد يتقلص بها ظل العثمانية ولم يسعفه القدر، فظفر العثمانيون واختفى ثانية فأعملوا السيف في رقاب الجراكسة حيثما وجدوهم،

(الزركلي – الاعلام 233)

(خيانة شيخ العرب)

هرب طومان باى إلى سخا واستنجد بشيخ عربانها حسن بن مرعى، وكان ابن مرعى من أعز أصدقاء السلطان، وله عليه غاية الفضل والمساعدة من أيام الغوري، وقام بما عليه من المال مرارا، فلم يذكر له من هذه الأخلاق شيئا ولا أثمر فيه الخير، فسلمه إلى

السلطان سليم، وكان طومان باى مرتديا لبس العرب من الهوارة، وليس في زى المماليك ، وراح طومان باى ضحية الخيانة.

لجأ طومان باي إلى البحيرة حيث صديقه الشيخ حسن بن مرعي – من عربان البحيرة – الذي أقسم له سبع مرات على المصحف أنه لا يسلمه لعدوه، وكان طومان باي قد أنقذه يوما من حبس السلطان قانصوة الغوري، فتوقع أن يذكرها الشيخ له ولكن ابن مرعي سرعان ما غدر بضيفه وأبلغ العثمانيين عنه

(ابن زنبل – اخرة المماليك)

اجتمع طومان باي بالامراء المرافقين له وقال :

رأيت أن قائلا يقول لي ، رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقرئك السلام ، ويقول لك ، إن دولتكم قد زالت ، وعمركم قد فرغ، وأنت جارنا في الجنة بعد أربعة أيام، ارجع عن القتال، فلا فائدة لك فيه، وأنا قد عزمت على رمي سيفي في هذا البحر المالح، وقال لهم كل واحد يذهب إلى حيث أراد وهذا آخر اجتماعنا في الدنيا والقيامة تجمعنا في الآخرة .

فبينما هم في هذا الكلام إلا ورأوا الخيل قد أقبلت من بعيد، فحطوا على عدوهم، لكن ماذا يفعل عدد قليل مع هذا الجيش الذي أرسله **السلطان سليم** بقيادة **جان بردي بك** للقبض على **طومان باي**، وبالفعل تم لهم المراد وأرسلوا من يبشر السلطان سليم بأنهم قبضوا عليه مسكا باليد، وأنهم قادمون بالقيد والبند بعد أن كان رمى سلاحه في البحر المالح وسلم نفسه بالأمان وقد تشتت جميع عساكره وأمسكوه باليد وهو واقف على جبل عال بمفرده، ففرح السلطان بذلك غاية الفرح وقال الآن ملكنا ملك مصر فحملوه إليه في الأغلال، لكن السلطان سليم أبقاه في أسره عدة أيام وكان يشاع أنه ينفيه إلى مكة، بل وشاع أنه قد يجعله نائبا عنه على مصر .

(ابن زنبل – اخرة المماليك)

وعندما عرضوا **طومان باي امام سليم الأول** اعجب سليم الأول به وبشجاعته وعرض عليه ان يجله الوالي على مصر تحت حكم العثمانيين لكن **طومان باي** رفض وامر **سليم الأول** بسجنه حتى يوافق على ان يصبح الوالي على مصر .

(على باب زويلة)

إنك يا سلطان الروم، غير ملوم على سقوط ملكنا وهزيمتنا،

بل الذنب كله على الخونة.

قال الفقيه **عبد الله بن عمر: سمعت خطيب المدينة الشريفة** يقول: **لما أخذت مصر انشدني الوزير ابن الجبعان، وكان وزير الملك الأشرف قانصوه الغوري لما قتل ، هذين البيتين:**

ليت شعري من على مصر دعا ... مخلصا لله حتى سمعا ...

ملؤوها وحشوها نكدا ... فهي تبكينا ونبكيها معا

وكان **طومان باي** محمود السيرة في سياسته مع الرعية، أبطل كثيرا من المظالم ومدة **سلطنته ثلاثة أشهر و 14 يوما** وبمقتله دخلت مصر في حكم الدولة العثمانية .

(الزركلي – الاعلام 233)

الذي وصل إلى علمي من لفظ **سيدي محمد ابن السلطان الغوري**، إن **السلطان سليم** لم يكن في نيته قتل السلطان **طومان باي** وإنما كان السبب في ذلك **خاير بك**، نائب حلب، **وجان بردي الغزالي**، فإنهما لما رأيا السلطان سليم لم يسهل عليه قتله وصرح لهما في المجلس العام أن مثل هذا لا يقتل لأنه لما رأى كلامه سديدا وهو حق وصدق وثبت عنده صدقه وظهر له حاله ورأى من شجاعته ما يفوق الوصف، لم يسهل عليه قتله، وكان يريد أن

يأخذه معه إلى بلاد الروم ويبقيه عنده ذخيرة بعد أن يستحلفه الأيمان المغلظة، وقد ثبت عنده دينه وصلاحه

كان، رحمة الله عليه، محبوبا لكل من يراه، فلا يراه غريب ولا قريب إلا وأحبه وشهد له بالصلاح، غير أن خاير بك والغزالي خشيا على نفسيهما من بقاء طومان باي حيا، فألحا على السلطان سليم بقتله، لأن حكم العثمانيين في هذه البلاد سيظل محفوفا بالمخاطر ما عاش طومان باي، فاقتنع السلطان سليم بقولهما فأصدر قراره بشنقه على باب زويلة

(ابن زنبل – اخرة المماليك)

حمل السلطان أسيرا يرسف فى أغلاله إلى سليم الأول، لكنه كان مرفوع الرأس يرسف، فقال بحسب شهادة ابن إياس:

إن الأنفس التي تربت في العز لا تقبل الذل، والأسد لا يخضع للذئب، ولستم بأفرس منا ولا أشجع، وليس فى جندك من يقايسني فى حومة الوغى .

وتملك الإعجاب **بطومان باى** من نفس **سليم** ، وقال: **والله لا يقتل مثل هذا الرجل**، وكاد أن يعفو عنه، **وظل سجينا لدية لمدة سبعة عشر يوما**، حتى إن **طومان باى** حين ساقوه إلى الإعدام لم يكن يعلم بذلك .

ثم لما ظفر به أراد أن يكرمه ويجعله نائبا عنه بمصر فعارضه خير بك وخاف عاقبة فعله، وقال لسليم:

إنك إن فعلت ذلك استولى على السلطنة ثانيا، وحسن له قتله .

(ابن العماد – شذرات الذهب في أخبار من ذهب 201/10)

يوم الاثنين 21 ربيع الأول سنة 923 هـ الموافق 23 أبريل 1517 م

كان الناس في القاهرة، قد خرجوا ليلقوا نظرة الوداع على سلطان مصر.. وتطلع طومان باي إلى (قبو البوابة) فرأى حبلا يتدلى، فأدرك أن نهايته قد حانت.. فترجل.. وتقدم نحو الباب بخطى ثابتة.. ثم توقف، وتلفت إلى الناس الذين احتشدوا من حول باب زويلة.. وتطلع إليهم طويلا.. وطلب من الجميع أن يقرؤوا له الفاتحة ثلاث مرات.. ثم التفت إلى الجلاد وقال اعمل شغلك .

فلما وضعوا الخية فى رقبته، ورفعوا الحبل، انقطع به فسقط على عتبة باب زويلة، وقيل انقطع به الحبل مرتين، وهو يقع على الأرض ثم يعلقونه وهو مكشوف الرأس، فلما شنق صرخت عليه الناس صرخة عظيمة، فإنه كان شابا حسن الشكل، كريم الأخلاق، سنه نحو أربع وأربعين سنة، وكان شجاعا بطلا تصدى لقتال ابن عثمان، وثبت وقت الحرب بنفسه، وقتل منهم ما لايحصى .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

ثم شنقوه وهو مكشوف الرأس، وعلى جسده شاياه جوخ أحمر، وفوقها ملوطة بيضاء بأكمام كبار، وفي رجله لباس جوخ أزرق. فلما شنق وطلعت روحه صرخت عليه الناس صرخة عظيمة .

أنه بعد شنق السلطان لطومان باى، أقيم احتفال تشييع جثمان لا مثيل له، ورغم أن السلاطين العثمانيين يحملون في بعض الأحيان توابيت آبائهم ولا يدخلون تحت أى تابوت آخر يحملونه، إلا أن السلطان سليم الأول اكتنف تابوت طومان باى وكان قد أرسل كفنا فاخرا ليكفن فيه، وحضر مراسم تشييع الجثمان الرسمي جميع الرجال العثمانيين والمماليك معا، ووزع السلطان سليم الأول النقود الذهبية على الفقراء تطييبا لروح السلطان طومان باي، رحمه الله، لمدة 3 أيام

(ابن زنبل – اخرة المماليك)

وكأن الشمس كانت في مصر فغربت أي عند موته .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

لهفى على سلطان مصر.. وكيف قد ولى وزال كأنه لن يذكرا..

شنقوه فوق باب زويلة ولقد أذاقوه الوبال الأكبر.

أشأم الأيام على أهل المملكة حيث بكت عليه الأرامل والأيتام

(ابن زنبل – اخرة المماليك)

ذهب طومان باي بعد أن بذل جهدا خارقا في الدفاع عن مصر، وانفض الجميع من حوله .

(اخرة المماليك)

ولما دخل سليم شاه مصرا نقل جميع تجارها إلى الروم، وصادر أهلها بمال عظيم .

(تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر 123/1)

نقل سليم ، أمهر الأعمال وأرباب الحرف في مصر إلى الأستانة ما سبب الخراب وتوقف الصناعات التي اشتهرت بها مصر، حتى انقرضت الحرف.

فالعثمانيون ما رحلوا عن الديار المصرية إلا والناس في غاية البلية وفي مدة إقامة ابن عثمان في القاهرة حصل لأهلها الضرر الشامل.

أن سليم الأول أمر بجمع ألفين من المصريين من رجال الحرف والصناعات وكبار التجار والقضاة والأعيان والأمراء، وأرسل بهم إلى القسطنطينية، كما عمد العثمانيون مع بداية ولايتهم إلى نزع ما في بيوت مصر وأثمن ما فيها من منقول وثابت، حتى الأخشاب والبلاط والرخام والأسقف المنقوشة ومجموعة المصاحف والمخطوطات والمشاكي والكراسي النحاسية والمنابر.

(ابن زنبل – اخرة المماليك)

عندما يقدم سليم الأول على تصرف لم أسمع أو أقرأ بمثله؛ إذ نقل عمال وصناع ثلاثة وخمسين فنا وصنعة بطلت كلها من مصر. أي أنه نقل ثقافة متكاملة إلى عاصمة ملكه في إستامبول، ومن هؤلاء الفنانين العرب المصريين بدأت نهضة كل الفنون التركية.

(جمال الغيطاني – قاهريات مملوكية)

ومن العجائب أن مصر صارت نيابة بعد أن كان سلطان مصر أعظم السلاطين في سائر البلاد قاطبة، ولكن ابن عثمان انتهك حرمة مصر، وما خرج منها حتى غنم أموالها وقتل أبطالها ويتم أطفالها وأسر رجالها، وبدد أحوالها وأظهر أهوالها.. وأشيع أن ابن عثمان خرج من مصر وبصحبته ألف جمل محملة ما بين ذهب وفضة، هذا خارجا عما غنمه من التحف والسلاح والصيني والنحاس المكفت والخيول والبغال والجمال، وغير ذلك، حتى نقل منها الرخام الفاخر، وأخذ منها من كل شيء أحسنه، ما لا فرح به آباؤه ولا أجداده من قبله أبدا .

(ابن اياس – بدائع الزهور)

وباستشهاد طومان باى دخلت الحضارة العربية والإسلامية مرحلة الذبول والأفول، فالمماليك كانوا حماة الحضارة وفرسانها، فى حين لم تقدم الدولة العثمانية شيئا لإعادة بث الحياة فيها من جديد.

(قاسم عبده – عصر سلاطين المماليك)

جداول مملوكية

معاني اسماء السلاطين والأمراء

معاني أسماء سلاطين وأمراء المماليك

الأسم	المعنى	الأسم بالتركية
أزْدَمُر	حديد نقى	Öz demir
أُقْطَاى	المهر السريع - السهم	Oktay
اولماز	لا يموت -الخالد	Ölmez
إياز -إيَاسْ	السماء الصافية	Ayaz
إينَال	الموثوق به - المؤمن	Inal
إينَال باي	أمير ثقة	Inal bay
أرْجَوَاش	وعاء قوى - شديد	Ergüveç
أرْسَلاَن	الأسد	Arsalan
أرْسلان خَجَا	مُعلّم أسد	Arsalan hoca
أرغُون شَاه	الحصان السريع	Ergunşah
أرَقْطاى	جَسُور ومحظوظ	Araktay
أرُقْطاي	المهر الأصيل	Uruktay
أرْكمَاس	لايذوب -لا ينحل- القوى	Erimez
أزْبَك	أمير نبيل – أصيل	Özbek

Esen boğa	الثور القوى	أسَنْبُغا
Esendemir	حديد قوى	أسَنْدَمُر
Aslam	أسدْ	أصْلَم
Atlamış	فزَ	أطْلَمش
Ağa	السيد – الكبير	أغَا
Oğurlu	محظوظ	أغُرلُو
Akboğa	الثور الكبير	أقْبُغا
Aktay	المهر الضخم	أقْطَاي
Altboğa	الثور الأدنى	ألتبُغا
Altutmuş	ماسك الراية	ألتطُمش
Olcay	إقبال –طالع	ألْجَاي
Elçi boğa	ثور رسول	ألجيبُغَا
Alsınboğa	صارع الثور	ألصنْبُغَا
Altıpars	ستة فهود – سبَاع	ألْطَبَرسْ
Altınboğa	الثور الذهب	ألْطُنْبُغَا
Alın Ak	جبين بيضاء	ألين آق
Öz	نقى- خالص -أصيل	أوز
Özbek	أمير أصيل	أوزْبَك
Ayboğa	ثور قمر	أيبُغَا
Aybek	أمير قَمرْ	أيْبَك
Aytumuş	مولود جميل مثل القمر	أيْتمُشْ
Aydoğdu	مولُود جميل كالقمر	أيْدُغْدي
Aydoğmuş	المولود الجميل	أيْدغْمُش
Aytekin	قَمرْ واحد جالب للحظ	أيْدَكين

Aydemir	القَاطعْ- النّحَات	أيْدَمُر
Parsbay	أمير القمر	أيْنَبَك
Aslan	أسدْ	آصلان
Ak	أبيض	آقْ
Ak berdi	أعطى نقودا	آقْ بَردي
Ak Temur	حديد مطْرُوق	آق تُمر
Ak hoca	مُعلّم كبير	آقْ خُجا
Ak sungur	الصقر الأبيض	آقْ سُنْقُر
Akkuş	طائر أبيض	آق قُوش
Akbay	أمير ذو شرف واستقامة	آقْباى
Ak paça	قَدمْ خروف أبيض	آقبجا
Akberdi	أعطى نقودا	آقْبَرْدي
Akboğa As	ثور كبير دّلقْ	آقْبُغَا آص
Akuş	جريان – سيلان	آقُوش
Almelek	صاحب الراية	آل ملك
Alt	أدنى – أسفل	آلتْ
Anuk	طائر العُقَاب	آنُوك
Ay	القمر	آى
Ayınbek	أمير فهد	بارسباى
Başkurt	رأس ذئب	بآشْقرد
Bekiş	متديّن - ذو دين	بَاكيش
Bay	غنى – سعيد – أمير	بَايْ
Bithas	وجه خاص	بَتْخَاص

Berdibek	أعطى الأمير	بَرْدْ بَك
Berdi	أعطى – وهب	بَردي
Pars	الفهد – السبع	بَرسْ
Parsboğa	الثور الفهد	بَرسْبُغَا
Parsbay	الأمير الفهد	بَرْسبَاي
Berkok	السهم القوى	بَرقُوقْ
Parmak	أصبعْ	برمق
Bozlar	حصان أبيض	بُزْلَار
Başboğa	الثور الرئيس	بَشْبُغا
Baştek	الزعيم - المُقَدم	بَشْتَاكْ
Bektaş	محترم- عزيز	بَكْتَاش
Bektemür	أمير حديد	بَكْتَمُر
Pektut	القبض الإمساك بشدة	بَكْتُوت
Beklümüş	أحدبْ	بَكْلَمُشْ
Belben	شديد – قوى	بَلَبَان
Balbay	أمير ساذج	بَلْبَاي
Bahadır	بطل- شجاع	بهادر
BahadırAs	دّلق شجاع	بهادرآص
Pehlivan	ضَخمُ البَدنْ	بهلوان
Bulak	نبع مياه - منبع	بولاق
Baypars	الفهد الأمير	بَيْبَرس
Bayboğa	الثور السعيد	بيْبُغَا
Bayhoca	المُعلّم الأمير	بَيخُجا
Bidar	ناصح- واعي	بَيْدَرا
Bayram	يوم سعيد- يوم عيد	بيرم

Bayseri	الرأس السعيد	بَيْسَري
Bilbek	الأمير العارف	بيلْبَكْ
Belek	هدية	بيليك
TanPak	الفجرالواضح	تانباك
Tanibek	أمير جسد	تَانبَك
Tatar	قروي من سُكانْ الضواحي	تتر
Tarhan	أصيل -ممتاز	تَرْخان -طَرْخان
Tağri	الله	تَغري
Tağriberdi	الله أعطى	تَغْرِي بردي
Temürboğa	ثّور حديد	تَمُرْبُغَا
Tanboğa	الثور الجسد الضخم	تَنْبُغا
Tenbekmık	أمير جسد ذو شوارب	تَنْبك ميق
Tonğuz	خنزير	تَنْكُز
Tonğuzboğa	ثور خنزير	تَنكزْ بُغَا

Tanım	جسدى	تَنَمْ
Turanşah	ملك التركستان	تُورَان شَاه
Temüraz	حديد نادر	تيمْراز
Temürleng	تيمور الأعرج	تيمورلنك
Çarkes	أربعة أشخاص	جَارْكَس
Can	روح - قوة	جَانْ
Canberdi	أعطى الروح	جَانْ بَردي
Canpulat	الفولاذ القوى	جَانْ بُلاطْ
Canbay	أمير روح	جَانْبَاي
Canbek	أمير روح	جَانبَك
Cani	روح	جَاني
Çarbaşkurt	أربعة رؤس ذئاب	جَربَاش كرت
Çakmak	قدّاحة - زَنَدْ- سلاح	جَقْمَقْ
Çekim	قوة -قدرة	جكَم
Çarkes	أربعة أشخاص	جهاركس
Cihangir	الفاتح الأكبر -الملك	جهان كير
Çoban	الراعي للأغنام	جُوبَان
Çalak	سريع الحركة	چالقْ
Çalık	الحصان حاد المزاج	چاليق
Çavlı	الصقر الصغير الذى لم يدرّب	چاولى
Çarbaş	أربعة رؤس	چرباش
Çalık	الحصان الحاد المزاج	چَلقْ
HasTurk	تركي خاص	خَاصْ تُرك
Hocaberdi	أعطى الأستاذ المُعلّم	خُجَا بَردي

Hoşkadem	قدم سعيد	خَشْقَدَم
Hoşgeldi	حَلَّ سهلا	خُشْكَلْدي
Tokmak	مطرقة كبيرة	دُقْماقْ
Demirdaş	حديدي	دَمُرْدَاش
Devlet	سعادة كبيرة	دُولاَت
Devletbay	الأمير السعيد	دُولاَتْ باي
Devlethoca	مُعلّم الدولة	دُولاَت خَجَا
Raslan	أسد- شجاع	رسْلاَن
Zade	مولود - نجل	زاده
Sekiz	ثمانية عدد	سَكز
Salar	المهاجم - قائد	سَلاَّر
Selamuş	الساعد - المساعد	سَلاَمُش
Sancar	المنتصر على الأعداء، الفائز	سَنْجَر
Sungur	الصقر	سُنْقُر
Sevdin	أمير عاشق	سُودُون
Severbay	أحببتَ	سورباي
Sibay	أمير ثلاثون	سيباي
Şahin	صقر	شاهين
Çarbaş	أربعة رؤوس	شرباش-جرباش
Seyhun	أسم نهر	شَيْخُو-شَيْخُونْ
Sirko	أسد الغابة	شيركُوه
SırkatmıS	كاتم السر	صَرْغَتْمُش
Soncuk	صلب- قوى- ممتلئ	صُنْجُق
Sandal	زَوْرقُ تجديف	صَنْدَل

Taz-Daz	أصلع – أجرود	طاز
TaStemür	حديد حجر	طَاشْتَمُر
Torabay	أمير ضخم البدن	طَرَبَاي
Toruntay	حفيد مهر	طُرُنْطَاي
Taştemür	حديد حجر القوى كالحديد	طَشْتُمر
Tatar	اسم قبيلة تركية	طَطَرْ
Toğay	قائد عسكري كبير لواء	طُغَاي
Toğaytemür	قائد حديد	طُغْاي تَمُر
Tuğcu	حامل الطُّرّة	طُغْجي
Toktemür	حديد ممتلئ	طُقْتمُر
Tokçu	صانع الطوق والسلاسل	طُقْجي
Dokuzboğa	الثور البدين	طُقُزْ بُغا
Dokuzdemir	حديد ثخين	طُقُزْدَمُر
Toksu	مياه كثيرة	طَقْصُو
Toktay	المهر الممتلئ	طُقْطَايْ
Tanboğa	الثور المثير للإعجاب	طَنْبُغا
Toruntay	مُهر حفيد	طُورنْطَاي
Doğan	صقر	طُوغان
Tolubay	أمير الراية أو الصنجق	طُولُبَاي
Dolu	صاحب الراية	طُولُو-طُولى
Dolubey	الأمير صاحب الراية	طُولُو بيه
Tolun	بَدرْ - قمر بدر	طُولونْ
Tümenbay	أمير فرقة عسكرية	طُومان باي

Taypars	صغير الفهد	طَيْبَرسْ
Firuz	حجر كريم نادر	فَيْرُوز
Kazan	مرجَل -آنية كبيرة	قَازَان
Kanbey	أمير دَمْ	قَانْبيه
Kansu	عُصارة الدمْ	قَانْصوه
Kanıbaykara	أبن سعيد أسود	قَاني باي قَرَا
Kanıbay	أبن السعيد	قَانيباي
Kayıtbay	أمير قائد	قَايتْبَاي
Kıpçak	بلاد القبجاق	قَبْجَق
Kubilay	جمال السماء	قُبْلَاي
Kutlu	مبارك - سعيد	قُتلوُ
Koçak	جسور – شجاع	قُجَقْ
Kaçmaz	لا يهرب الشجاع	قجْمَاس
Kara	أسود – شديد - قاسى	قرا
Karaarslan	الأسد القوى	قَرَا أرْسلان
KaraSungur	الصقر الشديد القوي	قَرَا سُنْقُر
KaraKoyunlu	الشاة السوداء	قرا قوينلو
Karaca	نوع من الغزلان	قَرَاجَا
Karahoca	المُعلَّم الشديد	قَرَاخُجَا
KaraToruntay	حفيد المهر الأسود	قراطُرنْطَاي
Karagöz	العين السوداء –خيال الظل	قراكوز
Karatay	المهر الأسود	قَرَطاى
Korkmaz	لا يخاف الشجاع	قُرقْمَاسْ

Kutuz	الثور الوحشي	قُطُز
Kutlubay	الأمير السعيد	قُطْلبَاي
Kutlu	مبارك – سعيد	قُطلُو
Kutlubay	الأمير المبارك	قُطْلُوبَاي-قُطْلُوبَك
Kutluboğa	الثور المبارك	قُطْلُوبُغَا
Kutluhoca	المُعلّم المبارك	قُطْلُوخَجَا
Kutluşah	الملك السعيد	قُطْلُوشَاه
Kalavun	بطْةَ	قلاوون
Komari	نوع من البخور الجيد	قُمَارِي
Konukbay	الأمير الضيف	قُنُقْبَاي
Kovsun	طائر	قَوْصُون
Gütboğa	الثور الضخم	كَتْبُغا
Keçe	لَبد – لبَاد	كَجا
Küçük	صغير	كُجَك
Kurt	شجاع –بطل	كُرت–كُرد
Kurtbay	أمير ذئب	كُرْتَباي
Kerci	زَوْرَقْ	كَرْجِي
Güzel	جميل- محُتَرمْ	كُزَل
Kesbay	أمير حيران	كَسْبَاي

Kuhrdaş	حجر الجوهر	كُهُرْدَاش
Gökay	الوسيم مثل السماء والقمر	كوكاي-كوڭاي
Gündük	شمس- نهار ساطع	كَونْدُك
Laçın	نوع من الصقور- شجاع	لاَجِين
Mamay	ثور الحصاد الرئيسى	مَامَاي
Mısırbay	أمير مصر	مصربَاي
Moğolbay	أمير مغولى	مُغُلْبَاي
Melbay	أمير الشَّراب	مَلباي
Melektemür	حديد ملك	مَلكْتَمُر
Mencek	سحر - شعوذة	مَنْجَك
Mantaş	حجر البيت	مَنْطاش
Mengeliboğa	الثور ذو الخلخال أو الحلقة	مَنْكُلي بُغَا
Mengüberdi	أعطى الخلود	منكو بردى
Mengütimür	حديد خالد	مَنْكُوتَمُر
Nevruz	يوم جديد	نَوْرُوز
Nuğay	أسم شعب من الأتراك	نُوغَايْ
Yaşbek	أمير يافع - شاب	يَشْبَك
Yağmur	المَطر	يَغْمُور
Yelbay	ثور روس الجسور	يَلْبَاي
Yelboğa	الثور الشجاع	يَلْبُغَا
Yelboğarus	الأمير الشجاع	يَلْبُغا رُوس

(عبد الله عطية - معجم اسماء سلاطين وامراء المماليك)

معجم ألفاظ العصر المملوكي

الأدر السلطانية :	جمع دار ويقصد به مقر السلطان ومجالسه .
الإفرنتي :	هو الدينار الإفرنجي وقد سمي المشخص لوجود صورة الحاكم الذي ضرب في عهده على أحد وجهيه ، وعلى الوجه الآخر صورتا القديسين بطرس وبولومي الحواريين ويطلق على هذه الدراهم أيضا اسم الدوكات .
الإكديش :	اسم للحصان الهجين الأعجمي في مقابل العراب ، وكانت تجلب من بلاد الروم والترك ، وغالبا ما كانت مشقوقة الأنف وهي صبورة على السير ، سريعة المشي .
الأشغال السلطانية :	وتعني استخدام السلطان للآخرين في أعماله .
الأشكري :	اسم إمبراطور بيزنطي في مدينة نيقية بتركيا ثم صار اسما لكل أباطرة الدولة البيزنطية .
الأعلام السلطانية :	رايات السلطان ترفع أمامه يوم العيد .
الألاجة :	لفظ تركي ويعني الشئ الملون بألوان كثيرة ، وهو غطاء طاولة ، أو سرير من قصاصات الحرير ، تخاط مع بعض ، كان يصنع في جهات مختلفة من بلاد الأناضول والشام .
الآغا :	كلمة تركية تعني الكبير ، وتطلق على صغار الضباط ، وأحيانا على كبارهم ، وتأتي بمعنى السيد ، والآمر ، ورئيس الخدم ، والأتباع .
الباذهنج :	من الفارسية "باذ" بمعنى ساحب و"آهنج" بمعنى هواء ، أي ساحب الهواء ومدخله ، فهو نافذة أو فتحة للتهوية ، وتطلق على الفتحة تحت موقف الخطيب في المنبر ، أو الفتحة في كم الحبة .
البازار :	من الفارسية بمعنى السوق وعقد الصفقات التجارية ، ثم أطلقت على الأسواق عامة في كثير من اللغات ، وفي كثير من البلدان العربية يطلقون اسم البازار على السوق الرئيسة .
الباشورة :	طريق منعطف بين بابي البلد يجعل لعرقلة السير والهجوم وقت الحصار والحرب ليصعب الهجوم على البلد .

البرواناه :	لفظ فارسي معناه في الأصل الحاجب ، وقد أطلق في دولة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى على الوزير الأكبر .
البشمقدار :	هو الذي نعل السلطان أو الأمير ، ويعتني به ، وكلمة بسمق تعني نعل بالتركية .
البقجة :	جمع بقج ، لفظ تركي بو غجة بمعنى الخنق مثل بو غمق ، وهو قطعة من القماش تلف بها الأغراض ثم تربط أطرافها الأربعة . وقد تحفظ فيها الأوراق ، وكذلك نوع من الحلوى .
البندق :	كتل من الطين تكون كالبندق ثم تجفف بالشمس أو تشوى على النار ، وتوضع في وسط وتر القوس ، ثم تشد مع الوتر وترمى إلى مكان بعيد بدل النبل .
البهلول :	الرجل الذي يلعب لإضحاك الناس من حوله ويقال له المسخرة .
البواقي :	لفظ اصطلاحي كان يطلق على كل ما يتأخر كل سنة عند الضمان من الخراج
التجريدة :	الفرقة من العسكر الخيالة دون الرجالة ، والمقصود فيها سير الجنود على وجه السرعة دون إثقال أو حشد
التخت :	هو المكان الذي كان يجلس عليه الملوك في المواكب ، يرتفع عليه الملك حتى لا يساوي غيره في جلسائه ، ويقال تخت المملكة أو كرسي العرش : إذا كان ثابتا في مجلس الملك .
التختروان :	لفظ فارسي الأصل يتألف من "تخت" بمعنى السرير ، و"روان" وهو السائر المتحرك ، وهو تخت يحمله جملان من الأمام وجملان من الخلف أي أربعة جمال أو أحصنة ، يجلس فيه الملك أو النساء أو الأولاد في الرحلات
التذرع بالسخام :	يقال : تذرعت الجواري بالسخام : أي لطخت أذرعها وثيابها ووجوهها بسواد الفحم وأسفل القدور دلالة على الحزن .
التربة :	مكان دفن الموتى ، أو المدفن الخاص الذي يعلوه ، طربال : وهو القبة العظيمة
التسمير :	نوع من الصلب على صليب من الخشب ، تدق فيه أطراف المحكوم ص بالإعدام بالمسامير إلى الخشب ، فيبقى المسمر ساعات أو أياما حتى يموت .
التشريف :	هو ما يقابل في عصرنا الوسام .

التشريف خليفتي :	تشريف الخليفة لمن يكلفه بعمل فيلبسه لباسا مناسبا ، فالتشريف الأسود : هو عمامة سوداء وجبة وطوق وفرس بمركوب بحلية ذهب ترسل من الخليفة لمن كان قد غضب عليه دلالة على رضا الخليفة عليه وعودته من المنفى .
التشهير :	جمع تشاهير وهي الأشرطة التي توضع حول صدر الحصان .
التصدير :	بمعنى التدريس ، أي يتصدر المدرس مجلسا في المسجد ليدرس الطلبة .
التصقيع :	هو عملية إحصاء البيوت والعقارات لأجل فرض الضريبة عليها ، وكذلك التقويم لتقدير قيمة كل بيت من البيوت المحصاة من أجل الغرض نفسه .
التكحيل :	عقوبة تنفذ بميل حديد محمي بالنار ، ويكحلون عين المذنب فيفقد عينه .
التكفور :	لقب ملوك سيس في إفريقيا.
التوسيط :	شكل من أحكام الإعدام ، وطريقته بأن يعري الشخص من الثياب ، ثم يشذ إلى خشبة مطروحة على الأرض ويضرب بالسيف تحت سرته بقوة ضربة تقسم جسمه نصفين فتنهار أمعاؤه إلى الأرض .
الجاليش :	علم كبير في أعلاه خصلة من شعر الخيل ، يرفع هذا العلم أربعين يوما قبل الخروج للقتال وذلك فوق مبنى الطبل خانة وهذا من التقاليد المملوكية .
الجامكية :	لفظ فارسي مشتق من جامة بمعنى اللباس ، أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي ، وقد ترد بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة .
الجاندارية :	فئة من المماليك تتبع السلطان أو الأمير ، ومثلها الخاصكية . ويتألف لفظ الجاندرية من : جان ومعناه سلاح بالفارسية ، ودار بمعنى ممسك أي ممسك السلاح .
الجتر :	من خصائص السلطان وهو مظلة أي قبة من الحرير الأصفر مزركشة بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس السلطان .
الجلب :	ما تجلبة البلاد من الأطعمة للجيوش النازلة بقربها .
الجلبان :	هم المماليك الذين جلبوا حديثا .

الجلبة :	جمعها جلاب وهي نوع من السفن التجارية خاصة بالبحر الأحمر .
الجناب :	لقب مملوكي لأرباب السيوف والأقلام ، وهم فوق ولاة العهد من السلاطين ، وهناك ألقاب أخرى كالمقر وهو أعلى لقب يمنح للقضاة والعلماء .
الجنايب :	جمع جنب وهي الخيول الاحتياطية التي ترافق السلطان في سفره ، كما تستعمل أيضا بمعنى الحرس المرافق .
الجهة :	أطلق على زوجة الخليفة أو حظيته في العصر السلجوقي وما بعده ، ويراد بها أحيانا السيدة المتزوجة مطلقا كما يراد بها المرأة الجليلة القدر .
الجهة المفردة :	هي الضريبة المقررة لديوان المفرد ، وهو الديوان الذي يتولى نفقة المماليك السلطانية من جامكيات وعليق وكسوة ، وإيراده من البلاد المفردة له .
الجواري الجنكيات :	الجواري اللائي يلعبن يعزفن الجنك ، وهو من الآلات الوترية والجنكي في عصر المماليك بمصر هو الراقص في المنتديات والأفراح ، وجمعه جنك ، وهم من غلمان وشبان الأرمن واليهود واليونان والترك ، وبعض ثيابهم من لبس الرجال ، وبعضها من لبس النساء ، وكانوا يرسلون شعورهم ويضفرونها .
الجواري الغلاميات :	الجواري اللواتي يلبسن ثياب الغلمان للخدمة .
الجوالي:	جمع جالية ، وهو المال الذي يؤخذ من أهل الذمة مقابل استمرارهم في بلاد الإسلام تحت الذمة وعدم جلائهم عنها ، وهي الجزية ، وهي من أحل الحلال من الأموال ، لذا جعلت منها أجور العلماء والمدرسين . والجالية لفظ أطلق على أهل الذمة لأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أجلاهم عن جزيرة العرب ثم لزم بهذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الجزية ، وإن لم يجلوا عن أوطانهم .
الجوامك :	جمع جامكية وهي مرتب خدم الدولة من العساكر والموظفين .
الجوسن:	درع من نوع خاص ، والجمع جواشن وجواسن .
الجيزة :	جانب من النهر الذي يجتاز منه ، أو جانب الوادي الذي يجتاز منه
الحداد :	لبس المرأة ثيابا سوداء حدادا أو حزنا على أقاربها أو زوجها ، أو لبس الرجل ثوبا أزرق وعمامة زرقاء حزنا على زوجته إلى أن يتزوج .

الحاشية :	هي أطراف صفحة الكتاب ، ثم صارت عبارة عما يكتب فيها ، ثم يجرد منها فيدون تدوينا مستقلا متعلقا بموضوع البحث ، وهذه الحاشية غالبا ما تكون إيضاحا لأبحاث شرح المتن ، فالشرح إيضاح لمشكلات المتن ، والحاشية أيضا إيضاح لمشكلات الشرح وكثيرا ما يسرف صاحب الحاشية بذكر أشياء خارجة عن الموضوع ، أو تكون فوق مستوى الشرح فيتشوش بذلك ذهن الطالب .
الحداد :	لبس المرأة ثيابا سوداء حدادا أو حزنا على أقاربها أو زوجها ، أو لبس الرجل ثوبا أزرق وعمامة زرقاء حزنا على زوجته إلى أن يتزوج .
الحراقة :	سفينة كبيرة حربية كانت تحمل الأسلحة النارية .
الحرفوش:	هو الذي ليس بصاحب صنعة أو حرفة ، ولا يملك دكانا ، وهو فقير أو بمعنى الفقير ، وجمعها حرافيش أو حرافشة وهم أحط طبقات الشعب .
الحسبة :	نظام من النظم الإدارية الإسلامية يطلق بالمعنى الواسع على وظيفة المحافظة على النظام العام والمراقبة لما يجري بين الناس من معاملات والفصل القوي بين المنازعات مما لا يدخل في اختصاص القاضي وفي العهد المملوكي كانت حسبة القاهرة وظيفة يتولى شاغلها الأمر والنهي فيما يتصل بالمعايش والصنايع والتصرف بالحكم والتولية بالوجه البحري بكامله ما عدا الإسكندرية ومن اختصاصه حفظ ومراقبة الأسعار والنظر في المقاييس والمكاييل والموازين .
الحشرية :	دائرة حكومية تسمى الدائرة الحشرية كانت في العهدين الأيوبي والمملوكي حين كان المذهب الشافعي سائدا ، وهذا المذهب لا يورث ذوي الأرحام كما في مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ، فإذا مات الميت عن زوجة وبنت ، وضعت الحشرية يدها على المال فأعطت البنت والزوجة نصيبهما لأنهما من أصحاب الفروض ، أي مذكور ميراثهما في القرآن فرضا أما باقي التركة فتضم لبيت المال
الحصن :	القلعة التي تكون في رأس الجبل وتسمى قلعة ، والتي تكون على وجه الأرض تسمى حصنا ، كقلعة دمشق .
الحطي :	لقب ملك الحبشة بالحطي وهو حاكم الإقليم الأكبر في الحبشة .

الحضرة الصوفية :	مجلس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الوقوف مع الذكر لله تعالى وإنشاد المدائح والتمايل من الطرب بالذكر إلى الأمام وإلى الخلف بشكل جماعي مع إمساك الأيدي لتقوية الربط الروحي اعتقادا بحضور روح النبي صلى الله عليه وسلم لمجلس الذكر .
الحطي :	لقب ملك الحبشة بالحطي وهو حاكم الإقليم الأكبر في الحبشة .
الحفصيون :	ملوك تونس نسبة إلى الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى بن محمد ، أحد أصحاب مهدي الموحدين عبد الله بن تومرت بسلا .
الحوطة :	الإحصاء للأموال لدفع الضرائب عليها
الحياصة :	الحزام الذي يوضع في وسط جسم الدابة أو على فخذيها تحت ذيلها لتثبيت السرج للركوب .
الخازوق :	وهو عمود مدبب كانوا يجلسون عليه من يحكم عليه بالإعدام ، ليموت بطيئا أليما بنزيف الدم ، وتمزق عورته وأمعاؤه.
الخاصكية :	وهم نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من المماليك الأجلاب الذين دخلوا في خدمته صغارا ويجعلهم في حرسه الخاص ، وجعل هذا الإسم خاصا بهم لأنهم يحضرون على السلطان في أوقات خلواته وفراغه ، وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المتقدمين ، ويحضرون في طرفي كل نهار في خدمة الإصطبل والقصر ، ويركبون مركوب السلطان ليلا ونهارا ، ولا يتخلفون في قرب ولا بعد ويتميزون عن غيرهم في الخدمة بحملهم سيوفهم ولباسهم المطرز المزركش ، ويتوجهون في المهمات الشريفة ويتأنقون في مركوبهم وملبوسهم .
الخاقان :	الرئيس أو الزعيم عند التتر ويختصر إلى خان أو قان .
الخانقاه :	كلمة فارسية وتعني محلا للتعبد والتزهد والبعد عن الناس ، وبمعنى بيت أيضا ، دخلت هذه الكلمة العربية منذ انتشر التصوف فهي كالدير في النصرانية .
الخبز :	كلمة بمعنى الراتب والمخصصات وتجمع على أخباز ، وفي تاريخ أبي الفداء/ "و في هذه السنة تقدمت مراسيم السلطان بقطع أخباز المذكورين وطردهم فقطعت أخبازهم" .

الخراج:	ما يؤخذ سنويا من الأراضي التي تزرع حبوبا ونخلا وعنبا وفاكهة ، وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الدجاج والغنم والكشك وغيره من طرف الريف.
الخشداش :	لفظ فارسي معناه الزميل في الخدمة والخشداشية : هم الأمراء الذين نشأوا مماليك عند سيد واحد ، فنبتت رابطة الزمالة.
الخوخة :	الباب الصغير ضمن باب كبير ، إذا مر منه الإنسان طأطأ رأسه ، أو باب خلفي صغير ، أو باب صغير بين بيتين .
الخوند :	السيد العظيم أو الأمير ، استعملت في العربية لقبا بمعنى السيد أو السيدة .
الخوندار :	هو الذي يتصدى لخدمة الطيور المستخدمة في الصيد .
الدبابة :	برج متحرك له أربع طبقات يدخل تحته الجنود ويقتربون من السور ، أسفله من خشب ثم فوقه برج رصاص ثم برج حديد ثم برج نحاس صفر يتحرك على عجلات لمهاجمة الأسوار وتسلقها ويلحق به الكباش لهدم السور .
الدبوس :	عصا من الخشب أو الحديد في رأسها شيء كالكرة.
الدربند :	بمعنى سنبلة من الحديد يقفل بها باب الدكان ، ثم استعملت بمعنى المضايق والطرقات أو المعابر الضيقة للأنهر والبحيرات .
الدرقة :	الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب والجمع درق وأدراق ودراق .
الدست :	كرسي من أربعة كراسي لكتاب يكتبون بما يريد السلطان ، ويضعون توقيعهم بدله بإذنه نيابة عنه وترسل للتنفيذ ، ويقال كراسي الدست ، أو توقيع الدست ، أو كتبة الدست .
الدهليز :	خيمة السلطان ترافقه في الحروب أو في الصيد والتنزه ويستعمل اللفظ حاليا لممر يقع داخل المنزل تغطى ببناء فوقه ليصل إلى فسحة المنزل .
الديلم :	البلاد الواقعة جنوب غرب بحر قزوين.
الديوان المفرد :	هو الديوان المختص بما أفرد من البلاد لصرف غلتها على مماليك السلطان من جامكيات رواتب وعليق طعام الخيل وكسوة.

الرباط :	في مصطلح أهل دمشق كالخانقاه .
الربعة :	إناء مربع من جلد فيه الطيب وأدوات الزينة ، وقد تطلق الربعة ويراد بها القرآن الكريم المجزأ وقد يراد بها مساكن مبنية فوق حوانيت ودكاكين ووسائل للتجارة .
الرنك :	الشعار الذي يتخذه السلطان وأكثر ما يكون في الأبنية .
الرهوان :	من الفارسية : راهوار هو الحصان السريع في المشي وهو غير أصيل بنوعه .
الروزنامة :	في الفارسية : روز بمعنى يوم ، ونامة أي الكتاب "كتاب اليوم" . وفي عصرنا تستعمل الروزنامة للدلالة على التقويم . ديوان الروزنامة : ديوان مالي يحبي الضرائب ويتولى الانفاق على بعض الجهات ومرتبات لبعض الطلبة والفقراء .
الروشن :	فارسية الأصل : الفتحة أو النافذة والمشربيات
الزاوية :	كلمة تطلق على كل مسجد صغير فيه أحد الرجال المشهورين بالتقوى والصلاح والعبادة ، ويقوم بوظيفة الوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه ، ولا يوجد فيه منبر أو مئذنة ، وقد يوجد فيه محراب .
الزردخانة :	هو المكان المخصص لحفظ السلاح والعتاد الحربي ، وقد تطلق على السلاح نفسه . ومن معانيها السجن المخصص للمجرمين من الأمراء وأصحاب الرتب.
الزردكاش :	المسؤول عن صنع السلاح وصيانته .
الزركش:	طرز الثوب من حواشيه بخيوط الذهب ، وزركش الثوب أي زخرفه وقد تكون لجميع الثوب .
الزمط - الزنط :	لباس يوضع على الرأس فيغطي أعلاه غالبا وترتد أطرافه إلى الأعلى.
السماط :	ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين ، ويطلق أحيانا على المائدة السلطانية ، وكانت تمد طرفي النهار من كل يوم أسمطة جليلة لعامة الأمراء ومنها ثلاثة ، واحدا بعد واحد في الزمان : الأول لا يأكل منه السلطان . والثاني بعده يسمى الخاص ، قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل . ثم الثالث بعده ويسمى الطارىء ومنه مأكول السلطان . أما مساء فسماطان : الأول ثم الثاني ويسمى الخاص ، ويؤكل من جميع هذه الأسمطة ويوزع الباقي ثم يسقي بعدها الأقسماء أي الأشربة

السنجق :	لفظ تركي استعمل بمعنى العلم ، أو الراية ، وبمعنى الرمح أو اللواء .
السهام الخطائية :	هي سهام تعلق على رأسها مواد متفجرة محرقة ، والظاهر أن استعمالها هو مبدأ استعمال البارود ، والخطا هم جماعة من الترك القريبيين من بلاد الصين ، ومن هنا جاءت فكرة أخذ العرب استعمال البارود عن الصين.
الشادر :	لفظ فارسي واستعمل بالتركية أيضا بمعنى خيمة وأخذها العرب بنفس المعنى ويجمع على شوادر
الشادروان:	ألواح خشبية متينة يوضع خلفها أعمدة لتثبيتها ، فيرتفع المياه في النهر لتسقي الأماكن المرتفعة ، وتسمى أيضا الحجارة المائلة في أسفل جدار الكعبة المشرفة بإسم الشاذروان ولا يصح الطواف فوقها فهي من جسم الكعبة .
الشاطر :	الماهر أو المجتهد ، وفي العهد العباسي وما بعده : اللص الشاطر ، وهي بالأصل من فعل شطر أي قسم ، والشاطر من يجرح الثياب ويشطرها ليأخذ المال منها ، فهو اللص أو قاطع الطريق . ثم أطلق على ساعي البريد لسرعته في السير ليصل إلى مركز البريد الآخر .
الشاليش:	راية كبيرة تكون في مقدمة الجيش معلق عليها خصلة كبيرة من الشعر .
الشراب خانة :	بيت الشراب وفيه شتى أنواع الأشربة التي يحتاجها السلطان فضلا عن الأواني النفيسة المصنوعة من الصيني الفاخر .
الشرط :	أو الأشراط هي العلامات ، واحدها شرط بالتحريك ، وبه سميت شرط السلطان ، لأن السلاطين جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها . وخالف البعض من أهل اللغة هذا المعنى وقالوا : شرط السلطان نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده ، وقد استعمل لفظ الشرطة منذ عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .
الشنكلة :	طريقة لتنفيذ حكم الإعدام يعلق فيه المحكوم بالإعدام بكلاليب معقوفة من تحت إبطيه وينزف حتى يموت .
الشيني:	جمعها شون وشواني ، وهي سفن حربية كبيرة تشن الهجوم مجهزة بمدافع .
الطابور :	صف من الناس يقف بعضهم وراء بعض ، أو الوحدة العسكرية من المشاة مكونة من أربعة مجموعات وهي ربع آلاي سرية ويرأسها بكباشي .

الطائفة الأويراتية :	هم التتر الوافدية ، وهم قبائل من المغول وفدوا إلى دولة المماليك والتجأوا إليها وتوطنوا في بلاد الشام ومصر وصاروا من جملة فرق الجيش المملوكي .
الطباق :	جمع طبقة وهي ثكنات جيوش المماليك بالقلعة ، وكانت كل طبقة تضم المماليك المجلوبين من بلد واحد .
الطرائد :	السفن الطرادة لحمل الخيول والفرسان ، وهي سريعة السير كالحصان المطارد أو الحيوان المطرود لأنها تسارع لطرد الأعداء كما يقال طريدة .
الطرحة :	ألبسة كان يتميز بها قضاة القضاء الشافعية والحنفية ، فتستر العمامة وتنسدل على ظهر القاضي .
الطرخان :	هو المتقاعد أو المحال على المعاش .
الطشت خاناه :	بيت الطشت ، والطشت صحن كبير لحمل الطعام أو الماء ، والطشتخاناه هو المكان المخصص لوضع الطشوت اللازمة لغسل الأيدي والقماش وغيرها ، فضلا عن المقاعد والوسائد والسجاد الذي يلزم السلطان .
الطواشية :	جمع طواشي ، وهم المماليك الخصيان المعينون لخدمة بيوت السلطان وحريمه
العرادة :	آلة حرب أصغر من المنجنيق ترمي بالحجارة المرمى البعيد
العرصة :	كلمة عربية تعني كل بقعة واسعة بين الدور ليس فيها بناء ، وكان الأولون يجعلون حول المسجد عرصة ، حتى إذا ضاق المسجد تمت توسعته فيها .
العصر :	نوع من أنواع التعذيب في العصر المملوكي ، وكثيرا ما كان يعذب به الوزراء وأصحاب الأموال الكثيرة لأجل أن يعترفوا بما يخفونه من الأموال ، وكيفية ذلك أن يوضع الشخص أو أطرافه بين خشبتين ويضغط عليه حتى يكاد تزهق روحه ، ثم يحل عنه ويطلب إليه أن يعترف بما عنده من أموال
العواصم :	جمع عاصم ، وهو الحصن على الحدود لحماية الجنود ، ثم صارت إسما للمدن ثم صارت لمراكز الحكم في الدول .
الغاشية :	سرج من جلد مخروز بالذهب يخالها الناظر إليها أنها جميعا مصوغة من الذهب ، تحمل بين يدي السلطان في المواكب الحافلة كالميدان بمصر والأعياد وتجاريد السلطان من فتح البلاد أو النصرة على العدو وتحملها المهاترة على أيديهم تلفتها يمينا ويسارا في حين تفرش له شقق الحرير إلى حين نزوله بمكانه

الغراب :	سفينة حربية قديمة مدببة الحيزوم ذات أشرعة ومجاديف
الغلام :	الولد أو الخادم في العربية ، وعهد المماليك للذي يتصدى لخدمة الخيل ، ويجمع على غلمان وغلمه بكسر الغين وسكون اللام ، وهو في أصل اللغة مخصوص بالصبي الصغير والمملوك ، ثم غلب على هذا النوع من أرباب الخدم ، وكأنهم سموه بذلك لصغره في النفوس وربما أطلق على بعض رجال الطست خاناه ونحوهم .
الفسقية:	جوض يقام في الحديقة أو الميادين العامة أو في ساحة الدار أو داخل القاعات لتبريدها بمرور الماء .
القاووق :	وهو قلنسوة عالية يلف حولها الشاش ، كان الترك يغطون بها رؤوسهم قبل قبولهم الطربوش غطاء للرأس ، وكان لكل طائفة من رجال الدولة طراز خاص من القواويق ، فقواويق للوزراء ، وقواويق لمشايخ الإسلام .
القباء :	نوع من الملابس المملوكية ، وهي قفطان ضيق الأكمام ويقال الأقبية : أي الثياب الخارجية كعباءة المراة أو البرنس .
القبة :	هي ما يسمى في عصرنا بالمظلة أو الشمسية ، غير أنها أكبر منها بنحو ثلاث مرات ، قماشها من الحرير المزركش والمموه بخيوط من الذهب وكانت القبة من خصائص السلاطين ، فلا يحق لأحد استعمالها في المواكب غير السلطان .
القيسارية :	الخان الكبير الذي يشغله جماعة من التجار .
الكديش:	الحصان الكبير السن ويستعمل للجر أو الركوب
الكلوته :	الثياب الداخلية ولا سيما السروال الداخلي.
الكنبوش :	البرذعة تجعل تحت سرج الفرس ، وتوضع فوقها الغاشية ، وهي غطاء مزركش فوق البرذعة . والكنبوش أيضا غطاء للسيف .
الكوسات :	الطبول ، وفسرها بعضهم بأنها صنوج من نحاس شبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر ، ويدعى من يضرب بها الكوسي .
اللفة - العمامة :	وهي شاش يلف على الطربوش ليكون شعارا للعلماء من المسلمين ، وهي باللون الأبيض ، وبعضهم باللون الأصفر يقال لها لفة ويلبس الفرس عمائم سوداء ضخمة وكان الموظفون يلبسون عمائم يزينوها بالجواهر والأحجار الكريمة .

اللوق :	الأرض اللينة ، أو الأرض التي ينحسر عنها ماء النيل .
المجامعة :	الاجتماع والمشاهرة ، والمجامعة أيضا ضريبة أسبوعية على باعة الخضار وأصحاب الدكاكين في عهد المماليك ، ومنها المشاهرة .
المجلس السامي :	ويقال فيه المجلس العالي ، والمجلس السامي لقب أطلق على السلطان فقط في أوائل الدولة الأيوبية بمصر .
المحمل الرجبي :	محمل يدار به في شهر رجب من قبيل العرض الشعبي في الأحياء الكبيرة في البلد ، وهي عادة كانت في مصر بالعصر المملوكي ، والمحمل أصلا الهودج على ظهر الجمل .
المدفع :	هو ما يوضع في المكحلة ويقذف به ، وسمي المدفع بمعنى المدفوع .
المدورة :	صدر المجلس أو الوطاق حيث يجلس السلطان أو الأمير .
المشاهرة :	وسميت أيضا بالمجامعة : وهي إحدى الضرائب التي فرضت في عهد السلطان قانصوه الغوري ، وهي أموال فرضت على الباعة ، مما ساعد على جور الباعة ورفع الأسعار بحجة أن عليهم مالا للسلطان يدفع شهريا.
المقر :	بفتح الميم والقاف : يختص بألقاب كبار الأمراء وأعيان الوزراء وكتاب السر ، ومن يجري مجراهم كناظر الخاص وناظر الجيش وناظر الدولة وكتاب الدست ومن في معناهم . ثم أطلق على المبنى الذي يستقر فيه الحاكم .
المكحلة :	وهي وعاء لوضع الكحل للعين بالأصل استعملت في العصور الوسطى اسما للمدفع ، حيث يوضع فيه كحل البارود مع فتيل صغير لينفجر ويقذف القذيفة على الهدف.
المنسر :	جماعة اللصوص الذين كانوا يدخلون البلدة شاهرين ورافعين للسلاح إلى الأسواق الغنية فيسلبونها وينهبونها ثم يخرجون سالمين . المنشور :
النشاب :	السهم الذي يعلق بالصيد لأنه مسنن سهل الدخول صعب الخروج .
النمشاه:	سيف رشيق يوضع إلى جانب السلطان أو النائب ليدافع به عندما يقصد اغتياله .
الوطاق :	لفظ تركي بمعنى الخيمة الكبيرة أو المخيم ، أو الغرفة .
اليرق:	السلاح ، واستعملت أيضا لتجهيزات السفر .
إيوان :	مكان واسع من ثلاث جدران وسقف لاستقبال الناس ، مثل إيوان كسرى وإيوان المسجد وإيوان القلعة وإيوان العدل .

أستاذ :	استعملت عند المماليك على من يشتري المملوك بالمال ويربيه ثم يعتقه عند الكبر ، وتعتبر رابطة الأستاذية أقوى رابطة بين المملوك وأستاذه .
أسطا:	هو المعلم البارع الذي وقف على صناعة ما واشتهر بها ، كما تعني المعلم أو أستاذ الصناعة ورئيسها .
أهل الذمة :	هم أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين يدفعون الجزية .
أوطاق :	لفظة مملوكية بمعنى خيمة فخمة .
أولاق :	اصطلاح عثماني بمعنى الرسول
باش العسكر :	رئيس العسكر وقائدهم . وباش : كلمة تركية بمعنى الرأس أو الرئيس .
بقشيش :	من الفارسية بخشيش العطية أو الهدية للعامل أو الخادم أو النادل فوق أجره ، جمعه بخاشيش أو بقاشيش .
بيمارستان :	لفظ فارسي من لفظين : بيمار بمعنى مريض و ستان بمعنى أرض فهو مبنى لمعالجة المرضى وإقامتهم مستشفى
تخليق المقياس :	أي تعطيره بالزعفران : احتفالا ببدء انخفاض مستوى نهر النيل عند انتهاء فيضانه ، فيركب الأمراء بموكب عظيم في حراقات بحرية ، ويدهن عمود القياس بالزعفران ، وترمى الحراقات نيرانها بالنهر احتفالا بذلك .
جاويش :	لفظ تركي لرتبة عسكرية ، وفي الأصل بمعنى حاجب ، وهو صاحب البريد ، والدليل في الحروب ومأمور أخبار واستخبار وهو رئيس العشرة .
حبس الجيوش :	أراض وحيوانات تحبس لمصلحة الجيش وهي تشبه الوقف .
خزانة الشمايل :	سجن نسب إلى الأمير علم الدين شمايل والي القاهرة في أيام الكامل بن العادل أبي بكر بن أيوب . وكان من أشنع السجون وأقبحها ، يحبس فيه من وجب عليه القتل ، ومن يريد السلطان هلاكه ، وقد هدمه الملك المؤيد شيخ.
سيدي :	في أواخر عهد المماليك البحرية وأول عهد المماليك الشراكسة أصبحوا يطلقون لقب سيدي على أفراد الأسرة المالكة .
شيخ الشيوخ :	هو رئيس خوانق الصوفية جميعا ، وكان لهذه الوظيفة قيمة أساسية تزيد على قيمة قاضي القضاة

شاش:	قماش يوضع للجروح أو على العمائم وتجمع شاشات ، وقد تطلق على قماش الخطة . واستعمل أيضا كنوع من زينة الحريم يوضع على رأس ويزخرف بالذهب واللؤلؤ وقد شاع استعماله حوالي هو بولغ كثيرا بالإنفاق عليه
ضمان القراريط :	ضريبة بيع الأبنية ، وكان مكسا يؤخذ من كل من باع دارا ولو تكرر بيعها في الشهر الواحد مرارا ، فلا بد أن يؤخذ أيضا مكس معلوم ، ولا يستطيع أحد من الشهود أن يكتب توقيعه في مكتوب دار حتى يرى الختم في المكتوب أي على عقد البيع.
كاملية :	نوع من الملابس الخارجية كالعباءة ، ولعلها مما أحدثه الملك الكامل الأيوبي .
مقدم التركمان :	ويكون في البلاد الشامية والحلبية متحدثا على طوائف التركمان الذين يقدم عليهم .
مقدم الخاص :	هو المتحدث على الأعوان والمتصوفين بديوان الخاص ، أي المتخصص بالسلطان
مقدم الدولة :	هو الذي يتحدث على الأعوان والمنصرفين لخدمة الوزير .
مقدم المماليك :	هو الذي يتولى أمر المماليك للسلطان أو الأمير عن الخدم الحضيان المعروفين بالطواشية .
ملطفات :	كتب سرية تكتب على ورق رقيق وتلف وتختم ثم توضع في مكان خفي كنصاب سكين أو سواك أو عصا ونحو ذلك ، يجوف داخلها وتوضع فيه وتسلم إلى من يراد تسليمها إليه بصورة سرية لا تلفت النظر .
ملك الأمراء :	لقب يطلق على كل من يتولى نيابة دمشق أو حلب .
ملوطة :	جمعها ملاليط ، وهو رداء واسع طويل يصنع من الحرير أو الكتان الرقيق.

(محمد أحمد دهمان - معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي)

زوجات و سراري

سلاطين المماليك

زوجات وسراري سلاطين المماليك

السلطان	الخوند	الصفة	ابناء السلاطين المعلوم امهاتهم
المعز عز الدين أيبك	أم على	زوجة	علي / قاقان
	السلطانة شجر الدر	زوجة	
الظاهر ركن الدين بيبرس	بنت سيف الدين نوكاي	زوجة	
	بنت الامير حسام الدين بركة خان الخوارزمي	زوجة	السعيد بركة خان
	بنت الامير سيف الدين دماجي التتري	زوجة	
السعيد بركة قان	غازية خاتون بنت السلطان قلاوون	زوجة	
المنصور قلاوون	خوند اشلون بنت سكتاي بنت قراجين	زوجة	الناصر محمد
	خوند فاطمة ابنة سيف الدين كرمون التتري	زوجة	علاء الدين علي
	خوند قطقطية	زوجة	الأشرف خليل
الأشرف خليل بن قلاوون	خوند اردوتكين ابنة سيف الدين نوكيه	زوجة	
الناصر محمد بن قلاوون	بياض	سُرّيـة	الناصر احمد
	أردو	سُرّيـة	كجك
	كدا	سُرّيـة	الناصر حسن
	خوند طغاي	زوجة	انوك
	خوند طلنباي بنت أزبك	زوجة	
	خوند قطلوملك بنت تنكز	زوجة	صالح
	خوند اردوتكين ابنة سيف الدين نوكيه	زوجة	علي
	خوند طولو ابنة طغاي	زوجة	
	أخت الامير قوصون	زوجة	
	خوند نرجس	زوجة	ابو بكر / رمضان

حسام الدين لاجين	بنت الظاهر بيبرس	زوجة	
المنصور ابو بكر	بنت الامير بكتمر الساقي	زوجة	
الصالح عماد الدين اسماعيل	بنت طقزدمر نائب الشام	زوجة	
	بنت الامير بكتمر الساقي	زوجة	
	اتفاق العوادة	سُرّيـة	
الكامل سيف الدين شعبان	بنت الامير تنكز	زوجة	
	بنت الامير بكتمر الساقي	زوجة	
	اتفاق العوادة	سُرّيـة	شاهنشاه
المظفر سيف الدين حاجى	الكركية	سُرّيـة	
	سلمى	سُرّيـة	
	كيدا	سُرّيـة	
	بنت الامير تنكز	زوجة	
	اتفاق	زوجة	
الناصر حسن بن الناصر	خوند طولوبية بنت عبد الله	زوجة	
الأشرف شعبان بن حسين	ابنة عمه الناصر حسن	زوجة	
	خوند بغار بنت الامير تنكز	زوجة	
	ابنة الامير منكلي بغا الشمسي	زوجة	
	بنت الامير طغاي تمر النظامي	زوجة	
	خوند سمراء	زوجة	
	بستان زوجها للامير الجاي بعد وفاة امه	سُرّيـة	

الظاهر سيف الدين برقوق	خوند فاطمة بنت منجك اليوسفي	زوجة	
	ابنة طشتمر	زوجة	
	خوند هاجر بنت منكلي بغا	زوجة	خوند بيرم
	ابنة أحمد الطولوني	زوجة	
	بنت علي بن أسندمر	زوجة	
	خوند تندي بنت حسين	زوجة	
	خوند قنق باي التركية	زوجة	عبد العزيز
	خوند اردو	زوجة	محمد
	خوند حاج ملك	زوجة	
	خوند بركة	زوجة	ابراهيم
	شيرين الرومية	سُرّيــة	الناصر فرج
	سمراء	سُرّيــة	
الناصر فرج بن برقوق	خوند عاقولة	زوجة	محمد
	خوند فاطمة بنت تغري بردي	زوجة	
	ثريا الحبشية	سُرّيــة	اسية
	شكرباي	سُرّيــة	
المؤيد شيخ المحمودى	خوند زينب بنت الظاهر برقوق	زوجة	
	ابنة تنم الحسني	زوجة	
	خوند سعادات بنت صرغتمش	زوجة	أحمد
	طولوباي	سُرّيــة	موسى
الظاهر سيف الدين ططر	خوند فرج بنت سودون الفقيه	زوجة	الصالح محمد
	خوند سعادات بنت صرغتمش	زوجة	

الأشرف ابو النصر برسباى	خوند فاطمة بنت قجار	زوجة	محمد
	خوند جلبان	زوجة	العزيز يوسف
	ابنة عثمان ملك الروم	زوجة	
	خوند فاطمة بنت ططر	زوجة	
	ابنة يشبك الأعرج	زوجة	
	ملك باي الجركسية	سُرّيـة	أحمد
الظاهر سيف الدين جقمق	خوند مغل بنت البارزي	زوجة	خديجة
	خوند زينب بنت جرباش	زوجة	
	خوند شاه زاده بنت عثمان	زوجة	احمد
	خوند قراجا بنت ارغون شاه	زوجة	محمد
	ابنة الزيني عبد الباسط	زوجة	
	خوند جان سوار بنت كربتاي الجركسية	زوجة	
	خوند نفيسة بنت دلغادر	زوجة	
	خوند زهراء التركية	زوجة	المنصور عثمان
	فاطمة	سُرّيـة	
	سورباي	سُرّيـة	
	دولات باي	سُرّيـة	
الاشرف سيف الدين اينال	خوند زينب بنت علي خاص بك	زوجة	أحمد / فاطمة / بدرية
الظاهر سيف الدين خشقدم	خوند سورباي الجركسية	زوجة	
	خوند شكرباي الأحمدية	زوجة	
الظاهر تمر بغا الرومى	خوند خمسمائة	زوجة	

الأشرف سيف الدين قايتباى	خوند فاطمة بنت علي بن خاص بك	زوجة	احمد / ست الجراكسة
	أصل باي	سُرّيـة	الناصر محمد
محمد بن قايتباى	خوند مصرباي الجركسية	زوجة	
الظاهر قانصوه الاشرفى	خوند مصرباي الجركسية	زوجة	
الاشرف جان بلاط	خوند أصل باي	زوجة	
العادل طومان باى	خوند فاطمة بنت علي بن خاص بك	زوجة	
الأشرف قانصوه الغورى	بنت الامير اقبردي	زوجة	
	خوند جان سكر	زوجة	الامير محمد
	خوند جان كلدي	زوجة	
الأشرف طومان باى	بنت الامير اقبردي	زوجة	
	نال باي	سُرّيـة	

خوندات سلاطين المماليك

خوند اردوتكين ابنة سيف الدين نوكيه:
أردكين خاتون بنت الأمير سيف الدين نوكيه ، زوجة الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان قلاوون (عقد الجمان في تاريخ أهل 1/443) ثم تزوجت من بعده بالملك الناصر محمد بن قلاوون (السلوك لمعرفة دول الملوك 2/177) وهي أخت خوند منكبك زوجة أخيه الملك الصالح علي . ثم طلقها الناصر في سنة ٧١٧ وأنزلت إلى القاهرة ورتب لها ما يكفيها إلى أن ماتت في المحرم سنة ٧٢٤ وهي صاحبة التربة المعروفة بتربة الست وخلفت لما ماتت ألفا من الرقيق ما بين جارية وخادم وذخائر نفيسة وكانت موصوفة بالخير والجود (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 1/412)
خوند اشلون بنت سكتاي بنت قراجين:
بنت سكتاي بن قراجن بن جنعان وسكتاي ورد إلى مصر هو وأخوه قرمشي سنة خمس وسبعين وستمائة صحبة بنجار الرومي في دولة الظاهر بيبرس (تاريخ ابن الوردي 2/226) زوجة الملك المنصور قلاوون وام السلطان الناصر محمد ووردت البشائر بمولده إلى السلطان وهو نازل على بحيرة حمص، عند عوده من فتح المرقب، فتضاعف سروره، وضربت البشائر فرحا بمولده السعيد. (المختصر في أخبار البشر 4/21) وعاشت إلى أن أدركت سلطنة ولدها الأولى والثانية (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 1/459)ودفنت في مدرسته بين القصرين .
خوند أردو :
سرية الناصر محمد وأم ولده الأشرف كجك التترية قدمت مع أختها طولو فأعطى الناصر أختها طولو ليلبغا اليحياوي وعظمت منزلتها عند السلطان حتى أعطاها لما ولدت عصبة جوهر قومت بخمسين ألف دينار ولما خلع ابنها من السلطنة أحيط بموجود آردو وصودرت هي وجواريها وأنزلت من القلعة إلى أن ماتت (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 1/412) وتزوجت من بعد الناصر بالامير اق سنقر السلاري .
خوند أصل باي :
سرية الملك الاشرف ابو النصر قايتباي وأم ولده الناصر محمد واخت الملك الظاهر قانصوه الاشرفي وزوجة الملك العادل طومان باي .

خوند بنت الامير حسام الدين بركة خان الخوارزمي :
زوجة السلطان ركن الدين بيبرس البندقداري ووالدة الملك السعيد ، وهي بنت حسام الدين بركة خان مقدم الخوارزمية، الذين كان وصولهم إلى الديار المصرية في الأيام الصالحية النجمية الأيوبية .(العيني - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان 1/191)
خوند هاجر بنت الامير منكلي بغا:
ابنة الامير منكلي بغا الشمسي وأمها خوند فاطمة ابنة الأشرف شعبان بن حسين بن قلاوون. تزوجها الظاهر برقوق ومات عنها وصارت احدى الخوندات وسكنت بأخرة بخط الكعكبين من القاهرة حتى ماتت بالطاعون في رجب سنة ثلاث وثلاثين (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 2/132) وهي أم خوند بيرم بنت الظاهر برقوق تزوجها إينال باى بن قجماس (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 13/106)
خوند بياض :
سرية الملك الناصر محمد ابن قلاوون وأم ولده الناصر أحمد ثم زوجها لمملوكه ملكتمر السرجواني نائب الكرك وسلمه ابنه أحمد ليربيه (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 6/122) .
خوند جلبان :
ابنة يشبك ططر الجاركسية الأشرفية برسباى. اشتراها واستولدها يوسف الذي عمل السلطنة بعده ولقب العزيز ثم تزوجها بعد زوجته خوند الكبرى زوجة استاذه دقماق وأم ولده الآخر الناصرى محمد وسكنت مكانها وصارت خوند الكبرى وحظيت عنده ونالتها السعادة وطالت أيامها وعظمت حرمتها وبعث السلطان يطلب اخوتها وأمها وأقاربها من جاركس فجيء بهم بعد مدة وهم جمع يزيدون على العشرة وأنعم عليهم بالاقطاعات والرواتب والوظائف "وحجت في سنة أربع وثلاثين وهم معها وفي خدمتها خشقدم الزمام والزيني عبد الباسط ناظر الجيش وغيرهما في عظمة زائدة مفرطة، ودامت في عزها حتى ماتت مسمومة فيما قيل ودفنت في تربتها بالصحراء وخلفت من الأمتعة والأقمشة والملابس والنقد شيئا كثيرا جدا يقال يقرب من ستين ألف دينار ولو عاشت لدبرت أمر ولدها (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 12/17) وكانت خوند جلبان من عظماء النساء، ولو عاشت حتى تسلطن ولدها العزيز لكانت دبرت ملكه أحسن تدبير، رحمها الله تعالى (المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 5/16)
حوند زينب بنت جرباش :
ابنة جرباش الكريمي أمير سلاح ,وتزوجها الظاهر جقمق في أوائل سلطنته واستولدها ولدا لم يكمل سنة وحجت في أيامه مع أبويها وصارت بعد فراقه خوند البارزية صاحبة القاعة الكبرى ومات عنها فتزوجها بعد مدة الشرف الأنصاري وماتت بالطاعون شهيدة في يوم السبت سادس عشري جمادى الآخرة سنة أربع وستين عن بضع وثلاثين سنة ودفنت بمدرسة الظاهر برقوق بين القصرين لكون أمها فاطمة ابنة قانباي ابن اخت صاحب المدرسة رحمها الله وأيانا (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 12/40).

خوند شاه زاده بنت عثمان :

لما مات ملك الروم قبض ابنه مراد بك على أخيه أرخن بك بن محمد كرشجي بن عثمان فسلمه ثم حبسه ومنعه من إتيان النساء خوفا من أن يعقب فدست له جارية فأولدها سليمان وشاه زاده ثم مات ففر بهما مملوك لأبيهما وقدم بهما على الأشرف برسباي فأكرمهما وضم سليمان إلى ولده العزيز يوسف وأخته إلى الحرم السلطانية ثم رام المملوك المشار إليه الفرار بهما إلى الروم لمال وعد به من بعض ملوكه واتفق مع جماعة من التركمان وغيرهم فأخذهما من القلعة وركب بهما بحر النيل ليتوصل إلى فم رشيد ويركب بهما في غراب أعد لذلك ولما علم السلطان بهذا تألم وأرسل في أثرهم فأدركوا بالقرب من فم رشيد وقد عاقهم الريح عن الخروج إلى بحر المالح فاقتتل الفريقان قتالا شديدا فكان الظفر لجماعة السلطان فوسط المملوك وقطع أيديي جماعة وحبس هذا بالبرج وكان يوما مهولا زاد فيه غضب السلطان إلى الغاية ثم أطلقه بعد مدة وصار عند العزيز على عادته ثم تزوج السلطان بأخته وصارت خوند شاه زاده وتزوجها الظاهر جقمق بعده واستولدها أولادا إلى أن طلقها في سنة خمس وخمسين، ومات سليمان قبل ذلك بالطاعون سنة إحدى وأربعين وهو ابن خمس عشرة(الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 3/262) ثم تزوجها بعده الأمير برسباى البجاسى، فماتت تحته- رحمها الله تعالى (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 16/178)

خوند فرج بنت سودون الفقيه :

زوجة الظاهر سيف الدين ططر وأم ولده محمد ابوها سودون بن عبد الله، الفقيه الظاهري، سيف الدين، أحد المماليك الظاهرية برقوق، وصهر ططر، وجد الملك الصالح محمد بن ططر، كان المذكور في الدولة الناصرية من رءوس الفتن، ولما تسلطن الملك المؤيد أبعده، ولولا مراعاة صهره ططر لكان له معه شأن، وكان فقيها مستحضرا لمذهبه، كثير الأبحاث، معصبا للسادة الحنفية، وكان شيخا طوالا، أبيض اللحية، رقيق الوجه، وعنده قوة نفس وشهامة، ومعرفة ودهاء، وعظم في دولة صهره الملك الظاهر ططر ولما مات ططر وتسلطن سبطه الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر زادت عظمته أضعاف ما كانت، لكنه كما قيل ثم ما سلم حتى ودعا. (المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 6/165) وتركت من الابناء الصالح محمد الذي تسلطن بعد ابيه و (ست الملوك) زوج الاتابك يشبك السودوني , كانت هي وأمهما من خيار الخوندات دينا وعفة. (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 12/58)- وكانت من خير نساء عصرها دينا وأمانة وعفة وخيرا وجمالا.مات عنها ططر ولم تتزوج بعده، فدامت عزباء نحوا من أربعين سنة، وهي على خير.(نيل الأمل في ذيل الدول 6/253)

خوند قنق باي :

الخوند قنقباي الجركسية الجنس، زوج الظاهر برقوق وأم ولده المنصور عبد العزيز. وخلفت مالا طائلا، وهي آخر من بقي من أمهات أولاد الظاهر. وكانت حسنة السيرة. (نيل الأمل في ذيل الدول 4/324) حظيت عند سيدها حتى مات وسكنت بعده لتربية ولدها لكونه دون البلوغ بقاعة العواميد فلما خلع وأخرج ثم مات تزوجت بنائب السلطنة تمراز الناصرى ثم بعد قتله بالاتابك بيبغا المظفرى ثم بعده بجانبك الحمزاوى وقد كبر سنها وخلفت شيئا كثيرا (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 12/117)

خوند مغل بنت البارزي :
زوجة الظاهر جقمق وكانت من خير نساء عصرها دينا وأمانة ومحبة للصالحين والفقراء، كثيرة البر والمعروف والصدقات. وأعمرت للشيخ مدين الأشموني جامعا، ووقفت عليه أوقافا. وكانت من نوادر الخوندات، ويضرب بها المثل (نيل الأمل في ذيل الدول 7/23)وكان الظاهر قد حنق عليها ، فأخبر بأنه طلقها وانتقلت من القاعة الكبرى إلى قاعة البربرية، ثم إلى منزل أخيها الكمال بن البارزي بالخراطين. وكان السبب في ذلك أنه نسبها إلى سحر سورباي حظيته، وأنها هي التي قتلتها، وحاشاها من ذلك (نيل الأمل في ذيل الدول 5/255)وبنتها زوجة الامير ازبك من ططخ .
خوند زينب بنت الظاهر برقوق :
وكانت بارعة الجمال تزوجت بعد أبيها، ثم تزوجها المؤيد شيخ ، ومات عنها. وكانت بنت سلطان وأخت سلطانين وزوج سلطان. وتزوجت بعد ذلك قجق العيساوي أمير سلاح. وماتت في عصمته، وهي آخر أولاد الظاهر لصلبه وفاة. (نيل الأمل في ذيل الدول 4/130)
خوند زينب بنت علي خاص بك :
الخوند الكبرى الخاصكية، زوج الأشرف إينال، وأم المؤيد أحمد، زينب ابنة حسن بن خليل بن خاص بك وكانت من مشاهير الخوندات، ونالت في سلطنة زوجها من السعادة والعز والجاه ووفور الخدمة، ونفاد الكلمة والتدخل في تدبير المملكة ما لم ينله غيرها. وحضر ولدها جنازتها، وأخرجت حافلة جدا(نيل الأمل في ذيل الدول 7/234) من ذرية الظاهر بيبرس (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 1/246)ولم ينفك اينال عنها ولا بعد تملكه حتى مات ولم يتزوج عليها بل ولا تسرى وكل أولاده المؤيد أحمد وغيره منها بحيث انفرد عن سائر الملوك بذلك كما انفردت هي عن سائر الخوندات بالمزيد من نفوذ الكلمة ووفور الحرمة وطواعية السلطان جدا لأوامرها حتى كان لا اختيار له معها، وماتت ثم دفنت بتربة زوجها وقد قاربت الثمانين رأت احفاد أولادها عفا الله عنها وسامحها ورحمها (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 12/44)
خوند سعادات بنت صرغتمش :
بنت الأمير صرغتمش، أحد أمراء دمشق وزوجة المؤيد شيخ وأم ولده المظفر احمد الذي تولى السلطنة يوم مات أبوه بعهد منه، ، وعمره إذ ذاك سنة واحدة وثمانية أشهر وسبعة أيام، ثم تزوجت من ططر ، لمعنى من المعاني. فلما تم له ما اراد طلق أمه خوند سعادات (المنهل الصافي والمستوفى بعد 1/316)

خوند سورباي :

حظية الظاهر جقمق. توعكت فأريد تنزهها فنقلت الى الحجازية ببولاق فكانت منيتها بهافي يوم الجمعة سادس عشرى ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين فحملت في صبيحة السبت الى سبيل المؤمنى فصلى عليها السلطان وخلق ثم دفنت بتربة قانباي الجركسي ووجد السلطان عليها شديدا ويقال أنها خلفت من الحلي والحلل مالا يوصف كثرة بل ومبلغ خمسين ألف دينار، وهي صاحبة السبيل وما يعلوه ببولاق تجاه الزنيية والحمامين وما يعلوهما من الربع وغير ذلك بقناطر السباع رحمها الله (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 12/66)

السلطانة شجر الدر :

أم خليل الصالحية الملكية، جارية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأم ولده خليل. . كان الملك الصالح يحبها حبا عظيما، ويعتمد عليها في أموره ومهماته. . وكانت بديعة الجمال، ذات رأي وتدبير، ودهاء وعقل، ونالت من السعادة ما لم ينله أحد في زمانها، ولما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب، على دمياط في حصار الفرنج، أخفت موته، وصارت تعلم بخطها مثل علامة الملك الصالح، وتقول: السلطان ما هو طيب، وتمنع الناس من الدخول إليه. . ولما علموا بموت السلطان الملك الصالح ملكوها عليهم أياما، وتسلطنت بعد قتل السلطان الملك المعظم بن الملك الصالح نجم الدين أيوب، وخطب لها على المنابر. . وكان الخطباء يقولون على المنبر بعد الدعاء للخليفة: واحفظ اللهم الجهة الصالحية، ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية، صاحبة السلطان الملك الصالح. ثم إنها عزلت نفسها، بعد أن تزوجت بأتابكها الملك المعز أيبك التركماني، ورجعت إلى ما كانت عليه أيام أستاذها وزوجها الملك الصالح. وسكنت الدور السلطاني مدة حتى تزوج عليها الملك المعز أيبك ، فثارت عليه وقتلته ، وبقيت بعد ذلك ثلاثة أشهر. ووقع حروب وحوادث بسببها، بين المماليك والصالحية وبين المعزية، إلى أن ظفروا بها المماليك المعزية وقتلوها وأماتوها، في سنة خمس وخمسين وستمائة، فوجدت ملقاة تحت القلعة مسلوبة، فحملت إلى تربة بنيت لها عند قبر السيدة نفيسة، ودفنت هناك. . (ابن تغري بردي - المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 6/221) .

خوند شكرباي الأحمدية :

زوجة الظاهر خشقدم , وكانت خيرة، دينة، عفيفة، غير راغبة في الدنيا، تظهر الالتفات إلى الآخرة، وتميل إلى طريق الفقر، ولبست الخرقة الأحمدية. وهي في الأصل من جواري الناصر فرج، وتنقلت بها الأحوال بعده، وتزوج بها أبرك الجكمي أحد أمراء دمشق، واتصلت بعده بخشقدم، وشهرت في سلطنته وذكرت (نيل الأمل في ذيل الدول 6/233)وهي أم الشهابي أحمد حفيد العيني، تزوجها خشقدم وهو حينئذ خاصكي فاستولدها ثلاثة ودامت معه حتى تسلطن وصارت خوند العظمى وراعي قدمها فلم يتزوج عليها بل تسري بعدة سرار صرن امهات اولاد مع انعزاله عنها ومزيد اختصاصها ومحبتها إلى أن ماتت وقد قاربت الثمانين ، وكانت منطوية على خير ودين محمودة الأفعال والاقوال معتقدة في سيدى أحمد البدوي. متوجهة لمولدة في كل سنة رحمها الله وإيانا (الضوء اللامع 12/68)

خوند طغاي :

طغاي الخوندة الكبرى زوجة الملك الناصر محمد بن قلاون وأم آنوك ولده وقد كانت جاريته أولا ثم إنه أعتقها وتزوجها ولم يدم السلطان على محبة أحد غيرها وكانت هي أكبر أزواجه وعلى الجملة قرأت من السعادة ما لا رآه غيرها من زوجات سلاطين مصر وكانت معظمة بعده عند كل دولة إلى أن توفيت رحمها الله تعالى في شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة في طاعون مصر (الوافي بالوفيات 16/256)وهي أخت الامير اقبغا من عبد الواحد (المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 2/480)وماتت خوند طغاي وتركت مالا كبيرا وألف جارية وثمانين طواشيا وأعتقت الجميع ولها تنسب تربة خوند بالصحراء(السلوك لمعرفة دول الملوك 3/48)وهي أم ولده آنوك لم يكن عند أبيه أعز منه وزوجه ابوه وهو ابن عشر سنين أو دونها بنت الأمير سيف الدين بكتمر الساقي وكان له عرس عظيم (الوافي بالوفيات 9/245)

خوند طلنباي بنت أزبك :

الستر الرفيع الخاتون طلنباى، ويقال دلنبيه، ويقال دلنبيه، ويقال ذو لونية بنت طغاى بن هندو بن باطو بن دوشى خان بن جنكيز خان.(السلوك /١ ٢٠٣)من بلاد بركة من عند الملك أزبك الآدر الشريفة بنت أخى أزبك، وحضر معها رجل مقعد، وقاضى يسمى نور ، وقالوا: إن هذا القاضى هو الذى أهدى الملك أزبك إلى الإسلام، ومعهم جمع كبير. وأنزل بها فى الميدان الظاهرى، استحضرهم مولانا السلطان عز نصره وتحدث معهم. وكان معهم عدة مماليك وجوار. ثم استحضر مولانا السلطان الرسل وذلك الرجل المقعد، وعقدوا العقد الشريف. ثم نزل الأمير سيف الدين أرغون النايب والأمير سيف الدين بكتمر الساقى والقاضى كريم الدين الكبير إلى الميدان، وطلعوا بالخاتون الجليلة، وهى على عربة صفة عجلة ملبسة الثياب المذهبة زى لبس البلاد. حملت له بنت أكبر ملوكهم، وهو المخطوب لا الخاطب والمرغوب لا الراغب. وهؤلاء القوم أكبر بيوت التتار) كنز الدرر وجامع الغرر 9/302)وأخذ منه كتاب أزبك فبلغ السلام وقال: أخوك أزبك أنت سيرت طلبت من عظم القان بنتا فلما لم يسيرها لم يطب خاطرك وقد سيرنا لك من بيت كبير فإن أعجبتك خذها بحيث لا تخلي عندك أكبر منها وإن لم تعجبك فاعمل بقول الله تعالى: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها. فقال السلطان: نحن ما نريد الحسن وإنما نريد كبر البيت والقرب من أخي ونكون نحن وإياه شيئا واحدا. (السلوك لمعرفة دول الملوك 3/26)

خوند شيرين الرومية :
زوجة برقوق وام الناصر فرج ولما تسلطن ابنها صارت خوند الكبرى وسكنت قاعة العواميد بقلعة الجبل ولم تلبث الا يسيرا وتعللت ولزمت الفراش وكثرت القالة بسببه واتهم جماعة بسحرها وظن ابنها أن ذلك من بعض الخوندات زوجات أبيه حسدا وبغضا لأنها مع كونها كانت بارعة الجمال سارت سيرة جميلة من الحشمة والرياسة والكرم مع الاتضاع الزائد والخير والدين، ولها معروف ومآثر حسنة جددت بمكة رباط الخوزي ووقفت عليه وقفا وأصلحت ما كان تهدم منه، ماتت في ذي الحجة سنة اثنتين ودفنت بالمدرسة البرقوقية رحمها الله، وكانت كثيرة المعروف والبر (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 12/70).
خوند طولوبية بنت عبد الله :
زوجة الملك الناصر حسن ثم من بعده تزوجت بالأتابك يلبغا العمري الخاصكي، وتوفيت في سنة خمس وستين وسبعمائة، ودفنت بتربتها التي أنشأتها بجوار تربة خوند طغاي أم أنوك، رحمها الله تعالى، وخلفت مالا جما. (المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 7/31)
غازية خاتون بنت السلطان قلاوون :
ابنة الأمير سيف الدين قلاون الألفى العلائى الصالحى وزوجة الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قان بن السلطان الملك الظاهر بيبرس (نهاية الأرب في فنون الأدب 30/223)توفيت قبل اخيها الصالح علي بشهر ودفنا عند أمهما (تاريخ الإسلام 15/597)
خوند فاطمة ابنة قجقار :
زوج الاشرف برسباى وأم ولده الناصري محمد وسمي العينى أباها قجا. ماتت في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ودفنت بمدرسة زوجها بالحريرين بعد أن صلى عليها أمام باب الستارة بحضرة الخليفة والسلطان والامراء وغيرهم تقدمهم الشافعي وكانت جنازتها حافلة وقرئ عليها ليلا ونهارا ستة أيام، وأثنى عليها العيني بالخير والدين .(الضوء اللامع)
خوند قطلوملك بنت الامير تنكز :
زوجة الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وأم ولده الملك الصالح صالح ابنه الأمير تنكز الناصري نائب الشام (المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 6/331)

خوند فاطمة ابنة سيف الدين كرمون التتري :

بنت الامير سيف الدين كرمون من أمراء دولة الملك الظاهر بيبرس ، وكان هذا المذكور من مقدمي تمانات التتار في أيام هولاكو (لعنه الله) وأجلهم عنده قدرا، وأكبرهم إمرة وأمرا. وألحقهم بعظمه، وأوسمهم بوسمه. فقصد المذكور دار الإسلام، ووفد على الملك الظاهر بوجه وضاح وثغر بسام. فتلقاه بما يليق بمثله، وأجله بما يناسب عظيم محله. وجعله من أكابر أمراء الطبلخانات وراى لعظم قدره وقدومه، فوفر لديه حسان الحسنات، فرأى الملك الظاهر أن يناسب، فخطب لمولانا السلطان إبنة المذكور مشافها بخطبة خطبتها فأجاب، ولدعاء رغبته استجاب. وقرر بنفسه معه مهرها، وحمله من ماله عنه. ورأى أن ذلك تفضلا من مولانا السلطان لا منه. وتم العقد على أحسن الصور. (الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور 1/27)وهي والدة الملك الصالح علاء الدين علي وابنته غازية خاتون (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان 1/110)

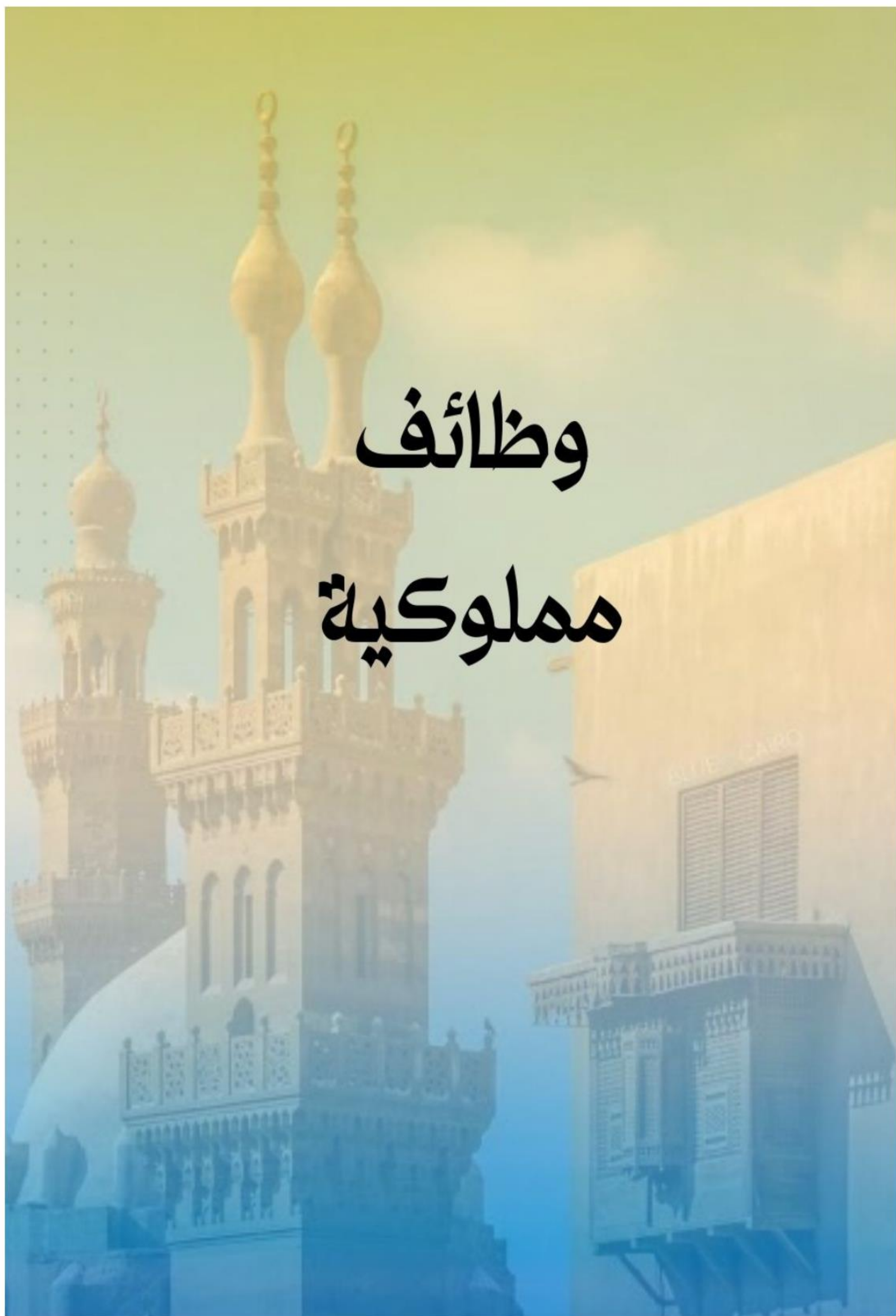
اتفاق العوادة :

اتفاق المولدة الجنس نشأت عند ضامنة المغاني ببلبيس ثم انتقلت إلى ضامنة المغاني بمصر فعلمتها عند علي العجمي ضرب العود ففاقت فيه وبلغت الغاية فقدمتها الضامنة لبيت الناصر فحظيت عند الصالح إسماعيل ابن الناصر وولع بها فأكثر لها من الأنعام حتى اختصها بنفيس الجواهر وولدت منه ثم شغف بها بعده أخوه الكامل وولدت منه أيضا ولم تكن جميلة وإنما تقدمت بالغناء وأحيط بها في ولاية المظفر حاجي فوجد لها أربعون بذلة مكللة بالجواهر واللآلىء وثمانون مقنعة أقلها بمائتي دينار وأكثرها بألف ثم أخرجت من القلعة ثم استعادها المظفر وتزوجها وأعطاها أضعاف ما كان يعطيها أخواه وهام بها فأفرط ويقال أن عصبتها بلغت قيمتها ألف دينار مصرية لاشتمالها على الجواهر النفيسة التي حصلتها من ثلاثة سلاطين ثم أخرجت في أيام الناصر حسن وقطعت رواتبها وتزوجها الوزير موفق الدين هبة الله بن السعيد إبراهيم فكان أصحابه يقضون العجب من محبته لها (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 1/91)

خوند بركة :

الست الجليلة خوند أم الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ، كانت أمة مولدة، فلما أقيم ابنها في مملكة مصر عظم شأنها وحجت في سنة سبعين وسبعمائة بتجمل كثير وبرج زائد، وعلى محفتها العصائب السلطانية والكؤسات تدق معها، وسار في خدمتها من الأمراء المقدمين: بشتاك العمري رأس نوبة، وبهادر الجمالي، ومائة مملوك من المماليك السلطانية أرباب الوظائف، ومن جملة ما كان معها قطار جمال محملة محائر قد زرع فيها البقل والخضراوات إلى غير ذلك مما يجل وصفه، فلما عادت في سنة إحدى وسبعين وسبعمائة خرج السلطان بعساكره إلى لقائها، وسار إلى البويب في سادس عشر المحرم، وتزوجت بالأمير الكبير الجاي اليوسفي، وبها طال واستطال، وكانت خيرة عفيفة لها بر كثير ومعروف معروف، تحدث الناس بحجتها عدة سنين لما كان لها من الأفعال الجميلة في تلك المشاهد الكريمة، وكان لها اعتقاد في أهل الخير ومحبة في الصالحين، وقبرها موجود بقبة مدرستها ، وأسف السلطان على فقدها، ووجد وجدا كبيرا لكثرة حبه لها.

(المقريزي - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار 4/259)


وظائف
مملوكية

وظائف مملوكية

1) الأتابك :
وهو أكبر الأمراء المتقدمين بعد النائب وتتألف كلمة أتابك من أتا : بمعنى الأب أو الشيخ المحترم لكبر سنه , وبك : بمعنى أمير, والمراد به أبو الأمراء ، وفي الاصطلاح مربي الأمير ويطلق على أمير أمراء الجيش لقب أتابك العسكر .
2) الأستدار :
بضم الهمزة يطلق على القائم على الشؤون الخاصة للسلطان , والأستاذية وظيفة موضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ ، والشراب خانة ، والحاشية ، والغلمان ، فارسية الأصل ، ويحكم في غلمانه وباب داره ، وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكسوة ، وما يجري مجرى ذلك للمماليك وغيرهم .
3) الإستدار :
بكسر الهمزة : لقب يطلق على من يتولى قبض المال السلطاني وصرفه ، وتمثيل أوامر السلطان فيه ، وهو مركب من لفظين فارسيين : إستد : ومعناه الأخذ , دار : ومعناه الممسك .
4) الأسفهلار:
وظيفة من وظائف أرباب السيوف ، وإلى صاحبها يرجع أمر الأجناد واللفظة أعجمية تعريبها قائد جيوش .
5) أمير آخور:
هو المشرف على اصطبل السلطان وخيوله ويسكن باصطبل السلطان .
6) أمير جاندار :
الذي يستأذن على الأمراء وغيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل , وجان : لفظ فارسي بمعنى الروح , ودار : لفظ فارسي بمعنى الممسك , ويعني اللفظ الأمير الممسك للروح أي الحافظ للسلطان فلا يأذن بالدخول عليه إلا لمن يثق به .

7) أمير سلاح :
لقب يطلق على الذي يتولى أمر سلاح السلطان أو الأمير .
8) أمير شكار :
لقب للذي يتحدث عن الجوارح من الطيور وغيرها ، وسائر أمور الصيد ، وشكار بالكسر معناه الصيد بالفارسية .
9) أمير طبر :
لقب للذي يأمر على الذين يحملون الأطبار الفؤوس حول السلطان في المواكب ونحوها, وطبر بالفارسية : الفأس .
10) أمير عشرة :
رتبة عسكرية في الجيش المملوكي ونصيب كل منهم في الحرب أمرة عشرة فرسان، ومن هذه الطبقة يعين صغار الولاة .
11) أمير علم :
لقب الذي يتولى أمر الأعلام السلطانية والطبلخانة .
12) أمير كبير :
رتبة عسكرية في الجيش المملوكي من مقدمي الآلاف ، ويتولى نيابة السلطنة أو أتابكية العسكر ، ويلي الأتابك بالرتبة ، وهو رئيس السلاحدارية .
13) أمير المجلس :
لقب يتولى مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب .
14) الأمير المقدم :
أعلى منصب بعد الأتابك في الجيش المملوكي يخدمه مئة مملوك وفي أمرته ألف جندي .

15) الأوشاقي :
هو الذي يتولى أمور الخيل للسلطان
16) البندقدار :
هو الذي يحمل جراوة البندق خلف السلطان أو الأمير .
17) الجاشنكير :
هو الذي يتصدى لتذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا من أن يدس عليه فيه سم ، ويتألف من كلمتين فارستين : جاشا ومعناها الذوق ، وكير أي المتعاطي .
18) الجمدار:
هو الذي يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه ، وأصل اللفظة جامادار ، فارسي بمعنى اللباس داخل البيت ومنها البيجاما .
19) الجمقدار :
هو الذي يمشي في المواكب السلطانية على يمين السلطان يحمل دبوسا له رأس ضخم مذهب ومن واجباته أن يكون نظره متجها إلى السلطان لحمايته ، ويتألف اللفظ من جمق بمعنى دبوس ودار بمعنى حامل أي حامل الدبوس .
20) الجمكدار :
موظف خاص بديوان السلطان موكل يتوزيع الرواتب على المماليك السلطانية .
21) الجوكندار :
حامل الجوكان للملك ليلعب بالكرة.
22) حاجب الحجاب :
صاحبه يقوم مقام النائب في الولايات ، وإليه يشير السلطان وإليه يتقدم من يتعرض ومن يرد ، وإليه يرجع عرض الجند وما شابه ذلك ، فهو يتصف بين الأمراء والجند تارة ، وتارة بمراجعة نائب السلطان .

23) الخزندار :
لقب للذي يتحدث على خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما ، وهو مركب من خزانة ، وهي ما يخزن فيه المال ، وكلمة دار ومعناها ممسك ، والمقصود ممسك الخزانة .
24) الخوان سلار :
لفظ فارسي ، وهو لقب يختص بكبير رجال مطبخ السلطان ، وهو مركب من لفظين أحدهما : خوان : وهو الذي يؤكل عليه وهو معرب , والثاني : سلار : وهي كلمة فارسية بمعنى المقدم ، أي مقدم الخوان .
25) الدوادار :
هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير ، ويتولى أمرها مع ما ينضم لذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال .
26) و الداودارية :
وظيفة موضوعها نقل الرسائل والأمور عن السلطان وعرض القصص والبريد وأخذ الخط السلطاني على عامة المناشير .
27) رأس نوبة النوب :
هو الذي يتحدث يأمر على مماليك السلطان أو الأمير وينفذ أمره فيهم وهو أعلاهم , ومنها رؤوس النوب : وهم أربعة أمراء يرأسهم مقدم ألف يشرفون على المماليك السلطانية .
28) الركبدارية :
هم من يتبعون بيت الركائب الذي تحفظ فيه السروج واللجم ونحوها ، وهم يحملون الغاشية وهي سرج من جلد مخروز بالذهب .
29) الزمام دار :
لقب القائد العسكري ، يقال : زمام عسكري أي قائد عسكري .

30) السلحدار :
لقب للذي يحمل سلاح السلطان أو الأمير ، ويتولى امر السلاح خانة وما يتبعه ، ومعناه ممسك السلاح , السلاح دار هو ضابط يعهد إليه العناية بالأسلحة.
31) السلطان :
هو الذي يحكم في ولايته حكم الملوك ، ويكون رئيسا للأمراء ، وله من العسكر أكثر من عشرة آلاف فارس ، ويملك ممالك متعددة ، وقد يطلق عليه اسم السلطان الأعظم ، ويشترط أن يخطب له في ممالك متعددة أقلها ثلاثة أيام وأكثرها ثلاثة أشهر .
32) سلطان الحرافيش :
هو شيخ مشايخ الحرف والصناعات .
33) السنجقدار:
هو الذي يحمل الراية خلف السلطان أو الأمير ، وهو مركب من لفظين : أحدهما فارسي وهو : دار بمعنى ممسك ، والثاني تركي وهو : السنجق بمعنى الرمح أو اللواء أو العلم أو الراية.
34) شاد :
شد الدواوين أي فتشها وضبط حساباتها . وشاد هو المفتش تضاف الكلمة لإسم الوظيفة مثل شاد الزكاة ، وشاد الأوقاف أي ناظر الأوقاف أو مديرها ، وشاد الشون وهو قائد الأسطول والمسؤول عنه والوظيفة "شادية
35) صاحب الديوان :
وهو متولي الديوان ، وهو ثاني رتبة الناظر.
36) الطبر دار :
ويعني الشخص الذي يحمل الطبر حول السلطان عند ركوبه في المراكب وغيرها ، ويتألف المصطلح من لفظين هما : طبر ومعناه الفأس . ودار ومعناه ممسك ، والمعنى ممسك الفأس.

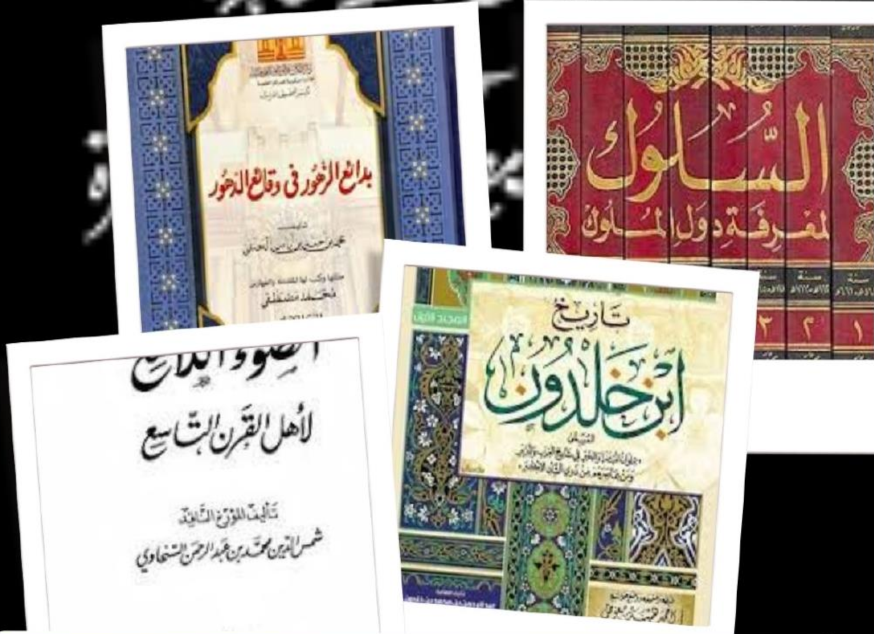
37) الطبلخاناه :
المراد بها ما نسميه في عصرنا موسيقى الجيش وهي لفظ فارسي . وأمير الطبلخاناه هو الأمير الذي يرقى إلى درجة يستحق بها أن تضرب الموسيقى على بابه ، ويكون أمير أربعين ، ويتدرج في الزيادة إلى ثمانين ، ويعد أمير الطبلخاناه في الدرجة الثانية بين الأمراء .
كانت العادة أن تدق نوبة في كل ليلة بعد صلاة المغرب ، وتكون في صحبة السلطان في الأسفار والحروب والطبل خاناه أيضا هو المكان المخصص من حواصل السلطان لطبول الفرقة وأبواقها وتوابعها من الآلات ، وأصل ذلك أن السلطان علاء الدين خوارزم شاه لما عزم على المسير إلى العراق وخالف على الخليفة الناصر ، ضرب لنفسه نوبة ذي القرنين تعاظما وهي في وقتي الشروق والغروب بعدما كانت تضرب له خمس نوب في أوقات الصلوات الخمس ، ففوضها لأولاده يضربونها في الأقاليم التي سماها لهم على أبواب دور سلطنتهم ، وكان نور الدين يضرب بدمشق النوب الخمس ، وأول يوم ضربها خوارزم شاه أختار لضربها سبعة وعشرين ملكا من أكابر الملوك وأولادهم ، وكانت آلات النوبة من الذهب .
38) الطشت دار :
لقب لبعض رجال الطشت خاناه .
39) العلمدار :
لقب الذي يحمل العلم في مواكب السلطان ، أي ممسك العلم .
40) الفداوي الفدائي :
الرجل الذي يقوم بقتل شخص معرضا نفسه للقتل بتنفيذ علمه ، وفي نظام جماعة الحشاشين من الإسماعيلية : هو الشخص الذي تناط به مهمة اغتيال من تقرر الجماعة قتله من أعدائها أو من غير أعدائها حتى لو أخذت مالا مقابل ذلك دون أن تكون لها مصلحة أخرى .
41) قاصد :
يجمع على قصاد ، ويريدون بالقاصد للرسول أو قاصد فضل الله تعالى قاصد كريم لا يبخل بعطاه

42) كاتب الإنشاء :
كان ديوان الإنشاء أول ديوان صنع في الإسلام ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أشخاصا ليكتبوا له الرسائل لملوك الأرض وللأمراء وأصحاب السرايا ثم الصحابة ، ثم استخدم الأمويون كاتبا لديوان الإنشاء مثل عبد الحميد الكاتب . وقد سمي ديوان الرسائل في العصر العباسي ، ثم ديوان المكاتبات ، ومن أشهر الكتاب : يحيى بن خالد البرمكي ، وابن المقفع . وفي أيام الدولة الفاطمية سمي بكاتب الدرح الرسائل وتحت يده ستة كتاب يسمون كتاب الدست أي الستة . ويعبر عن كاتب الدرج في عصر القلقشندي بالموقع .
43) كاتب الدرج :
انظر كاتب الإنشاء .
44) كاتب الدست :
مساعد كاتب الدرج في العصر الفاطمي وهو أيضا الذي يجلس مع كاتب السر في دار العدل أمام السلطان أو النائب ويوقع على القصص أي العرائض والإستدعاءات .
45) كاتب السر :
وظيفة اختصاصها قراءة الكتب الواردة على السلطان ، وكتابة أجوبتها ، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها ، والجلوس بدار العدل لقراءة القصص الطلبات ، والإستدعاءات والتوقيع عليها ومشاركة الوزير في بعض الأمور مع التحدث في أمور البريد ، ومشاركة الدوادار في أكثر الأمور السلطانية وكان رئيس ديوان الإنشاء يتولى هذا المنصب ، وهو أول من يدخل على السلطان ، وآخر من يخرج من عنده .
46) كاشف الكشاف :
رئيس الفرقة المكلفة بكشف أخبار العدو .
47) الكتخدا :
صاحب البيت أو رب البيت ، وهي لفظ فارسي يطلقه الفرس على السيد الموقر وعلى الملك ، ويطلقها الترك على الموظف المسؤول والوكيل المعتمد ، ويقال خزينة كتخداسي أي أمين الخزانة .

48) الكحال :
جمعها كحالون : وهو طبيب العيون .
49) الكخيا :
نحتها الترك من كتخدا فهي بمعنى صاحب أو رب ، والقيم على المزرعة أو القرية أو القصر والجمع كواخي .
50) اللالا :
هو المربي
51) المرقدار :
هو الذي يتصدى لخدمة ما يحوز المطبخ ويحفظه .
52) المشاعلية:
وهم حملة المشاعل ويدعون أيضا الضوية .
53) المجلس :
من ألقاب أرباب السيوف والأقلام ممن لم يؤهل لرتبة الجناب ، وربما لقب به بعض الملوك في المكاتبات السلطانية ، وصار في عهد القلقشندي في أدنى الرتب وجعل الجناب والمقر فوقه .
54) المهتار :
لفظ فارسي ، وهو لقب يقع على كبير كل طائفة من غلمان البيوت ، كمهتار الشراب خاناه ومهتار الطست خاناه ، ومهتار الركاب خاناه . أصل اللفظ : مه بالفارسية وتعني الكبير ، وتارة بمعنى أفعل التفضيل ، فيكون المعنى الأكبر ، والمهتارية نسبة للمهتار
55) المهمندار :
لفظ فارسي وهو الذي يستقبل الرسل والوافدين ، ويسهر على راحتهم ، والكلمة فارسية الأصل أصلها مهمن بمعنى الضيف أو المسافر ودار مخففة من دارنده بمعنى صاحب .

56) النائب :
وهو لقب للقائم مقام السلطان في عامة أموره أو غالبها . وكانت الشام منقسمة إلى عدة نيابات أهمها دمشق ثم حلب وطرابلس وحماة وصفد والكرك وغزة ، ويقال لنائب أحد هذه النيابات أمير الأمراء .
57) الناظر :
من ينظر في الأموال ويتفقد تصرفاتا ويرفع إليه حسابها لينظر فيه ويدققه ، فيمضي ما يمضي ويرد الباقي .
58) ناظر الجيش :
هو الذي يتحدث في أمر الجيوش وضبطها .
59) ناظر الخاص :
هو الذي ينظر في الأموال الخاصة بالسلطان .
60) ناظر الدواوين :
هو الذي يعبر عنه بناظر الدولة ، ويشارك الوزير في التصرف في الأمور المالية والرواتب والتصرفات العامة .
61) ناظر الدولة :
من يساعد الوزير في تسيير أعمال وزارته .
62) ناظر المملكة :
هو الذي يقوم مقام الوزير بالديار المصرية في إحدى النيابات كحلب أو طرابلس .
63) ناظر الأحباس :
الناظر في أرزاق الجوامع والمساجد والأربطة والزوايا والمدارس من الأراضي المفردة لذلك ، وما هو من ذلك القبيل على سبيل البر والصدقة لأناس معينين .
64) ناظر الكسوة :
وظيفة موضوعها شؤون خزانة الكسوة .

(محمد أحمد دهمان - معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي)



أهم مصادر ومراجع العصر المملوكي

1	اقتصاد مصر الداخلي وأنظمته في العهد المملوكي - سالم حلمي محمد
2	الإشارة إلى وفيات الأعيان للذهبي.
3	الإعلام بأعلام بيت الله الحرام للنهروالي .
4	الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي.
5	الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي.
6	الإنتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقماق.
7	الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي - عطا عثمان على محمد
8	الأزمات الاقتصادية والأوبئة في عصر المماليك- غانم حامد زيان
9	الأشرف قانصوه الغورى - محمود رزق سليم
10	الأعلام للزركلي.
11	الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار - حسن الباشا
12	الأمراء المماليك في القاهرة خلال عصر المماليك-شريفة عطية المالكي
13	الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للعليمي.
14	الأهمية السياسية والاجتماعية لجزيرة الروضة منذ العصر الأيوبى حتى نهاية العصر المملوكى مينا ايميل هبة محمود سحر عبد العزيز
15	الأوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية - حسام حلمي
16	الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر - محمد محمد أمين
17	الأيوبيين والمماليك التاريخ السياسي والعسكري - قاسم عبده قاسم
18	البحرية في مصر الإسلامية - د. سعاد ماهر.
19	البداية والنهاية لابن كثير.
20	البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر المنسوب لابن الشحنة.
21	البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع للشوكاني.
22	البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك - أحمد عبد الرازق
23	التبر المسبوك في الذيل على السلوك للسخاوي.

التحفة السنية في أسماء البلاد المصرية لابن الجيعان.	24
التحفة الملوكية لبيبرس المنصوري.	25
التعليم في مصر زمن الأيوبيين والماليك -عبد الغني محمود	26
الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين لابن دقماق.	27
الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية - رياض صالح	28
الحسبة في مصر الإسلامية - سهام مصطفى	29
الحسبة والمحتسبون في مصر- السيد الباز العريني	30
الخطط التوفيقية الجديدة - لعلي باشا مبارك.	31
الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك - نبيل محمد عبد العزيز	32
الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر لابن أيبك.	33
الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة.	34
الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية	35
الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية لابن أيبك الدواداري	36
الدرة المضية في الدولة الظاهرية لابن أيبك الأواداري	37
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني	38
الذيل على العبر في خبر من عبر لابن زرعة العراقي.	39
الذيل على رفع الإصر للسخاوي.	40
الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم لعبد الباسط الظاهري.	41
الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر للعيني.	42
الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر لمحيي الدين بن عبد الظاهر	43
السجون في مصر في العصر المملوكي -هالة نواف يوسف الرفاعي	44
السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك -رزق علاء طه	45
السلطان الظاهر برقوق وتأسيس دولة المماليك الجراكسة في مصر -الهام الدجائي	46
السلطان المنصور قلاوون تاريخ وأحوال مصر فى عهده ومنشأته المعمارية - محمد حمزة	47

48	السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة بدر الدين العينى تحقيق إيمان عمر
49	السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي.
50	السيف المهند في سيرة الملك المؤيد للعيني.
51	الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع السخاوي .
52	الطرب وآلاته في عصر الأيوبيين والمماليك - نبيل محمد عبد العزيز.
53	الظاهر بيبرس للدكتور سعيد عاشور.
54	العبر في خبر من غبر للذهبي.
55	العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك - محمد أحمد دهمان
56	العصر المملوكي في مصر والشام - سعيد عبد الفتاح عاشور
57	العقائد الدينية في مصر المملوكية - احمد صبحي
58	العلاقات العثمانية المملوكية - كي ليسترنج
59	الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا.
60	الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة لابن ظهيرة.
61	الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور لشافع بن علي.
62	الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري - محمود نديم
63	القاهرة خططها وتطورها - أيمن فؤاد.
64	القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي للشجاع الحلبي.
65	القدس في العصر المملوكي- علي السيد
66	القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك - مجدي عبد الرشيد
67	القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف لابن الجيعان.
68	الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي.
69	الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة للغزي.
70	المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك - عاشور سعيد عبدالفتاح
71	المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء.

73	المسالك والممالك لابن خرداذبه.
74	المقفى الكبير للمقريزي.
75	المماليك - السيد الباز العريني
76	المنشآت المائية منذ الفتح الاسلامي وحتى العصر المملوكي - سامي محمد نوار .
77	المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي.
78	المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي.
79	الناصر محمد بن قلاوون لمرزوق.
80	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي.
81	النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية لابن الطولوني.
82	النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك - البيومي إسماعيل
83	النفحة المسكية في الدولة التركية لابن دقماق.
84	النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمني.
85	النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد للمفضل ابن أبي الفضائل.
86	النور اللائح والدر الصادح في اصطفاء الملك الصالح لابن القيسراني.
87	النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك - قاسم عبده قاسم
88	الوافي بالوفيات للصفدي.
89	الوفود السياسية لمصر والشام إبان حكم سلاطين المماليك -البيومي إسماعيل
90	انتفاضات الخبز في مصر إبان عصر سلاطين المماليك الجراكسة
91	إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي.
92	إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء لراغب الطباخ.
93	إعلام الورى بمن ولي من الأتراك بدمشق الشام الكبرى لابن طولون.
94	إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزي.
95	إنباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر العسقلاني.
96	أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي علي الحضارتين الأيوبية والمملوكية -

أحياء القاهرة المحروسة - الطرابيلى.	97
أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك - قاسم عبده قاسم	98
أطلس العمارة الأسلامية - عاصم محمد رزق	99
أعيان القصر وأعوان النصر للصفدي.	100
آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني.	101
بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس.	102
تاريخ ابن الفرات تاريخ الدول والملوك.	103
تاريخ ابن الوردي تتمة المختصر في أخبار البشر	104
تاريخ ابن خلدون العبر في ديوان المبتدا والخبر	105
تاريخ ابن سباط.	106
تاريخ ابن قاضي شهبة الإعلام بتاريخ أهل الإسلام.	107
تاريخ ابن قاضي شهبة.	108
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي.	109
تاريخ الأمير يشبك الظاهري لابن أجا.	110
تاريخ الأيوبيين والمماليك القاهرة-محمد عادل عبد العزيز	111
تاريخ البصروي.	112
تاريخ الحروب الصليبية لستيفن رنسيمان.	113
تاريخ الخلفاء للسيوطي.	114
تاريخ الزمان لابن العبري.	115
تاريخ الملك الظاهر لابن شداد.	116
تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده - شمس الدين الشجاعى .	117
تاريخ المماليك البحرية- علي حسن إبراهيم	118
تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام -محمد سهيل طقوش	119
النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيد روسي.	120

121	حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان لابن الجزري.
122	تاريخ سلاطين المماليك نشره زترستين.
123	تاريخ مغلطاي.
124	تاريخ نيابة القدس في العهد المملوكي. غوانمةيوسف غوانمة
125	تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس في عصر المماليك - تدمري .
126	تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات للسخاوي.
127	تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء لبيشوف.
128	تحفة الناظرين في تاريخ أخبار الماضين للطول كرمي.
129	تحفة ذوي الألباب للصفدي.
130	تذكرة النبيه في أيام الملك المنصور وبنيه لابن حبيب الحلبي.
131	تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور لابن عبد الظاهر.
132	تقويم البلدان لأبي الفداء.
133	جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين - عبد الله الغامدي
134	حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة للسيوطي
135	حسن المناقب السرية لشافع بن علي.
136	حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران لابن الحمصي.
137	حياة الظاهر بيبرس الأسد الضاري قاهر التتار ومدمر الصليبيين - شلبي محمود
138	خطط الشام لمحمد كرد علي.
139	خطط دمشق لأكرم حسن العلبي.
140	دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك -قاسم عبده قاسم
141	دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي -سحر السيد عبد العزيز
142	دراسة لبعض وثائق تتعلق ببيع وشراء الخيول في العصر المملوكي -آمال العمري
143	درة الأسلاك في دولة الأتراك لابن حبيب الحلبي
144	درر التيجان وغرر تواريخ الزمان لابن أيبك.

دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية-محمد جمال الدين سرور	146
ذيل الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني.	147
ذيل مرآة الزمان لقطب الدين اليونيني	148
رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر.	149
روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر لابن الشحنة.	150
زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة لبيبرس المنصوري.	151
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك- غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري	152
سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والعوالي لعبد الملك العاصمي.	153
سوء الإدارة ومحاولات الإصلاح في عصر المماليك - ضاحي فاضل جابر	154
سير أعلام النبلاء للذهبي.	155
شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي.	156
صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي.	157
صرغتمش الناصري الأمير الحاكم دراسة السيرة الذاتية -محاسن الوقاد	158
صور ومظالم من عصر المماليك -سعداوي نظير	159
عجائب المقدور في نوائب تيمور لابن عربشاه.	160
عصر سلاطين المماليك - محمود رزق	161
عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي - قاسم عبده قاسم	162
عصر سلاطين المماليك لمرزوق.	163
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني	164
عمارة المسجد النبوي منذ نشأته حتى نهاية العصر المملوكي - محمد هزاع	165
عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي.	166
فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر لابن بهادر.	167
فرسان الإسلا م وحروب المماليك -جيمس واترسون	168
فن الحرب في العصر المملوكي الأول بين النظرية والتطبيق- أرتو إسرايليان	169

فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك -د. محمد محمد آمين.	170
فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي.	171
قتايتبتاي المحمودي - عبدالرحمن محمود.	172
قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري - أحمد حطيط	173
قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام - العبادي	174
كشاف الجسور في مصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي -سيد خليل	175
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.	176
كوكب الروضة فى تاريخ جزيرة مصر المسماة بالروضة. مصطفى الكعة.	177
ماهية الحروب الصليبية - قاسم عبده قاسم	178
مجالس الشورى في عصر سلاطين المماليك -عثمان على عطا	179
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في حوادث الزمان لليافعي.	180
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي.	181
مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي.	182
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار دولة المماليك الأولى لابن فضل الله العمري.	183
مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك-البيومي إسماعيل	184
مصر عصر د ولة المماليك الجراكسة -طرخان إبراهيم علي	185
مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك -عباس إقبال	186
معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي - محمد أحمد دهمان	187
معجم الألفاظ الفارسية لأدي شير.	188
معجم المصطلحات والألقاب التاريخية -مصطفي عبد الكريم الخطيب	189
معجم أسماء السلاطين وأمراء المماليك في مصر والشام-عبد الله عطية عبد الحافظ	190
معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الاسلامية -أنور محمود زناتي	191
معركة عين جالوت لعماد عبد السلام رؤوف.	192
مفاكهة الخلان في حوادث الزمان لابن طولون.	193

195	مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة لابن تغري بردي
196	موسوعة التاريخ الإسلامي العصر المملوكى -مفيد الزيدى
197	موسوعة التاريخ الإسلامي العصر المملوكي - لويس معلوف
198	موسوعة عصر سلاطين المماليك- سليم محمود رزق
199	نابلس في العصر المملوكي - رئيسة عبد الفتاح
200	نثر الجمان في تراجم الأعيان للفيومي.
201	نزهة الأبصار في ذكر الأقاليم وملوك الأمصار لحاكم البقاع
202	نزهة الأنام في تاريخ الإسلام لابن دقماق.
203	نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر اليوسفي
204	نزهة الناظر في قضاة الأمصار لابن الملقن.
205	نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان للصيرفي.
206	نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر -عبد المنعم ماجد
207	نقش كتابي بصهريج يعقوب شاه المهمندار
208	نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري.
209	نهر الذهب في تاريخ حلب للغزي.
210	نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك -عادل عبد الحافظ حمزة
211	نيابة غزة في العهد المملوكي لمحمود علي خليل عطا الله.
212	نيل الأمل فى ذيل الدول ابن شاهين الظاهري
213	واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني ابن زنبل الرمال
215	وسائل الترفية في عصر سلاطين المماليك - لطفي احمد نصار
216	وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى - السمهودي
217	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان.

خرائط عصر المماليك



منقول من أطلس تاريخ الاسلام (حسين مؤنس)


الإمارات الصليبية والقلاع
المسيحية والإسلامية في الشام قبل تحرير المسلمين لها
مملكة بيت المقدس
إمارة طرابلس
إمارة أنطاكية
إمارة الرها
مملكة الأرمن
أراضي الدولة البيزنطية
قلعة إسلامية
كانت قلعة مسيحية
قلاع كانت مسيحية
مقياس الرسم ١: ٣٥٠٠٠٠٠
بحر الروم
أتابكية حلب
أتابكية دمشق
أتابكية الموصل
نهر الفرات
الدولة البيزنطية
مصر الدولة الفاطمية
خليج العقبة
وادي السرحان
أرض الصوان
جبل الطبيق
قبرص
حران
الرقة
منبج
حلب
أنطاكية
اللاذقية
حماة
حمص
طرابلس
بيروت
صيدا
صور
عكا
حيفا
دمشق
بانياس
قيسارية
يافا
الرملة
القدس
عسقلان
غزة
الخليل
عمان
الكرك
الشوبك
معان
أيلة
العقبة
البحر الميت

الحروب الصليبية (١)

الحرب الصليبية الأولى ٤٩١ - ٤٩٢هـ / ١٠٩٧ - ١٠٩٩م

والحرب الصليبية الثانية ٥٤٢ - ٥٤٣هـ / ١١٤٧ - ١١٤٩م

الحملة الصليبية الأولى:

- خط سير حملة الفرسان الساكسون حتى قضى عليها سلاجقة الروم قرب نيقية سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م.
- خطوط سير جيوش الصليبيين من القسطنطينية ثم خطوط سيرهم في آسيا الصغرى حتى حصار أنطاكية ثم استيلاؤهم على القدس.
- انفصال بلدوين صاحب بولونيا واتجاهه إلى الجزيرة الفراتية واستيلاؤه على الرها وإنشاؤه إمارتها.
- محاولات المسلمين إيقاف تقدم الصليبيين.
- الإمارات الصليبية

الحملة الصليبية الثانية: (على نفس الخريطة)

- خط سير جيش لويس السابع حتى وصوله إلى أنطاكية بحرًا.
- " " كنراد الثالث ثم لقائه مع لويس السابع في القدس.
- محاولة الصليبيين الاستيلاء على دمشق وفشلهم.

مقياس الرسم ١:٦٠٠٠٠٠٠

البحر الأسود

البحر المتوسط

مملكة البلغار

الإمبراطورية الرومانية الشرقية

سلطنة سلاجقة الروم

قبدوكيا

ليديا

تساليا

الخلافة الفاطمية

الجزيرة العربية

الخلافة العباسية

قبرص

كريت

القسطنطينية

نيقوميدية

نيقية

قونية

أنطاكية

الرها

طرابلس

صيدا

صور

عكا

القدس

دمشق

الإسكندرية

الحروب الصليبية (٣)

الحملة الصليبية الرابعة: تستولي على القسطنطينية سنة ١٢٠٤م. قيام الدولة اللاتينية في القسطنطينية.

الحملة الصليبية الخامسة: يقودها جي دي لوزنيان صاحب قبرص بالاشتراك مع أندريا الثالث ملك المجر وليوبولد السادس ملك النمسا وملك بيت المقدس.

القوات الصليبية تتجمع في عكا ٦١٠هـ/١٢١٦م ثم تتجه إلى مصر وتحاصر دمياط وتستولي عليها في شعبان ٦١٦هـ/أكتوبر ١٢١٩م وانهزامهم أمام الأيوبيين عند المنصورة وجلاؤهم عن مصر في رجب ٦١٨هـ/أغسطس ١٢٢١م

الحملة الصليبية السادسة: يقودها فردريك الثاني امبراطور ألمانيا ويتنازل له الملك الكامل عن القدس وبيت لحم والناصرة وطريقها من الساحل إلى القدس سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م ومعه جان دي برين.

الحملة الصليبية السابعة: حملة لويس التاسع على مصر نزل قبرص ومنها إلى مصر - إستولى على دمياط في شعبان ٦٤٧هـ/نوفمبر ١٢٤٩م إنهزام الصليبيين وأسر لويس عند المنصورة في محرم ٦٤٨هـ/ابريل ١٢٥٠م

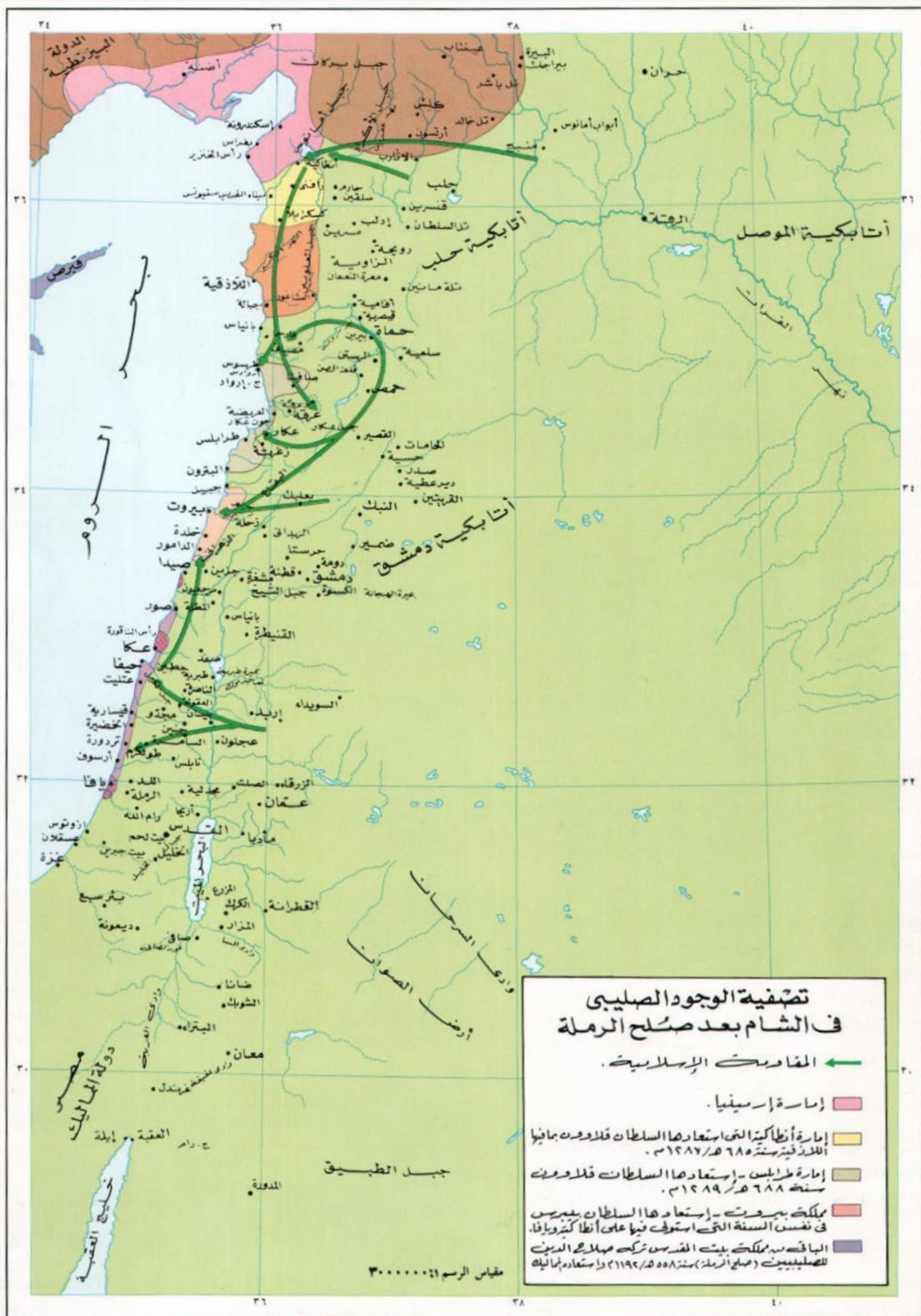
الحملة الصليبية الثامنة: قادها لويس التاسع على تونس - نزل قرب تونس أوائل محرم ٦٦٩هـ/أغسطس ١٢٧٠م - موته في آخر محرم ٦٦٩هـ/٢٥ أغسطس ١٢٧٠م.

أملاك جنوة.

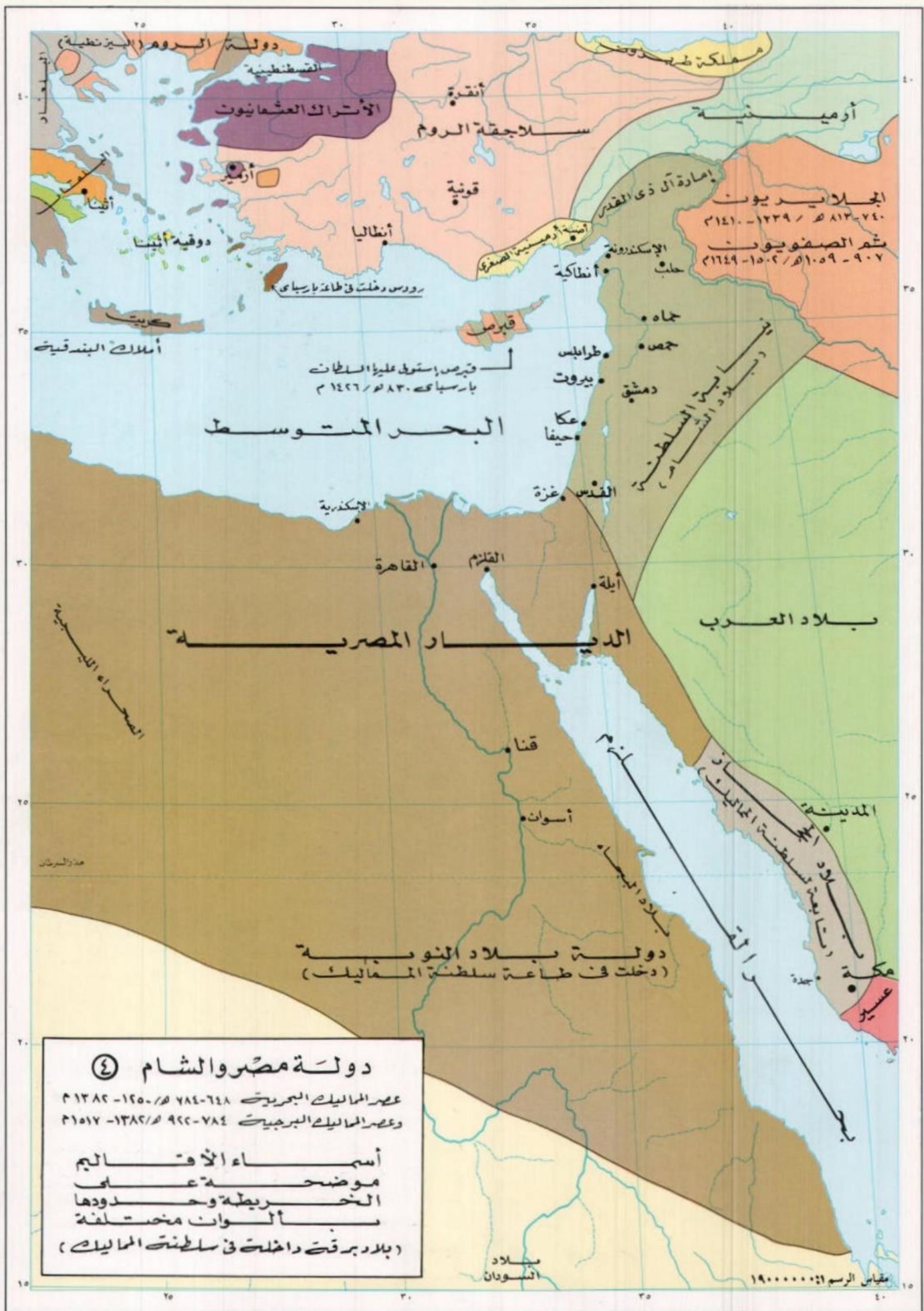
أملاك البندقية.

البحر الأسود — البحر المتوسط — مملكة البلغار — الامبراطورية البيزنطية الشرقية — تساليا — ليديا — سلطنة سلاجقة الروم — قبدوكيا — أرمينية الصغرى — قبرص — كريت — الدولة الأيوبية — الجزيرة العربية — دولة الحفصيين — مملكة صقلية — الحملة الصليبية على تونس

مقياس الرسم ١: ٦٥٠٠٠٠٠



تصفية الوجود الصليبي
في الشام بعد صلح الرملة
المقاومة الإسلامية.
إمارة إرمينيا.
إمارة أنطاكية التي استعادها السلطان قلاوون بما فيها اللاذقية سنة ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م.
إمارة طرابلس - استعادها السلطان قلاوون سنة ٦٨٨ هـ/١٢٨٩م.
مملكة بيروت - استعادها السلطان بيبرس في نفس السنة التي استولى فيها على أنطاكية ويافا.
الباقي من مملكة بيت المقدس ترك صلاح الدين للصليبيين (صلح الرملة) سنة ٥٨٨ هـ/١١٩٢م واستعاده المماليك
مقياس الرسم ١: ٣٠٠٠٠٠٠
الدولة البيزنطية
بحر الروم
قبرص
أتابكية حلب
أتابكية دمشق
أتابكية الموصل
دولة المماليك
مصر
الفرات
وادي السرحان
أرض الصوان
جبل الطبيق
خليج العقبة
البحر الميت
حلب
أنطاكية
اللاذقية
حماة
حمص
طرابلس
بيروت
صيدا
صور
عكا
حيفا
عثليث
قيسارية
يافا
عسقلان
غزة
القدس
دمشق
بعلبك
عمان
الكرك
الشوبك
معان
العقبة
الرقة
حران
منبج
بانياس
صفد
طبرية
نابلس
الرملة
اللد
الخليل
بيت لحم
بئر سبع
أريحا



دولة الروم (البيزنطية)
القسطنطينية
الأتراك العثمانيون
أنقرة
سلاجقة الروم
مملكة طرابزون
أرمينية
أزمير
قونية
أنطاليا
أثينا
دوقية أثينا
إمارة آل ذى القدر
أرمينية الصغرى
الجلايريون ٧٤٠-٨١٣ هـ / ١٣٣٩-١٤١٠م
ثم الصفويون ٩٠٧-١٠٥٩هـ / ١٥٠٢-١٦٤٩م
رودس دخلت فى طاعة بارسباى
كريت
أملاك البندقية
قبرص
قبرص استولى عليها السلطان بارسباى ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م
الإسكندرونة
أنطاكية
حلب
حماه
حمص
طرابلس
بيروت
دمشق
عكا
حيفا
نيابة السلطنة (بلاد الشام)
البحر المتوسط
غزة
القدس
الإسكندرية
القاهرة
القلزم
أيلة
بلاد العرب
الديار المصرية
الصحراء الليبية
قنا
أسوان
المدينة
مكة
جدة
عسير
دولة بلاد النوبة (دخلت فى طاعة سلطنة المماليك)
بلاد السودان
مقياس الرسم ١ : ١٩٠٠٠٠٠٠
دولة مصر والشام ٤
عصر المماليك البحرية ٦٤٨-٧٨٤ هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م
وعصر المماليك البرجية ٧٨٤-٩٢٢ هـ / ١٣٨٢-١٥١٧م
أسماء الأقاليم موضحة على الخريطة وحدودها بألوان مختلفة
(بلاد برقة داخلة فى سلطنة المماليك)

المملكة التركية الشمالية
قبائل الأتراك الغزية (والتركمان)
دولة الأتراك القرخانية
بحيرة بلكاش
صحراء القفجاق
بحيرة خوارزم
نهر سيحون
نهر جيحون
أطرار
خوارزم
ماوراء النهر
الشاش
خوقند
القرخطاى
جبال قوت لون
كاشغر
بخارى
سمرقند
بيكند
ترمذ
مرو
بلخ
جرجانية
ابيورد
نيسابور
الطالقان
بروان
كابل
غزنة
لاهور
قوهستان
قندهار
بست
سجستان
كرمان
كرمان
مكران
بلاد السند
دلهي
أجرا
مماليك الغوريين (فى الهند)
خليج عمان
عمان
بحر العرب

1

الدولة الخوارزمية وغارات المغول

(٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)

- دولة خوارزم شاه
- خطوط انتقال قبائل الترك والصينيين والمغول قبل الغزو المغولى الشامل
- حملات ملوك الدولة الخوارزمية فى توسعها
- سير حملات المغول
- سير حملات هولاكو على بلاد الإسلام
- حملة باتو بن جوجى بن جنكيزخان وأولاده على بلاد البلغار سنة ٦٣٥ هـ - ١٢٣٧ م
- خطوط دخول الغوريين فى الهند


2
قبائل البلغار والقومان
البشناق
القومان
قبائل الخزر
القرم
بلاد البلغار
البحر الأسود
القسطنطينية
الدولة البيزنطية
طربزون
بلاد الكرج
أذربيجان
الدربند
بحر الخزر (قزوين)
تفليس
أخلاط
إمارة قرمان
أرمينية الصغرى
أنطاكية
بقايا الأيوبيين
حلب
الموصل
تبريز
قزوين
زنجان
سلطانية
قبرص
طرابلس
حماة
دمشق
بحر الروم
كرمنشاه
همذان
الري
بغداد
الجبال
كربلاء
النجف
بلاد الخلافة العباسية
أصفهان
خوزستان
شيراز
الخليج العربي
البحرين
الإسكندرية
القاهرة
معركة عين جالوت
غزة
سلطنة مصر والشام (المماليك)
مصر
بحر القلزم
المدينة
الجزيرة العربية
مكة
دولة أشراف مكة
السودان

دول المغول في آسيا وأوروبا
والدول التي تفرعت عنها
دولة جنكيز خان في أوسع حدود بلغتها ٦٠٣-٦٢٤هـ/١٢٠٦-١٢٢٧ ميلادية.
إتجاهات فتوحات جنكيز خان.
دولة القطيع الذهبي باتو بن جوجي بن جنكيز خان ٦٣٣-٦٥٣هـ/١٢٣٦-١٢٥٥م
إتجاهات فتوحات تيمورلنك.
دولة قبلاي خان (الخان الكبير) ٦٥٨-٦٩٣هـ/١٢٦٠-١٢٩٤م.
دولة تيمورلنك ١٣٦٠-١٤٠٥ ميلادية
إتجاهات فتوحات باتو.
دولة جغتاي ٦١٥هـ/١٢١٨م
غزوات هولاكو.
إتجاهات فتوحات قبلاي خان.
مقياس الرسم ١: ٢٩٥٠٠٠٠٠
سيبيريا
إمارات الروس
مملكة السويد
الإمبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة
موسكو
بولندا
مغول القطيع الذهبي
سراي
بلاد البلغار
البحر الأسود
سلاجقة الروم
بحر الروم
سلطنة مصر والشام (المماليك)
بحر الخزر
بلاد القرخطاي
دولة جغتاي
الشاش
سمرقند
بخارى
نيسابور
تبريز
بغداد
دولة تيمورلنك
دولة هولاكو
المدينة
مكة
الجزيرة العربية
بحر القلزم
السند
الهند
التبت
منغوليا
قرة قورم
خان بالق (بكين)
دولة سونج (الصين)
دولة قوبلاي خان (الخان الكبير)
يونان
أسام
بورمانيا
خليج بنغالة
سيام
أنام
كوريا
بحر اليابان
بحر الصين الشرقي
بحر الصين الجنوبي



دولـــــة الصفويين
(٨٩٨ - ١١٤٨هـ/ ١٤٩٢ - ١٧٣٥م)
حدود دولة الصفويين في أقصى اتساعها أيام الشاه عباس ١ (٩٩٦-١٠٣٨هـ/ ١٥٨٧-١٦٢٩م)
أراض استولى عليها الأتراك العثمانيون من الإيرانيين
دولة سلاطين مغول الهند
الصين
خانات الأوزبك فيما وراء النهر
الدولة العثمانية
غزوات الشاه عباس الصفوي
سير الجيوش العثمانية نحو بلاد الفرس
مقياس الرسم ١: ١٥٥٠٠٠٠٠
خانات القرم
البحر الأسود
بحر الخزر
بحيرة خوارزم
خانات القبيلة الذهبية
خوارزم
ما وراء النهر
فرغانة
خانات الأوزبك
الصين
جرجان
أذربيجان
أرمينية
طبرستان
خراسان
قوهستان
سجستان
كرمان
فارس
مكران
الجزيرة
العربية
الدولة العثمانية
بحر الروم
بحر القلزم
الخليج العربي
خليج عمان
البحر العربي
كشمير
الرخج
سلطنة مغول الهند
تبريز
قزوين
زنجان
همذان
أصفهان
شيراز
بغداد
الموصل
مشهد
نيسابور
جرجان
مرو
هراة
بوشنج
بخارى
سمرقند
طشقند
كاشغر
بلخ
قندهار
كرمان
هرمز
الأهواز
دمشق
القدس
المدينة
حلب
ملطية
مرعش
أرضروم
طرابزون
سيتوب
سمسون
طرسوس
لاهور
أمرتسار
ملتان
دلهي
أكرا
لكنو
جواليور
بنارس
أحمدأباد
جوجرات
ديو
سومنات
حيدرأباد



مملكة المجر
ولاشيا
بلغاريا
الدولة البيزنطية
القسطنطينية
العثمانيون
أنقرة
قونية
أنطاليا
أضنة
قيصرية
سينوب
طرابزون
توقات
ملطية
ديار بكر
جيق آباد
البحر الأسود
بلاد القبق (القوقاز)
بلاد الكرج
الدربند
أران
أذربيجان
تبريز
أردبيل
المراغة
زنجان
سلطانية
همذان
قم
كاشان
أصفهان
يزد
الجزيرة
عراق العجم
بغداد
العراق
الأهواز
خوزستان
البصرة
كازرون
شيراز
البحرين
بحر الخزر
خانية القرم
خانية مغول القفجاق
كريت
قبرص
بحر الروم
أنطاكية
حلب
حماة
حمص
بيروت
دمشق
الإسكندرية
غزة
القدس
القاهرة
سلطنة مصر والشام (المماليك)
البحر الأحمر
المدينة المنورة
جدة
مكة
الجزيرة العربية
بلاد السودان
دولة تيمورلنك فى أقصى اتساعها
سلطنة مصر والشام (المماليك)
حملات مغول القفجاق ضد تيمورلنك
الدولة البيزنطية
خط سير الجيش العثمانى
الدولة العثمانية فى عصر بايزيد الأول
غزوات تيمورلنك قبل توليه العرش
خانية المغول

العالم الإسلامى الشرقى
في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي
قبل قيام دولة الصفويين

حدود امبراطورية تيمورلنك القديمة

مقياس الرسم ١ : ١٥٠٠٠٠٠٠



مصر الإسلامية في العصور الوسطى
شبه جزيرة سيناء والدلتا
والصعيد الأعلى وطرق المواصلات
البحر المتوسط
خليج القلزم
بحر القلزم
قبيلة ثعلبة
قبيلة العايد
بنو صخر
هضبة التيه
هضبة العجمة
قبيلة العليقات
طور سينا
الإسكندرية
القاهرة
الفيوم
العريش
غزة

درب الحاج الشامي
أيام العباسيين وبعدهم

درب الحاج
ووديان

المصدر: درب الحجيج - سيد عبد المجيد بكر - صفر ١٤٠١هـ

مقياس الرسم ١: ٦٥٠٠٠٠٠

الشام
الجزيرة العربية
بحر الروم
فلسطين
مصر
سيناء
بحر القلزم

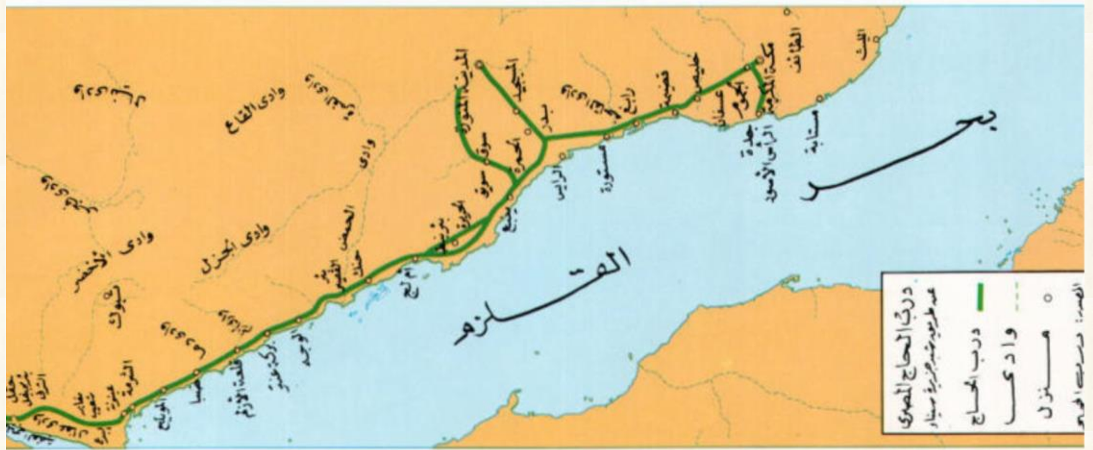
دمشق
الكسوة
خان دنون
غباغب
صنمين
أزرع
شيخ مسكين
المزيريب
المفرق
الزرقاء
عمان
خان الزبيب
قلعة البلقاء
القدس
القطرانة
الحسا
عنيزة
معان
بطن الغول
أيلة
المدورة
حالة عمار
ذات الحاج
بئر ابن هرماس
المحتطب
تبوك
وادي الأثلجية
قلعة الأخضر
حرة الرها
قلعة المعظم
الدار الحمراء
المطيلع
المرحم
الحجر
جبل المجدد
العلا
البدايع
سهل المطران
البئر الجديد
المعصورة
الزمرد
نصيبرة
المديح
هدية
جدعة
أبو النعم
اصطبل عنتر
البوير
بئر نصيف
بواطة
المدينة المنورة
حرة رهاط

درب الحاج المصري
أيام العباسيين وبعدهم
عن طريق وادي النيل
ودرب العلاق وعيذاب

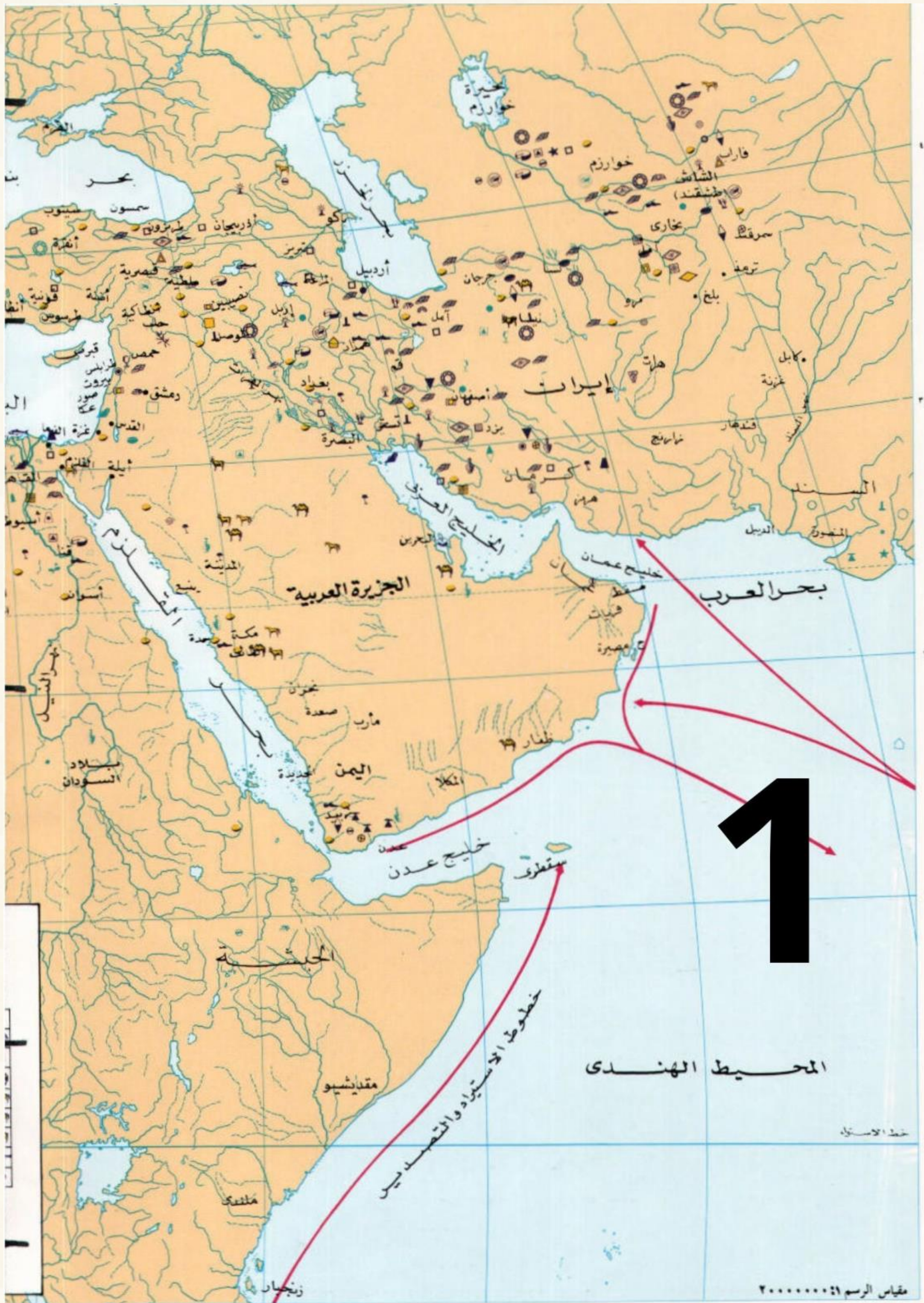
المصدر: درب الحجيج - سيد عبد المجيد بكر - صفر ١٤٠١هـ

مقياس الرسم ١: ٥٥٠٠٠٠٠

بحر الروم
الشام
القدس
الجزيرة العربية
القاهرة
السويس
نخل
أيلة
أسكر
سيناء
خليج القلزم
و. طرفة
المنيا
جبل
المتلا
منفلوط
أبوتيج
أخميم
البليتا
قوص
قنا
اللقيطة
بحر القلزم
حميثرا
بئر أبو سعفة
مرسى شعب
عيذاب
حدربة



فلسطين
سيناء
خليج القلزم
العقبة
السويس
التيه



1
خوارزم
الشاش
(طشقند)
فاراب
بخارى
سمرقند
ترمذ
بلخ
مرو
جرجان
هراة
كابل
غزنة
إيران
قندهار
السند
الديبل
المنصورة
كرمان
يزد
أصفهان
قم
بغداد
البصرة
أردبيل
باكو
أذربيجان
تبريز
الموصل
نصيبين
ملطية
قيسارية
أنقرة
قونية
طرسوس
أنطاكية
حلب
حمص
دمشق
قبرص
بيروت
صور
عكا
القدس
غزة
أيلة
أسيوط
أسوان
الخليج العربي
البحرين
خليج عمان
مسقط
بحر العرب
الجزيرة العربية
المدينة
ينبع
مكة
جدة
نجران
صعدة
مأرب
اليمن
الحديدة
زبيد
ظفار
المكلا
عدن
خليج عدن
سقطرى
بلاد السودان
الحبشة
مقديشيو
المحيط الهندى
خطوط الاستيراد والتصدير
خط الاستواء
زنجبار
مقياس الرسم ١ : ٢٠٠٠٠٠٠٠



2

خريطة إقتصادية للعالم الإسلامي في العصور الوسطى

المحاصيل الزراعية والمعدنية والصناعات

القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

أشغال خشبية	أبنوس	أرز	نحاس
زجاج	شمع	سمسم	صفيح
دور صناعة	نيلج	تمر	رصاص
سعف نخيل	عنبر	زيتون	حديد خام
مواد صباغة	لؤلؤ	زعفران	ذهب
مصنوعات حديدية ونحاسية	عاج	بهارات	فضة
منسوجات مختلفة	فراء	فواكه ومواد غذائية	زئبق
أحذية ومصنوعات جلدية	جلود وحيوانات	قصب سكر	أحجار كريمة
بسط وسجاجيد	لحوم	أفيون	نفط
عطور وأدهان	صوف	قطن	معادن أخرى
	أجبان		
	أخشاب نفيسة		
	كافور		

الجناح الشرقي ووسط العالم الإسلامي في العصور الوسطى
طرق التجارة الرئيسية والمحاصيل الزراعية والمعدنية والصناعات

نحاس	عاج	عنبر	أصناف عطرية	حرير	ذهب	ماشية
حديد	أبنوس	لؤلؤ	أدهان	منسوجات	فضة	حبوب
سفن	أخشاب نفيسة	كافور	عطور	قيشاني	أحجار كريمة	فواكه
صوف	رقيق	عصارات نباتية	توابل	عطور	صفيح	فرش

مقياس الرسم ١ : ٣٠٠٠٠٠٠٠

بحر الهند
بحر لروي
البحر العرب
بحر هركند
بحر سلاهط
بحر الصنف
بحر صنجي
أبواب الصين
خليج سيام
بحر الروم
بحر القلزم
بحر الخزر
الجزيرة العربية
بلاد الشام
العراق
بلاد فارس
الري
أصفهان
مكران
السند
الهند
سكيانج
جبال الهملايا
التبت
منغوليا
الصين
يونان
بلاد اسام
سيام
كلة
جزر المهراج
حضرموت
الصومال
ساحل بلاد الزنج
بلاد ما وراء النهر
زنجاريا
بلاد السيلا (كوريا)
جزيرة سرنديب
جزر أندمان
جزر نيكوبار
جزر ذيبة المهل (ملديف)
جزر الفال أو الفالات (لكديف)
قانصو وقانطو (هانج تشو)
خانجو (هانج - تشو - فو)
خانفو (كانتون)
لوقين (هانوي)
طريق التجارة
دمشق
الموصل
بغداد
الأنبار
البصرة
الأبلة
البحرين
المدينة
مكة
جدة
اليمامة
صنعاء
عدن
الشحر
مسقط
هرمز
التيز
الديبل
كنباية
كشاوار
الكجرات
تانه
سندان
صيمور
كولم
مدراس
كدرنج
مرو
سمرقند
مقديشيو
قسمايو
بربرة
سقطرى
القلزم

1

خانات استراخان التركية

القرم

١٤٥٣م

بلاد الشركس

نهر كوبان

كراسنودار

البحر

بحر الخزر

داغستان

الدربند

شروان

باكو

تفليس

بلاد الكرج

باطوم

سينوب

سمسون

طرابزون

أماسيا

توقات

سيواس

قيصرية

أرمينية

مهد الأتراك الأول

بتليس

نهر آراكس

أذربيجان

أردبيل

تبريز

بحيرة أورمية

قزوين

زنجان

طهران

ماردين

مرج دابق

الموصل

الجزيرة

أربل

حلب

أنطاكية

دير الزور

اللاذقية

حماة

حمص

طرابلس

همذان

كرمانشاه

العراق

بغداد

بلاد الفرس

دمشق

الشام

القدس

الأهواز

البصرة

عبدان

الخليج العربي

الإحساء

ميلاد الدولة العثمانية وتوسعها
حتى نهاية حكم سليم الأول سنة ١٥٢٠م

الدولة العثمانية سنة ١٣٢٦م	المناطق المخططة تابعة للدولة العثمانية
الدولة العثمانية من سنة ١٣٢٦-١٤٥١م	خط سير الأتراك من مواطنهم الأولى ثم سير فتوحاتهم إلى أيام عثمان
الدولة العثمانية من سنة ١٤٥١-١٤٨١م	خط سير حملات أورخان ومراد الأول وبايزيد في آسيا الصغرى وبلاد البلقان
الدولة العثمانية من سنة ١٤٨١-١٥٢٠م	خط سير تيمورلنك إلى آسيا الصغرى ومعركة قونية ثم سيره إلى أزمير
فتح السلطان محمد الثاني (الفاتح) للقسطنطينية سنة ١٤٥٣ ميلادية	فتوح سليم الأول للشام ومصر.



ملداڤيا
البغدان
١٥١٢م
المجر
بودابست
البشناق
ولاشيا
الأفلاق
١٣٩٣م
القرم
سباستبول
البوسنة
قوصوة
نيقوبوليس
صوفيا
دوبرجة
فارنا
بلاد البلغار
الصرب
١٤٥١م
إيطاليا
طارنط
أدرنة
تراقيا
استانبول
بحر مرمرة
بروسة
قسطموني
أنقرة
كوتاهية
لزبوس
أثينا
خيوس
ساموس
أزمير
قرمان
قونية
صاروخان
آيدين
رودوس
كريت
قبرص
بحر الروم
برقة
الإسكندرية
رشيد
دمياط
غزة
القاهرة
القلزم
مصر
2

الملاحة البحرية في البحر المتوسط

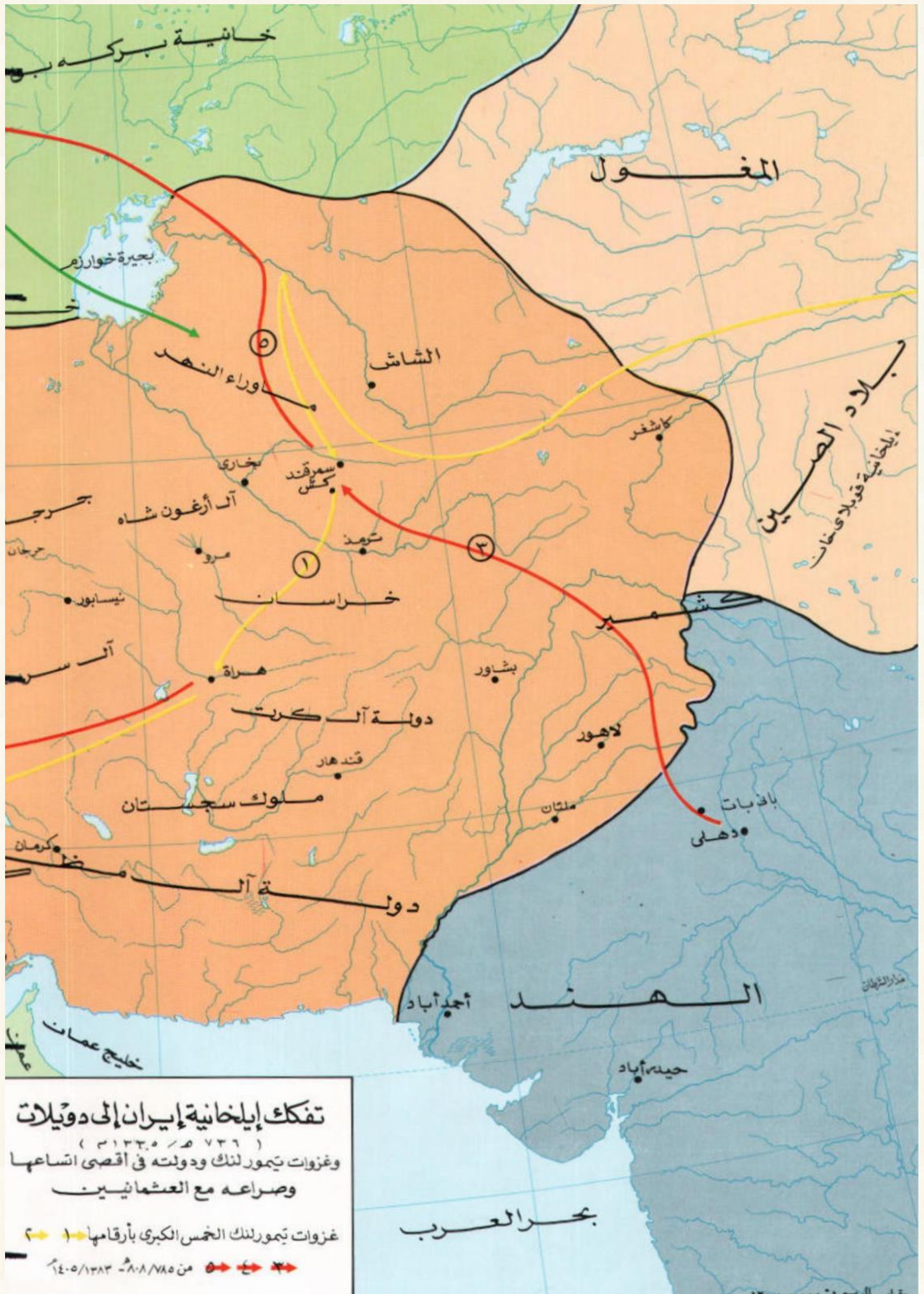
من القرن الرابع إلى القرن السابع هـ / العاشر إلى الرابع عشر م

الجمهوريات الإيطالية وممتلكاتها وبقية المواني الأوربية

أراضي جنوة	ممتلكاتها	خطوطها البحرية
أراضي البندقية	ممتلكاتها	خطوطها البحرية
أراضي غايتة وأمالفي	أراضي بيزا (بيشة)	أراضي دولة الروم
البلاد الإسلامية	المواني ودور	الخطوط البحرية الإسلامية الخالصة
(رسمت الأندلس كما كانت في القرن الرابع عشر)	الصناعة الإسلامية	" " " المشتركة مع الجمهوريات الإيطالية

مقياس الرسم ١ : ١٠٠٠٠٠٠٠

بحر الظلمات
مملكة الفرنجة
البلغار
بحر بنطش
بحر الروم
الصحراء الكبرى
النوبة
السودان
الحبشة
بحر القلزم
الجزيرة العربية
اليمن
العراق
الجزيرة
بلاد الفرس
بحر الخزر
الخليج الفارسي



خانية بركة
المغول
بحيرة خوارزم
ما وراء النهر
الشاش
بلاد الصين
إيلخانية قوبلاي خان
كاشغر
بخارى
سمرقند
كش
آل أرغون شاه
ترمذ
مرو
جرجان
نيسابور
خراسان
كشمير
هراة
بشاور
دولة آل كرت
لاهور
قندهار
ملوك سجستان
ملتان
بانى بات
دهلى
كرمان
دولة آل مظفر
الهند
أحمد أباد
خليج عمان
حيدر أباد
بحر العرب
تفكك إيلخانية إيران إلى دويلات
(٧٣٦ هـ / ١٣٣٥م)
وغزوات تيمورلنك ودولته فى أقصى اتساعها
وصراعه مع العثمانيين
غزوات تيمورلنك الخمس الكبرى بأرقامها ١ ٢
٣ ٤ ٥ من ٧٨٥/٨٠٨هـ - ١٣٨٣/١٤٠٥م



بلاد البشناق
بلاد الخزر
بلاد البلغار
البحر الأسود
القسطنطينية
دولة الروم
سينوب
إمارة نيقية
أزمير
طرابزون
بلاد الكرج
الدربند
أرزنجان
سلاجقة الروم
قونية
أنطالية
آل جوبان
أرمينية الصغرى
أضنة
تبريز
ماردين
الجزيرة
أذربيجان
زنجان
سلطانية
كريت
مملكة قبرص
أنطاكية
حلب
حماة
حمص
طرابلس
دمشق
الموصل
كردستان
همذان
أسرة بادوسبان
طبرستان
قم
بحر الروم
الإسكندرية
عكا
القدس
بغداد
القاهرة
بادية الشام
العراق
البصرة
كازرون
شيراز
مصر
سلطنة مصر والشام
الجزيرة العربية
المدينة
نجد
الخليج العربي
البحرين
نهر النيل
(المماليك)
مكة
جدة
...ت التي تقسمت إليها/١٢٣٣-١٣٠٤م
إيلخانية إيران
الإمارات الصليبية على ساحل الشام
إمبراطورية الروم في طربزون (حتى سنة ١٤٦١ ميلادية)
دولة مماليك الغوريين في الهند
سلطنة مصر والشام
دولة الروم
مملكة قبرص



الجزيرة العربية
عصر الدول السنية من حوالي ٥٩١ إلى ١١٢٠ / حوالي ١١٦٥ - ١٨٠٥ م
بلاد فارس
السلاجقة
الخليج
بحر العرب
خليج عمان
خليج عدن
خليج مصيرة
الربع الخالي
نجد
صحراء النفود
الصمان
عمان
يبرين
مهرة
حضر موت
ظفار
الحبشة
بلاد النوبة
مصر
سلطنة مصر والشام
القلزم
البحر المتوسط
الإسكندرية
القاهرة
القدس
غزة
أيلة
حقل
تبوك
ضبا
الوجه
أم لج
ينبع
الجحفة
رابغ
المدينة المنورة
خيبر
فدك
الصفراء
خليص
عسفان
مكة المكرمة
الطائف
جدة
الليث
القنفذة
حلي
تربة
بيشة
الحقو
أم الشيب
صبيا
جيزان
اللحية
الحديدة
بيت الفقيه
زبيد
يريم
ذمار
صنعاء
صعدة
نجران
عدن
لحج
شقراء
المخا
تريم
شبام
شبوة
جبان بيحان
قشن
رأس فرتك
حائل
جبل شمر
عنيزة
مهد الذهب
وادي الرمة
وادي الدواسر
وادي بيشة
الفام
دومة الجندل
وادي السرحان
القطيف
جبيل
الهفوف
سيراف
بوشهر
هرمز
البصرة
الأبلة
الأهواز
عبدان
سابور
اصطخر
جاسك
مسقط
صحار
قريات
قلهات
نزوى
بهلاء
جزر كوريا موريا
مصيرة
رأس مدركة
مقياس الرسم ١ : ١٠٠٠٠٠٠٠

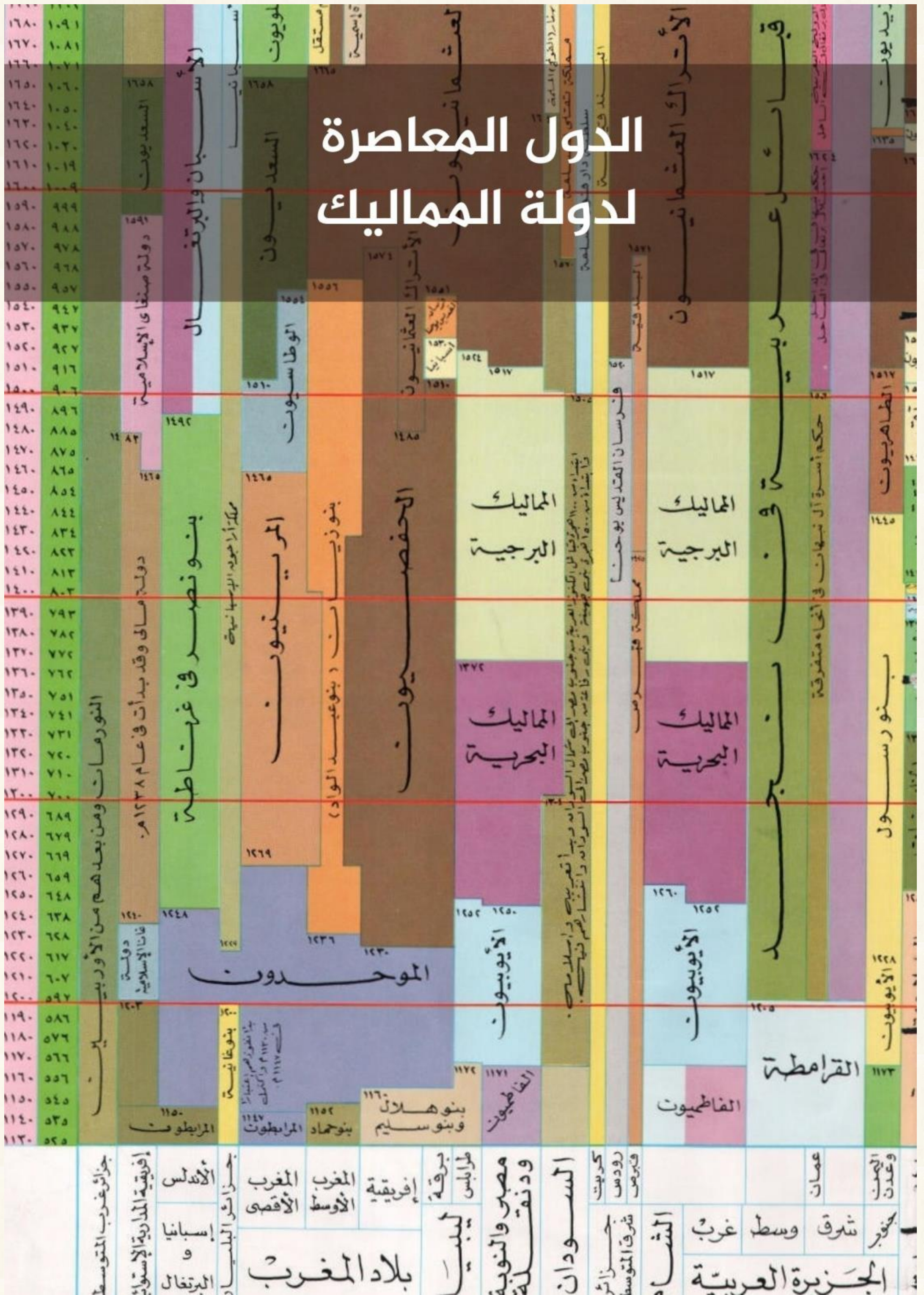
عدوان البرتغاليين على البحار والبلاد الإسلامية

في القرن ١٠هـ/١٦م وتحريرها منهم على أيدي أئمة عمان

- خطوط سير الحملات البرتغالية.
- خط سير الحملة المصرية.
- خطوط سير الحملات العثمانية.

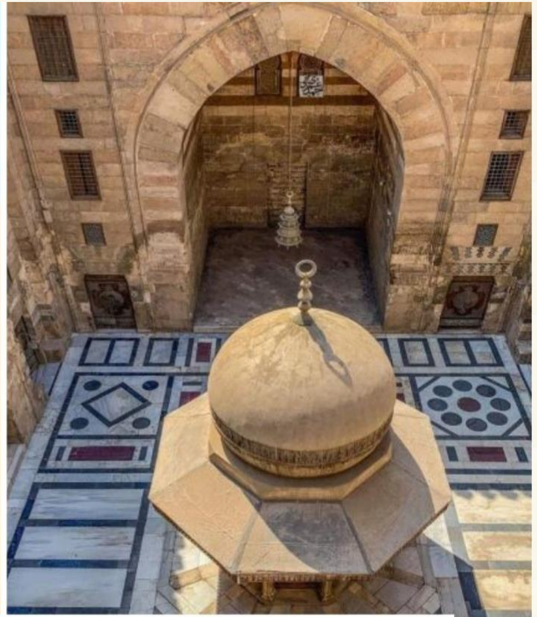
الدولة العثمانية
البحر المتوسط
قبرص
الجزيرة
دمشق
الإسكندرية
بلاد الشام
القدس
بحر الخزر
طهران
قم
بغداد
العراق
القاهرة
القلزم
مصر
العقبة
البصرة
شيراز
كاظمة
مدائن صالح
الوجه
سيراف
النوبة
المدينة المنورة
ينبع
القطيف
بندرعباس
رابغ
جدة
مكة
الطائف
الليث
الجزيرة العربية
السودان
سواكن
القنفذة
الربع الخالي
أبها
جيزان
صعدة
ظفار
مصوع
كمران
صنعاء
حوف
مهرة
الحديدة
زبيد
الشحر
المكلا
تعز
شقراء
عدن
الحبشة
عصب
خليج عدن
زيلع
الصومال

الدول المعاصرة لدولة المماليك

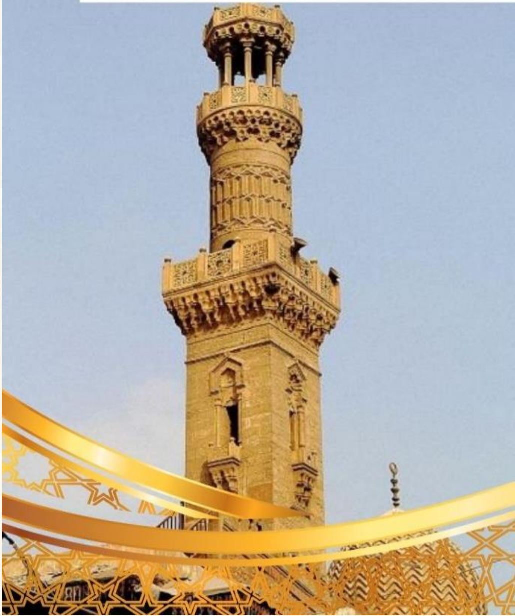
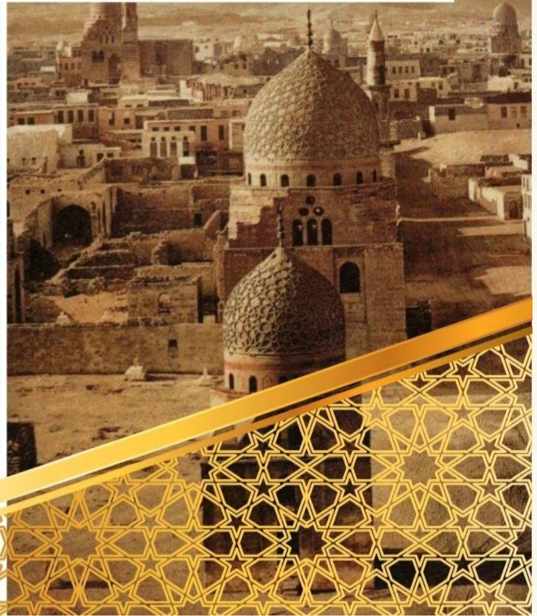




الدول المعاصرة
لدولة المماليك
سلطنة مغول دلهي
الصفويون
شيرشاه الأفغاني
مملكة بابر
دولة آل لودهي في دلهي
دولة السادات في دلهي
أسرة آل تغلق
الخلجيون دلهي
سلطنة دلهي
الغوريون
الغزنويون
ممالك هندية
آق قيونلو
قرة قيونلو
المغول التيموريون المتأخرون
المغول التيموريون في عهد شاه رخ
التيموريون
آل مظفر (شيراز)
آل سربداران (سابزوار)
الكرت في هرات
الخانات الجغتائية
الإيلخانية
مغول آسيا الوسطى
شاهات خوارزم
الغوريون
الشاهانيون
فترة خيتاي
العثمانيون
البيزنطيون
دخول الإسلام وانتشاره في سومطرة وجاوة وبقية جزر اندونيسيا وجنوب الفلبين على يد التجار والدعاة المسلمين
القوقاز
إيران
غرب
وسط
شرق
أفغانستان
ما وراء النهر وشماليه
الصين
غرب الهند والسند
شمال ووسط الهند
شرق الهند
الهند
تركيا
البلقان وشرق أوروبا
شرق آسيا

مساجد سلاطين المماليك

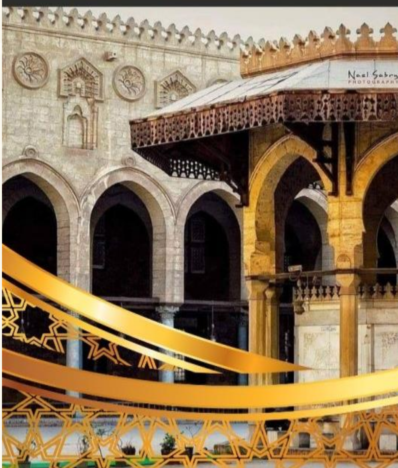



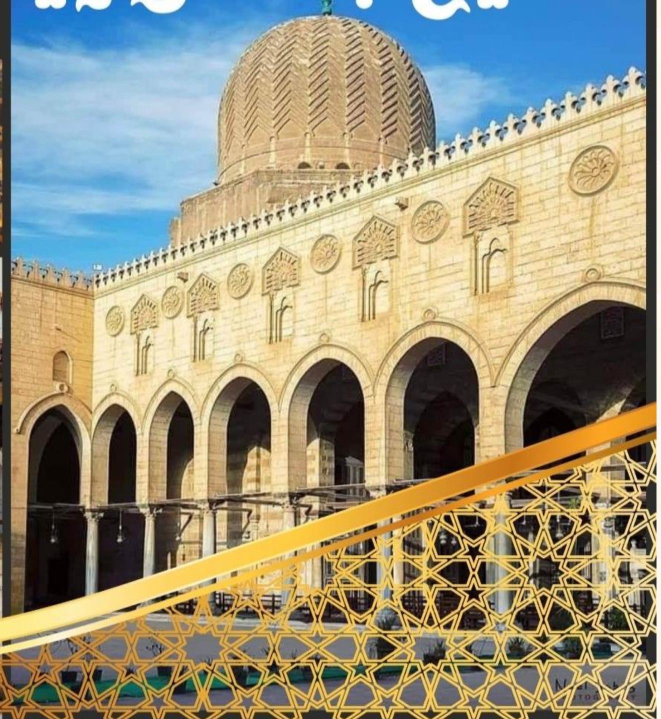
مدرسة المؤيد شيخ



مدرسة المؤيد شيخ بالغورية









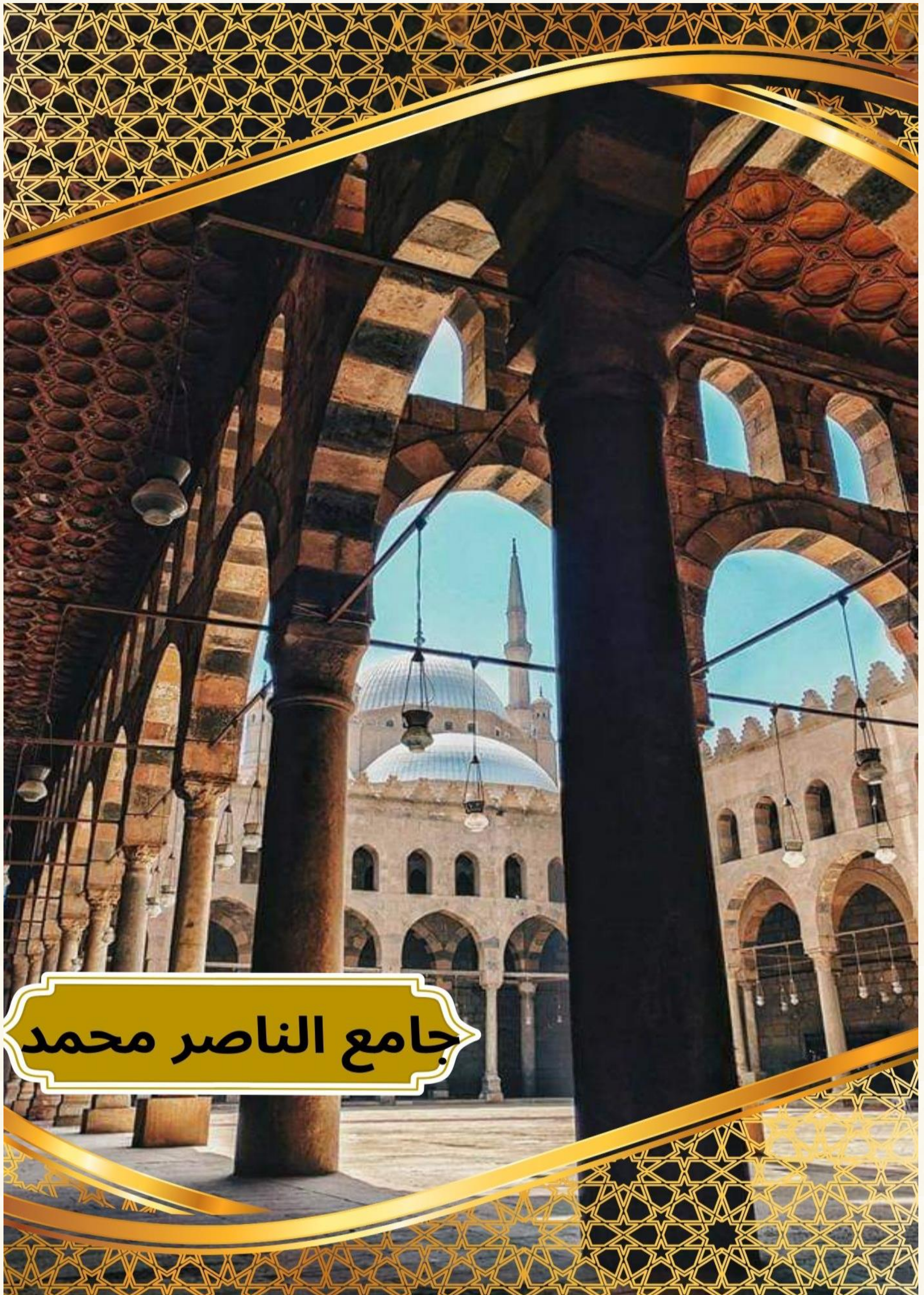




مدرسة وخانقاة الظاهر برقوق





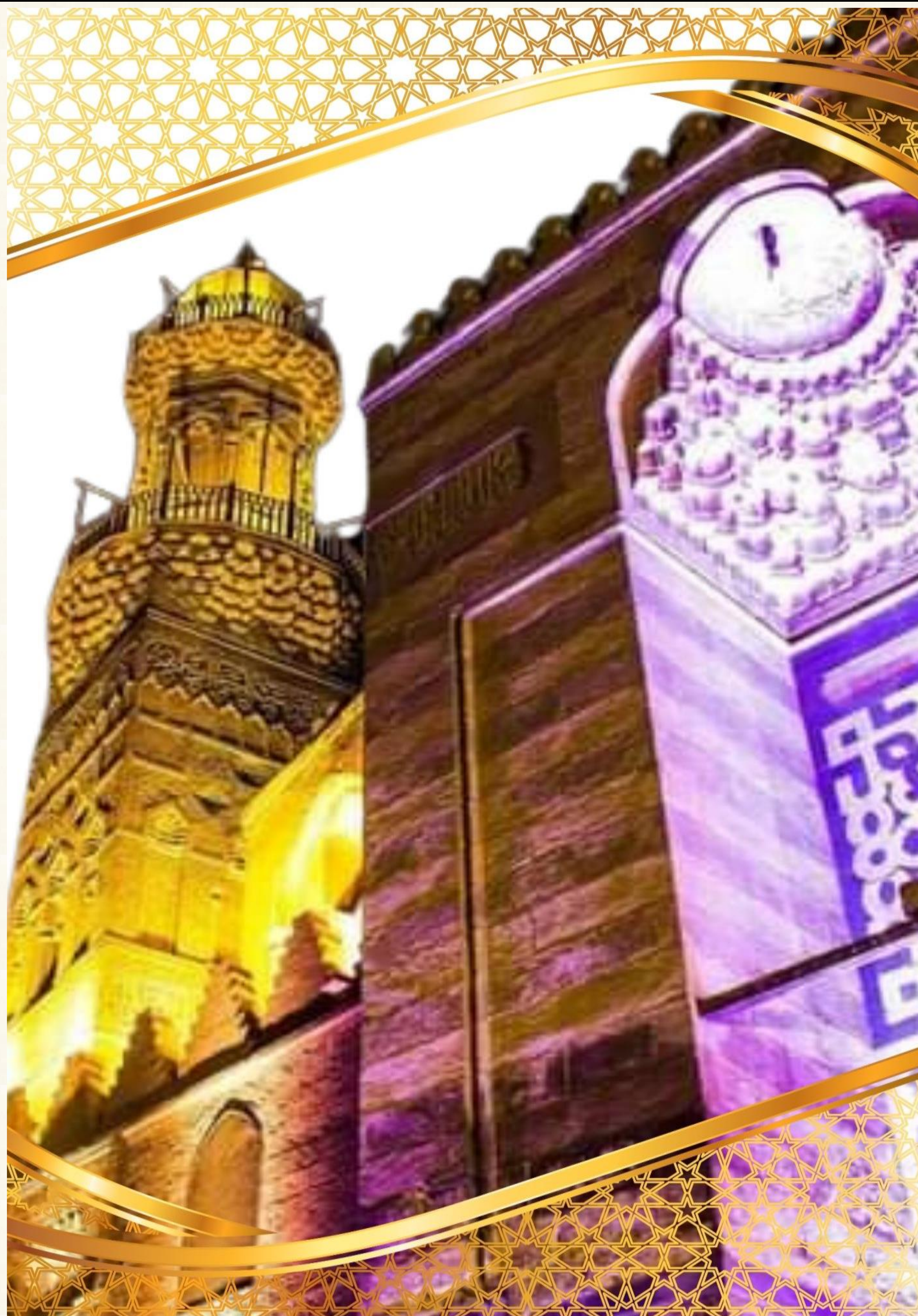

جامع الناصر محمد

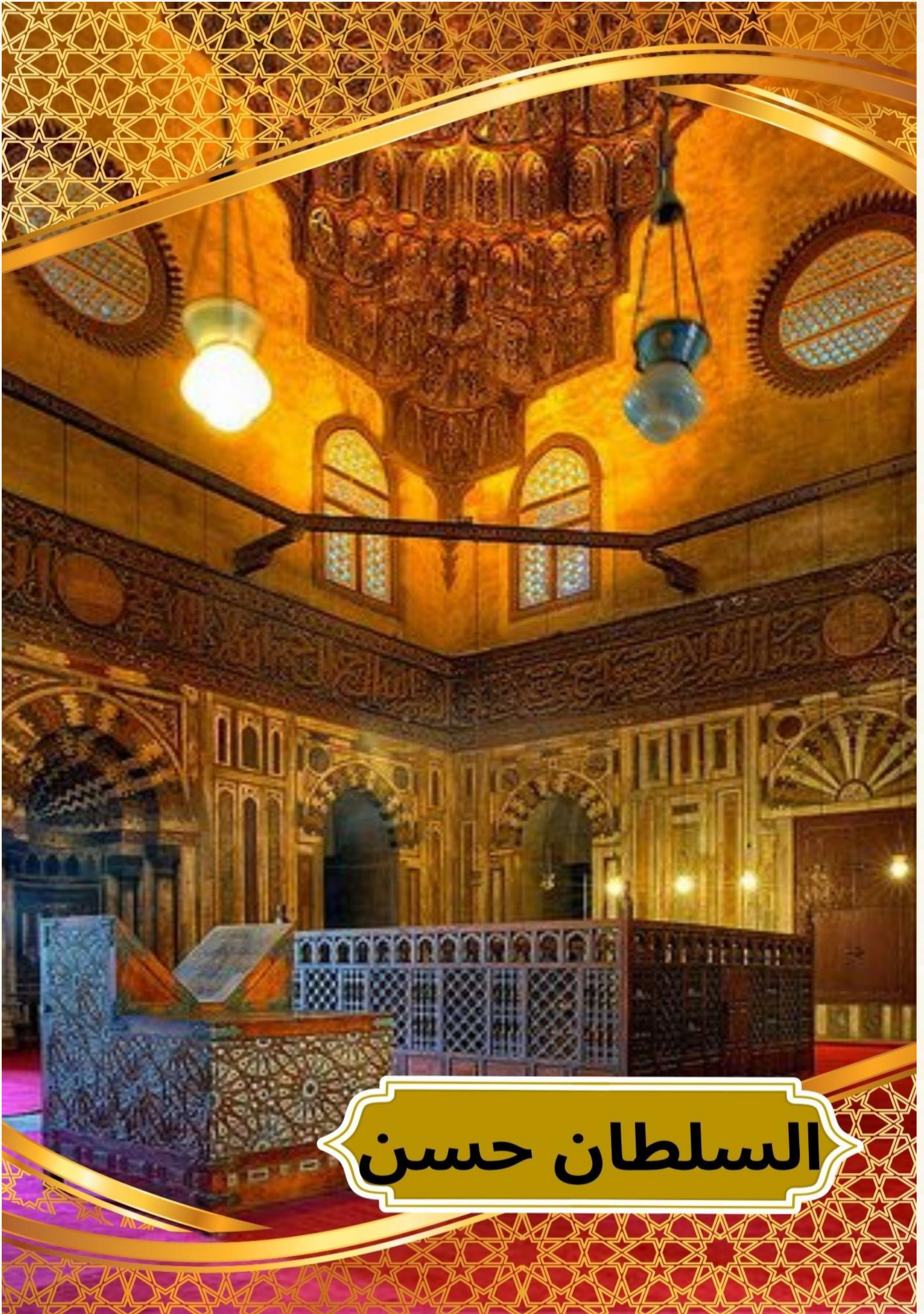


جامع الناصر محمد بالقلعة




مدرسة الناصر




السلطان حسن

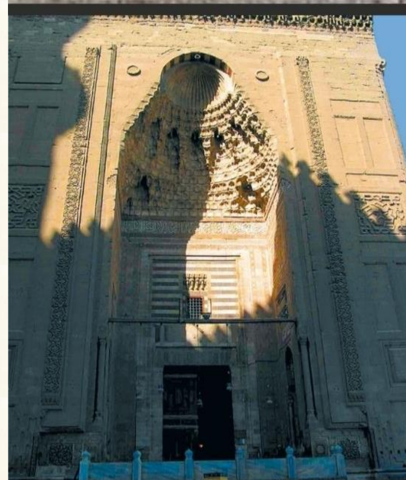


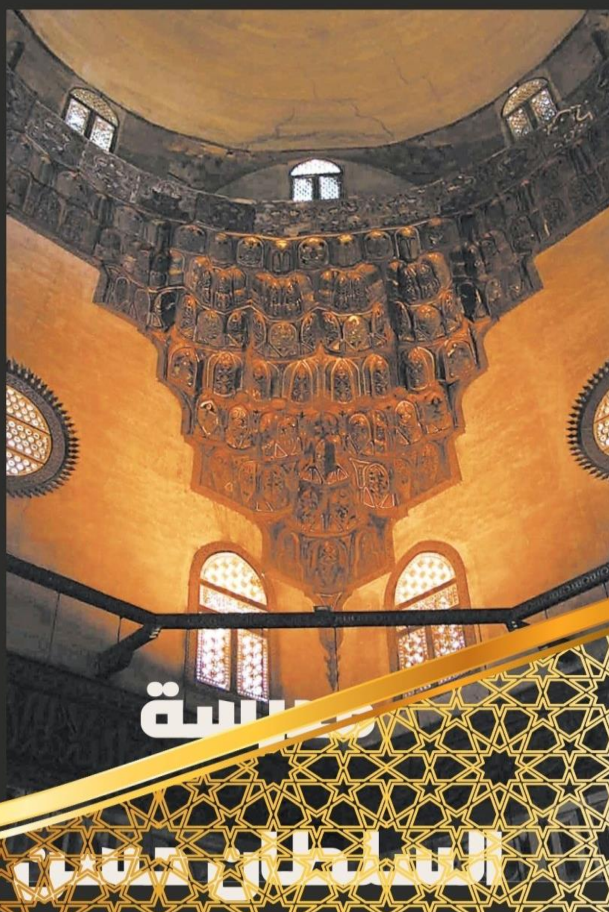


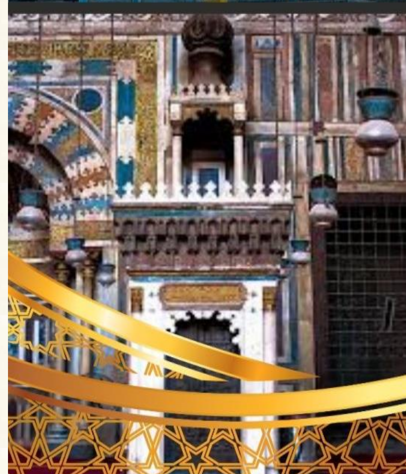


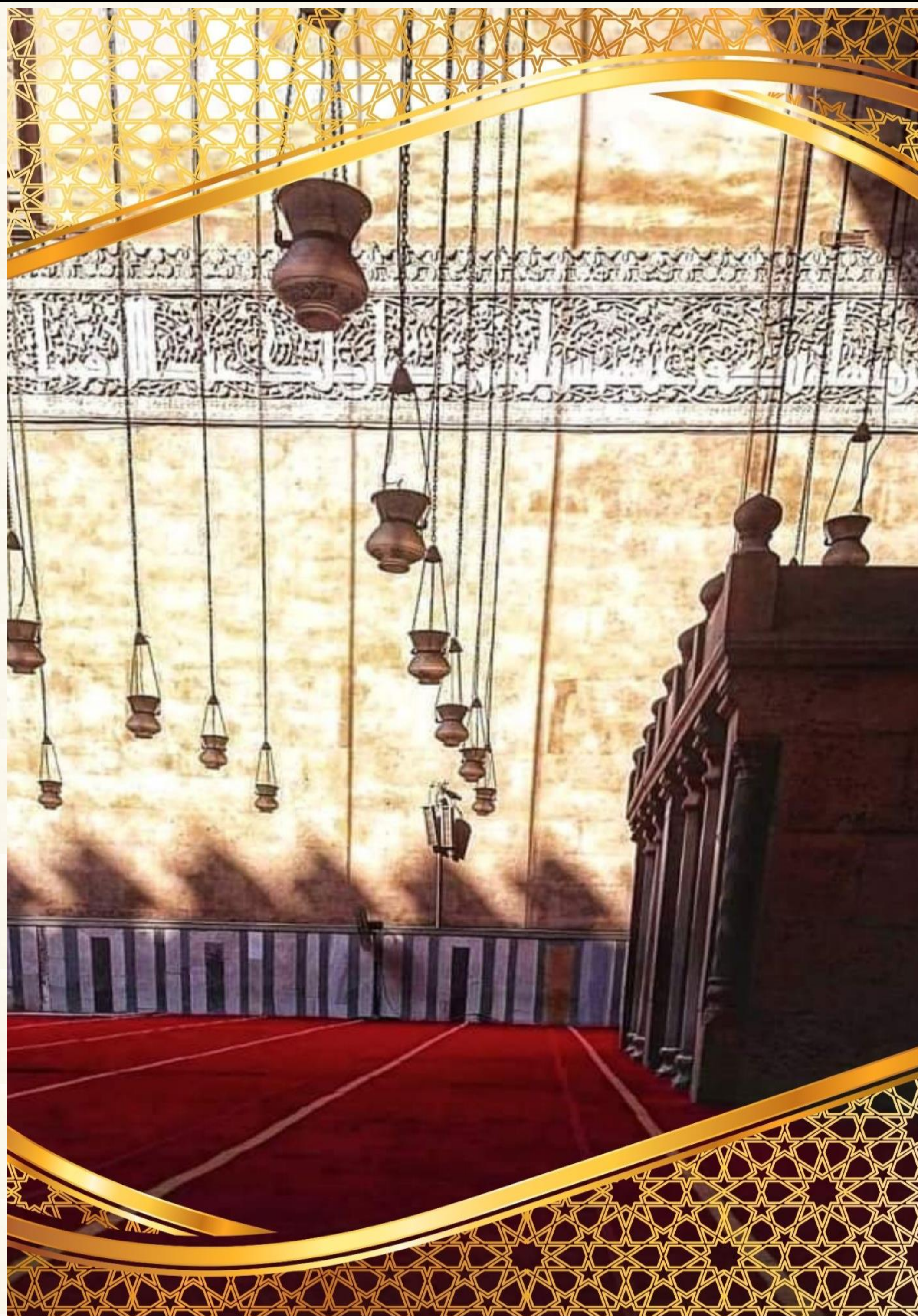


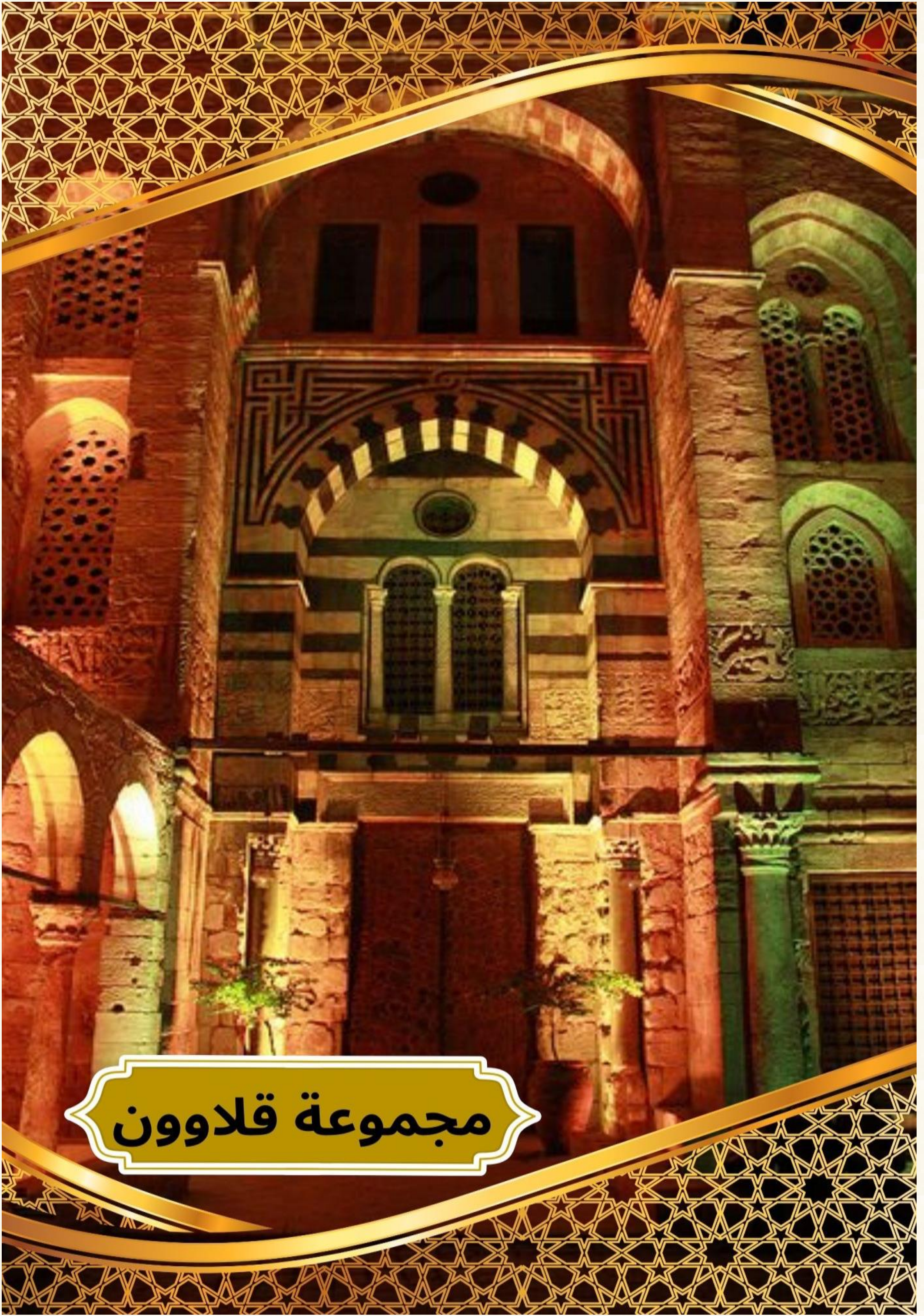


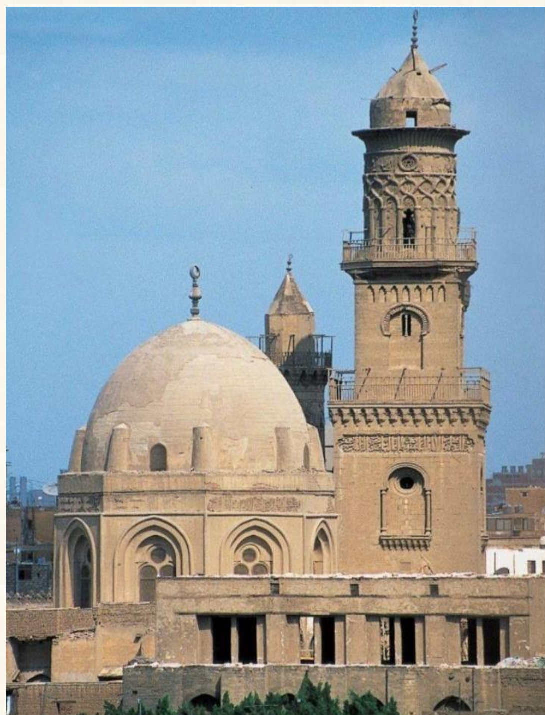








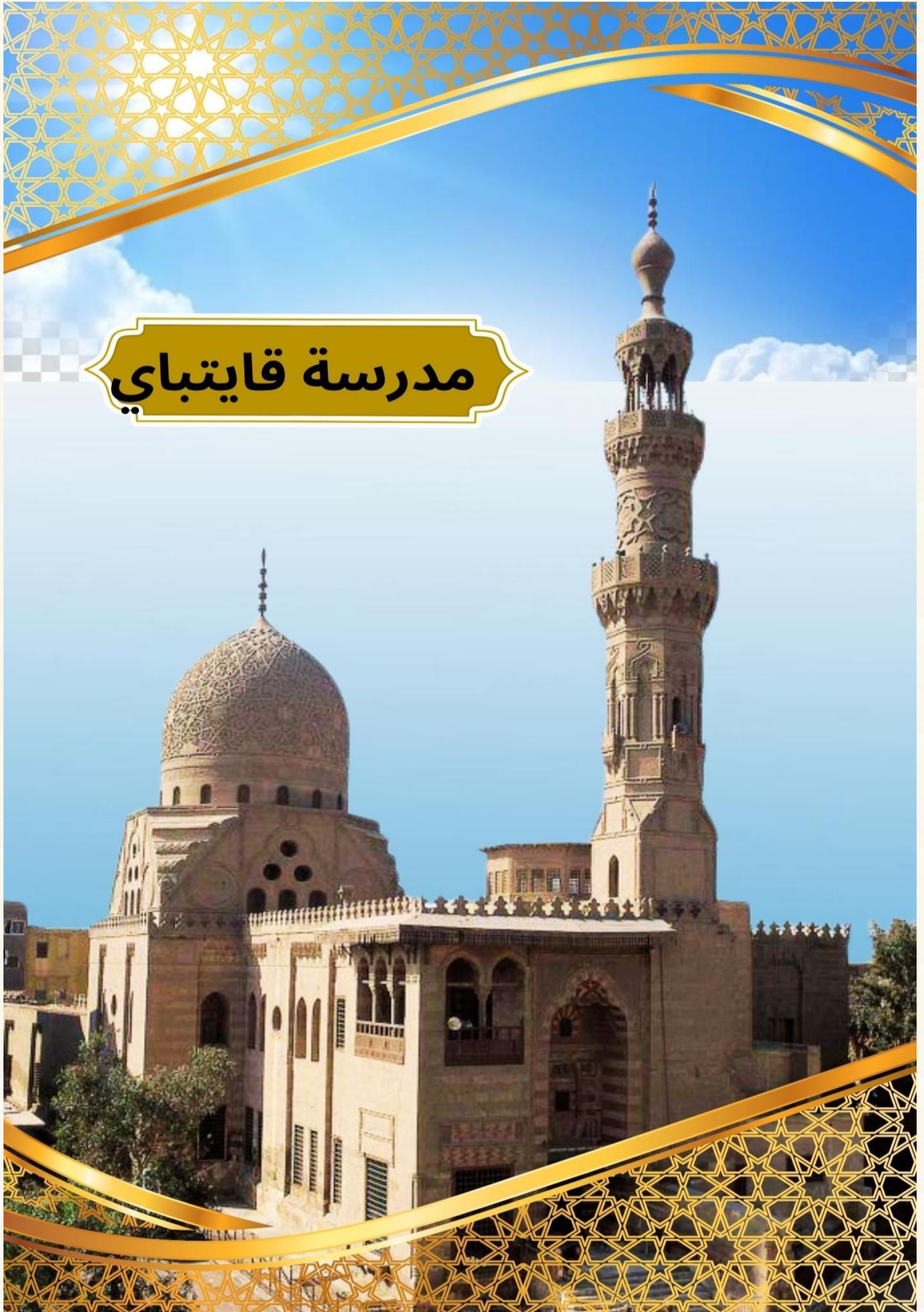

مجموعة قلاوون

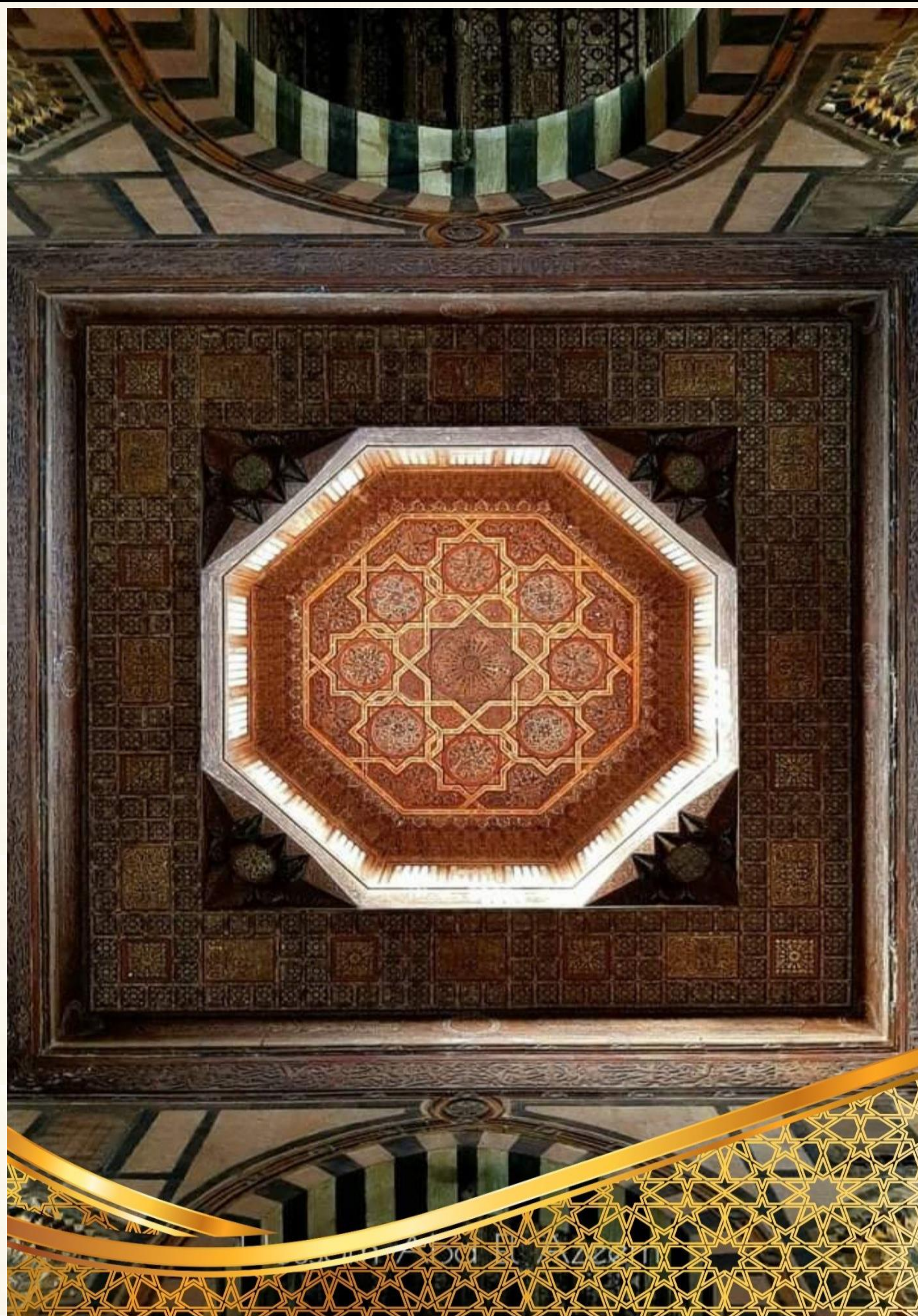


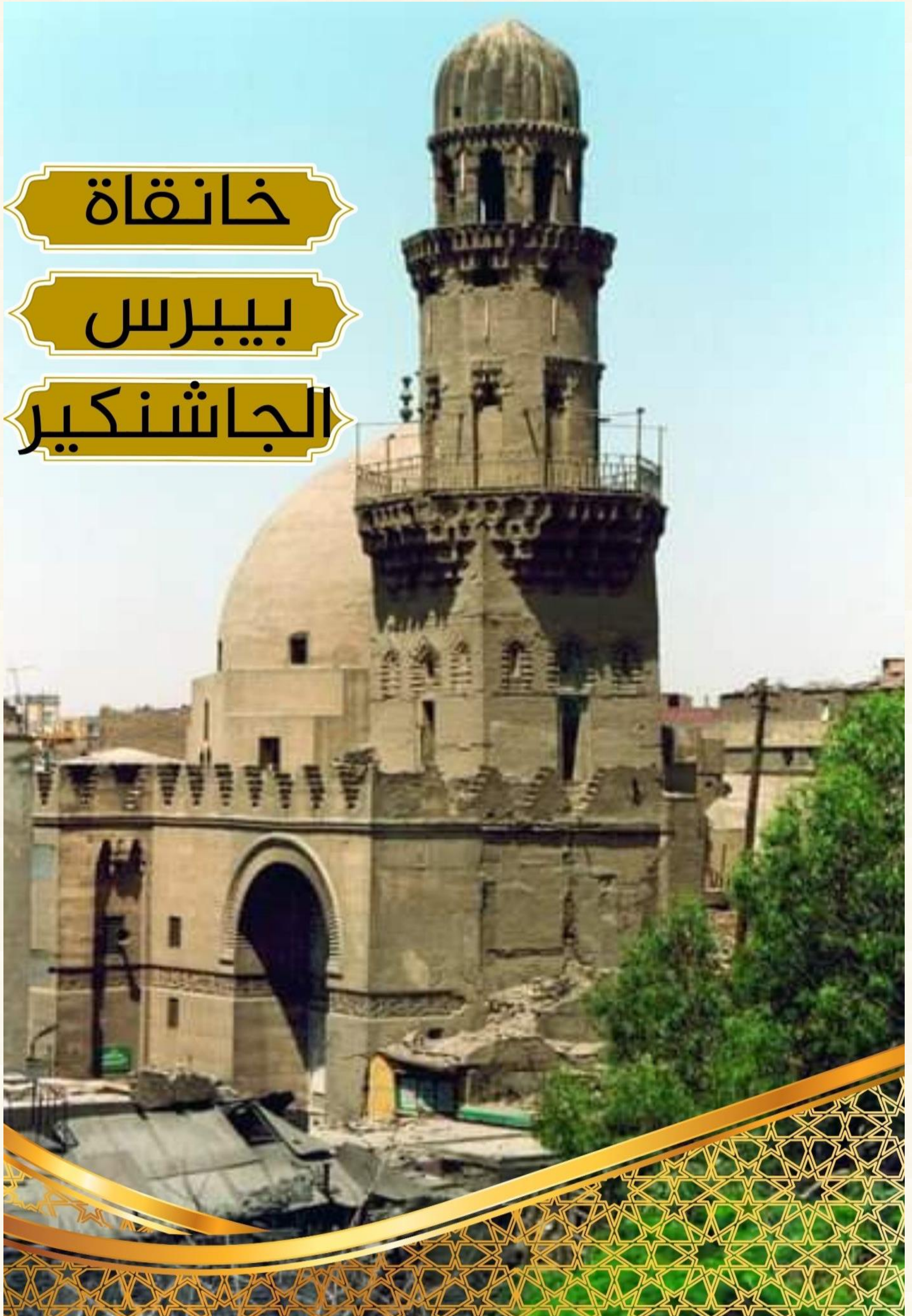
مدرسة قلاوون






مدرسة قايتباي




خانقاة
بيبرس
الجاشنكير



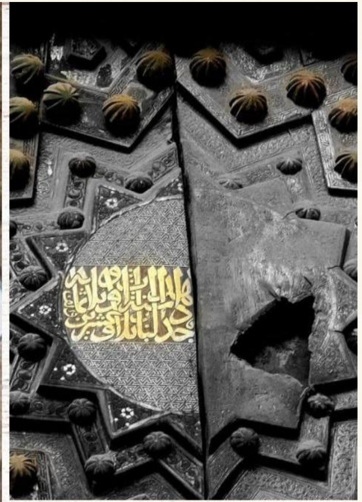


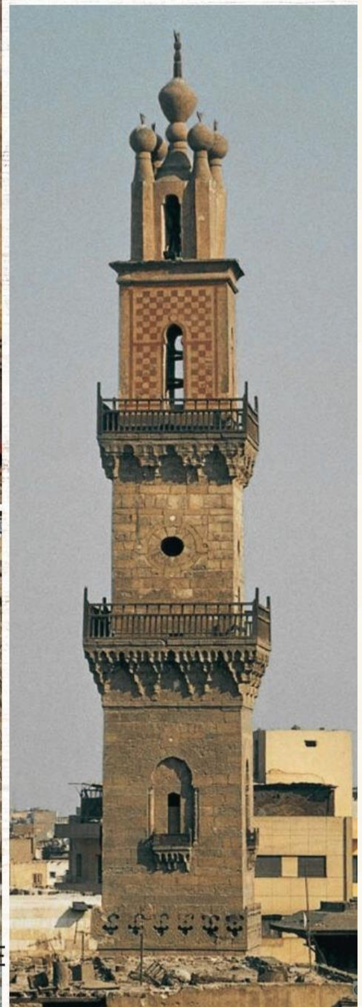


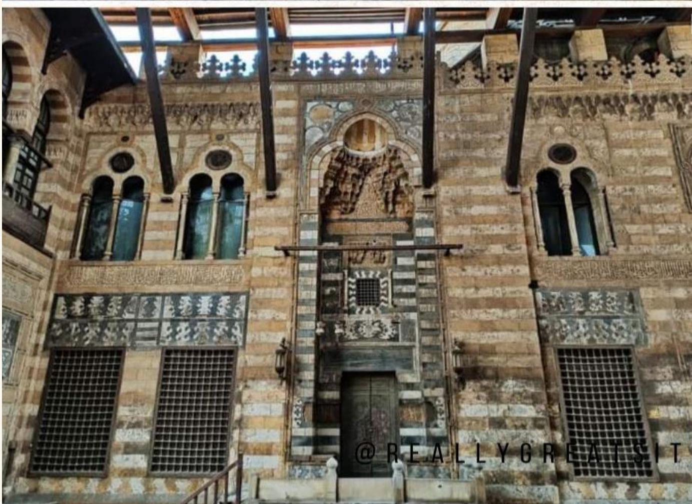


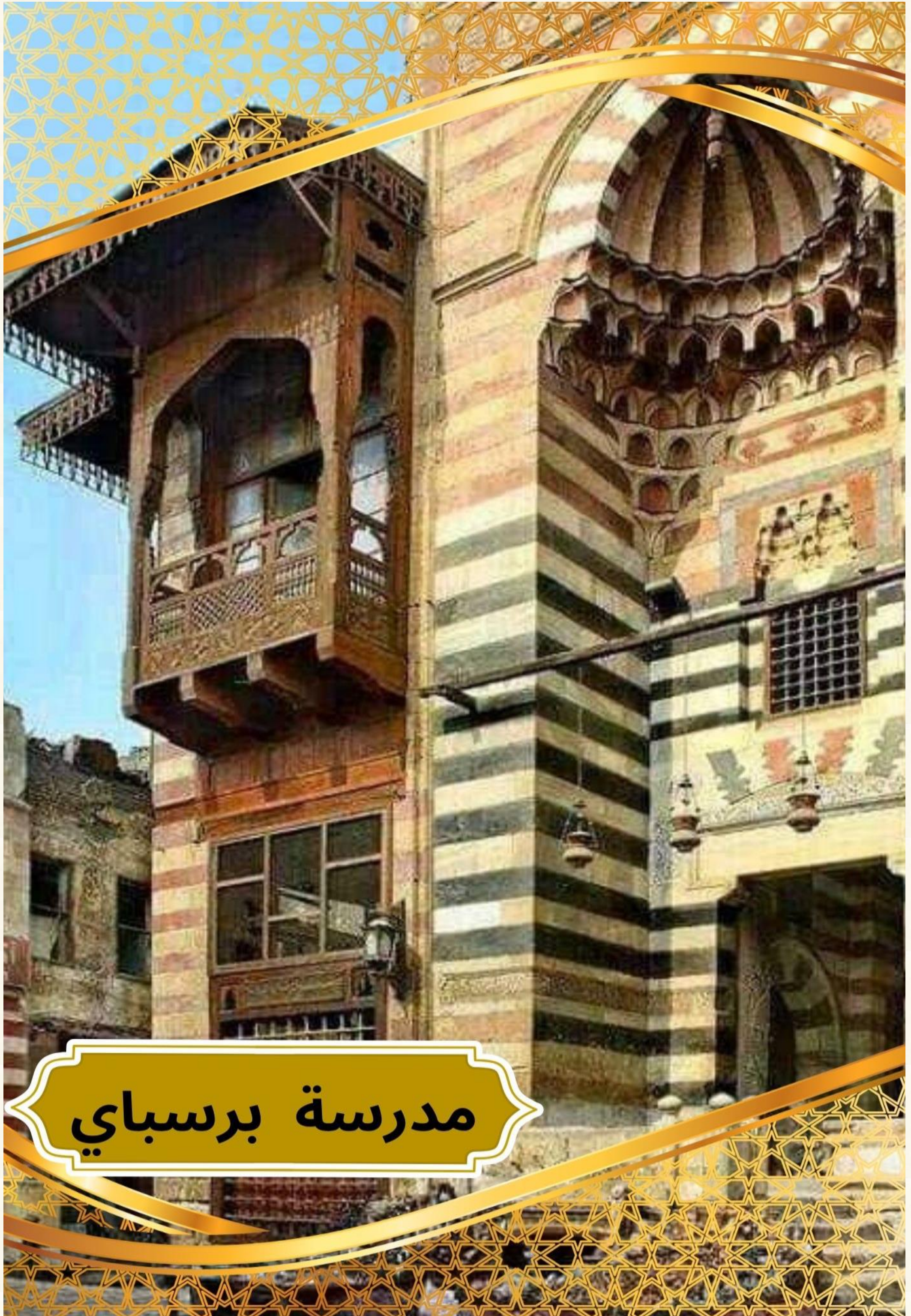

مجموعة الغوري

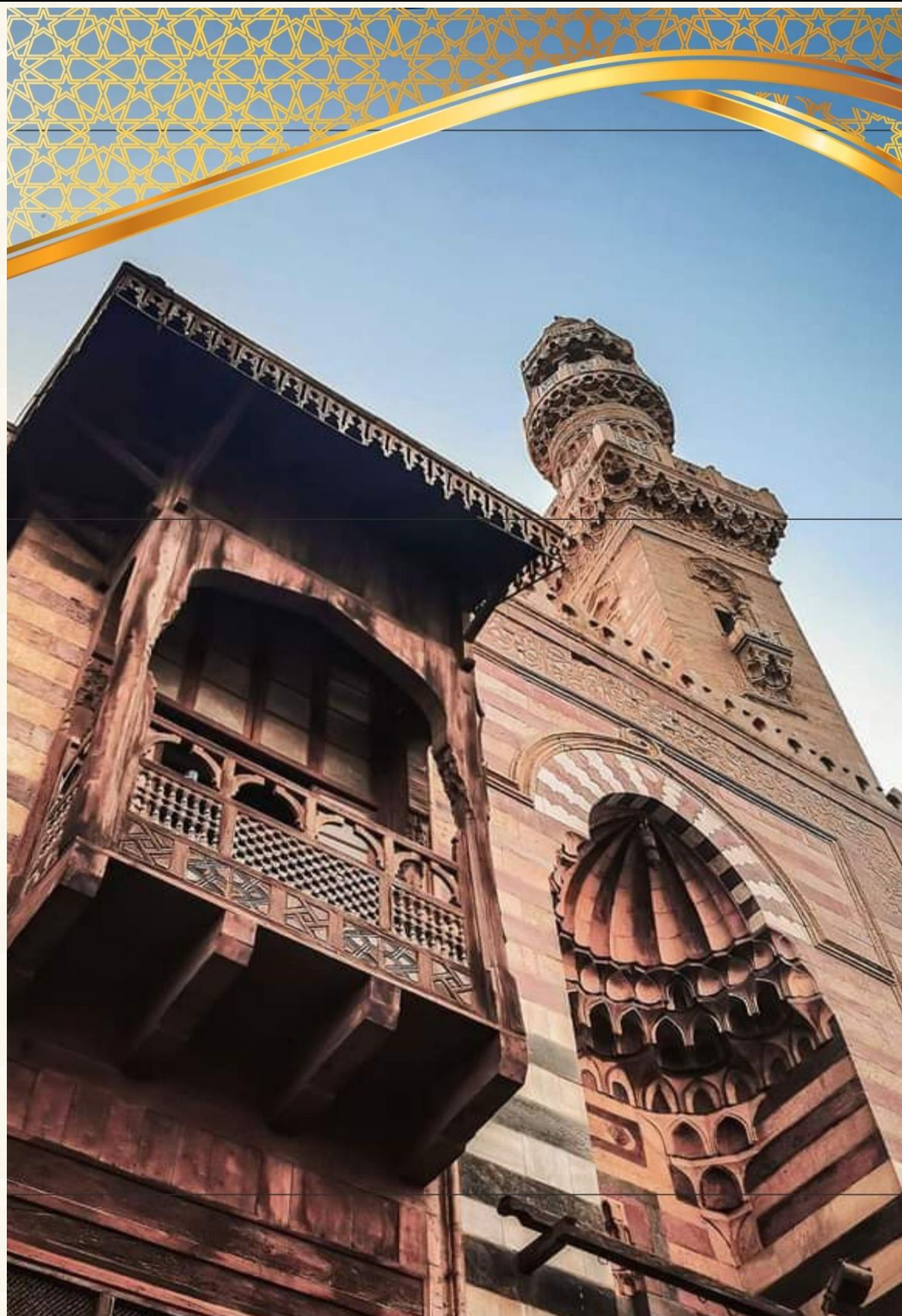


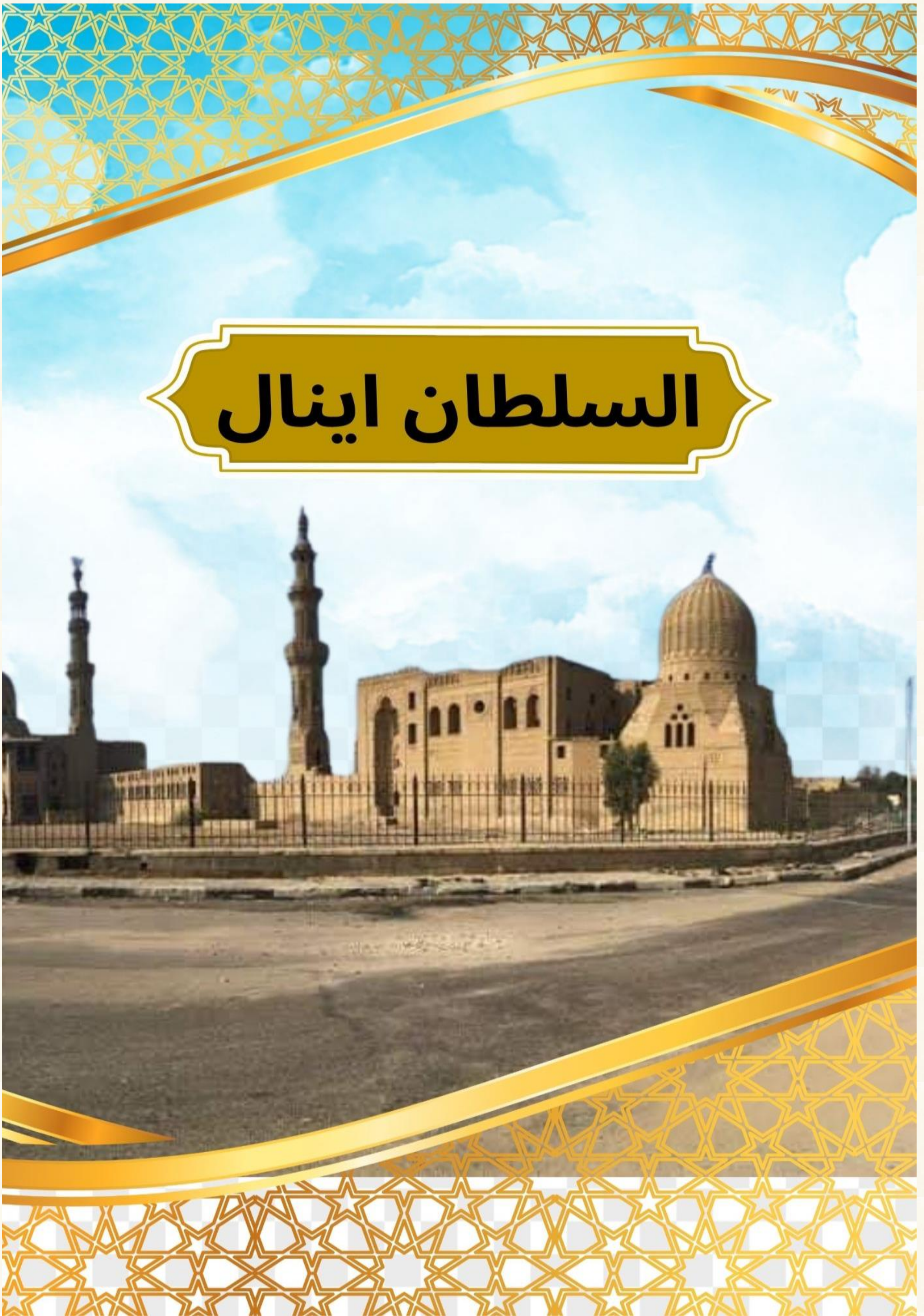




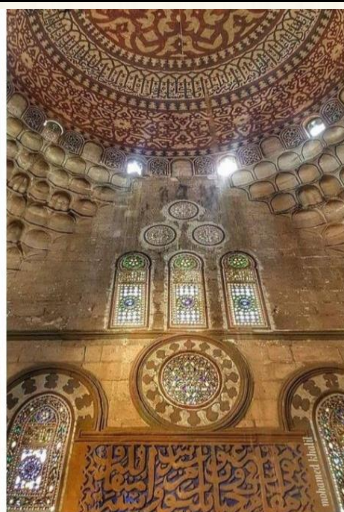
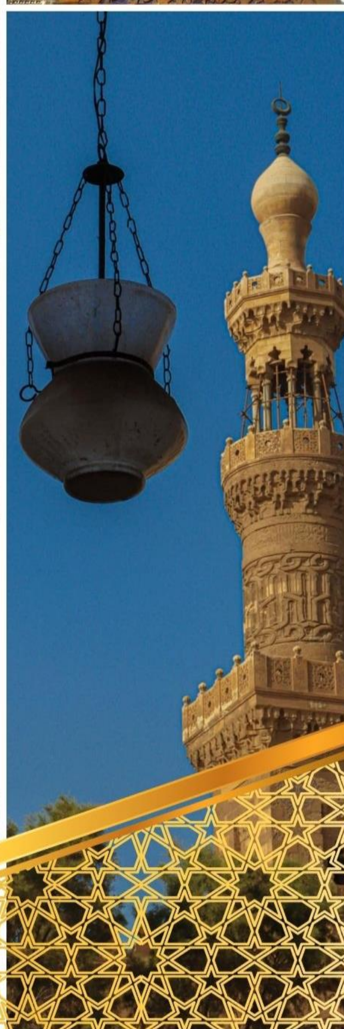

@REALLYGREATSITE


مدرسة برسباي



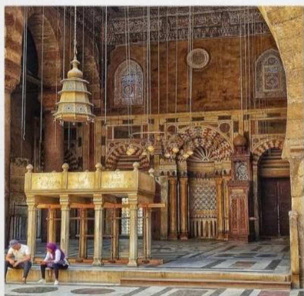

السلطان اينال

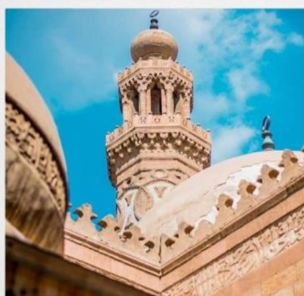
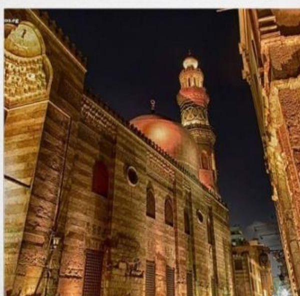
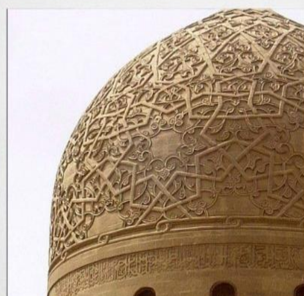
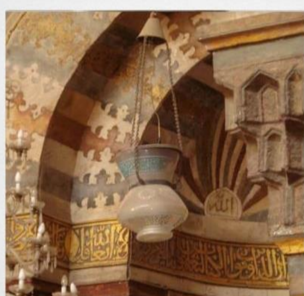
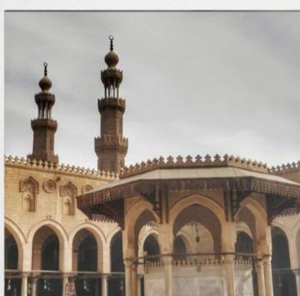
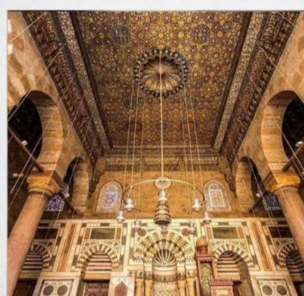

فرج بن برقوق

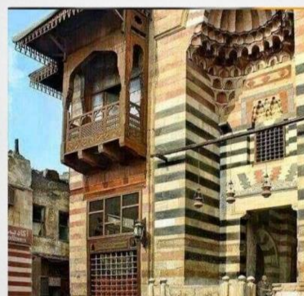






الظاهر بيبرس



اسم السلطان	تاريخ السلطنة بالميلادي	تاريخ السلطنة بالهجري
الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق	1382-1399	784 -790ه
المنصور حاجي	1388- 1390	790-792ه
الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق	1390- 1399	792 -801ه
الناصر فرج بن برقوق	1399-1405	801-808 ه
المنصور عبد العزيز بن برقوق	1405-1405	808ه
الناصر فرج بن برقوق	1405-1412	808-815 ه
ابو الفضل العباس المستعين بالله	1412-1413	815ه
المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي	1413-1421	815-824ه
المظفر أحمد بن شيخ	1421-1421	824ه
الظاهر سيف الدين أبو الفتح ططر	1421-1422	824ه
الصالح محمد بن ططر	1421-1422	824-825ه
السلطان الأشرف برسباي	1422-1438	835-841ه
السلطان العزيز يوسف بن برسباي	1438-1438	841-842ه
السلطان الظاهر جقمق	1438-1453	843-857ه
المنصور عثمان بن جقمق	1453-1453	857ه
الأشرف أينال العلائي	1453-1460	857-865ه

المؤيد احمد بن اينال	1460-1460	865ه
الظاهر خشقدم الرومي	1460-1467	865-872ه
الظاهر يبلباي	1467-1468	873ه
الظاهر تمربغا الرومي	1468-1468	873ه
الأشرف قايتباي	1468-1496	873-901ه
الناصر محمد بن قايتباي	1496-1497	901-902ه
الظاهر قانصوه خمسمائة	1497-1497	902ه
الناصر محمد بن قايتباي	1497-1498	902-904ه
الظاهر قانصوه الأشرفي	1498-1500	904-905ه
السلطان الأشرف جانبلاط	1500-1501	905-906ه
العادل طومان باي	1501-1501	906ه
الأشرف قانصوه الغوري	1501-1516	906-922ه
الأشرف طومان باي	1516-1517	922ه

المحتويات

ونسيج هذا الكتاب من
صيد الكتب ومن در
صدفاته , غصت في
مظان الجواهر المتعلقة
بموضوعه فجمعت اثمنها
, وعطرت هذا النسيج
برياحين المراجع وأريج
الدراسات وزينته بفرائد
ما جمعه المتقدمون ,
ووشيته بما انتجه
المتأخرون .